سلسلة: شراب التسنيم مع النبى الكريم ﷺ

وامحمداه

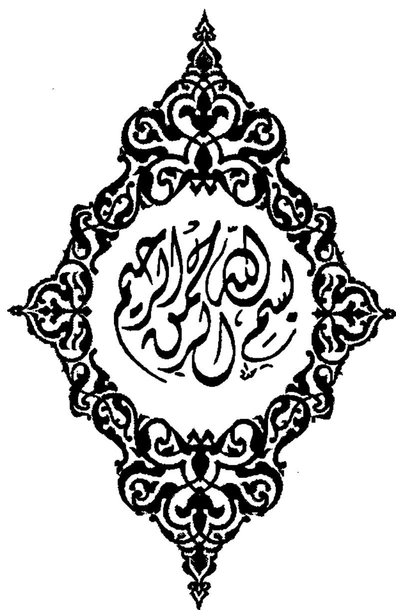
«إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

المجلد الثالث

الناشر
دار العفانى


بسم الله الرحمن الرحيم

وامحمداه ﷺ

« إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٦/٢٢٦٩١

العفاني، سيد بن حسين .
وامحمداه إن شانئك هو الأبتر / تأليف سيد بن حسين العفاني .
القاهرة : دار العفاني ، (٢٠٠٦) .
٥٠٤ ص ١٧ * ٢٤ سم .
المحتويات :
١- السيرة النبوية .
٢ - العنوان ديوى ٢٣٩

دار العفاني
٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٠٢/٥١٠٨٢٥٧ ـ ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١
فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف
ت/٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤

قد بَدَتِ البغضاء

من أفواههم

وما تُخفي صدورهم أكبر

صليبيُّون حتى النُّخاع

* قال تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]؟!، وقالَ سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]؟!.

* قال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قلوبٌ سَوداءُ لا تَحملُ لرسولِ الإسلام ﷺ إلاَّ كلَّ حِقدٍ وتحقيرٍ واستهزاءٍ ومكرٍ وكَيدٍ لئيمٍ وتبجُّحٍ فجٍّ، وإثارةِ الشبهاتِ حَولَ دعوتِه ورسالتِه، وخَلْقِ أجواءِ الرِّيبةِ والاتهامات، يَجمعُهم الحِقدُ الشديدُ علىٰ الإسلامِ ونبيِّه ﷺ، هم رُوَّادُ حَركةِ التغريب، وكِبارُ مخطِّطيها، وأبرزُ دعاتِها، الذين حَمَلوا لواءَ العَمَلِ في ميادينِ التبشيرِ والاستشراقِ والكتاباتِ السوداءِ عن الإسلامِ ورسولِه ﷺ، كأرنست رينان، وفولتير، وصمويل زويمر، وجبرائيل هانوتو، ومرجليوث، والقَسِّ لويس شيخو.

ورابطةُ العِقد بينهم التطاولُ علىٰ نبيِّ الإسلام ﷺ، وإنكارُ نبوَّتِه، والطعنُ في رسالتِه..

وما ضَـرَّ الورُودَ وما عليها ... إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شذاها

أوْ:

ما يَضُرُّ البَحْـرَ أمسَى زاخرًا ... أنْ رَمَى فيه غـلامٌ بحَجَـرْ

❑ وهاهم حَمَلَةُ السُّمومِ والحِقدِ الواضحِ ـ لا الدفين ـ الذي تَطفحُ به مواقفُهم ـ لا كتاباتُهم ـ، أكاذيبُ وافتراءاتٌ وعِداءٌ ذو جذورٍ عميقة، يُوضِّحُها الجنرالُ الإنجليزي «جلوب باشا» ـ االلفتنانت جنرال جون باجوت (١٨٩٧ ـ ١٩٨٦) ـ والذي سبَق وعمل قائدًا للجيش الأُردني حتىٰ عام ١٩٥٦، قال: «إنَّ تاريخ مشكلةِ الشرق الأوسط (أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي) إنما يعودُ إلىٰ القرنِ السابعِ للميلاد»!! أي إلىٰ ظهور الإسلام(١).

فنحن ـ إذن ـ أمامَ موقفٍ ثابتٍ وقديم. . ولسنا أمامَ مَقالٍ هنا أو رَسمٍ «كاريكاتوري» هناك.

* قال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

لقد رُصدت الأكاذيبُ حولَ رسولِ اللَّه ﷺ في مشروعٍ بَحثيٍّ أُنجز في «ألمانيا» فبلغت ثمانيةَ مُجلَّدات، وتُصَوِّرُ رسولَ اللَّه ﷺ كاردينالاً كاثوليكيًّا رَشَّح نفسه في انتخاباتِ البابوية، فلمَّا رَسَبَ أحدَث انشقاقًا هو الأكبرُ والأخطرُ في تاريخ النصرانيَّة.

* يكفي قولُ اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا

(١) «الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ» للأستاذ الدكتور محمد عمارة (ص١٧) ـ مركز الإعلام العربي ـ القاهرة.

تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، يكفي كلامُ مَلِكِ الملوك ـ وكلامُ الملوك ملوكُ الكلام ـ لمن يُوقِنُ بهذا الدين ويتَّخذُه منهجًا لحياته..

ولكن نُريدُ أن نكشفَ القِناعَ لعوامِّ المسلمين، حتىٰ لا يأتيَ الدَّجَاجلةُ بزيفِهم وأخطائِهم وادعاءاتِهم ـ وهم عَبيدُ الغربِ وأذنابُه وصِبيانه ـ، فيُزعزِعوا العوامَّ عن دينِهم، وحالُ هؤلاءِ الصبيان يصوِّرُه الشاعر فيقول:

يُرمـرِمُ مِن فُتَـاتِ الكفرِ قُوتًا ... ويَشرَبُ من كؤوسِهمُ الثُّمالَةْ

يُقبِّـلُ راحـةَ الإفرنـجِ دومًا ... ويَلثُمُ دونما خَجَـلٍ نعالَـهْ

وقد جَمع الدكتور عبدالرحمن بدوي في كاتبه «دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين مِن قدْره» أقوالَ المتَّهمين من مصادرها الأصليَّة، وتتبَّعها واستقصاها علىٰ ما في ذلك من مَشقةٍ بالغةٍ، وقد حَرِصَ في حصادهِ الطويلِ والمرِّ من كتابات الغربيين علىٰ بيانِ أقوالِ أسماءٍ كثيرةٍ جدًّا مِن مثل: المؤرخ البيزنطي ثيوفان ت٨١٨م، وأنستاس ٨٨٦م، وقسطنطين بورفيرو جنتيا ٩٥٩م، سدرينو ١٠٥٧م، وجيوبرت ١١٢٤م، وكلوني ١١٥٦م، وفانسان دي بوفيه ١٢٦٤م، وبيير باسكاسيو ١٣٠٠م، وتاسو توسكا ١٤٨٨م، ونيقولاي كوزا ١٤٦٤م، وبركنهام ١٥١٥م، وبيلياندر ١٥٦٤م، وأزد بالنجر ١٥٧٥ وغيرهم.

* * *

أسطورةُ محمد ﷺ في أوروبا

عَشَرةُ قرون من الأكاذيب والمؤامرات(١)

□ إذا حاولْنا استطلاعَ تاريخِ الأوربيِّين خلالَ قرونٍ طويلةٍ عن نبيِّ الإسلام ﷺ، سيُصيبُنا الفَزَعُ من جَهْلِهم وسُوءِ نيَّتِهم الواضحِ الجَلِيِّ.

ومِن بينهم فلاسفةٌ وعلماءُ ورجالُ دينٍ ومؤرِّخون.

□ ومنذُ القرونِ التي شَهِدتِ انطلاقةَ الفكرِ الأوروبِّيِّ ـ أعني القرنَ الثالثَ عَشَر، والقرنَ السابعَ عَشَر ـ، لم يُحاول أن يبدأ أحدُ هولاءِ المفكِّرين دراسةً موضوعيةً وعادلةً للإسلام ورسولِه ﷺ.

أعني: «ألبرت جراند»، و«توماس داكين»، و«وبوبافنتير»، أو «روجيه باكون» ـ في القرن الثالث عشر ـ، أو «ديكارت»، و«باسكال» و«سبينوزا»، و«مالبرانش» ـ في القرن السابع عَشَرَ ـ.

في العصور الوسطىٰ ـ في النِّصف الأولِ منها ـ كانوا يتصوَّرون أن محمداً ـ وكانوا يُسمُّونه «ماهوميه» ـ إلهًا يعبُده المسلمون، ويُقدِّمون إليه قرابينَ من البشر بسببِ ضلالِهم وغَيِّهم(٢).

□ وفي القرن الثانيَ عَشَر بدأ الأُوربيُّون في اعتبارِ محمدٍ ﷺ نبيًّا مُزَيَّفًا ـ أو مُدَّعِيًا ـ، وحاولوا فقط إظهارَ وإثباتَ خِداعِه!!.

□ كان الإمبراطور «شارلمان» يعتقدُ أن التمثالَ الذي يُمَثِّل محمداً في

---

(١) من كتاب «الدفاع عن النبي ﷺ» لعبدالرحمن بدوي ـ دار النشر (أفكار) ـ باريس ١٩٩٠م.

(٢) المصدر السابق (ص١٠).

مدينة «كاديكس» من الخطر هدمُه؛ لأنَّ مجموعةً من الشياطين تَسكُنه!!!.

◻ ثم وَضَعه «دانتي» في مكانٍ مرموقٍ من الجحيم!!.

◻ وحينما كَتب «أوركانيا» اختارَ ثلاثَ شخصيَّاتٍ يستحقُّون النارَ، وهم: محمد ﷺ، وابنُ رشد، والمسيحُ الدجَّال!!.

◻ في العصور الوسطىٰ أيضًا تمَّ وصفُ محمدٍ بأنه «ساحر»، وبأنه «شخصٌ منحلٌّ»، وأنه «لِصٌّ نُوق - جمال -»!!!، وأنه «رجلٌ من رجالِ الكنيسةِ لم يَنجحْ في الوصولِ إلىٰ البابَوِيَّةِ»، فاخترع دِينًا جديدًا لِيقتصَّ من أقرانِه رجالِ الدين المسيحيِّ!!.

◻ أمَّا عن سِيرته ﷺ، فقد حَوَتْ كلَّ الجرائمِ التي يُمكن - والتي لا يُمكن - تخيُّلُها، حتىٰ أصبحت مِثلَ حكاياتِ المغامرات!.

أمَّا عن القرنِ السادسَ والسابعَ عَشَر، فكما ورد في كتاب «إرنست رينان» فلم يكن أكثرَ عَدْلاً في الحُكمِ علىٰ محمدٍ ﷺ، فلم يَهتمَّ «بيبليباندر وهوتينجر وماراسي» بالقرآن إلاَّ ليرفضوه جُملةً وتفصيلا[1].

(١) ثم حاول المفكِّر الإيطالي «ألكسندر دانكونا» أن يَخُطَّ سُطوراً في كتابه «هذا التاريخ» في دراسته بعنوان «أسطورة محمد في الغرب» والتي ظهرت عام ١٨٨٩م.

بدأ دراستَه بما قاله المؤرِّخُ البيزنطيُّ «تيوفان» (٧٥١ - ٨١٨)، والذي رَوَىٰ أن موتَ محمدٍ ﷺ كان بسببِ ثمانيةٍ من اليهودِ عندما رَأَوْا فيه امتداداً

---

(١) «دراسات في التاريخي الديني» - لإرنست رينان (ص١٧١ - ١٧٣) - باريس ١٩٥٥.

لرسالةِ السيِّد المسيح ، في البدايةِ التفُّوا حوله ، ثم انقلَبوا عليه عندما وجدوه يأكلُ لَحْمَ الإبل ـ لأنَّه مَحرَّمٌ في الديانة اليهودية ـ!!!.

ثم يَستمرُّ في عَرضِ حياةِ محمدٍ ﷺ قائلاً : «إنه ذَهَب إلىٰ فِلسطينَ، وتَحدَّث مع اليهودِ والنصارىٰ هناك، ثمَّ تعلَّم منهم مُحتوىٰ ومضمونَ الكُتبِ السابقة ـ التوراة والإنجيل ـ»[1] .

(٢) ثم أخذت الأسطورةُ مَنْحَىٰ آخَرَ مع رجلٍ من رجالِ الكنيسة يُسَمَّىٰ «جيلبار دي نوجان» (١٠٥٢ ـ ١١٢٤)، وحَسْبَ روايتِه، فإنه بعد وفاةِ بَطرِيَرْك الإسكندرية ، حاول راهبٌ أن يَخلُفَه ، لكنه أخفَقَ في ذلك ، فقرَّر أن ينتقم، عند ذلك أوحَىٰ إلىٰ شابٍّ بعضَ الأفكارِ والمعتقداتِ الغريبة ، ودَفَعَه لأن يُعلِنَ ويدَّعي أنه المسيح ، ووَعَده بأن يُزوِّجه أرملةً ثَرِيَّةً تُدعَىٰ «خديجة» ، والتي وَعَدها الراهبُ أن يزوِّجها نبيًّا .

❑ بدأ «ماتومُس» ـ كما سمَّاه الراهبُ ـ يَنشُرُ خَبَرَ نبوَّتِه ، فاجتَمَع الناسُ ، وأعلَن لهم أن اللّهَ سيُنزِلُ قانونًا جديداً بشكلٍ خُرافيٍّ ورائع .

❑ وأتَىٰ «ماتومس» ببقرةٍ ، ثم وَضَع بين قَرْنَيْها كتابًا صغيراً ، وفي ذات يومٍ خَرجت البقرةُ أمامَ حُشودِ وجُموعِ الناسِ من مَخبئِها ، وعندما قرؤوا الكتابَ وَجَدوا فيه كلَّ الانحلالِ الأخلاقيِّ والفسادِ مسجَّلاً بالكتاب .

وقد أَعجب هذا الكتابُ ـ الذي أحَلَّ كلَّ الرَّغباتِ البشريَّةِ ـ الناسَ ، ممَّا أساء إلىٰ الدِّيانةِ المسيحيَّة ؛ لأنَّ هذا المذهبَ انتَشَر في إفريقيا ، وفي مصر ،

---

(١) «كرونوجرافيا» لتيوفان (ص٥١١) ـ مدينة بون «ألمانيا» ١٨٣٩ .

وفي إثيوبيا، وحتىٰ في أسبانيا[١] .

◻ قال الدكتور عبدالرحمن بدوي مُعَقِّبًا: كما نرىٰ، هذه الأسطورةُ ارتكزت علىٰ حَدَثَيْن:

الأول: الراهب «بحيرَىٰ» ـ المذكور في «سيرة ابن هشام» ـ.

والثاني: السورة الثانية في القرآن ـ «سورة البقرة» ـ.

علىٰ هذيْن الحَدَثَيْنِ ارتكز الخيالُ المريضُ للكُتَّابِ المسيحيِّين في العُصورِ الوسطىٰ في أوروبا، فألَّفوا هذه الأسطورةَ المجنونةَ والمبالَغَ فيها.

مِن كُلٍّ ما سبق يتَّضحُ لنا أن العصورَ الوسطىٰ كانت تَعتبرُ الإسلامَ مجردَ هَرْطَقةٍ أو تحريفٍ للديانةِ المسيحية.. أمَّا محمدٌ، فقد جاءِ لِيُحدِثَ زلزالاً بداخلِ المسيحيَّة.

(٣) ومن هؤلاء الذين حاولوا إثباتَ هذا الافتراض «بييركلوني» المتوفَّىٰ عام ١١٥٦م.. اختَلَق نَصًّا جاء فيه ذِكرُ نفسِ الراهب، والذي سَمَّاه «سيرجيوس»، والذي كان من أتباعِ صاحبِ «الهَرْطقة» الذي يُدْعَىٰ «نستوريوس»، وعندما تمَّ طردُه من الكنيسة، جاء إلىٰ الجزيرةِ العربية، وكان «سيرجيوس» قد عَلَّم محمداً كلَّ ما كان يَنقصُه ـ العهدَ القديم والعهدَ الجديد ـ لكن وفقًا لنظرية «نستوريوس» الذي يُنكِر أن المسيحَ إله[٢] .

(٤) «جاك ديفيتري» (المتوفَّىٰ عام ١٢٤٤م)، سَلَكَ نفسَ الطريقِ

(١) دوريَّات «مؤرِّخو الحروب الصليبية» لجستا دي بير فرانكوس ـ طبع أكاديمية الآداب بباريس ـ ١٨٧٩ المجلد الرابع (ص١٢٨).

(٢) «ماكو ميتيس حياته ومذهبه» لبيبلياندر ـ المجلد الثالث (ص٣) ـ مدينة «بال» ١٥٤٧م.

مستخدمًا «بحيري الراهب» الذي نَسَجَ قصَّته مُدَّعيًا أن الشيطانَ أمدَّ محمدًا بالموالي والأعوانِ من بينهم، سَمَّىٰ أحدَ الرُّهبانِ المرتدِّين الملحِدين يُدْعَىٰ «سوسيو»، وهذا الراهبُ أُدينَ مِن قِبَلِ بابا روما، واعتَبَره مرتدًّا، وكان منبوذًا في قومه، فلَجَأَ إلىٰ الجزيرةِ العربية، وأراد أن ينتقمَ لنفسه، فاتَّفق مع رجلٍ يهوديٍّ، والاثنانِ حثَّا محمدًا علىٰ أن يَدَّعِيَ النبوَّة، وقد أخذ محمدٌ من التوراةِ والإنجيلِ شريعتَه الجديدةَ مضيفًا لها ما وَسْوَسَ إليه الشيطانُ[١].

(٥) «مارتان بولونكو» (المتوفَّىٰ في ١٢٧٤)، وَصَفَ محمدًا ﷺ «بالمجوسيِّ مُدَّعي النبوة»، وبأنه «زعيم اللصوص» قُطَّعِ الطريق، ومحمدٌ بالنسبة له تعلَّم علىٰ يدِ راهبٍ يُدْعَىٰ «سيرجيوس»، وشريعتُه أُمْلِيت عليه من قِبَلِ الشيطان، وبمساعدةِ هذا الراهب المُلحِدِ «سيرجيوس»، وأن شريعتَه التي أرساها محمدٌ تمَّ الدفاعُ عنها وفَرْضُها بحدِّ السَّيف، وتأسَّست علىٰ سَفْكِ الدماء[٢].

(٦) ثم كتب «فانسون دي بوفيه»[٣] الكاتبُ الشهيرُ للموسوعة «المرايا» - وهي من أربعة أجزاء: الموسوعة الدينية، الموسوعة الطبيعية، والموسوعة التاريخية، والأخيرةُ هي تاريخُ العالَم منذ الخَلْقِ وحتىٰ عام (١٢٤٤) التي امتدَّت أيضًا بواسطة «فانسون» نفسِه حتىٰ عام (١٢٥٣)، وامتدَّت أبعدَ من ذلك بواسطةِ مَن جاء بعدَه.

ومِن المعلوم أن «فانسون» كان راهبًا وواعظًا، وهو أحدُ الدومينيك في

(١) إستور ياهير وسوليميت في مجلة «بونجزر» (ص١٠٥٦)، هانوفر لعام ١٦١١.
(٢) مارتن بولو، كرونيكا (ص٢٧٣) لسنة ١٥٧٤.
(٣) فانسون ولد في ١١٩٠ وتوفي في ١٢٦٤م.

«دير بوفيه»، وأنشأ علاقاتٍ وطيدةً مع القِدِّيس «لويس التاسع» الذي قاد الحَمْلَةَ الصليبيَّةَ السادسةَ في (١٢٤٩ ـ ١٢٥٠)، ولقد حَظِي بثِقةِ المَلِك، وكان قارئه وأمينَ مكتبته ومُعلِّمَ أولادِه، وهذا كلُّه يُفسِّرُ اهتمامَه بالإسلام الذي أطال الحديثَ عنه في موسوعته «المرآة التاريخية»، وأفرَدَ له صفحاتٍ طويلة (الثالثة والعشرون من الفصل ٣٩ ـ ٦١).

❑ وفي حديثِه عن الإسلامِ اقتَبَس من ثلاثةِ مصادر:

المصدر الأول: لاكروناكا «كرونيكا»، لإيجور فلور ياسنيس الذي أخذ منه ذِكْرَ نَوباتِ الصَّرَعِ المزعومة التي تعرَّض لها النبيُّ ﷺ بزعمهم.

المصدر الثاني: «ليبيلوس إن باركيبس تراتسمارين دوماشومتي فالاس»، وهو كُتيِّب عن «فِكر محمد فيما وراء البحار».

المصدر الثالث: «ديسبو تاتيو كوجو سدام ساراسيني، كويسدام كربستياني».

من المصدر الأول، استَوحىٰ قصَّةَ السِّحرِ عند محمدٍ، وحالاتِ الصَّرَعِ المتتابعةِ عنده.

ومن المصدر الثاني استَوحىٰ مُلخَّصًا عن البقرة، وعن بَركةِ إناءِ اللبنِ والعسل، وعلىٰ اليمامةِ (الحمامة) المُدرَّبة علىٰ النَّقْرِ في أُذُنِ محمدٍ ما اعتقد هو أنه «الروحُ القُدُس»!!!.

ويبدو أنَّ هذه القصةَ ظَهرت في أسطورة محمدٍ لأولِ مرةٍ في العالَمِ الغربيِّ كما يقول «دانكونا» في كتابه (op. cit صفحة ٢٣٥).

❑ ومن المصدر الثالث أخذ قصةَ الراهبِ «سرجيوس» الآثمِ في

صومعته وطَرْدِه ولجوئِه إلىٰ منطقة «تَيماء» في الجزيرة العربية حيث كان يعيشُ شبعانَ: الأول كان يعبدُ الأصنام، والآخرُ كان يهوديًا، وهناك وَجد «سرجيوس» محمداً الذي يَعشَقُ عبادةَ الأصنام، وكان مُعجبًا بالرهبان المطرودِين، ويرىٰ التوفيقَ بينهم، لقد أقنع «سرجيوس» محمداً بالتَّخلِّي عن عبادةِ الأصنام وأن يُصبِحَ نصرانيًّا نسطوريًّا.

لقد نَجَحَ إذن في إقناعِ محمدٍ الذي صار تلميذَه، ولهذا أَخَذ اسمَ ولَقَبَ «نسطورس».

لقد تعلَّم محمدٌ من «نسطورس» تعاليمَ العهدِ القديم والعهدِ الجديد، وركَّب منهما القرآن، وأدخَلَ عليهما قَصَصًا وأساطيرَ وأكاذيبَ أُخرىٰ، ولكنَّ اليهودَ رَأَوا أن محمداً يمكنُه الوصولُ إلىٰ «الحقيقة» النصرانيَّة «المسيحية الحقَّة»، فاندسُّوا عنده كأتباعٍ له، وادَّعَوا طَلَبَ المعرفةِ عن الدين الجديد، وحاولوا تغذيةَ الإسلام بالطُّقوسِ اليهودية، فأضافوا إلىٰ القرآنِ بعضَ التغيُّرات، وعَدَّلوا أخرىٰ، وحَذَفوا أجزاءَ ثالثةً ومقاطعَ كاملةً.

ويُعتبر «فانسان دي بوڤيه» أكبرَ كاتبٍ نصرانيٍّ، بل قمَّةَ المؤلِّفين والكُتَّابِ المسيحيِّين الذين لم يَرجِعوا قطُّ إلىٰ المصادرِ العربيَّة، ولم يَقتبِسوا منها.

(٧) وأول مَن حاوَلَ استخدامَ المصادر العربيَّة هو «جيوم دي تريبولي» (الطرابلسي)[١]، وهو أيضًا كان راهبًا من المجموعة المُسمَّاه «الفرير» (الدومنيك)، وفي عام ١٢١٧م استقرَّ به المُقامُ في دَيرٍ بالقرب من طرابلس،

(١) طرابلس بلبنان.

وكَتب كتابًا عن رِحلاتِه في سوريا الذي قدَّمه إلىٰ «تيدالد» عام ١٢٧٣ في قصَّته عن حياةِ محمدٍ، ركَّز علىٰ دَور «بحيرىٰ» الراهبِ الذي كان يعيشُ في صَومعتِه الواقعةِ علىٰ الطريق الذي يؤدِّي إلىٰ عَرَب مكةَ ناحيةَ «جبل سيناء»، وذاتَ يومٍ مَرَّ رجلٌ من عند «بحيرىٰ»، ومن خلاله عَلِمَ أن الكنيسةَ مصيبةٌ عظيمة، أتىٰ هذا اليومُ، وعرَفَ «بحيرىٰ» بواسطةِ التجلِّي الروحيِّ الذي تمَّ إخبارُه به مُسبقًا، وكان الأمرُ يتعلَّقُ بالطِّفلِ اليتيمِ السَّقيمِ الفقيرِ راعي النُّوقِ «الجِمال».

◻ يقول «جويوم الطرابلسي»: «إن المسلمين يَحْكُون أن البابَ الصغيرَ للصومعة كان مفتوحًا، ودَخَل منه هذا الطفلُ، وفي لحظةِ دخولِه ارتَفَع ودَخَل حتىٰ أخذ قَوسًا ملكيًّا، وقد استَقبل بحيرىٰ الطفلَ بكلِّ تِرحاب، وأعطاه طعامًا ولباسًا، واعتَبَره كابنٍ له بالتبنِّي، وعَلَّمه احتقارَ عِبادةِ الأصنام، وأن يَتضرَّعَ بإخلاصٍ، ويَعبُدَ بكلِّ قلبِه الربَّ «يسوع»!!.

وبعد بُرهةٍ من الزمان غادَرَ الطفلُ الصومعةَ؛ لأنَّه كان في خِدمةِ تاجرٍ غنيٍّ، ولكنه وَعَده بالرجوعِ.

لقد مارس الطفلُ التجارةَ بنجاحٍ، وعاد عِدَّةَ مرَّاتٍ إلىٰ بحيرىٰ الراهب، وفي أثناءِ ذلك مات سيِّدُه، فتزوَّج بأرملتِه، واستمرَّ في زيارةِ هذا الراهبِ، فتضايَقَ عَشَرةٌ من أصحابه، وفكَّروا في قَتلِ «بحيرىٰ»، ولكنهم خافوا من غَضَبِ محمدٍ، وذاتَ ليلةٍ مَلُّوا من طُولِ النِّقاش وأحاديثِ «بحيرىٰ» مع محمد، وقَتلوا «بحيرىٰ» بسيفِ محمدٍ نفسِه، واعتَذروا له بأنهم قد شَرِبوا كثيراً، وهذا هو السببُ الذي قادهم إلىٰ أن يَضَعوا السيفَ

في بطنِ بحيرىٰ، وصَدَّق محمدٌ هذا الاعتذارَ الآثم، وسَبَّ الخَمْرَ، ومَنَعَ شُربَ الخمرِ بين أصحابه.

❑ وبعد موتِ الراهبِ بحيرىٰ، انطلق أتباعُ محمدٍ يَسرقون البلاد، ويقتلون الرجالَ واستمرُّوا في ذلك حتىٰ وفاةِ محمدٍ.

لقد عَرَض «جويوم» الدينَ الإسلاميَّ بالتفصيلِ حَسْبَ إدراكِه الوعي، وخَتَمَ مؤكِّدًا أن المسلمينَ لا يزالون بعيدًا عن رُوحِ الديانةِ المسيحيةِ الحقَّة.

إذن قصةُ «جويوم» الطرابلسيِّ كانت أقربَ للحقيقةِ التاريخيةِ عنها من سابقِيهِ الأوربيِّين.

(٨) والكاتبُ الثاني الذي اقتَبَس من المصادرِ العربية مباشرةً هو «بيير باسكاسيو» (١٢٢٨ ـ ١٣٠٠)، الذي أتىٰ من «غرناطة» بأسبانيا ثم من «جُون» ـ وكان راهبًا ـ، وكَتَب معالجاتٍ طويلةً عن مِلَّةِ المحمديِّين.. لقد هَجَمَ بنفسِه علىٰ بحيرىٰ الذي وَصَفه بالهَرْطقة، وأنه الراهبُ الضالُّ، ومِن خِلاله حكىٰ القصةَ بأسلوبٍ باطلٍ، وهنا قال: إنَّ بحيرىٰ كان راهبًا عالمًا ينغمسُ في الفنونِ التحرريَّة، طَموحًا للشرف، وطامعًا في مجدٍ متوهَّم.

لقد أتىٰ إلىٰ روما، ولكنه لم يَحصُلْ علىٰ شيءٍ مما كان يَطمعُ فيه، فأصابه الغَضَبُ، وامتلأ كراهيةً ضدَّ البلاط الرُّوماني، وأراد أن يَنتقمَ لنفسهِ واضعًا الشِّقاقَ بين النصارىٰ، وعندما قَرأ في العهدِ القديم أنَّ المُنحدِرينَ مِن نَسلِ «هاجر» أمِّ إسماعيلَ ولدِ إبراهيم ليس لهم أيُّ قيمةٍ، ونزوانيُّون وجَشِعون طُلاَّبٌ للسلطة المادية، فرَحَل إلىٰ الجزيرة العربية حيث يوجدُ نَسلُ «هاجر»، ولقد وَجَد في الجزيرة العربية شعبًا قد اهتدىٰ حديثًا

للنصرانية، فنزل بينهم وعاش في صومعةٍ في مكانٍ منعزل، وبعد بُرهةٍ قابَلَ الشابَّ محمداً الذي كان يرعىٰ الإبل، وعندما رآه يَتمتَّعُ بهيئةٍ جميلةٍ وذَكاءٍ، وعَلَّمه أشياءَ كثيرةً، وعندما تأكَّد بأنه قد استولىٰ علىٰ لُبِّه وَعَدَه بأن يجعلَه أميراً لهذه البلدة وما حولها، وطَلَب منه أن يُطيعَه في كلِّ شيءٍ، فوافق محمدٌ علىٰ هذا، وكان بحيرىٰ الراهبُ خبيراً بتحضيرِ الأرواح والفَلَكِ واللغات، وفي هذا الوقتِ مات مَلِكُ تلك المنطقةِ بدون أن يتركَ وريثًا له، ونَشَب الشِّقاقُ بين الناس، ولجأ الكِبارُ إلىٰ الراهبِ لكي يُخمِدَ هذه الفتنةَ، فردَّ عليهم أنه سيَستدعيهم إليهِ خلالَ ثمانيةِ أيام.

وخلال هذه الفترةِ اتَّفق مع محمدٍ، ودبَّرا حيلةَ «اليمامة»، وقصةَ «الثور الأبيض»، وعندما عاد الناسُ إليه اقترح عليهم أن يختاروا رجلاً يكونُ بعد ذلك مَلِكًا عليهم، ولكنه يكون قادراً علىٰ أن يَتصدَّىٰ لثورٍ هائجٍ يجري بين الجبال، ومحمدٌ الذي تدرَّب علىٰ الثورِ هو الوحيدُ الذي رَوَّضه، وأتىٰ به للناسِ الذين أُنهِكت قواهم، وتَعطَّشوا لصيدِ الثَّور، وأظهر لهم جَدولَ الماءِ الصافي الذي وضع فيه القِرَب، واهتمَّ بإخفائه، ولهذا اختارَ القومُ محمداً مَلِكًا عليهم.

ولقد نَشَر محمدٌ شريعتَه التي تَخدُمُ الربَّ، وأيضًا لشهوةٍ، وبمساعدةِ الراهب اخترع القرآنَ الذي وَضَعه علىٰ قَرنِ الثَّور، وعنده كانت «اليمامةُ المدرَّبة» بواسطته، وجَعَل الناسَ يعتقدون فيها بأنها الوحيُ التي تُوحي إليه في أُذنه.

في هذه القصة لم يذكر «بيير باسكاسيو» اسمَ الراهب، ولكنه قال أبعدَ من ذلك في «كتب المسلمين»، وذكر «سرجيوس» النصرانيَّ صاحبَ

محمدٍ الذي لم يَقتبسْ منه حِدَّةَ الذكاء ولا التديُّن، ولكن فقط المَيلُ إلىٰ قَطعِ الطريق.

وقال: «إنَّ سرجيوس كان يَعلَمُ كلَّ الطرقِ والمسالكِ في الجزيرة، وعندما بدؤوا مشاريعَهم لجؤوا إلىٰ استخدامِ الحِيَل، كان يَدُسُّ بَيضَ النَّعامِ المملوءَ بالماءِ في الرمال، ويُعطيها لأصحابه لكي يَشرَبوا عندما يشعرون بالعطش، والناسُ الذين نَهَبَهم قُطَّاعُ الطريق لم يَتْبَعُوهم، وأنهم يموتون في وسطِ الصحراء من العطش، ولكنْ عندما يَرَون قُطَّاعَ الطريقِ يعودون أصحَّاءَ، يعتقدون في هذه المعجزة، وهذا زاد من صيتِ محمدٍ».

وقال بيير باسكاسيو: «بواسطة سرجيوس تَفهمُ أيَّ نوعٍ من الناس كان أوائلُ الأتْباعِ لمحمد، وأيَّ دِينٍ من الصحَّةِ البدنيَّةِ والروحيَّة نادَىٰ به إذن».

بالنسبة لبسكاسيو ربما كان سرجيوس هو بحيرىٰ نفسه، وفي نظره لم يكن راهبًا، ولم يكن في صومعةٍ، ولكن كان قائدًا ماهِرًا في قَطعِ الطريق.

لقد ألَّف باسكاسيو الروايةَ كلَّها، والتي استعار فيها القَصَصَ من سابِقِيه الأوربيِّين، وبالرَّغم من أنه ادَّعىٰ أنه لَجأَ إلىٰ المصادر الإسلامية، ولكن لا يُوجدُ بُرهانٌ علىٰ ذلك، فروايتُه تُظهِرُ تخيُّلاً باطلاً بالكامل، بالرغم من أنه عاش بين المسلمين، وفي قلبِ المملكةِ الإسلامية في «غرناطة» التي ظَلَّت مسلمةً حتىٰ نهايةِ السيطرة الإسلاميةِ علىٰ أسبانيا في عام ١٤٩٢م.

إنه نَسِي أنه عاش يومًا بينهم، وكان في متناوَلِ يديه جميعُ أنواع الكُتبِ والوثائق، وكان لديه الفرصةُ أن يُطيلَ الحديثَ عن العلومِ الإسلامية ليعرفَ جيِّدًا حقيقةَ الإسلام، أو حتىٰ يكونَ لديه فكرةٌ قريبةٌ من الحقيقةِ بدلاً

من التحصُّنِ في قلعةِ الآراء المتعصبَّةِ والأفكارِ الخاطئةِ عن الآخرين، وما زلنا في أيامِنا هذه نُعَلِّق على القَسِّ النصراني في بلاد الإسلام الذي عنده نفسُ الموقفِ الذي تبنَّاه «بيير باسكاسيو» في القَرنِ الثالثَ عَشَرَ، والجديدُ في الأسطورة كالتي حُكيت بواسطة «باسكاسيو» أن مَجِيءَ «سرجيوس» إلى روما وأطماعَه في أكبرِ شرفٍ دينيٍّ على سبيلِ المثال، أن يكونَ كاردينالاً أوْ ربما يكونُ هو البابا.

سرجيوس - أو بحيرى - لم يَعُدِ الراهبَ النصرانيَّ الذي يَعيشُ في صَومعتِه على الطريق المؤدِّي إلى «مكةَ» أو «تَيماء»، أو في جَبَلِ سَيناء، ولكنه رجلُ دينٍ ذهب إلى روما لينالَ مكانةً كَنَسِيَّةً عاليةً، ويَذيعَ له صِيتٌ، ومات ولم يَحصُلْ على شيءٍ من ذلك، فأراد أن ينتقمَ لنفسه، فعمل خُطَّةً ليزرعَ الشِّقاقَ في عُقرِ دارِ النصرانية.

(٩) و«تومازو تيسكو» كَتَب في ١٧٢٨م قصةً ادَّعى فيها أنَّه استعارَها من كتابٍ موجودٍ في كنيسةٍ في «بولونيا» شمالَ إيطاليا، روايتُه عن رواية باسكاسيو، إلاَّ في عِدَّةِ نِقاطٍ فرعيَّةٍ، وبعضُ الإضافات لها أهميةٌ قليلة.

(١٠) وفي هذه الآوِنة، لم تَهتمَّ الأسطورةُ بوَصفِ القَسِّ الذي جاء إلى رُوما لينالَ مكانةً دينيةً رفيعةً وسُمعةً، وأصبح بعد ذلك محرِّضًا على الانشقاق، إذن الأسطورةُ أخذت شكلاً آخر، ولم تَجعل من هذا الراهبِ أنه مُعلِّمُ محمدٍ وأستاذُه، ولكن هو محمدٌ بنفسه!.

في هذا الشَّكل الجديد، أعطَوا لمحمدٍ اسم «نيكولا» في روايةِ «ليبر نيكولاي».

يقول: إن «نيكولا» هو محمد، كان أحَدَ الكهنة السبعةِ الكَرادلةِ في الكنيسةِ الرومانية، كان مُنفتِحًا علىٰ جميعِ العلومِ، خبيرًا بكلِّ القضايا الإنسانيةِ، وعالِمًا بكلِّ اللغات.

والبابا الذي كان في أسبانيا وفي الدول البربريَّة شمالَ أفريقيا كان مُعَمَّرًا، وعندما كان «نيكولا» في بَعثتِه مات البابا، وكما يتطلَّبُ الأمرُ لا يُقبَرُ البابا حتىٰ يختارَ خليفةً له يُعطيه الغُفران، فاختارُوا بابًا جديدًا ولُقِّب بـ«لورونزو»، وكان كاردينالَ الكهنة وكان مُسِنًّا، وأوشَكَ علىٰ الموتِ من لحظةٍ إلىٰ أخرىٰ، فأرسل الكرادلةُ إلىٰ «نيكولا» يطلُبون منه العَودةَ إلىٰ روما، واستَغرقت رحلةُ عَودتِه وقتًا طويلاً، مات خلالها البابا، واختاروا بابًا آخَرَ، كان ضعيفًا عندما كان كاردينالاً، وعندما صار بابًا أصبح صارمًا، وفي هيئةٍ قوية.

وعندما وصل «نيكولا» إلىٰ روما استقبله الكرادلةُ، وقدَّموا له الاعتذاراتِ علىٰ ما حَدَث، ووعدوه بأنهم لا يُقدِّرون شيئًا بدونِ موافقته، وعندما قَدَّم «نيكولا» نفسَه للبابا لم يُظهِرْ له أيَّ إجلالٍ، وأَمَره البابا ألاَّ يأتيَ إلىٰ البلاط الكَنَسيِّ بدونِ إذنه، ورَحَل «نيكولا» ساخطًا، ومِن هذه اللحظة كانت لديه نيَّةُ الانتقام، وشكَّل دينًا جديدًا لهدمِ النصرانيَّة.

وبَعدَما سَرَدَ الكاتبُ العقائدَ التي طالب بها «نيكولا» العرب، قال الكاتب: إنَّ نيكولا «محمدًا» قُتل بواسطةِ أحدِ «المارزيكو» التي كانت زوجتُه تُسَمَّىٰ «كاريفا».

كان محمدٌ «نيكولا» حبيبًا إلىٰ الناس، وعندما قَتل «مارزيكو»

وزوجتُه محمداً اخترعوا هذه الأكذوبة حتىٰ لا تفترسَهما عامةُ الناس، وأعلَموهم بأن الملائكةَ حَملت محمداً «نيكولا» إلىٰ السماءِ، فأمسكت «كاريفا» بقَدَمِه لتحتفظَ بها، وظَلَّت القَدَمُ في يدها، وأظهروا هذه القَدَمَ للناس!.

◻ وقصَّةُ القَدَمِ موجودةٌ عند «بيير باسكاسيو» صفحة (٨٧) التي تحكِي أن محمداً كان يَعشَقُ امرأةً يهوديةً التي دَعَتْه ليأتي إليها ذات ليلة، وتآمرت مع اليهودِ لقَتلِهِ، ويَقطعوا قَدَمَه اليُسرىٰ، وباقي الجسدِ يُلْقُوه للخنازير، وهذه المرأةُ احتَفظت بالقَدَمِ، ودَهَنَت عليها بعضَ الدِّهانات وقالت لأتباع محمدٍ: إنه صَعِد إلىٰ السماء، وبينما أتىٰ المَلَكانِ لِيرفعَا الجُثَّة إلىٰ السماء، أَمسَكَت بالقَدَمِ، فظَلَّتْ هذه القَدَمُ في يدها.

◻ وبهذا التخيُّلِ الجنونيِّ عند الكُتَّابِ الأوربيِّين في القَرنِ الثالثَ عَشَرَ كوَّنوا هذه القصَّةَ الواهمةَ التي تَستندُ إلىٰ حَدَثٍ صغيرٍ مذكورٍ في كُتب «سيراحي» تعني ما هو آتٍ: أنَّ يهوديَّةً تُدعَىٰ «زينبَ بنتَ الحارث» زَوْجَ «سَلامِ بن مِشكم» أحدِ زعماءِ اليهود، سَمَّت محمداً في شاةٍ مسمومة، والتي وَضعت فيها سُمًّا قاتلاً وشديداً. (انظر التفاصيل ص١٣٥)، وانظر «سيرة ابن هشام» (ص٧٦٤، ٧٦٥).

«زينب» أصبحت «كاريفا» و«سلام بن مِشكم» أصبح «مارزيكو»، وبدلاً من محاولةِ السُّمِّ لمحمدٍ في شاةٍ مشويةٍ مملوءةٍ بالسُّمِّ، وليس لها أيُّ تأثير إلاَّ بعدَ أربعِ سنواتٍ، هذه القصَّةُ تتحدَّثُ عن محاولةِ اغتيالٍ بواسطةِ مجموعةٍ من اليهود، عِلاوةً علىٰ الخاتمةِ المثيرةِ للسخرية بأسلوبِ الأقاصيصِ الباطلة، هذا هو المِثالُ النموذجيُّ لعقليةِ الكُتَّابِ الأوربيِّين

المؤرِّخين، المحاضِرِين، علماء اللاهوت والشعراء.

□ هذه الأقصوصةُ البابويَّةُ الموعودةُ غيرُ مختلفةٍ كما عَلَّق «دانكونا» (ص٢٥٠) ببعضِ الاختلافاتِ في التفاصيل، مرةً بذكرِ اسمِ «نيكولا»، ومرَّةً بغيره، ومرَّةً بذكرِ الكاردينال المُلحِد الذي عَلَّم محمداً، ومرَّةً ذاكِرين أنَّ هذا الراهبَ هو نفسُ شخصيةِ محمدٍ، ونشروا ذلك بين عامَّةِ الناس في أوروبا.

لقد أَعطىٰ «دانكونا» مثالَيْن أخذهما من شاعريْن:

الأول: «نيكول ودكازولا» في قصيدته «أتاليا» في منتصف القرن الرابع عشر، والآخر هو مؤلِّفُ القصيدةِ الشعبية «لودانوا» التي أُلِّفت في منتصفِ القرن الخامسَ عشَرَ.

(١١) وفي روايته «ليجوندا أورا» اختار «جاكو بودا فاراجين» ثلاثةَ تراجمَ، اختار من بينِهنَّ الأقاصيصَ التي أشرنا إليها قبلَ ذلك، ولكنه حكىٰ قصَّةَ قتلِ محمدٍ بالسُّمِّ بأسلوبٍ مُحايِد، ووافق التاريخَ؛ لأنَّه قالَ: إن النبيَّ مات بالسُّمِّ الذي وُضع له في الشاةِ المَصْلِيَّة بعد عِدَّةِ سنوات.

(١٢) وعلىٰ نفسِ مِنوالِ الأساطيرِ نَصلُ الآنَ إلىٰ كاتبٍ آخَرَ هو «ريكالدودا مونتيروس»، وهو راهبٌ دُومنِيكي مُدافعٌ عن النصرانيةِ، ورَحَّالةٌ كبيرٌ في بلادِ الإسلام، وُلِدَ في «فلورنسا» عام ١٢٤٣، ومات في ٣١ أكتوبر ١٣٢٠، وأصبح رجلَ دينٍ عام ١٢٦٧م، وبأمرٍ من البابا «نيكولا الرابع»، بدأ رحلتَه نحوَ المشرقِ العربيِّ، لَجَأَ إلىٰ فِلسطينَ، وفيها لُقِّب بـ «دامونتيروس»، ثمَّ أرمينيا الصغرىٰ، وتركيا، وإيران، والعراق،

والمَوصل.. وسَجَّل قصةَ رِحلاتِه في كتابٍ يُسَمَّىٰ «ليبر بيريقرينا شوني» ولكنَّ الأهمَّ بالنسبةِ لموضوعِنا هنا هو كتابُهُ «نَقدُ القرآن» الذي كَتَبَه في «فلورنسا» في ١٣٤٠ عام وفاته، هذا الكتاب تُرجِم إلىٰ اليونانية، ثم أُعيدت ترجمتُه إلىٰ اللاتينية بواسطةِ «بي بيسرنو» (روما ١٥٠٦)، ولكنَّ التأثيرَ الأصليَّ علىٰ الترجمةِ كان اللاتيني، وفي بعض النُّسَخِ نلاحظُ الفَرقَ بين الترجمةِ اليونانيةِ والترجمةِ اللاتينية.

❏ وفي هذا الكتابِ يقول «ريكالدو»: «إن الوحيَ الحقيقيَّ لمحمدٍ هو الشيطانُ الذي كان مملوءً بالحقدِ بسببِ انتصاراتِ «هرقل» الإمبراطورِ البِيزنطي علىٰ الفُرْس».

❏ وقال: «إن الشيطانَ مَنَحَ محمداً بعضَ اليهودِ والنصارىٰ ليُعلِّموه؛ لأنَّه كان أُمِّيًّا، ومن بين هؤلاء ذَكَر أسماءً، منها «بحيرىٰ الراهب» الذي قَتَلَه محمدٌ فيما بعد، و«عبداللَّه بن سلاَم»، وبعضَ النَّسطوريِّين الذين يعتقدون في السيد المسيحِ أنه رجلٌ وليس ربًّا، وهو ابنُ السيدةِ مريم».

وحَرَّف الحديثَ الذي يقول: «نَزَل القرآنُ على سبعة أحرف» إلىٰ: «نَزَل القرآنُ علىٰ سبعةِ رجالٍ»، وهؤلاء الرجال هم: «نفل، عَون، عمر، عَمْرة، اليسار، أُسير بن سيزير، وابن عمر»، وهذا هو التحريفُ للقراءاتِ السبعة!.

(١٣) وخَطٌّ جديدٌ للأسطورة يُوجد في شخصٍ «جاكو بودا أكي» المتوفَّىٰ عام (١٣٣٧) مؤلِّفِ «صورة العالم»، ويدَّعي أن قضيةَ محمدٍ كلَّها أتت من عند النصارىٰ، وقال: إن قسًّا نصرانيًّا يُسمَّىٰ «نيكولا» الذي أتىٰ

رُوما، فاستُقبل بكلِّ الإهانات، فيئس وتَخلَّىٰ عن العقيدةِ النصرانية، وذَهَبَ إلىٰ بلادِ ما وراءَ البحر، وكان رجلاً بارعًا وحقودًا، واستطاع أن يَعيشَ بينهم بجدارةٍ عالية، وبالفعل كان رجلاً مثقفًا، فصيحًا، بشوشًا، وذا أخلاقٍ حميدة، وَصَلَ إلىٰ الفُرس، أخفىٰ قداستَه الكبيرةَ وكلَّ شيءٍ يدلُّ علىٰ الزهد والعِفَّة.

في هذه المناطق يُوجد النصارىٰ والوثنيُّون، والأوَّلُون كانوا متخلِّفِين بسبب نقصانِ عددِ المبشِّرين وظهورِ كثيرٍ من الملحدين. . «نيكولا» هذا وجَدَ عَونًا له وصاحبًا الذي هيَّأه له الشيطانُ، وتعرَّف علىٰ تاجرٍ وراعي الإبل الذي يُسمَّىٰ «محمدًا»، الذي تعامَل مع جميعِ الناس ـ نصارىٰ، ويهود، ووثنيِّين ـ، وعلاوةً علىٰ مِهنتِه هذه، كان ذا ذكاءٍ حادٍّ، متعلِّمًا قليلاً، عالِمًا بعاداتِ وتقاليدِ هذه المناطق، «نيوكولا» القَسَّ و«محمد» اتَّحدا معًا، وتسمَّيا باسم «سرجيوس» الذي كان قبلَ ذلك راهبًا نصرانيًّا، واتَّفَقَا علىٰ تشكيلِ ديانةٍ جديدةٍ ضدَّ النصرانية، حيث عاشا حياةً مَرِحةً، فاستدعيا مَن كانوا من نَسَبِ السيدة «هاجر»، وقالوا لهؤلاء الأجلاف: نحن لا نريدُ أن نُسمِّيَكم باسمِ «عَبَدَةِ هاجر» ولكن باسم «السارسيِّين» نسبةً إلىٰ السيدةِ «سارة»، ولأنَّ محمدًا كان يتمتَّعُ بهَيبةٍ كبيرةٍ قال عن نفسِه: إنه «نبيُّ العرب»، وهؤلاءِ الأجلافُ اختَبروه، وتفنَّن هو في ترويضِ الحمامة، واقَتبس محمدٌ من شرائعِ النصارىٰ واليهود، ليُعجَبوا به، مضيفًا إليها شريعتَه الخاصة.

«جاكوب دا أكي» أنهىٰ قصتَّه حاكيًا أن محمدًا مات مسمومًا، وكان

محمولاً على قَوسٍ مُعلَّقٍ في الهواء.

هذه القصَّةُ الخياليةُ الأخيرةُ انتَشرت بين الأوربيِّين حتى القرنِ الثامنَ عَشَرَ، فنجد «بالي» في كتابِه «القاموس التاريخي والنقدي» (مقالة محمد ص١٨٦١ وكردام ١٧٢٠) قال في موضوعه: «إنَّ لا تناهيَ للناس الذين يقولون ويعتقدون أنَّ نَعْشَ محمدٍ من الحديد وتحتَ القُبَّةِ الزرقاء من الحَجَرِ المُمغنَطِ المُعَلَّق في الهواء، وهذا هو الذي صَنَع معجزةً كبيرةً في رُوحِ مُعتنِقِي دينِه، هذه أُقصوصةٌ باعثةٌ على الضحكِ عندما نعلمُ أن النصارى يحكونها كأنها حَدَثٌ مؤكَّد».

بَعدَ هذا العَرضِ التاريخيِّ «دانكونا» يُلخِّصُ هذا الغُموضَ الذي يَعتقدُ فيه الأوربيُّون خلالَ أكثرَ من أربعةِ قرونٍ، فقال: «بالفعل أستاذُ ومُعلِّمُ محمدٍ أَخَذَ مرةً من «بحيرى»، ومرةً أخرى من «ورقة بن نوفل»، وشَكَّل الأسطورةَ الإسلاميةَ، فمرَّةً كان معتقِداً أو مدافِعًا عن النصرانية.. ومَرَّةً كان مرتدًّا، أو كان «آريًّا، أو يعقوبيًّا، أو نسطوريًّا».

وطبقًا للترجمة: عَمِل للحصول على شُكرِ إخوانِه الذين طَرَدوه.

وحَسْبَ ترجمةٍ أخرى: عَمِلَ لينتقمَ لنفسه، كان راهبًا، بطريركًا كاردينالاً، اسمه كان «بحيرى، سرجيوس، سوسيو، أو جروسيو، نسطورس، نيوكولا».

محمدٌ نفسُه عُرِض مرَّةً كوثنيٍّ، ومرَّةً أخرى كنصرانيٍّ ويُسمَّى «أوسان، بيلاجيوس، نيوكولا»، كان مجوسيًّا، أُميًّا، وعالِمًا في «بولوني»، أتى القسطنطينيةَ من «أنتيوش»، من «سميرن»، من مناطقَ

أخرىٰ للوثنيين أو للنصارىٰ، كان عربيًّا، أسبانيًّا، رومانيًّا من عائلة كولونا، وأحيانًا يختلط بالأستاذ، وكان شمَّاسَه، أو الكاردينال، واقترب من منصب «البابا».

وما زلنا نرىٰ اختلافاتٍ أخرىٰ، والتباساتٍ أخرىٰ، ولَوثاتٍ من أساطيرَ متعدِّدةٍ، ومن أسطورةٍ إلىٰ أخرىٰ، الأسماءُ والأجزاءُ تتغيَّرُ، وتعكِسُ الالتباسَ الروحي، وهذا الاختلافُ الدائمُ في أنَّ محمداً كان نصرانيًّا، أو متعلِّمًا مِن قِبَلِ نصرانيٍّ، وأن الإسلامَ تفرَّع عن النصرانيَّة.

□ وبالنسبةِ لاسم «بيلاج» الذي أُطلق علىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ يعترفُ دانكونا: «لا نعرفُ كلَّ الاكتشافات وأصلَ وتحوُّلَ محمدٍ إلىٰ بيلاج» (٢٧٤ صفحة op. c: t).

هذا عن القرن الرابع عشر.

(١٤) في القرنِ الخامسَ عَشَرَ، لا نجدُ شيئًا جديداً يَخُصُّ هذه الأسطورةَ، كتاب «نيكولا دو كيوس» المتوفَّىٰ سنة ١٤٦٤، كتابُه «كربراتيو» يُقدِّم لدحضٍ أو نَقدِ بعضِ الموضوعاتِ في القرآن، حيث يدَّعي فيه أنه وَجَد متناقضاتٍ في القرآن.

(١٥) وفي القرن السادسَ عَشَرَ، نجدُ أوَّلاً نقداً صغيراً مطبوعًا في حوالَي سنةِ ١٥١٥، وهو موجودٌ في مكتبة «بردش»، ليس له عنوان، مكوَّن من ٦ ورقات، وهذه بعضُ تراجم ما قالوه عن محمد:

«محمد هذا وُلِد في الجزيرةِ العربية، وعَمِلَ أوَّلاً أجيراً وحارسًا للخيل في إسطبل، ورَحَل بعد ذلك مع التجَّار، وهكذا حتىٰ وَصَلَ إلىٰ

مصرَ في قافلةٍ تجاريَّةٍ، وفي هذا العصرِ كانت مصرُ نصرانيَّةً، وكانت هناك كنيسةٌ قريبةٌ من الجزيرةِ العربيةِ، حيث كان يَعيشُ بها راهبٌ، وعندما دخل محمدٌ إلىٰ الكنيسة التي لم تكنْ إلاَّ بيتًا صغيراً ببابٍ منخفضٍ، وبدأت هذه الكنيسةُ تكبرُ، حتىٰ أصبَحَ بابُها مِثْلَ بابِ القصر، والمسلمون يقولون: إن هذه هي أولُ معجزةٍ لمحمدٍ في شبابه، وبعدما أصبح محمدٌ حكيمًا، صار عالِمًا بالفَلَك، وقال: إنه رعىٰ مالَ أُمراء «كوريدان»، فأداره ورعاه بحكمةٍ، وعندما مات أميرُ كوريدان تَزوَّج محمدٌ بأرملتِه وهي السيدة التي تُسمَّىٰ «كادريج» (خديجة)، وكان محمدٌ يُصرَع، وهذا أغضَبَ هذه السيدة؛ لأنها أَخذَتْه علىٰ أنه زَوج، ولكنَّ محمداً جَعَلها تعتقِدُ كلَّ مرَّةٍ أنه يُصرَع؛ لأنَّ المَلَكَ جبريلَ يُحدِّثه، فيُصرَع بسببِ عظمةِ نورِ هذا المَلَك، ولذلك يَسقطُ محمدٌ علىٰ الأرض.

ولقد سيطر هذا التاجرُ علىٰ الجزيرة في عام ٦٢٠م.

□ ومحمدٌ هذا ارتبط مع رجلٍ عابدٍ يَعيشُ معزولاً علىٰ بُعد مِيلٍ من جَبل سيناء، وكان محمدٌ يأتي غالبًا إلىٰ هذه الصَّومعة، وهذا هو الذي هَيَّج الناسَ عليه؛ لأنَّه كان مُعجبًا بالسَّماعِ لهذا الراهبِ الخاطئِ، ويتركُ الرجالَ «التُّجار» يَمشُون في الطريقِ طوالَ الليل، وكان هؤلاء الرجال يتمنَّوْن موتَ هذا الراهبِ، وأتتْ ليلةٌ شرب فيها محمدٌ الخَمْرَ، فنام نومًا عميقًا، وأخذ هؤلاء الرجالُ سيفَ محمدٍ من غِمْدِه عندما كان نائمًا، وبهذا السيفِ قَتلوا هذا الراهبَ، ثم أعادوا السيفَ في غمدِه مُلطَّخًا بالدماء، وفي الغدِ وَجَد محمدٌ الراهبَ مقتولاً؛ فغَضِب غضبًا شديداً، وأوشك علىٰ قَتْلِ هؤلاء الرجال، ولكنهم اتَّفقوا فيما بينهم وقالوا له: إنك أنتَ الذي قَتلتَ هذا

الراهبَ وأنت سكرانٌ، ورجَوْا من محمدٍ أن ينظرَ إلىٰ سيفه، فاقتنع وصَدَّق مَقولتَهم، وهذا هو الذي جَعل محمدًا يَلعَنُ الخمرَ وشارِبَها؛ ولهذا السبب لا يَجرؤُ المسلمون علىٰ شُربِ الخمر، لكنَّ بعضَهم يشربونها سِرًّا.

◻ ويذهبُ أحيانًا ويقول: إن هؤلاء الرجالَ النصارىٰ أصبحوا مسلمين؛ بسبب فَقرِهم أو بسبب نسائِهم، وعندما كَفَروا بعقيدتِهم النصرانيةِ علَّموهم هذه العقائدَ الفاسدةَ، وأَمَروهم أن يقولوا: «لا إله إلاَّ اللَّه محمد رسول اللَّه». فأضاف هذا الكُتيِّبُ للأسطورة قضيةَ «مال الأمير كوريدان».

(١٦) وفي القرن السابع عشر: نُشيرُ إلىٰ أكذوبةٍ سخيفةٍ مصنوعةٍ أو مكرَّرةٍ بواسطةِ «فرانسيس بيكون» (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م) المؤسِّسِ المشهورِ بالطريقةِ التجريبية في كتاب له عنوانه «الخدعة»، حكىٰ فيه مثالاً عن «الخُدعة» في شخصِ محمدٍ الذي قال ذاتَ يومٍ للعرب: إنه يستطيعُ أن يُناديَ علىٰ الجبلِ البعيد، ولكن بعد ما نادىٰ عليه لم يأتِ ولم يتحرَّكْ، فقال لهم: «إذًا الجبلُ لم يأتِ إلىٰ محمدٍ، محمدٌ سوف يذهبُ إلىٰ الجبل».

(١٧) «هيجود وجروت» أو باللاتينية «دوجر وتيوس» المؤلِّفُ المشهور بكتاباته تحت عنوان «مِن قانون الحرب والسلام» (امستردام ١٦٣٠م)، كَتَب «معالجةَ حقيقةِ الدين المسيحي» باللاتينية والذي ظهر في ١٦٢٧م، في كتابه السادس حاوَلَ أن يَنقُضَ المِلَّةَ المحمديَّةَ، وأن يُثبتَ مِيزةَ الدينِ المسيحيِّ التي تَفُوقُ الدينَ الإسلامي ـ حَسْبَ كلماتِه ـ والذي يُهِمُّنا هنا هو المبدأُ الخاطئُ الذي صَنَعه عن محمدٍ والإسلام، وها هي الأُسسُ التي

قالها في هذا الموضوع:

١ - يدَّعي أن محمداً قال: «إنه أتىٰ لِيتَّبِعَه الناسُ، ليس بالمعجزات، ولكن بقوةِ السلاح» (ص٢٩٦).

٢ - يُسنِدُ أتباعُ محمدٍ إليه المعجزةَ التي يَدَّعي فيها أن محمداً علَّم حمامةً لتطيرَ إلىٰ أُذنه.

☐ وقال جروت: «إن الأمرَ يتعلَّقُ بأنَّ لديه مُحادثاتٍ مستمرةً مع جَمَلٍ أثناء الليل».

ومعجزةٌ أخرىٰ، يقول أتباعُه: إنَّ جزءً من القمر سَقَط في كُمِّه، وأعاد هذا النجمَ إلىٰ استدارته مرةً أخرىٰ.

٣ - قال: إنَّ صِيتَ محمدٍ ذاع بسببِ سَرِقاته، ونَهْبِه، وفجُوره!.

٤ - ادَّعَىٰ أن محمداً أخْبَرَ سيدةً تتمتعُ بجمالٍ طبيعي، تسمعُ منه ترتيلاً عجيبًا بالسِّرِّ العجيب في الصعودِ أو النزول من السماء، وهذه السيدةُ رَدَّدت ألفاظَ هذا الترتيل، وأرادت أن تَتحقَّقَ مما تعلَّمتْه، فصَعَّدت رأسَها في السماوات العُلَىٰ، وعندما أوقفها الربُّ حوَّلها إلىٰ الكوكبِ الذي نُسمِّيه «ڤينوس»!!!.

☐ وقال جروت: إنَّ محمداً قال: «إنَّ الفأرَ مخلوقٌ من رَوَثِ النيل، وإن القِطَّ مولودٌ من نفخةِ أسد» (ص٣٠٥).

٥ - «ادَّعىٰ أن القرآنَ يقول: إنَّ الموت سيتحوَّلُ إلىٰ كَبشٍ، ويختارُ مأواه بين السماء والأرض» (ص٣٠٥).

٦ - ووَصَفَ الدينَ المحمَّديَّ، فقال: «إن هذا الدينَ لم يأتِ إلاَّ

ليخضِّب الأرضَ مِن دماءِ الشعوبِ، هو كلُّه غريبٌ، مؤسَّسٌ علىٰ عددٍ كبيرٍ من الشعائرِ، يَقترحُ كلَّ ما يريدُه ليعتِقده، ويجبُ أن يَخضعَ المرءُ له بطريقةٍ عمياءَ دون أيِّ تجربة.

□ لقد قال: إنَّ الكُتبَ التي تَحتوي علىٰ هذا الدين كُتبٌ مقدَّسة، والقراءةَ فيها محرَّمة علىٰ الناس.

ها هي الأكذوباتُ القاسيةُ لهذا الرجلِ الذي زَكَّته نفوسٌ كبيرةٌ في أوروبا: «لونيز» في كتابه «أنكومبارا بلنر دوكترنا»، و«بييربال» في «قاموسه التاريخي والنقدي» يَرىٰ فيه أنه واحدٌ من أعظمِ رجالِ أوروبا.

وآخَرون مَدَحوا أعمالَه القانونية التي تشيرُ إلىٰ التجديدِ الدائمِ في القانونِ الدولي.

١ ـ فبأيِّ هَلْوَسةٍ غريبةٍ يقول: «إن قراءةَ القرآن محرمةٌ علىٰ المسلم؟».

٢ ـ وفي أي قرآنٍ قرأ «جروت» أن الموت سيتحولُ إلىٰ كبشٍ يختارُ مَصيره إلىٰ السماء أو إلىٰ الأرض؟!.

٣ ـ كرَّر آليًّا قصةَ «الحمامة» التي دَرَّبها محمدٌ، والتي تَهمِسُ في أُذنيه.

٤ ـ لقد فاق أسلافَه، واختَرَع قَصصًا أخرىٰ، قِصةَ الجَمَل الذي اعتاد محمدٌ أن يُحادثَه، وقصةَ القمر وسقوطِ جزءٍ منه في يد محمد، وأُعيد لمداره، وأيضًا قصةَ المرأةِ المنقولةِ إلىٰ السماء، ثم أوقفها الربُّ وحَوَّلها إلىٰ الكوكبِ الذي نُسَمِّيهِ «ڤينوس»!.

«هيجو» لَقَّبوه بأعظمِ رجلٍ في أوروبا بشيئَين: إمَّا أنه ذا غباءٍ متناهٍ،

أو ذا خداعٍ متناهٍ.

(١٨) يريدوكس:

أفاض «يريدوكس» في ذِكرِ الأساطيرِ والأكاذيبِ السخيفة:

١ ـ فحكىٰ بعضَ الأشياءِ المذهلةِ فيما يَخصُّ الشاعرَ «كعبَ بنَ زُهير» صاحب القصيدة المعروفة والتي مَطلعها: «بانت سعاد»، فيدَّعي أن كعبًا كان يهوديًّا!! وما زال يقولُ: إن بعضَ الناسِ نَسَبوا إلىٰ كعبٍ أنه ساعدَ محمدًا أكثرَ من أيِّ أحدٍ في خِداعه، وأيضًا في تأليفِ القرآن الذي يبدو أنه تأثَّر بفصاحةِ وطبيعةِ هذا اليهوديِّ.

٢ ـ لقد ترك «يريدوكس» نفسَه تنساقُ وراءَ أسطورةٍ أخرىٰ مختَرعة هذه المرَّة، وهي تدورُ حولَ «عبداللَّه بن سلام»، ويعتقدُ فيما قاله الراهب «ريكارد» في كتابه «نقض الشريعة المحمدية» في الفصل (١٣)، وقال: إن محمدًا كان جاهلاً، استخدم وزارةَ «عبديد بن سالون» اليهودي الفارسيَّ المتحدِّث بالعربية، ومَنَحه اسمَ «عبداللَّه بن سلام» (ص٦٢).

◻ وقال مدَّعيًا أن هذا الرجل «مِن المُحتَمَلِ أنه هو نفسُه الرجلُ الذي تحدَّث بالقرآن».

ثم ادَّعىٰ «يريدوكس» أن عبداللَّه بن سلام هو نفسُ الرجلِ الفارسيِّ المُلَقَّب بسلمانَ الفارسيِّ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

[النحل: ١٠٣].

(١٩) رولاند:

أولُ كاتبٍ أوربيٍّ يُنصِفُ الإسلام[١] ، وُلِد في ١٧ يوليو ١٦٧٦م في شمال هولندا، ومات في الخامس من فبراير ١٧١٨ عن عمرٍ ٤٢ سنة.. والذي يُهمُّنا هنا هو كتابُه «الدين المحمَّدي»، وتُرجِم هذا الكتاب إلى الإلمانيةِ بعدَ موتِ رولاند في صيف ١٧٢١م في مجلدٍ واحدٍ بواسطة «ديفيد ديراند».

ويُعلِنُ رولاند عن هدفه الذي يقترحُه في الكتاب، هذا ما قاله بدون مراوغاتٍ: «هدفي ليس خفيًا، وهو سقوطُ دينٍ أُبغضه، والابتعادُ عن أيٍّ تحالُفٍ معه»[٢] اهـ.

كلُّ هذا نقلناه من كتابِ الدكتور عبدالرحمن بدوي الذي أجادَ في نقل الأساطيرِ المخترعةِ والتُّهَمِ والشتائمِ الملصَقة بالإسلام والمسلمين، فالغربيون لا ينفكُّون عن وصفِ المسلمين بأنهم حُمُرٌ وحشية، مَجَّانون، حَمقى، رَعنى، هم الشياطين أنفسهم».

خرافاتٌ مكدَّسة، وأكاذيبُ متراكمة منذ عَشَرةِ قرونٍ، هذا بخلافِ أكاذيبِ «ڤولتير، ومونتسكيو، وهيرد، وجيبون، وهيجل» التي سنعرضُ لها بالتفصيل.

(١) إنصافه للإسلام ليس المقصود به الاعتراف به كدينٍ أو بنبيِّه ﷺ كرسول، وإنما بنقدِ وتكذيب بعض الأساطير الغربية التي ألصقها أهل القرون الوسطى في أوربا بالإسلام.

(٢) انتهى النقل من كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي بعد ترجمته بواسطة الشيخ الفاضل عبده عويس من بني سويف ـ جزاه الله عنا خير الجزاء وأجزل له المثوبة ـ.

▫ يقول الدكتور «ميجيل إيرناندت» الأستاذ بجامعة «مدريد» ـ وذلك في بحث له بعنوان «الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المُزَيَّفة التي كوَّنتها المسيحية عن النبيِّ محمدٍ»، كان قد قدَّمه للمؤتمرِ الثاني للحوارِ الإسلاميِّ المسيحيِّ الذي عُقِد في «قرطبة» بأسبانيا عام ١٩٧٧ ـ، وقال فيه: «لا يُوجدُ صاحبُ دعوةٍ تَعرَّضَ للتجريحِ والإهانةِ ظُلمًا علىٰ مَدارِ التاريخِ مثلُ محمدٍ؛ إنَّ الأفكارَ حولَ الإسلامِ والمسلمين ونبيِّهم محمدٍ استمرَّت تَسودُها الخرافةُ حتىٰ نهايةِ القَرنِ الثاني عَشَرَ الميلادي، ولَم يَمنع الاحتكاكُ المباشرُ بين الطائفتين من انتشارِ هذه الخرافات»[1] .

▫ ويقول: «فيليب سيناك» في مولَّفه: «صورة الطرف الآخر»: «حتىٰ نهايةِ القرنِ الثالثَ عَشَرَ كانت أغلبُ الوثائقِ المكتوبةِ عن الإسلام صادرةً عن رجالِ الكنيسة، وهؤلاء كانت حِرفتُهم الطبيعيةُ نَقْدُ ديانةِ غيرِهم وتشويهُها، وذلك بالإضافة إلىٰ أنَّ المعلوماتِ التي عَكَسَتْها تلك القرونُ كانت ضئيلةً، وأن أقليَّةً فقط من رجالِ الدِّينِ المسيحيِّ «الإكليروس» كانت تَعرِفُ القِراءةَ والكتابة.. لقد وُصِفَ المسلمون بأنهم شَعبٌ غيرُ مَسيحيٍّ يَنبعُ أساسًا مِن «القوقاز»! وقد جاؤوا في أعدادٍ هائلةٍ ليستولُوا قَسْرًا وبكلِّ توحُّشٍ علىٰ القدسِ والإسكندرية وكلِّ إفريقيًا.. وفي النصفِ الأول من القرنِ الثامن استُخدمت كلمةُ «سارسان»، لتَعني المسلمَ ثم الكافرَ بوجهٍ عام، وأنَّه محارِبٌ عُدوانيٌّ وَثَني»[2] .

---

(١) «الإسلام في الفكر العربي» (ص١٢) للواء أحمد عبدالوهاب ـ مكتبة التراث الإسلامي.

(٢) L` I mage de L`Autre, PP. 8, 14, 24.

ويقول «جوزيف رينو» في مُؤَلَّفِه: «الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا»: «إنَّ الكُتَّابَ المسيحيين في العصور الوسطىٰ كانوا يُطلقون علىٰ جميعِ فئاتِ الغُزاة المسلمين اسم «الوثنيين»، ولا توجد عقيدة أبعدُ عن الوثنيةِ من الإسلامِ الذي حَطَّم الأصنام، والواقعُ أنَّ الإسلامَ يُنادي بعبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريكَ له، خالقِ السماواتِ والأرض، ولشدَّةِ استفظاعِ الإسلامِ للوثنية، فإنه يَمنعُ تصويرَ كلِّ ما هو حَيٌّ. وقد زَعَمَ كاتبُ التاريخ المنسوب إلىٰ رئيس أساقفة «تورين» أنه يُوجَدُ في الأندلس علىٰ شاطئِ البحر فوقَ عمودٍ شديدِ الارتفاع، صَنَمٌ من البُرونز صَنَعه محمدٌ بنفسه، ويَعبدُه المسلمون!.

كذلك ادَّعىٰ «فيلومين» في تاريخه القصصي حول غزوة شارلمان لمقاطعة «لانجدوك»، أنه كان يوجد تمثالٌ مصنوعٌ من فِضَّةٍ مُذهَّبةٍ في مدينةِ «أربونة»، وُضع في معبدٍ أثناءَ احتلالِ المسلمينَ لهذه المدينة».

ثم قال: «فيا لَسُخريةِ القَدَرِ والجهلِ الأعمىٰ بالإسلام!.

ما هو السببُ الذي دَفع آباءَنا إلىٰ هذا الوَهم والخطأ يا ترىٰ؟!.

ذهب بعضُ العلماءِ إلىٰ أن «النورمانديِّين» وغيرَهم من الشعوب الوثنيَّة، كانوا ضِمْنَ الشعوبِ التي كان يَشملُها اسم «سارازين» الذين كانوا يَعبدون الأوثان، وهكذا خَلَطَ العامَّةُ بين المسلمين وهذه الشعوبِ بصورةٍ مُخجِلة»[1].

* عَداءٌ وإهاناتٌ لها تاريخ:

في كتاب «صورة الإسلام في التراث الغربي» «دراسات ألمانية» وهو

(١) «الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا» تأليف جوزيف رينو (ص٢٢١ - ٢٢٣).

كتاب مترجَم عن الألمانية كَتَب المفكِّر الألماني «هوبرت هيركومر» أستاذُ الأدبِ الألمانيِّ بجامعة «برن» بسويسرا مقالاً بعنوان «صورة الإسلام في الأدب الألماني الوسيط»، وقد نُشِر الأصلُ الألماني في عدد مجلة «du» السويسرية الصادر في صيف ١٩٩٤، قال: «اعتَبر المسيحيُّون مَن سمَّاه المسلمون نبيًّا، وخاتمًا لسلسلةِ الأنبياءِ التي بدأت بآدمَ عليه السلام، رجلاً عاشَ حياةً داعرةً، وتجاوَزَ خُبثُه كلَّ حدودِ الدَّناءةِ والانحطاط، ولم يتورَّعْ خيالُ مسيحيِّ أوربا المتعطِّشين للظَّفَرِ والتوسُّع، والذي نَتَجت عنه أساطيرُ وَهميَّةٌ عَدائيَّةٌ، عن خَلْقِ الأكاذيب وترويجها، بل إنَّ الأوربيِّين ادَّعَوْا أَنَّ رسولَ الإسلام كان في الأصلِ كاردينالاً كاثوليكيًّا، تجاهلته الكنيسةُ في انتخاباتِ البابا، فقام بتأسيس طائفةٍ ملحدةٍ في الشَّرقِ انتقامًا من الكنيسة، واعتَبرت أوروبا المسيحيةُ في القرون الوسطىٰ محمداً ﷺ المرتدَّ الأكبَرَ عن المسيحيَّة، الذي يتحمَّلُ وِزْرَ انقسامِ نصفِ البشرية عن الديانة المسيحية»[1] .

❑ وفي نفس المقال يقول: «اتَّفق أورثوذكس أوربا ورجالُ دينِها. . اتَّفقوا علىٰ أنَّ الإسلامَ هو كَنِيفُ (حرفِيًّا: مجاري) الزندقةِ جميعًا»[2] .

❑ «وبشهادةِ المستشرق الفرنسيِّ الشهير «مكسيم رودنسون» (١٩١٥ - ٢٠٠٤م): «فلقد حَدَث أنَّ الكُتَّابَ اللاتين، الذين أَخَذوا بين عامَيْ ١١٠٠م ١١٤٠م علىٰ عاتِقِهم إشباعَ الحاجةِ لدىٰ الإنسانِ العاميِّ، أَخذوا

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٢٣، ٢٤) ترجمة ثابت عيد، وتقديم د. محمد عمارة. طبعة دار نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٩٩م سلسلة «في التنوير الإسلامي».

(٢) المصدر السابق (ص٢٣).

يُوجِّهون اهتمامَهم نحوَ حياةِ محمدٍ، دونَ أيِّ اعتبارٍ للدِّقَّة، فأطلَقوا العِنانَ لـ«جهلِ الخيالِ المنتصرِ». . فكان محمدٌ «في عرفهم» ساحرًا، هَدَم الكنيسةَ في إفريقيًّا والشرقِ عن طريقِ السِّحرِ والخديعة، وضَمِنَ نجاحَه بأن أباحَ الاتصالاتِ الجنسيةَ، وكان محمدٌ «في عرف تلك الملاحم» هو صَنَمُهم الرئيسيُّ، وكان مُعظَمُ الشُّعراءِ الجَوَّالةِ يَعتبرونه كبيرَ آلهةِ السراسنة «البدو»، وكانت تماثيلُه «حسب أقوالهم» تُصنَعُ من موادَّ غنيةٍ، وذات أحجامٍ هائلة!!.

لقد اعتُبر الإسلامُ في العصورِ الوُسطىٰ نوعًا من الانشقاق الدِّيني، أو هَرطقةً ضِمنَ المسيحيةِ، وهكذا رآه «دانتي» (١٢٩٥ ـ ١٣٢١م). . »[١].

تلك هي صورةُ الإسلامِ ورسولِه في الثقافةِ الشَّعبية الأوروبية، التي تَبلورت وشاعَت منذ العصور الأوروبية الوسيطة. . قَبلَ العلمانية، وقبل أن يَعرفَ الغربُ شيئًا اسمُه «حرية التعبير»!اهـ[٢].

وحاجتُنا ماسَّةٌ إلىٰ دراسةِ كلِّ ما يُكتب عنَّا وعن دينِنا في السابق واللاحق دراسةً عميقةً واعيةً؛ لأنَّ هذه الكتاباتِ تَمَسُّ أقدَسَ ما لدينا، وتَمَسُّنا في أخصِّ خصائصِنا وهو عقيدتُنا التي نعتزُّ بها، وتَمَسُّ شَخصَ نبيِّنا الذي جَعَله اللَّهُ لنا «أسوةً حسنة»، وتَمَسُّ قرآنَنا الذي جَعَله اللَّه ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وتَمَسُّ سُنَّةَ نبيِّنا التي هي مصدرُنا الثاني للتشريع، وبصفةٍ عامةٍ تَمَسُّ تاريخَنا كلَّه.

(١، ٢) «الإسلام في عيونٍ غربيَّةٍ بين افتراءِ الجهلاء وإنصافِ العلماء» للدكتور محمد عمارة (ص٦٤) ـ طبعة دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٥م، و«الإسلام والغرب» افتراءات لها تاريخ للدكتور محمد عمارة (ص٢٦ ـ ٢٧) ـ مركز الإعلام العربي ـ القاهرة ٢٠٠٦م.

وربَّما تكونُ بعضُ هذه التصوراتِ الغربيَّةِ عن الإسلامِ ونبيِّه قد دَخلت إلىٰ عالَم النسيان، وعفا عليها الزمن، وخاصةً ما يتعلَّقُ منها بأساطيرِ العصورِ الوسطىٰ عن النبيِّ ﷺ، ولكنها مع ذلك لا تزالُ وستظل جزءً أساسيًّا من تراثِ الغربيين، لابدَّ لنا من الاطلاعِ عليه ومعرفته.

ومن المعلوم أنَّ الكتاباتِ الغربيةَ عن الإسلام ونبيِّه تتراوحُ بين الجَهلِ التامِّ والمعرفةِ المُوجَّهة، بين الإسفاف الشنيع والموضوعيةِ النسبية، بين الافتراءِ والإنصاف، بين الاستعلاءِ والنزاهة، بين الفُحشِ الصارخِ والتسامحِ العاقل.

ونحن إذ نُترجِمُ هنا هذه الصفحاتِ بما تتضمَّنه أحيانًا من أوصافٍ شنيعةٍ للنبيِّ ﷺ، وهجومٍ دنِيءٍ عليه وعلىٰ دينه، دونَ أن نَحذفَ من ذلك شيئًا؛ فذلك لأننا علىٰ يقينٍ من أنه لن يُجدِيَ نفعًا إخفاءُ شيءٍ من ذلك، فهذا الكلامُ منشورٌ بشتَّىٰ اللغاتِ الحيَّة، وكما لا يُجدي النعامةَ في شيءٍ إخفاءُ رأسِها في الرمال ظنًّا منها أنها ستكونُ بمَنجاةٍ من الصيَّاد، فكذلك لا يُجدينا في شيءٍ أنْ نتجاهلَ كلَّ ما يُنشَرُ عنَّا وعن ديننا؛ لأننا بذلك لن نستطيعَ أن نمحوَه من تراثِ الغربيين، أو نُبعِدَه من رُفوفِ المكتبات في بلادِ الغربِ المختلفة، أو نمنعَه من الوصولِ إلىٰ أيدِي الباحثين.

وقد يُلاحظُ القارئُ تِكراراً لبعضِ الأقوالِ، وخاصةً الأساطير التي نسَجَها خيالُ الغربِ حول نبيِّنا ﷺ، ومِن خلال هذا التكرارِ يتبيَّنُ مَدَىٰ الانتشارِ الواسعِ لمثلِ هذه الأساطير.

* «ملحمة رولاند» . . المسلمون يَعبُدون الأصنام . . يعبدون محمداً :

إذا كانت الملاحمُ الشَّعبيةُ إنما تُمثِّل أكبرَ المكوِّناتِ لثقافةِ جمهورِ أيَّةِ أُمَّةٍ من الأمم أو حضارةٍ من الحضارات، فإنَّ «ملحمة رولاند» الشعبية ـ حوالي عام ١٠٠٠م ـ تصوِّرُ المسلمين ـ الذين يَبلُغُ التوحيدُ الدينيُّ للألوهيةِ عندهم أرقى درجاتِ التنزيه والتجريد ـ، تُصَوِّرهم هذه الملحمةُ الشِّعريَّةُ الشعبيةُ الأوربيةُ «وَثَنيِّينَ» يعبدون ثالوث!! .

١ ـ أبوللين Apollin .

٢ ـ تيرفاجانت Tervagant .

٣ ـ محمد Mahamed .

☐ يقول «هوبرت هيركومر» في مقاله السابق: «مِن غرائبِ الأوهام المسيحيَّةِ الكاذبة عن الإسلامِ اتِّهامُ المسلمين بعبادةِ الأصنام، وتذكر «أغنية رولاند» Chanson de Roland الفرنسيةُ القديمة (حوالي سنة ١١٠٠م) أسماءَ هذه الأصنام: «أبوللين Apollin»، «وتيرڤاجانت Tervagant»، «ماحوميت Mahumet» (محمد).

ثم إنَّ هذا الثالوثَ الفَلَكيَّ قد تَمَّ تطويرُه في الترجمةِ الألمانية الوسيطة (عصر اللغة الأدبية الألمانية الوسيطة يمتد من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر) لملحمة رولاند Rolandslied التي نَشَرها القِسِّيس «كونراد Pfaffe Konrad» حوالي سنة ١١٧٠م، عندما قام بتكليفٍ مِن دُوق عائلةِ القلفين «هنري الأسد Heinrich der Loewe» (حوالي سنة ١١٢٩ ـ ١١٩٥م) وزوجتِه الأنجلو ـ فرنسية «ماتهيلدا Mathilde» بتحويلِ تلك اللحمة إلى

روايةٍ صليبية.

في تلك الرواية، يدعو الكَفَرَةُ «المسلمون» آلهتَهم - قبلَ معركةِ «رونسسفاليس Roncesvalles» الفاصلة في جبالِ البِرانس - قائلين: «على هؤلاءِ الذين يُريدون الخلاصَ أن يَجتمعوا معًا، ها هو «تيرڤاجانت Tarva-gant» الرحيم، فلْنَعبُدْه، وكذلك «ماخميت» (محمد Machmet) العزيز، و«أبوللو Apollo» المجيد، ولَنَعبُدْ أيضًا المخلِّصِينَ الآخَرِينَ من الآلهة الخالدة».

☐ وعندما يَسمعُ الإمبراطورُ «كارل الأكبر KaIser Karl der Grosse» هذا الدعاءَ، تزدادُ ثِقتُه في نجاحِ مهمَّتِه، حيث يقول: «انظروا إلى هذا الشعبِ الملعون! إنه شَعبٌ مُلحِد، لا علاقةَ له باللَّه، سوف يُمحى اسمُهم من فوقِ الأرض الزاخرةِ بالحياة؛ لأنهم يَعبُدون الأصنام، لا يمكنُ أن يكونَ لهم أيُّ خَلاصٍ، لقد حُكِم عليهم، فلنبدأ إذن في تنفيذِ الحُكم: بسم اللَّه». . ثم تبدأ المذبحة.

وما زالت النسخةُ المنقَّحةُ لهذه القصة «ملحمة رولاند» التي نَشَرها «شتريكر Stricker»، في كتاب بعنوان «كارل الأعظم Karl der Grosse» (كتب بين سنة ١٢١٥ وسنة ١٢٣٣م) تَحتوي على خُرافةِ الصنمِ «ماحميت» (محمد Mahmet)»[1] .

وفي «ملحمة رولاند» في النسخة الألمانية عند «شتريكر» يُطلَقُ لقب «الكَفَرةِ الملحِدين المنغمسِين في شهواتهم جيشِ الشيطان وسِرْبه» على

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٢٥ - ٢٦).

المسلمين!! بل ويُلَقَّبون بالكِلاب والكائنات الحقيرة[١] .

* صَلِيبيَّانِ أرادا سرقةَ جسدِ النبي ﷺ وضرب نور الدين زَنكي لرقبتَيْهما :

ذَكَر «العماد الحنبلي» في «شَذَرات الذهب» ـ نقلاً عن المَطَريِّ في كتابه «تاريخ المدينةِ» ـ: «أن السلطان «محمودًا»[٢] رأىٰ النبيَّ ﷺ في ليلةٍ واحدةٍ ثلاثَ مرَّاتٍ، وهو يقول له في كلٍّ واحدةٍ منها: «يا محمود، أنقِذْني مِن هَذَيْنِ الشخصيْن» ـ لشخصيْنِ أشقَريْنِ تُجاهه ـ، فاستحضَرَ وزيرَه قبلَ الصبح، فأخبره، فقال له: هذا أمرٌ حَدَث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرُك، فتجهَّزَ نورُ الدين، وخَرَج علىٰ عَجَلٍ بمقدارِ ألفِ راحلةٍ وما يتبَعُها مِن خيلٍ وغيرِ ذلك، دَخَل المدينةَ علىٰ غَفلةٍ، فلما زار، طَلَبَ الناسَ عامةً للصَّدَقة، وقال: لا يَبقىٰ بالمدينةِ أحدٌ إلاَّ جاء، فلم يَبقَ إلاَّ رجلانِ مُجاوِرانِ من أهلِ الأندلس نازِلانِ في الناحية التي قِبلةَ حُجْرَةِ النبيِّ ﷺ من خارجِ المسجدِ عند دارِ آل عمر بن الخطاب ﷺ. . قالا: نحنُ في كفاية. . فَجَدَّ في طلبِهما حتىٰ جِيءَ بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذانِ. . فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: لِمجاورةِ النبيِّ ﷺ . . فكرَّر السؤالَ عليهما حتىٰ أفضىٰ إلىٰ العقوبة، فأقرَّا أنهما من النَّصارىٰ، وصلا لكي يَنقلا النبيَّ ﷺ مِنْ هذه الحجرةِ الشريفة، ووَجَدهما قد حفَرا نَقْبًا تحتَ الأرضِ مِن تحتِ حائطِ المسجد القِبْلِيِّ، ويجعلانِ الترابَ في بئرٍ عندهما في البيت.

فضَرَب أعناقَهما عند الشُّبَّاكِ الذي في شَرْقِيِّ حُجرةِ النبيِّ ﷺ خارجَ المسجد، ورَكِبَ مُتَوَجِّهًا إلىٰ الشام راجعًا، فصاحَ بهِ مَن كان نازلاً خارج

(١) المصدر السابق ص(٣٠).

(٢) أي: نور الدين محمود زنكي.

السُّورِ، واستغاثوا أن يَبنيَ لهم سُوراً يَحفظُهم. . فأمر ببناءِ هذا السُّورِ، الموجودِ اليوم»(١) .

هذي المَكــــارمُ لا قُعبــــانُ من لَبَنٍ وذلك السَّيفُ لا سَيفُ بنِ ذي يَزَنِ

* دانتي الإيطالي صاحب «الكوميديا الإلهية»:

❑ «دانتي» الإيطالي (١٢٩٥ ـ ١٣٢١م) صاحب «الكوميديا الإلهية» التي غدت مَعْلمًا من معالِمِ ثقافةِ أوروبا منذ عصرِ النهضة وحتىٰ هذه اللحظة، ونصًّا يَدرُسُهُ الطلاَّبُ في المدارس والجامعات. . «دانتي» هذا الكريهُ القِزمُ الكافرُ يقول عنه «هوبرت هيركومر» في مقاله السابق: «كان منطقيًّا ـ بِناءً علىٰ ما سَبَق ـ أن يقوم «دانتي» بإقصاء رسول الإسلام ﷺ، وعليٍّ بنِ أبي طالب ـ زوجِ ابنتِهِ فاطمة، والخليفة الرابع ـ، إلىٰ الحُفرةِ التاسعةِ في ثامنِ حَلْقَةٍ من حَلقاتِ جهنم، حيث يقول في «الكوميديا الإلهية»:

«برميل فَقَدَ سَدَّادَتَه وضِلْعَه.
ليس مشقوقًا مِثلَ شخصٍ هناك.
كان مشقوقًا مِن ذَقنه حتىٰ قَضيبِه.
عندما أردتُ أن أتامَّلَه بدقةٍ.
نظر إليَّ، ثم مَزَّق صدرَه بيديه، قائلاً:
«انظر كيف أُمزِّقُ جِسمي.
تعالَ وتأملْ كيف يتألَّمُ «محمد Mahomet» في جهنم.

(١) «شذرات الذهب» (٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) للعماد الحنبلي، و«الكواكب الدُّرِّيَّة» لابن قاضي شهبة (ص٧٢، ٧٣)، و«نور الدين محمود زنكي» للدكتور أنس أحمد كرزون (ص٣٩ـ ٤٠) ـ دار ابن حزم.

وتَرىٰ أمامي عليَّ بنَ أبي طالب يخطو باكيًا.
وقد شُقَّت رأسُه من الذقن حتىٰ شَعْرِ الرأس.
وجميعُ مَن تُشاهدُهم هنا في هذا الجزءِ من جهنم.
كانوا في الحياةِ الدنيا أهلَ شِجارٍ وشقاق.
ولذلك فقد قُطِعت أجسامُهم وشُوِّهت أجسادُهم هنا في دار السعير». اهـ»[1] .

* مارتن لوثر دَجَّال البروتستانتية يشتم سيِّدَ البشر ﷺ :

عندما قام السويسري البازلي «يوحنَّا أوبورين» سنة ١٥٤٢م بطبع الترجمة اللاتينية للقرآن، سارعت بلدية مدينة «بازل» بحَظرِ نشره، ولم تَسْحَبْ حظرها إلاَّ بعد التدخُّلِ المُكَثَّف «لمارتين لوثر Martin Luther» - مؤسِّسِ الكنيسة البروتستانتية الإصلاحية -، بَيْدَ أنَّ حُجَّة لوثر في ذلك - كما صاغَها هو بنفسه -، كانت كما يلي: «لقد استيقنتُ أنه لا يُمكنُ عَمَلُ شيءٍ أكثرَ إزعاجًا لـ «لمحمدِ Mahmet» أو الأتراك، ولا أشدَّ ضررًا (أشد من جميع أنواع السلاح)، من ترجمةِ قرآنهم ونَشرِه بين المسيحيين، عندئذٍ سيتَّضحُ لهم أيُّ كتابٍ بغيضٍ وفظيعٍ وملعونٍ - هذا القرآن - مَلِيءٍ بالأكاذيبِ والخرافات والفظائع».

◻ إن «لوثر» البروتستانتي - الذي أهان نبيَّ الإسلام بلا أدنىٰ حياءٍ أو تأنيبِ ضمير، واصمًا إياه بأنه «خادم العاهرات، وصائد المومسات»، كان ينظر إلىٰ قرآنٍ مترجَمٍ إلىٰ اللاتينيةِ في عصر الحروبِ التركية، علىٰ أنه

---

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٢٤).

وَسيلةٌ مثالية لتسليحِ القلوبِ اليائسةِ للمسيحيين، ورَفعِ رُوحِهِمُ المعنويَّة، حيث أعلَنَ قائلاً: «بعد ظهورِ الأتراك على حقيقتِهم، أرى أن القساوسةَ عليهم أن يَخطُبوا الآنَ أمامَ الشَّعبِ عن فظائعِ محمد Mahmet حتى يزدادَ المسيحيُّون عداوةً له، وأيضًا ليتقوى إيمانُهم بالمسيحية، ولتتضاعفَ جَسارتُهم وبَسالتُهم في الحرب، ويُضحُّوا بأموالِهم وأنفسِهم . . من شأنِ موعظةٍ كهذه أن يكونَ أثرُها النفسيُّ على المسيحيِّ أشدَّ من طُبولِ الحرب وأبواقها، بل إنها ستَمنحُه قَلْبَ أسدٍ حقيقيٍّ في ساحةِ القتال»(١) .

* تُوماس الأكويني THomas von Aquin الكَذُّاب الأشر وافتراءاته على الإسلام:

«لقد تَورَّط مفكِّرو أوروبا ـ باستثناءِ حالاتٍ قليلةٍ، ولكنها رائعة ـ، في علاقةِ طَعنٍ وهجومٍ ضدَّ الإسلام، فصحيحٌ أن توماس الأكويني قد تلقَّى دَفَعَاتٍ فكريةً هامةً من خلالِ دراستهِ العقلانيةِ للفيلسوف الأرسطوطالي العربي الأندلسي «ابن رشد» (١١٢٦ ـ ١١٩٨م)، ولكنه ظلَّ في تقييمه للإسلام ورسولِ الإسلام محمدٍ ﷺ، على المستوى الوضيعِ المكرَّرِ والمعروفِ لعصره، والذي حدَّده «بطرس المبجَّل Petrus Venerabilis» (١١٢٦ ـ ١١٩٨م) في مؤلفاته التي طَعن فيها الإسلام.

ففي كتـابه «الشـامل في الردِّ على الكـفـرة» Summa contra gentiles ـ الذي مَهَّد الطريقَ أمامَ العملِ التبشيريِّ في إسبانيا للدفاع عن المسيحية والطعنِ في الإسلام ـ نَقل «توماس الأكويني» الاتهاماتِ القديمةَ، وادَّعى

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٢٠ ـ ٢١).

أن: «ماحوميت Mahumet» (محمدًا) قد أغوىٰ الشعوبَ من خلالِ وُعودِه لها بالمُتَعِ الشهوانية، وبالتالي لم يَجِدِ الشهوانيون من البشرِ أيَّ صُعوبةٍ في اتباعِ تعاليمه.

□ ويستطردُ «توماس الأكويني» قائلاً: «إن محمدًا لم يَرِدْ ذِكرُه في التوراة والأناجيل، ولا يمكنُه أن يدَّعِي أن الرسلَ الأسبَقِين قد تنبؤوا بظهورِه وبعثتِه من بعدِهم».

واتهم «توماس الأكويني» رسولَ الإسلام بتحريفِ جميعِ الأدلةِ الواردةِ في التوراةِ والأناجيلِ من خلالِ الأساطيرِ والخرافاتِ التي كان يَتلُوها علىٰ أصحابِه، ولم يؤمِنْ برسالةِ محمد ﷺ، إلاَّ المتوحِّشون من البشر - ho-mines bestiales - الذين كانوا يَعيشون في البادية[1].

*** أوتو الفرايسنجي Otto von Freising يَنفِي تُهمةَ عبادةِ الأصنام عن المسلمين، ولكنه يطعنُ في محمد ﷺ:**

كان بُوسعِ الأوروبيِّين أن يعرفوا في القرن الثاني عَشَرَ أن «السراسنة» Sarrazin - وهو اسمُ أعداءِ المسيحيين عند «شتريكر Stricker» - لم يَعبُدوا الأصنام، كان هذا علىٰ كلِّ حالٍ ما ذكره في تاريخه بوضوحٍ «أوتو الفرايسنجي Otto von Freising» (١١١١/ ١٥ - ١١٥٨م) خال الإمبراطور «فريدريخ باربروسا Friedrich Barbarossa» فهو - أي: أوتو الفرايسنجي Otto von Freising» - انتَقَد الروايةَ القائلة: «إنَّ المسلمين قد قَتلوا رئيسَ الأساقفةِ «تيمو السالزبورجي Thiemo von Salzburg»؛ لأنه حَطَّم أصنامَهم

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٣٢ - ٣٣).

بدلاً مِن أن يعبدَها، حيث يشيرُ إلىٰ أن الرواياتِ الموثوقَ فيها تَذهبُ فقط إلىٰ أن «تيمو» قد استُشهد من أجلِ الديانة المسيحية، ثم يذكرُ المؤرِّخُ الدقيقُ في عمله: «أما القول بأن «تيمو» قد حَطَّم الأصنام، فيَصعُبُ تصديقه؛ لأنه من المعروف أن المسلمين Sarazenen لا يَعبُدون، إلاَّ إلهًا واحدًا، ولديهم شريعتُهم السماويةُ، ويُمارِسون الختان، كذلك فإنهم يَعترِفون بالمسيحِ وحوارِيِّيه وأتباعِهم، وهم فقط بعيدون عن الخَلاصِ لأنهم يُنكِرون أن المسيحَ هو مُخلِّصُ الإنسانية، وأنه الربُّ وابنُ الربِّ في الوقت نفسه، ويُقدِّسون المُضَلِّلَ محمدًا، الذي تحدَّثنا عنه سابقًا، باعتباره أعظمَ أنبياءِ اللّه تعالىٰ»[1].

*** أرنسْت رِينان، يَصِفُ الرسولَ محمدًا ﷺ بالخِداع والدَّجل، ويَطعنُ في الإسلامِ، ويَتَّهِمُه بأنه عدوُّ العلمِ والعقلِ:**

أرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) فيلسوفٌ ومستشرقٌ فرنسي.

لقد طَعَن «رينان» في الإسلام، وقال: «إنه دينٌ طبيعيٌّ عَقليٌّ يتَّصفُ بالجديَّةِ والليبرالية والبرود»[2].

وقد وصَفَه أيضًا بأنه «عدوُّ العلم والعقل»، ووصَفَ العربَ بأن عقولَهم قاصرةٌ بطَبعِها غيرُ مُستعِدَّةٍ لفهم ما وراءَ الطبيعة.

ومع ذلك فإنَّ آراءَ «رينان» حافلــةٌ بالتنـاقضِ والاضطراب، فبينـما هو يَمقُتُ الإسلامَ ويَحمِلُ عليه ويَنتـقِدُه انتقاداً مُرًّا، يعترف برهبةِ هذا

---

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٢٦ - ٢٧).

(٢) «الإسلام في تصوّرات الغرب» (ص١٥٩) للدكتور محمود حمدي زقزوق - مكتبة وهبة - القاهرة.

الدينِ وعَظَمتِه!!.

ورأيُ «رينان» في النبيِّ محمدٍ ﷺ رأيُ كافرٍ جهولٍ متعصِّب، فقد وَصَفه بالخِداع والدَّجَل، وقَرَّر أنَّ الذي أسَّس الإسلامَ وَشيَّد صَرْحَه هو «عُمر»؛ لأنه يُماثِلُ القدِّيسَ «بولس» في المسيحية!!.

◻ وقال: «إنَّ الإسلامَ دينٌ لا يَسمحُ بحريَّةِ الفِكرِ ورُوحِ النقد».

◻ وقال: «إنَّ الإسلامَ يُعادِي العلمَ والفلسفةَ، وإنه صارمٌ يتحكَّمُ في العبدِ وفي دنياه وفي آخرته، وإنه ذلك القَيدُ الثقيلُ الذي لم تُصَبْ بمثلِه الإنسانيةُ في تاريخها».

◻ والواقعُ أنَّ «رينان» لم يُثبِتْ في نَظَرِ مؤرِّخيه بأنه باحثٌ مستقرُّ الفِكرِ، بل عُرِف باضطرابِ الرأي، وقد وَصَفه «بيكافيه» أكبرُ الباحثين في إثارة: «بأنه رجل يَقلِب أوضاعَ الأشياءِ والمسائلِ، وذلك لاختمارِ النَّزعةِ الصليبيةِ في عَقلِه الباطن، وتَمَلُّكِها على أفكارِه في الحكم عَلَىٰ مَن يُخالِفُ تعاليمَ دِينِه الأولِ قبلَ إلحادِه وكُفرِه».

◻ وقال مؤرِّخوه: «إنه أفسَدَ الاستشراقَ الفِرنسيَّ بهذه الآراء، وقد سار علىٰ نَهجه كازانوفا في كتابه «محمد ونهاية العالم». . ».

◻ يقول «رينان» المُلحِد في كتابه «مقالات ومحاضرات»: «أقولُ دائمًا ـ ولَستُ بحاجةٍ إلىٰ أن أكرِّر ـ: إن العقلَ البشريَّ يجبُ أن يُنزَّه من كلِّ المعتقداتِ الدينيَّة، وأنْ يَحصُرَ جُهودَه في مجالِه الخاص، وهو إقامةُ العلمِ الوَضعيِّ».

ولرينانَ محاضرةٌ مشهورة ألقاها في ٢٩ مارس ١٨٨٣ في «جامعة

السربون» عنوانها «الإسلام والعلم»، حَمَل فيها على الإسلام حَمْلَةً متعصِّبةً عنيفة.

□ وقال: «إن الدينَ الإسلاميَّ عَقبةٌ في سَبيل تقدُّمِ العلمِ بسببِ التعصُّب».

□ وقال: «إنه اضطَهَد العِلمَ والفلسفة، ووَصَفَ العقليةَ الساميةَ بأنها مُجدِبَةٌ، كالصحراءِ التي نَبَتَتْ فيها».

□ وقال: «إن انحطاطَ بلادِ الإسلام في العالَم واضح، وسببُ هذا الانحطاطِ هو أنَّ عقولَ المسلمين بَلغت منَ الحُمقِ غايتَه حتىٰ كأنَّ دِينَهم صار حِجابًا علىٰ قُلوبهم، مَنَعها من أن تَعِيَ شيئًا من العلوم».

□ وقال: «إنَّ العَجْزَ عن التقدُّمِ ناتجٌ عن دينِ الإسلام، وإن دينَ الإسلام قد نَجَح، ولكن لشقائه، فإنه لَمَّا قَبِلَ الإسلامُ الفلسفةَ قَتَل نفسَه، وحكَم عليها بالانحطاط التامِّ».

وقد رَدَّ علىٰ «رينان» رجالٌ من أبناء جِلْدَتِه، منهم «غوستاف لوبون» الذي قد أشار إلىٰ محاضرةِ رينان، ووصفَها بالتناقض، وأنه أراد أنْ يُثبِتَ عَجْزَ العربِ.

□ وقال «لوبون»: «ولكنْ ترَّهاتُه كانت تُنقَضُ بما كان يَجِيءُ في الصفحة التي تَليها، فبَعدَ أنْ قال «رينان»: إنَّ تقدُّمَ العلومِ مَدِينٌ للعرب وحدَهم عِدَّةَ ستِّمئةِ سنةٍ.. ذكَرَ أنَّ عَدَمَ التسامُحِ ممَّا لا يَعرفُه الإسلام إلاَّ بعدَ أن حلَّت مَحِلَّ العربِ شعوبٌ متأخِّرةٌ كالبَرْبر والتُّرك.. ثم عاد فادَّعىٰ أنَّ الإسلامَ اضطَهَد العلمَ وقَضَىٰ علىٰ العقلِ في البلادِ التي دَانت له!!».

* فكتور شوفان (١٨٤٤-١٩١٣م):

فكتور شوفان، مستشرقٌ بلچيكي، عَمِل أستاذًا للغةِ العربية بجامعة «ليج»، ووضع فِهرسًا مفصَّلاً للكتابات التي صَدَرت حولَ محمدٍ ﷺ، وذلك في الجزء التاسع من كتابه «فهرس المصنَّفات العربية أو المصنَّفات المتَّصلةِ بالغرب»، وقد وَضع الفهرسَ في اثنَيْ عَشَر جزءً.

وفي القِسم الأول من هذا المؤلَّف يتناولُ «شوفان» المؤلَّفـاتِ الحديثـةَ ـ أي المؤلَّفات التي صَدَرت حولَ محمد ﷺ في الفترة الممتدة من عام ١٨١٠ حتىٰ عام ١٩٠٨ ـ، وبجانب ذِكرِه لعناوينِ هذه المؤلَّفات بكلِّ دقةٍ، فإنه يُقدِّمُ لنا أيضًا بيانًا بمحتوياتِ المؤلَّفاتِ ذاتِ الأهمية، ويُشيرُ إلىٰ أهمِّ ما وُجِّه إليها من نَقدٍ.

أمَّا القسمُ الثاني، فإنه يتضمَّنُ ذِكرَ المؤلَّفاتِ السابقةِ علىٰ عامِ ١٨١٠، ويتناولُ بالتفصيل ـ بصفةٍ خاصةٍ ـ المؤلَّفاتِ البيزنطيةَ والأسبانيةَ ومؤلَّفاتِ القرون الوسطىٰ.

وفي القسم الثالث يَتناولُ رسائلَ جامعيةً حولَ بعضِ المسائل الخاصة مثل: الوفود، بدر، بَحِيرىٰ، الصَّرَع، فاطمة، نساء محمد، شجرة النَّسَب، المعجزات، وفاة محمد، مولدو، نَبَالة نسبه، أسماء محمد، صورته الجسمية وأخلاقه.. إلخ.

وأما القسم الرابع، فإنه يُخصِّصُه للأساطير الغربية عن محمدٍ ﷺ كما يُخصِّصُ القسمَ الخامسَ للحديثِ عن محمد ﷺ في الأدب.

ولعلَّ القارئَ يلاحظُ هنا أنَّ موضوعَ «الصَّرَع» مُقحَمٌ بين هذه

الموضوعات التي تتحدَّثُ عن سيرةِ محمدٍ ﷺ، وأنَّ الأمرَ هنا ربَّما يدورُ حولَ خطأٍ مطبعيٍّ أو خطأٍ من الترجمة! ولكنَّ الأمرَ ليس كذلك، فالحديثُ عن «الصَّرَع» هنا حديثٌ مقصود، إذ يَحلُو لبعضِ المستشرقين أن يُفسِّروا ظاهرةَ «وحي اللَّه» إلىٰ نبيِّه عليه الصلاة والسلام بأنها كانت عبارةً عن نَوباتٍ من الصَّرَع تَعتريه بين الحِين والحين، وذلك انطلاقًا مِن مبدأِ عدمِ الاعترافِ بنبوَّته، وبالتالي فليس هناك أصلاً - في زعمهم - وَحيٌ كان يأتيه.

وهذا الموقفُ يَدخلُ في باب التعصُّبِ الأعمىٰ الذي هو نفسُه مرضٌ لا أَمَلَ في شِفائه، ولا جَدوىٰ من علاجِه.

* القِسِّيس السويسري ببلياندر:

وَضَعَ هذا القسيسُ كتابًا من ثلاثةِ مجلداتٍ، وصدر عام ١٥٤٣م، ويُمثِّل الوضعَ الذي وَصَل إليه الجَدَلُ كلُّه ضِدَّ الإسلام حتىٰ ذلك العصر، كما يمثِّل حاصلَ هذا الجدل، فالكتابُ لا يَشتملُ فقط علىٰ الترجمة اللاتينية للقرآن، والتي تَمَّتْ قبلَ ذلك بأرْبَعمِئةِ عام، وإنما يَشتملُ أيضًا علىٰ عددٍ كبيرٍ من الكتاباتِ المضادَّةِ للقرآن والإسلام، ابتداءً من عَصرِ بطرس الموقَّر حتىٰ عصرِ الإصلاح الديني[1].

* هوتنجر السويسري (١٦٢٠-١٦٦٧م):

هذا المستشرقُ السويسري كان أستاذًا للغات الساميَّة في كلٍّ من «زيوريخ وهايدلبرج»، ويُقدِّمُ في كتابه «تاريخ الشرق» الصادرِ في «زيوريخ» عام ١٦٥١م نقضًا للقرآن، إسهامًا في مكافحةِ الخُرافات

(١) «الإسلام في تصوّرات الغرب» (ص٨٣).

المحمديَّة ـ كما يدَّعي هذا الأفَّاك ـ[1] .

* الأبُ الإيطالي لودفيج ماراتشي :

أمضىٰ هذا الأثيمُ أربعين عامًا في دراسةِ القرآن، وكُتبِ التفسير العربية لكي يحاربَ محمداً ﷺ بنفسِ سلاحه، وقد كانت حَصيلةُ هذه الدراسةِ هذا العملَ الأسودَ الضخمَ الذي أنجزه، والذي تَضمَّن النصَّ العربيَّ الكاملَ للقرآن مع ترجمةٍ لاتينيةٍ مصحوبةٍ بهوامشَ توضيحية، ونقضٍ مُفصَّلٍ لكلِّ فقرةٍ قرآنيةٍ علىٰ حِدَة، وقد أصدر «مراتشي» قبل ذلك في عام ١٦٩١م كتابًا حَولَ نقضِ القرآن، قَدَّم فيه لَمحةً عن حياةِ محمدٍ ﷺ وعن القرآن، ثم بَرْهَنَ ـ كما يزعمُ ويَفتري ويدَّعي ـ علىٰ بُطلانِ الإسلام وحقيقةِ الديانة المسيحية. . وكلُّ ما كَتَبه عن محمدٍ ﷺ يلاحَظُ فيه النفورُ إزاءَ محمدٍ ﷺ وتعاليمه[2] . .

يا ناطِحَ الجَبَــــلِ العالــي لِتُكْلِمَهُ أشفِقْ على الرأسِ لا تُشفِقْ على الجَبَلِ

* ماراتشي Marracci :

وقد قدَّم «ماراتشي» في كتابه «الرائد في تفنيد القرآن» نَظرةً علىٰ حياةِ وأعمالِ محمدٍ مؤلِّف القرآن.

وقد حاول جاهداً ـ كما فَعل «بوكوك وهوتنجر» ـ أن يَرجعَ إلىٰ مصادرَ عربية، ويُعبِّرُ «مارتشي» هنا عن الغايةِ مِن وصفِه لحياةِ محمدٍ علىٰ النحو

(١) انظر «الإسلام في تصوّرات الغرب» (ص٨٢، ٨٣).

(٢) المصدر السابق (ص٨٣).

(٣) صدر الكتاب عام ١٦٥١م وأُعيد نشره عام ١٦٦٠ .

التالي: «إذا أردتُ أصوِّرَ حياةَ محمدٍ حسبما كَتب في ذلك مؤلِّفونا وكُتَّابُنا، فسأجعلُ نفسي مَدْعاةً للسخرية لدىٰ المحمَّديين، فالفرقُ كبيرٌ جداً بين ما يَروُونه وما نَرويه نحن، لدرجةِ أنَّ المرء لا يُمكنُه أن يُصدِّقَ أنَّ كِلا الجانبيَنِ يتناولُ بالحديث رجلاً واحداً، ومِن أجلِ ذلك فإنني أريدُ أن أتابعَ أولئك، ليس لأني آخُذُ كلَّ شيءٍ علىٰ أنه حقٌّ، بل لأننا إذا تناولْنا عدوَّ الدينِ بالنقض والتنفيد، فإن محاربتَه بأسلحتِه هو أفضلُ مِن محاربته بأسلحتنا، وحينئذٍ يَسهُلُ التغلُّبُ عليه.

وبالإضافة إلىٰ ذلك، فإن كثيراً من كُتَّابنا يَروُونَ عن محمدٍ أشياءَ تُثيرُ الضحِكَ لدىٰ المحمَّديين، ولا تُجدِي إلاَّ في زيادةِ تقويتهم في خرافاتِهم، وعلىٰ ذلك فإني سأعتمدُ في الحديث عن حياةِ محمدٍ علىٰ أكثرِ المؤلفين العرب قَدراً، وإذا كنتُ علىٰ عِلمٍ أيضًا بأن هؤلاء يأتون بالكثيرِ من الأكاذيب لإعلاءِ شأنِ نبيِّهم الزائفِ، فإنَّني لن أجعلَهم يعتبرونني كاذبًا».

□ وقد ظلَّ رسولُ اللَّه ﷺ لدىٰ «ماراتشي» هو النبيَّ الزائفَ، والمُضَلِّلَ والغاصبَ، ومؤسِّسَ طائفةٍ تُثيرُ الاشمئزاز، ومؤلِّفَ كتابِ ـ يعني: القرآن ـ مملوءٍ بالتناقضاتِ والخرافاتِ الكاذبةِ والأباطيل[1].

□ لقد كان «مارتشي» أحدَ رجالِ اللاهوت الإيطاليين، أمضىٰ حياتَه كلَّها في إعدادِ دراساتٍ هَدَفُها البرهنةُ ـ كما يزعُم ـ علىٰ بُطلانِ الإسلام وحقيقةِ الديانة المسيحية، وقد صَدَر كتابُه في «تفنيد القرآن» عام ١٦٩١م، وقدَّم فيه أيضًا لَمحةً عن حياةِ محمدٍ، ثم نَشَر النصَّ العربيَّ الكاملَ للقرآنِ

(١) «الإسلام وتصوّرات الغرب» (ص١٣٥، ١٣٦).

عام ١٦٩٨م مع ترجمةٍ لاتينيةٍ مصحوبةٍ بهوامشَ كثيرةٍ ، ومحاولةٍ فاشلةٍ لنَقْضِ القرآن فقرةً فقرة، وينطلقُ «مارتشي» في دراساته - مثلما يفعلُ غيرُه من اللاهوتيين ومعظمُ المستشرقين - من فرضيةٍ يَضَعونها كأنها حُجَّةٌ مسلَّمةٌ، ويَبنون عليها كلَّ مزاعِمِهم، وتتمثَّلُ هذه الفَرْضيَّةُ في أن محمدًا ليس نبيًّا حقيقيًّا، وأنه هو الذي قام بتأليفِ القرآن، وقد سبق أنْ فَعَل الشيءَ نفسَه مشركو مكة، وقد وَصف «بفانموللر» نفسُه موقفَ «ماراتشي» بأنه «نُفورٌ داخليٌّ إزاءَ محمدٍ وتعاليمه»، فكيف يُنتظرُ منه - وقلبُه مليءٌ هكذا بالحقدِ على الإسلام - أن يكون منصِفًا للإسلام ونبيِّه؟! وأين ذلك من تعاليمِ القرآن - التي لابدَّ أنه قد اطَّلَع عليها - والتي تتمثَّلُ في الإنصافِ المطلقِ الذي يعلو فوقَ كلِّ اعتبار؟! ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

* همفري بريدو (١٦٤٨ - ١٧٢٤):

هذا المستشرقُ الإنجليزيُّ الذي جعَل كتابه «حياة محمد» مرآةً تعكِسُ نُفورَه من محمدٍ ﷺ، وتعكِسُ الصورةَ الخاصَّةَ لكلٍّ من الكفَّارِ والزنادقةِ وأصحابِ مذهبِ «التأليه الطبيعي» والإباحيين[٢].

☐ يقول نجيب العقيقي معلقًا على كتاب «حياة محمد» لـ «بريدو»: «إنه ترجمةٌ تافهةٌ لا غَنَاء فيها»[٣].

ويُصوِّر «بريدو» محمدًا ﷺ ليس بوَصفِه أكبرَ الدجَّالين فحسب، بل

(١) «الإسلام وتصوّرات الغرب» (ص١٣٥، ١٣٦).

(٢) المصدر السابق (ص٨٣، ٨٤).

(٣) «المستشرقون» (٢/ ٤٥).

بوَصفه أيضًا أحد المجرمين.

وقد أراد «بريدو» أن يكونَ كتابُه مجرَّدَ جزءٍ من تاريخ الكَنيسة في الشرق، وأن يُثبِتَ فيه أن النبيَّ ﷺ كان بمَثابةِ سَوطِ اللَّه لمعاقبةِ الكنائسِ الشرقية وحَمْلِها على التوبة النصوح.

وقد صَدَر الكتابُ في «لندن» عام ١٦٩٧، وصَدَر بالفرنسية عام ١٦٩٨م.

ويصف «بفانموللر» موقف «بريدو» من رسولِ اللَّه ﷺ بأنه «حَمَاسٌ حَقود»[1].

*** هادريان ريلاند (١٧٧٦-١٨١٨م):**

هذا المسشرقُ الهُولندي كان أستاذًا للغات الشرقية في جامعة «أوترشت» بهولندا، ومن مؤلَّفاته التي كان لها صَدًىٰ بعيدٌ في أوربا كتابه عن الإسلام في مجلدَيْن: أحدهما عن «الديانة الإسلامية»، والثاني: «حول تصويب فكرة الأوربيين الخاطئة عن الإسلام»، وقد تُرجِم الكتابُ إلىٰ عدَّةِ لغاتٍ أوروبية، وكان «ريلاند» أولَ مَن قام بعرضٍ عِلميٍّ للإسلام في أوروبا، ومع هذا حَرَّمت الكنيسةُ تَداوُلَ الكتاب.

❐ يقول «بفانموللر» المستشرقُ الألمانيُّ في كتابه «موجز في أدب علوم الإسلام»: «قال «ريلاند»: هل مِن الممكن أن تَجِدَ ديانةٌ متناقضةٌ - كما يَصِفُها المؤلِّفون المسيحيُّون - ملايينَ الأتباع؟ دَعُوا المسلمين أنفسَهم

---

(١) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٣٨، ١٣٩).

يَصفون لنا دينَهم.

وفضلاً عن ذلك فإنه يَتحتَّمُ على المرءِ أن يعرفَ الإسلامَ جيِّدًا لكي يستطيعَ أن يُحاربَه بطريقةٍ فعَّالةٍ، ولكنْ ضرورةُ محاربتِه تنمو مع كلِّ يومٍ؛ لأنَّ علاقاتِ الأوروبيِّين بالمحمديِّين في تركيا وإفريقيا وسوريا وإيران وجُزرِ الهند التابعة لهولندا تتَّسعُ دائرتُها باستمرار، وفي وُسْعِ المرءِ - عن طريقِ النقاش الدِّينيِّ - أن يَكسِبَ المسلمين إلىٰ صفِّ العقيدةِ الحقَّة، وهذا أفضلُ بكثيرٍ منَ القيام بتوجيهِ الشتائمِ لهم بطريقةٍ حمقاء.

والمعرفةُ الدقيقةُ بالإسلام وأتباعِه ستجعلُنا نَضَعُ مكانَ الكبرياءِ الساذجةِ الإحساسَ بالشُّكر للَّه الذي أنعَمَ علينا من فضلة بالمسيحية.

وعلىٰ الرغم من كلِّ ذلك، فإنه لم يَدُرْ بخَلَدِ «ريلاند» أن يقومَ بتمجيدِ الإسلام، فهو بالأحرىٰ يستفظعُه كما يوضِّحُ هو ذلك»[(١)] .

*** جان جانييه (١٦٧٠ - ١٧٤٠) العدوُّ اللدود لرسول اللَّه ﷺ:**

كان هذا المجرمُ أستاذًا للعبريَّة ثم العربية في «أكسفورد»، وفي عام ١٧٢٣ قام بترجمة «سيرة النبيِّ» لأبي الفداء إلىٰ اللاتينية ثم إلىٰ الفرِنسية، وقد ألَّف كتابًا عن حياةِ محمدٍ ﷺ في جزئينِ بالفرنسية (١٧٣٢) م.

وفي مقدِّمةِ كتاب جانييه يَصِفُ هذا المجرمُ رسولَ اللَّه ﷺ بأنه أكثرُ الناس شرًّا، وبأنه عدوٌّ لدودٌ للَّه[(٢)] .

---

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص٨٤، ٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص٨٦).

* جورج سيل (١٦٩٧-١٧٣٦):

مستشرقٌ إنجليزي، ترجم القرآنَ إلىٰ الإنجليزية، ونُشرت الترجمةُ في لندن عام ١٧٣٤م، وقد اشتملت علىٰ حواشٍ وشروحٍ ومقدِّمةٍ مُسهَبَةٍ عن الدين الإسلاميِّ تَضمَّنتِ الكثيرَ من الإفك واللغوِ والتجريح، ووَصَفَ الرسولَ ﷺ والنظرَ إليه علىٰ أنه مُضلِّل(١).

ويَرىٰ هذا الدَّجالُ أن محمداً ﷺ لم يكن واحداً من أمثالِ جبابرة الملحِدين - كما يتصوَّرُه المسيحيُّون عادةً -، والضررُ الذي ألحقه محمدٌ بالمسيحية يُنسَبُ إلىٰ جَهلِه أكثرَ مما يُنسَب إلىٰ خُبثه!!.

☐ يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: «يَزعُمُ المستشرقون واللاهوتيون أنَّ محمداً ﷺ لم يَعرِفِ التعاليمَ «الصحيحة» للمسيحية، وبَنَىٰ معارضتَه للتعاليم المسيحية علىٰ ما عَرَفه من صورةٍ زائفةٍ كانت شاسعةً حينذاك، ويُعبِّرُ مستشرقٌ معاصر هو «رُودي بارت» عن ذلك بقوله: لقد كانت معلوماتُ الناس عن المسيحية في مكةَ في العصر الذي عاش فيه محمدٌ معلوماتٍ محدودةً وناقصةً، ولم يكن المسيحيون العَربُ يَسلُكون النَّهْجَ الصحيحَ في مُعتقداتهم، وكانت تَرُوجُ هناك آراءُ بِدعيَّةٌ منحرفةٌ، ولولا ذلك - كما يزعمُ «بارت» - لَمَا كان محمدٌ علىٰ علمٍ بأمثالِ تلك الآراءِ التي تُنكرُ صَلْبَ المسيح، وتَذهبُ إلىٰ أن نَظريةَ «التثليث» لا تَعني الآب والابن وروح القدس، وإنما تَعني اللَّهَ وعيسىٰ ومريم إلخ (راجع كتابنا: «الإسلام في الفكر الغربي» (٦٧) وما بعدها).

---

(١) المصدر السابق (ص٨٧).

وهكذا يُنكِرُ المستشرقون أن يكون محمدٌ ﷺ قد تلقَّىٰ معلوماتِه عن المسيحية من أعلىٰ عن طريقِ وَحيٍ سَمَاويٍّ أراد اللَّهُ به أن يُصحِّحَ العقائدَ التي أفسَدَتْها عقولُ البشرِ علىٰ مرِّ العصور(١) .

*** فولتير وروايتُه السوداءُ المأساوية الكاذبة «محمد أو التعصُّب» (١٦٩٤ـ ١٧٧٨م):**

فيلسوفٌ وأديبٌ فِرنسيٌّ شهيرٌ، يَعدُّ قُطْبَ عصرِ التنوير - كما يُسَمُّونه - في فرنسا.

«فرانسوا ماري أرويه» المعروف باسم «ڤولتير Voltaire».

□ كَتب ڤولتير مسرحيتَه السوداءَ الشهيرة التي أسماها «التعصُّب أو محمدٌ النبيُّ» التي عُرِضت لأولِ مرةٍ في مدينة «لِيل» بفرنسا عام ١٧٤١م وأهداها إلىٰ «البنابنوا الرابعَ عَشَرَ»، ويقول في تقديمه المسرحيَّة: «إلىٰ رئيسِ الديانةِ الحقيقيةِ ضدَّ مؤسِّسِ ديانةٍ كاذبةٍ بربريَّةٍ، أضَعُ عند مَوطِئِ قَدَمَيْك الكتابَ ومؤلِّفَه، إنَّ صاحبَ القَدَاسةِ سيَغفرُ ولا شكَّ الجُرأةَ التي يأخذُ أسبابَها أحدُ المؤمنين المتواضِعين في أنْ يُهديَ حَبْرَ أحبارِ الكنيسةِ الكاثوليكية الحَقَّةِ هذه المسرحية»(٢) .

ولقد سَبَّ فيها «ڤولتير» رسولَ اللَّه ﷺ سيدَ البشر سبًّا مُقذِعًا، ووَصَفه بأنه كان «دجَّالاً، ومستبدًّا، تُحرِّكه الشهواتُ الحِسِّيَّةُ،

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٤١).

(٢) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» للأستاذ أنور الجندي - مؤسسة الرسالة.

ومُتعطِّشًا للدماء».

◻ يقول المستشرق الألماني «بفانموللر» في كتاب «موجز في أدب علوم الإسلام»: «أما «فولتير»، فقد كَتَب روايتَه المأساوية «محمد أو التعصُّب» دون أن يراعيَ الحقائقَ التاريخية، وقد كان «فولتير» نفسُه مقتنِعًا بأنَّ كتابَه المنبثِقَ من خيالِه يَتناقضُ تناقضًا حادًّا مع التاريخ، ومع ذلك فقد أراد أن يَعرِضَ على الجمهورِ شَخصيةَ «تارتوف Tartuffe»[1] ممسكًا سلاحًا في يده، وكان يَعتقدُ أنه يستطيعُ أن يُعيرَ «محمدًا» هذا الدَّورَ، ولكنَّ «ڤولتير» لم يكن له أن يفعل ذلك، لو لم يكن التصوُّرُ السائدُ حينَذَاك هو أن محمدًا يُمثِّلُ التعصُّبَ والتضليلَ الدينيَّ.

وهكذا كانت أوروبا تَمُوجُ بآراءَ كثيرةٍ حولَ عَمَلِ محمد، ولكنَّ الحِسَّ التاريخيَّ الحقيقيَّ الذي يَتمتَّع به خِيرةُ علماءِ عصرِنا، كان لا يزالُ معدومًا تمامًا»[2].

◻ يقول الدكتور «محمود حمدي زقزوق»: «إنه لأَمرٌ غريبٌ حقًّا أن يلجأَ «فولتير» إلى التشهير بالنبيِّ ﷺ، جاعلاً منه في هذه الروايةِ التي مُثِّلت على المسرح «منافقًا لا يعرِفُ الحياءَ، ومُضَلِّلاً، وظالِمًا تدفعُه النوازعُ الحِسِّيَّةُ والتعطُّشُ للدماء.. إلخ»، وهويعلمُ تمامَ العلمِ أنَّ كلَّ ذلك غيرُ صحيح ولا يتَّفقُ مع الحقيقةِ التاريخية، ولكنَّ «فولتير» أراد بذلك أن يتَّخذَ من محمدٍ

---

(١) تارتوف اسم يطلق على شخصية الرجل المنافق في أحدى مسرحيات الأديب الفرنسي الشهير «موليير Moliere» (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣) والتي تحمل نفس الاسم أيضًا.

(٢) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص٨٧ ـ ٨٨).

أداةَ حربٍ على الكنيسة على طريقةِ «أياك أعني، واسمعي يا جارة»، ولذلك يقول «بفانمولر»: «لكن «فولتير» لم يُرِدْ إطلاقًا «بمأساته» أن يُصوِّرَ شخصيةَ محمدٍ التاريخية، وإنما أراد بذلك فقط أن يُحوِّلَ دَفَّةَ الحديثِ ضدَّ المسيحية الكاثوليكية، وضدَّ التضليلِ الكهنوتي، وضدَّ الخرافات، وضدَّ الدينِ نفسِه وما يَرتبطُ به ضرورةً مَن تعصُّب».

وقد مُثِّلت المسرحيةُ في مدينة «لِيل» عام ١٧٤١م، ثم قَدَّمتها «الكوميدي فرانسيز» في باريس عام ١٨٤٢م، فاحتَجَّ عليها السفيرُ التركي لدى الحكومةِ الفرنسية، وعَقَد مؤتمرًا دعا إليه كُتَّابَ فرنسا الأحرار، فأَوقَفَتِ الحكومةُ تمثيلَها حينذاك (انظر: «الشرق والإسلام في أدب جوته» لعبدالرحمن صدقي ص٢٣).

وبجانب هذه الصورةِ الظالمةِ، نَجِدُ «فولتير» في مقالته (Esai sur les moeurs) يُقدِّمُ لنا صورةً أخرى، يَصِفُ فيها «محمدًا» بأنه «الرجل العظيم الذي جَمع في شخصِه بين الفاتح والمُشرِّع والحاكِمِ والكاهن، والذي لَعِبَ أعظمَ الأدوارِ التي يُمكنُ أن يَلعَبَها إنسانٌ على ظَهرِ الأرض» (انظر «بفانمولر» ١٧٢).

وفي وَسَطِ هذا البحرِ المتلاطِمِ بأمواجِ التخبُّطِ الواضحِ والتناقضِ الصارخ، لم يكن هناك مكانٌ للحقيقةِ التاريخيةِ والموضوعيةِ النزيهة.

ومِمَّا هو جديرٌ بالذكر أن «فولتير» كان يُعَدُّ من الملاحِدةِ حينًا، ومِن مُنكِرِي النبوَّاتِ عامةً في أكثر الأحايين»[1].

(١) المصدر السابق (ص٨٨).

نِفاقٌ كَريةٌ، وتَضليلٌ متعمَّدٌ، وعَمَلٌ لا أخلاقي، وحوادثُ وشخصياتٌ مفتعَلَةٌ قائمةٌ على التخيُّلِ أكثَرَ مِمَّا تقومُ على الواقعِ التاريخي، ثم لَم يتحرَّزْ من الأخطاءِ الكبرىٰ لحقائقَ يعرفُها كلُّ مَن يَعرفُ تاريخ الإسلام، فيَجعلُ «الزُّبير» زعيمًا لسادةِ قريش المناهِضين لمحمد!! وهو يُوجِّهُ كتابَه علىٰ نحوٍ مثير، يَفضحُ دَخيلةَ النفس، ويَكشِفُ عن الضَّعفِ البَشريِّ لكاتبٍ وُصف بأنه «حُرُّ الفِكر».

«ڤولتير» الذي قَدَّمه المثقَّفون العِلمانيوُّن في بلادنا باعتباره نموذجَ «الشجاعةِ الفكرية»، «المستعدِّ للموت في سبيل حُرِّيَّة الآخرين»!!! يَجعلُ هذا الأفَّاكُ الدَّجالُ رسولَ اللَّه ﷺ ـ وهو خيرُ المتسامِحِين الذي أرسله اللَّهُ رحمةً للعالمين ـ، يَجعلُه نموذجًا ورمزًا للتعصُّب، ويُخفِي «ڤولتير» في هذه المسرحيَّةِ جُبْنَه أمامَ الكنيسة، وخَوْفَه من مهاجمةِ المسيحية أو نَقدِها، بالهجومِ علىٰ الإسلام ورسولِ الإسلام.

□ وكتب «جمال الدين الأفغاني» كاشفًا لحقيقةِ الذي جعلوه فيلسوفًا للحرية والتنوير، كتب الأفغاني عن «ڤولتير» و«رُوسو» (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) فقال: «ولقد زَعَمَا حمايةَ العَدْلِ، ومُغالبةَ الظُّلمِ، والقيامَ بإنارةِ الأفكار، وهدايةِ العقول، فنَبَشَا قَبرَ «أبيقور الكلبي» (٣٤١ ـ ٢٧٠ق.م)، وأحيَيَا ما يَلي من عِظامِ الدهريِّين، ونَبَذا كلَّ تكليفٍ دينيٍّ، وغَرَسَا بُذورَ الإباحيةِ والاشتراك، وزَعَما أن الآدابَ الإلهيَّةَ «جَعْلِيَّاتٍ خرافيَّة»، كما زَعَمَا أن

(١) «جمال الدين الأفغاني» (الأعمال الكاملة ص١٦١) ـ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ـ طبعة القاهرة ١٩٦٨، انظر «الإسلام والغرب.. افتراءات لها تاريخ» (ص٣١).

الأديان «مخترعاتٌ أحْدَثَها نقصُ العقلِ الإنساني»، وجَهَر كِلاهما بإنكارِ الألوهيَّة، ورَفَع كلٌّ عقيـرتَه بالتشنيع على الأنبياء - برَّأهم اللَّهُ مِمَّا قالا -، وكثيرًا ما ألَّفَ «ڤولتير» مِن الكتب في تخطئةِ الأنبياءِ والسخريةِ بهم والقدحِ في أنسابهم وعَيبِ ما جاؤوا به»[1].

«وقد واجَهَ توفيقُ الحكيم هذه القصة، فقال: قرأتُ قصةَ «ڤولتير» التمثيليَّة «محمد»، فخَجِلتُ أن يكونَ كاتبُها معدودًا في أصحابِ «الفكر الحر»، فقد سَبَّ فيها النبيَّ سبًّا قبيحًا عَجِبتُ له وما أَدركتُ له عِلَّةً، لكنَّ عَجَبي لم يَطُلْ، فقد رأيتُه يُهديها إلى «البابا بنوا الرابع عشر»، وعَلِمتُ أن «روسو» كان يتناولُ بالنقدِ أعمالَ «ڤولتير» التمثيلية، فاطَّلعتُ على ما قال في قصة «محمد»، عَلَّني أجدُ ما يَرُدُّ الحقَّ إلى نِصابه، فلم أَرَ هذا المُفكِّرَ الحرَّ أيضًا يَدفعُ عن النبيِّ ما أُلْصِقَ به كَذِبًا، كأنَّ الأمرَ لا يَعنيه، وكأنَّ ما قيل في النبيِّ لا غُبارَ عليه ولا حَرَج منه، ولم يَتعرَّضْ للقصَّةِ إلاَّ مِن حيثُ هي «أدبٌ وفن»، وقد قرأتُ بعد ذلك ردَّ «الباب بنوا» على «ڤولتير»، فألفيته ردًّا رقيقًا كيِّسًا لا يُشيرُ بكلمةٍ واحدةٍ إلى الدين، وكُلُّه حديثٌ في الأدب، فعَظُم عَجَبي لأمرِ «ڤولتير»، وسألتُ نفسي طويلاً: أيستطيعُ عقلٌ مثقَّفٌ كعقلِ هذا الكاتبِ العظيمِ أن يعتقدَ ما يقول؟! دينٌ يتبعُه آلافُ الملايينِ من البشر على مَدَى الأجيال، هو في نظرِه حقًّا دينٌ كاذب؟! ومبادئُ إنسانيةٌ كالتي جاء بها الإسلامُ هي عنده حقًّا مبادئُ بربرية، أم أنه التملُّقُ والزُّلفى

(١) جمال الدين الأفغاني «الأعمال الكاملة» (ص١٦١) - دراسة وتحقيق د. محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٦٨. انظر «الإسلام والغرب.. افتراءات لها تاريخ» (ص٣١).

والنفاق، وأن الزمن والتاريخ يضعان أحيانًا أقنعةً زائفةً على نفوسٍ تَزعُم أنها خُلقت للدفاع عن حريَّةِ الفكر؟!!.

منذ ذلك اليومِ وأنا أُحِسُّ كأني فُجِعتُ في شيءٍ عزيزٍ لديَّ: الإيمانِ بنزاهةِ الفِكرِ الحُرِّ، ولقد كنتُ أحيانًا ألتمسُ الأعذارَ لـ «ڤولتير»، وأزعُمُ أنه قال ما قال لا عن مجاملةٍ أو مَلَقٍ، بل عن عقيدةٍ وحُسنِ طَوِيَّةٍ، استنادًا على عِلمٍ خاطئٍ بأخبارِ النبيِّ، ولكنَّ كتابه إلى البابا كان يتَّهمُه اتهامًا صارخًا، ولا يَدَعُ مجالاً للشك في دَخيلةِ أمرِه، إني قرأتُ لـ «ڤولتير» كُتُبًا أخرىٰ كانت تَكشِفُ عن آراءَ حُرَّةٍ حقًّا في مسائلِ الأديانِ، وتَنُمُّ عن رُوحٍ واسعةِ الآفاقِ تكرهُ التعصُّبَ الذميمَ، فما بالُه عندما عَرَض لذِكرِ «محمدٍ والإسلام» كَتب شيئًا هو التعصُّبُ بعينه، تَعصُّبٌ لدينهِ ذهب فيه إلى حدِّ السجودِ وتقبيلِ الأقدام، لا لربِّ العِزَّةِ والخَلقِ، بل لبشرٍ هو رئيسُ الكنيسة التي ما أرىٰ أن «ڤولتير» كان ذاتَ يومٍ من خُدَّامها المخلِصين.

وإنما هي الأطماعُ التي كانت تَدفعُ «ڤولتير» - فيما أرىٰ - إلى التمسُّحِ بأعاتبِ الملوك والبابوات، وقد يُقدِّمُ ثَمَنًا لذلك أفكارَه الحُرَّةَ أحيانًا، منذ ذلك الحين، و«ڤولتير» عندي مُتَّهمٌ، ولن أبرِّئَه أبدًا، ولن أَعُدَّه أبدًا من بين أولئك العِظامِ الذين عاشُوا بالفِكرِ وحدَه، وللفكرِ، وأحسَبُ أن التاريخَ العادلَ سوف يَحكُمُ عليه هذا الحُكمَ، فينتقمُ للحقِّ بما افتراه على نَبيٍّ كريمٍ ظلمًا وزُورًا.

علىٰ أنَّ الذي يدعُو إلى الدَّهَشِ أكثَرَ مِن كلِّ هذا: أن الشرقَ والإسلامَ وَقَفَا مِن هذا الأمرِ موقفَ النائمِ الذي لا يَعِي ولا يَشعُرُ بما يَحدُثُ حولَه،

فلم نَرَ كاتبًا من كُتَّابِ الإسلام قام في ذلك الوقت يدفعُ عن دِينه هذا الهُراءَ الذي قاله «ڤولتير»، ويَقذِفُ في وجهِ هذا الكتاب بالحقائقِ الباهرةِ القاطعة، أو أن مؤلِّفًا وَضَع كتابًا يُبرِزُ فيه شخصيةَ النبيِّ الخَيِّرةَ العظيمةَ واضحةً جليَّةً، لقد كان الشرقُ في ليلٍ هادئٍ بَهيمٍ لم تُثِرْ فيه حركةُ «ڤولتير» يومئذٍ ساكنًا.

ولكنَّ الأمرَ قد تغيَّر اليوم، ولاحت في أُفُقِ الشرقِ خُيوطُ الفجر، وقام في هذا القَرنِ كُتَّابٌ يَمجِّدون عقيدتَهم وهم يَعلمون أن ذلك تمجيدٌ للحق وللشرق، فإنَّ المسألةَ ليست مسألةَ دينٍ فقط، وإنما هي مسألةُ جِنسٍ وقومية[1]، وإذ تقولُ أوروبا عن «الإسلام» - وتعني في غالبِ الأحيان «الشرق» -: «إن الحربَ الصليبيةَ لم تكن في حقيقتها إلاَّ حربَ الغربِ على الشرق»، وهذا المَدُّ والجَزْرُ بين الغربِ والشرقِ يَفهمُه مُفكِّرو الأوربيين تمامَ الفَهم، ويَحسَبون له الحسابَ، فالدفاعُ عن شخصيَّتِنا وعقيدتِنا دفاعٌ عن حياتِنا»[2].

* **المستشرق الفرنسي اللعين «كيمون» وكتابه «باثولوجيا الإسلام»:**

□ يقول هذا الدجَّالُ المجنونُ القِزمُ في كتابه «باثولوجيا الإسلام»: «إنَّ الديانةَ المحمديةَ جُذامٌ تَفشَّى بين الناس، وأخذ يَفتِكُ بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مَرَضٌ مُريع، وشَلَلٌ عامٌّ، وجُنونٌ ذُهوليٌّ يَبعثُ الإنسانَ على الخُمولِ والكَسَل، ولا يوقظُه من الخُمولِ والكَسَلِ إلاَّ ليدفعَه إلى سَفْكِ الدماء،

(١) لا للجنس، لا للقومية، وإنما الدين والدين فقط.

(٢) انظر «مقدمات العلوم والمناهج» و«الفكر الإسلامي والثقافة الغربية» وكلاهما للأستاذ أنور الجندي - رحمه الله -.

والإدمانِ علىٰ مُعاقَرَةِ الخمور، وارتكابِ جميعِ القبائح، وما قَبرُ محمدٍ إلاَّ عمودٌ كهرُبائيٌّ يَبعثُ الجنونَ في رؤوسِ المسلمين، فيأتون بمظاهرِ الصَّرَعِ والذُّهولِ العَقليِّ إلىٰ ما لا نهاية، ويَعتادون علىٰ عاداتٍ تنقلبُ إلىٰ طِباعٍ أصليةٍ، ككراهةِ لحمِ الخنزيرِ والخمرِ والموسيقىٰ. . إنَّ الإسلامَ كلَّه قائمٌ علىٰ القَسوةِ والفجورِ في اللذات».

◘ ويُتابع هذا المستشرقُ المجنون: «أعتقدُ أنَّ مِن الواجبِ إبادةَ خُمْسِ المسلمين، والحكمَ علىٰ الباقين بالأشغالِ الشاقَّة، وتدميرَ الكعبة، ووَضعَ قَبرِ محمدٍ وجُثَّتِه في مُتحف اللوفر»[1] .

(١٦) أرناط اللعين صاحب الكَرَك، عدوُّ اللَّهِ ورسوله:

هو Reginald de chatllon المعروف عند المؤرخين بـ «أرناط صاحب الكَرَك»، شيطانٌ من أكابرِ مُجرِمِي وشياطينِ الإنس، أراد في سَنة ٥٧٧هـ أن يقصدَ «تيماء» وهي دهليز المدينة النبوية، وحَدَّثَتْه نفسُه الخبيثةُ بذلك، فما زال نائبُ دمشق ابنُ أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي «عز الدين مُزَّخشاه» في مقابلته حتىٰ نَقَصَ اللعينُ علىٰ عَقِبَيْه ذليلاً، ولم يَجِدْ إلىٰ ما حَدَّثته به نفسُه سبيلاً، وكَتَبَ السلطانُ صلاح الدين الأيوبي إلىٰ الخليفة ببغداد باللَّفظ العِمادي: «وابنُ أخينا غائبٌ في أقصىٰ بلادِ الفرنجِ في أولَ بريَّةِ الحجاز، فإنَّ طاغيةً منهم جَمَع خَيْلَه ورَجْلَه، وحدَّثته نفسُه الخبيثةُ

(١) «الاتجاهات الوطنية» للدكتور محمد محمد حسين (ص٣٢١)، ونقل ذلك عنه جلال العالم في كتابه «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص٦٠ ـ ٦١) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

بقصد «تيْماء»، وهي دِهيلزُ المدينة ـ على ساكنها السلام ـ، واغتَنَم كونَ البرِّيَّة مُعْشِبَةً مُخْصِبةً في هذا العام. والعجبُ أَنَّا نُحامِي عن قبرِ النبيِّ ﷺ، مشتغلِين بهَمِّه، والمذكورُ ـ يعني صاحبَ المَوْصل ـ يُنازِعُ في ولايةٍ هي لنا ليأخذَها بيَدِ ظُلمِه. . »[1].

☐ وفي سنة ٥٧٨هـ كتب أبو شامة في «عيون الروضتين» فصل «في أخذ الفرنج السَّالكين لقَصدِ الحجاز»: «قال العماد: وفي شوَّال سنة ثمانٍ وسبعين كانت نُصرةُ الأسطولِ المتوجِّهِ إلى «بحر القُلْزُم»[2]، والمُقدَّم فيه الحاجبُ «حسام الدين لؤلؤ» لطلب الفرنج السالكينَ بَحرَ الحجاز؛ وذلك أن الإبرنس ـ أرناط ـ صاحب الكَرَك لَمَّا صَعُب عليه ما توالى عليه من نكايةِ أصحابنا المقيمين بقلعةِ «أَيْلَة» ـ وهي في وَسَط البحر، لا سبيل عليها لأهل الكفر ـ، وأفكر في أسبابِ احتياله، وفَتَح أبوابَ اغتياله، فبَنَى سُفُنًا، ونَقَل أخشابَها على الجِمالِ إلى الساحل، ثم ركَّب المراكب، وشَحَنها بالرجال وآلاتِ القتال؛ ووقَّف منها مركبَيْنِ على جزيرة القلعة، فمَنَع أهلَها من استقاءِ الماء، ومضى الباقون في مراكبَ نحوَ «عَيْذَاب»، فقطعوا طريقَ التجَّار، وشَرَعوا في القتلِ والنَّهْبِ والإسار، ثم توجَّهوا إلى أرضِ الحجاز، فتعذَّر على الناسِ وَجهُ الاحتراز، فعَظُمَ البلاء، وأعضَلَ الدَّاء، وأشرفَ أهلُ المدينةِ النبوية منهم على خطَر، ووَصَل الخبرُ إلى مصرَ وبها

(١) كتاب «عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» (٣/ ٨٢، ٨٣) لأبي شامة ـ مؤسسة الرسالة.

(٢) هو البحر الأحمر.

«العادلُ» أخو السلطان، فأمر الحاجبَ «حسامَ الدين لؤلؤ»، فعَمَر في بحر القُلْزُم مراكبَ بالرِّجال البحريَّة، ذَوِي التجربةِ من أهلِ النَّخْوة للدين والحَميَّة، وسار إلىٰ أَيْلَة، فظَفِر بالمركبِ الفِرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جُنْدها، ثم عدَّىٰ إلىٰ «عَيْذَاب»، وشاهَدَ بأهلها العذاب، ودُلَّ علىٰ مراكبِ العدوِّ فتبعها، فوقع بها بعدَ أيامٍ، فأوقع بها وواقعها، وأطْلَق المأسورِينَ من التجَّار، ورَدَّ عليهم كلَّ ما أُخِذ لهم، ثم صَعِد إلىٰ البَرِّ، فوَجَد أعرابًا قد نزلوا منه شِعابًا، فركِبَ خَيْلَهم وراءَ الهاربين، وكانوا في أرضِ تلك الطرُقِ ضارِبينَ، فحَصَرهم في شِعْبٍ لا ماءَ فيه، فأسَرهم بِأسْرِهم، وكان ذلك في أشهُرِ الحجِّ، فَسَاقَ منهم أسيرَيْن إلىٰ «منًىٰ» كما يُساق الهَدي، وعاد إلىٰ القاهرة ومعه الأُسارىٰ، فكتب السلطانُ إليه بضربِ رقابِهم وقطع أسبابهم، بحيثُ لا تَبقَىٰ منهم عَينٌ تطرِف، ولا أحدٌ يَخْبُرُ طريقَ ذلك البحرِ أو يَعْرِف»[1] .

حَبَّذَا لؤلؤٌ يصيــدُ الأعـادي وسِـــوَاهُ من اللآلي يُصَــادُ

❏ وفي كتاب آخَرَ إلىٰ بغداد: «كان الفِرنْج قد ركبوا من الأَمْر نُكْرًا، وافتضُّوا من البحر بِكْرًا، وعَمَّروا مراكبَ حربيَّةً شحنوها بالمقاتِلة والأسلحة والأزواد، وضربوا بها سواحلَ اليمن والحجاز، وأثخنوا وأوْغلوا في البلاد، واشتدَّت مخافةُ أهلِ تلك الجوانب، بل أهلُ القبلة لِمَا أومَضَ إليهم مِن خَلَلِ العواقب، وما ظَنَّ المسلمون إلاَّ أنَّها الساعة، وقد نُشِرَ مَطوِيُّ أشراطِها، والدنيا قد طُوِي مَنشورُ بِساطها، وانتُظِرَ غضبُ اللَّه لفناءِ بيتِه

(١) «عيون الروضتَيْن» (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٥).

المُحَرَّم، ومقامِ خليلِه الأكرم، وتراثِ أنبيائِه الأقدم، وضَريح نبيِّه الأعظم ﷺ، ورَجَوا أن تَشْحَذَ البصائرَ آيةٌ كآيةِ هذا البيت، إذ قَصَده أصحابُ الفيل، ووَكَلوا إلى اللَّه الأمر، وكان حَسْبَهم ونعمَ الوكيلُ.

وأما السائرةُ إلى بحر الحجاز، فتمادتْ في الساحلِ الحجازيِّ إلى «رابغ» إلى سواحلِ «الحوراء»[١]، فأخذت تُجَّارًا، وأخافتْ رِفاقًا، ودلَّها على عَوْراتِ البلاد من الأعرابِ من هو أشدُّ كفرًا ونفاقًا، وهناك وَقَع عليها أصحابُنا وأُخذت المراكبُ بأسرها، وفَرَّ فِرنجُها بعدَ إسلامِ المراكب، وسَلَكوا في الجبالِ مهاويَ المهالك، ومعاطِنَ المعاطب، ورَكِبَ أصحابُنا وراءَهم خَيلَ العربِ يَشُلُّونهم شلاً، ويقتنِصُونهم أسرًا وقتلاً، وما زالوا يتبعونهم خمسةَ أيامٍ خيْلاً ورَجْلاً، ونهارًا وليلاً، حتى لم يتركوا عنهم مُخبرًا، ولم يُبقوا لهم أثرًا، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، وقُيِّد منهم إلى مصر مئةٌ وسبعون أُسرًا»[٢].

◻ قال الذهبيُّ عن بطل هذه المعركة «حسام الدين العادلي»: «لؤلؤ العادلي الحاجب بَطلٌ من أبطالِ الإسلام، وهو كان المندوبَ لحرب فرنج الكَرَك الذين ساروا لأخذِ «طَيبة»، أوْ فرنجٍ سواهم، ساروا في البحر المالح، فلم يَسِرْ «لؤلؤ» إلاَّ ومعه قيودٌ بعددهم، فأدركهم عند «الفحلتيْن»، فأحاط بهم، فسلَّموا نفوسهم، فقيَّدهم، وكانوا أكثرَ من ثلاثِمئةِ مقاتل، وأقبل بهم

(١) الحوراء: كورة من كور مصر القِبليّة في آخر حدودها من جهة الحجاز، وهي على البحر في شرقيّ القُلْزُم «البحر الأحمر». انظر «معجم البلدان» (٢/ ٣١٦).
(٢) «عيون الروضتيْن» (٣/ ١٣٩، ١٤٠ ـ ١٤١).

إلى القاهرة، فكان يومًا مشهودًا»[١] .

◘ وقال الذهبي أيضًا: «وقيل: إن الملاعين التجؤوا منه إلى جبل، فترجَّل وصَعِد إليهم في تِسعةِ أجناد، فأُلقي في قلوبهم الرُّعْب، وطَلبوا منه الأمان، وقُتلوا بمصر، تولَّى قَتْلَهم العلماءُ والصالحون»[٢] .

* «قولوا لمحمد: لِمَ لَمْ يُخلِّصكُمْ؟!»:

في سنة ٥٨٢هـ عَبَر «بالشوبك» قَفْلٌ من الديار المصرية في حالةِ الصُّلح مع أرناط برنس الكَرَك، فنزلوا عنده بالأمان، فغَدَر بهم وقَتَلهم، فناشَدوه اللَّهَ والصلحَ الذي بينه وبين المسلمين، فقال ما يتضمَّنُ الاستخفافَ بالنبيِّ ﷺ، وقال: «قولوا لمحمد: لِمَ لم يُخلِّصكم؟!»، وبلغ ذلك السلطانَ ـ صلاح الدين ـ رحمه اللَّه ـ، فحملَه الدينُ والحَمِيَّة على أنه نذر إنْ ظَفِر به قَتَله[٣] .

◘ قال أبو شامة في «عيون الرَّوْضتَيْن»: «كان إبرنسُ «الكَرَك» أَغْدَر الفرنجيَّة وأخبثَها، وأفحَصَها عن الرديِّ والرَّداءة وأبْحَثها، وأنقضَها للمواثيقِ المُحْكَمةِ والأيمانِ المُبرَمة وأنكثَها وأحنثَها، ومعه شِرْذِمةٌ لها شَرُّ ذِمَّة، وهي مِن شرِّ أُمَّة، وهم على طريقِ الحجاز، ومِن نَهجِ الحجِّ على المجاز، وكُنَّا في كلِّ سنةٍ نغزوه، وبالبوائقِ نَعرُوه، ويُصيبُه منَّا المكروه، فأظهر أنه على الهُدْنة، وجَنَح للسَّلْم، وأخذ الأمانَ لبلدِه وأهلِه وقومِه

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٨٤ـ٣٨٥).

(٢) «السير» (٢١/ ٣٨٥).

(٣) «عيون الروضتين» (ص٣/ ٢٩٦).

ورُوحِه، وبَقِيَ الأمنُ له شاملاً، والقُفْلُ من مصرَ في طريقِ بلدِه متواصلاً، وهو يَمكُسُ الجائي والذاهب، حتى لاحتْ له فرصةٌ في الغَدْر، فقَطَع الطريق، وأخاف السبيل، ووَقَع في قافلةٍ ثقيلة، معها نَعَمٌ جليلة، فأخذها بأسْرِها، وكان معها جَماعةٌ من الأجناد، فأوقعهم في الشَّرَك، وحَمَلَهم إلى الكَرَك، وأَخَذَ خَيْلَهم والعُدَّة، وسامَهم الشدَّ والشِّدَّة، فأرسلنا إليه، وذَمَمْنا فِعَالَه، وقَبَّحْنا احتيالَه واغتيالَه، فأبَى إلاَّ الإصرارَ والإضرار، فنَذَر السلطانُ دَمَه، ووفَّى في إراقةِ دمه بما التزمة، وذلك في السَّنَة الآتية».

*** ها أنا أنتصرُ لمحمد ﷺ:**

◻ ففي سنةِ ثلاثٍ وثمانين وخَمْسِمئة (٥٨٣) وهي السنةُ الحَسَنَةُ المُحْسنة كانت كَسْرَةَ «حِطِّين»، وفيها أسَرَ صلاحُ الدين جميعَ ملوكِ الفرِنجة سوى «قومس» طرابلس، فإنه انهزم في أول المعركة.

◻ قال أبو شامة في «عيون الروضتين»: «جلس السلطانُ لِعَرضِ أكابرِ الأُسارى وهم يتهادَون في القيود تَهادِي السُّكارى، فقُدِّم بدايةً مقدَّم «الدَّاوية»، وعِدَّةٌ كثيرةٌ منهم، ومِن الإسبتاريَّةِ، وأُحضِرِ المَلِكُ «كي» وأخوه «جفري»، و«أوك» صاحب جُبيل، و«هنفري»، والإبرنس «أرناط» صاحب الكَرَك، وهو أوَّل مَن وقع في الشَّرَك، وكان السلطانُ قد نَذَر دَمَه، وقال: «لأُعجِّلَنَّ عند وِجْدانه عَدَمَه».

فلمَّا حضر بين يديْه، أجلسه إلى جَنبِ المَلِكِ والمَلِكُ بجنْبه، وقرَّعه على غَدْرِه، وذَكَّره بذَنبه، وقال له: كم تَحْلِفُ وتَحْنَث، وتعهَدُ وتنكُث، وتُبرِمُ الميثاقَ وتَنقُض، وتُقْبِلُ على الوِفاقِ ثم تُعْرِض؟!.

فقال التَّرجمان عنه: إنه يقول: قدْ جرَت بذلك عادةُ الملوك، وما

سَلَكْتُ غيرَ السَّنَن المسلوك.

وكان المَلِكُ يَلهثُ ظمأً، ويَميلُ مِن سَكْرَةِ الرُّعْب مُنْتَشِيًا، فآنَسه السلطانُ وحاوره، وفثأَ سَوْرَةَ الوَجَل الذي ساوَرَه، وسكَّن رُعْبَه، وأَمَّن قلبَه، وأَمَر له بماءٍ مَثْلُوج فشَرِبه، وأطفأ به لَهَبه، ثم ناول المَلِكُ الإبرنسَ القَدَح، فاستشفَّه، وبَرَّدَ به لَهْفَه، فقال السلطانُ للمَلِك: لَمْ تأخُذ في سَقْيه منِّي إذْنًا، فلا يُوجبُ ذلك له منِّي أَمْنًا، ثم ركب وخلاَّهُما، وبنارِ الوَهَل[1] أصْلاَهُما، ولم ينزلْ إلىٰ أن ضُرِب سُرَادقُه، ورَكَزَت أعلامُه وبَيَارقُه، وعادت إلىٰ الحِمَىٰ عن الحَوْمهِ فَيَالقُه.

فلمَّا دَخَل سُرَادقَه استَحضَرَ الإبرنسَ، فقام إليه، وتلقَّاه بالسَّيف، فَحَلَّ عاتقَه، وحين صُرِع أمرَ برأسِه فَقُطع، وجُرَّ برجلِه قُدَّامَ المَلِكِ حين أُخرج، فارتاع المَلِكُ وانزَعَج، فعَرَف السلطانُ أنه خامَرَه الفَزَع، وساورَه الهَلَع، وسَامَرَه الجَزَع، فاستدعاه واستَدْناه، وأَمَّنه وطمَّنه، ومكَّنَه من قُرْبهِ وسكَّنه، وقال له: ذاك رداءَتُه أَرْدَتْه، وغَدْرَتُه كما تراه غادَرَتْه، وقد هلك بِغَيِّه وبَغْيِه، ونبا زَنْدُ حياتِه وَوِرْدُها عن رِيِّه ووَرْيه»[2].

◘ وقال أبو شامة أيضًا: «لَمَّا فَتَح اللَّهُ عليه بالنصر والظَّفَر، جَلَس في دِهليز الخَيْمة؛ فإنها لم تكُنْ نُصِبتْ بعدُ، والناسُ يتقرَّبون إليه بالأُسارىٰ وبمَن وَجدوه من المتقدِّمين، ونُصِبت الخَيمةُ، وجَلَس فَرِحًا مسرورًا، وشاكرًا لِمَا أنعَمَ اللَّهُ به عليه، ثم استَحَضَر الملك «جفري» وأخاه والبرنس

(١) الوَهَل: الفَزَع.

(٢) «عيون الروضتَين» (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

«أرناط»، وناولَ المَلكَ شَرْبةً من حُلابٍ مُبرَّدٍ بثلج، فشَرِب منها، وكان على أشدِّ حالٍ من العَطَش، ثم ناول بعضَها البرنسَ، فقال السلطانُ للتَّرجُمان: قُلْ للمَلك: أنتَ الذي سَقَيْتَه وإلاَّ أنا ما سقَيتُه، وكان على جميلِ عادةِ العرب وكريمِ أخلاقِهم أنَّ الأسيرَ إذا أكَل أو شَرِب من مالِ مَن أسَرَه أَمِن، فقَصَد السلطانُ بذلك الجرْيَ على مكارم الأخلاق.

وأُقعِد المَلِكُ في الدِّهليز، واستُحضر البرنس، ووافقه على ما قال، ثم قال له: «ها أنا أنتصرُ لمحمد ﷺ»[1]، ثم عَرَض عليه الإسلام، فلم يَفْعل، فقام إليه وسَلَّ المِجنَّاةَ وضربه بها، فَحَلَّ كَتِفه، وتَمَّم عليه مَن حَضَر، ثم رُمي على باب الخيمة»[2].

□ ومن كتابٍ للقاضي الفاضل: «فأُخِذ الملكُ أسيراً، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾ [الفرقان: ٢٦]، وأُسِر الإبرنسُ - لعنه اللَّه -، فحُصِدَ بذْرُه، وقَتَله الخادمُ - يعني السلطانَ صلاحَ الدين - بيده، ووفَّى بذلك نَذْرَه».

□ وللَّه درُّ القائل:

وأنجَزَ اللَّهُ للسُّلطانِ مَوْعِدَه ... ونَذْرَه في كَفُورٍ دينُهُ البَطَرُ
وعايَنَ المَلِكُ الإبرنسَ في دَمِه ... فمات حَيًّا وحَيًّا وهْو يعتذِرُ[3]

□ والقائل:

أَلَمْ تَرَ للسلطانِ صُدِّق نَذْرُهُ ... دَم الغادرِ الإبرنسِ فاقتيد أرْبَدَا

---

(١) وفي «البداية والنهاية»: «نعم أنا أنوب عن رسول اللَّه ﷺ في الانتصار لأمته».

(٢) «عيون الروضتين» (٣/ ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٠٦).

وباشَـرَهُ بالقتـلِ وَسْـطَ خِبائـه وعايَنَهُ الكُنْدُ المليكُ فأرْعِـدَا[1]

◘ وقال العمادُ ـ رحمه اللَّه ـ:

يا طُهْرَ سيف بَرَى رأسَ البرنسِ فقد أصابَ أَعْظَمَ مَن بالشِّرْك قد نَجُسَا

وغاصَ إِذْ طار ذاك الرَّأسُ في دَمَه كأنَّه ضِفْـدَعٌ في المـاء قد غَطَسَا

ما زال يَعْـطُسُ مَزْكُومًا بغَدْرَتِـه والقَتْلُ تَشْميتُ مَن بالغَدْرِ قد عطَسَا

عرَّى ظُبـاه مِنَ الأغمـادِ مُهْرَقَةً دمًا من الشِّـرك رَدَّاها بِـه وكَسَا[2]

◘ وقال العمادُ أيضًا:

شكَا يَبَسًـا رأسُ البِرْنسِ الذي به تَنَـدَّى حُسامٌ حَاسِـمٌ ذلك اليُبْسَا

حَسَا دمَه ماضي الغِـرار[3] لغَـدْره وما كان لولا غَـدْرُهُ دَمُـهُ يُحْسَى

فللَّه ما أَهْـدَى يَـدًا فَتكَتْ بِـه وأَطْهَرَ سَيْفًا مُعْدِمًا رجْسَه النَّجْسَا

نَسَـفْـتَ به رَأسَ البرنسِ بضَرْبَـة فأشبه راسي رَأسه العِهْنَ[4] والبُرْسَا[5]

تَبوَّغَ[6] في أَوْدَاجِـه دمُ بَغْيِـه فَصَالَ عليه السَّيفُ يَلْحَسُـه لَحْسَا

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٠٨).

(٢) «عيون الروضتين» (٣/ ٣٠١).

(٣) الغرار: حَدُّ السيف.

(٤) العهن: الصوف.

(٥) البِرْس: بكسر الباء وضمها: القطن.

(٦) تبوَّغ به الدم: هاج به، وذلك حين تظهر حمرته في البدن.. انظر «لسان العرب» (بوغ - بيغ).

بَعَثَتَ أمام أُمــةِ النَّــار نحوَها إمامَهُمُ أرناطَـهـا ذلك الجِبْسَا[١، ٢]

* السِّير وليم موير (١٨١٩ ـ ١٩٠٥):

السير «وليم موير» مستشرقٌ أسكتلندي، عَمِل في الهند، ثم اختِير رئيسًا لجامعة «أدِنْبَره»، ومن مؤلَّفاته «حياة محمد» في أربعةِ أجزاء، وقد صَدَر في لندن من ١٨٥٨ حتى ١٨٦١.

وهو ـ على الرغم من أرثوذوكسيته الإنجليزية ـ فإنه قد اكتَسَب خلالَ دراسته تعاطُفًا مُعيَّنًا لرجلٍ (يقصد رسول اللَّه ﷺ)، ظَهَر أنه كان ضحيَّةً للشيطان»[٣].

أو أنَّ محمدًا كان أداةً من أدواتِ الشيطان، ولكنه مع ذلك اعترف بأن هذا الشيطانَ قد ظَهر لمحمدٍ في صورةِ رسول الله ﷺ[٤].

ومحمدٌ ﷺ ليس في حاجةٍ إلى مِثلِ هذا التعاطُفِ المَردودِ على صاحبه، وقد سَبَق لمشرِكي مكةَ أنْ زَعَموا أن محمدًا ﷺ به مَسٌّ من الجنِّ، فلا جديدَ في زَعمِ «موير»، فهو ترديدٌ من كافرٍ لمزاعمَ قديمةٍ في صورةٍ أُخرَىٰ.

* ثيوفانس Theophanes البريطاني:

كاتبٌ دجَّالٌ بريطانيٌّ، تولَّىٰ كِبْرَ اتهامِ النبيِّ ﷺ بالصَّرَع، وهو أولُ

---

(١) الجبس: الجبان الضعيف اللئيم.. انظر «اللسان» (جبس).

(٢) «عيون الروضتين» (٣/ ٣٠٣).

(٣) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص٩١ ـ ٩٢).

(٤) المصدر السابق (ص١٧١).

منَ أذاع في الغربِ «أسطورةَ الصَّرَع» انظر (ص٥٢٢) مِنْ (Hand woer ter-buch des Islam) وقد كان الكُتَّابُ البريطانيُّون هم المصدرُ الوحيدُ الذي تلقَّىٰ منه الغربُ معلوماتِه الأولىٰ عن الإسلام، وإليهم تَرجعُ أغلبُ الأساطيرِ التي شاعَت في الغرب حولَ محمدٍ ﷺ في العصورِ الوسطىٰ[١] .

* **اشبرنجر** (sprenger) :

لويس اشبرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣) مستشرقٌ نمساويُّ الأصل، تجنَّس بالجنسية البريطانية عام ١٨٣٨، عَمِل في الهند، ثم عَمِل أستاذًا للغات الشرقية في جامعة «بِرن» بسويسرا، ومن مؤلَّفاته «حياة محمد» في ثلاثة أجزاء، وقد صَدَر الجزءُ الأول في «اللَّه آباد» عام ١٨٥١ بالإنجليزية، ثم صدرت الأجزاءُ الثلاثةُ بالألمانية في «برلين» من ١٨٦١ حتىٰ ١٨٦٥، وأُعيد طبعُه عام ١٨٦٩ .

ويُعلِّقُ المستشرقُ الألمانيُّ المعاصرُ «رودي بارت» علىٰ كِتاب اشبرنجر «حياة محمد» بأنه كتابٌ جاء مُخيِّبًا للآمال في أكثرَ من ناحية، وأنه لم يُراعِ شروطَ ومتطلِّباتِ التقريرِ العلمي[٢] .

☐ في هذا الكتابِ «حياة محمد وتعاليمه» يَخلُصُ «اشبرنجر» الأفَّاكُ الأثيمُ إلىٰ الاقتناعِ ـ كما يدَّعىٰ ـ بأن محمداً كان «إنسانًا هستيريًّا»، وقد نَقَد «فيلهاوزن» في كتابه «محمد في المدينة» (ص٢٠) وما بعدها آراءَ «اشبرنجر» .

---

(١) انظر «الإسلام في تصوّرات الغرب» (ص٩٣).

(٢) انظر «الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية» لبارت ترجمة مصطفىٰ ماهر (ص٢٣).

وما قاله «اشبرنجر» ودجَّالو المستشرقين من أنَّ ظاهرةَ الوحي للنبيِّ ﷺ لم تكن إلاَّ نَوْباتٍ من الصرع تَعتريه، أو ما يقولُه «اشبرنجر» من أنَّ محمداً ﷺ كان مصابًا بالهستيريا، فهذه مزاعِم قَذِرةٌ كلُّها تَكمُنُ في محاولةِ استبعادِ القولِ بنبوَّتِه وإنكارِ تلقِّيه الوحيَ من عند اللَّه، وما دام هذا هو الموقفَ المبدئيَّ لهذه المزاعِمِ، فلن يستطيعَ القائلون بها فَهمَ ظاهرةِ الوحيِ، ولو طَبَّقْنا هذه المزاعمَ على جميعِ الأنبياءِ والمرسَلين لأَبْطَلْنا الأديانَ السماويةَ جميعًا.

وهذا الموقفُ ليس أمرًا جديدًا، فقد سَبَق لمشركي مكةَ أن اتَّخذوا موقفًا مماثلاً من محمدٍ ﷺ، كما اتخذ المعانِدون من أقوامِ الأنبياء السابقين مواقفَ مشابهة، والقرآنُ نفسُه يُخبرُنا أن محمدًا عليه الصلاة والسلام - والمرسَلين مِن قبلِه - قد وُجِّهت إليهم تُهمةُ الجنون من أقوامهم.

* ومن ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

* وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

* وقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤].

* وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

ولسنا هنا في حاجةٍ إلى مناقشةٍ مستفيضةٍ لأسطورتَي «الصرع والهستيريا»، فكلُّ مَن يعرفُ أعراضَ هذين المَرَضَينِ وما لهما من آثارٍ في

شخصيةِ المصابِ بأيٍّ منهما، ويَعرفُ السيرةَ الصحيحةَ لمحمدٍ ﷺ، يَعرفُ حتمًا أن هذه المزاعمَ لَغوٌ باطلٌ وافتراءٌ كاذبٌ لا يستحقُّ أن يأخذَه المرءُ مأخَذَ الجِدِّ.

وقد أساء المستشرقون ـ عن جَهلٍ أو عن عَمدٍ ـ فَهْمَ الظواهر التي كانت تُصاحبُ الوحيَ عند نزوله على النبي ﷺ من أنه ـ كما يقول الرسولُ ﷺ نفسه ـ كان يأتيه مِثلَ صَلصلةِ الجَرَس، وكما تقولُ عائشة ﵂: «رأيتُه يَنزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البَرْدِ، فيَفصِمُ عنه وإنَّ جَبينَه لَيتفصَّدُ عَرَقًا»، كما روىٰ ذلك البخاري في «صحيحه» في حديثٍ مشهور(١).

* **أساطيرُ العصرِ الوسيط في الغرب عن رسول الله ﷺ:**

◻ أسخفُ التصوُّراتِ الجنونيَّة، وأخبثُ الافتراءات سَوَّدَتْها أقلامُ الغربِ الكافر في العصر الوسيط عن رسول الله ﷺ . . ولله درُّ القائل:

والحقُّ أبلجُ لو يَبغُونُ رؤيتَه ... هيهات يُبصرُ مَن في ناظِرَيْه عَمَى
وصرخةُ الحقِّ تأباها مَسَامعُهم ... مَن يسمعِ الحقَّ منهم يَشتكي الصَّمَمَا

✍ محمدٌ سيِّدُ البَشَر ﷺ يَصِفُونه بأقبحِ الصِّفات، وهو النورُ الذي أضاء بهَديه وبقرآنه جَنَباتُ الكون، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

والنورُ هو محمدٌ ﷺ كما قال الطبري شيخ المفسرين. أشرق النور. . هَلَّ النور. . سطَع النور. . بزَغَ النور. . بثَق النور. . برَقَ النور. . أَبْرَقَ النور. . أضاء النور. . فاض النور. . بَدَا النور. . اتَّسَع النور. . تألَّق

(١) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص٩٣).

النور.. أَلِقَ النور.. ائتلَق النور.. تلألأ النور.. ظَهَر النور.. بَهَر النور.. لَمَع النور.. طَلَع النور.. أبلَجَ النور.. ازدَهَر النور.. زَهَا النور.. أزهَرَ النور.. سَفَر النور.. أسفَرَ النور.. انتَشَر النور.. أومَضَ النور.. سَنَا النور.. انفَجَر النور.. تهاطَل النور.. هيَطَل النور.. نَبَع النور.. شَفَا نورَ القلبِ والروحِ والجسد، وأزال عن البشريةِ آلامَها وكُدورَها، وأبرأ جِراحَها.. عندما أتىٰ رسولُ اللَّه ﷺ برسالته العظيمة.

✍ ولكنَّ خنازيرَ أوروبا وكلابَ الغَرب المسعورةَ يأتون بأقبحِ الأقوالِ وأسمجِ الأساطير عن رسول اللَّه ﷺ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].. أسطِّرُ ذلك والقلبُ ينفطرُ ألمًا وحياءً من رسول اللَّه ﷺ.. أُسطِّرُ ذلك إقامةً للحجَّة علىٰ صبيان الغرب.. الأغبياءِ الأقزامِ الذين يسيرون في فَلَك الغرب، ويُردِّدون كالببَّغاوات مقالتَهم.. ويَدَّعون أنهم لا يعرفون هذا الجانبَ القبيحَ المظلِمَ عن معتقداتِ الغربِ عن نبيِّنا ﷺ وافتراءاتِهم عليه.

*** اليهوديُّ الأسبانيُّ المتنصِّر بتروس ألفونسوس:**

حاولَ هذا اللئيمُ نقضَ القرآن في بدايةِ القرنِ الحادي عَشَر، وألَّف كتابًا بعنوان: «Forta litium Fidei».

*** الأب بطرس «الموقر» بل «الأحقر» وأباطيله:**

يُسمونه «الموقَّر»، وهذه جريمةٌ في حقِّ التاريخ، بل هو «الأحقر، والمُضلِّل، والكذَّاب، والدجَّال»، ولا يبقىٰ مكانٌ أبدًا لدىٰ عاقلٍ بوَصفه بالتوقير والاحترام، بل هو الذي ازداد كُفرًا فوقَ كُفرِه بتطاوُلِه الفجِّ القَذِر

على أطهرِ مَن مَشَىٰ على الأرضِ ﷺ.

بطرس الموقر (١٠٩٤ ـ ١١٥٦) هذا راهبٌ فِرنسيٌّ، ينتمي إلىٰ «جماعةِ الرهبانية البندكتية» التي شَيَّدت «دير كلوني» عام ٩١٠ في فرنسا، وكان بطرسُ رئيسًا لرهبان «كلوني».

وقد عَمِل «بطرس» في البداية علىٰ إنجازِ ترجمةٍ للقرآن إلىٰ اللغةِ اللاتينية، وتَمَّت هذه الترجمة عام ١١٤٣م علىٰ يد العالم الإنجليزي «روبرت أوف كيتون» بإيعازٍ من بطرس الموقَّر، وبالإضافةِ إلىٰ ذلك أَمَر بترجمةِ كتابيْن آخريْن، أحدهما عن سيرة النبي ﷺ، والثاني عَرضٌ للنقاط الأساسية في تعاليم العقيدة المحمدية في شكلِ حوار.

وأخيراً قام بتأليفِ أربعةِ كتبٍ «ضدَّ الزندقة البغيضة لطائفة المسلمين»، وهذه الأعمالُ التي قام بها هذا «الرجلُ الكلوني» المتحمِّس لا تَرسمُ مجردَ بدايةِ الجَدَلِ الأوروبيِّ ضدَّ الإسلام فحسب، بل أصبَحَتِ المصدَرَ الرئيسيَّ أيضًا للتصوَّرات غيرِ المعقولةِ التي صارت فيما بعدُ مألوفةً لدىٰ المسيحيين عن حياةِ محمدٍ وتعاليمه، وإلىٰ مؤلَّفات «بطرس الموقَّر» ترجعُ غالبيةُ المؤلَّفات الجَدَلِيةِ العديدةِ التي نشأت في العصر الوسيط ضدَّ الإسلام، سواءٌ أكانت نثرًا، أو في شكلٍ شِعريٍّ، أو في صيغةِ أخبارٍ وتقاريرَ حَولَ المناقشاتِ التي جرَت ـ زعمًا كان ذلك أو حقيقةً ـ بين رجالِ الدينِ المسيحيين والمحمَّديِّين، وفي هذه المناقشاتِ يَظهرُ محمدٌ ليس فقط نبيًّا زائفًا ومضلِّلاً، وإنما أيضًا محتالاً وَضيعًا ومِن عُشَّاق اللذة[1].

---

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١١٧).

❑ «ومِن بين التصوُّراتِ التي كانت منتشرةً بصفةٍ خاصةٍ: القولُ بأنَّ المحمَّديِّين لم يكونوا يُجلُّون محمداً لمجرَّدِ كونِه نبيَّهم ومؤسِّسَ دينِهم، بل كانوا يَعبُدونه بوصفِه يُمثِّلُ الألوهية، وبالإضافة إلى ذلك وُصفَ دينُ محمدٍ ـ على النقيضِ تماماً من الحقيقة التاريخية ـ بأنه دينُ الشِّرك وتعدُّدِ الألوهيَّة.

وقد اتُّهم المحمَّديُّون أيضاً ـ دون سَندٍ تاريخيٍّ ـ بأنهم يمارِسون عبادةَ التماثيل بطريقةٍ فَظَّة، وكذلك كان المَرءُ يَهْزأ من أُمِّيَّةِ النبيِّ، ويَسخرُ من الراعي السابق للإبل والحمير»[1] ـ كما يقول «بفانموللر» ـ.

* **تيوفانس البيزنطي «Theophanes»:**

صاحبُ أقدمِ التقاريرِ التاريخية عن نشأةِ الإسلام، وقد عَرَضه أمينُ المكتبة الروماني «أناستاسيوس» في كتابه عن تاريخ الكنيسة، وإلى هذا التقريرِ ترجعُ غالبيةُ الأساطير التي قِيلت عن محمدٍ ﷺ في العصر الوسيط.

وبعد ذلك قَدَّمت الحَمَلاتُ الصليبيةُ دافعاً جديداً، ومِن هنا اتَّخذت صورةُ محمدٍ باستمرارٍ لوناً أشنَّعَ مِن ذي قبل، وعُرِضت باستمرارٍ بصورةٍ أكثرَ فظاعة، ويُقدِّمُ لنا أولاً «جيبير النوجنتي Guibert de Nogent Sous Coucy» صورةً شاملةً، وكثيراً ما عُرِضت أسطورةُ محمدٍ أيضاً في صورٍ شِعرية، وهكذا قام «هيلديبرت» المنتسب إلى «ليمو Lemans» والذي كان

---

(١) لا يضير رسول اللّه ﷺ ما يقوله عنه أوباش الغرب، فقد قال رسول اللّه ﷺ: «ما بعث اللّه نبيًّا إلا رعى الغنم» رواه البخاري.

فيما بعدُ رئيسًا لأساقفةِ «تور Tours» (تُوفي عام ١١٣٣م) قام بكتابةِ تاريخِ محمدٍ في صورةٍ شعريةٍ معيَّنةٍ (Distichen) تتضمَّنُ ذكرياتٍ كلاسيكية، وقد ظَهرت فيما بعدُ قصيدةٌ مشـابِهة، وهي «أساطير محمد لدىٰ فالتيـري» (Otia Walteri de Mahomet) وعلىٰ هذه القصيدةُ اللاتينيةُ تعتمدُ اعتماداً تامًّا «رواية محمد» (Roman de Mahomet) التي كتبها «الكسندر دو بون du Pont)، وفي العَرضِ الذي قدمه لنا «أندريا داندولو الفينيسي Andrea Den-dolo» تتجمَّعُ عناصرُ الأساطيرِ البيزنطية عن محمد، مع الاختراعاتِ التي يجبُ أن تُوضَعَ علىٰ حسابِ خيالِ المحارِبين الصليبيين، وعلىٰ حسابِ قادتِهم الرُّوحيين.

ونحن نجدُ التجميعَ الكاملَ لكلِّ ما يتعلَّقُ بمحمدٍ من أساطيرَ وخرافاتٍ ومخترعاتٍ افترائيةٍ للعصر المسيحيِّ الوسيطِ في كتاب «فينسينز Vincenz» المنتسب إلىٰ «بوفيه Beauvais» والمسمَّىٰ «المرآة التاريخية Speculum histori-ale»[1].

* دانكونا D`ancona:

له بحثٌ نُشِر في العدد رقم (١٣) من المجلة التاريخية للآداب الإيطالية بعنوان «أسطورة محمد في الغرب»، ويرسمُ الكاتبُ صورةً لأسطورة محمدٍ ﷺ في الغرب، ويتناولُ «دانكونا» علىٰ وجهِ الخصوصِ التأثيرات المسيحيةِ علىٰ محمدٍ (الراهب بحيرَىٰ)، والأخبار المختلفة حولَ وفاةِ محمدٍ، ويُبيِّن «دانكونا» الوحدةَ المميزةَ لهذه الأساطيرِ منذ زمنِ المؤرِّخ

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١١٨ ـ ١١٩).

البيزنطي «تيوفانس Theophanus»، وطِبقًا لهذه الأساطير يَظهرُ محمدٌ على أنه «زنديق»، وأنه «آريوس» جديد أسوأ من «أريوس الأول»[(١)] .

(١) آريوس (٢٧٠ ـ ٣٣٦م) وُلد في الإسكندرية، وكان قسِّيسًا بها، وقد عارَضَ أسقفَ الإسكندرية الذي كان يذهب إلى القول بأن المسيحَ ابنُ اللَّه وأنه مساوٍ للآب وأنَّ له طبيعةً وذاتًا واحدةً مع الآب، وقد ذهب آريوس إلى القول بأن المسيحَ غيرُ مساوٍ للآب في الجَوهر والعظمة، وأنه مخلوقٌ بإرادة الآب حادثٌ غير أزلي. . إلخ. وقد تَبِع آريوسَ كثيرون، وعندما طُرد من الإسكندرية خَرج قاصداً فلسطين وسوريا، فتحزَّب له أساقفةٌ كثيرون في تلك الجهات، ولا سيِّما أسقُف «قيصرية» وغيرُه من أساقفة بيروت وصُور واللاذقية وغيرها.
وقد عُقدت عدةٌ مجامعَ كَنَسيَّة لمناقشةِ تعاليمه، منها «مَجمع الإسكندرية» عام ٣١٩، و«مجمع نيقية» عام ٣٢٥ بأمر الإمبراطور «قسطنطين»، و«مجمع القسطنطينية» عام ٣٣٦، وعلى الرغم من أن الغَلَبَةَ في النهاية استقرت لآراءِ مخالفيه الذي جَعلوا من المسيح إلهًا وقالوا بالتثليث، فإن تعاليمَه قد انتَشرت بعد موتِه أكثرَ ممَّا انتَشَرت في حياته، واعتَنق الملكُ «قسطنس» خليفة «قسطنطين» آراء آريوس، وقد أمَرَ «قسطنس» بعَقد «مجمع» في مديولان «ميلان» حَضَره أكثرُ من ثلاثمئة أسقف، وتبيَّن أن أكثريةَ الآراءِ فيه كانت للآريوسيين، وقد بَقِيت التعاليمُ الآريوسيةُ ممتدَّةً في أسبانيا والولاياتِ الجِرمانية أكثرَ من ثلاثة قرون.
ولكن عندما وَقع الانشقاقُ بين الآريوسيين وانقَسموا إلى فِرَقٍ عديدةٍ ضَعُفت قوتُّهم، وتمكَّن منهم خصومُهم، وفي أيام «ثيودوسيوس الثاني» صَدَر الأمرُ باستئصالِ الآريوسيين وإبادتهم، وكان ذلك في عام ٤٢٨م، ويقال: إن «سرفتس» أحيا تعاليم الآريوسية في القرن السادس عشر، فذاعت هذه التعاليمُ، وسبَّبت إزعاجًا للكنيسة التي سارعت بالقضاء على معتنقيها (راجع «دائرة المعارف للبستاني»).
والأمرُ الجديرُ بالذكر هو أن الرأيَ الذي كان يقولُ به آريوس هو الرأيُ الذي يَعتبرُه القرآنُ الكريمُ العقيدةَ المسيحيةَ الصحيحةَ التي ترفضُ التثليثَ وترفضُ ألوهيةَ المسيح، ومِن هنا جاء هذا الاتهامُ الموجَّهُ إلى محمدٍ ﷺ بأنه آريوس جديد؛ لأنه أكَّد بنصِّ القرآنِ بشريةَ المسيح ورَفَض ما عدا ذلك من تعاليمَ مصطنعة.

وأسطورتُه تَنهجُ نهجَ أسطورةِ الزنادقةِ الكَنَسِيِّين الكبار من أمثال «سيمون ماجوس S. Magus» أو «نيكولاوس Nikolaus».

وتُضيف المؤلَّفاتُ الشعبيةُ إلىٰ ذلك افتراءاتٍ شنيعةً، وأنَّ محمَّدًا ﷺ لَمَّا حِيل بينه وبين مَنصبِ «البابوية» الذي يستحِقُّه، تَحوَّل إلىٰ مُنشَقٍّ علىٰ الكَنيسة، وهذه أسطورةٌ مضحِكةٌ لا تستحقُّ الوقوفَ عندها.

ويُصبحُ محمدٌ ﷺ عند هؤلاء الأوباش مشابهًا لـ «نيكولاوس» و«بلاجيوس Pelagins»، أجل، فالبعضُ كان يرىٰ أنَّ الإسلامَ قد انبَثَق من النزاعاتِ الداخليةِ الخبيثةِ للكرادلة الرومانيين! وأخيرًا تبقىٰ الأسطورةُ عند موت محمدٍ، مع إحساسٍ بنوعٍ خاصٍّ من الغبطة، فالخنازيرُ قد التهمته وهو في حالة سُكر! ولهذا السبب أصبح أكلُ لحمِ الخنزيرِ محرمًا لدىٰ المحمَّديين ـ أي: المسلمين ـ[1].

هكذا يَروي أوباشُ الغرب وكُتَّابُهم ومُفكِّروهم بشَغفٍ قصةَ موتِ النبيِّ محمدٍ ﷺ الذي يُرثىٰ له، فالخنازيرُ قد وَجَدَتْه مخمورًا فوقَ كَومةٍ من القمامة فالتهمته!!!! هكذا يزوِّرون التاريخَ ويزيِّفونه.. وقد كان موتُ النبيِّ ﷺ أطيبَ موتٍ وأعطَرَه وأطهَرَه مثلما كانت حياتُه ﷺ:

قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ... ويُنكر الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ

* ر. شرودر R.Schroeder:

أما «ر. شرودر»، فإنه قد جَمَع الخطوطَ الرئيسيةَ لأُسطورةِ محمدٍ في

(١) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٢٢).

العصر الوسيط، كما تتمثَّلُ في الشِّعر الفرنسي القديم، وذلك في كتابه الذي صَدَر بالألمانية عام ١٨٨٦ بعنوان «العقيدة والخرافة في الأشعار الفرنسية».

وحسبما وَرَد في هذا الشعر، فإن محمدًا وَحده هو صاحبُ نظرية التعدُّدِ في الألوهية بكاملِها، تلك النظريةُ التي يقولُ بها المسلمون، وفي الأساطير الشعبيةِ الأصيلةِ لا يَظهرُ محمدٌ أبدًا بوصفه «نبيًّا»، وإنما يَظهرُ باستمرارٍ بوصفه «إلها»، وعلىٰ وجهِ التحديد بوصفه أعظمَ وأقوىٰ الآلهةِ الوثنية، وقبل أن يتحوَّل محمدٌ إلىٰ هذا الاعتقادِ كان مسيحيًّا مؤمنًا، وكان هو نفسُه يؤمنُ بعقيدةِ «الخلاص» المسيحية.

ويُعَدُّ محمدٌ لدىٰ الوثنيِّين (أي: المسلمين!!!) خالقَ هذا العالَم وحافظَه، وتَحدُثُ عبادتُه بطبيعة الحال في شَكلِ عبادةِ التماثيل، هذا الشكلُ الذي اعتادَتْه جماعةُ المحمديين، وكما هو الحالُ مع إلهِ المسيحيين فإنَّ محمدًا محاطٌ أيضًا في السماء بالقدِّسين، ومثلما تُعَدُّ القُدسُ مدينةً مقدَّسةً بالنسبةِ للمسيحيين، فكذلك تُعدُّ مكةُ مدينةً مقدسةً بالنسبة للوثنيين، حيث يوجدُ داخلَ أسوارِها قَبرُ إلههم. أما العيدُ الكبيرُ السنويُّ الذي يُقامُ لتمجيدِ محمدٍ، فيُوصَفُ بأنه يتوافقُ مع «عيدِ الفِصح».

وأشدُّ التناقضاتِ بين المؤسَّسات المسيحية والوثنية تتمثَّلُ في رأي الجانبين في الزواج، والمحمَّديُّون يكرهون إلهَ المسيحيين، وكذلك لا تَعرفُ كراهيةُ المسيحيِّين لأتباعِ محمدٍ حُدودًا تقفُ عندها، فالمسيحيون يُشكِّكون بشتَّىٰ الطُّرقِ الممكنةِ في طهارةِ محمدٍ من الذنوب أثناءَ حياته الأرضية،

(١) المصدر السابق (ص١٢٤).

وتَروي بشَغَفٍ خاصٍّ قصةَ موتهِ الذي يُرثىٰ له[١] .

* دُوتيه Doutte :

يتناولُ «دوتيه» في كتابه بالفرنسية «محمد الكاردينال» الصادرِ في باريس عام ١٨٩٩ الخرافةَ التي انتشَرَت انتشاراً واسعًا في العصرِ الوسيط والتي تقولُ بأنَّ محمداً كان في الأصلِ «كاردينالاً رومانيًّا» يسعىٰ للحصول علىٰ تاجِ البابوية، ولكنه عندما فَشَل في الحصول عليه أسَّس الطائفة المحمديَّة، وصَرَف آلافًا كثيرةً من النفوسِ عن المسيحية[٢] .

* باسيه Basset :

باسيه مستشرقٌ فِرنسيٌّ (١٨٥٥ ـ ١٩٢٤)، له العديدُ من الأبحاثِ والدراساتِ الإسلامية والعربيَّة، ورأَسَ مؤتمرَ المستشرقين بالجزائر عام ١٩٠٥، وأسهَمَ في دائرة المعارف الإسلاميَّة، وله بحثٌ بعنوان «هرقل ومحمد» نشره عام ١٩٠٣ في مجلة العلماء من (ص٣٩١ـ٤٠٢) تناول فيه أسطورةً أخرىٰ عن محمدٍ، كانت هي الأخرىٰ منتشرةً أيضًا انتشاراً واسعًا في العصر الوسيط، وتقولُ هذه الأسطورةُ: إنَّ القيصرَ «كارل الكبير» قام بتحطيمِ كلِّ تماثيلِ الآلهةِ التي كانت قائمةً في «أسبانيا» ما عدا تمثالاً واحدًا فقط كان موجوداً في «قادس Cadiz»[٣] ويَروي المسلمون أن محمداً نفسَه قد قام بعملِ هذا التمثالِ أثناءَ حياتِه باسمه هو، وأنه بفضل ما لديه من فنٍّ

(١) المصدر السابق (ص١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) «الإسلام في تصورات االغرب» (ص١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) قادس: مدينة أسبانية هي عاصمة إقليم قادس.

سِحريٍّ قام بحبسِ كتيبةٍ من الجنِّ بداخله، وقد عَملت هذه الكتيبةُ - بما لها من تأثيرٍ - على مَنعِ تحطيمِ هذا التمثالِ من جانبِ أيِّ أحدٍ يريدُ تحطيمَه.

وقد أثبت «باسيه» بالتفصيل انتشارَ هذه الأسطورةِ في المصادر المسيحية والعربية والأسكندنافية، وبَرهَنَ على أن الأمرَ هنا يدورُ - على الأرجح - في الأصل حولَ تمثالٍ لهرقلَ ظنَّ المحمَّديون خطأً أنه يرمزُ إلى محمد! ثم انتَقلت الأسطورةُ عن طريقِ المسلمين إلى المسيحيين في أسبانيا، ومن هناك تسربَّت إلى الأدب الفرنسيِّ في العصر الوسيط.

◻ قال الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصوُّرات الغرب»: «إذا رُويت هذه الأساطيرُ على ألسنةِ الغربيِّين، ودُوِّنت في مؤلَّفاتهم، فهذا أمرٌ مفهومٌ، وقد اعتدنا عليه، أمَّا أن يُقالَ: إن المسلمين أنفسَهم قد قالوا بهذا الهُراء، وإن مصادرَهم قد دُوِّن فيها هذا الباطلُ، فهذا أمرٌ لا يمكنُ تصديقُه، وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ أهمُّها ما يأتي:

أولاً: المسلمون يَعرِفون تمامًا أن النبيَّ ﷺ قد حَرَّم التماثيل لأنها تُذكِّرُ بالأصنام من ناحية؛ ولأن فيها محاكاةً لخَلق اللَّهِ من ناحيةٍ أخرى، وقد وَرَد في هذا الصددِ العديدُ من الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه تماثيلُ أو تصاوير**»، وقوله: «**يا عائشة: أشدُّ الناسِ عذابًا عند اللَّه يومَ القيامة الذين يُضاهُون بخَلق اللَّه**»، وفي روايةٍ أخرى: «**الذين يُشبِّهون بخَلقِ اللَّه**».

فهل يُعقلُ - بعد هذا التحذير الشديدِ - أنْ يَنسِبَ المسلمون إلى نبيِّهم أنه

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٢٦ - ١٢٧).

صَنَع لنفسه تمثالاً أو أوعَزَ بصُنعِه؟ وقد يقال: إن بعضَ العلماءِ في العصرِ الحديث قد قال بتأويلِ مثل هذه الأحاديث، ولكنَّ هذا التأويلَ لم يكن بالقطعِ قائمًا لدى المسلمين في الأندلس. -

ثانيًا: المسلمون يتحرَّجون حتى اليوم - بعد مرورِ أكثرَ من أربعةَ عَشَرَ قرنًا على ظهورِ الإسلام - من مجردِ ظهورِ شخصياتٍ تمثل أدوار أحدٍ من الصحابة في مشاهدَ هادفة، ناهيك عن إقامةِ تماثيلَ لهم، فما بالُك إذا كان الأمرُ يتعلَّقُ بالنبيِّ ﷺ؟! وإذا كان هذا شأنَ المسلمين اليومَ حيث تنتشرُ التماثيلُ في كلِّ مكان، وحيثُ أصبَحَ التمثيلُ أمرًا مألوفًا، فما بالُك بالمسلمين منذ قرونٍ عديدة، وفي بلادٍ أحرقت كتاب «الإحياء» للغزالي ظنًّا منها أنه ربُّما يحمل أفكارًا فلسفيةً لا يَرضى عنها الإسلام؟!.

إنَّ الأمرَ الأقربَ إلى المعقول هو أنَّ هناك أسطورةً كانت قائمةً قبلَ أن يدخلَ المسلمون إلى هذه البلاد، ثم حَوَّرها الأوروبيُّون أنفسُهم - وإيمانُهم بالأساطيرِ كان شديدًا في العصرِ الوسيط -، وروَّجوها على ألسِنَةِ المسلمين»[1].

هذه مَورُوثاتُ وتصوُّراتُ العصورِ الوسطى عن رسول الله ﷺ، ولا يزالُ الغربيُّون الصليبيُّون أسرى هذه التصوُّرات والأساطيرِ والتجنِّي الواضحِ على رسول الله ﷺ.

لقد بَلَغ ما كَتَبه المستشرقون عن الإسلام في قرنٍ ونصفٍ (منذ أوائل القرن التاسعَ عَشَرَ حتى منتصفِ القرن العشرين) نحوَ ستِّينَ ألفَ

(١) المصدر السابق (ص١٢٧).

كتابٍ[1] مُعظمُها يَطفحُ بالعَداء لنبيِّ الإسلام ﷺ وأتباعِه، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

◻ قال «كارلايل»: «إنَّ الأكاذيبَ التي عَمِل على تراكُمها الحماسُ المنبعثُ بحُسنِ نيَّةٍ حولَ محمدٍ لا تَسُبُّ أحداً غيرَنا»[2].

وتعالَ معيَ مرةً ثانيةً لنتابعَ ما يقولُه الصليبيُّون عن رسول اللَّه ﷺ:

* كريل:

◻ يقول هذا المأفونُ: «يجبُ أن يعترفَ المَرءُ بأنَّ محمداً كان ـ رَغْمَ كلِّ أخطائه ـ مؤسِّسَ المدنيَّةِ العربيَّة، وأنه قد وَضَع شَعْبَه على دَرجةٍ عُلْيا من التديُّن»[3].

فأيَّةُ أخطاءٍ كانت للمعصومِ سيِّدِ ولدِ آدمَ ﷺ الذي أقسَمَ اللَّهُ بحياته؟!.

* ألكسندر دوبون:

في الرواية التي كتبها «الكسندر دوبون A. du Pont» عن محمد «Romande Mahomet»، يَظهَرُ محمدٌ بوصفِه أحدَ قُطَّاعِ الطُّرُق، وقد أصابه مَسٌّ من الشيطان، ويقومُ بفعلِ كلِّ نوعٍ من أنواعِ الأفعالِ الدنيئةِ والتضليل[4].

---

(١) انظر «الاستشراق» لإدوارد سعيد (ص٣٩) ترجمة كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت، و«الإسلام في تصوُّرات الغرب».

(٢) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٣٠).

(٣) المصدر السابق (ص١٣١).

(٤) المصدر السابق (ص٩٥ ـ ٩٦).

□ وظَهر دَجَلُ الصليبيين وسُوءُ طَوِيَّتِهم وقُبحُ ما يُكِنُّونَه للنبي ﷺ في كتاب «القانون لدىٰ المسلمين Livrede La Loi au sarrasin» فإنه يتضمَّنُ أكثَرَ خرافاتِ المسلمين زِرايةً - كما يدَّعي الغربُ الصليبيُّ -، ويجعلون من رسول اللَّه ﷺ نبيًّا مزَيَّفًا، وزنديقًا مارقًا، وجعلوا منه كاردنيالاً أسلمَ نفسَه للشيطان ليأسِهِ من أن يَظفَرَ بمنصبِ «البابا»! وقد كان حُكمُ العصرِ علىٰ شخصية محمدٍ كلِّها هو الانغماسُ في المُتَعِ والخديعة[1] .

* دوريبه Du Ryer :

تُعَدُّ ترجمةُ دوريبه للقرآن التي ظَهرت عام ١٦٤٧ أولَ ترجمةٍ فرنسيةٍ للقرآن، وقد عَمِلَ دوريبه مدةً طويلةً قُنصلاً لبلاده في مصر، وهناك تَعلَّم العربية، وقد طُبعت هذه الترجمةُ مرَّاتٍ عديدةً علىٰ مَدىٰ قرنٍ ونصفٍ، وأقبل الناسُ علىٰ قِراءتها إقبالاً كبيرًا، ولم يكن «دوريبه» منصِفًا للإسلام بأيِّ حالٍ من الأحوال، وقد ظلَّت ترجمتُه تمارِسُ تأثيرَها الأسودَ في عقولِ الغربيِّين، حتىٰ قام «سافاري» بإنجازِ ترجمةٍ فرنسيةٍ أخرىٰ للقرآن ظهرت عام ١٧٨٣م[2] .

* بليس بسكال Blaise Pascal (١٦٢٣ - ١٦٦٢م):

هو الفيلسوفُ الفرنسيُّ المعروف، وقد صَدَر كتابُه «خواطر حول الدين» (Pensees sur la religion) في باريس عام ١٦٧٠، وقد كان «بسكال» يرىٰ في محمدٍ العدوَّ اللدودَ للكنيسة، ولهذا كان حريصًا كلَّ الحرصِ علىٰ

(١) المصدر نفسه (ص٩٦).
(٢) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص٩٧).

محاربتِه، ففي كتابِه السابقِ يتناول محمداً ﷺ في تِسْعِ شَذَراتٍ من بينِ الشَّذَرات التي يَضُمُّها هذا الكتاب، ويَعقِدُ في أحدِها مقارنةً بين محمدٍ والمسيح، يقول فيها: «إن محمداً لم يَجْرِ التنبؤُ بظهورِه في «العهدِ القديم» في حينِ جرىٰ التنبؤُ بظهور المسيح، ومحمدٌ كان يقترفُ القتلَ في حين كان المسيحُ يَدَعُ أتباعَه يُقتلون، ومحمدٌ كان يُحرِّمُ القراءةَ في حين كان الحواريُّون يأمُرون بالقراءة، ومحمدٌ صادف نجاحًا دنيويًّا، في حين كان المسيحُ مغلوبًا علىٰ أمرِه، وانتهىٰ به الأمرُ إلىٰ الصلب. . » إلخ.

وكان «بسكال» يَفتقِدُ لدىٰ محمدٍ عدمَ إتيانِه بالمعجزات، كما أنَّ تعاليمَه لم تشتملُ علىٰ أسرارٍ (كما هو الشأن في المسيحية)، ويُنكر «بسكال» علىٰ محمدٍ الأخلاقَ «السيئة» التي أتىٰ بها، كما يُنكِرُ عليه تصوُّراتِه الحسِّيَّةَ للجنة، ويقول: «إنه لم يَجِدْ في هذا الدينِ سببًا يحملُه علىٰ قبولِه؛ لأنه دينٌ ليس فيه أيُّ أمارةٍ من أماراتِ الحقيقة» (راجع بفانموللر ص١٤٩).

هذا هو «بسكال» الفيلسوف، والفلسفةُ تعني البحثَ عن الحقيقة ـ كما يدَّعون ـ وتَعني التجرُّدَ التامَّ والنزاهةَ والموضوعية، وتَرفُضُ التقليدَ وقبولَ الأحكام المسبَّقة، ولكنَّ «بسكال» كان في موقفِه من الإسلام ونبيِّه يَفتقدُ كلَّ هذه الصفات، وبَرهَنَ علىٰ جَهلٍ فاضحٍ، وراح يتبنَّىٰ الآراءَ الكاذبةَ السائدةَ حينَذاك حولَ الإسلام ونبيِّه، شأنُه في ذلك شأنُ رجلِ الشارع، فأساء لنفسِه وللفلسفةِ وللحقيقةِ بصفةٍ عامة[١].

أساطيرُ وأكاذيبُ ومزاعمُ وشتائمُ ووقاحةٌ وتطاولٌ وتسفُّلٌ من مفكِّري

(١) المصدر السابق (ص٩٧ ـ ٩٨).

الغرب على السِّراج المنير ﷺ، ثم بَعد هذا يدَّعون العلمَ والمعرفة.. ألاَ شاهت الوجوهُ النَّكِدةُ، وزُبالاتُ الأذهانِ العَفِنة، وانتكاسُ الفطرة.

◻ وفي أثناء العصر الوسيط كلِّه، وكذلك في القرنَيْن السادسَ عَشَرَ والسابعَ عَشَر، كان الحُكمُ على محمدٍ حُكْمًا سيِّئًا إلى أبعدِ الحدود، إذ يُوصَفُ بأنه «دجَّال» و«نبيٌّ مُزَيف»، و«مؤسِّسُ طائفةٍ» وتجسيد لشتَّى ألوانِ الرذائلِ والمنكرات[1].

* تور أندريه Tor Andrae (١٨٨٥-١٩٤٧):

تور أندريه مستشرقٌ سويدي.. عَمِل أستاذًا للعلوم الدينيَّة في جامعتَي «استوكهلم»، و«أوبساله»، ومن مؤلَّفاته: «مَن هو محمد؟» و«شخصُ محمدٍ في تعاليمِ وعقيدةِ أتباعِهِ» وهو رسالةُ الدكتوراة التي تقدَّم بها إلى جامعة «استوكهلم» عام ١٩١٧م، وقد تُرجم هذا الكتابُ إلى الإيطالية والإنجليزية والألمانية.

◻ يقولُ هذا المُفترِي: إنَّ «التغييرَ غيرَ المتوقَّعِ لظروف - رسول اللَّه ﷺ - الخارجيَّة - وبصفةٍ خاصَّةٍ انتصارُه في بدر - كان له تأثيرٌ قويٌّ على وَعي النبيِّ باصطفائه، وأخيرًا أصبح الوحيُ الذي كان يَظهرُ في البدايةِ بوصفه تأثيرًا من جِهةٍ عُليا فوقَ التشخُّص - دونَ أن يكونَ ذا صِلَةٍ واعيةٍ بحياةِ النبيِّ النفسيَّة - أصبح بالتدريج يأتيه أيضًا مرتبطًا بوعيٍ عاديٍّ، وهذا الارتباطُ جَعل الوحيَ أخيرًا واقعًا إلى حدٍّ ما تحتَ مراقبةٍ نفسيَّةٍ، وهكذا وَصل الأمرُ بالنبيِّ بالتدريجِ إلى الحدِّ الذي جَعله يَعتبرُ ما يبدُو له من أفكارٍ وقراراتٍ

---

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٠٤).

على أنها وحيُ اللَّه، ويتحدَّثُ عن اللَّهِ ورسولِه حديثًا يكادُ يجعلُهما في مكانةٍ واحدة»[١] .

وهذا واللَّه عَينُ الكَذبِ على النبيِّ ﷺ، واتهامٌ له ـ حاشاه ـ بالكَذبِ على اللَّه، إذ يَنسِبُ إليه ما لَم يَقُلْه . . وإنكارٌ للوحي بُرمَّته.

□ ويقول هذا الدجَّال المفتَري: «وكنتيجةٍ للتطوُّرِ الذي وَصَل إليه الوعيُ النبويُّ لدىٰ محمدٍ بتأثيرٍ من انتصاراتِه العظيمةِ، نَجِدُ الاقتناعَ لديه بأن رسالتَه جاءت عامةً للعالَم كلِّه، وأنَّ دِينَه قد قُدِّر له أن يُحقِّقَ النصرَ علىٰ كلِّ الديانات الأخرىٰ، وأنه هو نفسُه «خاتم النبيين»، وأفضلُ الأنبياءِ وآخِرُهم، وأنه كان مَقصِدَ تطوُّرِ النبوَّةِ كلِّه في حقيقةِ الأمر، وعلىٰ هذا النحوِ كان في وُسعِ التقديس الذي نشأ فيما بعدُ للنبيِّ أن يَجِدَ في الواقع أيضًا نِقاطَ ارتباطٍ معينةٍ في الشهاداتِ الذاتيةِ لمحمد»[٢] .

✍ وهذا أيضًا عينُ الكذبِ وصريحُه. . فعموميةُ رسالتِه للعالَمين كانت وحيًا من اللَّه لا لانتصاراتِه ﷺ الخارجية.

□ ويَكذِبُ الدجَّالُ «أندريه» ويتكلَّمُ في الفصلِ الأولِ عن نشأةِ «أسطورة النبي» وكيف كانت بصفةٍ خاصةٍ عملاً من أعمالِ القُصَّاص، وهم أولئك الذين احتَرفوا مِهنةَ حكايةِ الأساطير، وتُصادفُنا آثارُ نشاطِهم في كتاب ابنِ إسحاق، فحياةُ محمدٍ كلُّها يُتْمُّ نَسجَها هكذا بالتدريج في شَبكةٍ من المعجزات، ويَبسُطُ «أندريه» القولَ بوجهٍ خاصٍّ في قصةِ ميلادِ محمدٍ والمعراج، ومعجزاتِ الطعام والماء، ومعجزة الشفاء، وشقِّ الصدر،

---
(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٠٥).
(٢) المصدر السابق (ص١٠٦ـ١٠٧).

وانشقاقِ القمر . . والمصدرُ الرئيسيُّ لهذا المعجزات هو أساطيرُ وأقاصيصُ دوائرِ الحضارة الهللينية[١] وبعدَ مَضِيٍّ بعضِ الوقتِ (على أعمال القُصَّاص) ظهرت مؤلَّفاتٌ حولَ معجزاتِ محمد، وقد حَظِيت هذه المؤلَّفات أيضًا بعرضٍ تفصيليٍّ من جانبِ «أندريه». . ».

يَستكثر «أندريه»، ويُنكِرُ المعجزات، وهم يَرَون ألوانًا شتَّى من الأقاصيصِ والغرائبِ عن حياةِ القدِّيسينَ المسيحيِّين، ويُسارعُ بردِّ المعجزات وقَصَصِها إلى الحضارة اليونانية، فأيُّ منطقٍ هذا؟ وأين وكيف اتَّصل هؤلاءِ «القُصَّاصُ» الذين رَوىٰ عنهم ابنُ إسحاقَ هذه المعجزاتِ بالحضارة اليونانية؟!.

❑ ويَجعل «أندريه» مفهومَ الوحي ضمنَ العناصرِ التي دَخلت إلى الإسلام «السُّنِّي» بتأثيرٍ شيعيٍّ. . فالمعروفُ أن مفهومَ الوحي مفهومٌ قرآنيٌّ خالص قبلَ ظهورِ الفِرَق!!.

*** التراجمُ الحديثةُ لسيرة الرسولِ محمدٍ ﷺ عند الغرب:**

*** ميشيل بوديه Michael Baudier:**

يَرجعُ الفضلُ إلى «ميشيل بوديه»[٢] في أنه أولُ مَن قام بوضعِ وصفٍ شاملٍ لحياةِ محمدٍ بدلاً من الكتاباتِ الجَدَليَّةِ الكَنَسية، وقد كان «بوديه»

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٨).

(٢) صدر كتاب «بوديه» بالفرنسة في باريس عام ١٦٢٥ و١٦٣٢ ثم بعد ذلك بأكثر من قرن من الزمان في عام ١٧٤١ تحت العنوان التالي: (Histoire de la religion des Turcs avec la naissance, la vie et la mort de leur faux prophete Mahomet).

بالنسبة لعصره ـ على أيِّ حالٍ ـ مؤرِّخًا معتَبَرًا، كما كان كاتبًا شعبيًّا، ويَدينُ له الجمهورُ الفرنسيُّ بالفضلِ لكتابِه الذي استطاع أن يُعرِّفَه فيه بالإسلام، ويُباهِي «بودييه» بحقٍّ بأنه أولُ مَن جَمَع هذه المادةَ «المتعلقة بحياة محمد»، وذلك في كتابه «تاريخ ديانةِ الأتراك ومولدِ وحياةِ ووفاةِ نبيِّهم المزيَّف محمد» الصادرِ في باريس ١٦٢٥، وقد أعيد طبعُه عام ١٦٣٢، وعام ١٧٤١، وقد كان «بودييه» أولَ مَن قام بتأليف مسيرةٍ لمحمد بالفرنسية، وكان لكتابِه تأثيرٌ يفوقُ الوصفَ على التصوُّرات الغربيةِ عن الإسلام وعن محمد ﷺ، ولم يكن هذا العملُ ـ على وجهِ اليقين ـ عملاً محايداً، فقد كانت غايةُ «بودييه» هي «الكشف عن أباطيل ورذائلِ نبيِّ الأتراك وفُحشِه وخدائعِ محمدٍ وزَيفِ طائفتِه، والكشفُ عن تضليله وتفاهةِ طائفتِه وتعاليمه المضحِكة والوحشية».

وقد كان «بودييه» كاثوليكيًّا متدينًا، يستقي معلوماتِه من مصادرَ كَنَسيَّةٍ فقط، وكان يَنقُلُ عنها دونَ نقد، وبفضلِ كتاباته لم يَرَ القرنُ السابعَ عَشَرَ في محمدٍ إلاَّ دجَّالاً أو مُضلِّلاً، ولم تكن لدى هذا القرنِ إلاَّ الرغبةُ في دَفنِ محمدٍ تحتَ أكوامٍ من النَّقضِ والتفنيد.

ولقد أُغرِمَ «بودييه» بوَصفِ أعمالِ السَّلبِ والنَّهبِ والقَسوةِ والفجورِ مِن جانبِ النبيِّ ـ كما يدَّعي هذا الكذَّابُ الأشر ـ.

❑ وتحت عنوان «إلحاديات محمد» يصف «بودييه» بإسهابٍ المواضعَ القرآنيةَ التي أفسد فيها النبيُّ الزائفُ ـ حاشاه ـ الديانةَ المسيحية، ولكي يَجعلَ «بودييه» الخديعةَ أو التضليلَ واضحًا بقَدْرِ الإمكان أمامَ الجمهورِ، فإنه

يَقتبسُ آياتٍ من القرآن بجانبِ نصوصٍ من الكتاب المقدَّس[١] .

✍ ونقول لهذا المفترِي: موعدُك مع محمدٍ ﷺ يومَ القيامة . . واللَّهُ الموعد . . يومَ أنَ ينادىٰ علىٰ رؤوس الأشهادِ: ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

* هوتنجر Hottinger :

في كتابه «تاريخ الشرق»[٢] «Historia Orientalis» حاول المستشرقُ السويسري «يوهان هينريش هوتنجر» (١٦٢٠ ـ ١٦٦٧) الذي تَخرَّج بوصفِه مستشرقًا في كلٍّ مِن «جروننجن وليدن»، ثم أصبح أستاذًا لتاريخِ الكنيسةِ واللغاتِ الشرقية في «زيوريخ» أنْ يتكلَّم عن تاريخ العرب بوجهٍ عامٍّ وتاريخِ الرسول ﷺ بوجهٍ خاصٍّ .

ويرىٰ «هوتنجر» في مقدمة كتابه أنَّ من الضروريِّ أنه يجبُ عليه أن يعتذرَ لقيامه بتقديمِ عرضٍ لحياة محمدٍ وتعاليمه، ولكي يبرِّرَ عَمَلَه هذا يَستشهدُ بعلماءَ من أمثال «بوللينجر Bullimger» و«ميكونيوس Myconius» و«ببلياندر Bibliander»، وكذلك يَستشهدُ بالشخصياتِ المعاصرةِ الشهيرةِ من أمثال «لامبرور L`Empreur» الأستاذِ بجامعة «ليدن» .

ويريد «هوتنجر» أنْ يُسْهِمَ في محاربةِ خيانةِ المحمَّدِيِّين وغَدرِهم ومحاربةِ السيادةِ التركية، ويَعتقدُ «هوتنجر» أن تفنيدَ الديانةِ التركيَّة يُعَدُّ أيضًا بمثابةِ توجيهِ ضربةٍ للسيادةِ التركية[٣] .

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٢) صدر الكتاب عام ١٦٥١م وأُعيد نشره عام ١٦٦٠ .
(٣) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٣٥ ـ ١٣٦) .

* ألكسندر روس A. Ross :

بعد ظهور كتاب «هوتنجر» «تاريخ الشرق» بعامين ظَهر في «إنجلترا» في عام ١٦٥٣ أولُ كتابٍ في تاريخ الأديانِ العامِّ، من تأليف «ألكسندر روس» تحت عُنوان «التقديس الشامل» أو «Pansebeia»، وقد تُرجم أيضًا إلى الألمانية بعد ذلك بخَمْسَةَ عَشَرَ عامًا تحت عنوان «العبادات المتباينة في العالَم كلِّه».

ولا يُنكرُ «روس» في كتابه «أنَّ محمَّدًا كان عَدُوًّا للمسيح!! لإتيانه بتعاليمَ قام بترويجها تُعارِضُ ألوهيةَ المسيح»[1] .

* ديدرو Didedro (١٧١٣ - ١٧٨٤):

«دينيه ديدرو» أحدُ أعلامِ الكُتَّابِ في عصرِ التنوير الفِرنسيِّ، كان رئيسَ تحريرِ دائرة المعارف الفرنسيَّة الشهيرة، ومؤلِّفَ العديدِ من مقالاتها.

في كتابه «رسائل إلى صوفي فولاند» وَصَفَ النبيَّ ﷺ بأنه «كان أفضلَ صَديقٍ للنساء، وأكبرَ عدوٍّ للعقل»، بجانب وصفِه له بعد ذلك بأنه «مُشَرِّعٌ ماهر، ورسولٌ من رُسُلِ الفضيلة»، وهذا يدلُّ على التخبُّطِ والتناقضِ؛ إذ كيف يُوصَفُ المُشَرِّعُ الماهرُ الداعي إلى الفضيلةِ بأنه عدوٌّ للعقل؟!![2] .

(١) «الإسلام في تصورات العزب» (ص١٣٦ - ١٣٧).

(٢) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٤٣).

* ليسنج «جوتهولد إفرايم» (١٧٢٩ - ١٧٧٨):

من أعظمِ أدباءِ ألمانيا في القرن الثامنَ عَشَر.

□ في «شذرات فولفنبوتل» يُرجعُ «ليسنج» تعاليمَ محمدٍ إلىٰ الدينِ الطبيعيِّ كما فعل «ليبنتز»: «صحيحٌ أن قرآنَ محمدٍ والعقيدةَ التركيةَ لهما لدينا سُمعةٌ سيئة، وليس ذلك فقط لأنَّ مؤسِّسَ هذا الدينِ قد استَخدم التضليلَ والعُنف، بل لأنَّ هناك أيضًا (في هذه العقيدة) كثيرًا من الحماقاتِ والأضاليلِ مختلِطةً ببعضِ العاداتِ الخارجيةِ الوافدةِ التي لا ضرورةَ لها، ولستُ أريدُ أيضًا أن أتحدَّثَ باسمِه - أي باسمِ محمد -، وأقلُّ من ذلك كثيرًا أن أرفعَ من شأنِه علىٰ حساب الديانة المسيحية، ولكنِّي علىٰ يقينٍ من أن هناك مِن بين مَن يُحَمِّلون الديانةَ التركيةَ مسؤولية هذا أو ذاك من الأخطاءِ قلَّةً قليلةً جدًّا ممَّن اطَّلع علىٰ القرآن، وأن هناك أيضًا قلةً قليلةً جدًّا مِن بين هؤلاءِ الذين قرؤوه كان لديهم القصدُ لإعطاءِ كلماتِ القرآن معنًىٰ معقولاً يمكنُ للمرءِ أن يَفهَمه، وفي وُسعي - إذا كان هذا مَقصِدي الأساسي - أن أُبيِّنَ أفضلَ ما في الدينِ الطبيعيِّ من القرآنِ معروضًا بوضوحٍ ومُعبِّرًا عنه إلىٰ حدٍّ ما تعبيرًا جميلاً»[1].

* جُوته Goethe:

«يُوهان فولفجانج فون جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢) يُعَدُّ أعظمَ شعراءِ ألمانيا علىٰ الإطلاق.

(١) المصدر السابق (ص١٤٥، ١٤٦).

❏ يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٤٧): «كان منصفًا للشرقِ وللإسلام ونبيِّه ﷺ، وقرأ القرآنَ وتأثَّر به واقتَبَس منه الكثيرَ، وبخاصةٍ في الديوانِ الذي أطلق عليه اسم «الديوان الشرقي الغربي».

❏ ويقول عنه (ص١٠١): «قرأ القرآنَ بإمعانٍ في ترجمتين، إحداهما لاتينية، والأخرىٰ ألمانية، واقتَبس منه الكثير، ويَظهرُ تأثرُه بالقرآن بوجهٍ خاصٍّ في الديوانِ الذي أسماه «الديوان الشرقي الغربي»، ومِن بين ما نقرؤه له في هذا الديوان قوله: «للَّه المشرقُ وللَّه المغرب، وفي راحتَيه الشَّمالُ والجَنوبُ جميعًا، هو الحقُّ، وما يشاء بعباده فهو الحقُّ سبحانه، له الأسماءُ الحسنىٰ، وتبارك اسمُه الحقُّ، وتعالىٰ علوًّا كبيرًا».

وفي بعض أشعارِ الحِكمة من ديوانه يقول عن الإسلام: «مِن حماقةِ الإنسانِ في دنياه أن يتعصَّبَ كلٌّ منَّا لِمَا يراه، وإذا الإسلامُ كان معناه التسليمَ للَّه، فإننا أجمعين، نحيا ونموت مسلمين».

وقد وَضع «جوته» مشروعَ تمثيلةٍ عن محمدٍ تدلُّ علىٰ إعجابهِ وتقديرِه لنبيِّ الإسلام، ممَّا يدلُّ علىٰ سَعَةِ أُفقِه، وسُموِّ فِكرِه، ونزاهةِ حُكمه، وترفُّعِه عن التعصُّب الشُّعوبي والديني «انظر مزيدًا من التفصيل عن ذلك في كتاب: «الشرق والإسلام في أدب جوته» للأستاذ عبدالرحمن صدقي (ص١٤) وما بعدها من سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٠)».

❏ يقول المستشرق الألماني «بفانموللر»: «وفي خريف عام ١٧٧٣ ظهر «نشيد محمد» وفيه يُقارن «جوته» محمدًا بنهرٍ ينمو باستمرارٍ ويجذبُ في

سَيرِه إخوتَه معه إلىٰ الأب الخالد.

□ وفي كتابه «الشعر والحقيقة» يقول «جوته»: «إن هذا النشيدَ المَدْحِيَّ كان قد قُصد به في الأصل أن يكونَ إضافةً شعريةً لمسرحيةٍ عن محمد كان قد خُطط لها»، وقد كان يريدُ أن يُصوِّرَ فيها كيف تؤثِّرُ العبقريةُ في الناس عن طريقِ الأخلاقِ والعقل، وكيف تنتصرُ العبقريةُ في ذلك وكيف تَخسر.

وفي عام ١٧٩٩ عاد «جوته» مرةً أخرىٰ إلىٰ الاشتغالِ بموضوعِ محمد، بأنْ قام بِناءً علىٰ رغبةِ الدُّوق «كارل أوجسطس Augusts» وضدَّ إرادتِه هو تمامًا ـ بترجمة مسرحية «ڤولتير» عن محمدٍ وإعدادِها للمسرح.

وهناك أخيرًا أكثرُ من اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قصيدةً من أشعاره في «الديوان الشرقي الغربي» تهتمُّ بمحمدٍ وبالقرآن، وفي الملاحظات والمَقالاتِ حولَ هذا الديوان يَعودُ «جوته» ـ بوصفه مؤرِّخًا ـ للحديث عن محمدٍ وتعاليمه»[١].

□ إلاَّ أنَّ المستشرقَ الألماني «جيرنوت روتر» يقول في بَحثه ومقاله «الإسلام والغرب ـ الحوار المفقود» التي تضمَّنه كتاب «صورة الإسلام في التراث الغربي» «دراسات ألمانية»: «تحدَّث «جوته» عن العرب بحماسٍ وهُيام، ولكنَّ حَماسَه هذا فَتَر عندما تَعرَّض لمحمدٍ ﷺ؛ لأنه نَصَب حولَ العَرَب غلافًا دينيًّا كئيبًا، وعَرَف كيف يَحجُبُ عنهم الأملَ في أيٍّ تقدُّمٍ حقيقيٍّ»[٢].

---

(١) انظر «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٤٨).

(٢) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٥٧)، و«صناعة العداء للإسلام» (ص٢٣٥) لرجب البنا ـ دار المعارف ـ مصر.

□ وقال «جوته» عن «القرآن»: «إنه الكتابُ الذي يكررُ نفسَه تكراراتٍ لا تَنتهي، فيثير اشمئزازَنا دائمًا، كلَّما شرَعْنا في قراءته»(١).

* هردر Herder (١٧٤٤-١٨٠٣):

«يوهان جوتفريد فون هردر» كاتبٌ ألمانيٌّ معروف، وعالِمٌ في اللاهوت، وقد تأثَّر به «جوته» في شبابه.

يصفُ هردر محمداً ﷺ بأنه: «مزيجٌ خاصٌّ من كلِّ ما يُمكنُ أن تُعطيَه الأُمَّةُ والقَبيلةُ والزمانُ والمكان، فقد كان تاجراً ونبيًّا وخطيبًا وشاعراً وبطلاً ومُشرِّعًا، وكلُّ ذلك حسَبَ الطريقةِ العربية».

□ ويَبدُو أن سَبب نبوَّتهِ يتمثَّلُ في البُغضِ لشناعةِ عبادةِ الأصنام والتحمُّس لتعاليمِ توحيدِ اللَّه وطريقةِ التعبُّدِ له بالطهارةِ والذِّكرِ والعملِ الصالح، «وقد كانت التقاليدُ الفاسدةُ لليهودية والمسيحية، وطريقةُ التفكير الشاعريةُ لأُمَّته، ولغةُ قبيلته، ومواهبُه الشخصية - كانت كلُّها كأنها الأجنحةُ التي حلَّقت به فوقَ نفسِه وخارجَ نفسه».

□ ولكنَّ «هردر» يُعبِّرُ عن حُكمه على القرآن على النحو التالي: «هذا الخليطُ الفريدُ من فنِّ الشِّعرِ وحُسنِ البيانِ والجَهلِ والذكاءِ والتكبُّرِ، هو مرآةُ نفسِه التي تُبيِّنُ مواهبَه ونقائصَه ومُيولَه وأخطاءَه وخِداعَ نفسِه والمعوناتِ الوقتيَّةَ التي خدَعَ بها نَفسَه، وخَدَعَ الآخرين، وذلك كله بدرجةٍ أكثرَ

---

(١) من نصوص تحت الطبع ترجمها الباحث ثابت عيد مترجم «صورة الإسلام في التراث الغربي»، ونقلها عنه ا. د محمد عمارة في كتابه «الإسلام والغرب - افتراءات لها تاريخ» (ص٣٢).

وضوحًا ممَّا يتبيَّنُ في أيٍّ قرآنٍ آخَرَ لنبيٍّ من الأنبياء»[1] .

فالفكرةُ الأساسيةُ لدىٰ «هردر» وأمثالِه هي أنَّ القرآنَ مِن تأليفِ محمدٍ ﷺ؛ ولذلك فهو مِرآةُ نفسِه وإنتاجُ عقلِه، ومن هنا فإذا وَرَدَ في القرآن أنه «وحيُ اللَّه» اعتَبروا ذلك نوعًا من الخِداع أو التضليل، وإذا كان هذا هو موقفُهم الأساسيُّ الذي يُسيطرُ عليهم قبلَ التعرُّفِ علىٰ القرآن، فلن يَصِلوا إلىٰ حقيقةِ الإسلام أبدًا، إلاَّ إذا أزالوا مِن علىٰ أعيُنهم وقلوبِهم هذه الغِشاوةَ المتمثِّلة في الأوهامِ والأحكامِ السابقة، وتخلَّصوا من التعصُّبِ الذي يَحجُبُ عنهم نُورَ الحقيقة.

* أولزنر Oelsner:

عنده يُعَدُّ محمدٌ ﷺ في الأصل متحمِّسًا وَجَد الدليلَ علىٰ بَعثتِه في قوةِ اعتقـاده فقط، ومن السـهل أن يَخلِطَ المرءُ بينه وبين مجـردِ إنسانٍ دجَّال، وإذا لم تكن هناك أيضًا أغراضٌ طُموحية قد عَمِلت علىٰ تحريكِه في البداية، فإنها قد أتت في أعقابِ الحماس، وبنفسِ القَدْرِ الذي بَرَد فيه الحَماسُ لقضيةِ «اللَّه» أو قضيةِ «الوطن» اشتدَّ لديه الغَرضُ الأنانيُّ عن طريقِ كلِّ الوسائلِ المساعِدةِ التي أكسَبَها له حَماسُه الناري السابق، وبطبيعةِ الحال لا يمكنُ تحديدُ التوقيتِ الذي انتهىٰ فيه خِداعُ الذاتِ وبدأ فيه الدَّجَلُ تحديدًا دقيقًا.

ويَصِفُ «أولزنر» محمدًا بالتفصيل بأنه الداعي للإلهِ الواحدِ، وبأنه أستاذٌ في الديبلوماسية، وبأنه رجلُ دولةٍ وقائدُ جيشٍ عبقريٌّ، ولكنْ بمرورِ

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٤٩).

الزمن تحوَّل دينُه من دينٍ يدعو للسلام ويمقتُ الحربَ إلىٰ دينٍ للسيف، وإنْ كان «أولزنر» أيضًا ـ كما كان «ڤولتير» من قبلِه ـ لا يَرىٰ إطلاقًا أن النجاحاتِ التي حقَّقها الإسلامُ يعودُ الفضلُ فيها إلىٰ السيف وحده[1] .

* هامر بورجشتال (Hammer - Purgstall):

أمَّا المستشرقُ النمساوي الشهير «يوسف فون هامر بورجشتال» الذي أصدر أولَ مجلةٍ استشراقيةٍ متخصِّصةٍ في أوربا عام ١٨٠٩ وهي مجلة «ينابيع الشرق» والذي كان لمؤلَّفاته تأثيرٌ قوي علىٰ «جوته» ـ، فقد تناول محمدًا أيضًا في المَقام الأول في كتابه «صورة لحياة الحُكَّام المسلمين العظام».

ويُلَخِّصُ «هامر برجشتال» حُكمَه علىٰ محمدٍ في نهاية كتابِه علىٰ النحو التالي: «علىٰ الرغم من ضلالِ شَهوانيته، وعلىٰ الرغم من الجرائمِ التي سَولَتْها لنفسه حِدَّةُ الطبع، وبصفةٍ خاصةٍ الثأرُ لشَرَفه المُهانِ عن طريق السخرية والاستهزاء، وعلىٰ الرغم مِن وجهةِ النظرِ المتناقضةِ التي عَبَّر عنها مؤرِّخون مشهورون ومستشرقون، والتي تتمثَّلُ في أنَّ محمدًا لم يكن إلاَّ مجردَ كذَّابٍ ودجَّالٍ من مُنطَلَقِ حُبِّه للسيطرة ـ علىٰ الرغم من كلِّ ذلك، فإننا يجبُ أن نثُبتَ علىٰ رأينا، وهو أن محمدًا لم يَنطلِقْ فقط من الفكرةِ العظيمة التي تتمثَّلُ في هدايةِ شَعبِه من ضلالِ الوثنية إلىٰ الطريق المستقيم بعبادةِ اللَّهِ وحدَه، بل كان يتمتَّعُ أيضًا بمواهبَ شِعريةٍ ومشاعرَ دينيةٍ حيَّةٍ، وكان مقتنعًا ببَعثتِه في ساعاتِ حماسه، ورأىٰ ـ كما رأىٰ غيرُه من الأنبياء الذين سَبقوه ـ أنه أداةُ السماءِ لهدايةِ شَعبه، وأنه مؤسِّسُ واحدٍ من الأديان

(١) المصدر السابق (ص١٥٠).

الثلاثة التي انتَشرت من مصرَ وسوريا وبلاد العرب إلىٰ كلِّ بِقاعِ الأرضِ، وأنه خاتمُ الأنبياء واللَّبِنةُ الأخيرة»[1] .

كَذَب «هامر» حين قال عن النبي ﷺ: «علىٰ الرغم من ضلال شهوانيته»، فالمعروف أن محمداً ﷺ قد تزوَّج «خديجة» ﵂ التي كانت تكبرُهُ بسنواتٍ، وعمرُه خمسةٌ وعشرون عامًا، وكان قد سبق لها أن تزوَّجت قبل ذلك مرَّتين، وظَلَّت له زوجةً وحيدةً إلىٰ أن ماتت بعد أن أمضىٰ معها ثمانيةً وعشرين عامًا، وبعد ذلك ـ أي: وهو في العقدِ السادس من عُمرِهِ ـ تزوَّج «سَودةَ بنتَ زَمْعة» ﵂ أرملةَ أحدِ صحابته، ثم تزوج باقي نسائِه لأسبابٍ إنسانيةٍ نبيلةٍ، أو أهدافٍ تشريعية، فأين هنا ضلالُ شهوانيته المزعوم؟!.

أما الثأرُ لشرفه المهان وحِدَّةُ الطبع.. إلخ، فهذا لم يُعرَفْ عنه إطلاقًا، فقد كان ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ تمكَّن من أهلِ مكةَ الذين لاقىٰ هو وأصحابُه علىٰ أيديهم الأمرَّينِ، وكان يستطيعُ أن يَجمَعَهم ويأمرَ بقتلِهم جزاءً وِفاقًا علىٰ ما اقترفوه في حقِّه وحقِّ أصحابه من جرائم، ولكنه عفا عنهم يومَ «فتح مكة» عَفواً مطلقًا، وقال قولَته الشهيرة: «**اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء**».

*** توماس كارلايل ـ أو كارليل ـ (١٧٩٥ ـ ١٨٨١):**

هو المؤرِّخُ الإنجليزيُّ وأحدُ فلاسفة الحضارة «كارليل» أصدر عام ١٨٤٠ كتابَه الشهير «حول الأبطال وتقدير الأبطال» الذي خَصَّص فيه المحاضرةَ الثانيةَ للحديث عن محمدٍ وعن الإسلام، و«كارلايل» لا يَعتبِرُ

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

محمدًا أحقَّ الأنبياء، ولكن يعتبرُه نبيًّا حقيقيًّا، أمَّا الرأيُ السائدُ عن حقيقةِ محمدٍ ـ والذي يتمثَّلُ في أنه كان دجَّالاً متعمِّدًا، وأنَّ دينَه عبارةٌ عن خليطٍ من الدَّجَلِ الطبِّي والإسفاف ـ، فإنَّ «كارلايل» يعتبرُه رأيًا باطلاً.

◻ «فالأكاذيبُ التي عَمِل على تراكُمِها الحماسُ المنبعثُ بحُسنِ نيةٍ حول هذا الرجل ـ يقصد محمدًا ـ لا تَسُبُّ أحدًا غيرَنا».

◻ وأكثرُ من ذلك، يَصِفُ «كارلايل» محمدًا بأنه كان «نَفْسًا عظيمةً وهادئةً، لقد كان واحدًا من هؤلاء الذين استطاعوا أن يأخُذوا الأمورَ بجِدِّيَّة، والذين وَجَّهتهم الطبيعةُ نفسُها لكي يكونوا مستقيمين».

فالأصالةُ والاستقامةُ هما الصِّفتانِ المميِّزتانِ لأخلاقه، ولكنَّ هذه الاستقامةَ كانت تشتملُ على شيءٍ إلهي، «فكلمةُ مثلِ هذا الإنسانِ هي صوتٌ مباشرٌ من قلبِ الطبيعة الحقيقية».

ولم يكن محمدٌ في حياته الشخصية من عُشَّاقِ اللذَّةِ على الإطلاق، فقد كان مَتاعُ بيتِه يُعَدُّ من أكثرِ الأمورِ اعتدالاً، ومع ذلك «فلم يَحْظَ أيُّ قيصرٍ بتاجِه بالطاعةِ مثلما حَظِيَ هذا الرجلُ بردائه الذي كان يُرقِّعُه بيده».

أمَّا القرآنُ، فإن «كارلايل» يُطلِقُ عليه أنه «بَلبلةٌ ثقيلةٌ ومحيِّرةٌ، فهو ساذَجٌ ومُجدِبٌ، يشتملُ على تكريرٍ وإسهابٍ وتشابُكٍ لا حدَّ له، وهو جافٌّ وغيرُ ناضجٍ، وباختصارٍ هو سُخفٌ لا يُطاق».

ومع ذلك تكمنُ فيه قيمةٌ أخرى تختلفُ تمامًا عن القيمةِ الأدبية، فهو بمثابةِ تخمُّرٍ مُبهَمٍ لنفسٍ إنسانيةٍ كبيرةٍ وساذجة، غيرِ ناضجةٍ، وغيرِ مُثقَّفة، ولم تكن تستطيعُ حتى أن تقرأ، ولكنها نَفْسٌ جادَّة، وتَفيضُ حماسًا،

وتَسعىٰ سعيًا جبَّارًا لكي تُعبِّرَ عن ذاتِها في كلمات»[١] .

◻ ويقول: «إنَّ محمدًا شيءٌ، والقرآنَ شيءٌ آخر، فالقرآنُ هو خَليطٌ طويلٌ ومُمِلٌّ، ومشوَّش. . جافٌّ وغليظ. . باختصار، هو غَباءٌ لا يُحتمَل»[٢].

* ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

فالموقفُ الأساسيُّ الغربيُّ يُصِرُّ علىٰ أنَّ القرآنَ من تأليف محمد، و«كارليل» كما هو واضحٌ لا يَشُذُّ عن هذا الموقفِ مع حديثهِ الإيجابيِّ عن رسول اللَّه ﷺ.

وما يُجدِي شيئًا هذا الحديث بعد أن طَعَن في قُدْسِ الأقداس. . القرآنِ كلامِ اللَّه.

* جوستاف فايل Weil :

مستشرقٌ ألماني (١٨٠٨ ـ ١٨٨٩) له كتاب عن «حياة محمد» و«مقدمة تاريخية نقدية في القرآن»، ويذهبُ إلىٰ أنَّ القرآنَ يُمثِّل مزيجًا مختلفَ الألوان من الأناشيدِ والصلواتِ والأساطيرِ والعقائدِ والمواعظِ والقوانين والتنظيماتِ[٣] أساطير الأولين. . هكذا يقول مفكر الغرب. . مثلما قال كفار قريش. . اللَّهم إنا نعوذُ بك من عِلمٍ لا ينفع. . اللَّهم لا تَحشُرْنا مع

---

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) «نصوص تحت الطبع» ترجمة ثابت عيد ـ انظر «الإسلام والغرب. . افتراءات لها تاريخ» (ص٣٣).

(٣) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٥٦).

قومٍ طالمًا عادَيْناهم فيك بذمِّهم لكتابك وقولِهم عنه: «إنه أساطير الأولين».

* أوجست موللر A. Muller (١٨٤٨ ـ ١٨٩٢):

«أوجست موللر» مستشرقٌ ألماني.. كان أُستاذًا للعربية في جامعة «فيينا»، كَتَبَ «الإسلام في الشرق والغرب»، صَدَر في «برلين» عام ١٨٨٥، تكلَّم فيه عن حياةِ محمدٍ ﷺ.

◻ يقول «موللر»: «بالمعنىٰ التاريخيِّ الخالصِ يكونُ من الصَّعبِ علىٰ المَرءِ أن يُنكِرَ علىٰ محمدٍ اسم «النبي»، حقًّا لا يستطيعُ المرءُ أن يُنكِرَ أنه كان واقعًا تحتَ حالاتٍ عصبيَّةٍ مختلفةٍ نتيجةً لِمزاجهِ الذي كان سريعَ الانفعال بطريقةٍ غيرِ عادية، وقد ارتَفعت هذه الحالاتُ في بعضِ الأحيانِ إلىٰ درجةِ الهلوسة، ولكنَّ هذه الحالاتِ لم تكن أبدًا ذاتَ طبيعةٍ صَرْعيَّة، بل كانت تتلاءمُ أيضًا مع الانفعالات العصبيةِ المعروفة (التي تعتري) الأشخاصَ مِن ذَوِي الحِسِّ المرهفِ دينيًّا، ولكنَّ قُدرتَه الكاملةَ علىٰ التمييزِ بصفةٍ خاصةٍ لم تكن تعاني تحت (وطأةِ) هذه الحالات، ولا يستطيعُ المرءُ أيضًا أن يُشكِّكَ في إخلاصِه الكامِلِ في الفترةِ المكيَّة».

وإذا كان المرءُ لا يَستطيعُ أن يُنكِرَ علىٰ محمدٍ صِفَةَ «نبيٍّ حقيقيٍّ»، فإن «موللر» له مع ذلك بعضُ التحفظات، فهو يَعيبُ علىٰ محمدٍ أنه لم يُدرِك إلا جانبًا واحدًا فقط من الطبيعةِ الإلهيَّة، وأنه يَنقُصُه تمامًا مفهومُ القَداسةِ بوجهٍ خاص، وبذلك يَنقُصه الأساسُ لتشكيلٍ عميقٍ بطريقةٍ ما لفكرةِ نظامٍ أخلاقيٍّ للحياة، ثم يَصدُمُنا لدىٰ محمدٍ في المدينة علىٰ وجهِ الخصوصِ أنه قد حَوَّل الدينَ إلىٰ السياسة في تزايُدٍ مستمرٍّ: فقد استعان بالكَذِبَ لكي

يَفرضَ الحقيقة، وربَّما كان ذلك في البداية دون وعيٍ، ثم بنصفِ وعيٍ، وفي النهاية بوعيٍ كامل!»[1] .

وهو هنا يُحاولُ أن يُطبِّقَ مفاهيمَ النصارىٰ وتَصوُّراتِهم علىٰ الإسلام. . ثم كيف يَعترفُ له بالنبوَّة ويتَّهِمُه بالكذب ـ حاشاه ـ وبأنه يَنقُصُه تمامًا مفهومَ «القداسة»؟! ثم بجهله ونصرانيَّته المحرَّفة يَعيبُ علىٰ النبيِّ ﷺ أنه قد حَوَّل الدينَ إلىٰ السياسة، وليس في الإسلام مقولةُ النصارىٰ القاصرة «ما لقيصر لقيصر. . وما للَّه للَّه».

* **هوبرت جريمه H. Grimme (١٨٦٤ ـ ١٩٤٢):**

«هوبرت جريمه» مستشرقٌ ألماني كان أُستاذًا للغات الشرقية في «مونستر» بألمانيا، ومن مؤلَّفاته «محمد» في جزئين، وله دراساتٌ حولَ اسم «محمد»، وله مقدمةٌ في القرآن، ونَسَّقَ علمَ الإلهيات القرآني، ولهذا الدجَّال الأشِر كلامٌ عن شكل السُّور القرآنية وتتابُعِها الزَّمَني، وسار فيه علىٰ دَربِ مَن سَبَقه من النصارىٰ. . والأمرُ الذي عليه المسلمون أن هذه القضيةَ قضيةٌ توقيفيَّةٌ لا تَخضعُ للاجتهاد البشريِّ، والنبيُّ ﷺ لم يَترك الأمر في ذلك للأهواءِ والأغراض، بل حَسَمه بتوجيهٍ إلهيٍّ تَمَّ بِناءً عليه ترتيبُ الآياتِ والسُّوَر علىٰ النحوِ المعروفِ في المصحف.

◻ ويذهب «جريمه» إلىٰ القول بأن محمدًا كان في المَقامِ الأوَّلِ مُثيرًا للفِتَنِ أو محرِّضًا «Agitator» ذكيًّا وسياسيًّا كبيرًا، وفي المدينة تطوَّر محمدٌ ـ حَسْبَ رأي «جريمه» ـ في تزايُدٍ مستمرٍّ إلىٰ دجَّالٍ عن وَعيٍ بذلك، ولكنَّ

(١) المصدر السابق (ص١٦٨).

الأمرَ الجديدَ تمامًا هو دعوىٰ «جريمه» بأن محمدًا عند ظهورِه الأول «بدعوته» لم يكن يدعُو إلىٰ دينٍ إطلاقًا، بل كان يدعو إلىٰ شكلٍ من أشكالِ الاشتراكية، فالإسلام «لم يَظهرْ إطلاقًا بوصفِه نَسَقًا دينيًّا في الحياة، وإنما بوَصْفِه محاولةً لشكلٍ من أشكالِ الاشتراكية، ليواجهَ ما كان سائدًا إلىٰ حدٍّ بعيدٍ من أحوالِ أرضيةٍ سيئةٍ معيَّنة.

وقد كان التناقُضُ المُخيفُ بين الأغنياءِ والفقراء ـ والذي كان سائدًا في مكة ـ هو الذي دَفع محمدًا إلىٰ المطالبةِ بضرورةِ أن يَدفعَ كلُّ فردٍ ضريبةً معينةً لمساعدةِ المحتاجين، ولكي يَجِدَ محمدٌ آذانًا صاغيةً لهذه الدعوة، استخدم عقيدةَ «يوم الحساب» كوسيلةِ إجبارٍ رُوحية»[١] .

وما قاله عن الإسلام والاشتراكية، وأنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو إلىٰ لَونٍ من ألوانِ الاشتراكية: دعوىٰ لا يُوافقُه عليها مُعظَمُ المستشرقين؛ بل لعلَّ هذا الكذَّابَ الأشِرَ قد انفرَد بها وحدَه، يُحاسِبُه اللَّه عليها يومَ القيامة.

وقد عارَضَ هذا الرأيَ في محمدٍ «سنوك هورجرونيه» في مقالةٍ مُسهَبةٍ في «مجلة تاريخ الأديان»[٢] .

□ ثم تعالَ إلىٰ دَجَلٍ آخَرَ لهذا الكذَّابِ المفترِي «جريمه»، فإنَّ حديثَه عن محمد ﷺ في كتابه «تاريخ العالم في صور مميزة»، يأتي بفرضيَّةٍ جديدةٍ يُحاولُ إثباتَها، وهي الأصلُ العربيُّ الجنوبيُّ لأفكارِ محمدٍ الدينية، ومن أجلِ هذا الغَرَض خَصَّص النصفَ الأولَ كلَّه من دراستِه لبحث التاريخ

(١) المصدر السابق (ص١٦٩، ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) المصدر السابق (ص١٧١).

الأقدم لبلادِ العرب، وهنا نتعرَّفُ على التاريخ السياسيِّ والحضاريِّ لبلادِ العربِ القديمةِ الشماليةِ والجنوبية.

والآنَ، فإنَّ الاقتباسَ من جنوبِ العرب لا يُعدُّ فقط أمرًا محتمَلاً، بل هو أمرٌ راجحٌ إلى أقصى حدٍّ.. أجل، فهناك في عبادةِ الإسلام، على كلِّ حالٍ أمورٌ كثيرةٌ مما كان في بلادِ العربِ القديمةِ بقَدْرٍ أكثرَ ممَّا كان يفترضُه المرء في العادة.

ولكنَّ الأمرَ الذي يُعدُّ بعيدَ الاحتمال جدًّا هو أن تكونَ التأثيراتُ العربيةُ الجنوبيةُ وحدَها هي كلَّ شيء، فالأحرى أنه لا يَجوزُ التغاضي عن التأثيراتِ اليهوديةِ والمسيحيةِ والفارسية، ويُضافُ إلى ذلك أن مكةَ كانت مَدينةً لها صبغةٌ عالميةٌ لدرجةٍ كبيرة، ومِن ناحيةٍ أخرى كان ظهورُ محمدٍ أمرًا غيرَ عاديٍّ إلى حدٍّ كبير[1].

---

(١) الديانات السماوية تختلف في طبيعتها عن الديانات البشرية، فهذه تخضعُ لمنطقِ التأثير والتأثر.. ومن هنا يُمكنُ البحثُ عن أصولها وفروعها في حضاراتٍ ودياناتٍ قديمة، أما الدياناتُ السماوية القائمةُ على الوحي الإلهي، فلا تخضعُ لهذا المنطق، وما يبدو فيها من تشابهٍ يَرجعُ إلى وحدةِ الأصل الإلهي، والوحيُ اللاحقُ يصحِّحُ ما طرأ على الوحيِ السابق من عناصرَ غريبة، وقد بيَّن القرآن ـ وهو النصُّ الدينيُّ الذي لم تَنَلْه يدُ التحريف والتبديل باعترافِ كثيرٍ من المستشرقين، وعلى رأسهم «رودي بارت» صاحب أحدث ترجمة ألمانية للقرآن ـ بين ما طرأ على اليهودية والمسيحيةِ من تصوراتٍ لم يتضمَّنها الوَحْيُ الأصليُّ ولا صِلَةَ لها بالوحي الحقيقي، ومنذ أن كَشَفَ القرآنُ عن ذلك والحَمْلةُ مستمرةٌ من أتباع هذين الدينين ضدَّ الإسلام، ولا تزالُ قائمةً لإظهاره بمظهر الدين البشريِّ الملفَّق من دياناتٍ وحضاراتٍ سابقة.. اهـ. ما قاله الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٨٢).

◻ ومن الطبيعيِّ أن تتوقَّفَ التأثيراتُ العربيةُ الجنوبيةُ بالهجرة (إلىٰ المدينة)، ومِن هذه اللحظة فصاعداً فَقَدَ «جريمه» أيضًا كلَّ اهتمامٍ بالتطوُّرِ الدينيِّ لمحمد، فكلُّ شيءٍ بعدَ ذلك يُعَدُّ بالنسبةِ «لجريمه» مناورةً سياسيةً لدجَّالٍ امتَهَن الدينَ من أجلِ غاياتٍ دنيوية، وقد كان هذا الرأيُ عن محمدٍ رأيًا عامًّا شائعًا في السابق، ولا يزالُ الآنَ أيضًا قويَّ الانتشار، ولكنَّ محمدًا لم يكن يَجعلُ هناك أبدًا فارقًا بين الأمور الدينيةِ والأمورِ السياسة، فهو يريدُ الإنسانَ كلَّه، والارتباطُ السياسيُّ هو النتيجةُ البديهيةُ تمامًا للتحوُّل إلىٰ الإسلام، والرعايةُ السياسيةُ لأتباعه تُعَدُّ جانبًا أساسيًّا لنبوَّته، وأيضًا فإنَّ ضَمَّ الكعبةِ إلىٰ دائرةِ نظرتِه أو تأمُّلِه لا يُعَدُّ مناورةً سياسيةً، بل يُعَدُّ تطوُّرًا دينيًّا داخليًّا.

◻ وفي مقالٍ خاصٍّ نُشر في «مجلة الشرق» الشهرية النمساوية عَرض «جريمه» مرةً أخرىٰ «أصول دين محمد» باختصار، فبجانبِ اليهوديةِ والمسيحيةِ كان هناك دينٌ قائمٌ في الجنوبِ العربيِّ هو «دين الرحمانان»، بِناءً علىٰ شهاداتِ النقوش السبئية.

ويحاولُ «جريمه» أن يَصِفَ هذا الدينَ من واقعِ النقوشِ وصفًا دقيقًا، وأن يُبيِّنَ صِلَتَه الوثيقةَ بدينِ محمد، ونتيجةً لبحوثه يُقرِّرُ «جريمه» أن الإسلامَ «لم يكن شيئًا وُلد في رأسِ محمدٍ ثمرةً لتأمُّلٍ أصيلٍ دون أيِّ تأثيرٍ من العالَم المحيطِ به، بل كان في بداياتِه الأولىٰ كما كان في استمرارِ تطوُّره - طالمًا كان هذا التطوُّرُ يَحدُثُ علىٰ أرضِ مكة - متشابكًا تشابُكًا وثيقًا مع «دين الرحمانين» الجنوبيِّ العربي».

وبصرفِ النظرِ عمَّا إذا كان «دين الرحمانان» هذا لم يَثْبُتْ إطلاقًا أنه كان دينًا خاصًّا، فإنه يبدو أن «جريمه» هنا أيضًا لم يُقدِّرْ قيمةَ التأثيراتِ اليهوديةِ والمسيحيةِ إلا في أقلِّ القليل، والأمرُ كلُّه لا يعدُو أن يكونَ فَرْضيَّةً طريفة![1] .

❑ قال الدكتور محمود حمدي زقزوق: «إنها فرضيةٌ باطلةٌ تَستهينُ بعقولِ الناس، فإذا كان «دينُ الرحمانان» هذا المزعومُ لم يَثْبُتْ إطلاقًا كما يقول «بفانموللر» نفسه: «إنه كان دينًا خاصًّا له كيانٌ متميِّز»، فكيف يمكنُ أن يَنْتُجَ عنه هذا الدينُ العالمي المتمثِّلُ في الإسلام؟!»[2] .

* سنوك هورجرونيه (Hurgronje):

يَذهبُ «سنوك» في مقالِه المُسَهب في «مجلة تاريخ الأديان» إلىٰ أن «أفكارَ محمدٍ ﷺ الرئيسيةَ هي - مع بعضِ التغييراتِ في الشكل - تلك الأفكارُ التي تشتركُ فيها كلٌّ من اليهوديةِ والمسيحية، وفي التفاصيلِ يُبدِي وَحْيُه تارةً الصِّبغةَ اليهودية، وتارةً أخرىٰ الطابعَ المسيحي، وتارةً ثالثةً يُبدي أموراً متنوعةً لخيالٍ حرٍّ نسبيًّا مبنيٍّ علىٰ أساسٍ يهوديٍّ مسيحيٍّ.

ولكنَّ محمداً لم تكن لديه إلاَّ معلوماتٌ ناقصةٌ وقاصرةٌ عن اليهودية والمسيحية، فلم يكن يَعرفُ مثلاً الكتابَ المقدَّس، أو عِلمَ العقيدة الأرثوذكسية، بل كان يعرفُ فقط الأدبَ والتراثَ المشكوكَ في صحتـه

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٨٢ - ١٨٣).
(٢) المصدر السابق هامش «٩٦» (ص١٨٣).

(Die apokryphe Literatur) لهذين الدينين[1] ، وقد كان محمدٌ ـ فضلاً عن ذلك ـ رجلاً أُمِّيًّا، وهكذا ظَلَّت الكُتبُ المقدَّسةُ اليهوديةُ والمسيحيةُ غريبةً عنه، وعن طريقِ الحديثِ فقط مع أتباعِ هذين الدينينِ تعرَّف محمدٌ عليهما كما كانا قائمَينِ في بلادِ العرب حينذاك، ويُضافُ إلىٰ ذلك أن من الأمور التي تركت لديه انطباعًا خاصًّا كان فنُّ قراءة النصوص المقدَّسة، أو فنُّ تلاوتها وترتيلِها في صلواتِ اليهود والمسيحيين، خاصةً وأنه قد سَمع الناسَ يقولون ـ واعتقد (ما يقولون) بلا حدود ـ أن الكُتبَ والألواحَ التي يقرؤُها اليهودُ والمسيحيُّون في صلواتهم، والتي تتضمَّنُ شرائعَهم ومؤسساتِهم ليست ذاتَ مصدرٍ إنسانيٍّ، بل مصدرُها إلهيٌّ.

---

(١) يحاول «سنوك هورجرونيه» هنا ـ وفيما يلي من تفاصيل ـ بيانَ أن الإسلامَ دينٌ مأخوذٌ أساسًا من اليهودية والمسيحية، وقد كانت المعلوماتُ التي تلقَّاها محمدٌ عن هذين الدينين معلوماتٍ ناقصةً وقاصرةً، نظرًا لاعتمادها علىٰ مصادرَ مشكوكٍ فيها، وهذا الاتجاهُ يكادُ أن يكونَ اتجاهًا عامًّا لدىٰ المستشرقين الذين يُريدون أن يُظهِروا الإسلامَ بمَظهرِ الدينِ البشريِّ الملفَّقِ من تلك المعلوماتِ التي عَرفها محمدٌ عن طريقِ لقاءاته مع أتباعِ هذين الدينين، ولكنَّ السؤال هو: لماذا لا يكونُ الإسلامُ دينًا أصيلاً مأخوذًا مباشرةً من نفسِ النَّبعِ الذي أُخذت عنه الدياناتُ السماويةُ قبلَ أن تتدخَّل أيدي البشرِ لتحريفها؟ لماذا لا يكونُ الإسلامُ هو الحَلقةُ الأخيرةُ من حلقاتِ الوحي الإلهيِّ الذي أقام الاتصالَ بين السماء والأرض علىٰ مَدىٰ تاريخ البشرية؟ هل مبدأُ جواز اتصالِ السماء بالأرض عن طريقِ الوحي مبدأٌ مسلَّمٌ به أم لا؟ إنه إذا كان هذا المبدأُ مسلَّمًا به فلا معنًىٰ لأَنْ تحتكرَه اليهوديةُ والمسيحيةُ وتمنعَه عن الإسلام، وإذا لم يكن ـ في عُرفهم ـ مبدأً مسلَّمًا به فلا مجالَ للديانات جميعًا. . راجع في مناقشة هذا الموضوع كتابنا: «الإسلام في الفكر الغربي» (ص٦٧ ـ ٧٣).

انتهىٰ ما قاله د. محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٧٢) هامش «٨١».

ولكن كيف تكوَّنَ لدىٰ محمدٍ مفهومُ «الوحي»؟!.

في البداية لم يكن محمدٌ يلحَظُ إطلاقًا الموقفَ العَدائيَّ الذي تتَّخذُه الطوائفُ والكنائسُ المختلفةُ من بعضِها بعضًا، فالفرقُ بين اليهود والمسيحيين، ووجودِ الطوائفِ والكنائسِ العديدةِ التي كانت تُعادِي بعضُها بعضًا خارجَ هذين الدينين، كلٌّ ذلكٌ قد بدا في التصوُّرِ الساذجِ لمحمدٍ أنه يرجعُ إلىٰ اختلافِ الأجناس أو القوميَّات، فقد تصوَّر البشريةَ ـ من حيث إنها تَملكُ نِعمةَ الوحي ـ مقسَّمةً في «جماعات» يمكنُ أن تتميَّزَ كُتُبُها وألواحُها في الشكلِ والمضمون، ولكنها جميعًا قد جاءت وحيًا من لَدُنْ إلهٍ واحدٍ وللغاية ذاتها.

وقد تأسَّست كلُّ جماعةٍ ـ في رأيه ـ عن طريقِ إنسانٍ اصطفاه اللَّهُ من بين شَعبِه، وتَحمَّل مُهمَّةَ دعوةِ قومِه إلىٰ كلمةِ اللَّه بوصفه نبيًّا ومبعوثًا أو نذيرًا، وهناك عددٌ كبيرٌ من الأنبياء، وليس بينَهم فرقٌ جَوهريٌّ، ولم يكُنِ اصطفاءُ محمدٍ للعرب ـ في نظرِ محمدٍ ـ أمرًا مختلِفًا عن اصطفاءِ الأنبياءِ السابقين، فقد كان كلٌّ منهم مختارًا لشَعبِه الذي ينتمِي إليه(١).

---

(١) لم يكن ذلك كلُّه اجتهادًا من محمدٍ ﷺ، بل كان وحيًا تلقَّاه من ربِّه ـ عز وجل ـ، وفي هذا الوحي تأكيدٌ علىٰ وِحدةِ الأصل البشريِّ وإشارةٌ إلىٰ أن اللَّهَ سبحانه وتعالىٰ قد جَعل الناسَ شعوبًا وقبائلَ لكي يتعارفوا، وجعل أكرَمَهم عنده أتقاهم، كما أشار الوحيُ إلىٰ أنه ليست هناك أُمَّةٌ إلاَّ خلا فيها نذير، وأنَّ اللَّهَ قد أَرسل إلىٰ كلِّ أمَّةٍ رسولاً بلسانِ قومه، وهناك آياتٌ قرآنيةٌ عديدة توضِّحُ هذه القضيةَ بجلاء، ثم كانت رسالةُ محمدٍ ﷺ رسالةً عامةً للناس جميعًا، وليس للعرب فقط ـ كما يزعُم «هورجرونيه» ـ، وفي أولِ إعلانٍ جَهريٍّ بالدعوة أعلن محمدٌ ﷺ أنه أُرسِلَ إلىٰ العرب ـ خاصةً ـ وإلىٰ الناس ـ كافةً ـ، وجاء ذلك في الوحيِ المكيِّ أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهكذا كان في وُسعِ محمدٍ أن يفترضَ بلا عَناءٍ أنَّ أتباعَ الدينَينِ القائمينِ الموحَىٰ بهما يُمكنُهم أن يعترفوا به بوصفِه نذيرًا مرسَلاً من اللَّه للغرب، دون أن يَلحَقَ ذلك أيُّ ضررٍ بمعتقداتهم (اليهودية والمسيحية)، ولكنْ عندما اتَّصل محمدٌ باليهود في المدينة اتصالاً مباشرًا كان لابدَّ له حينئذٍ أن يَعرفَ أن اليهودَ الحقيقيين والمسيحيين الحقيقيين لن يَعترفوا إطلاقًا بأصالةِ بَعثته الدينية.

ولكنْ نظرًا لأنه من ناحيتِه كان مقتنعًا بشرعيةِ بعثتِه، وكان يعتقدُ أنها من جنسِ بَعثةِ موسىٰ وعيسىٰ وأسلافهما، فقد أدَّىٰ به ذلك بطبيعةِ الحال إلىٰ نتيجةٍ مؤدَّاها أنَّ اليهودَ والمسحيين قد فَسَّروا الوحيَ الذي لديهم تفسيرًا سيئًا، وعليه إذن أن يقومَ بواجبِ تصحيحهم! وتلك مهمةٌ صعبةٌ لمن لم يَستطعْ أن يقرأَ كُتبَهُم المقدَّسةَ، وكانت لديه أيضًا فضلاً عن ذلك مفاهيمُ مشوَّشةٌ عن طبيعةِ هذه الكُتبِ وعن مضمونها[1].

وفي الفترةِ الثانية من نشاطِه شَرَع محمدٌ أيضًا شروعًا حقيقيًّا في التعرُّفِ بعضَ الشيءِ عن قُربٍ علىٰ التاريخِ التقليديِّ الموروثِ للوحي السابق، وحَصَلَ ـ مع بعض التغييرات الضرورية ـ علىٰ ما أمكن أن يَخدُمَه في التحررِ من اليهودية والمسيحية اللتين استَشهَدَ بهما في السابق أكثَرَ من

(١) لم يكن محمدٌ ﷺ في حاجةٍ إلىٰ قراءةِ كُتبِ اليهود والنصارىٰ، ولم تكن لديه معلوماتٌ مشوَّشةٌ عن تلك الكتب؛ لأن اللَّهَ الذي أنزل التوراةَ والإنجيل هو نفسُه الذي أخبَرَ محمدًا عن طريقِ الوحي بما طَرَأ علىٰ هذين الدينينِ من تحريفٍ وتبديل، وبيَّن له طبيعةَ هذا التحريف.

مرةٍ على حقيقةِ بَعثته، ولم يكن في ذلك الاستشهادِ شيءٌ من الحِكمة[١].

ولن نَقِفَ عند المراحلِ الجزئيةِ لعمليةِ التحرُّر هذه، وسنقتصرُ على إثباتِ أن محمدًا لم يتوصَّلْ إلى حَلِّ المشكلةِ دَفعةً واحدةً، بل تمَّ ذلك بالتدريجِ شيئًا فشيئًا، ففي حين كان إبراهيمُ يُعَدُّ في الوحيِ السابق [الذي نَزَل على محمد] واحدًا من أسلافِ محمدٍ العديدينَ فحسب، يُصبحُ الآن [بالنسبة لمحمد] رائدَه ومَثَلَه الأعلى على الإطلاق، وقد استَمدَّ إبراهيمُ هذه المنزلةَ العالية لدى محمدٍ من أمرينِ توصَّل محمدٌ إلى معرفتِهما أولاً في المدينة.

الأمرُ الأول: يتمثَّلُ في أن إبراهيمَ - الذي يُقدِّسُه اليهودُ والمسيحيون بنفس الطريقةِ بوصفِه «رجلَ اللَّه» - لم يكن يهوديًّا ولا مسيحيًّا[٢]، وكونُ محمدٍ قد جَعَل اصطفاءَه مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بتلك الأبوَّةِ، مكَّنه مِن تفادي اتهاماتِ اليهودِ الذين رَمَوه بأنه لم يُراعِ شريعتَهم مراعاةً تامةً، واتهاماتِ المسيحيين أيضًا الذين عارَضوه بعقيدةِ الخلاصِ عن طريقِ المسيح وحدَه.

(١) ما يقوله «هورجرونيه» في كلِّ تفصيلاته حولَ موضوع علاقة محمد ﷺ باليهودية والمسيحية مبنيٌّ على افتراضِ أن الإسلامَ دينٌ بشريٌّ تفتَّقَ عنه ذهنُ محمدٍ ﷺ، ومِن هنا نجدُ هذا الحِرصَ الشديدَ على تفسيرِ كلِّ شيءٍ من هذا المنطلق، وبناءً على هذا الفَرض الذي يَعُدُّه المستشرقون حُجَّةً مسلَّمةً، فالأمرُ إذن يدورُ حولَ رفضٍ مُسبَقٍ للإسلام بوصفه دينًا سماويًّا، وهذا الرفضُ ليس له من علاجٍ إلا دراسةُ الإسلام دراسةً نزيهةً محايدةً دون أن تكون هناك أوهامٌ وتصوُّراتٌ أو أحكامٌ سابقة.

(٢) لم يكن ذلك معرفةً تَوصَّل إليها محمدٌ، بل كان وحيًا قرآنيًا جاء في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

أما الأمر الثاني: فقد كان يَتمثّلُ في أنَّ محمداً قد عَرَف أنَّ الكتابَ المقدَّس قد جَعَل من إبراهيمَ الأبَ الأولَ للعرب، وهكذا كان محمدٌ يَميلُ بطبيعةِ الحال إلى الاستنادِ إلى أبي الجِنس الذي ينتمي هو إليه، وقد وَصف محمدٌ نفسَه من الآنِ فصاعِداً بأنه ذلك النبيُّ الذي جاء لإكمالِ العملِ الذي بدأه الأبَوانِ إبراهيمُ وإسماعيل، فالإسلامُ الذي دعا إليه محمدٌ كان هو نفسَه تماماً ذلك الذي دعا إليه إبراهيم، وقد كان إبراهيمُ ـ الأبُ الأولُ للعرب ـ مِثلَ محمدٍ تماماً مُسلِماً وحَنيفاً، ولكنَّ إبراهيمَ لم يكن بالنسبةِ لمحمدٍ المحرِّرَ من اليهوديةِ والمسيحيةِ فحسب، فقد خَدَم النبيُّ الأبُ محمداً أيضاً في إدخالِ طقوسِ العبادةِ المَكيَّةِ في الإسلام بعدَ أن خَلَّصها من بعضِ المراسِمِ التي تكشِفُ بوضوحٍ عن أصلٍ وَثَني.

وكان إبراهيمُ قد دَفع بإسماعيلَ وأمه إلى بلاد العرب، وفي وُسع المرءِ إذن أن يَفترضَ أنهما قد جاءَا إلى مكةَ وأسسا الكعبةَ هناك بِناءً على أمرٍ إلهيٍّ، وهذا الافتراضُ يَتضمَّنُ بطبيعةِ الحال أنَّ نَسْلَ إسماعيلَ قد أفسَدَ بصفةٍ عامةٍ العبادةَ والدينَ بطريقةٍ مُزعجة.

إنَّ صِلاتِ محمدٍ باليهوديةِ والمسيحية ـ كما وصفناها هنا ـ وتاريخَ تطوُّرِ أسطورةِ إبراهيمَ في عَقِل محمدٍ بصفةٍ خاصة ـ، كلُّ ذلك يَستبعدُ الآنَ تماماً الرأيَ الذي يَذهبُ إلى القولِ بأن دَعوةَ محمدٍ قد استَندت إلى جماعةِ الحنفاءِ الذين كانوا مِن قَبلِه يَدْعُون إلى شيءٍ من اليهودية والمسيحية تحت اسم «دين إبراهيم»[1].

---

(١) لقد ورد ذِكرُ إبراهيمَ عليه السلام في القرآن في تِسعٍ وستِّين موضعاً، منها اثنتانِ وثلاثون مرةً في =

وبعد أنْ وَصَفَ «سنوك هورجرونيه» صِلاتِ محمدٍ باليهودية والمسيحية يَطرحُ السؤالَ عن الدافعِ المحدَّدِ لبَعثته النبوية.

لقد كان المرءُ في السابق يَرىٰ بطريقةٍ عامةٍ أنَّ محورَ دعوةِ محمدٍ يتمثَّلُ في كِفاحِه ضدَّ الوثنيةِ لصالحِ «عقيدةِ» التوحيدِ الصارم، ومن المؤكَّد ـ كما يرىٰ «سنوك هورجرونيه» ـ أن وحدةَ اللَّهِ كانت تُمثِّلُ أحدَ الأعمدةِ الرئيسيةِ للإسلام، وقد نالت هذه العقيدةُ ـ فيما بعدُ ـ أهميةً متناميةً باستمرار، ولكنَّ الحماسَ للدفاعِ عن الوحدةِ الألهيَّةِ ضدَّ الوثنيةِ وضدَّ التثليث.. إلخ لم يكن بالنسبةِ لمحمدٍ هو الدافعَ المحدَّدَ لبعثتِه النبوية، فقد كانت هناك بالأحرىٰ منذُ البدايةِ فكرةٌ احتلَّت مكانَ الصدارة من تفكيره وسلوكِه، وهي فكرةُ «يوم الحساب»، فالأمرُ الذي كان يُقلِقُه هو الاقتناعُ بأن الناسَ جميعًا سوف يُضطرُّون في يومٍ من الأيامِ للمُثول أمامَ اللَّه للحساب، وأنه لن يكونَ أمامَهم مَخرجٌ آخَرُ غيرُ بابِ النارِ أو بابِ الجنة(١).

= آياتٍ مكيةٍ وسَبعٌ وثلاثون مرةً في آيات مدنية. وقد جاء الأمرُ باتباع مِلَّةِ إبراهيم أولاً في آيةٍ مكية في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وتكرَّر هذا المعنىٰ في أكثرَ من آيةٍ مَدَنية، مثل قوله تعالىٰ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، أما بِناءُ الكعبةِ، فقد تمَّ علىٰ يدِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام، كما ورد ذلكَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ويريد «هورجرونيه» ـ كعادةِ غالبيةِ المستشرقين ـ أن يُصوِّرَ علاقة محمد ﷺ بإبراهيمَ وإسماعيلَ ـ عليهما الصلاةُ والسلام ـ بأنها أسطورةٌ كانت تدورُ في عقل محمد انطلاقًا من زعمه الباطل بأن القرآن ليس وحيًا حقيقيًا من عند اللَّه.

(١) الإيمانُ باللَّه الواحدِ الذي لا شريكَ له مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بالإيمانِ باليوم الآخر، والقرآنُ=

وقد كانت هناك فكرتانِ تتنازعانِ في عَقلهِ علىٰ السيطرة.

فمن ناحيةٍ كانت هناك فكرةٌ محكمةٌ عامةٌ للناس جميعًا بعد بَعثِ الأموات.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ كان هناك الخوفُ من المُحاكَماتِ الجزئيةِ التي تتعرَّضُ لها من عصرٍ إلىٰ عصرِ الشعوبُ التي تتمرَّدُ علىٰ رُسُلِ اللَّه.

وقد كانت هذه الأفكارُ المتمثِّلةُ في الكارثةِ النهائيةِ وبَعثِ الأمواتِ والحسابِ والنارِ والجنة، هي التي دَفعت محمداً إلىٰ إنعامِ الفكرِ وإلىٰ النبوَّة، وقد عَرَضت أقدمُ الآياتِ القرآنيةِ هذه القضايا بإثارةٍ عاطفيَّةٍ تكادُ أن تكونَ في صورةٍ وحشيَّة، وقد اتَّخذت هذه القضايا فيما بعدُ اشكالاً أكثرَ ثَباتًا وأكثرَ تقليديةً، وأخيراً عندما أصبح النبيُّ علىٰ رأسِ جماعةٍ تَحتَّمَ عليه أن يقومَ بتنظيمها، وعندما توقَّف الصراعُ ضدَّ الكفارِ ـ في مُحيطه ـ ظَلَّت عقيدةُ «العالَمِ الآخرِ» عنصراً أساسيًّا من عناصرِ الإسلام، ولكنَّ التصويرَ المثيرَ للعواطفِ بشأنِ يومِ الحساب لم يَعُدْ يَظهرُ في الوحي المحمديِّ إلاَّ نادراً[1] .

= الكريمُ يَربطُ باستمرارٍ بينهما، فالإيمانُ باليوم الآخر ينبني علىٰ الإيمان باللَّه، ولا يُتصوَّرُ إيمانٌ باليوم الآخر دونَ الإيمانِ باللَّه، يقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقد ورد تعبيرُ «الإيمان باليوم الآخرِ» مسبوقًا «بالإيمان باللَّه» في كلِّ المواضعِ القرآنية التي ذُكر فيها اليوم الآخر.

(١) لم تكن هذه أفكاراً تتنازعُ في عَقلِ محمدٍ كما يزعمُ «هورجرونيه»، وإنما كانت وحيًا من عند اللَّه، أمَّا كونُ الحديثِ عن البعثِ والحسابِ والجنةِ والنار.. إلخ قد جاء في البداية في صورةٍ تُثيرُ العواطفِ وتَهُزُّ القلوبَ، فذلك يرجعُ إلىٰ أن القلوبَ كانت فِعلاً في حاجةٍ=

إنَّ فِكرةَ «المَحكمة الإلهيَّة» ـ التي كانت فكرةً مشتركةً بين اليهود والمسيحيين ـ قد أرَّقت محمداً، واقَضَّتْ مَضْجَعَه إذن منذ البداية، ولكنَّ اليهودَ والمسيحيين كانوا قد عَرفوا عن طريقِ الوحي يقينيَّةَ يومِ الحساب، وليس هذا فحسب، بل عَرفوا أيضًا الأوامرَ التي أعطَتْهم مراعاتُها اليقينَ بأنهم سيكونون من الناجِين في يوم الحساب، (أما العرب فلم يأتهم نذير) ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦].

ولم تكنِ المساواةُ التي أقرَّها محمدٌ بين الشعوبِ أو الأجناسِ والطوائفِ الدينيةِ تَسمحُ له بالاعتقادِ بأنَّ وَحيًا مِن هذا الوَحيِ السابقِ (في اليهودية والمسيحية) كان مقرَّرًا لشعبهِ أو مقرَّرًا له هو، فكيف إذن يَتجنَّبُ محمدٌ وقومُه العذابَ المقيم؟.

لقد أجابت عن هذه القضيةِ الحياتية «المصيرية» آياتُ القرآن التي يُنظَرُ إليها بالإجماع على أنها أقدمُ الآياتِ، سواءٌ من جانبِ المسلمين الأصوليين

= إلىٰ هذه الإثارةِ العاطفيةِ، نظرًا لتحجُّرها وجُمودها وانغلاقها، وقد سَجَّل الوحيُ المكِّيُّ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ومن هنا كان حديثُ القرآنِ عن نهايةِ العالَم ويومِ القيامة بأوصافِ «الزلزلة، والقارعة، والراجفة، والصاخَّة، والطامَّة الكبرىٰ». وبعد أن فتح اللّٰهُ القلوب الغُلْفَ والآذانَ الصُّمَّ والأعينَ العُمْيَ، ودَخَلَ الناسُ في دينِ اللّٰه أفواجًا، لم يكن القرآنُ في حاجةٍ إلىٰ تكرير نفسِ الأسلوب، فلكلِّ مَقامٍ مَقال، ولكنَّ هذا الأسلوبَ سيظلُّ أيضًا قائمًا في كلِّ العصور للقلوب التي يُصيبُها الوَهْنُ والعقولِ التي يَعتريها الغرورُ، فيكون عِلاجًا مستمرًّا ناجعًا لأمراض القلوب.

أو من جانبِ النظرةِ النقديَّةِ أيضًا.

فإذا أراد المرءُ أن يَعتبرَ محمدًا إنسانًا قد أوحي إليه حقًّا من عند اللَّه، أو إذا أراد المرءُ أن يَعتبرَ أنه قد أُعطي له حدٌّ أدنى فقط من الرُّوحِ النبويِّ، أو إذا أراد أن يَعتبرَ أن الشيطانَ قد تَلَبَّسه، أو أنه إنسانٌ هِستيريٌّ، أو مُصابٌ بالصرع، فإن الأمرَ الذي لا جِدالَ فيه أنه كان لديه المِزَاجُ العقليُّ الخاصُّ الذي يَدفعُ أُناسًا معيَّنين إلىٰ إنعامِ الفِكرِ وتعذيبِ أنفسِهم بمسائلَ دينيةٍ إلىٰ أن يَجِدوا حَلاًّ لها، ولم يكن هناك في الماضي «بالنسبة لمحمد» أحدٌ من رجالِ اللَّه استطاع أن يُجيبَ عن الشدَّةِ والمعاناةِ التي أقَضَّت مَضْجَعَ محمدٍ بوَحيٍ يَشتملُ علىٰ الحقيقةِ الواضحة عن البَعث ويومِ الحساب، والأمرُ الأقلُّ مِن ذلك بكثيرٍ أنه لم يكن هناك أحدٌ مِن أمثالِ هؤلاءِ بين مُعاصِرِيه وقد أتىٰ إليه الخلاصُ من أعلىٰ! وقد كان هو نفسُه مُعيَّنًا مِن قِبَلِ اللَّهِ لإخراجِ قومِه من الظلماتِ إلىٰ النور![1].

* مرجليوث Margoliouth (١٨٥٨ - ١٩٤٠):

«د. س. مرجليوث» (١٨٥٨ - ١٩٤٠) مستشرقٌ إنجليزي معروف، كان أستاذًا للعربية في جامعة «أكسفورد» منذ عام ١٨٨٩، ومن مؤلَّفاته «محمد ونهضة الإسلام» (١٩٠٥م)، و«أصول الشعر العربي» (١٩٢٥) وهذا البحثُ الأخيرُ هو الذي اعتَمد عليه الدكتور «طه حسين» في كتابه عن «الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦م.

---

(١) «الإسلام في تصورات الغرب» (ص١٧١ - ١٧٨).

«مرجليوث» ـ وهو من كبار المستشرقين ـ كان له اتصالٌ واسعُ المدىٰ مع المصريِّين بعد الاحتلالِ البريطاني، وقد اتَّصل به الشيخ «عبدالعزيز جاويش» وهاجَمَه عندما أصدر كتابه «محمد وظهور الإسلام».

ومنذ عام ١٩٠٧ تناولَت الصُّحُفُ في مصرَ آراءَه، فقد أَصدرَ في ذلك الوقتِ كتابًا عن النبيِّ محمدٍ ﷺ، وجَعله حَلْقةً من سلسلةِ «عظماء الأمم»، وَصَفَه «سليمانُ النَّدْويُّ» فيما بعدُ بأنه لم يؤلَّف بالإنجليزية كتابٌ أشدُّ تحامُلاً علىٰ النبيِّ ﷺ منه، حاوَل فيه «مرجليوث» أن يُشوِّهَ كلَّ ما يَتعلَّقُ بالسيرة، وأن يُشكِّكَ في أسانيدها، ولم يَألُ جَهْدًا في نَقضِ ما أَبرمَه التاريخُ ومعارضةِ ما حَقَّقه المحقِّقون من المُنصِفين، وقد أشار الشيخ «جاويش» إلىٰ آراءِ «مرجليوث»، وقال: «إنه ـ أي مرجليوث ـ حارَبَ التاريخَ كما حارَبَ الإنصافَ، وحَمَل علىٰ الرسولِ ﷺ حَملاتٍ مُنكَرَةً»، وأشار إلىٰ قولِ «مرجليوث»: «إنَّ المسلمَ معناه في الأصل: الخائن»، وعَلَّل ذلك بأن هذه الكلمة مشتقَّةٌ من اسمٍ مسلم، وادَّعىٰ «مرجليوث» أن النبيَّ ﷺ كانت تنتابهُ النُّوَبُ العصبيةُ كثيراً، وزَعَم المؤلِّفُ أن النبيَّ ﷺ عاشَرَ بعضَ النصارىٰ، فاستفاد كثيراً من القَصص، واقتَبَس بعضَ أساليبِ التعبير، وعَلَّل زَواجَه بخديجةَ بطَمَعِه في مالها.

وقد صارت آراءُ «مرجليوث» مَصدراً للمتعصِّبين من الكُتَّابِ الغربيِّين، ومن ذلك ما نَقَله عنه مستر «سكوت» وأثار كثيراً من الاعتراضات، وقد أشار رضا إلىٰ أن السببَ في أكثرِ غَلَطِ «مرجليوث» وخَطأه في السيرة هو التحكُّمُ في الاستنباطِ والقياسِ الجُزئيِّ وبيانِ أسبابِ

الحوادث، كما هو شأنُهم في أَخذِ تاريخِ الأقدمِين من الآثارِ المكتَشَفة واللغات المَنسيَّة ونَقص فهمهم.

☐ كما أشار صاحبُ المقبس «محمد كرد علي» إلىٰ كتابه «عظماء الأمم» فقال: «إنه لم يؤلَّفْ كتابٌ بالإنجليزية أشدُّ تحامُلاً علىٰ النبيِّ ﷺ مما جاء بهذا الكتاب، فقد حاول «مرجليوث» أن يُشوِّهَ كلَّ ما يَتعلَّقُ بالسيرة الشريفة، وأن يُشكِّك في أسانيدها، ولم يَأْلُ جَهدًا في نقضِ ما أَبرمه التاريخ ويُعارِضُ ما حَقَّقه من المثقَّفين، و«مرجليوثُ» له فَرضٌ في الشِّعر الجاهليِّ، نَشَره في يوليو ١٩٣٥ في إحدىٰ المجلات الاستشراقية، وفي ١٩٢٦ نَقَله «طه حسين» في كتابه المشهور عن الشعر الجاهلي، يقول «مالك بن نَبِّي»: «ربَّما لم يكن فَرضُ «مرجليوث» ليحتويَ علىٰ شيءٍ خاصٍّ غيرِ عاديٍّ لو أنه حينَ نُشرِ لم يُصادِفْ ذلك الترحيبَ الحارَّ من المجلاَّت المستغربة، ومِن بعض الرسالاتِ التي يقومُ بها دكاترةٌ عَرَب مُحدَثون، حتىٰ لقد كَسَب هذا الفرضُ قيمةَ المقياسِ الثابتِ في دراسةِ الدكتورِ «صبَّاغ» عن «المجاز في القرآن»، وقد رفض الدكتور «صبَّاغ» رفضًا مقصودًا مغرضًا الاعترافَ بالشِّعر الجاهليِّ كحقيقةٍ موضوعيةٍ في تاريخ الأدب العربي».

وكَتَب «مرجليوثُ» مقالاً نُشر عام ١٩٠٤، فردَّد قولَ «برايس» مِن أنَّ الإسلامَ لم يَبْقَ من عُمرِه إلاَّ قَرنانِ، كما أعاد ما قاله أحدُ المبشِّرين مِن أن الإسلامَ لا يَلبثُ أن يَذوبَ ذَوَبانَ الثلْجِ بين يَدَيِ العِلمِ والتمدُّنِ والنصرانية، كما نَقَل رأْيَ الدكتور «بروين» الذي قال: «إن الإسلامَ يذهبُ بذَهابِ الدولةِ العثمانية»، ومضىٰ يُردِّدُ الكلماتِ التقليديةَ التي يُردِّدُها المتعصِّبون وخُدَّامُ الاستعمار من أنَّ الإسلامَ لن يَبقَىٰ بعدَ احتكاكِه بالتمدُّنِ الحديث،

ويموتُ لا محالةَ، كما رَدَّدَ ما قاله أحدُ كُتَّاب التغريب من أنَّ الانحطاطَ الذي يَعيشُه المسلمون ـ في هذه الفترة ـ يَرجعُ إلىٰ أسبابٍ متَّصلةٍ بالإسلام نفسه؛ لأنه لا يوافقُ رُوحَ التمدُّنِ، وهكذا يَتكشَّفُ في كتاباتِه جُمَّاعٌ مُنَسَّقٌ لِمَا تُورِدُه حَمْلاتُ التشكيك التي لا يَرقىٰ كُتَّابُها إلىٰ مَقامِ العلماء، ونَقَد العلاَّمة «عبدالعزيز جاويش» هذا الكتاب «محمد وظهور الإسلام» لـ«مرجليوث»، فقال: كتابٌ وَضَعه مستر «مرجليوث»: ظهر هذا الكتابُ من نحوِ سبعةِ أعوامٍ، ونُفوسُ الإنجليز والأمريكيين تَرقُبُه لِمَا لذلك الرجل عندهم من المكانةِ العِلميَّةِ الرفيعةِ، ولا سيَّما وهو مشغوفٌ بدعوىٰ أنه مُحيطٌ بأكثرِ لغاتِ العالم، فتراه يَدَّعي العِلمَ بالإسبانيةِ والفرنسيةِ والإيطالية والألمانيةِ والعَربيةِ والفارسية والعِبرانية، وقد كُنتُ إبَّانَ ظُهورِ الكتابِ في مدينة «أكسفورد» حيث المؤلِّف، لَمَّا ذَكرتُ له رغبتي في شراءِ كتابه، وَعَد أن يُقدِّمَ لي منه نُسخةً، ثم جَعَل يتباطأُ تارةً، ويتناسىٰ أخرىٰ، حتىٰ مَللتُ وُعودَه، وظَننتُ أنه لابد لهذا الكِتابِ مِن سرٍّ يُريدُ إخفاءَه عنِّي، ولا سيَّما والمؤلِّفُ يَعلمُ أنني ضعيفُ الثقةِ بكثيرٍ من المستشرقين، سيئُ الظنِّ بهم، وقد كنتُ في الواقع كذلك، ولكنْ بعد أن خَبَرْتُهم، وسَبَرْتُ غَوْرَ معلوماتِهم، وتَتَبَّعتُ مَبلغَ كفاءتَهم، ولولا أنني وَجدتُ مِن بينهم أفذاذًا قليلينَ جدًّا، لَمَا اطمأنَّت نفسي إلىٰ أحدٍ منهم، فلما حَصُلتُ علىٰ الكِتابِ وتصفَّحتُه ثم درستُه بابًا بابًا وكلمةً كلمةً، حتىٰ جِئتُ علىٰ آخِرِه، فوجدتُه عند ظنِّي به، وجدتُه حارَبَ التاريخَ كما حارَبَ الإنصافَ، وحَمَل علىٰ الرسولِ ﷺ حَمْلاتٍ منكرةً، ويَظهرُ أن المؤلِّفَ توقَّع أنْ لا يَقَعَ كتابُه إلاَّ في أيدي البُلْه، ولا يَطَّلعُ عليه إلاَّ الأغرارُ، فلم يُبالِ أنْ جاء فيه بمُحدَثاتٍ لو أنه تَدبَّر لَمَا

اجترأ على الإقدام عليها، فمِن ذلك أنه يقول: إنَّ «المسلم» معناه في الأصل «الخائن»، وعَلَّل ذلك بأن الكلمةَ مشتقَّةٌ من اسم مسلم، ثم زَعَم أن المسلمين سَمَّوا أنفُسَهم بذلك من غيرِ تدبُّر، ثم حَوَّلوا هذه المادةَ إلى معنى «التسليم» المشهور اليومَ، وادَّعى المسترُ «مرجليوث» أن النبيَّ ﷺ كانت تنتابُه النُّوَبُ العصبيةُ كثيراً، وفَسَّر بذلك ما كان يُصيبُه ﷺ من الجَهدِ خلالَ نزولِ الوحي، مع أنه عليه السلام لَم يُعرفْ في تاريخ حياته أنه كان يُصابُ بأمثالِ تلك النوْباتِ العصبيةِ قبلَ زَمَنِ البعثةِ ومُقدِّماتِها.

وزَعَم أنَّ ما كان من بلاغِ النبيِّ ورسالاتِه لم يكن وحيًا يُوحى، وإنما آراءٌ وأنباءٌ يَجيئُه بها جواسيسُه وعُيونُه.

وقال: إن محمداً والذين آمنوا به قد كَوَّنوا جماعةً سِرِّيَّةً على نحوِ ما يفعلُ الماسون، وإنَّ هذا الجَمْعَ السِّرِّيَّ قد اتَّخذ له بِضعَ رُموزٍ، منها قولهم: «السلام عليكم».

وللمستر «مرجليوث» عِدَّةُ تأويلاتٍ من أعجبِ ما يَرى الراؤون، فمِن ذلك ما قاله في «التوحيد» ـ الذي هو رُوحُ الإسلام ـ، فلقد زَعَم أن النبيَّ ﷺ نَظَر في تعاليمِ النصارى واليهود، فأخرَجَ منها ما لا يَقبلُه العقلُ، وكان «اللَّه» أحدَ أصنامِ الكعبة قبلَ الإسلام، فوَفَّق بين إلهِ اليهود والنصارى، وجَعَلهما واحداً، فكيف يكونُ التوحيدُ هو عينَ التثليث، إلاَّ في نَظَرِ مَن يُغالِطون في القضايا الحسابية العقلية؟! ولو أنَّ الكاتبَ أراد أن يُنصِفَ الحقَّ والتاريخَ لقال بما قال به القرآنُ ـ في أكثرَ مِن آيةٍ ـ من أنَّ التوحيدَ هو دينُ جميعِ رُسُلِ اللَّه وأنبيائه.

ومما وَرَد في الكتاب في تعليلِ إسلامِ عُمرَ بنِ الخطاب ﷺ بأنَّ سرَّ انقلابِ عُمرَ من اضطهادِ أُختِه وضَربِها إلىٰ مجاراتِها والمبادرةِ باعتناقِ الإسلام، بأنه تأثَّر مِن رؤيتِها مجروحةً بسببِ قَسوتِه وتَسرُّعِه، فأحبَّ أن يُكفِّرَ عن سيِّئته هذه، فأظهر إعجابَه بالقرآن، ورَضِي الإسلامَ دينًا[1].

يتصفَّحُ الناقدُ هذا الكتابَ فيتمثَّلُ صاحبَه إذ أخذ يُدافعُ عن اليهود كأنه يهوديٌّ المَنْبَت، وإذا كَتَب للدفاع عن النصارىٰ فكأنه هو نصرانيٌّ صميم.. وإذا ذَكَر حوادثَ الوثنيين من العرب، وما أصاب النبيَّ من أذاهم وكَيدِهم طَرِبَ طَرَبَه ممن دبَّر تلك الحكايةَ، وأمعن في إيصالها إلىٰ الرسول ﷺ.

وقد اشتُهر مستر «مرجليوث» بقُدرتِه البليغةِ وعلمه الواسعِ باللغة العربية، وأنا لا أريدُ أن أذكرَ هنا رأيي في هذا المستشرق الشهيرِ اكتفاءً بحادثةٍ وقعت لنا في جامعة «أكسفورد»، ذلك أنني كنتُ مدعوًّا معه في بعضِ المنازل، فلمَّا كنَّا علىٰ المادة، سألني بعضُ الحاضرين: هل سَبَق لي أكلُ لَحمِ الجَزُور، فأجبتُه أنني لا أذكرُ ذلك، وربما اتُّفق لي هذا وأنا صغير، فلمَّا سمع الأستاذ «مرجليوث» هذا الكلام قال: كيف ذلك، وعلىٰ كلِّ مسلمٍ فَرضٌ أن يأكلَ لَحمَ الجِمالِ ولو مرةً واحدةً في حياته؛ لأنه من قواعدِ الإسلام، عند ذلك أجبتُه ـ وأنا دَهِشٌ مما قال ـ: يا سيدي، إنَّني أَعرِفُ أن قواعدَ الإسلامِ خمس، أمَّا هذا السادسُ، فلا أعرفُه، بَيْدَ أني أستميحُ الأستاذَ عَفوًا أن يذكرَ لي مأخذَ هذا الحُكمِ! فقال: إنه وَرَد في «صحيح البخاري» أنه قد جاء أحدُ اليهود إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وقال له: «إني جئت

(١) هذه القصة مشهورة في بعض كتب التاريخ، لكنها لا تصحُّ ـ كما ذَكَر حُفَّاظُ الحديث.. فانتبهْ.

أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه وأنك رسولُ اللَّه، فأجلَسَه الرسولُ ﷺ وأَمَر له بلَحمِ جَزورٍ»، ومِن هنا استنبط مِستر «مرجليوث» أنه يَجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يأكلَ لَحم الجَزور وأنَّ هذا من العوائدِ الإسلامية التي يَنهدمُ الدينُ بانهدامها، فلمَّا فَرَغ قلتُ له: إنْ صَحَّ وجودُ هذا الحديثِ في «البخاريِّ» فالذي يَفهمُه المسلمُ الذي يَفقَهُ اللغةَ العربيةَ منه أحدَ أمرين:

فإمَّا أن يكون الرسولُ ﷺ أراد يُقدِّم لذلك اليهوديِّ شيئًا من الطعام؛ لأنه ضَيفُه في بيته.

وإمَّا أنه أراد أن يَمتحنَ إيمانَ اليهوديِّ بإطعامه شيئًا ممَّا حَرَّمه اللَّهُ على بني إسرائيلَ في التوارة من أجزاءِ اللحم.

ثم تَلَوتُ الأدلةَ المفيدةَ لذلك، فبُهت الأستاذ، ولكنْ لم تَجْسَر قُوَّةُ المكابَرة وشِدَّةُ العنادِ التي فُطر عليها الأوربيون ـ ولا سيَّما المستشرقون منهم ـ على أن تُحوِّلَه عن رأيه، وبمثلِ كلامِ هذا الأستاذِ يَقتدي واضِعوا الكتبِ التاريخيةِ القانونية، وعن مِثلِه يَنقُل أمثالُ مستر «سكوت» آدابَ الإسلامِ ودقائقَ أسراره.

□ يقول «بفانموللر» المستشرقُ الألماني: «ويَرى «مرجليوث» في محمدٍ دَجَّالاً ماكرًا معدومَ الضمير، وسياسيًّا يَخدعُ الآخَرين بشعوذاته، وبذلك يَسُدُّ «مرجليوثُ» على نفسه الطريقَ لفَهمِ أخلاقِ محمدٍ وتطوُّره»[1].

فيا لَه من إسفافٍ وتطاولٍ وافتراءٍ وكذبٍ على سيِّد البشر ﷺ!.

وتَتَبَّعَ «مرجليوثُ» بشَغَفٍ ظاهرة الوحي لدى محمدٍ ﷺ، ويقارنُها بأقوالِ المذهبِ الرُّوحيِّ الحديث وبالمذهبِ المورموني (Mormonism).

---

(١) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٨٥).

* مايِر (Meyer) (١٨٥٥ ـ ١٩٣٠):

«إدوارد ماير»، مستشرقٌ ألماني، وقد صدر كتابه عن «أصل المورمون وتاريخهم مع نظرةٍ حول بدايات الإسلام والمسيحية» في «هاله» بألمانيا عام ١٩١٢م، وقد قام «ماير» باستخلاصِ أوجهِ الشَّبَهِ بين ظهورِ محمدٍ ومؤسِّسِ طائفةِ المورمون «جوزيف سميث».

☐ والمورمون طائفةٌ مسيحية، أسَّسها في الولاياتِ المتَّحدة عام ١٨٣٠ «جوزيف سميث» (١٨٠٥ ـ ١٨٤٤)، وادَّعىٰ أنه يُوحَىٰ إليه، وقد أسَّس المورمون عام ١٨٤٨ مدينةَ «المورمون» انتظارًا لعودة المسيح، والسؤالُ الآن هو: أيُّ أوجُهِ شبَهٍ يريد أن يستخلصَها «ماير» من مقارنته بين بَعثةِ محمدٍ ﷺ ومؤسِّسِ هذه البدعةِ الجديدةِ «جوزيف سميث»؟ إنَّ هذا ضربٌ من العَبَث، واستهانةٌ بعقليةِ القارئ الذي لا تَخفىٰ عليه أهدافُ هذا العبَثِ الذي ليس له مبرِّرٌ دينيٌّ أو أخلاقي[٢].

ويَرىٰ الدَّجَّالُ «ماير» أنَّ «سِدْرَةَ المنتهىٰ» مكانٌ معيَّن لدىٰ «مكة» ضاعت مَعالِمُه بَعدَ ذلك ـ متفقًا في ذلك مع «اشبرنجر» ـ، وهذا فَهمٌ أَبْلَهُ ليس له ما يُبرِّرُه إلاَّ محاولةُ فَهمِ الإسلام بأنه مقطوعُ الصِّلة بالسماء!.

* ليوني كيتاني (١٨٥٩ ـ ١٩٢٦):

☐ الأمير «ليوني كيتاني»، مستشرقٌ إيطالي، قال عن النبي ﷺ فيما يقوله «بفانموللر»: «كيف تَحوَّل الداعيةُ المتحمِّسُ للَّهِ تحوُّلاً سريعًا، بمجُردِ

---

(١) المصدر السابق (ص١٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٩٥).

أن استقرَّت أقدامُه في المدينة، إلىٰ سيِّدٍ دُنيويٍّ وسياسيٍّ عبقريٍّ، دونَ أن يَحدُثَ في باطنِه تصدُّعٌ واعٍ وحقيقي؟! والأمرُ الهامُّ أن محمدًا أيضًا في شتَّىٰ تنظيماتِه وأعمالِه التي تَجرحُ شعورَنا الأخلاقيَّ جُرحًا بالغًا لم يَفقدِ الوعيَ بأنه أداةُ إلهِهِ، هذا الإله الذي هو نَفسُه لديه نِقاطُ ضعفٍ إنسانيٌّ إلىٰ حدٍّ ما.

◻ يقول الدكتور حمدي زقزوق معلِّقًا: «الإسلام دينٌ ودنيا، وسياسةٌ وأخلاق، عقيدةٌ وشريعة، وهذا أمرٌ لا يُريدُ المستشرقون أن يَفهموه، ثم ما هي تلك الأعمالُ التي صَدرت من محمدٍ ﷺ، وتَجرحُ الشعورَ الأخلاقيَّ لدىٰ الأوربيين جُرحًا بالغًا؟!! وما هي نِقاطُ الضعفِ الإنسانيِّ التي يُريدُ أن يَنسبَها «كيتاني» إلىٰ اللَّه - عز وجل -؟!!!! هذا كلامٌ غريبٌ لا سَندَ له علىٰ الإطلاق من عقائد الإسلامِ وتشريعاته، فالإسلامُ جاء لِيُتَمِّمَ اللَّهُ به مكارمَ الأخلاق، وتنزيهُ اللَّهِ في الإسلام عن صفاتِ المخلوقين، ومخالفتُه للحوادثِ من الأمورِ المشهورة التي لا تَحتاجُ إلىٰ مزيدِ بيان».

* هنري لامنس، الراهبُ اليسوعي المورِّخُ الكذَّاب (١٨٦٢ - ١٩٣٧):

يُعدُّ «هنري لامنس» من أشدِّ المستشرقين تعصُّبًا علىٰ الفِكرِ العربيِّ الإسلاميِّ، وقد بالَغ في التعصُّبِ علىٰ الإسلام، حتىٰ أعلَن المنصِفون شكَّهم في أمانتِه العلمية، وقالوا: «إنه لا يَنسَىٰ عواطفَه فيما يكتبُ عن النبيِّ والإسلام، وإنه كان داعيةً ولم يكن عالِمًا»، وقد عُرف بتهكُّمه علىٰ النصوص العربية، كما وُصف بإرهاقه للنصوص وتحميلِها أكثرَ ممَّا تحتمل، فإذا وَجد في الإسلام موضعًا للفضل ذَهب بنسبتِه إلىٰ مَصدرٍ

غيرِ إسلامي.

ولد عام ١٨٦٢ في «بلچيكا»، واتَّخذ «لبنان» موطِنًا، ودَرَس في «الكلية اليسوعية» ببيروت، واشتَغل بالتدريس فيها من ١٨٨٦، وتَخصَّص في «تاريخ الشرق الأدنىٰ وحضارة أهله»، وأتقن اللغةَ العربيةَ، وعُيِّن ١٩٠٧ أستاذًا في «مَعهدِ الدراساتِ الشرقيَّةِ» في الكليَّةِ اليسوعية ببيروت، وتُوفِّي في مايو ١٩٣٧، ووُصف بالراهب المؤرِّخِ، وأخذ عن «جولد زهير» و«نولدكه» و«كيناني» و«ولهوزن»، وله كتابٌ عن حياةِ محمدٍ، لم تُوافِقْ دوائرُ الفاتيكان علىٰ نَشره، خَشيةَ أن يؤدِّيَ ما فيه مِن طعنٍ وتهجُّمٍ إلىٰ احتجاجِ الأُمِ الإسلامية، وله كتابُ «فاطمة وبنات محمد»، وكتابه عن الثلاثة: «أبو بكر وعمر وأبو عبيدة»، و«مغزىٰ الرَّبط بينهم هو ادعاؤه بأنهم تآمروا علىٰ الخلافةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ دون عليٍّ»!! ويقول «فييت»: «إن كتابه عن فاطمة وبناتِ محمد يَسُودُه التعصبُ والاتجاهُ العَدائي».

وقد تَحيَّز «لامنس» للأمويين، ووقف جانبًا كبيرًا من جهودِه العِلميةِ لدرسِ تاريخِهم السياسيِّ وخلافِهم مع العباسيين، ومَصدرُ إعجابِه ببني أمية أن دولتَهم كانت في تقديره - لا دينية -، ولأنهم أقاموا مُلكَهم في الشام، وتأثَّروا بالمدنيَّةِ القديمةِ التي أقامت في رُبوعه.

يتَّهمُ «الأب لامنس» في جميع مؤلَّفاته رُواةَ السِّيرةِ بأنهم مخترِعون، ولكنه لا يُحجِمُ عن الاعتمادِ علىٰ روايةٍ من رواياتهم إذا استطاع أن يَلمَحَ فيها مَطعنًا علىٰ الإسلام.

وهو إن تكلَّم عن «السيدة عائشة» لم يَجِدْ من مفرداتِ الفرنسية إلاَّ

كلمة «Favorite» ليَصِفَ بها زوجةَ النبيِّ ﷺ، وأقربُ ترجمةٍ لها بالعربية «مَحْظية».

ويَذكرُ هذا المجرمُ أن «رُقيَّة» ابنةَ النبيِّ ﵂ كانت جميلةً، وأن عثمان ابنَ عفان ﵁ إنما اعتَنق الإسلامَ ليتزوَّجها.

وقد سَجَّل عليه تَعَصُّبه زملاءُ له من أعلام الاستشراق، في مقدمتهم: «بيكرودسو، وجور فروا، وبمومبين، وماسيه».

◻ وقال «فييت» في نَعيِ «لامنس» بجلسة ١٠ مايو ١٩٣٧: «إنه من الصَّعب أن نَقبلَ كتابَ «فاطمة وبنات محمد» في ثقةٍ ودونَ تحفُّظٍ، فإنَّ التعصُّبَ والاتجاهَ العُدوانيَّ يَسُودانِه إلىٰ حدٍّ كبير».

وهكذا ترىٰ أن «الأب لامنس» كان من أشدِّ المتعصِّبين علىٰ الإسلام، وكان المستشرقون يَعرِفون في «لامنس» هذا العَيبَ الكبيرَ ويأخذونه به.

وادَّعىٰ هذا الكاذبُ أن أبا بكر وعمرَ وأبا عبيدةَ ﵃ اجتَمعت كَلِمَتُهم في أواخرِ عهدِ النبيِّ ﷺ أن يَحتكِروا الحُكمَ بعد وفاتِه ويتداولوه واحداً بعد واحد، وأن اثنتينِ من أزواجِ النبي ﷺ ـ هما عائشة وحَفصةُ ﵄ ـ مَهَّدَتا لهم السبيل، وأن هذه المؤامرةَ قد نَجحت إلىٰ حدٍّ بعيد، وقد رَدَّ عليه الأستاذُ «عبدالحميد العبادي» فأفحمه، ومَّمن رَدَّ علىٰ «لامنس» فأجاد الأستاذُ «كرد علي».

وقد ذَكَر أن عالِمَ قريش خالد بن يزيد تلميذُ راهبٍ، ولم يَقُلْ كلمةً واحدةً في أَثَرِ هذا الراهبِ عليه.

وادَّعىٰ أن شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّةَ هو صاحبُ «المَذهب الارتجاعي»،

وأن عَمَلَه مُختَلٌّ، وأنه كان لا يَفتُرُ عن مُقاتَلَةِ البِدع، وقضىٰ حياتَه وهو يَسُوقُ أبناءَ أُمَّتِه في سبيلِ التعصُّب.

◻ وادَّعىٰ هذا الدجَّالُ بأن الفقهَ الإسلاميَّ قد تأثَّر بالفقهِ اليوناني، ووصف «صلاحَ الدين الأيوبي» بـ «الطَّمَّاع»، ووصف الحروبِ الصليبيةِ بـ «البسالة»، وصَوَّر ملوكَ الصليبيين علىٰ الغاية من النجدة والعقل، وقال: «إنَّ تَرْكَ صلاحِ الدين للأسرىٰ الصليبيين يومَ فتحِ بيتِ المقدس أحياءً، ولم يُعمِلِ السيف فيهم مِثلَما فَعلوا هم يومَ أَخذوا القُدس قال: إن هذا العملَ كان عن «عَجزٍ وخوف». واعتذر عن فَعْلَةِ الصليبيين في بيتِ المقدس بأنَّ هذه المدينة عُوملت بما تقضي به الأخلاقُ الحربيةُ في ذلك العهد.

◻ وقال: «إن دَورَ الأكرادِ الأيوبيين كان قليلَ البهاء».

ولا يعترف «لامنس» الدجَّال بأنه قامت للعدل سُوقٌ في ديارِ الشام منذ فتحها العرب.

◻ وقال «كُرد علي»: «إن «لامنس» أَلَّف تاريخًا مختصراً للشام، لم يَذكرْ فيه للإسلام ولا للعربِ مَحْمَدةً من ثلاثةَ عَشَرَ قرنًا ونصفِ قرن، ووَصَفَ العربيَّ بأنه ليس شجاعًا، وأنه علىٰ استعدادٍ للنَّهبِ، كما تَمدَّح الصليبيين ـ وهم بشهادة المؤرِّخين من أهل الخُبثِ والفجور ـ، وادَّعىٰ أن الصليبيين عاملوا الأهالي في الحروب الصليبية معاملةً حسنةً، وفي تقديرِ الباحثين أن «لامنس» أضعَفَ مِن شأنِ أكثرِ مؤرِّخي العرب ـ أمثال الطبري والبلاذري وابنِ سعد والأصفهاني وابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء ـ، ووثَّق بعضَ القُصَّاصِ الوُضَّاع، وقد ذَكر «إميل درمنجم» ـ وهو من كُتَّاب

الغرب ـ «الأبَ لامنس» باللوم، وقال: «إن كُتبَه قد شوَّهت محاسنَها بما بدا في تضاعيفها من كراهيةِ الإسلام ورسولهِ، وإنه استَعمل إلى التاريخ طُرقًا بالغ فيها بالنقد».

وقال «كرد علي»: «إن «لامنس» نَشَر أخطاءَه وأكاذيبَه في «دائرة المعارف الإسلامية»، ومِن عَمَلِه تحريفُ آيات القرآن، وحَذْفُ ما لا يروقُه من كُتب المسلمين، وخَلْطُ الآياتِ القرآنيةِ بأبياتٍ من الشِّعر، وبجَعلِ الأحاديثِ النبوية من كلامٍ بعضهم، ومن ذلك اقتطاعُ جُملةٍ واحدةٍ من نصٍّ طويلٍ، وإيرادُ الخرافاتِ المنقولةِ من كُتب الوضَّاعين والقصَّاصين، مُدَّعيًا أنها منقولةٌ من كُتب الثقات الأثبات.

وادَّعى هذا الدجَّالُ الراهبُ أن رسولَ اللَّه ﷺ كان رجلاً غير أمين!!! قليلَ الشجاعة أكولٌ ونَؤُومٌ.. قال هذا في كتابه «هل كان محمداً مخلصًا صادقًا»، ويعتقد «لامنس» أنه يتحتم الإجابة بالنفي على هذا السؤال[1].

ووصفه بأنه أسلَمَ نفسَه للتمتع بلذات العيش، وأنه مصروع، وادَّعى أن النبيَّ لم يكن له ولد يُسمَّى «القاسم»، وأن فاطمة عليها السلام تزوَّجت في سنٍّ متقدِّمةٍ، وأنها لم تكن حَسَنَةَ الصورة.

ولقد أبدى هذا الراهبُ إعجابًا كبيرًا في مقالٍ له «نظرة في حاضر الإسلام» نَشَره في «المشرق» سنة ١٩٣٠ لَمَّا بَلَغ إليه الأمرُ مِن أن التعليمَ القرآنيَّ في تأخُّرٍ مستمرٍّ ومُطَّرِدٍ في البلاد الإسلامية المستقلَّة، وأن تطوُّرَ التعليمِ الرسميِّ في المعاهدِ العاليةِ والثانوية يتحرَّرُ شيئًا فشيئًا من تأثيرِ الدين

(١) «الإسلام في تصوُّرات الغرب» (ص١٩٠).

حتىٰ يُصبحَ «لا دينيًّا» محضًا، وأن دعاةَ التطُّورِ قد مَدُّوا أصابَعهم داخلَ «الجامع الأزهر»، و«الزيتونة»، وأشار إلىٰ أن ذلك سيؤدِّي إلىٰ اضطرابِ الشبيبةِ الإسلامية في مبادئِها وعقائدِها، وأن ذلك سيؤدِّي إلىٰ صَدمةٍ قويةٍ يُعانيها الإسلام.

*** القَسُّ اليَسوعي لويس شيخو، الصليبيُّ المتعصِّب، ورسالتُه «خرافات القرآن»:**

يُعَدُّ «لويس شيخو» من أقسىٰ المستشرقين علىٰ الإسلام والفكرِ الإسلاميِّ، وفي مجلة «المشرق» التي أصدرها منذُ رُبعِ قرنٍ حَمْلاتٌ متَّصلةٌ وإثارةٌ مستمرةٌ للشبهات، وفي مجالِ دراساتِه الأدبية لا يَنسىٰ خصومتَه وتعصُّبَه، ففي عشرات المجالات والأبحاث يتناولُ الإسلامَ والفكرَ الإسلاميَّ علىٰ نحوٍ لا يُشرِّفُ العالِمَ أو الباحث، ومِن أبرز آثارِه رسالةٌ أسماها «خرافات القرآن»، ترجَمَها «زويمر» عام ١٩١٤، وانتفع بها دعاةُ التبشير في مصرَ والبلادِ العربيةِ في الطعنِ علىٰ الإسلام ونَشَرَها في مجلةِ «العالم الإسلامي».

و«لويس شيخو» قَسٌّ يسوعيٌّ وُلد بـ «ماردين»، وتَعلَّم بمدرسةِ الآباءِ اليسوعيين في «غزير» بلبنان، وانتَظم في سِلكِ الرهبانية اليسوعية، وَتنقَّل في بلادِ أوربا والشرق، وقد عُهد إليه بتعليمِ الآدابِ العربيةِ في جامعة «القديس يوسف»، وأنشأ مجلة «المشرق» (١٨٩٨)، وتُوفِّي في بيروت (١٩٢٧م)، وله مؤلَّفاتٌ متعدِّدةٌ أهمُّها «شعراءُ النصرانية»، وقد وُجِّه إليه النَّقدُ من زملائه المستشرقين لتعصُّبه، ومما ذكره «إميل درمنجم» عنه قوله:

«وشيخو مِثلُ لامنس، لم يَأْلُ جهداً في إثباتِ دعواه أن العربَ ـ قبلَ الإسلام وبَعدَه ـ لا شأنَ لهم في المدنية، وإذا كان هناك حضارة، فإنَّ أصحابَها هم نصارىٰ العرب».

هذا القزمُ الذي كَتَب مُعظمَ مقالاتِ مجلَّته مُدةَ خمسٍ وعشرينَ سنةً؛ كلُّها سمومٌ تَقْطُرُ حِقداً علىٰ نبيِّ اللَّه ﷺ وعلىٰ كتابِ اللَّه «القرآن»، ولو لم يكنْ له إلاَّ كتابُه المسمَّىٰ بـ «خرافات القرآن»، لكفىٰ به عداوةً للنبيِّ ﷺ الذي نزل عليه القرآن.

* **اللورد كرومر وهجومُه على الإسلام في كتابه «مصر الحديثة»:**

يُعَدُّ «إفيلنجُ بارنج كرومر» من كِبارِ دُعاةِ التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي، وواحداً من الذين وَضعوا مُخطَّطَ السياسةِ التي جرىٰ عليها الاستعمارُ ـ ولا يزال ـ، في محاولةِ القضاء علىٰ مقوِّماتِ العالَمِ الإسلاميِّ ـ والأُمةُ العربية جزءٌ منه ـ، والإيمانِ بأن هذا العملَ الفكريَّ هو أهمُّ الأعمالِ القادرةِ علىٰ دَعمِ نفوذِ الاستعمار وتركيزِ قُوىٰ الغربِ في قلبِ المنطقة، وتُمثِّلُ كتاباته في تقاريره ـ وفي كتابه «مصر الحديثة» ـ خُطَّةَ عَملٍ كاملةٍ، وأيدلوجيا شاملةً للقضاء علىٰ مقوِّمات الفكرِ العربي الإسلاميِّ، وتمزيقِ وِحدةِ العالَمِ الإسلاميِّ، ومقاومةِ القِيَمِ والمفاهيمِ العربيةِ والإسلامية.

ولقد أمضىٰ «لورد كرومر» في مصرَ ما لا يَقلُّ عن رُبعِ قرنٍ قابضاً علىٰ زِمام السُّلطات (١٨٨٢ ـ ١٩٠٦)، وأُتيح له مِن قَبلُ أن يُمضِيَ وقتاً في الهند، دَرَس في خلالها مناهجَ الاستعمارِ البريطانيِّ هنالك، وقد عَمِلَ أولَ

أمرِه في مصرَ مندوبًا في «صندوق الدين المصري» ١٨٧٧ ، ثم ما لَبِث أن عُيِّن بعدَ الاحتلالِ البريطانيِّ مباشرةً ـ مندوبًا ساميًا ، ومعتمَدًا لبريطانيا ، ويُهمُّنا في هذه الدراسة أن نتناولَ آثارَه في مجالِ الفكرِ العربيِّ الإسلامي ، ومخطَّطَه الذي سار عليه مِن بَعدِه كلُّ دعاةِ التغريبِ ، والذي اتخذته منظَّماتُ التبشيرِ ومعاهدُ الإرساليات وكلُّ مَنِ اشتَرَك في مُخطَّطِ العمل (دستورًا) من أجلِ تأكيدِ النفوذِ الأجنبيِّ عن طريق الفكر .

❑ وقد تبلورت حَمْلاتُ «كرومر» في نقاطٍ هامةٍ قليلة :

١ ـ إثارةُ الشبهاتِ حولَ الإسلام ، وذلك بالادعاء بأنه دينٌ مُنافٍ للمدنية ، ولم يكن صالحًا إلاَّ للبيئةِ والزمانِ اللذَينِ وُجد فيهما .

٢ ـ أن المسلمين لا يُمكنُهم أن يَرْقَوْا في سُلَّمِ الحضارةِ والتمدُّنِ إلاَّ بعدَ أن يَتركوا دينَهم ويَنبِذوا القرآنَ وأوامرَه ظهريًّا ؛ لأنه يأمرُهم بالخُمولِ والتعصُّب ، ويبُثُّ فيهم رُوحَ البُغضِ لمن يُخالِفُهم والشِّقاقِ وحُبِّ الانتقام ، وأنَّ المانعَ الأعظمَ والعَقَبةَ الكؤودَ في سبيل رُقِيِّ الأمةِ هو : «القرآن والإسلام» .

٣ ـ أن الإسلامَ يُناقضُ مدنيةَ هذا العصرِ من حيثُ المرأةُ والرقيقُ ، وأنَّ الإسلامَ يجعلُ المرأةَ في مركزٍ مُنحَطٍّ .

٤ ـ الطعنُ في شريعةِ الإسلام وسياستِه ومعاملاته .

٥ ـ أن الشابَّ المصريَّ المسلمَ أثناءَ ممارستِه التعليمَ الأوربيَّ يَفقدُ إسلامَه ، أو أَفضلَ قِسمٍ منه ، ويَقطعُ حَبْلَ المَرساةِ الذي يَربطُه بمرفإ إيمانه ، وأنَّ الشُّبَّانَ الذين يَتلقَّونَ عُلومَهم في أوربا يَفقِدون صِلَتَهم الثقافية

والرُّوحيةَ بوطنهم، ولا يستطيعون الالتجاءَ - في نفسِ الوقت - إلى البلدِ الذي مَنَحهم ثقافته، فيتأرجحون في الوَسط، ويتحوَّلون إلى مخلوقاتٍ شاذَّةٍ ممزَّقةٍ نفسيًّا.

٦ - هاجَمَ القرآنَ، وقال: «إنه يُنافي العُمرانَ»، وهاجم الإسلام؛ لأنه أباح الطلاق، ولأنه حَرَّم الرِّبا والخمر.

٧ - قال: «إن الإسلامَ خالٍ من التسامُحِ، ويَغلِبُ عليه التعصُّب، وإنه يَغرسُ في العقولِ الانتقامَ والكُرهَ اللذَينِ يجبُ أن يكونا أساسًا للعلاقاتِ بين الرجل والمرأة بدلاً من المحبَّة والإحسان».

٨ - دعا إلى إطلاقِ الحريةِ للمرسَلين والمبشِّرين في مصرَ والسودان، وأن يُنشؤوا مدارسهم، وضِمنَ تقاريرِه «إحصائيات عن أعمال التبشير في جنوب السودان» وفي تقريره عام ١٩٠٤ أعلن أنه كَتب إلى جمعيةٍ تبشيريةٍ إنكليزيةٍ يَحُضُّها على بَعثِ مرسَليها إلى جنوبِ السودان، وقال: «إن جنوبَ السودان سُكَّانُه وثنيُّون، وإنَّ اتِّصالَهم بالمسلمين إنما يُذكِّرُهم بفضائحِ الدراويش والنخَّاسين من العرب»، وطالَبَ بأن يُتاحَ للمرسَلين أن يُنشؤوا مدارسَ في الخرطوم، ويُدخِلوا ما شاؤوا من التعاليمِ الدينية، وقال: «إن أعمالَ المبشِّرين في الجنوب (جنوبي كودوك - فاشوده) سائرةٌ سيراً مستمراً»، وقال: «إنه لم يُطلب منه حتى الآن أيُّ ترخيصٍ لإنشاءِ مدارسَ في جنوبِ السودان تُعلِّمُ فيها فرائضُ الإسلام».

٩ - دعا إلى خَلقِ طبقةٍ من المتفرنِجين المستغرِبين من الوِجهةِ الأوربيةِ والمَدَنيَّةِ الحديثة، وقال: «إن هؤلاء جَديرون بكلِّ تنشيطٍ ومعاونةٍ يُمكن أن

تُعطَىٰ لهم»، وقال: «إن هؤلاء هم حُلفاءُ الأوربيِّ المُصلحِ ومساعِدوه، وسوف يَجِدُ محبُّو الوطنيةِ المصريةِ أحسَنَ أملٍ في ترقِّي أتباعِ الشيخ «محمد عبده»، للحصول علىٰ مصرَ مستقلةٍ بالتدريج».

وهذه النصوصُ المنقولةُ من كلماتِ «كرومر» تُمثِّلُ جُمَّاعَ ما دعا إليه المبشِّرون والمستشرقون دُعاةُ التغريبِ والشُّعوبيون ـ وما يزالون يَدْعُون إليه حتىٰ الآن ـ، وهي مجموعةٌ من الأكاذيبِ المنبعثةِ من التعصُّبِ واستخدامِ سلاحِ الشُّبهاتِ للقضاءِ علىٰ مقوِّمات الأُمةِ وقِيَمِ فِكرها، بعد أن تأكَّدَ الاستعمارُ والنفوذُ الأجنبيُّ مِن أن هذه المقوِّماتِ هي مَصدرُ القُوَّةِ في العالَم الإسلاميِّ لمقاومةِ كلِّ ضَغطٍ أجنبي.

وقد استَهدفت هذه الحَملةُ أساسًا قَتْلَ رُوحِ المقاومةِ والحَمْلةِ علىٰ الاستعمار، وخَلْقَ رُوحٍ تدعو إلىٰ تَقَبُّلِه والرضا به والاستسلامِ له، علىٰ أساسِ أنه أمرٌ لا يُمكنُ مقاومتُه، ومِن المصلحة الانتفاعُ بالمستعمِرين وقَبولُ فِكرِهم وحضارتِهم، وتَقَبُّلُ الحريةِ والاستقلالِ علىٰ مراحل، وهذا التيارُ الذي دُعي فيما بعدُ بـ «تيار التعقيل» أو «الالتقاء مع الإنجليز في منتصف الطريق»، وقد ارتَفع هذا الصوتُ في السنواتِ الأخيرة لكرومر، وحاولَ خَلْقَ فَلسفةٍ قوامُها تقبُّلُ الاستعمارِ وصداقتُه وعدمُ معارضته، وذلك بتصويرِ الاحتلالِ علىٰ أنه حقيقةٌ واقعة، وكانت حُجَّةُ دعاةِ هذه الحركةِ ـ التي تُعَدُّ خُطواتُ التغريبِ والشُّعوبيةِ القائمة الآنَ في العالم الإسلامي امتدادًا لها ـ، كانت حُجَّةُ هذه الحركةِ في «الاعتدال» أو «التعقيل» علىٰ أساسِ فَهمٍ سلبيٍّ قِوامُه أن التخلُّصَ من الاحتلالِ يَحتاجُ إلىٰ قوةٍ ليست

موجودةً لدىٰ المصريين، وأنَّ الدعوةَ إلىٰ مقاومةِ الاستعمارِ هو إنفاقٌ للوقتِ فيما لا طائلَ تحتَه، وما دام الإنجليزُ هم الذين يُمسِكون زِمامَ الأمورِ وحدَهم، فلا سبيلَ إلىٰ الإصلاحِ إلاَّ بمُصادقتِهم.. ذَكَره كرومر، وأعاد إلىٰ الذاكرةِ ما وَجَّهه إلىٰ المستشار الإنجليزي عام ١٩٠٥ عندما هاجَمَ الشريعةَ الإسلامية، وقد جاء في ذلك قولُه إلىٰ كرومر: «هل عَنَيتَ بما قُلتَ في تقريرِك الأخيرِ عن الحُكمِ بالشريعة الإسلامية ـ التي وُضعت منذُ أكثرَ من ألفِ سَنةٍ ـ الدينَ الإسلاميَّ نفسَه الذي هو عبارةٌ عن القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النبويةِ؟ أم عَنيتَ بذلك الفقهَ الإسلاميَّ الذي وَضَعه الفقهاء؟!».

وقد رَدَّ كرمر في مَكرٍ ولؤمٍ، فقال: «إنه إنما قَصَد الفقهَ، ولم يَقصِدِ الدينَ الإسلاميَّ نفسَه».

❑ وكان كرومر في تقريره ١٩٠٦ قد هاجَمَ الإسلامَ والفِكرَ العربيَّ الإسلاميَّ في ثلاثةِ مواضع:

١ ـ إباحة الاسترقاق.

٢ ـ المرأة.

٣ ـ اجتماع الأصول المدنية والقانونية في الإسلام.

وقد رَدَّ عليه كثيرون، في مقدِّمتهم «فريد وجدي»، و«مصطفىٰ الغلاييني»، والدكتور «شبلي شميل».

وإن لم يكن «كرومر» عدوًّا للّهِ ورسوله ﷺ، فليس علىٰ ظهرِ الأرض لرسول اللّه ﷺ عدوٌّ.

*** جبرائيل هانوتو يأمرُ الأوربيين بقَطعِ الصِلَةِ بين المسلمين والإسلام، ويدَّعي أن الإسلامَ يدعو أتباعه إلى الكسل:**

نَشَرَ «هانوتو» ـ أحدُ وزراءِ خارجيةِ فرنسا ـ في «الجورنال» الفرنسية ١٩١٠ بعضَ مقالاتٍ هاجَمَ فيها الإسلامَ والثقافةَ العربيةَ الإسلامية، وقد تَرجم هذه المقالاتِ «محمد مسعود» في «المؤيَّد» (٢ ـ ١٥) إبريل ١٩٠٠، وقد نَشر الشيخ «محمد عبده» على الإثرِ مقالاتٍ ردَّ فيها على اتهاماتِ «هانوتو»، كما نشر «فريد وجدي» فصلاً مطوَّلاً.

وقد حَمَلت كلماتُ «هانوتو» عباراتٍ غايةً في العُنف والتعصُّب، ومن ذلك قوله: «الإسلام دينٌ بشريٌّ يُثقِلُ معتقديهِ دائمًا، ويُغريهم بالكسل أو التسكُّع والتبرُّء من شرِّ الفسوق، وإنَّ السياسةَ التي تجبُ على أوربا المستعمِرة في الشرق أن تجتذبَها مع المسلمين: هي تلقيحُ أفكارِهم بجانبٍ من الأخلاق الأوربية، وقَطعُ الصِّلةِ بينهم وبين كعبةِ الإسلام».

وأشار إلى كلمات «كيمون» وردَّدها، وقال: «إن «كيمون» دعا إلى نَسفِ الكعبة، ونَقلِ قبرِ محمدٍ إلى مُتحفِ اللوفر».

وهاجَمَ «هانوتو» أصولَ الإسلام، ودعا قومَه إلى قِتالِ المسلمين والقضاءِ عليهم.

◻ وقال الشيخ «محمد عبده» في الرد عليه: «لو لم يَعترَّضْ «مسيو هانوتو» إلى الطعنِ في أصلٍ من أصول الإسلام، ما حَرَّكتُ قلمي لذكرِ اسمِهِ، وكان حظِّي من النظرِ في مقالِه هو العِظةُ والاعتبار.. يرى الناظرُ في كلامِ «مسيو هانوتو» لأولِ وَهلةٍ أنه مُقلِّدٌ في التاريخ كما هو مقلِّدٌ في

العقائد، وأنه جَمَع خليطًا من الصور، وحَشَرها في ذِهنه، ثم هو سَلَّط قَلَمَه يَنثُرُها كما يشاءُ القَدَرُ لِيُدهِشَ بها مَن لا يَعرفُ الإسلام من الفرنساويين».

□ وقال: «يجبُ على الباحثِ في الإسلام أن يَطلُبَه في كِتابه، كما يجبُ عليه أن يَطلُبَ آثارَه، والإسلامُ إسلامٌ، والمسلمون مسلمون، لا أُنكِرُ أنَّ الزمانَ تَجَهَّمَ للمسلمين، كما كان قد تَنكَّر لغيرهم وابتلاهم بمن فَسَد من المتصوِّفةِ من عِدَّةِ قرون، فبَثُّوا فيهم أوهامًا لا نِسبةَ بينها وبين أصولِ دينهم، فلَصِقَتْ بأذهانهم لا على أنها عقائدُ، ولكنها وساوس، قد تَملكُ الجاهلَ وتُربِكُ العاقل، إذا لم يَغلِبْها بعواملِ الدينِ الصحيح، فنَشَأ الكسلُ بين المسلمين بفُشُوِّ الجهلِ بأصولِ دينهم، أمَّا لو رَجَع المسلمون إلى الحقيقةِ مِن دينهم، لأَدَّوْا فرضَهم، واستنبتوا أرضَهم، واستعزُّوا من الثروة، واعتَمدوا في نجاحِ أعمالهم على مَعونةِ القَدَر، وأيقنوا في صَولتِهم عِلمًا أنْ ليس منَ الموتِ مَفَرٌّ، ثم صال صائلُهم على مكانِ العزَّةِ منها، ونال ما يَنالُ القَوِيُّ من الضعيف.

أمَّا لو رَجَع المسلمون إلى كِتابهم، واستَرجعوا باتِّباعه ما فَقَدوه من آدابهم، لَسَمَتْ نُفوسُهم من العَيب، وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم اللَّهُ إليه في تنزيله وعلى لِسانِ نبيِّه، واستَجمعت لهم القوة، ودبَّت فيهم الرُّوحُ قوةً، وكان ما يلقاه «هانوتو وكيمون» من دينٍ صحيحٍ شرًّا عليهما مما يَخْشَوه من دينٍ شوهته أيديهما.

ويرى «كيمون» أن يُخلَى وجهُ الأرضِ من الإسلام والمسلمين، ويَستحسنُ رأيَ «هانوتو»، لولا ما يَقفُ في طريقِ ذلك من كثرةِ عددِ المسلمين.. وبئسما اختارَا لسياسةِ بلادهما أن يُظهِرا ضِغْنَهما ويُعلِنا رأيهما

وضَعْفَ حُلْمِهما.

أمَا فلْيَعلما - ولْيَعلمْ كلُّ مَن يَخدعُ نفسَه بِمِثلِ حُلمِهما - أنَّ الإسلامَ إنْ طالت به غَيبةٌ فله أَوْبَة، وإن صَدَّعَتْه النوائبُ فله نَوْبة.

وقد يقول عنه المُنصِفون اليومَ من الإنكليز - مثل «إسحاق طيار»، وهو قَسٌّ شهير ورئيسُ كنيسة -: «إنه يَمتدُّ في إفريقيا، ومعه تَسيرُ الفضائلُ حيث سار، فالكرمُ والعفافُ والنجدةُ من آثارِه، والشجاعةُ والإقدامُ من أنصاره، ثم هو لا يَزالُ ينتشرُ في الصِّين وغيرِه من أطرافِ آسيا، وستُرشِدُه الحوادثُ إلى طريقِ الرجوع إلى إظهاره، وتَنثني به المُلِمَّاتُ إلى ما كان عليه لأولِ نشأتِه، وتُدرِكُ عند ذلك الأمُ منه خيرَ ما ترجُو إن شاء اللَّه»..».

*** نشيدُ الجنود الإيطاليين عند غَزْو «ليبيا»:**

صليبيُّون حتى النخاع.. وعَداءٌ متأصِّلٌ للإسلام، «كان جُنْدِيُّهم يُنادِي بأعلى صوته، حين كان يَلْبَسُ بَدلةَ الحرب قادمًا لاستعمارِ بلادِ الإسلام:

أُمَّاه..

أَتِمِّي صَلاَتَكِ.. لا تَبكي..

بل اضحَكي وتأمَّلي..

أنا ذاهبٌ إلى طرابلس..

فرحًا مسرورًا..

سأبذُلُ دَمي في سبيلِ سَحقِ الأُمَّةِ الملعونة..

سأحاربُ الديانةَ الإسلامية..

سأقاتلُ بكلِّ قوَّتي لِمَحْوِ القرآن(١) .

* غلادستون :

◻ قال «غلادستون» - رئيس وزراء بريطانيا سابقًا - : «ما دام هذا القرآنُ موجودًا في أيدي المسلمين، فلن تستطيعَ أوربا السيطرةَ على الشرق، ولا أن تكونَ هي نفسُها في أمانٍ»(٢) .

* وليم جيفورد بالكراف :

◻ قال المبشِّرُ «وليم جيفورد بالكراف» : «متى توارىٰ القرآنُ ومدينة «مكة» عن بلاد العرب، يمكنُنا حينئذٍ أن نرىٰ العربيَّ يتدرَّجُ في طريقِ الحضارة الغربية بعيدًا عن محمدٍ وكتابه»(٣) .

* تاكلي :

◻ قال المبشر «تاكلي» : «يجبُ أن نستخدمَ القرآنَ - وهو أمضىٰ سلاحٍ في الإسلام - ضِدَّ الإسلامِ نفسِه حتىٰ نقضيَ عليه تمامًا، يجبُ أن نُبيِّنَ للمسلمين أن الصحيحَ في القرآنِ ليس جديدًا، وأن الجديدَ فيه ليس صحيحا»(٤) .

* غاردنر :

◻ يقول «غاردنر» : «إن الحروبَ الصليبيَّةَ لم تكن لإنقاذِ القُدسِ، إنها

(١) «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص١٠).
(٢) المصدر السابق (ص٤٠، ٦٧-٦٨).
(٣، ٤) المصدر السابق (ص٦٨).

كانت لتدميرِ الإسلام»[١] .

* مورو بيرجر :

❏ يقول «موروبيجر» في كتابه «العالم العربي» : «لقد ثبت تاريخيًّا أن قوَّةَ العربِ تعني قوةَ الإسلام، فليُدَمِّروا العربَ لِيدمِّروا بتدميرهم الإسلام»[٢] .

* اليونسكو :

وضع الغربُ الصليبيُّ الكُتُبَ التي تَطعَنُ في الإسلام، وتُشكِّكُ في مبادئِه، وتَغمِزُ نبيَّه ﷺ . . وشاركت في هذا المنظَّماتُ الدولية .

من هذه الكتب «موسوعة تاريخ الجنس البشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي» الذي أصدرته «منظمة العلوم والثقافة» (اليونسكو) للأمم المتحدة فقد جاء في الفصل العاشر من المجلد الثالث ما يلي :

١ ـ الإسلامُ ترتيبٌ مُلَفَّقٌ من اليهودية والمسيحية والوثنية العربيَّة .

٢ ـ القرآنُ كتابٌ ليس فيه بلاغة .

٣ ـ الأحاديثُ النبويَّةُ وُضِعت من قِبَلِ بعضِ الناس بعدَ الرسول ﷺ بفترةٍ طويلةٍ، ونُسِبت إلى الرسول ﷺ .

٤ ـ وَضَعَ الفقهاءُ المسلمون الفِقهَ الإسلاميَّ مُستنِدين إلى القانونِ الرُّومانيِّ والقانونِ الفارسي والتوراةِ وقوانين الكنيسة .

٥ ـ لا قيمةَ للمرأة في المجتمعِ الإسلامي .

---

(١) المصدر السابق (ص٥٩) .

(٢) المصدر السابق (ص٧٨ ـ ٧٩) .

٦ ـ أرهَقَ الإسلامُ أهلَ الذِّمَّة بالجزية والخَرَاج[١] .

هكذا يكتبون بهذا الحِقد وهذه الحقارةِ والكذبِ في أعلىٰ هيئةٍ ثقافيةٍ تابعةٍ للأمم المتحدة دون حياءٍ، إنه حِقدُهم الأسود[٢] .

*** اليهود عند دخولهم «القدس» عام ١٩٦٧ :**

عندما دخلت قوَّاتُ إسرائيل القدسَ عام ١٩٦٧م تجمهر الجنودُ حولَ «حائط المبكَىٰ»، وأخذوا يَهتفون مع «موشىٰ ديان»: «هذا يومٌ بيومِ خيبر . . يا لَثاراتِ خيبر» .

وتابعوا هتافَهم: حُطُّوا المشمش عالتفَّاح، دين محمد ولَّىٰ وراح . . .

وهتفوا أيضًا: محمد مات . . خَلَّف بنات . .

☐ كلُّ ذلك دعا الشاعر «محمد الفيتوري» إلىٰ تنظيمِ قصيدتهِ في رسول اللَّه ﷺ قائلاً:

يا سيدي..
عليك أفضلُ الصلاةِ والسلام
من أُمَّةٍ مضاعَة
تَقذِفُها حضارةُ الخرابِ والظَّلام..
يا سيِّدي..
منذُ رَدَمْنا البحر بالسُّدود

(١) مجلة «التمدن الإسلامي» مجلد (٤٤) عدد ٧، (ص٥٠٨)، تموز ١٩٧٧ .

(٢) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدو أهله» (ص٧٨).

وانتصبَتْ ما بيننا الحدود

متنا..

وداستْ فوقنا ماشيةُ اليهود[١] .

* تيودر نولدكه [١٨٣٦ ـ ١٩٣٠م]:

□ تكلَّم المستشرقُ الألماني «تيودر نولدكه» في كتابه «من تاريخ القرآن» عن: «لغة القرآن المتراخية والركيكة.. وتكراراتِه التي لا تنتهي، والتي يَستحي الرسولُ من استخدامِ الكلماتِ نفسِها فيها، والبراهينِ التي تُعوزُها الدِّقَّةُ والوضوح، والتي لا تُقنعُ إلاَّ المؤمنين من البداية بالعاقبة النهائية.. والقصصِ التي لا تُقدِّم إلاَّ قليلاً من التنوُّع، والتي كثيرًا ما تَجعلُ آياتِ الوحيِ أقربَ إلىٰ المَلَلِ والسآمة.. فأسلوبُ القرآن فيه عيوبٌ كثيرة، عيوبٌ غيرُ موجودة في القصائدِ العربيةِ القديمةِ ولا في أخبارِ العرب.. وأفكارُه ضَحْلَةٌ وساذَجة وبدائية»!!![٢] .

* إيجانس جولد تسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١):

مستشرقٌ يهوديٌّ من أصلٍ مَجَريٍّ، عَمِل أستاذًا في جامعة «بودابست».. يُعَدُّ من كبارِ أئمَّةِ الدراسات الإسلامية في أوروبا، كَتَب العديدَ من البحوثِ عن الإسلام باللغاتِ الألمانية والإنجليزية والفرنسية وغيرها، وقد شكَّك في الأحاديثِ النبويَّة، واعتبرها في جُملتِها تَعكسُ

(١) المصدر السابق (ص٣٦ـ٣٧).

(٢) «الغرب والإسلام.. أين الخطأ؟ وأين الصواب؟..» (ص٧٢) ـ للدكتور محمد عمارة ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة.

تطوُّرَ الإسلامِ الدينيَّ والتاريخيَّ والاجتماعيَّ في القرنَيْنِ الأولِ والثاني، وقد تلقَّف كثيرٌ من المستشرقين مِن بعده هذا الزَّعْمَ، وبَنَوا عليه الكثيرَ من النتائج.

ومن مؤلَّفاته: «العقيدة والشريعة في الإسلام»، و«دراسات إسلامية» في جزأين، وكان يهوديًّا متعصبًّا متحامِلاً علىٰ الإسلام.

❑ قال عنه الشيخ «محمد الغزالي» في كتابه «دفاع عن العقيدة والشريعة ضدَّ مطاعنِ المستشرقين»: «إنه من أعمدةِ المستشرقين ودُهاتِهم، ولا شكَّ أنه قرأ كثيراً من الأصولِ والمصنَّفاتِ الإسلامية، ولكنه منذ قرأ وكَتَب، لم يَحمِلْ بين جَنبَيْهِ إلاَّ فؤادًا مُترَعًا بتكذيبِ الإسلام، فهو يَدُسُّ إصبَعَه في كلِّ شيءٍ، لِيتَّخذَ من أيِّ شيءٍ دليلاً علىٰ أنَّ محمَّدًا كاذب، وقرآنَه مُفتَعَلٌ، وسُنَّتَه مختلَقةٌ، والإسلامَ كلَّه منذ جاء - وإلىٰ أن بلغنا - «مجموعة مفتريات». . ».

❑ وقال عنه الدكتور «محمد البهي» في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصِلته بالاستعمار الغربي»: «عُرِف بِعَدائه للإسلام، وبخطورةِ كتاباتِه عنه، ومِن مُحرِّري «دائرةِ المعارف الإسلامية»، وكَتب عن القرآنِ والحديث، ومن كُتبه «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي». . ».

هذا المستشرقُ أشاد به أساتذةٌ ومُفكِّرون مسملون كبار، مثل الدكتور «عبدالرحمن بدوي»، والدكتور «أبو العلا عفيفي» رَغمَ ما في كتاباته من تشكيكٍ في أصولِ الإسلام، والدَّأبِ في إثباتِ أنَّ رسولَ الإسلام ﷺ لم يأتِ بجديد، ولكنه سرَق كلَّ شيءٍ من اليهود والمسيحيين؛ ولأنه كان ذا

منزلةٍ كبيرةٍ بين المستشرقين وصاحبَ مدرسةٍ في الاستشراق، فقد أثَّر في كثيرٍ من الدارِسين للإسلام الألمانِ وغيرِ الألمان، ومازال تأثيرُه مستمرًّا إلىٰ اليوم، ولا تزالُ كُتُبه المليئةُ بالسموم تُعتبر من أهمِّ مراجعِ طَلَبَةِ الدراساتِ الإسلاميةِ في جامعات أوربا.. بل والجامعات العربية![1].

* جوزيف فان إس، العدوُّ اللَّدود للنبي ﷺ:

أما المستشرق «جوزيف فان إس» الذي يَعملُ أستاذَ كرسيٍّ في «معهدِ الاستشراق بجامعة تيبنجن» في ألمانيا، فيقول الدكتور «ثابت عيد»: «إنه قابَلَه ليناقشَه في موضوع «الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم» فوجده يَشُنُّ هُجومًا عنيفًا علىٰ لُغة القرآن، ويُدافعُ عن «مسيلِمة الكذَّاب»، ويُوجِّهُ الشتائمَ إلىٰ المؤرِّخين المسلمين لأنهم أطلقوا عليه اسم «الكذَّاب»..».

◻ وحينَ قال له «ثابت عيد»: «إن محاولةَ «مسيلِمة الكذَّاب» تقليدَ القرآن مُضحِكة، ولُغتَه في غايةِ الركَّاكة»، زأر في وجهه غاضبًا وقال: «هذه أقاويلكم أنتم ـ المسلمون ـ وهي كاذبة».

وما كاد هذا المستشرقُ يَسمعُ عن مشروعِ الباحث العراقيِّ الدكتور «عبدالأمير الأعسم» لِجَمعِ كلِّ ما كتبه ابنُ الراوَندي وكلِّ ما كُتب عنه، حتىٰ سارَعَ بتشجيعِه ومساعدته، بل إنه ساهَم ببحثٍ خاصٍّ في هذا المشروع بعنوان «الفارابي وابن الراوَندي».. ويتهكَّمُ «جوزيف فان إس» علىٰ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ويَسخَرُ من المسلمين في كتابه عن

---

(١) «صناعة العداء للإسلام» لرجب البنا (ص٣٢٢).

الإسلام ويقول فيه: «إنَّ اللَّهَ يتكلَّمُ اللغةَ العربيةَ ولا يخطئ في النحو!». . أستغفر اللَّه.

❏ ويقول ثابت عيد: «إنَّ «جوزيف فان إس» شديدُ التحامل على الإسلام عندما يكون في قلعته في جامعة «تيبنجن»، ولكن عندما تضطرهُ الظروفُ للسفر إلى دولةٍ إسلامية فإنه يَلبَسُ قِناعًا آخَرَ، فلا يتحدَّثُ عن الإسلام إلاَّ بالمدح، ومنذ سنواتٍ جاء إلى القاهرة لإلقاءِ محاضرةٍ في الجامعة الأمريكية، فتحدَّث عن الجامعات في بلاد الإسلام، وامتَدَح الإسلام، ولما عاد إلى ألمانيا استمرَّ يواصلُ السَّبَّ واللعنَ في الإسلام».

❏ ويقول ثابت عيد: «إنَّ عداء «جوزيف فان إس» للإسلام أشدُّ من عداء سَلمان رُشدي صاحب رواية «آيات شيطانية» التي تضمَّنت اتهاماتٍ مُقذِعةً للإسلام وللرسول ﷺ وزوجاته وبناته»[(١)] .

كذلك «اهتمَّ «فان إس» بما جاء في «سِيرة ابن هشام» عن النَّضْرِ بنِ الحارث الذي سَبَق مسيلمةَ الكذابَ في محاولةِ تقليدِ القرآن، وقال عنه ابن هشام: «. . وكان النضرُ بنُ الحارث من شياطينِ قريش، وممن كانوا يُؤذُون رسولَ اللَّه ﷺ، ويَنصِبون له العَداوة، وكان قد قدم «الحِيرةَ»، وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفرس، وأحاديثَ رُستم واسفنديار، فكان إذا جَلس رسولُ اللَّه ﷺ مجلسًا فذكر فيه اللَّهَ، وحَذَّر قومَه ما أصاب مَن قبلهم من الأمم مِن نقمة اللَّه، خَلَفَه في مجلسه، ثم قال: أنا واللَّهِ ـ يا معشر قريش ـ أحسنُ حديثًا منه، فهلمَّ إليَّ، فأنا أحدِّثُكم أحسنَ من حديثه، ثم يُحدِّثُهم

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢٤ـ ٣٢٥).

عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا منِّي؟».

◘ وقال ابنُ هشام عن النضرِ بن الحارث: «وهو الذي قال ـ فيما بلغني ـ: سأُنزِلُ مثلَ ما أنزل اللَّه!»[1].

لماذا يَهيمُ ويَعجَبُ «فان إس» كلَّ هذا الإعجاب بابن الراوَنديِّ أكبرِ شخصيةٍ مُلحِدةٍ في تاريخ الإسلام؟!.

ابنُ الراوندي الذي «وضع لليهود كتاب «البصيرة» ردًّا على الإسلام مقابلَ أربَعمِئةِ درهمٍ أخَذَها من يهود «سامرا»، فلمَّا أخَذَ المالَ أراد نَقضَ ما في كتابه هذا، حتىٰ أعطوه مئةَ درهمٍ أخرىٰ، وله كتابُ «الزمرد» يُبرهِنُ فيه علىٰ إبطالِ النبوَّات، وكتاب «الفرند» في الطعن علىٰ رسول اللَّه ﷺ، وكتاب «التاج» في الردِّ علىٰ الموحِّدين، وكتاب «عبث الحكمة» وكتاب «الدامغ» في الردِّ علىٰ القرآن، وكتب «فضيحة المعتزلة».. وتصدَّىٰ له فلاسفةُ المعتزلة من أمثالِ أبي الحسن الخياط، وأبي علي الجُبَّائي، والقاضي عبدالجبار.

◘ وقال ابنُ الراوَندي: «إن الرسول ﷺ أتىٰ بما كان منافرًا للعقولِ مثلِ الصلاة، وغُسلِ الجنابة، ورَمْي الحجارة، والطوافِ حولَ بيتٍ لا يَسمعُ ولا يُبصِر، والعَدْوِ بين حَجَرَينِ لا يَنفعانِ ولا يَضُرَّان، وهذا كلُّه لا يَقتضيه عقل، فما الفرقُ بين «الصفا والمروة» إلاَّ كالفَرقِ بين «أبي قبيس وحِرَىٰ» (جبلان في مكة) وما الطواف بالبيت إلاَّ كالطوافِ علىٰ غيره من البيوت».

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢٨ـ٣٢٩).

☐ ويقول: «إن الملائكةَ الذين أنزلهم اللَّه يوم «بدر» لنُصرةِ النبيِّ ﷺ - بزعمكم -، كانوا مغلولي الشَّوكة، قليلي البَطْشة على كثرةِ عَددهم واجتماعِ أيديهم وأيدِي المسلمين، فلم يَقدِروا على أن يَقتُلوا زيادةً على سبعين رجلاً.. أين كانت الملائكةُ يومَ «أُحُد» لَمَّا توارَىٰ النبي ﷺ ما بين القتلىٰ فَزَعًا، وما بالُه ما ينصروه في ذلك المقام؟».

☐ ويقول عن القرآن: «إنا نجدُ في كلامِ أكثَمَ الصيفيِّ شيئًا أحسَنَ من ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]».

وما قاله ابنُ الراوَندي كثير.. ولا أُريدُ أن أنقُلَ كلَّ ما قاله وذكره الدكتور «ثابت عيد» في بحثه، أُريدُ فقط أن أُدلِّلَ على أن صناعةَ العَداءِ للإسلام كانت من خارجِ الإسلام، وكانت أيضًا من الطابور الخامس الذي كان محسوبًا على المسلمين وأساء إلى الإسلام، وأعطى للمستشرقين وأعداءِ الإسلام في الخارج ما يُحارِبون به الإسلام.

وهدفي من ذلك أن أُحذِّرَ المسلمين لكي ينتبِهوا إلى كلِّ كلمةٍ تُقال على لسانِ مسلمٍ أو غير مسلم، ولا يستبعدوا أن يكون في صفوفِ المسلمين خائنٌ لربِّه ودينه»[١].

* المستشرق جاك فاردينبورج وزوجته:

ويذكر «ثابت عيد» المستشرقَ اليهوديَّ الهولنديَّ «جاك فاردينبورج»، وهذا المستشرق أستاذُ كرسيِّ الأديان بجامعة «لوزان» بسويسرا، وله كتابٌ بعنوان «الإسلام في مِرآة الغرب»، وزوجتُه أيضًا يهوديةٌ متعصِّبة، حَصَلَت

(١) المصدر السابق (ص٣٣٢).

علىٰ الدكتوراة في الأدب العربي في جامعة «أكسفورد» تحت إشراف أستاذ مصري هو الدكتور «مصطفىٰ بدوي»، وعندما سألها «ثابت عيد»: لماذا اختارت الأدبَ الإسلامي قالت له: لكي أتحاشىٰ المواقفَ الصعبةَ عندما أذهبُ إلىٰ الدولِ الإسلامية.. مع أنها هي التي قالت: «إن محمداً سَرَق منا الصيامَ في يومِ عاشوراء وإنه كَتَب القرآن بنفسه»[1].

* أوجست فيشر:

المستشرق الألماني «أوجست فيشر»، له مقالٌ بعنوان «في مسألة ترجمات القرآن»، وقد أثبت فيه أنه ليس هناك كتابٌ عربيٌّ له هذا القَدْرُ الهائلُ من الترجمات مِثلُ القرآن، وتزدادُ هذه الترجماتُ من سَنَةٍ إلىٰ أخرىٰ، ولكنْ لم تتمَّ ترجمةُ معاني القرآن إلىٰ اللغات الأخرىٰ ترجمةً دقيقةً وصادقةً، لصعوبة نَقلِ هذه المعاني إلىٰ لغاتٍ أخرىٰ، وعدمِ وجودِ المؤهَّلين لهذا العمل، و«فيشر» ينتقدُ جَميعَ المُترجِمِين الألمان لمعاني القرآن الكريم لأسبابٍ كثيرة؛ مِن بينها عدمُ إلمامِ معظمِهم بقواعدِ النحوِ العربيِّ وبالأساليبِ والتعبيراتِ اللغويةِ العربية، ولأن غايتَهم هي البحثُ في القرآن عن عناصرَ مسيحيةٍ ويهوديةٍ، وتجاهُلُهم لحقيقةِ أنَّ هذا القرآنَ عربيٌّ.

◻ ويضربُ «فيشر» مثلاً علىٰ الأخطاءِ التي وقع فيها المستشرقون الألمان الذين ترجَموا معاني القرآن فيقول: «إنهم لم يَفهموا معنىٰ أربعِ آياتٍ من الآياتِ الخمسِ المكوِّنة لسورة «المسد»، فقد أخطؤوا في ترجمة معاني

(١) المصدر السابق (ص٣٢٥).

أربعِ آيات، والآيةُ الوحيدةُ التي نَجَحوا في ترجمتها كانت الآية الثالثة ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾».

ومع ذلك فقد لاحظ الدكتور «ثابت عيد» أن «فيشر» نفسَه وقع في خطأٍ فاحشٍ مِثلَ كلِّ المستشرقين، إذِ اعتَبَر القرآنَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ، ونظر إليه على أنه نصٌّ أدبيٌّ لا يختلفُ كثيراً عن النصوص الأدبية في الشِّعر والنثر العربيِّ، وبالتالي اعتقد أن يُمكنُ إخضاعُه للتحليل اللغويِّ والتاريخيِّ والتعاملُ معه كما يتمُّ التعاملُ مع أيِّ نصٍّ آخَرَ في التراثِ العربي، وعلى ذلك قال: إن القرآن يَعيبُه انعدامُ النظامِ في تركيبِ وترتيبِ الآيات، وإنَّ السورَ الطويلةَ تتكوَّنُ من آياتٍ غيرِ متجانسةٍ، ونَزَلت في أوقاتٍ متباينةٍ ومتباعِدة، وهذا يجعلُ مهمةَ المترجِمين أكثرَ صعوبةً!!»[1].

* المستشرق الألماني رودي بارت:

له ترجمةٌ لمعاني القرآن تَحظَىٰ باحترامٍ كبيرٍ في معاهِدِ الاستشراق، في أوربا، ويعتبرونها أفضلَ ترجمةٍ ألمانيةٍ لمعاني القرآن، وقد ظهرت هذه الترجمةُ في مجلَّدين؛ أوَّلُهما يتضمَّنُ ترجمةَ النصِّ القرآنيِّ صدر عام ١٩٦٦.. والثاني: يتضمنُ تعليقاتٍ وفهارسَ، وصدر عام ١٩٧١، ولكن «رودي بارت» عاد في عام ١٩٧٤ ونَشَر مقالاً بعنوان «البحوث القرآنية» أشار فيه إلى أنه كرَّس الجُزءَ الأكبَرَ من حياتِه العلميةِ في دراسةِ القرآنِ وترجمةِ معانيه إلى اللغةِ الألمانية، وأنه قرأ ترجمةَ «ريتشارد بيل» الإنجليزية لمعاني القرآن التي ظهرت سنة ١٩٣٧، وعلى ترجمة «بلاشير» الفرنسية

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص٣٣٣).

التي نشرت عام ١٩٤٩، واطَّلع اطلاعًا وافيًا على «تفسير الطبري» في أجزائِهِ الثلاثين المطبوع في القاهرة عام ١٩٠٣، في عشرةِ مجلَّدات، وعلى «تفسير الزمخشري» في أربعةِ مجلدات الصادر في القاهرة عام ١٩٥٣، وكذلك رَجَع في بعضِ المواضع إلى «تفسير البيضاوي»، في مجلَّدين طبعة «ليبزج» سنة ١٨٤٦، وأنه في منتهى الحِرصِ والحذرِ وهو يرجعُ إلى هذه الكتب، على عكسِ المترجِمين الآخَرين الذين نَقَلوا بعضَ التفسيرات الغامضة، وأنه كان على وعيٍ بضرورةِ ترجمةِ النصِّ بمعناه الذي أَخبَرَ به محمد ﷺ، كما أنه حَرِص على تفسيرِ القرآن بالاستعانةِ بالقرآن ذاتِه، ومع ذلك فإنه يعترفُ بأنه وَقَع في بعضِ الأخطاء في ترجمتِه لمعاني القرآن.

◻ ويُعلِّقُ «ثابت عيد» على ذلك بأن «رودي بارت» عبقري، ولكن ماذا تنفعُنا عبقريتُه إذا كان لا يؤمنُ أصلاً بصحَّةِ ما يُترجِمُه، وإذا كان همُّه الأكبرُ إثباتُ أن محمداً ﷺ سرَق هذا وذاك من النصارى واليهود، وإذا كان يتعاملُ مع القرآن كما يتعاملُ مع أيِّ نصٍّ أدبي، وقد ظَهَر ما يُخفيه في ضميره دون أن يَدري حين قال: «إنَّ السورة الثانية «البقرة» تتحدَّثُ في الآيات من ٦٧ حتى ٧٣ عن ذبحِ بقرة، ويبدو أن الآيات من ٦٧ حتى ٧١ مطابقةٌ تمامًا لِمَا ورد في التوراة».

ولا يَملِكُ الإنسانُ إلاَّ أن يتفقَ مع ما توصَّل إليه «ثابت عيد» من أن ترجمةَ معاني القرآن إلى اللغاتِ الأجنبية يستحيلُ على غيرِ المسلمين أن يقوموا بها بدقَّة.. ولقد أخطأ «رودي بارت» في ترجمة «النبيِّ الأُمي»،

---

(١) المصدر السابق (ص٣٣٤-٣٣٥).

ولأن المستشرقين يَدَّعون أن الرسول ﷺ هو مؤلِّفُ القرآن، فهم يَرَون أنه لابدَّ أن يكونَ مُتقنًا للقراءة والكتابة، ولذلك جاءت قريحةُ «رودي بارت» بترجمةِ كلمة «الأمي» إلى كلمة «الوثني» أو «الكافر»، وهكذا يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعه، كذلك فعل «رودي بارت» بلفظ «الجهاد» الذي يُعرِّفه الجُرجانيُّ في كتابه «التعريفات»، فيقول: «الجهاد هو الدعاءُ إلى الدين الحق»، إلاَّ أن الأوربيين مازالوا مُصمِّمين على أن الجهادَ يَعني «الحربَ المقدَّسةَ ضدَّ غيرِ المسلمين»، وحتى «رودي بارت» - الذي يُعتبر أكثَرَ المترجمين دِقَّةً - ترجَمَ لفظَ «الجهاد» إلى لفظ «الحرب».. وهكذا، فإن الترجمةَ التي تُعتبرُ أفضلَ ترجمةٍ لمعاني القرآن تتضمَّنُ طَعنًا في الإسلام، وتُشكِّكُ في قواعِدِه وأصوله[1].

*** الفيلسوف الفرنسي بونودي كونديلاك:**

❑ قال الفيلسوف الفرنسي «بونودي كونديلاك» في كتابه «التاريخ الحديث» عن نزولِ القرآن على الرسول ﷺ: «لقد كَوَّن مشروعَه بمحضِ الصدفة، وسانَدَه بفضلِ جُرأةِ احتياله، واستطاع أن يُتِمَّه لأنَّ الظروفَ ساعَدَتْه على ذلك، فقد كان مصابًا بالصَّرَع، وذاتَ يومٍ فاجأَته زوجتُه «كاديج» في إحدى النَّوبات، وتَخيَّلت أنه في حالةِ وَجْدٍ. واستَغلَّ محمدٌ سذاجتَها، وأكَّد لها أنه يَرى الرؤيا، وأن اللَّهَ يُحدِّثُه خلالَها عن طريقِ الملاك «جبريل»، وقامت «كاديج» بنَقلِ ذلك إلى نساءٍ أُخريَاتٍ مُعلنةً أن زَوْجَها نبيٌّ، وانتَشَر الخَبَرُ، وتراكمت النبوءاتُ مع تراكُمِ الكلامِ وتزايُدِه، فقامت

(١) المصدر السابق (ص٣٣٤-٣٣٦).

الجماهيرُ باتباع ذلك الرجلِ المهمِّ الذي أقنعهم بسَخَاءِ خياله، وقد صَدَر هذا العامَ «عام ١٧٦٧»[1].

*** الأب لويس موريري:**

◻ وقبل ذلك قال الأب «لويس موريري» في «القاموس التاريخي الكبير» سنة ١٦٧٤: «محمدٌ نبيٌّ مزيَّف، عربيٌّ المَوطن، ولد عام ٥٧١، فقد والدَيه وهو طفل، وقام عمُّه أبو طالب بتربيته، ودَفَعَه الفقرُ إلى أن يَخدُمَ عند أحدِ التجار العرب، وعند وفاةِ هذا التاجر قام بإمتاعِ أرملتِه «كاديج» لدرجةِ أنه تزوَّجها، وأصبح وريثَها الوحيد، فاستخدم أموالَها في خِدمةِ طموحاته.. وبعد ذلك شارك كلٌّ مِن «باتيراس» - وهو هرطقي يعقوبي -، والأب «سرجيوس» - وهو راهب نسطوري -، وعاونه بعضُ اليهود على تجميعِ قرآنه، وبذلك أصبح دينُه مكوَّنًا جزئيًّا من اليهودية، وجُزءً آخَرَ من أحلامِ هَرطقيةٍ واستسهالاتِ جِنسيةٍ لطبيعةٍ منحرفة.. وقامت جماعةٌ من اللصوص الذين لا يَعرِفون اللّهَ ولا الدين باعتناقِ هذه الديانة»[1].

*** دومنيك بودييه الفرنسي:**

◻ قال عالِمُ الإنسانيَّاتِ الفرنسيُّ «دومنيك بودييه» في سنة ١٦٣٢ في كتابه «التاريخ العام للأتراك»: «إن المعجزاتِ من علاماتِ الأنبياء.. وبما أن محمدًا لم يكن بوسعِه أن يُقدِّمَ للناس ما يؤكِّدُ معجزاتِه، فقد استعان بالخُدَعِ والخرافةِ لِيسوقَ أفكارَ شَعبِه الفظِّ الجاهلِ، ويَفرِضَها على كلِّ العرب، وفي

(١، ٢) المصدر السابق (ص٣٣٦).

محاولةٍ منه لاستتباب المَشْرَع بمعجزاتٍ جديدة كان يجمعُ الشعبَ في المَيدانِ العام ليكونَ شاهداً على أن رُوحَ اللَّه يَنزلُ عليه، وبينما هو منساقٌ في اختراعِ الأقاصيصِ الجديدة، كانت هناك حَمامةٌ مدرَّبةٌ تطيرُ من مكانٍ، ما قُربَ مَنكِبَيه، وتَلتقطُ الحَبَّ الذي كان يَضعُه لها في فتحةِ أُذنه، مُوهِماً العربَ بذلك أنها كانت تُملِي عليه إرادةَ اللَّه وكلماتِ شريعته».

هل يُمكنُ أن يُصدِّقَ إنسانٌ عاقلٌ مِثلَ هذه الخرافات؟! ولكن ما حَدَثَ أنَّ كثيراً من الأوربيين صَدَّقوها ضِمنَ الحَملةِ على الإسلام وكتابِه ونبيِّه.. وفي كتاب الدكتورة «زينب عبدالعزيز» مئاتٌ من النصوص والإشاراتِ إلى كُتبٍ ومراجعَ من هذا النوع منذ القرنِ السادس الميلادي حتى اليوم.. وحتى «اللورد كرومر» في كتابه «مصر الحديثة» سنة ١٩٠٨ قال: «إنَّ القرآنَ هو المسؤول عن تأخُّر مصرَ في مِضمارِ الحضارةِ الحديثة».. وذلك ما اتَّبعه المستشرقُ الفرنسيُّ المشهورُ «جاك بيرك» في ترجمتِه للقرآن التي صَدَرت عام ١٩٩٠م.

* جان بيرك:

والحقيقةُ أن ما جاء في دراسة الدكتورة «زينب عبدالعزيز» لترجمة «جاك بيرك» لمعاني القرآن إلى الفرنسية يُعتبرُ مفاجأةً للعرب وللمسلمين؛ لأن «جاك بيرك» معروفٌ عند الباحثين العربِ والمسلمين بأنه مُنصِفٌ للعرب وللمسلمين، حتى إنه حَصَل على عُضوية مَجْمَعِ اللغةِ العربية في مصر، وهذه الترجمةُ استغرقت ما يَزيدُ على عَشْرِ سنواتٍ - على حدِّ قوله -، وهو يقول: «إنه أقدَمَ على ترجمةِ معاني القرآن لأنه لاحَظَ أن كثيراً من

الناس والمفكِّرين يَنبِذُون الآنَ الصورةَ الماديةَ للحياة المعاصِرة، ويَرفُضون المجتمعَ الاستهلاكيَّ، هذَا المجتمعُ الماديُّ المحضُ، ويُفضِّلون مدينةَ الإسلامِ الروحيةِ على المدينة المعاصِرة، ويُنادُون بالعَودةِ إليها، فكأنه أراد بهذه الترجمةِ الحدَّ من هذه المَوجةِ الآخِذةِ في الانتشارِ في الانجذاب إلى الإسلام.

□ وتُلخِّصُ الدكتورة «زينب عبدالعزيز» المَحاورَ الأساسيةَ التي تَناوَلَها في المقدمة، ومنها:

- التشكيك في نزولِ وترتيبِ وتجميعِ القرآن.
- تأثُّرُ القرآنِ بالشِّعر الجاهلي، وبالفكرِ اليوناني القديم.
- تأثُّرُ القرآن بمزاميرِ داود.
- احتواءُ القرآنِ على أساطيرَ ترىٰ التاريخَ سلسلةً من الكوارث.
- فظاظةُ صورةِ «اللَّه» كما هي واردةٌ في القرآن.
- غموضُ التعبيرِ في الأحكامِ ممَّا سَمَح للمفسِّرين بحريَّةِ التصرُّف، وكانت النتيجةُ أنَّ كلَّ مَذهبٍ غيرُ مقبولٍ من المذاهب الأخرىٰ.
- تناقضُ الشريعةِ التي جاء بها القرآن، ممَّا أدَّىٰ إلى ظهورِ الجماعاتِ الإسلامية، وإلى القول بعدمِ فَصلِ الدين عن السياسة.
- ضربُ العِلمانية الحديثة.
- إثارةُ قضيةِ «خلق القرآن» التي تحوَّلت إلى فتنةٍ بين المسلمين.
- تحريفُ القرآن للأساطير.
- اتهامُ المفسِّرين بإلغاءِ بعضِ الآياتِ أو تحريفِ معناها.
- وجودُ تشابُهٍ بين مفهومِ «اللَّه» في القرآن ومفهوم «اللَّه» في الفِكرِ اليوناني، وخاصة «بارمنيدس»، وتأثرُ القرآن بأصداءِ القانون المدنيِّ وتقنينِ

الكنيسةِ السورية، والأخذُ من الميراثِ الجاهليِّ وميراثِ اليونانيين بعد أنْ فَرَضَ على كلٍّ منهما تعديلاتٍ استعلائيةً صارمة.

ـ إنَّ مشكلةَ الإسلام اليوم «الانفصالُ بين العقيدة ومسيرةِ العالم الفعلية، بل مسيرة العالم الإسلامي نفسه»، فالإسلامُ يَلجأُ إلى الأصول، ولا يَنقُلُها إلى الحاضر، و«الذكيُّ» الحقيقيُّ هو الذي يُحوِّلُ الذِّكرى إلى مستقبل، وهي عمليةٌ خَلاَّقة تُدمجُ العَصريةَ بالأصالةِ لمواجهةِ التجديدات التي يَجبُ على كلِّ نظامٍ في العالَم الحالي أن يَقترحَ الحلولَ الممكنةَ لها، فالثورةُ التكنولوجية والعلمية تتعدَّى مراحلَ لم تَصِلْ إليها مِن قبلُ، وانعكاساتُ هذه الثورةِ على التصرفاتِ الفرديةِ والجماعية، والتوحُّدِ المتزايدِ للكُرة الأرضية والتحدياتِ الناتجة عنه، بالإضافة إلى متطلَّباتِ جماهيرِ العالَم الثالث في مجال الحريَّات، وحقوق الإنسان، والرفاهية.

«جاك بيرك» ترجم سورة «الإسراء»، فجعلها «المسيرة الليلية»، وأضاف إلى هذا العنوان عنوانًا آخَرَ هو «أو أبناء إسرائيل»، وهذا ـ طبعًا ـ غيرُ واردٍ في المصاحف، وترجَمَ اسم سورة «غافر» إلى «المؤمن أو المتسامح»، وسورة «النصر» ترجَمَها إلى «النجدة المنتصرة»، ولم يَستخدمْ كلمة «النصر» الفرنسيةَ أبدًا رغم أنها تكرَّرت في القرآنِ ما يَقرُبُ من مئةِ مرة، وكأنه يأبى كتابةَ «النصر للإسلام» أو كتابة «أن الإسلام انتصر»، وسورة «الفتح» ترجَمَها بما معناه «أنَّ كلَّ شيءٍ ينفتح»، وسورة «الروم» ترجَمها باسم «روما» عاصمة إيطاليا!، وسورة «الملك» ترجمها بكلمةٍ تعني «المِلكية»، علمًا بأن كلمة «المُلك» بمعنى «ملكوت اللَّه» موجودةٌ في اللغةِ

الفرنسية، ومستخدَمةٌ في «العهد القديم» و«العهد الجديد» في الإنجليل، وسورة «التكاثر» ترجَمَها إلىٰ ما معناه «التنافسُ عن طريق العدد».

□ تقول الدكتورة «زينب عبدالعزيز»: «إنه لا يمكنُ أن تكونَ هذه الأخطاءُ صَدَرت عن المستشرق الكبير «جاك بيرك» بدون قصدٍ، فهذا مستبعَدٌ لمن كان في مِثلِ مكانته العلمية، والتفسيرُ الوحيدُ لذلك أنه تمَّ بسُوءِ قَصدٍ، بدليلِ أنه أصرَّ علىٰ ترجمةِ كلمة «الرسول» ومعناها في القرآن «النبي» ﷺ، فلم يستخدمْ كلمة «النبي» ليُبعِدَ عن ذِهنِ القارئِ معنىٰ «النبوَّة»، واستَخدم كلمةً معناها «المرسَل» أو «المِرسال»، ولم يستخدم كلمة «مسجد» - ولها مقابلٌ بالفرنسية معروف -، واستخدم كلمةً تعني «جُزءً من الكنيسة حول المذبح» تتمُّ فيه المراسِمُ الطقسية، وقد تعني «مكانًا مقدَّسًا» بصفةٍ عامة، كما استخدم كلمةً أخرىٰ مشتقةً من اللاتينية معناها «كنيسة صغيرة تستخدمها جماعة معينة»، وبهذه المعاني ترجم «المسجد الحرام»، وترجَمَ «إسراء الرسول إلىٰ المسجد الأقصىٰ» بأنه «إسراء في لحظةٍ من الليل إلىٰ النهائي»، لكيلا يربطَ القدسَ بالإسلام!.

و«جاك بيرك» يعرفُ اللغةَ العربيةَ جيدًا، بل هو ضليعٌ في اللغة العربية، ويعرفُ معنىٰ كلِّ كلمةٍ بمنتهىٰ الدقة، فكيف يُترجمُ كلمةَ «الألباب» إلىٰ كلمةِ «النخاع» في الفرنسية، وهو يعلمُ أن وَقْعَها في الترجمةِ يثيرُ السخريةَ لدىٰ القارئ الفرنسي، ومع أن كلمة «الألباب» وردت في القرآن ستَّ عَشْرةَ مرةً، إلاَّ أنه لم يُترجِمْها بمعناها المقصودِ أو المنطقيِّ والذي يعني «ذوي العقول» أو «ذوي الأفهامَ»، وكيف يُترجُم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾، فلا يقول: إن «الميعاد» هو «وعدُ اللّه أو وعيده»، ولكن يترجمُها

بكلمة «راندڤو»؛ وحَذَف من سورة «آل عمران» في الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾، فلم يذكرْ هذه العبارة، وتوقَّف عند منتصفِ الآيةِ الرابعة عند قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾.

أما أسلوبُه في وصفِ اللَّه، فقد ترجَمَ ما وَرَدَ منه في القرآن بكلماتٍ معناها أن القرآنَ يشيرُ بروعةٍ مُرعِبةٍ إلى الذُّعرِ الذي سيصيبُكم أمامَ الحاكم (ويقصد اللَّه)، وها هي ذي القُشَعْريرة تَسرِي في أبدانكم عند مجردِ ذِكر اسمه، وتناوَلَ مضمون الآية ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، إلى ما معناه: «أن اللَّه يمحو ويُبدِّلُ ويؤكِّدُ النبواءاتِ وفقًا لهواه»، ويُترجم: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ بما يُفهَمُ منه أن القرآن هو المقصودُ، وأن القرآنَ له أجل، ويَنسبُ هذا المعنى - زُورًا - إلى أبي بكرٍ الصديق ﷺ، ويَضعُ في الهامش أنَّ مَصدره في ذلك «الطبري» في المجلد ١٣ صفحة ١١١ السطر ١٤، وهو متأكد أن هذا التزوير لن يكتشفَه أحدٌ، ولن يرجعَ أحدٌ إلى المرجع الأصليِّ للتأكد منه»[١].

*** جورج بوش الجدُّ وكتابه «محمد مؤسِّس الدين الإسلامي، ومؤسِّس إمبراطورية المسلمين»:**

«جورج بوش» (١٧٩٦ - ١٨٥٩)، هو علمٌ من أعلام الاستشراق الأنجلو ساكسون، دَرَس في «كلية اللاهوت» ببرنستون، وعُيِّن راعيًا لإحدى الكنائس في «إنديانا بولس»، وعُيِّن أستاذًا للغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة «نيويورك»، وقد ذكر الباحثُ والناقدُ «منير العكش» في

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص٣٣٧-٣٤٠).

كتابه «حق التضحية بالآخر» أمريكا والإبادة الجماعية ـ بيروت ٢٠٠٢، حيث ذَكَر في صفحة (٩٦) أن مؤلِّف الكتاب هو الجدُّ الأكبرُ لأسرة «آل بوش» التي ينحدرُ منها رئيسًا الولايات المتحدة «بوش» الأب والابن.

وكتابَ چورچ بوش «محمد مؤسِّسُ الدين الإسلامي ومؤسِّسُ إمبراطورية المسلمين»[1] مشحونٌ بالافتراءات على خاتم النبيِّين ﷺ، ويدلُّ على خُبثِ طويَّةِ چورچ بوش لسيِّد البشرية، ويُعرِّفُنا بالفِكرِ الصليبيِّ الأسود الذي يَسُودُ رأسَ الرئيسِ الحالي وقلبَه كما ساد قلبَ جدِّه الأكبر.

وچورچ بوش القِزمُ يَصِفُ سيدَ البشريةِ ﷺ بـ «الدَّعيِّ».

◻ يقول بوش: «لقد وَضَع محمدٌ أساسَ إمبراطوريةٍ استطاعت في ظَرفِ ثمانين سنةً فقط أن تَبسُطَ سلطانَها على ممالكَ وبلادٍ أكثرَ وأوسعَ مما استطاعته روما في ثمانمئةِ سَنَة، وتزدادُ دهشتُنا أكثَرَ وأكثَرَ إذا تركْنا هذا النجاحَ السياسيَّ، وتحدَّثْنا عن صعودِ دِينه وانتشارِه السريعِ واستمرارِه ورسوخِه الدائم.. والحقيقةُ أنَّ ما حَقَّقه نبيُّ الإسلامِ والإسلامُ لا يمكنُ تفسيرُه إلاَّ بأنَّ اللَّهَ كان يخصُّهما برعايةٍ خاصةٍ، فالنجاحُ الذي حقَّقه محمدٌ لا يتناسبُ مع إمكاناتِه، ولا يمكنُ تفسيرُه بحساباتٍ بشريةٍ معقولة.

لا مناص إذن من القولِ أنه كان يَعملُ في ظلِّ حمايةِ اللَّه ورعايته، لا تفسيرَ غيرُ هذا التفسير لهذه الإنجازاتِ ذات النتائجِ الباهرة، ولاشك أنه يجبُ علينا أن تنظرَ للدين المحمديِّ في أيامنا هذه بوصفِه شاهدًا قائمًا

---

(١) ترجمة وتحقيق وتعليق د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ ـ دار المرّيخ للنشر، والكتاب موجود بمكتبة الكونجرس الأمريكي.

ينطوي على حكمةٍ غامضةٍ للّه سبحانه لا ندري مغزاها. . حكمةٌ لا تفهمُها عقولُ البشر أو على الأقلِّ لا تفهمُها عقولُ البشرِ حتى يتحقَّق الغرضُ منها»(١) .

◘ ويقول: «إن اللّهَ أراد للإسلام أن ينتصرَ على يد هذا النبيِّ المحارِب ليؤدِّبَ الكنائسَ المسيحيةَ «أي الكنائس الشرقية» التي ضَلَّت السبيلَ إلى حين، وإنَّ مَن أسلموا سيَتركون إسلامَهم مَرَّةً أخرى ليعودوا إلى حِضنِ كنيسةٍ أخرى سليمةِ العقيدة. . وربَّما كان هذا عند عودةِ المسيح في الألفيَّة» .

◘ ويقول چورج بوش في «الملحق الأول» لكتابه (ص٢٠٨): «وإذا كان ما يُذكَرُ بشأنِ ظهورِ الإسلام وتقدُّمِه وسلطانِه غيرَ كاف، وإذا كانت الأسبابُ البشريةُ التي عادةً ما يَجري اقتباسُها لشرحِ النجاح المُذهِلِ للادِّعاء الإسلاميِّ «المحمدي» لا تزالُ تبدو لنا غيرَ كافية، وإذا كانت أعظمُ ثورةٍ على الإطلاق واجَهَت الكنيسةَ المسيحيةَ تبدو مُعْضِلةً لا حَلَّ لها، فَلم نتردَّدُ في أنْ نعزوَ هذا مباشرةً إلى إرادةِ اللّه ومشيئتِه، وبذا نجدُ الحلَّ الذي يُفسِّرُ كلَّ هذه الأسرار.

لماذا نحن توَّاقين للهرب من الاعترافِ بالتدخُّل الإلهيِّ في قيامِ هذه الهرطقة التي هي رأسُ الهرطقات؟ إنْ صحَّ تفسيرُنا لنبوءتَي دانيال ويوحنا، فإنَّ الخِداعَ المحمديَّ «الإسلام» كما هو حقيقةٌ تشهدُ بصحَّةِ النبوءة» .

(١) المصدر السابق (ص١٥٦ ـ ١٥٧).

*** يزعمُ چورچ بوش الدجَّالُ أن محمداً ﷺ هو إنسانُ الخطيَّة التي تنبأت به الكتب المسيحية:**

عند المسيحيين نبوءة عمَّا يُسَمَّىٰ «إنسان الخطيَّة» أو «الخطيئة»، يَظهرُ ويَستعلي قبلَ المجيءِ الثاني للمسيح، فقد وَرَدَ في «رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل تسالونيكي» (في اليونان) عن «إنسان الخطيَّة» أن المسيحيين من أهلِ هذه البلاد اعتقدوا أنَّ المجيءَ الثاني للمسيح قد حَلَّ أوانه، فقال لهم بولس: «إنه ـ أي المسيح ـ مجيئه الثاني لم يأت إنْ لم يأتِ الارتدادُ أوَّلاً، ويَستعلِنُ إنسانُ الخطيَّة (أي: يَجهرُ بدعوته) ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع علىٰ كلِّ مَن يُدعىٰ إلهًا أو معبوداً حتىٰ إنه يجلسُ في هيكلِ اللَّه كإلهٍ، مظهراً أنه إلهٌ».

ويُذكِّر بولس أهلَ تسالونيكي (في اليونان) أنه سَبَق أن قال لهم هذه النبوءة، وأنَّ أوانها لم يأتِ بعدُ لأنه «سيُستعلَنُ في وقته»، «لم يأتِ الوقتُ حتىٰ يُستعلنَ الأثيمُ الذي الرَّبُّ يُبيده بنفخة فمه ويُبطِلُه بظهورِ مجيئهِ». «السفر الثاني من رسالة بولس إلىٰ أهل تسالونيكي».

والمؤلف چورچ بوش وطائفةٌ من المسيحيين يعتبرون محمداً ﷺ هو «إنسان الخطيئة» المشارُ إليه في النبوءةِ السابقة، ويَعتبرون «الارتداد» الذي يَسبقُ المجيءَ الثاني للمسيح هو «انتشارُ الإسلام»، ويَعتبرون جلوسَ إنسانِ الخطيَّة في هيكل اللَّه، هو فتحُ المسلمين للشامِ وللقُدسِ خاصةً حيث الهيكل.

لذا وجدنا المؤلِّفَ «چورچ بوش» في مقدمة كتابه «الصفحة ٢١ من النصِّ الإنجليزي والصفحة المقابلة لها في النص العربي» يؤكِّد علىٰ أنَّ

المقصودَ بإنسان الخطيَّة هو محمدٌ ﷺ، والمؤلِّفُ وطائفتُه الدينيةُ يتوقَّعون عند بدايةِ كلِّ ألفيَّةٍ مجيءَ المسيحِ ثانيةً وعودةَ المسلمين إلىٰ المسيحيةِ ثانيةً وارتدادَهم عن الإسلام.

◻ ثم نتتبعُ المؤلفَ مع أقواله من بدايةِ الكتاب، لترىٰ سُمَّه يقطرُ في كتابته وكَذِبَه وخُبثَه وتطاوُلَه عن سيِّد ولد آدمَ ﷺ.

◻ يقول «چورچ بوش» (ص٥): «فكلُّ ما يمكنُ أن نتوقَّعه الآنَ هو تناولُ تاريخِ هذا الدَّعِيِّ».. يعني: رسولَ اللَّه ﷺ.

◻ وقال في (ص٥): «فالمؤلِّفُ بَذَل قُصارَىٰ جَهدِه في استخلاصِ صورةٍ عادلةٍ من خلالِ المصادرِ المُتاحةِ له لشخصيةِ مؤسِّسِ الإسلام».. يعني رسول اللَّه ﷺ.. فلا ينظر «چورچ بوش» إلىٰ الإسلام كأنه دين.

* **الإسلام عند چورچ بوش «هرطقة»[1]:**

◻ يقول في (ص١٧): «إنَّ كثيرين من الكُتَّابِ المتميِّزين الذين دَرَسوا -بعُمقٍ- أصولَ هذا الدين، وعبقريتَه وتاريخَه، فينظرون إليه بوصفه هرطقة مسيحيَّةً أوْ نتاجًا لهرطقاتٍ قال بها بعض المسيحيِّين، أكثر من وصفهم له بأنه خُرافةٌ وثنية».

◻ وقال أيضًا في نفس الصفحة: «ومِن هنا فقد كان قَدَرُ هذا الدين أن يرتبطَ بكلِّ العقائدِ الفاسدةِ التي أفسَدَتِ الإنجيل، وبقَدْر ما نَفضحُ هذه النُّبوَّة ونكشفُها، أوْ بَقْدرِ ما نكشفِ الادِّعاءَ الحاليَّ الموجودَ علىٰ ظهر الأرض، كلَّما عَجَّلنا بسقوطِ الخداع، وكلَّما عجَّلنا بتأثيلِ الحق، وكلما زاد اهتمامُنا -بعمقٍ- بهذه المناطقِ التي طالت فيها سيادةُ هذا الدين».

(١) هرطقة: أي مذهب غير صحيح.

❑ وقال في (ص١٩): «لذا، فإنَّ عَرْضًا موجزًا لحالةِ المسيحية وقتَ ظهورِ محمدٍ ـ خاصةً في المنطقة التي شَهِدت ظهورَ دعواه ـ، ربَّما تُلفتُ انتباهَ القارئِ في هذه المقدمة، هذا سيَظهرُ بوضوحٍ أكثَرَ لماذا حكَم اللَّهُ بأن ينقضَّ التضليلُ الإسلاميُّ علىٰ كنيسةِ المسيح، وبدون فَهمِ أحوالِ الكنيسةِ وقتَ ظهورِ الإسلام لاستحالَ الحكمُ الصحيحُ تمامًا علىٰ الإسلام».

❑ وقال في (ص٢٣، ٢٤) عن فساد رجال الدين المسيحيين عند ظهور محمدٍ ﷺ: «هذا الفسادُ المُحزنُ في عقائدِ رجالِ الدين وأخلاقِهم، أعقَبَه ـ كما هو متوقَّعٌ ـ فسادٌ عامٌّ بين الجمهور، ورغمَ أننا لا يمكنُ أن نفترضَ أن اللَّهَ قد تَرك نفسه تمامًا وليس من شاهدٍ عليه في هذه الحِقبةِ المُظلِمة، فقد كان هناك عددٌ من المؤمنين الصادقين قد تضاءلوا حتىٰ أصبحوا أشبَهَ ما يكونون بمجردِ بقايا، وبدا أنَّ الرِّدةَ عن الدين الصحيحِ قد انتَشرت انتشاراً واسعًا، وبدا أن هذا الأمرَ في حاجةٍ إلىٰ حُكمٍ يأتي من السماء بالنظرِ لهذه الحال البائسة التي وَصلت إليها المسيحيةُ في الفترةِ التي سَبقت ظهورَ محمدٍ، فإننا نكونُ مهيَّئين لقبولِ حُكمِ اللَّه بالسماحِ لهذا البلاءِ الكئيبِ بالظهور (يقصد الإسلام) أثناءَ هذه الأزمةِ التي ألَمَّتْ بالعالم».

❑ يقول «بريدو»: «أخيراً فَقَدَ اللَّهُ صَبْرَه، فقد طالت مُعاناتُه، فَبَعث العربَ والمسلمين «السرسريَّة» ليكونوا أداةَ سَخطةٍ ليعاقبَهم لهذا، فانتهز المسلمون فرصةَ ضَعفِهم والتهائِهم بالمَجَامع الكَنَسيةِ التي سَبَّبت انقسامَهم، فاجتاحوهم، وألحَقوا بهم تدميراً مرعبًا، واستولَوا علىٰ كلِّ الولاياتِ الشرقيةِ للإمبراطورية الرومانية، وثبَّتوا حُكمَهم الطاغيَ في هذه الولايات، وحَوَّلوا كنائسَهم في كلِّ مكانٍ إلىٰ مساجد، وحَوَّلوا طقوسَ عباداتِهم إلىٰ

خرافةٍ بشعةٍ كريهة، وفرضوا عليهم الادِّعاءَ المحمديَّ البغيضَ بدلاً من هذا الدين المقدَّسِ (الإلهي) الذي شوَّهوه.

وبذا أطلق اللَّهُ علىٰ هذه الكنائسِ عقابًا لها لضعفها أسوأَ الأعداء، فأهانوها ودمَّروها واحتقروها، لقد اجتاحوها اجتياحًا مرعبًا، وأوصلوها إلىٰ هذه الحال المنحطَّة البائسة، ومِن يومِها وهذه الكنائسُ تَرزَحُ وتئنُّ متوجِّعةً تحت هذا الطغيان.

لقد رأىٰ اللَّهُ بحِكمته الكليَّة أنْ يَظَلُّوا حتىٰ يومِنا هذا يئنُّون تحت الاضطهادِ المحمَّديِّ، لا لشيءٍ إلاَّ ليكونوا عِبرةً للمسيحيين الآخَرين، فلا يَضعُفوا ولا ينقسموا ولا ينفصلُ بعضُهم عن بعضِهم الآخر».

☐ ويقول في (ص٣٢): «محمدٌ الذي وُلد بمكةَ في سنة ٥٦٩، أصبح بعد ذلك مشرِّعًا لبلادِ العرب، ومؤسِّسًا للدين الإسلامي - أو الدين المحمديِّ -، فشرَّف نفسه - وشرَّفه أتباعُه - بالقول بأنه نبيُّ اللَّه ورسولُه».

*** چورچ بوش يدَّعي أن رسولَ اللَّه ﷺ كان يَعلَمُ القراءةَ والكتابة:**

☐ يقول في (ص٣٨ - ٣٩): «حقيقةً إنَّ أتباعَ محمدٍ رغبةً منهم في المبالغة في مواهب نبيِّهم، وعَزْوها إلىٰ قوىً خارقة، ورغبةً منهم في إضفاءِ مزيدٍ من الإعجاز علىٰ القرآن (الكَريم)، فإنهم يؤكِّدون عمومًا علىٰ أن محمداً كان يَجهلُ القراءةَ والكتابةَ تمامًا، حقيقةً إنَّ هذا الادعاءَ أكَّده محمدٌ نفسُه، فهو يقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وفي السورةِ السابقة أيضًا آية ١٥٨ الأعراف نقرأ: ﴿.. فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

لكنْ آخرُ ما نتوقَّعُه من القرآن ـ وهو ادِّعاءٌ بكلِّ ما في الكلمة من معنًى ـ أن يكونَ صادقًا دالاً على الحقيقة، فهناك أدلَّةٌ كثيرةٌ من هذا الوحي الزائفِ نفسه تدلُّنا على أن الكتابةَ كانت شائعةً بين العرب في تلك الأيام، فالوصيةُ التالية التي وردت في القرآن (الكريم) تؤكِّدُ ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ .. ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

نحن نعلمُ أيضًا أنَّ عليًّا بنَ أبي طالب ـ وهو ابنُ عم محمدٍ الذي تربَّى مع محمد ـ أصبح بعد ذلك أحدَ الذين كَتبوا له (المقصود أحدُ كُتَّابِ الوحي)، وقد اختار منهم محمدٌ عدداً لعملِ نُسَخٍ من القرآن (الكريم) مرتبةً علىٰ حَسَبِ تعاقُبِ نزولها.. كيف يُعقل إذَنْ أنَّ أبا طالبٍ عَلَّم ابنَه الكتابةَ ولم يُعلِّم ابنَ أخيه؟.

وأكثرُ من هذا، فقد كانت مكةُ ملتقَىٰ حركةٍ تجارية، ولابد أن التجَّارَ كانوا يُحِسُّون ـ كلَّ ساعةٍ ـ بحاجتهم إلىٰ تسجيلِ صَفقاتهم ومعاملاتِهم المالية، ونعلمُ أن محمداً ظلَّ لعدَّةِ سنواتٍ يعملُ في التجارة قبلَ أن يبدأ دعوتَه إلى الدينِ الجديدِ، فمِن غيرِ المحتمَلِ ألاَّ يكونَ عارفًا باستخدامِ الحروف».

☐ ويقول (ص٤٢): «لكنَّنا لا ندري كيف ساعد آخَرون محمداً في تدبيج القرآن؟ إننا لا نستطيعُ أنْ نَحُلَّ هذه المشكلة، أو بتعبيرٍ آخَرَ لا نستطيعُ أن نَصِلَ فيها إلىٰ نتيجةٍ مُرضِية».

◻ ويقول في (ص٤٥): «ومِمَّا يُؤسَفُ له كثيرًا أن سياسةَ الدَّعيِّ، وما أَلَمَّ بعصرِه من خرابٍ هي كلُّ المصادر المتاحة لنا. .».

◻ ويقول في (ص٤٦ ـ ٤٧): «كان من الطبيعيِّ أن تُؤَدِّي به ظروفُ تنسُّكِه إلىٰ ترسيخِ هذه المعاني بشكلٍ أعمقَ في عقلِه ونفسِه، ومِن المفترَضِ أنه ـ بهذه الطريقة ـ بدأ مُهمَّته، لكنه ـ وقد وَجَد نفسَه قد حَقَّق نجاحًا فاق ما كان يتوقَّعُه، وزادت شعبيتُه وقُوَّته ـ طغىٰ أخيرًا حُبُّه لنفسه علىٰ أمانته، وفاق طموحُه إخلاصَه وتقواه، وراحت خُطَطُه تتَّسعُ وتزدادُ كلَّما حَقَّق نجاحًا. . لقد بدأ مشروعَه بدافعِ التقوىٰ، فأصبح في خاتمةِ المَطافِ مدَّعيًا عنيدًا، وحاكمًا (إمبراطورًا) بلا مبادئَ، منغمسًا في الملذَّات».

وهذه فِريةٌ من الدجَّال الكذَّاب «چورچ بوش»، فما عَلِمَ العالَمُ أزهَدَ من رسول اللَّه ﷺ، ولا أرحَمَ منه. . كيف وقد قال اللَّه عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؟!.

◻ وقال في (ص٤٧): «راح يتظاهرُ بأنَّ المَلَكَ يأتيه تِباعًا، كما راح يُظهِرُ بين الحينِ والحينِ سُوَرًا من القرآن باعتبارِها وحيًا إلهيًّا، ولم يكن هذا كلُّه إلاَّ متضاربًا مع فِكرةِ كونِه مجرَّدَ متعصِّبٍ مخادع، وتغطيةً علىٰ عَدمِ قُدرتِه علىٰ الإتيانِ بالمعجزات ـ التي هي الشاهدُ الكبيرُ الدالُّ علىٰ الرسولِ المبعوثِ من اللَّه ـ، وكان لابد أن يكونَ هذا كافيًا لإبعادِ الرغبةِ في الخداعِ عن عقلِه ونفسِه.

ويُقال ما هو أكثرُ من هذا، فإن ظروفًا كثيرةً قد تكونُ زامَنَت جهودَه، فساعدت علىٰ ترسيخِ هذا الادِّعاءِ الكبير».

◻ ويقول في (ص٤٩ ـ ٥٠): «وبرغم كلِّ شيءٍ، فليس من المستبعَدِ

أن الحكمةَ اللانهائية (المقصود إرادةُ اللَّه سبحانه) قد قَضَت بهذا، أي بضرورةِ أن تَجثُمَ هذه الظُلْمةُ غيرُ المفهومةِ علىٰ دوافعِ الدَّعي (المقصود محمد ﷺ) كي يتحقَّق هذا التدبيرُ الخاصُّ في ظهورِ هذا الضلالِ الكبير ورسوخِ قمَّةٍ في عالَمنا.

ففي غيابِ أسبابٍ بشريةٍ كافيةٍ لتفسيرِ هذه الظاهرة، لابد أن نعترفَ بأن اللَّه أراد هذا، أو بتعبيرٍ آخرَ لابد أن نعترفَ بأن اللَّه تدخَّلَ ليَتمَّ هذا الأمرُ (انتشار الإسلام)، فالعقلُ والوحيُ ـ كلاهما ـ يُعلِّمانِنا أن نعترفَ بيَدِ اللَّه سبحانه تُحرِّكُ الأحداثَ لعِقابِ المذنِبين، بصرفِ النظرِ عن القائمين علىٰ هذه الأحداث الذين لم يتحرَّكوا إلاَّ بأمرِ اللَّه، والذين كانوا بمثابةِ يدِهِ الفاعِلة، وبصرفِ النظرِ عن الدوافعِ التي حرَّكتهم.

يقول الربُّ: «أهناك شرٌّ في المدينة وأكونُ أنا لستُ فاعلَه؟!» والشرُّ في هذه الآية (العبارة) يعني المعاناةَ وليس الخطيئة.

لا يمكنُنا أن نشكَّ في حقيقةِ أن ظهورَ الدينِ المحمديِّ (الإسلام) نَتَجَ عنه بلاءٌ بكنائسِ الشرقِ المرتدَّة (عن الدين المسيحي الصحيح)، لقد كان سَوطًا مرعبًا هَوَىٰ عليها، بل وهَوَىٰ علىٰ أجزاءٍ أخرىٰ من المملكةِ المسيحية (المقصود العالم المسيحي)، فإذا لم نستبعدْ إرادةَ اللَّهِ وتدخُّلَه ـ علىٰ وِفقِ إرادته في شؤون خَلقِهِ ـ، لم يُجانِبْنا الصواب، فالبشرُ وُكلاءُ عنه سبحانه وَكالةً معنويةً في تحقيقِ إرادته في تأديبِ العصاة (المقصود بالعصاة هنا الكنائس الشرقية علىٰ نحوٍ خاص كما يفيد السياق).

إن حياة محمدٍ وأفعالَه ودعوتَه إلىٰ دينِ القرآن ليست سوىٰ حَلْقةٍ في سلسلةِ الثورات السياسية، إلاَّ أنها في حَجمها وأهميَّتِها لا تَقِلُّ عن الثورات

العظمىٰ التي شهِدها التاريخ، فالثوراتُ يَظهرُ فيها بوضوحٍ العقوقُ وعدمُ التقوىٰ، لدرجةِ أنها تَستبعدُ كلَّ فكرةٍ عن قضاءِ اللَّه وقَدَرِه، أو بتعبيرٍ آخَرَ تستبعدُ ما قَضىٰ اللَّهُ به.

وعلىٰ هذا، فإننا إذا اعترفنا بتدخُّلٍ إلهيٍّ خاصٍّ في هذا النجاحِ المدهشِ الذي حقَّقته جيوشُ المسلمين (العرب أو السرسريَّة) بعد موتِ محمدٍ، فلابد أن نعترفَ أيضًا أن هذا النجاحَ يَرجعُ إلىٰ أن هذا الدينَ هو الذي وَحَّد العربَ وجَعَلهم تحتَ قيادةِ «رأسٍ» واحدةٍ أو «زعيمٍ» واحد، وأن هذا الدينَ هو الذي ألهمهم مِثلَ هذه السلسلةِ من الفتوحاتِ السريعةِ الباهرة.

لقد راح النبيُّ الدَّعيُّ يُنضِجُ خُطَطَه، ويتدبَّرُها لفترةٍ طويلةٍ قبلَ أن يَضَعَها موضعَ التنفيذ بالتدريج وبحذرٍ شديد».

☐ ويقول في (ص٥٢): «وفي القرآن ما يُفيدُ أن النبيَّ محمدًا ودينَه الزائفَ يَجدُهما أهلُ الكتاب عندهم - في كتبهم المقدَّسة في العهد القديم -: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩١-١٩٧]».

☐ ويقول في (ص٥٤): «بعد أن نَجَح محمدٌ في إقناعِ زوجِه خديجة، واصَلَ حياةَ العُزلةِ والتقشُّفِ ليكتسبَ شهرةً في مجالِ التقوىٰ والورع، وقبل ذلك ضمَّ خادِمَه زيدًا بنَ حارثة إلىٰ قائمةِ المهتدين، وكافأه

علىٰ ذلك بأن أعتقه، وأصبحَ من القواعِدِ المقرَّرةِ بعد ذلك أن يُصبحَ العبدُ إذا ما اعتَنق الإسلام حرًّا.

وكان عليٌّ بنُ أبي طالب ـ ابنُ عمِّ الرسول ـ هو ثالثُ من أسلم، لكنه اعتَبر نفسَه أولَ المسلمين؛ لأن هذا الشابَّ المندفعَ اعتَبر مَن سبَقاه إلىٰ الإسلام (خديجة وزيد بن حارثة) قَليلِي الشأن[1] ، وكان رابعُ مَن تحوَّل للإسلام ـ وهو الأكثرُ أهميةً ـ هو أبو بكر ـ وهو رجلٌ قويٌّ من أهل مكة ـ، دخل في الإسلامِ علىٰ يديه عددٌ من ذَوي المكانةِ والنفوذِ، ونعني بهم: عثمانَ والزبيرَ وسعداً وعبدَالرحمن وأبا عُبيدة، الذين أصبحوا فيما بعدُ القادةَ الرئيسيين في جيوشِه والأدواتِ الأساسيةَ التي استخدمها في ترسيخِ ادِّعائِه (المقصود دينه) وإمبراطوريتِه (المقصود دولته).

لقد مضىٰ أربعُ سنواتٍ قضاها في جَهدٍ جَهيدٍ ليضُمَّ إلىٰ دينه هؤلاء التِّسعة، وكان بعضُهم من رجالِ مكة المهمِّين، هؤلاء هم كلُّ المؤمنين به قبلَ أن يَجهَرَ بدعوته، لقد بَلَغ من العُمرِ الآنَ أربعةً وأربعين عامًا.

ويلاحَظُ أن هناك تزامنًا غريبًا يدعو للدهشة بين فترةِ اعتكافِ محمدٍ في «غار حراء» لتدبيرِ أمرِ نَشرِ دينه الدَّعيِّ (المفبرَك)، وفترةِ ادِّعاءِ «بونيفاس» بابا روما بمساندةٍ من الطاغية «فوكاس» لقبَ «الباب العالمي» أو «الراعي الكنسي لكلِّ أمورِ العالم»، أو بعبارةٍ أخرىٰ «اليونيفيرسال بوستر» زاعمًا إشرافَه الروحيَّ علىٰ كنيسةِ المسيح، وظَلَّ أخلافُه يَدَّعُون هذا لأنفسهم.

---

(١) هذه محاولةٌ من هذا الخبيث الدجَّال «چورچ بوش» للطعن في رموزِ الإسلام العظيمة.

يقول بريدو: «ومنذ ذلك الوقت عَمِل الاثنان (باب روما ومحمد) على أن يكوِّنَ كلٌّ منهما لنفسِهِ إمبراطوريةً من الادعاء، وعَمِل أتباعُهما منذ ذاك الوقت، متَّخِذين الوسائلَ نفسَها المتمثِّلةَ في النار والسيف، لنَشرِ دعوتِهم بين البشر، حتى بَدَتِ الحركةُ المعاديةُ للمسيح في ذاك الوقت تَطَأُ بقَدَمِها على العالَمِ المسيحيِّ في وقتٍ واحدٍ أحدَ فَرْعَي الحركةِ في الشرق، والفرع الآخر في الغرب.. لقد داسا كنيسةَ المسيح، فعانت منهما كثيراً في العصور التالية».

إنَّ اتفاقَ التواريخ (تاريخ اعتكاف محمدٍ في غار حراء، وتاريخ دعوة بابا روما - بونيفاس - إشرافه العالمي على كنيسة المسيح) أمرٌ يستحقُّ الالتفات، فكِلاَ الحدثين جَرَيَا في السنواتِ الستِّ أو الثمانِ الأولى من القرن السابع للميلاد، لكننا لا نملكُ بُرهانًا يُقنِعُنا باعتبارِ محمدٍ يستحقُّ أن نُطلقَ عليه لقب: عدو المسيح، أو المناهض له..».

☐ ويقول (ص٥٨-٥٩) عن عقيدةِ التوحيد وعن سورة «الإخلاص»:

«وهي تتكوَّنُ من جُملةٍ واحدة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وتتردَّدُ هذه العقيدةُ تِباعًا في سور القرآن وآياته، والمؤلِّفُ (يقصد واضع القرآن) لا يَهدِفُ بهذا التكرارِ مجردَ خطأ تعدُّدِ الآلهة والوثنية اللتين كانتا شائقين آنَئذٍ بين أُممِ الشرق، وإنما هو يُوجِّهُ أيضًا ضربةً قاضيةً للعقيدةِ المسيحيةِ القائلةِ بأن المسيحَ هو ابنُ اللَّه «الابن الوحيد للَّه».

إنَّ محمداً مَثَلُه في ذلك مَثَلُ آخَرِينَ في عصورٍ أخرى، لم يستطعْ أن

يَتصورَّ عقيدةَ المسيحيين في نسبةِ المسيحِ إلىٰ اللَّه، أو بتعبيرٍ آخَرَ لم يستطعْ أن يَفهمَ بنوَّةَ المسيحِ للَّه أو تحدُّرَه منه، مع أن هذه الفكرةَ لا تؤثِّرُ بشكلٍ مباشرٍ في حقيقةِ أن اللَّهَ جلَّ جلالُه واحدٌ، أو بتعبيرٍ آخَرَ: مع أن هذه الفكرةَ لا تؤثِّرُ مباشرةً، وفيما يرىٰ محمدٌ أنَّ أكبرَ السخافاتِ هو التأكيدُ علىٰ أن المسيحَ هو ابنُ اللَّه، أو أنه مُساوٍ للآب (اللَّه) في النِّديَّةِ والأزليَّة، وعلىٰ هذا فإعلاناتُ العهدِ الجديد (الأناجيل وملاحقها) فيما يتعلقُ بشخصِ المسيح وطبيعتِه، هاجَمَها واضعُ القرآنِ بلا هوادةٍ؛ لأنه لم يكن لديه الصِّدقُ والموضوعيةُ أو القُدرةُ علىٰ فَهمِ الفَرقِ بين عقيدةِ الثالوث الأقدس (كون الآب والابن والروح القدس إلهًا واحدًا) وعقيدةِ التثليث التي تعني وجودَ ثلاثةِ آلهةٍ منفصِلين (أي الفرق بين عقيدة الترينيتي وعقيدة التريثزم).

☐ وقال في (ص٦١): «لقد قَدَّم محمدٌ ـ لفترةٍ ـ حقيقةَ أن كتابَيِ العهدِ القديم (التوراة وملاحقها) والعهدِ الجديد (الأناجيل وملاحقها) كانت في الأصل وحيًا من اللَّه، إلاَّ أنها حُرِّفت ـ ويا للخجل ـ بعد ذلك، وأن النُّسَخَ الموجودةَ الآنَ غيرُ جديرةٍ بالتصديق أبدًا، وبالتالي فهو قلَّما يَقتبسُ منهما في القرآن».

☐ ويقول في (ص٦٢ ـ ٦٣) عن نزولِ القرآن مُنَجَّمًا: «وكانت هذه الطريقةُ التدريجيةُ في نزولِ الوحي، بالتأكيد، ضربةً شديدة، فنحن نقرأ في القرآن، سورة (الفرقان): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

فلو أنَّ القرآنَ ظَهَر جُملةً واحدةً لأدَّىٰ التمعُّنُ في محتوياته ومقارنةِ سوره وآياتِه بعضِها ببعضِها الآخَر إلىٰ اكتشافِ عدم اتِّساقِه، ولربَّما صَعُب

عليه (أي على محمد ﷺ) أن يَجِدَ إجابةً لِمَا يواجهُه من أسئلةٍ بهذا الشأنِ، ولاستحال عليه أن يكون مقنعًا.

لكن بتظاهُره أنه يتلقَّىٰ الوحيَ مفرَّقًا (كلُّ جزءٍ منفصلٌ عن الآخَر) في أزمنةٍ مختلفةٍ علىٰ وفقِ ما تُمليه الضرورةُ أو علىٰ وِفقِ ما يَطلبُ أتباعُه، فإنه بذلك يكونُ قد أوجَدَ لنفسِه طريقًا لإسكاتِ كلِّ الاعتراضاتِ، ولتخليصِ نفسِه مِن كلِّ الصِّعاب، فلا شيءَ يَمنعُ تعديلَ ما نَزل من وحيِ اليوم ـ أو حتىٰ نسخه (إبطاله) ـ غداً.

وبهذا الطريق مضىٰ ثلاثٌ وعشرون سنةً قبل أن تكتملَ سلسلةُ الوحي، رَغمَ أن النبيَّ أَخبَرَ صاحبتَه أنه تعزَّىٰ برؤيةِ القرآن كاملاً مجلَّدًا بالحريرِ ومُحلًّى بذهبِ الجنةِ وجواهرها، مرَّةً كلَّ عام، إلاَّ أنه رآه مرَّتين (المقصود في الرؤيا) في آخِرِ عامٍ من حياته.

وقد كان جزءٌ من هذا الوحي الزائف في مكة، أما الباقي ففي المدينة المنوَّرة.

ويقال: إن الطريقةَ الخاصةَ بتدوين الوحي كانت كالتالي: عندما تنزلُ سورةٌ علىٰ النبيِّ، يَشْرَعُ في إذاعتِها لصالح العالم، فيُمليها أولاً علىٰ سكرتيره (المقصود كاتب الوحي)، وبعدها يُسلِّمُ الورقةَ المكتوبةَ لأصحابه، ليقرؤوا ما فيها ويُكرِّروه، حتىٰ يرسَخَ تمامًا في ذاكرتهم، ومِن ثَمَّ يُعيدون الورقةَ للنبيِّ الذي يَحفظُها بعنايةٍ في صندوقٍ (خزانة) يُسمِّيها «خزانة الوحي»..».

◻ ويقول في (ص٧٥ـ٧٦): «إن علاماتِ الادعاءِ أصبحتِ الآنَ أكثَرَ

وضوحًا في صفحاتِ وحيهِ على شكلٍ مُتوالٍ، ففي هذه الصفحاتِ حَدَّد أهدافًا خاصةً ذاتَ طابعٍ شرير، ولم يكتفِ بمجردِ الدعوةِ علنًا في الاجتماعاتِ العامةِ، بل راح يدعو لدينِه في تلك الأفكارِ الرئيسية التي تتضمَّنها تحذيراتُه، وهو يُحذِّرُ الناسَ من مَخاطِرِ الكفرِ، ويَحُثُّهم بلغتِهِ البليغةِ الفصيحةِ على تجنُّبِ اللعنة بالإيمانِ به رسولاً من اللَّه، وبالإضافةِ لهذه البواعثِ القويةِ التي تَجعلُ المَرءَ يتحسَّبُ لِمَا سيواجهُه في الآخرة، فقد أسرف أيضًا في التهديدِ بعقوباتٍ مُرعبةٍ في هذه الحياةِ الدنيا إذا لم يُصغُوا لِمَا يقول.

* ولتحقيقِ هذا الغرضِ بَسَط أمامَهم المصائبَ التي حلَّت بأُممٍ قَبْلَهم رفضوا طاعةَ الأنبياء الذين أُرسلوا إليهم: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١٠ ـ ١١].

* وفي السورة نفسها نقرأ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٥].

لقد اقتبس حالاتِ أهلِ العالَمِ القديمِ الذين لم يَسمعوا لمواعظِ نُوح..».

❑ في (ص٨٠ ـ ٨١) يدَّعي هذا الكذَّابُ أنَّ الإسلامَ انتشر بحدِّ

السيف: «وفي الفترةِ اللاحقةِ ـ عندما كان في المدينة على رأس جيشٍ ـ كان لديه طريقٌ مختصرٌ آخرُ لَحِلِّ كلِّ المشاكلِ الناجمةِ عن هذا المصدر (عدم الإتيان بالمعجزات)، ذلك أن عقيدتَه ساعتَها كانت هي أن اللَّهَ سبحانه أرسل موسى وعيسى مزوِّدًا إيَّاهما بقوةِ صُنعِ المعجزات، ومع هذا فإن الناسَ لم يؤمنوا، لذا فإن اللَّهَ أرسله (أي محمدًا ﷺ) بوصفه نبيًّا من نوعٍ آخَرَ، نبيٍّ مكلَّفٍ بفَرضِ العقيدة الصحيحة بقوةِ السيف، وبالتالي فقد أصبح السيفُ هو الأداةُ الحقيقةُ لفرضِ رسالته، ولقد لاحظ المؤرِّخُ ـ عن حقٍّ ـ أن «محمدًا حاملاً سيفًا في إحدى يديه، والقرآن في اليد الأخرى أقام عَرشَه على أطلالِ المسيحية وأطلالِ روما»[1].

لكنَّ بعضَ أتباعِ النبيِّ الأكثرِ سذاجةً عَزَوْا إليه عِدَّةَ معجزاتٍ ـ كشَقِّ القمر، وتقدُّمِ الأشجارِ لِلُقياهُ، ونَبعِ الماءِ من بينِ أصابعه، وتحيَّةِ الأحجارِ له، وحَنينِ الجِذعِ إليه، وشكوى الجَمَلِ له، وإخبارِ كَتِفِ الضأنِ له أنه مسمومٌ، وغير ذلك ـ، لكنَّ محمدًا نفسَه لم يؤكِّد هذه المعجزات، كما أن الكُتَّابَ المسلمين الموثوقَ بهم لم يُوردوها.

* والمعجزةُ الوحيدةُ التي أكَّدها هو نفسُه وأكَّدها أنصارُه الأذكياءُ هو القرآن الكريم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]» اهـ.

◻ وفي الفصل السابع يدَّعي «چورچ بوش» أن النبيَّ ﷺ تظاهَرَ بقيامه

(١) وقد رددنا على هذه الفِريةِ والمقولة الظالمة من قبلُ، بل ورَدَّ عليها «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب».

برحلةٍ ليليةٍ إلى السماء السابعة (المقصود: المعراج) ودوافعُه لاختلاقِ هذه القصةِ المبالغ فيها - حَسْبَما قال الكذَّاب «چورچ بوش» -، إذ يقول في (ص٨٩): «آثَرَ اللَّهُ محمداً في السَّنةِ الثانيةَ عَشْرةَ لبعثتِه المزيَّفة برحلةٍ ليلةٍ - فيما يقول هو - من مكةَ (المكرمة) إلى القُدس، ومِن القُدس إلى السماءِ السابعة بصُحبة جبريل، ونجدُ إشارةً لهذا في مَطْلَعِ سورة «الإسراء» من القرآن الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية الأولى من سورة الإسراء، بالإضافة إلى هذه الحكايةِ التافهةِ المبالَغِ فيها التي لم تَرِدْ في القرآن، وإنما تَنقُلُها الرواياتُ (يقصد المعراج)، ربما ابتَدَعها المُدَّعي كي يُحقِّقَ لنفسِه شُهرةً بوصفه قدِّيسًا، وربما ليرفعَ نفسَه فوقَ مَقامِ موسى كليمِ اللَّه فوقَ الجَبَلِ المقدس. . وعلى أيِّةِ حالٍ، فإن المسلمين يؤمنون بقصةِ عُروجِ النبيِّ إلى السماء إيمانًا يقينيًّا».

◘ ويقول أيضًا عن «رحلة الإسراء والمعراج» (ص٩١ - ٩٢): «. . لندخلْ في حقيقةِ هذه القصةِ الصِّبيانيةِ، نشعرُ على الفور أن خيالَ النبيِّ يُعاني من خَلَلٍ. . والسُّخْفُ البائسُ الذي يَظهرُ في التلفيقِ الذي قدَّمه لنا النبيُّ».

◘ ويقول (ص٩٦ - ٩٨): «تلك هي التصوُّراتُ أو الخيالاتُ الصبيانيةُ للنبي، تلك هي القصةُ المَلحميَّةُ الغَبيَّةُ التي خَدَع بها السُّذَّجَ من أتباعه بما فيها من وصفٍ حيٍّ، وعلى أيِّةِ حالٍ، فإن هذه القصةَ بما فيها من سُخفٍ أدَّت إلى تخلِّي عددٍ من أتباعه عنه، وبدا أنَّ دعوتَه قد اقتَربت من نهايتها، وأخيرًا جاء دَورُ أبي بكرٍ ذي النفوذِ الأكبرِ بين صحابةِ النبيِّ، إذ صدَّق ما

قاله النبيُّ مُلقيًا الملامةَ علىٰ مَن لم يُصدِّقوه، وبذا خَلَّص زعيمَه (يقصد النبي ﷺ) من هذه الورطةِ التَّعسة، لقد أعلَنَ بجسارةٍ تصديقَه للنبيِّ قائلاً: «إنه إن كان قد قال ذلك فقد صَدَق».

إن هذا الحَدَثَ الملائمَ لم يُجدِّدْ - فحسب - الإيمانَ بالنبيِّ، وإنما زادَه لدرجةٍ جَعَلَتْه متأكِّدًا من قُدرتِه علىٰ وَضعِ أيِّ حكايةٍ يريدُ أن يُصدِّقَها أتباعُه سريعي التصديق، وهكذا وجدنا أن هذه الحكايةَ الرديئةَ عديمةَ المعنىٰ - التي هَدَّدت في البداية بدفنِ كلِّ ادعاءاته في مهدها - قد عَمِلت في الحقيقةِ علىٰ زيادةِ نجاحاتِه لمواكبتها لبعضِ الظروف، وهكذا حَمَل أبو بكر لقبَ التشريف والكرامة، ألا وهو «الصدِّيق».

ونَعلمُ مِن «سيل» الإنجليزي الذي شَرَح القرآن أنه لا يزالُ هناك خلافٌ - علىٰ نحوٍ ما - بين العلماءِ المسلمين حولَ ما إذا كان العروجُ بالنبيِّ إلىٰ السماوات كان بالجسدِ أم بالروح (أي أنه رؤيا منامية)، فبعضُهم يرىٰ أنه مجردُ رؤيا أو حُلم، معتمِدين علىٰ روايةِ معاوية (بن أبي سفيان)، ويرىٰ آخرون أنه أُسرِي به ببدنه إلىٰ القدس، أما العروجُ للسماء فكان بالروح.

لكنَّ الرأيَ السائدَ أن الإسراءَ والمعراج كانا بالجسد، ويَرُدُّ القائلون بهذا علىٰ المعترِضين بأن اللَّه علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وليس من المُحتَمَل أن يكون هدفُ محمدٍ مجردَ إدهاشِ أتباعه، فالمراقِبُ اليَقِظُ لخصائصِ الإسلام المميِّزةِ له لن يَفشَلَ في اكتشافِ ما لا يُحصىٰ من أوجُهِ الشبه بين هذا النظام (الإسلامي) والدينِ اليهوديِّ الذي أَوحىٰ به اللَّه، ويبدو أن المدَّعي (يقصد المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام) يَقصِدُ التشبُّهَ بموسىٰ عليه السلام علىٰ قَدْرِ ما يُمكنُه، ويَقصِدُ أن يُدخِلَ في دينِه أكبرَ قَدْرٍ من التفاصيل الموجودةِ في

اليهوديةِ دون أن يُدمِّرَ البساطةَ التي اتَّسم بها دينُه».

☐ وقال في (ص١٠٠): «إنَّ المدَّعي كان توَّاقًا جِدًّا لأن يُؤمنَ الناسُ إيمانًا راسخًا بعجائبه التي يَرويها».

☐ وقال (ص١١٢): «﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ..﴾ [التوبة: ١١١].

هذه الروحُ الدمويةُ العُدوانيةُ غيرُ المتسامحةِ سنجدُها تُميِّزُ معظمَ سُوَرِ القرآن التي نَزلت في المدينة، إذ يمكنُ في أحيانٍ كثيرةٍ أن نحكمَ - من خلالِ الروحِ السائدةِ في السورة والمزاجِ العامِّ فيها - ما إذا كانت قد نَزلت في المدينةِ أم في مكة دونَ الخوضِ في تاريخ نزولها».

☐ ويقول في «الفصل العاشر» (ص١٢٠): «لقد كان تغييرُ القِبلة - حقيقةً - مَصْدَرَ إزعاجٍ لكثيرين من أتباعِه، إذ كان يعني بالنسبة لهم تقلُّبًا في عقائدِ النبيِّ، فتخلَّوا عنه، لكنَّ تنامي كراهيتِه لليهود جَعَله يؤكِّدُ هذا التغييرَ في اتجاهِ القبلةِ من القُدس إلى الكعبة».

☐ ويقول في «الفصل الحادي عشر» (١٢٦) عن سَيرِ النبي ﷺ إلى غزوة «أُحد»: «إنه قرَّر في البداية أن ينتظرَهم حتى يَصِلُوا إلى المدينة المنوَّرة ويَصُدَّ هجومَهم داخلَها، ولكنَّ حماسَ رجالِه الذي أشْعَلَه نصرُهم السابقُ في «بدر» لم يكن له حدودٌ، وطالبوا بالخروج لمواجهةِ الأعداء، فوافقهم النبيُّ، ولم يكن حكيمًا في هذا، بل لقد وَعَدهم بالنصر الأكيدِ دون حَذَرٍ مندفعًا بروحِ الثقة التي تلبَّسَتْه، لقد كانت القُوىٰ النبويَّةُ للرسولِ محمدٍ على

مَحَكٌ أحداثِ هذا اليوم، لقد كان محمدٌ متمتعًا بدرجةٍ كبيرةٍ بمواهبِ الجنرال (القائد العسكري)».

☐ يكذِبُ على النبيِّ ﷺ وأنه وَعَد أصحابَه بالنصر قبلَ «أُحُد»، ثم يكذبُ على الصحابة وعلى التاريخ فيما يقولُه عن أحداثِ ما بعد المعركة (ص١٢٨): «لقد راح أتباعُه يُهمهِمون حولَ النتيجةِ المشؤومةِ للمعركة، وحولَ ما إذا كان النبيُّ قد خَدَعهم، وأن إرادةَ اللّهِ لم تَنكشفْ له (لم تُوحَ إليه)، فقد تنبّأ تنبُّؤَ الواثقِ بالنصرِ، بينما النتيجةُ كانت هي الهزيمة».

☐ ثم قال (ص١٢٩ ـ ١٣٠): «ولكي يُخمِدَ محمدٌ هَمهمةَ هؤلاء الذين اجتاحهم الحزنُ لفَقدِ رِفاقهم وأقاربِهم، ذَكَر لهم أن لكلِّ أجلٍ كتابًا، وأن الذين قُتلوا في المعركة ما كانوا لِينجُوا من الموتِ المقدَّر عليهم لو أنهم مكَثوا في بيوتهم، وهم الآن قد ماتُوا شهداءَ، وتلك مِيزَةٌ عظيمة لأنهم سُينعَّمون بدخول الفردوس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٦ ـ ١٥٧].

بهذه المراوغةِ تَملَّص من الوعد الذي سَبَق أنْ وَعَد به أصحابَه بالنصر، وغَطَّى على خِزيِ هزيمتِه».

☐ وفي الفصل الثاني عشر (ص١٣٥) يقول: «لقد أدَّى عنادُ اليهود إلى تحوُّلِ اتجاهِ محمدٍ إلى كراهيةٍ شديدة، وظَلَّ إلى آخرِ لحظةٍ في حياته

يَحُثُّ على اضطهادِ هؤلاءِ البائسين اضطهادًا لم يَضطهِدْه المسلمون لأيِّ شَعبٍ آخَر».

❑ ويقول في (ص١٣٦): «إنَّ القلبَ يأسَى أن يجد النبيَّ رسولَ اللَّه يَنتقلُ من مَشهدٍ دمويٍّ إلى مشهدٍ دمويٍّ آخر، ومن مذبحةٍ إلى أخرى، جاعلاً دعاوى الدين عَباءةً يُغطِّي بها طموحاتِه التي لا حدَّ لها ومباهجَه الحسِّيَّة التافهة.. إن المرءَ المتأمِّلَ هنا يُدرِكُ المعنى العميقَ لطهارةِ دينٍ يسوع المسيح وجنوحِه للمسالمة، فهذا المعنى يزدادُ تألقًا إذا ما قارناه ببريقِ الانتصارات (الحربية) التي حقَّقها النبيُّ الغازي، تلك الانتصاراتُ التي تَفتقدُ الهدفَ الديني.

إن الشخصَ الذي يَشعُرُ بقوةِ المبادئِ المسيحيةِ لن يرتاحَ - أو يَعْجَبَ - بهذه المعاركِ الضاريةِ التي انتصر فيها مؤسِّسُ الإسلام وأمثالُه من الغزاة بحصارِهم الناجحِ، ولا بالمُدن التي نَهَبوها أو أخضعوها، وإن فاق المسلمون غيرَهم في هذا».

❑ ويقول في (ص١٤٠) ساخِرًا مستهزئًا عن سَمِّ اليهودية للنبي ﷺ: «وإنْ كان لنا أن نؤيِّدَ الذين يتحدَّثون عن معجزاتِ محمدٍ، فإنَّ الكَتِفَ أخبرَتْه أنها مسمومة، ولاشكَّ أن هذه المعلومةَ وَصَلَتْه متأخِّرًا، لقد راحت بذورُ المَوت تنخَرُ فيه منذ هذا الوقت».

❑ وقال في «الفصل الثالث عشر» (ص١٤٣) عن إسلامِ أبي سفيان والعباسِ قبلَ «فتح مكة»: «في هذه الظروفِ لم يكن أمامَ أبي سفيان - العدوِّ اللدودِ لمحمدٍ ودينه - والعباسِ - عمِّ النبي - إلاَّ أن يُسلِّموا مفاتيحَ مكةَ للفاتح، وكان هذا موقفًا مَهينًا لأهل مكة، ولم يتوقفِ الأمرُ عند هذا الحدِّ، بل إنهما

اعتَرفا بالدعاوىٰ النبويةِ لسيدهما الجديد، وأقرَّا أنه رسول اللَّه، ويمكننا أن نفترضَ هنا أن إسلامَهما كان بالإكراه تحت وطأةِ سيفِ عمر (بن الخطاب) المرفوع - وكان عمرُ شديدَ الوطأة -، لقد أسلما إذن إنقاذًا لحياتهما، ورغمَ أن محمداً كان فاتحًا (غازيًا) ودَعِيًّا، إلاَّ أنه - في المعتاد - لم يكن قاسيًا، لقد كان غضبُه موجَّهًا ضدَّ صالح بلدِه (مكة) أكثَرَ منه ضدَّ أهلها».

◻ وفي «الفصل الخامس عشر» (ص١٥٦) يقول: «وهكذا انتهت مهمةُ محمدٍ علىٰ ظَهرِ الأرض، هكذا انتهت مهمةُ واحدٍ من أبرزِ الرجال وأكثرِهم جدارةً بالالتفاتِ علىٰ الإطلاق، هكذا انتَهت المهمةُ الدنيويةُ لأكثرِ المدَّعين نجاحًا وتصميمًا، لقد استطاع بطموحِهِ الواسعِ أن يُوجِّهَ المواهبَ الوطنيةَ، فتطوَّرت بداياتُه المتواضعةُ إلىٰ ذُروةِ القوة بين العرب، وكان قد بدأ قبلَ أن يموتَ ثورةً من أعظم الثوْرات التي عَرَفها تاريخُ البشرية، لقد وَضَع أساسَ إمبراطوريةٍ استطاعت في ظرفِ ثمانين سنةً فقط أن تَبسُطَ سلطانَها علىٰ ممالكَ وبلادٍ أكثَرَ وأوسعَ مما استطاعته روما في ثمانِمئةِ سَنة.

وتزدادُ دهشتُنا أكثَرَ وأكثَرَ إذا تركنا نجاحَه السياسيَّ، وتحدَّثْنا عن صعودِ دينِه، وانتشارِه السريع، واستمراره، ورسوخه الدائم، والحقيقةُ أن ما حقَّقه نبيُّ الإسلامِ والإسلامُ لا يمكنُ تفسيره إلاَّ بأن اللَّهَ كان يَخُصُّهما برعايةٍ خاصة، فالنجاحُ الذي حقَّقه محمدٌ لا يتناسبُ مع إمكاناته، ولا يمكنُ تفسيرُه بحساباتٍ بشريةٍ معقولة».

◻ ويقول في (ص١٥٨ - ١٥٩): «ويَمتدحُ الكُتَّابُ المسلمون شخصيةَ

نبيِّهم بغير حدود، بل إنَّ مِن بينِهم مَن ابتَدعوا حكاياتٍ توصَفُ بالغباء، مؤدَّاها أن مَلَكانِ (بفتح الميم واللام) أخذاه وهو في طفولته، وشقَّا بَدَنَه بسكينٍ، واستَخرجا قَلْبَه، وضَغَطَا عليه، وعَصَراه حتىٰ استخرجا منه الفسادَ الأصلي (أو المتأصِّلَ في الإنسان)، فتساقَطَ علىٰ هيئةِ قِطراتٍ سوداءَ نَتِنَةٍ، ثم أعادوا قلبَه إلىٰ موضعِه طاهرًا نقيًّا، أمَّا الجُرحُ الناتجُ عن شَقِّ الصدر (النص: البدن) فقد التَأَمَ بشكلٍ إعجازيٍّ، لذا فإنَّ أخلاقَه ظَلَّت فوقَ مستوىٰ الجنسِ البشريِّ، لكننا نجدُ هنا أن تاريخَ حياتِه وصفحاتِ القرآنِ تُمكِّننا من النظر إلىٰ هذه الأمورِ التي نَسبوها إليه مِن خلال إنجازاتِهِ الشخصية، مما يجعلُنا نتشكَّكُ فيها ولابد، لقد مَجَّده أتباعُه لتقواه وصِدقِه وعدالتِه وتواضعِه وصِدقِه وإنكارِه لذاته، إنهم لا يُساوِرُهم أدنىٰ شكٍّ في أنه نموذجٌ كاملٌ للإيمان والصدق، إنهم يتحدَّثون عن إحسانِه، ويُركِّزون عليه بشكلٍ خاص، فهم يقولون: إنه كان محسِنًا بشكلٍ واضحٍ لا يمكنُ إغفالُه، فقلَّما كان يَحتفظُ في بيته بمالٍ أكثرَ مما يكفي لإعاشةِ أسرته، بل إنه كان يُؤثِرُ علىٰ نفسِه، فيُقدِّمُ للفقراءِ ما يَحتاجُ هو إليه، ربما كان الأمرُ كذلك، لكن عندما نكوِّنُ رأيًا حولَ هذه الصفات الخُلُقية التي تحلَّىٰ بها لا يمكنُ أن نَنسىٰ أنه كانت له غاياتٌ خاصةٌ يريدُ تحقيقَها، لذا فمن المُحالِ أن نَفصِلَ بين دوافعِه لعملِ الخيراتِ الصادرةِ عن قلبٍ نبيل، ودوافعِه لعملِ الخيراتِ لتحقيقِ مصالحَ سياسية، ليس مِن غيرِ المعتادِ أن يُصاحِبَ الرغبةَ الشديدةَ في الحكم عواطفُ أو رغباتٌ أخرىٰ أحيانًا ما تكون متناقضةً تناقضًا شديدًا وغيرَ متَّسِقةٍ بأيةِ حالٍ من الأحوال، ومع هذا نجدُها متَّسقةً يَخضعُ بعضُها لبعضِها الآخَر بحكم الضرورة، فالطموحُ ـ أحيانًا ـ يُسيطرُ علىٰ نَزعةِ

حُبِّ المال أو الجشع، وحُبُّ المسرَّات لا يَحكمُ كليهما (الطموحُ والجشع) كما نلاحظُ في حالاتٍ كثيرة، فالإنسانُ قد يَهدِفُ لأن يكون عادلاً كريمًا، وأن يتصرفَ بوصفِه قدِّيسًا عندما لا يكونُ لديه باعثٌ سِوىٰ تقمُّصِ شخصيةِ نبيٍّ وسُلطانِ مَلِكٍ، فإنْ كان محمدٌ حقيقةً قد تحلَّىٰ بفضائلِ نبيٍّ، فلا شك أنه كان يضعُ عينيه علىٰ ما يَحُوزُه النبيُّ من مكافأةٍ أو جزاء، لكن لا ينبغي أن نقسوَ في حكمنا - دون مُبرِّرٍ - علىٰ صفاته الخُلقية، إننا نظنُّ أنه من غيرِ المُحتَمل ألاَّ تكونَ تصرُّفاتُه طيبةً وطبيعيةً ومتفتحةً ونبيلةً جذَّابةً وربما عظيمةً متسمةً بالشهامة وسَعَةِ الأُفق، ونحن نظنُّ أن الكُتَّابَ المسيحيين ظلموا الرجل (يقصد محمداً ﷺ) نظراً لمقتهم له، لكن طالَمَا نحن نبغي الحقيقةَ التاريخيةَ فيما يتعلَّقُ بالإسلام ومؤسِّسِه، فإننا نجدُ أنه من الواضح أنه إذا كان يَمتلكُ في طبيعتِه صفاتٍ جديرةً بالثناء، فيجبُ أن يتوقفوا عند التعرُّفِ عليه في مِراحلِ تطورِ حياته، لأن صفاتِه السيئةَ تواكبُ نجاحاته، ومَيلُه لانتهاكِ القانون زاد كلَّما امتدَّ به العمرُ».

□ وقال في (ص١٦١): عن النبي ﷺ: «ربما كان مستواه (الحضاريُّ) عظيمًا بين القبائل البدوية، ولكنه ما كان ليكونَ أكثرَ من إنسانٍ عاديٍّ لو عاش في المحيط الأوربيِّ المتحضِّر.. كان منَ الممكنِ أن يَغرقَ مؤسِّسُ الإسلامِ وإمبراطوريتُه في بحرِ النسيان مع ملايينَ مجهولينَ من بني جِنسه كما تمتصُّ الرمالُ قطراتِ المطر في صحارىٰ بلاده».

□ وقال أيضًا في نفس الصفحة: «إنَّ تاريخَ محمدٍ كلَّه يُظهِرُ أن التعصُّبَ والطموحَ والشهوةَ كانت هي الدوافعَ التي تحرِّكُه، كما كانت هي العواطفُ والانفعالاتُ المتأجِّجةُ في صدره، ويبدو أن التعصبَ قد راح

يخبو تدريجيًّا بزيادةِ قوةِ العاطفتين الأُخرَيَينِ (الطموح والشهوة)، ومع أنه كان متحمسًا بطبعه، إلاَّ أنه أصبح - بحكم الظروف السياسية - مُرائيًا، وكلَّما زادت مُيولُه ونزعاتُه انحرافًا، لم يتورَّعْ عن إشباعِها على حسابِ الحقِّ والعدلِ والصداقةِ والروحِ الإنساني، حقيقةً إنه يجبُ علينا عند تقويمِ سلوكه في جوانبه الأكثرِ بغضًا أن نضعَ في اعتبارنا جَهلَ مَن كان يعيشُ بينهم وإجحافَهم وجاهليتَهم وطبيعةَ شرائعهم، فالشعبُ الوثنيُّ البربريُّ لا يمكنُ حُكمُه على وفقِ المقاييسِ المسيحية أو القواعدِ المسيحيَّة».

❑ ويقول في (ص١٦٢ - ١٦٦): «حقيقةً إننا يجبُ أن نفكِّرَ في أخلاقِ هؤلاء الناس (المقصود العرب والمسلمين) - مع استثناءاتٍ قليلة - بسُخطٍ عليهم وعلى أيِّ نبيٍّ دعِيٍّ، وفي الوقت نفسِه نعترفُ بأن هذا النبيَّ طهَّر شرائعَ قومِه الأخلاقية، مع أنه عَمِل على استمرارِ ممارسةِ أسوأ ما كان لديهم من أفكار، هنا - في الحقيقة - نُوقعُ أثقلَ اللومِ على محمدٍ، إنه لم يُراعِ القواعدَ الأخلاقيةَ التي قال بها هو نفسُه، والتي فَرَضها على الآخَرين بأوامرَ صارمةٍ مرعبة، ليس مِن عُذرٍ نقدِّمُه لمحمدٍ في هذا، لقد أساء استعمالَ حقوقِ النبوَّة التي ادَّعاها ليسترَ إسرافَه في حياته الشخصية، فتَحتَ ستارِ الوحيِ أعفى نفسَه من شرائعَ أتى بها دينُه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ

عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

هذه المِيزةُ المبالَغُ فيها التي تمتَّعَ بها النبيُّ ربما تناقضت مع ما هو مسموحٌ لأتباعه أو ما هو مسموحٌ به لسائر المسلمين: ﴿ .. فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً .. ﴾ [النساء: ٣].

ويمنعُنا الحياءُ من الدخولِ في تفاصيلِ هذا الجانبِ من حياةِ محمدٍ وشخصيته (يقصد الجانب المتعلق بالزواج ومِلْكِ اليمين)، لكنَّ القارئَ يستطيعُ مِن خلال ما ذكرناه آنفًا أن يُدركَ كيف استغلَّ النبيُّ نبوَّته بوصفِها أداةً لإشباع الرغبات الحسية، ومِن الأمثلة الصارخةِ ما حَدَث مِن اتصالِه بالجاريةِ المصرية مارية (القبطية)، لقد وصل خَبَرُ هذا الحُبِّ المحظور (الاتصال بمِلْكِ اليمين) لِمَسْمَعِ إحدىٰ زوجاته الشرعيات، بل لقد رأت بعينيها ما حدث (أي هذا الاتصال الجنسي)، فوبَّخته توبيخًا مريرًا، فوَعَدها مُقسمًا - ليهدِّئها - ألاَّ يعودَ لهذا، لكنَّ طبيعتَه غَلبت عليه بعد ذلك بوقتٍ غيرِ بعيد، فلجأ إلىٰ الوحي ليغطيَ هذا الخزيَ، فكان لابد من نصٍّ قرآنيٍّ يُحلُّه من قَسَمِه الآنفِ ذكرُه، وتلك صفحةٌ سوداء لوَّثت القرآنَ ومؤلِّفَه (يقصد محمداً ﷺ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ١ - ٢].

هنا نجدُ الأمرَ يتناقضُ مع ما يَفرِضُه نبيُّ الحقِّ علىٰ أتباعه، فنحن نقرأ في القرآن ما فرضه عليهم في الآيات التالية: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

تفْعلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ..﴾ [النحل: ٩١، ٩٢].

وفي السورة نفسها: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[النحل: ٩٤].

هذه مجردُ أمثلةٍ من الطبيعة العامةِ القرآن، إن الجزءَ الأكبرَ منه ـ إلى حدٍّ كبير ـ قد صِيغ لتحقيقِ أغراضٍ خاصةٍ ليكونَ ذريعةً قلَّما تَفشلُ إذا تَعذَّرت الذرائعُ الأخرى، فجبريلُ يَنزلُ بوحيٍ جديد ـ دائمًا ـ مطابقٍ للغرض(١) المطلوبِ تحقيقُه، إنْ شرَعَ النبيُّ في مشروعٍ جديد، وإن واجَهَ اعتراضاتٍ جديدةً، وإن كانت هناك صعوباتٌ يجبُ حلُّها أو تجاوُزُها، وإنْ نَشَبَ نزاعٌ بين أتباعه.. لذا فإننا نجدُ ـ كنتيجةٍ حتميةٍ لهذا ـ اختلافاتٍ وتناقضاتٍ في هذا الكتاب (يقصد القرآن الكريم) يصعبُ إنكارها، ومفسِّرو القرآن والمسلمون عامةً يعرفون هذه الحقيقةَ، لكنهم يُبرِّرون ذلك بقولهم: إذا ناقَضَ الوحيَ اللاحقُ الوحيَ السابقَ، فإن الوحيَ اللاحقَ نَسَخ ـ أو ألغى ـ الوحيَ السابقَ، وهناك أكثرُ من مئةٍ وخمسين آيةً ينطبقُ عليها هذا (حكم الناسخ والمنسوخ)، بل إنَّ الدَّعِيَّ نفسَه (يقصد محمداً ﷺ) يؤكِّد هذا، ففي القرآن: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

(١) هذا ما يقوله الدَّعِيُّ الدجَّالُ «جورج بوش»، نضعه بين أيدي المسلمين ليقفوا على جذور ومرجعيَّة ما يختصِمُه الآخرون مع هذا الدين منذ وقتٍ مبكِّر، ونحن أشدُّ حِرْصًا على سيرة نبيِّنا المُطهَّرةِ وخُلقه الذي هو خُلُق القرآن الكريم.. وهو ـ واللّهِ ـ أحبُّ إلينا من أنفُسِنا وأهلينا وأموالنا.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

* ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

وإذا وُوجِهَ المسلمون المعاصرون بهذا ـ كما حدث أثناءَ نِقاش «هنري مارتين» معهم ـ أجابوا: هذا الاعتراضُ تافهٌ لا جدوىٰ منه؛ لأن اللَّه سبحانه يُراعي دائمًا ما هو لازمٌ لعبيده، ولا شك أن الآياتِ المنسوخةَ نَزلت في وقتٍ اختَلفت أحوالُه عن أحوالٍ لاحقةٍ كان لها مقتضياتٌ أخرىٰ، فاللَّهُ واهبُ الشريعةِ الإلهية لابدَّ أن ننظرَ إليه بوصفِه معالجًا رُوحيًّا لعبيده تمامًا، كما يصفُ الطبيبُ لمريضه المناسبَ لعلَّته».

إنَّ التلميذَ هنا (يقصد المسلم القائل بهذا) جديرٌ بأستاذه (المقصود نبيُّه محمد ﷺ) لأنهما متَّفقان علىٰ أن مبادئَ الأخلاقِ الكبرىٰ ليست خالدةً دائمةً غيرَ قابلةٍ للتغيير مرتبطةً بالعلاقةِ الدائمةِ بين الخالق وخَلْقه، وإنما هي مجردُ قوعدَ أو أحكامٍ اضطراريةٍ قابِلةٍ للتخفيف والتعديل أو حتىٰ التغيير علىٰ وِفقِ ما تُمليه الظروف، وبالنظرِ إلىٰ هذه الوسيلةِ الهزيلةِ (التافهة) لإبطالِ أو لنسخِ بعضِ الواجبات التي فَرضها اللَّه سبحانه، لاستخدامها ـ أي هذه الوسيلةِ التافهةِ أو الهزيلة ـ لصالحِ الضَّعفِ البشريِّ وتقلُّبِ الأهواء، فإن المرءَ يَدهَشُ أن يَعمَىٰ أتباعُه (المسلمون) عن هذا التضليلِ والخداع، ليس هناك ما هو أقوىٰ من هذه الحُجَّة، وليس هناك ما هو أسخفُ من هذا في أيِّ دِينٍ، ومع هذا فالمسلمون مؤمنون به، إنه دليلٌ علىٰ سذاجتهم وسُرعةِ تصديقِهم، إنه استخفافٌ بعقولهم».

▫ ويقول چورچ بوش المفتري عن دخول الناس في الإسلام أفواجًا (ص١٩٤ ـ ١٩٥): «نودُّ الإشارةَ إلىٰ أن الآلافَ قَبِلوا الحياة «بسلامٍ» أو باطمئنانٍ، وقَبِلوا «الدينَ الدَّعيَّ» الذي أدخله الغُزاةُ أثناءَ تقدُّمِ جُيوشهم المنتصرة، هذا ما تعنيه الكلمات «وبالسلام (أو بالاطمئنان) حطَّم الكثيرين»، أي أنه أفسدهم بالشروط التي فَرضها عليهم لإتاحةِ السلام (الاطمئنان) لهم، وهذه الشروطُ سيئةُ السمعةِ تتمثَّلُ في: «الموت أو دفعِ الجزية أو الالتزامِ بالقرآنِ أو بعبارةٍ أخرىٰ اعتناقِ الإسلام»، وإذا نجت الأُمُ التابعةُ من حدِّ السيف، دمَّرتهم العقائدُ الخرافيةُ المشوَّهةُ التي اعتنقوها.

وتَمضي نبوءةُ دانيال قائلةً: «لكنه سوف يُدمَّرُ دونَ يدٍ تدمِّرُه» (أو علىٰ حد صياغة الترجمة العربية المأخوذ بها لهذا السفر: وبلا يد ينكسر)، وهذا يعني أنه سينكسر بغيرِ يدٍ بشريةٍ تَكسِرُه وبغيرِ سُلطةٍ بشريةٍ، إنه سَينكسر (سيُهزم) بطريقةٍ مختلفةٍ عن الطريقةِ التي تنكسرُ (تنهزم) بها القُوىٰ الأخرىٰ، ستنتهي هذه الهيمنةُ الروحيَّةُ للإسلام عندما يَتصدَّعُ الحَجَرُ (دون أيدٍ تُصدِّعه) في مواجهةِ التمثال (أو الصنم) فتتحول كلُّ قوىٰ الطغيان (الاستبداد أو الحكم المطلق despotism) والضلالِ إلىٰ هباء، وكثيرونَ من شارِحي نبوءةِ دانيال مقتنعون أن الخداعَ المُحمَّديَّ (يقصد الإسلام) سيبدأ انكسارُه، دون يدٍ تكسِرُه في الوقت الذي تُدمَّر فيه البهيمة الرومانية المتمثِّلةُ في كنفدراليةٍ مناهضةٍ للمسيحية، وفي الحِقبةِ التي تبدأُ فيها الألفيةُ (المقصود بالألفية الألف سنة التي يحكم فيها المسيحُ العالَمَ فيملأه خيراً وعدلاً علىٰ وِفقِ الاعتقادِ المسيحي، وفكرةِ عودةِ المسيح تترددُ أيضًا في الفكرِ الإسلامي لكن بأبعادٍ أخرىٰ)، في هذه الفترةِ سيبدأُ التبشيرُ بالإنجيل بنجاحٍ في العالَم

كلِّه، وسينضمُّ كلُّ الأغيار (وهو تعبيرٌ يهوديٌّ يعني غيرَ اليهود، لكن بوش هنا يستخدُمه ليعني غيرَ المسيحيين) إلىٰ حظيرةِ الكنيسة المسيحية، خلالَ هذه الفترة سيتركُ المسلمون دينَهم ليدَخلوا في العقيدةِ الحقَّة (المسيحية)، وعندما يتحولُ المسلمون جميعًا إلىٰ المسيحية، ستنكسرُ - بلا شك - مملكةُ القَرنِ الصغيرِ الشرقية (دولة الإسلام علىٰ حد تفسيره للعبارات الرمزية لنبوءة دانيال)، مِن الواضح أن انكسارَها عندئذٍ يكونُ بلا يدٍ (بلا يد تنكسر) لأنها ساعتَها لا تكونُ قد انكسرت بحدِّ السيف علىٰ يدِ غازٍ من بني البشر، وإنما بتأييدٍ من الروحِ القُدُس الذي يُميلُ قلوبَ الناس ليعلنوا خطأهم وليؤمنوا بعقيدةِ نبيِّ اللَّه الحق.

وهكذا رأينا أن القرنَ الصغيرَ لهذا الخروف (التيس) الرمزيِّ يُشيرُ إلىٰ نجاحِ ادِّعاءِ محمدٍ، وإن كان هذا النجاحُ عَرَضيًّا - أي سيزول، وقد تم المرادُ (أي وصل هذا النجاحُ لنهايته وحان وقت إزاحته)، وعلىٰ هذا فنتيجةُ كلِّ هذا الاستقصاء يجبُ أن تكون هي أن القَرنَ الصغيرَ كما وصُف في «سِفرِ دانيال»، يَرمِزُ إلىٰ مملكةِ الإسلام (أو دولة الإسلام)».

🕮 ويقول في (ص١٩٢ - ١٩٣): «استأصل أتباعُ محمدٍ المبشِّرين بالإنجيل، وحَوَّلوا إلىٰ الإسلامِ خَلقًا كثيرًا بحدِّ السيفِ، وفرضوا دينَهم علىٰ الشعوبِ التي امتدَّ إليها حُكمُهم الدنيويُّ، وكلمةُ السياسة هنا (في الترجمة العربية المتداوَلة للسِّفر تُوجَدُ كلمة «حِذاقة» بدلاً من كلمة سياسة)، ربما أمكن فَهمُها بمعنَىٰ الدهاءِ الخالي من المبادئ، أو الدَّهاء الذي لا يَضعُ صاحبُه القِيَمَ والمبادئ في اعتباره، أو العملُ بذكاءٍ لكن دون وَضعِ اعتبارٍ للأخلاق أي بمعنىٰ وَضعِ الخُططِ بنعومةٍ أفعوانية، ووضعها موضعَ التنفيذ

بجرأةٍ وتهوّرٍ كامِلَين، بصرفِ النظر عن الطبيعةِ الأخلاقيةِ للوسائل المستخدمة، وبهذه الطريقة كَلَّل النجاحُ قوىٰ الإسلام، لقد ازدهرت ـ بشكلٍ غريبٍ فنونُهم الوضيعةُ وحِرَفُهم وخياناتُهم التي هي طبيعةٌ من طباعهم، لا أحدَ يُجارِي محمدًا وأتباعَه في طباعهم المميَّزة هذه، يقول «جيبون Gib-bon»: «في مجال ممارسة سياسةِ الحكم، اضطُرَّ محمدٌ لإبطالِ حِدَّةِ التعصب إذعانًا منه ـ إلىٰ حدٍّ ما ـ لمشاعرِ أتباعه وما حاق بهم من ضرر، كما اضطُرَّ حتىٰ لاستخدامِ رذائلِ البشريةِ كأداةٍ لتحقيقِ الخلاصِ لهم (أو لتحقيق النجاة لها)، وكان استخدامُ الاحتيالِ والخداعِ والقسوةِ والظلمِ من العواملِ المساعدة في نشرِ العقيدة (أي الإسلام)». . ويقول «جيبون» أيضًا: «ولدعمِ العقيدةِ (أو الحق) لم يكن محمدٌ يَعتبرُ فنونَ الخداعِ وتلفيقِ القصصِ جُرمًا كبيرًا، وقد يبدأُ بالوسائلِ القذِرة، إذا لم يَرْضَ بالنهاية العادلة».

❑ ويقول في (ص١٨٩): «وعلىٰ هذا فمحمدٌ بوصفه مُلفِّقًا للقرآن (هكذا يدَّعي بوش صاحب هذا التلفيق المغرض) أكَّد دعواه بتميُّزه النبويِّ في فهم «الجُمل الغامضة» أو الظلمة (المترجم: سبق القول أن هذه العبارت التي تشير إلىٰ تأويل الأحاديث منسوبةٌ في القرآن الكريم إلىٰ يوسفَ عليه السلام)، ذلك لأنه (أي محمد) أَعلن في القرآن ـ ذلك الوحيِ المُدَّعىٰ ـ أن هدفَه هو إحياءُ تراثٍ دينيٍّ قديمٍ عن اللّه والدين[1]، بل وأعلن أنه يفكُّ مغاليقَ الحياةِ بعد الموت وأسرارَ الغيب (ادعاء من بوش، وإلا فاللّه سبحانه علام الغيوب/ المترجم)».

(١) المقصود به مِلَّةُ إبراهيمَ أو الحنيفية.

❑ وقال في (ص١٨٨): «إنَّ من الحقائقِ التي يتجنَّبُ المسلمون الإعلانَ عنها أن نبيَّهم (مؤسِّسَ دينِهم) كان يستخدمُ السيفَ كأداةٍ أساسيةٍ لإدخالِ الناس في الإسلام، وقد شاركه المؤمنون برسالتِه في كلِّ العصور ـ غالبًا ـ في هذه الروح القاسية، علىٰ أيةِ حال، فإن البعضَ يرىٰ أن الترجمةَ الصحيحةَ هي «ذو الوجه الصارم أو الثابت»، ويعنون بذلك الوقاحةَ والبرودَ اللذَينِ يتميَّزُ بهما الكذابُ ذو الوجهِ المكشوف (قليل الحياء) والمتَّسمُ بالصفاقة، وهي صفاتٌ اتَّصف بها محمدٌ وخلفاؤه، فدينُهم ـ حقًّا ـ خداعٌ وادِّعاء لا لَبْسَ فيهما، تَسبَّب في لوم البشرِ لسذاجتِهم وسُرعةِ تصديقِهم».

❑ ويقول هذا الدجَّالُ الكذَّابُ الأشِرُ عن زوجاتِ النبي ﷺ في «الفصل السادس عشر» قال عن عائشة أم المؤمنين ﵂ (ص١٦٦): «وقد أُشيع ما يُفيدُ عدمَ إخلاصِ عائشة، ولم تَزُل هذه الوصمةُ عن عائشة تمامًا حتىٰ أيامنا هذه، وعلىٰ أيَّةِ حال فإن النبيَّ نفسَه لم يُصَدِّق ما نُسِب إليها[١]».

❑ وقال عن أمِّ المؤمنين زينب بنت جحش (ص١٦٩ ـ ١٧٠): «وزينبُ زوجةٌ أخرىٰ للنبيِّ، وكانت متزوِّجةً من «زيد»، وقد أنعم اللَّهُ عليها ـ فيما يقول القرآن ـ بأنها كانت مِن بين أوَّلِ مَن أسلم، وحكايةُ زواجِ النبي بها حكايةٌ جديرةٌ بأنْ تُرْوَىٰ، لقد ذهب محمدٌ يومًا إلىٰ منزل زيدٍ لأمر، ولم يجِد زيدًا، وتَصادَف أنْ وقعت عيناه علىٰ «زينب» الجميلة، فافتُتن الرسولُ بمفاتنها[٢] من أولِ نظرةٍ، فلم يتمالَكْ نفسَه، فرفع صوتَه ذاكرًا أنْ «سبحان

(١) يقصد حادثة الإفك.
(٢) لعن اللَّه الكذاب جورج بوش بما أساء لسيد البشر ﷺ.

اللّه مقلّبِ القلوبِ كيفما شاء»، ومِن وقتها توتَّر حُبُّها لزيد، وأدَّىٰ هذا إلىٰ كثيرٍ من الإرباكات، لقد راح زيدٌ يُوازِن بين حُبِّه لزوجته ورغبتِه في الإبقاء عليها من ناحية، وإحساسِه بالالتزامِ والإخلاصِ لسيدِه (أي: محمدٍ ﷺ) الذي أعتقه، بل وتبنَّاه أي اعتبره ابنًا له ووريثًا، ووثَّق هذا بطقوسٍ دينيةٍ علنيَّةٍ عند الحَجَرِ الأسود في رُكنِ الكعبة، وقرَّر زيدٌ بعد تفكيرٍ متأنٍّ أن يُطلِّقَ زينب ليتزوَّجها المنعِمُ عليه، أو بتعبيرٍ آخر صاحبُ الفضل عليه، الذي كان يعرف ـ بشكل شخصي ـ هدفَه، وفي الوقت نفسه راح النبي يعلن أنه لم يعد يريد الزواج منها ويقول لزيد: «أَمْسِك عليك زوجَك»، وكان محمدٌ واعيًا بالخزي الذي سينتج عن هذا والذي يُثيرُ انتقادَ الناسِ لاتخاده زوجةً هي بمثابةِ ابنتِه، فخَدَعَ الناسَ بانصرافِه عن هذا، وكَبَح عاطفتَه، ولكنه وَجد أنَّ شَغَفَه بها أصبح شديدًا لا يُقهر، فتخلَّص من المشكلة بآياتٍ قرآنيةٍ أراحته وأزالت كلَّ الموانعِ الشرعيةِ القائمةِ أمامَ ارتباطِه بها بزوجةِ زيد ابنه بالتبني:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]».

◻ ويقول هذا الأفَّاكُ عن النبيِّ الكريم ﷺ (ص١٧٨ ـ ١٧٩): «وعلىٰ أيةِ حالٍ، فإننا لا نشكُّ في أن كُتُبَنا المقدَّسةَ قد تنبَّأت بهذا الدَّعيِّ الكبيرِ ودينِه، لكن بمعنًىٰ آخَرَ يختلفُ عما ذكره محمدٌ وأتباعه، فلم تكن كُتُبُنا المقدسةُ لِتُغفِلَ التنبؤَ بهذا الدينِ الذي أتىٰ به محمدٌ وهذه الإمبراطوريةِ التي

شاهدها بوصفهما سَوطَ عذابٍ نَزل على الكنيسة والعالَم المتحَضِّر».

☐ ويقول عن ظهور الإسلام (ص١٨٢): «ليس هناك حَدَثٌ أعظمُ من هذا، كان له تأثيرٌ كاسحٌ على وضع الكنيسةِ المسيحية في ترسيخِ هذا الدَّجَل واسعِ النطاق» المقصود ظهور الإسلام وانتشاره.

☐ ويقول في تفسيره لنبوءة دانيال (ص١٨٣): «إنَّ الإسلام قد حقَّق هذه النبوءةَ بوضوحٍ برفعِ مقامِ مؤسِّسه (النبي محمد) إلى درجةٍ من التوقير والتشريفِ مساويةً لدرجةِ التوقير والتشريف التي يَحظى بها يسوعُ المسيح، بل إن الإسلامَ يرفعُ نبيَّه محمداً درجة فوق درجةِ المسيح، فالدَّعيُّ العربيُّ (يقصد محمداً ﷺ) جَعل من المسيح مجرَّدَ نبيٍّ، بل واحتَفظ لنفسهِ بمكانةِ أعظمِ الأنبياء، وقال: إن القرآنَ نَسَخ الأناجيل Gospel، بل إن الإسلامَ جَعَل من نبيِّه أميراً للحشدِ (مجموعة المؤمنين المتقين host كما يفيد استخدام المؤلف للكلمات)» اهـ.

☐ ويقول هذا الدجَّالُ في (١٨٧ ـ ١٨٨) عن رجلِ الخطيَّة (ويعني بذلك رسولَ اللَّه ﷺ): «إننا نعلمُ من التاريخِ المدني، ومن التاريخ المقدس (الديني) الأحوالَ وقتَ ظهورِ محمد، فقد كانت الكنيسةُ المسيحيةُ قد وصلت إلى ذُروةِ الانحرافِ في العقيدة وفي الممارسةِ والتطبيق، وهو الأمرُ الذي كان قد تنبأ به بوضوحٍ القديسُ «بولس Paul» عن «رجل الخطية Man of Sin»، لقد كان النجاحُ غيرُ العاديِّ الذي حَقَّقه الخِداعُ المحمديُّ (التضليل الإسلامي) عقاباً لهذا التقصيرِ الكبيرِ (أو عقاباً للارتداد عن الدين الصحيح defetion والمقصود خروج المذاهب المسيحية الأخرى عن النهج الصحيح فيما يراه بوش/ المترجم)، لقد عُوقب هؤلاء النجومُ (وفقاً للتعبير المجازي)

بسبب ابتعادِهم عن الحق، فتم إخضاعُهم ـ لهذا ـ لطغيانِ القَرنِ الصغير (المقصود ثم إخضاعهم للمسلمين عن وفق تفسير بوش لنبوءة دانيال)، لكن هذه الرِّدَّةُ (أو الانحراف عن الدين المسيحي الحق فيما يراه بوش) التي استَشْرَتْ لفترةٍ طويلةٍ في الشرق والغرب علىٰ سواءٍ كانت قد اكتَملت أو بَلغت ذُروتَها في حوالَي بدايةِ القرن السابعِ للميلاد عندما ظهر نبيُّ الإسلام لأوَّل مرَّةٍ، والمؤرِّخُ «جيبون» يقدم لنا رؤيتَه للإسلام (النص: الدين المحمدي) بملاحظته «أن المسيحيين في القرن السابع ـ دون وعيٍ منهم ـ أصبحوا مِثْلَ الوثنيين».

وعلىٰ هذا، فمنذ ذلك الوقتِ وقعت النجوم (المقصود: المسيحيون) في أيدي القَرن الصغير (المسلمون علىٰ وِفق تفسير بوش لنبوءة دانيال)، لقد غَضِب الربُّ عليهم، فهَوىٰ بعصاه علىٰ رؤوسهم، لقد أُخضِعوا لطغيانه (أي طغيان الإسلام) بسبب ارتدادِهم إلىٰ خرافاتِ الأغيار الوثنية، ومرَّةً أخرىٰ فما دُمنا نقصِدُ في بحثنا هذا الإسلامَ (الدين المحمدي) فإنَّ هذه السيطرةَ الدينيةَ العجيبةَ يُمكن أن تُوصِفَ بأنها «مملكة الوجه المُتَجَهِّم»[1]، ذلك أنَّ من الحقائق التي يتجنَّبُ المسلمون الإعلانَ عنها أن نبيَّهم (مؤسس دينهم) كان يستخدمُ السَّيفَ كأداةٍ أساسيةٍ لإدخالِ الناس في الإسلام، وقد شاركه المؤمنون برسالته في كلِّ العصور ـ غالبًا ـ في هذه الرُّوح القاسِية.. علىٰ أيَّةِ حالٍ، فإن البعضَ يَرىٰ أن الترجمةَ الصحيحةَ هي «ذو الوجه الصارم أو الثابت Firm»، ويعنونُ بذلك الوقاحةَ والبرودَ اللذيْنِ يتميَّزُ بهما

(١) أوْ علىٰ حدِّ الترجمة العربية المُعتمَدة: مملكة علىٰ رأسها «مَلِك جافي الوجه».

الكذَّابُ ذو الوجهِ المكشوف «قليل الحياء»، والمتَّسمُ بالصَّفاقة، وهي صفاتٌ اتَّصف بها محمدٌ وخلفاؤه، فدينُهم - حقًّا - خداعٌ وادِّعاءٌ لا لَبْسَ فيهما تسبَّب في لَومِ البشر لسذاجتهم وسرعةِ تصديقهم».

* چورچ بوش راعي البقر:

يزعم «چورچ بوش» أن القرآنَ منقولٌ من التوراة والأناجيل، ويعترفُ «بوش» بأن ما ورد في القرآن الكريم - ممَّا يخالِفُ ما هو موجودٌ في التوارة والأناجيلِ موجودٌ أيضًا في أناجيلَ وأسفارٍ شاعت في القرون الأولىٰ للمسيحية، ويَصِفُ هذه الأناجيلَ بأنها خاطئة[1].

◻ وأعفانا بوش من ردٍّ بعضِ مَن قال: «إن الراهبَ بَحيْرا ساعد محمداً ﷺ علىٰ وَضْعه»، فبوش نفسُه يُنكر هذا، ويستشهدُ بباحثٍ مسيحيٍّ آخَرَ أثبت أن «بَحيرا» أو «سرجيوس» لم يغادرْ مكانَه في الشام متوجِّهًا لشبهِ الجزيرة العربية، والأهمُّ من كلِّ هذا أن القرآنَ الكريم نزل منجَّمًا - أيْ مُفَرَّقًا - وليس دَفعةً واحدة، فهل كان الرسولُ ﷺ كلَّما أراد (تأليف) آية «حاشاه، وعياذاً باللَّه»، ارتحل إلىٰ الشام ليستعينَ «ببَحيْرا» هذا؟ أم أنه كان يستدعيه بشكلٍ سرِّيٍّ ليأتيَ إليه قاطعًا الفيافي مارًّا بكلِّ هذه القبائل التي تتشمَّمُ ريحَ الغريب مِن بُعْدِ فرسخ؟!»[2].

◻ يقول «چورچ بوش» (ص٢٢٨): «ومِن الواضح أنه ليس هناك

---

(١) «محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين» (ص٥٧١) - دار المريخ.

(٢) المصدر السابق (ص٥٧١).

شيءٌ يُشبهُ التخطيطَ أو المنهجَ في ترتيب السور أو الآيات، وليس هناك بيانٌ بوقتِ نزولها ولا بموضوعها (محتواها)، فليس أيٌّ منهما هو أساسُ الترتيب، فالآياتُ والسور - في الحقيقة - موضوعةٌ كيفما اتُّفق دون نظامٍ أو معنًى، فقلَّما ترتبطُ آيةٌ بالتي تليها، فليست هناك حالةٌ واحدةٌ ارتبطت فيها اثنتا عَشْرَةَ آيةً إلاَّ في حالةِ القَصص القرآني (السور التي تناولت قصص الأنبياء مثلاً)، مثل قصةِ إبراهيم وقصةِ يوسف وفرعون، وكِلا القصَّتين محرَّفتانِ عن الكُتب المقدسة المسيحية واليهودية (هكذا يعتقد المؤلف)، وفيما عدا هذا فالآياتُ تبدو فُرادىٰ منعزلةً عن أيِّ سياقٍ، ومن الصعب - بل من المستحيل - أن نكتشفَ الصِّلَةَ بينها، كذلك من الصعب فَهمُ تتابعِ السور في القرآن، ويكفي أن نَذكُرَ للقارئ عناوينَ السور التِّسعِ الأولىٰ، فهذا يُعطيه فكرةً حرَّةً عن ترتيب السُّور وطبيعةِ الموضوعات التي تعالجها:

١ - الفاتحة. ٢ - البقرة. ٣ - آل عمران.

٤ - النساء. ٥ - المائدة. ٦ - الأنعام.

٧ - الأعراف. ٨ - الأنفال. ٩ - براءة (التوبة).

وبالنسبة لِخُطَّةِ هذا الوحي الزائف وتكوينه، يُلاحَظُ أنَّ محمداً جَعل اللّٰهَ هو المتكلِّم في هذا النصِّ (القرآني)، هذا ما يتبادرُ للقارئ عندما يقرأُ - بتمعُّنٍ - المقتطفاتِ القرآنيةَ التي أوردناها، فالخطابُ في القرآنِ موجَّهٌ - مباشرةً - للنبي مخبراً إيَّاه بما يُبلِّغُه لأهل بلدِه وللعالَم، وفي حالاتٍ أخرىٰ يوجِّهُ القرآنُ أوامرَه ووصاياه ووعودَه وتهديداته - مباشرةً - إلىٰ غير المؤمنين أو إلىٰ المؤمنين علىٰ وِفقِ ما يقتضيه السِّياق».

□ وفي (ص٢٣٠) يقول: «وبشكلٍ عامٍّ نجدُ أن القرآنَ يتفقُ مع العهدِ القديم في التفاصيل التاريخيةِ التالية: قصة الخَلْق، وعصيان آدم لربِّه، ونجاةِ نوحٍ وأهلِهِ بركوبهم الفُلْك، وبدعوة إبراهيم، وقصَّتي إسحاق وإسماعيل، وقصة يعقوب وآباء البشر، واعتبار اليهود هم شَعبُ اللَّه المختار (!)، وبنبوَّة موسىٰ ومعجزاته، وبصحَّةِ ما قاله المؤرِّخون والأنبياءُ وأصحابُ المزاميرِ اليهودُ ـ خاصةً داود وسليمان ـ، وأخيراً يقول الإسلام بعَودة المسياح وما يرتبط به من نبوءات.

ومرةً أخرىٰ نجدُ القرآن يتَّفقُ مع العهد الجديد (الأناجيل) في الاعترافِ بأن يسوع المسيح هو نفسُه المسياح Messiah المنتظر الذي ينتظره اليهود، ويتَّفقُ مع العَهد الجديد في الحَمْلِ الإعجازي بالمسيح، وأن هذا تم بالنفخ أو بتعبيرٍ آخَرَ النفخُ من روح اللَّه، وفي طهارةِ مريم العذراء، وفي تسميةِ المسيح بكلمةِ اللَّه، وفي الميلادِ الإعجازي ليوحنا المَعمدان ابن زكريا الذي مهَّد الطريقَ لعيسىٰ (بن مريم)، أو بتعبيرٍ آخر كان بشيراً به، وفي قيام المسيح بِكثيرٍ من المعجزات كإبراءِ المريضِ، وإحياءِ الموتىٰ، وإخراج الشياطين».

□ وفي (ص٢٣١) يقول: «وعلىٰ أيةِ حالٍ، فإن محمداً بعد أن تأثَّر ببعضِ الهَرْطقات القديمة ـ كما سيظهر من الفقرات (يقصد الآيات) التالية ـ، عاد فأنكر صَلْبَ المخلِّص (المقصود المسيح Saviour): ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٨].

* ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٤].

(المترجم: النص الإنجليزي للآية كما أوردها المؤلف يختلف شيئًا ما إذ يجري هكذا: وحَبَك اليهود المؤامرات ضده، وحَبَك اللَّه المؤامرات ضدهم واللَّه هو خير الماكرين).

وكلمة «المكر Stratagem» علىٰ وِفق فهمِ المسلمين لها، تعني رَفْعَ اللَّهِ المسيحَ إلىٰ السماء وإلقاءَ شِبْهِهِ علىٰ شخصٍ آخَرَ، فتمَّ صَلْبُه (أي هذا الشخص الآخر) بدلاً من المسيح عليه السلام.

هذا التوافقُ بين القرآن والأناجيل في مواضعَ كثيرةٍ قد اختلط بشكلٍ غريبٍ بأمورٍ متضاربةٍ تضاربًا شديدًا أدَّت إلىٰ تحريفٍ غريبٍ ومبالغاتٍ لا محلَّ لها، وهذا يجعلُنا نقول: إن الحقائقَ الصادقةَ التي أوردها القرآنُ عن المسيح، استقاها مباشرةً من الأناجيل القانونية (المعتمدة)، أما القصصُ والحكاياتُ غيرُ الصادقة، فقد استقاها ـ في جانبٍ منها ـ من الروايات التلمودية وكتاباتِ الرابيين (الحاخامات) اليهود، واستقىٰ بعضَها الآخَرَ من الأناجيل غيرِ المعترَف بها (الأبوكريفا)، أو من أسفار آدمَ وشَيْث ونوح وغيرِها من الأسفار الموضوعة (الكاذبة أو المفبركة) المعروفة جيدًا في تاريخ الكنيسة والتي انتشرت بين الهراطقة في القرون الأولىٰ، انتشاراً كبيراً».

❑ ويقول في (ص٢٣٣): «مع اتفاقِ القرآنِ مع العهدَين القديم

(التوراة وملحقاتها) والجديد (الأناجيل وملحقاتها)، فإنه - أي القرآن - يَضِلُّ عن التزامه بما ورد في الكتابِ المقدس المسيحي (بعهدَيه القديم والجديد) بسبب إغفالِه ما ورد به من مشاعرَ ودلالاتٍ خياليةٍ وأسلوبٍ مميَّز. . الحقيقةُ أن أفضلَ منظورٍ ننظرُ منه للقرآن هو أنه تقليدٌ زائف للوحيَيْن اليهودي والمسيحي، وقلَّما يتبيَّنُ المرءُ الذي لم يَدرُس محتوىٰ كليهما (القرآن، والكتاب المسيحي المقدس بعهديه) مدىٰ التشابهِ بينهما، بمعنىٰ مَدىٰ انتحالِ القرآن لِمَا ورد فيهما، وعلىٰ أيةِ حالٍ، فإن القرآنَ قد تمت صياغةُ محتواه - إلىٰ حدٍّ كبير - مِن موادَّ مِن العهدين القديم والجديد، وهذا أمرٌ لا جدال فيه ولا يمكن لأحد أن ينكره».

◻ وبعد سوقه للآيات (البقرة: ٢٦٢)، (البقرة: ٨٧)، و(المائدة: ٤٥)، و(الأنعام: ٢٥) و(الأنعام: ٣٧)، و(آل عمران: ٤٧)، و(الأنعام: ٧٣)، و(يونس: ١٦)، و(يوسف: ١٠٤)، و(الأنعام: ٧٣)، و(إبراهيم: ٤٨-٥١)، و(الكهف: ٢٨)، و(النحل: ٦١)، و(طه: ٥٥)، و(الإسراء: ٧)، و(فصلت: ٣٤)، و(الأعراف: ١٩٤)، و(المعارج: ٤٣)، و(الحج: ٤٧)، و(الكهف: ٢٣)، و(الأعراف: ١٨٧)، وقد قارن هذه الآيات بما جاء في كتاب المسيحيين المقدس عندهم.

◻ ثم قال هذا الدَّعيُّ الدجالُ راعي البقر: «سيظهرُ من الأمثلةِ التي سقناها آنفًا مَدىٰ وضوحِ انتحالِ القرآنِ، وأن كَوْنَ القرآن منحولاً ليس قَصْرًا علىٰ حقائقِ التوراةِ والأناجيل ورواياتهما، وإنما يمتدُّ إلىٰ كثيرٍ مما ورد بهما من تفاصيلَ دقيقة: في منهجِ التفكير والشخوص (الأعلام)، بل وحتىٰ في أشكالِ التعبير، بل إننا نقابلُ أمثلةً عديدةً تدلُّ علىٰ هذا الانتحالِ

الغريبِ تُدينُ هذا الناسخَ (أو الناقل)، ووقوعُه في تزييفاتٍ محضةٍ تدلُّ علىٰ الجهل، فهو يجعلُ النبيَّ «إيليا Elijah» (الخضْر) معاصرًا لموسىٰ، ويجعل إبراهيمَ الخليل علىٰ وشكِ ذبحِ ابنه إسماعيل بَدلاً من إسحاق، ويجعل «شاول Saul» هو الذي قادَ العشرةَ آلافِ إلىٰ حافة النهرِ بدلاً من «جدعون»، بل ويقعُ في خطأٍ شنيع بأنْ جَعَل مريمَ أمَّ يسوع هي نفسَها مريمَ أخت موسىٰ!.

إن الاحتذاءَ الواضحَ لهذا الوحي الزائفِ للكتبِ المقدسةِ السابقة عليه، والعجزَ الحقيقيَّ أو المفترضَ لمؤلِّفه (مفبركِه) كان ـ وهذا طبيعيٌّ تمامًا ـ من المحتَّمِ أن يُثيرَ قضايا وأسئلةً عن تاريخِ تأليفه (يَقصد القرآن الكريم)، غالبيةُ من كتب عن الإسلام (يقصد من الأوربيين) يأخذون بما أَخذ به المسيحيون الشرقيون، إذ يتَّفقون بشكلٍ عامٍّ علىٰ الافتراضِ القائلِ بأن محمداً عند تأليفه القرآنَ كان يَلجأُ لمساعدةِ واحدٍ أو أكثرَ اشتركوا معه، ومن المؤكَّد ـ من خلالِ النصِّ القرآني نفسه ـ أن هذا الاتهامَ قد واجَهه في مستهَلِّ الدعوة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

* ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

لكنَّ هذا الإنكارَ المتشدِّدَ الذي أبداه هذا النبيُّ لم يكن مُقْنعًا، فغير المصدِّقين في المملكة المسيحية استمرُّوا إلىٰ جانبِ أهلِ مكة، فلم يدخلِ الدينَ الدَّعيَّ ـ ولم يشترك في الدعوة إليه ـ إلاَّ عددٌ لا يتجاوزُ الثمانيةَ

أشخاص أو العَشَرة (المقصود في المرحلة المكية)، والاعتقادُ الأكثر شيوعًا هو أنَّ محمدًا تلقَّىٰ العَونَ الرئيسي (علىٰ وضع القرآن أو تأليفه) من راهبٍ مسيحيٍّ علىٰ المذهبِ النَّسطوري اسمُه «سرجيوس Sergius» يُفترض أنه هو نفسه «بَحيْرا» الذي تَعرَّف به ـ أي محمد ﷺ ـ في فترةٍ باكرةٍ من حياته، في «بُصْرىٰ Bosra» في «الشام Syria»، وعن هذه المسألة يُحدِّثنا الكاتبُ «سيل Sale»، فيقول: «إنْ كان بحيْرا وسرجيوس اسمَين لشخص واحدٍ، فإنني لا أجدُ أدنىٰ إشارةٍ لدىٰ الكُتَّابِ المسلمين أنه ترك دَيْرَه ليتوجَّه إلىٰ شِبهِ الجزيرة العربية، كما أنَّ تعرُّفه علىٰ محمدٍ في بُصرىٰ كان في فترةٍ باكرةٍ جدًّا مما يَدحضُ القولَ بأنه ساعَده في (إعداد) النص القرآني، رغم أنَّ محمدًا ربما يكونُ قد عَلِم بعضَ المعارفِ عن المسيحية، والكِتابُ المقدس المسيحي استخدمها في هذا الأمر».

وعلىٰ أيةِ حالٍ، فإن هذا الكاتبَ نفسَه يتَّفقُ مع الكاتب «بريدو Pri-deaux» وغيرِه في أن محمداً يُعتبر هو المخطِّطَ الأصليَّ للقرآن ومؤلِّفه، وربما أعانه في ذلك ـ علىٰ نحوٍ ما ـ آخرون، رَغْمَ حِذْرَه الشديد ـ أي محمد ـ الذي جَعَلَنا حتىٰ هذا اليومِ غيرَ قادِرين علىٰ معرفةِ هؤلاء الذين ساعدوه، ولا إلىٰ أيِّ مدًىٰ كانت هذه المساعدة، فلم تتأكد أبدًا هذه الدعوىٰ القائلة بأن آخرينَ ساعدوا محمداً علىٰ تأليف القرآن، وليست هناك أدلةٌ مقنعةٌ علىٰ هذا، فالمسألةُ كلُّها لا تعدو قصصًا افتراضيَّةً صِيغت لمواجهةِ صعوبةِ تفسيرِ هذه المسألة (مسألة النص القرآني وكيفية ظهوره)، فالصعوباتُ حولَ هذا الموضوعِ لم تَنقشعْ جميعًا رغمَ الاعتقادِ العامِّ السائد (بين الكُتَّاب المسيحيين الذين أوردناهم آنفًا)، فمَن هو هذا القادرُ في هذه الفترةِ الحالكة

علىٰ وَضعِ نصٍّ كهذا؟ (التساؤل هنا يعني: كهذا النص الراقي)، هذا الوحيُ المدَّعىٰ بادعائه استقلاليَّتِه عن كُتبنا المقدسة، يضمُّ رَغمَ هذا ـ فقراتٍ (آياتٍ) أرقىٰ كثيراً من أيِّ بقايا أدبيةٍ تعودُ للقرن السابع ـ سواءٌ كانت يهوديةً أو مسيحيةً، فهذه الآثارُ الأدبيةُ أدنىٰ كثيراً بلا شك من محتوياتِ ذلك الكتابِ المقدَّس الذي يَفترض القرآن ـ مجدِّفًا ـ أنه يشبهه ويكمله، وعلىٰ هذا فتسظُّل مسألةُ حقيقةِ القرآن مسألةً لا حلَّ لها إلىٰ الأبد، فليس لدينا أدلةٌ حاسمةٌ علىٰ تاريخ «وضع» القرآن، ولا نعرف إلىٰ أيِّ مدًىٰ كان محمدٌ عارفًا بالكُتب المسيحية المقدسة.

وليس من السهلِ ترجمةُ القرآن، وبالنسبة للذين تعرَّفوا عليه في لُغته الأصلية، فهناك اعترافٌ عالمي بأنه ـ أي القرآن ـ يتَّسمُ بامتيازٍ لا حدَّ له لدرجةِ أنه لا يمكنُ ترجمتُه لأيةِ لغةٍ أخرىٰ، إنه ـ أي القرآن ـ نموذج يحتذيه اللسانُ العربي، إنه مكتوبٌ في مُعظَمه بأسلوبٍ نقيٍّ أنيقٍ، تَكثُرُ فيه الشخصياتُ الجزئيةُ علىٰ النسقِ الشرقيِّ، ويَجنَحُ إلىٰ الإيجاز مما يؤدِّي به ـ غالبًا ـ إلىٰ الغموض، ورَغمَ أنه مكتوبٌ بالنثر، إلاَّ أن آياتِه عادةً ما تنتهي بسجعٍ (كأنه قافية)، وقد تتباعدُ القوافي مما يؤدِّي إلىٰ تداخُلِ المعاني، وإلىٰ تكرارٍ لا مبرِّرَ له.. وخصائصُ النص القرآني ـ برغم استعصائه علىٰ الترجمة ـ تحظىٰ بتقديرٍ يفوقُ الوصفَ لدىٰ العرب الذين أَلِفَتْ آذانُهم إيقاعَه وتكوينَ فِقراتِه وكيفيةَ انتهاء آياته.

وإذا ما انتقلنا من مجردِ الصوت إلىٰ طريقةِ الأداء التي تَسم «الكتاب الثاقب أو الحاد ذهنه The perspicuous book» وجدنا من الثابت أن أجملَ آياتِه هي تلك التي لا تتسمُ بالأصالة (ربما يقصد: غير المستقاة من الكتب

المقدسة السابقة عليه)، يلاحِظُ السير «وليم جونز» أن «القرآن - حقًّا - يتألَّقُ بنورٍ مستعار، طالما أن معظَمَ ما فيه من جَمالٍ مأخوذٌ من كتبنا المقدسة، لكنه يتَّسمُ بجمالٍ عظيم لدرجةِ أن المسلمين لن يقتنعوا بأنه جمالٌ مستعار»، فعند تعرُّضه لجلال اللَّه وصفاته وتنوُّعِ الخَلْقِ وعظمتِه، نجدُه - أي القرآن - غالبًا ما يسمو سُمُوًّا هائلاً لدرجةٍ مؤثِّرةٍ تفوقُ الوصفَ، ومع هذا ففي معظمِ الأمثلة من هذا النوع يجدُ الكاتبُ أنها دائمًا أدنى من الأصل المأخوذةِ عنه، بل إن نتيجةَ الفحصِ النزيهِ غيرِ المتحيز لكتاب المسلمين المدَّعى (يقصد القرآن الكريم) حتى في طبعتِه الإنجليزية كما توصَّل إليها الكُتَّابُ المسيحيون، سواءٌ فيما يتعلَّقُ بما فيه من جمال أو فيما يتعلق بالمعاني المبثوثة فيه، قلمَّا تكونُ عادلةً، رغمَ ما يَعتري تأليفَه من عيوبٍ، ورغم الاقتناع بما فيه من نقصٍ شائن.

وعلى أيةِ حالٍ، فإنه (يقصد القرآن) أدنى من مستوى كثيرٍ من الإنتاج (الأدبي) البشري الموجود بمختلفِ اللغاتِ وفي أنحاء الأرض، بصرف النظر عن دعواه بأنَّه ليس من كلامِ البشرِ بلاغةً ومعنًى.

فمع وجود آياتٍ ذوتِ جمالٍ حقيقيٍّ وقوةٍ يصادفُها المرءُ فيه، إلاَّ أنه بشكلٍ عامٍّ مختلطٌ اختلاطًا غريبًا، ففيه ما هو سامٌّ، وقد ارتبط أيضًا ارتباطًا وثيقًا بما هو سخيف، مضحك، مرعب، حتى إنَّ كلَّ سورةٍ فيه، بل وكلَّ صفحةٍ أو فقرةٍ فيه، كثيراً ما تضمُّ بالتأكيد عواطفَ متناقضةً كأشدِّ ما يكونُ التناقض، فمشاعرُ الاحترامِ والازدراء والإعجابِ والاشمئزازِ تتوالى توالِيًا سريعًا، أو بتعبيرٍ آخَرَ يَعقُبُ بعضُها بعضًا في نفسِ المرءِ بشكلٍ متوالٍ، بحيثُ لا تتركُ انطباعًا ثابتًا وحدًا في النفس (أو العقل)» اهـ.

هذا ملخَّصُ ما قاله «چورج بوش» الجَد، وسار على نهجه «چورج بوش» الابن، والحفيد. .

ومَن جعَل الغرابَ له دليلاً يَمُـرُّ به على جِيَـفِ الكلاب

□ أو كما قال القائل:

إذا كان ربُّ البيتِ بالدُّف ضاربًا فشيمةُ أهــلِ البيت كلِّهم الرقصُ

* مارك توين:

كَتب «مارك توين» في عام ١٨٦٩ كتابه «أبرياء بالخارج» وقال فيه: «إنَّ أتْباع محمدٍ وثنيُّون. . ملاحدةٌ متوحشون. . عيونُهم قاسية، ومليئة بالكراهية»[١] .

* جيري فالويل وعداوتُه للنبي ﷺ:

القَسُّ «جيري فالويل»، من المقرَّبين إلى الرئيس الأمريكي «چورج بوش»، وهو من تيَّار اليمين الديني الذي ينتمي إليه بوش، وهو أيضًا من الذين ساعدوه بقوَّةٍ في الوصول إلى البيتِ الأبيض، وله مَوقعٌ باسمه على «الإنترنت» مليئٌ بالمعلومات المشوَّهة عن العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، وفي شهر أكتوبر ٢٠٠٢ ظهر في برنامجٍ تليفزيوني على شبكة «سي. بي. إس» قال فيه: «إنه قرأ التاريخَ الإسلاميَّ جيِّدًا، والنتيجةُ التي توصَّل إليها من قراءاته هذه أن رسولَ الإسلام «ﷺ» رجلُ عُنفٍ، وإرهابي»، وإنْ كان قد حاول التهرُّبَ من انتقاداتِ المسلمين في أمريكا

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١١٤).

بالقول بعدَ ذلك بأنه لَم يقصد الإساءةَ إلى المسلمين الملتزمين بالقانون دونَ أن يتراجع عمَّا قاله عن الرسول وعن الدين الإسلامي»(١) .

و«جيري» نفسه خسر دعوةً أقامها أمام المحكمة العليا ظهر الأربعاء ٢٣/ ٢/ الماضي ضد إحدى مجالات الجنس التي اتهمته بممارسة الجنس مع والدته وصورَّته في كاريكاتور أثار ضجةً واسعةً.

◻ «وقد ظهر في البرنامج الشهير «ستون دقيقة» في شبكة «سي. بي. إس» قال: «إنَّ نبيَّ الإسلام إرهابي»(٢) .

وقد ادعى هذاالدجَّالُ بأن إلهَه ذاتَ ليلة توسَّل إليه أن يُعيدَ كتابةَ الإنجيل بلغةٍ حديثة سلسة، وأن يزوِّد الإنجيل الجديدَ بالصور والقصص المشوِّقة حتى يجذبَ الشباب ويشيع محبة ابنه في الأرض، و«جيري فالويل»؛ هو المبشِّرُ الشهيرِ بسِبابه وتطاوله على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام(٢) .

* بات روبرتسون راعي البقر الدجَّال:

هو مؤسِّسُ «الائتلاف المسيحي» وصاحبُ برنامجٍ دينيٍّ للتبشير في التلفزيون، وقد قال: «إنَّ الظنَّ بأنَ الإسلامَ دينُ سلامٍ هو نوعٌ من التفكير المخادع».

◻ وقال عن النبي محمد ﷺ: «إنه متعصِّبٌ، راديكالي، لصٌّ يَسرقُ

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص٢٠٠).

(٢) مقالة «حرابة القرن» للدكتور عبدالفتاح الحسيني (ص٥١) من العدد ٢٨٦ من مجلة «المختار الإسلامي» - غرَّة جمادى الآخر ١٤٢٧هـ - ٢٦ يونيو ٢٠٠٦م.

علنًا ، وقاتِلٌ يَقتل علنًا»[1] .

روبرتسون يبشِّر الذين يتبرَّعون له ولمركزه بمحبَّةِ مسيحِهِ لهم، وأنه سيهبطُ عليهم، ويَطيرُ بهم، ويرفعهم إليه ليصطحبوه، ويُحلِّقوا معه في السماواتِ العلا عندما يشرعُ أبوه في تحطيمِ الأرض ويُبيدُ مَن عليها ممَّن لا يستمعون إلىٰ برنامج «نادي ٧٠٠» الذي يُبُثُّه يوميًّا، والذين لا يجزلون لوكيله «روبرتسون» العطاءَ حتىٰ يتوسَّعَ في إمبراطوريته وتمتلئَ خزائنُه بالأموالِ ولنشرِ رسالة المحبةِ بين الناس، والتي بمُقتضاها يَنقضُّ إلهه علىٰ البشرِ، فلا يُبقي ولا يَذَر، ويُفني الناسَ جميعًا سوىٰ الصفوةِ من الذين يَبذُلون له العطاءَ ممن يقومُ «روبرتسون» بتدوينِ أسمائِهم في سِجِلِّه ويُسلِّمها إلىٰ إلهه بيده.

□ ومن أعمال «روبرتسون» التي يتفاخرُ بها أنه أسَّس محطةً فضائيةً أو كما يُسمِّيها البعض «كنيسةً علىٰ الهواء» تُبَثُّ من لبنان بالعربية، قام بتمويلها أثرياءُ متأسلِمون وأعراب، وقد زاد التمويلُ الأعرابيُّ المتأسلمُ لها بعد أن أفحَشَ «روبرتسون» في سَبِّ الإسلام والتجنِّي علىٰ المسلمين وعلىٰ قرآنهم الكريم ورسولِ البشرية أجمعَ ﷺ؛ بل إن دولةً إسلاميةً كبرىٰ تتكفَّلُ بتلك القناة، بعد أن حدبتها برعايتها واحتضنتها. وقد رَشَّح «روبرتسون» نفسَه للرئاسة الأمريكية، لكنه فشِل، فحوَّل جهودَه في العمل الدؤوب علىٰ تجميعِ مَن يُسمُّون أنفسَهم «بالمسيحيين اليمينيين» لتأييد مرشحه للرئاسة.

□ وربما مِن حظِّ المسلمين إصرارُه علىٰ أنَّ إلهَه غيرُ إلهِ المسلمين، وأن

---

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٩٩).

مسيحَه غيرُ عيسى عليه السلام الذي يؤمنُ المسلمون به كرسولٍ نبيٍّ.

❑ وقد أعلن «بات روبرتسون» ـ بفخرٍ وزهوٍ ـ عَقِبَ هبوبِ أعاصيرَ مُدمِّرةٍ على شرقِ الولايات المتحدة الأمريكية أنه التقى مع إلهه في مقابلةٍ وديَّةٍ، وطلب منه أن يوجِّهَ مسارَ الإعصارِ الذي كاد يهبُّ على بلده، وما يرافقُه من عواصفَ بعيداً عن مَقَرِّ مركزِه الضخمِ الذي يحتلُّ مُساحةً شاسعة على ساحلِ «فرچينيا»، والذي يَشغَلُه «كنيسةُ الهواء» الذي يَبُثُّ منه برنامجَه على التلفاز.

وبالطبع لم يُخبر إلهَه الغافلَ عمَّا يجري في الدنيا بأنه لا يتورَّعُ عن ابتزازِ العجائز والمُعدِمين والفقراءِ، لقاءَ وعدِهم بالشفاعةِ لهم حتى ينعَموا بحظيَّةٍ ومحبةٍ ومعيَّةِ ولده ـ عسى أن تكونَ أُخراهم أفضلَ من دنياهم ـ وبناءً على تعهُّدٍ من إلهه اتَّجهت عاصفتانِ إلى مكانٍ بعيدٍ عن المركز، ودَمَّرت ممتلكاتٍ غنيَّةً عن الحصر، وشرَّدت الخلقَ الكثيرَ من حُثالةِ المخلوقات التي لا تستحقُّ الحياة، على حَسْبِ قوله عن الأمريكيين الذين تضرَّروا من إعصارِ «جلوريا» في نيويورك و«فيليكس» في الولايات المحيطة به.

جاء إعلان «روبرتسون» عن محادثاتِه الخاصةِ مع آلهته التي تُلاغيه وتأتمرُ بأمرِه خلال الفترة التي ترقَّب فيها المواطنون بهَلَعٍ مسيرةَ إعصار «كاترينا» قبلَ يومَيْن من ضربهِ لشواطئ ولاياتِ جنوبِ الساحل الشَّرقيِّ للولايات المتحدة الأمريكية، فما كان من فريقٍ من الشباب ـ ممَّن استمعوا إليه وهو يعدِّد بركاته ونفوذَه عند إلهه ـ إلاَّ التجمُّعَ في شارعٍ بالحيِّ الفرنسي بمدينةِ «نيو أورليانز»؛ ليلةَ مرور «إعصار كاترينا» على ولاية «لويزيانا» تحدِّيًا لروبرتسون وآلهته الخاصةِ به، وقضَوْا وقتَ مرور العواصف بالمدينة في

السُّكر والعربدة والرقصِ والغناء والسخريةِ من الشخصيةِ الشهيرة التي تُروِّجُ للحروبِ والاغتيالاتِ والنَّكَباتِ، والذي يَدَّعي مجالستَه لإلهٍ ومسيحٍ من صنيع يديْه، والذي يتوعَّدهم بالهلاك إن لم يقتصدوا في الانفاقِ علىٰ مجونهم لِيُنفِقوا عليه وعلىٰ كنيسته الفضائية. . وشاء اللّٰهُ أنْ غَمَرت المياهُ المدينةَ بأسرها سوىٰ رُقعةٍ صغيرةٍ من الحيِّ الفرنسي، فاعتبره الشبابُ انتصاراً علىٰ «روبرتسون» الذي ادَّعىٰ ـ ككثيرٍ غيره ـ السيطرةَ علىٰ آلهةٍ خَلقوها لأنفسِهم ومَن هو علىٰ شاكلتهم.

* قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ولعلَّ أثرياءَ المسلمين العرب الذين يُموِّلون حَمْلَتَه وفضائياتِه يَخْشَوْن من غضبِ إلهِ «روبرتسون» ومسيحِه عليهم، لذا فهم يتسارعون في تقديمِ القرابين إليه، خاصةً بعد إعلان «روبرتسون» أنَّ الإسلام دينُ إرهابٍ وشعوذة، وأن العربَ حُثالةُ الأرض، وأنَّ إلههَ يَندمُ علىٰ أنه خَلَقهم علىٰ صورة بشر»[1].

□ ولهذا الدجَّال «بات روبرتسون» مؤسسةٌ يُسمِّيها «عمليَّة حلول البركة الثانية»، وتاريخها حافلٌ بأعمال النَّصْب والاحتيال علىٰ الأبرياء

(١) مقالة «حرابة القرن» (ص٤٨ ـ ٥٠).

الذين تسلُبُ منهم المؤسسةُ أموالَهم بسيفِ إله «روبرتسون» ومسيحه؛ فقد جَمعت المؤسسةُ في منتصفِ العِقدِ التاسعِ من القرن الماضي تَبرُّعاتٍ طائلةً لتمويلِ أسطولٍ جويٍّ لنقلِ المعونات للاجئي رواندا الفارِّين إلىٰ زائير، وتبيَّن في التحقيقاتِ التي أعقبت حَمْلَةَ جمعِ التبرُّعات أنَّ الطائراتِ كانت تنقلُ معدَّاتٍ لمناجمِ ماسٍ في زائير يملكُها «بات روبرتسون»، ولولا دعمُ «روبرتسون» للنائب العام آنذاك في حَملته الانتخابية في ولاية «فرچينيا» لانتهىٰ به المطافُ إلىٰ السجن بتهمةِ الاحتيال.

وعقِبَ ذلك قام بالترويج علىٰ ناديهِ التلفازيِّ للديكتاتور «تشارلز تيلور» حاكم ليبريا السابق الذي أُدين بالبلطجةِ والقتلِ الجماعيِّ، علىٰ أنه راعي الديمقراطية في أفريقيا وناشر المحبة بين الناس، وقد نجح «روبرتسون» في جمعِ التبرُّعات لعدةِ زياراتٍ قام بها إلىٰ ليبريا للإشراف علىٰ مناجمِ الذهب التي كان يُشاركُ فيها «تيلور» آنذاكَ بدعوىٰ أنه ذهب لدعم محبة الليبريين لابن إلهه».

◘ يقول «بات روبرتسون» الأب الروحي لجورج بوش: «إنَّ الدينَ الإسلاميَّ دعا إلىٰ العنف. . وإننا في هذه الحربِ إنما نعلي كلمةَ الربِّ الذي يقفُ معنا، مع الحق، في هذا الصراعِ الديني الذي نخوضُه ويُحيطنا بعنايته»[٢] .

---

(١) المصدر السابق (ص٥٤، ٥٥).

(٢) صحيفة «الشرق الأوسط» في ٣/ ٢/ ٢٠٠٢، و«الحياة» ـ لندن في ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٢، و«الأهرام» في ١١/ ١٢/ ٢٠٠٣.

* بيل جراهام الأبُ الروحي لچورچ بوش:

وَصَف هذا المجرمُ الأثيمُ محمدًا رسول اللَّه ﷺ بأنه إرهابيٌّ ووثنيٌّ كما قالت مجلة «النيوزويك» الأمريكية، وتَرجمت مقالها جريدةُ الأسبوع في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣م، وهذا الضال هو الأب الروحي لـ«چورچ بوش».

◻ والذي قال عنه بوش: «إنه الرجل الذي قادني إلىٰ الرب.. وهو الذي جَعل بوش يواظبُ يوميًا علىٰ القراءةِ في كتابِ القَس «أوزوالد شامبرز»، الذي مات سنة ١٩١٧م وهو يَعِظُ الجنودَ البريطانيين والاستراليين بالزحف إلىٰ القُدسِ وانتزاعِها من المسلمين»[١] !!.

* القَسُّ فرانكلين جراهام:

◻ تقول «واشنطن بوست» - وهي أقربُ الصحف الأمريكية إلىٰ البيت الأبيض والمخابرات الأمريكية عن القادة البارزين في تيارِ «اليمين الديني» في أمريكا، وهم من الحلفاء المقرَّبين للرئيس الأمريكي، والرئيسُ بوش نفسه لا يعارضُ الأفكار التي يعلنونها والخُططَ التي يُنفِّذونها تعبيراً عن التعصُّب الديني المعادي للمسلمين.

ومِن هؤلاء القسُّ «فرانكلين جراهام»، وهو ابنُ وخليفةُ «بيل جراهام» وقد شارك في مراسم تسلُّمِ الرئيس بوش رئاسةَ أمريكا، وقد أعلن: «أن الإسلام دينٌ شرِّير وكريهٌ جدًّا»[٢] .

◻ ذَكَرت صحيفة «هيرالد تريبيون» الأمريكية ما أعلنه القَسُّ «فرانكلين

(١) جريدة «الأسبوع» في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣ نقلاً عن «النيوزويك» الأمريكية.
(٢) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٩٩).

جراهام» في خطابه يوم تولِّي الرئيس «بوش» الابنُ السلطةَ، فقد قال: «نحن لا نهاجمُ الإسلام، ولكنَّ الإسلامَ هو الذي يهاجمُنا.. إن إلهَ الإسلام ليس هو نفسَ الإله، إنه ليس ابنَ الإله كما في العقيدة المسيحية، إنه إلهٌ مختلف، وإنني أعتقدُ أن هذا الدينَ دينٌ شرِّيرٌ ويدعُو لإيذاءِ الغير»(١).

* القَسُّ چيمي سوِيچارت:

«المُنصِّرُ الصليبيُّ القسُّ «چيمي سويچارت» صاحبُ الأحاديث التلفزيونيَّة التي يشاهدُها أكثرُ من مليونَيْ شخصٍ في الولايات المتحدة، وتَصِلُ لأكثر من ١٤٠ بلدًا، واستطاع أن يَحصُل على أكثرَ من ١٤٠ مليون دولار سنويًّا، ويُعتبر من أكثرِ المُنصِّرين نفوذًا في العالم»(٢).

ولقد أفحمه الشيخ «أحمد ديدات» وبيَّن دَجَلَه وكَذِبَه في المناظرة التي تطاوَل فيها على سيِّد البشر ﷺ.. ولقد سارع المسلمون لشراء تسجيلات هذه المناظرة الشهيرة.. والذي زاد حَماسةَ المسلمين للمتابعة هو السمعةُ غيرُ الحَميدةِ التي كَسَبها «سواغرت» بتطاوُلِه المستمرِّ على القرآن الكريم، وسبِّه لشخصِ الرسول ﷺ، ودعايتِه المغرضةِ ضدَّ الإسلام والمسلمين.

ففي أحدِ أحاديثه التليفزيونية ـ التي يشاهدُها أكثرُ من مليونَيْ شخصٍ في الولايات المتحدة وتصلُ لأكثرَمن ١٤٠ بلدًا ـ، قال سواغرت: «إن الخطر الذي يُهدِّدُ الحضارةَ الغربيةَ الآن ليس هو الشيوعيةَ والاتحادَ السوفيتي، إنما الإسلامُ الذي يغزو بلادَ الغرب بصورةٍ مذهلة».

---

(١) من كتاب الشيخ أحمد ديدات: «بين الإنجيل والقرآن» (٢٧: ٣٠) ـ كتاب «المختار الإسلامي».

وذكَّر المشاهدين بأن «لندن» عاصمة «فكتوريا» التي كانت تحكمُ العالَمَ الإسلاميَّ كلَّه، أصبحت تأوِي أنشطَ مركزٍ إسلاميٍّ في العالَم، وأن عددَ المراكز الإسلاميةِ في الولايات المتحدة أصبح يفوقُ عددَ أعضاءِ الحزبِ الشيوعي الأمريكي، وفي حين يتراجعُ الأخير «الحزب الشيوعي»، يتزايدُ عددُ المراكز، وتَقوَىٰ جموعُ المسلمين، وأكَّد «أن الشيوعيةَ هي من صُلبِ الحضارة الغربية وإن تعارضت مع قِيَمها الروحية»!.

▫ وأخيراً، تعرَّض للقرآن الكريم والرسول ﷺ بكلماتٍ بذيئةٍ جارحةٍ وأكاذيبَ ملفَّقةٍ، وهو يُعتبر الوحيد من بينِ رجالِ الدين المسيحيين الأمريكيين الذي لا يتورَّعُ عن مهاجمةِ الدياناتِ الأخرىٰ، ولا يَعصِمُ لسانَه من الطعنِ في زملاءِ عقيدتِه وكنيسته.

▫ في العام الماضي استطاع «سواغرت» القضاءَ علىٰ منافِسِه «جيم بيكر» بإشاعةِ علاقاتِه الجنسية المحرمة وممارساتِ زوجتِه «تامي بيكر» اللاأخلاقية، وقاد حَملةَ التشهير بها، وقال عن «بيكر»: إنه «سرطانٌ في جَسَدِ المسيح» يجبُ اجتثاثه، وقد فعل.

▫ وفي العام ١٩٨٦م، اعترف القَسُّ «مارفن غورمان»، من مدينة «نيو أورليانز» بولاية «ليويزيانا» بارتكابه لـ «عمل غير أخلاقي» مع امرأة، فما كان من «سواغرت» إلاَّ انتهازُ الفرصة والتشهيرُ بـ «غورمان» واتهامُه بقضايا أخلاقيةٍ لا تُحصىٰ، قام علىٰ إثرها «غورمان» برفع دعوىٰ قضائيةٍ ضدَّ «سواغرت» مطالِبًا فيها بـ ٩٠ مليون دولار كتعويضٍ، ولكنَّ القضيةَ شُطبت في وقتٍ لاحق.

▫ وكان «سواغرت» دائمًا يردد: «الغلمانُ الصِّغارُ الذين صَفَّفُوا

شعورهم، وقاموا بطلاءِ أظافرهم، وسمَّوا أنفسَهم مبشِّرين»، ويعني بذلك زملاءَه القساوسةَ والمنصِّرين، ومنهم «چيم بيكر» و«غورمان» وغيرهما.

□ ولكنْ دارت الأيام، وجاءت الأخبارُ بما لا يشتهي «سواغرت»، وإذا بالخَصمِ القديم «مارفن غورمان» يضعُ يدَه على سانحةِ الثأر وقاصمةِ الظهر بعد أن تَجمَّعت لديه المعلوماتُ والصورُ عن ممارسات «سواغرت» اللاأخلاقية، فقدم الصورَ والبراهينَ إلى مجلس «جمعيات الرب»، التي يقفُ على رأسها «سواغرت»، حيث بادَرَ المجلسُ إلى الاجتماع بـ «سواغرت» في جلسةِ تحقيقٍ دامت عَشْرَ ساعاتٍ يوم الخميس ١٨ شُباط «فبراير» بمدينة «سبرينغ فيلد» بولاية «ميسوري»، وعقب الاجتماع، قال «فورست هال» سكرتير خزانةِ جمعيات الرب: إن سواغرت «اعترف بحوادثِ سقوطٍ أخلاقيٍّ محددة. .»، وأضاف: «أنه في اعترافه لم يحاوِلْ أن يُلقيَ بلائمةِ سقوطِه على أيٍّ أحد».

□ وفي عُطلة الأسبوع، قدَّم «سواغرت» اعترافًا أمام أفراد أسرته، تلاه باعترافاتٍ أمامَ جمهورٍ من أتباعِ كنيسته بَلَغ حوالي ٨ آلاف شخص، ونَقلت الاعترافَ كلُّ كاميرات التليفزيون عَبْرَ الولايات المتحدة، وقد أجهَشَ بالبكاء وهو يُقدِّمُ اعترافاتِه في ٢١/ ٢/ في «مركز الإيمان العالمي» في مدينة «باتن روچ» بولاية «لويزيانا»، فقال: «ليست لديَّ النيَّةُ بتاتًا لنكرانِ خطيئتي. . ولا أُسمِّيها غَلطةً. . جريمةً. . أنا أُسمِّيها خطيئة».

وأشار إلى خطيئةٍ بأنها «أحداث» قادت إلى اعتراف، هكذا أشار إليها بصيغة الجَمعِ دون أن يُعطي تفصيلاتٍ لهذه الأحداث.

واتَّجه في اعترافاته يوم الأحد ٢١/ ٢، نحوَ زوجته «فرانسيس»،

وقال: «أوه، لقد ارتكبتُ الخطيئة ضدَّك..»، وأضاف: «إنَّ خطيئتي كانت في الخفاء»، وطلب مِن «كلِّ مَن جلَبت لهم الفضيحةُ العارَ والإحراجَ.. السماح».

وكانت المعلومات قد أوضحت أن «سواغرت» كان على علاقةٍ بعددٍ من «المومسات»، وقد التُقطت له صور وهو يدخلُ ويخرجُ بعضَ فنادق «نيو أورليانز»، وقد دفع أموالاً للمومسات للقيام بأعمالٍ داعرةٍ لإشباع رغبةٍ نشأ عليها ولم يستطع التخلُّصَ منها رَغمَ وضعِه الديني وتقدُّمِ سِنِّه.

«سواغرت» ـ الذي يبلغ من العمر ٥٢ سنة ـ وصلت شهرتُه إلى ١٤٢ قطرًا، واستطاع أن يَحصُلَ على أكثرَ من ١٤٠ مليون دولار سنويًّا، ويُعتبر من أكثرِ المنصِّرين نفوذًا في العالَم.

وقد أنفق «سواغرت» على بناءِ مَجْمَعٍ له في مدينة «باتن روج»، ما قيمتُه ١٢٣ مليون دولار، راح معظمُها في شراءِ الأراضي وأعمالِ التشييد التي استمرت من العام ١٩٨١ وحتى آذار «مارس» من العام الماضي، ويحتوي المَجمعُ على كليةِ الإنجيل، وإرسالياتٍ، ومراكزِ خدماتٍ طبية، ويَعملُ بالمَجمع موظفون كانت جُملةُ مستحقَّاتهم الشهريةِ في العام الماضي ١٦ مليون دولار.

□ وقال قسيس من «جماعات الرب»: «إن المسؤولين قرَّروا «الإجراءاتِ التأديبيةَ المناسبة» ضدَّ سواغرت»، وقال: «إن العدلَ أحيانًا يمكنُ أن يتحققَ بالرحمة»، لقد تقرَّر مَنْعُ «سواغرت» من الوعظِ لمدةِ ثلاثةِ أشهر، وإخضاعُه للعلاج النفسي تحتَ إشراف مجموعةٍ من القساوسة على أن يُقدِّمَ هو تقريراً مكتوبًا عن حالتِه كلَّ أسبوع، وتقريراً آخرَ كلَّ شهرٍ يبين

فيه التقدمَ الذي حقَّقه بشأنِ التزامِه الأخلاقي، وقد مُنع كذلك من الحديث للصحفيين أو أيِّ أحدٍ آخرَ غيرِ أساقفة كنيسته.

وهذه الإجراءاتُ التأديبيةُ التي فُرضت من قِبَلِ مقاطعة «لويزيانا» الكنسية، يوم الإثنين ٢٢ شباط (فبراير) الماضي، ولم تَجِد موافقةَ «جماعات الرب» في مركز «سبرينغ فيلد» الرئيسي، حيث صَرَّح مصدرٌ بأن مجلسَ «جماعاتِ الرب» رَفض قبول «توصيات قساوسة لويزيانا»، وقال: إنه لن يسمحَ لـ «سواغرت» بالعودة للوعظ في وقتٍ قريب، كما أنه لم يَسمحْ من قبلُ بعودةِ منصرٍ واعظٍ ارتكب جُرْمًا أخلاقيًّا بالعودة إلىٰ الخدمة الكهنوتية مرةً ثانية.

وفي رَدِّه علىٰ سؤالٍ عمَّا إذا كانت شبكةُ التليفزيون المسيحية (CBN) ستستمر في عرضِ حلقاتِ برنامج «سواغرت»، قال «بنتون ميلر» المتحدِّثُ باسم الشبكة: «أعتقد أننا سنكون في وضعٍ أفضلَ للتعليق علىٰ هذا بعد مراجعةِ كلِّ المعلومات المتاحةِ الآن، ولكن في الموعد المتحدَّد لِبَثِّ حلقةِ الأحد (٢١/٢) اعتذرت الشبكةُ عن تقديم برنامج «سواغرت» واضعةً بذلك حدًّا عمليًّا للوعظ الذي كان يشاهدُه أكثرُ من مليونَين في الولايات المتحدة وتَصحبُه ترجمةٌ فوريةٌ لأكثرَ من ١٦ لغةً لتعادَ مشاهدتُه في ١٤٢ قطرًا.

وإذا كانت فضيحتا «غورمان وبيكر» قد أضعفت مصداقيةَ وُعَّاظِ التليفزيون في أمريكا، وتسبَّبت في هُبوط معدَّل التبرعات والمشاهدين، فإن جريمةَ «سواغرت» قد هبطت ككارثةٍ عنيفةِ الوَقْعِ علىٰ المؤسَّسات التنصيرية، وزادت الفتنُ في جَرحِ الكنيسة الذي لم يندملْ بعد، والفضيحةُ

الجديدةُ بكلِّ المقاييس أكبرُ، وستكونُ لها آثارُها الوخيمة»[1] .

* الجنـرال الأمريكي «ويليـام م. ج. بويكن» نائب وزير الدفـاع الأمريكي:

◻ قال راعي البقر الدجَّالُ الجنرال الأمريكي «ويليام م. ج. بويكن» نائبُ وزير الدفاع الأمريكي - وهو يخطب في إحدىٰ الكنائس - وهو بزيِّه العسكري: «إنَّ إلهَنا أكبرُ من إلههم. . إنَّ إلهَنا إلهٌ حقيقي، وإلهَ المسلمين صَنَمٌ. . وإنهم يكرَهون الولاياتِ المتحدة الأمريكية؛ لأنها أُمةٌ مسيحيةٌ يهودية، وحَرْبُنا معهم هي حربٌ علىٰ الشيطان، وإن دينَ الإسلام دينٌ شيطانيٌّ شرير. . ومحمدٌ هو الشيطانُ نفسه»[3] ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

نسأل اللَّهَ أن يأخذَ منك ومِن دولتك لرسولِه حتىٰ يرضىٰ. . ولدماءِ المسلمين وعَوْراتِهم ونسائِهم وأطفالِهم حتىٰ يرضَوا.

* وزير العدل الأمريكي السابق «چون أشكروفت»:

◻ لم يَقِفِ الأمرُ عند إساءةِ وزيرِ العدل الأمريكي السابق إلىٰ الإسلام ورسوله ﷺ، بل يتطاولُ علىٰ الذاتِ الإلهية، فيقول: «إنَّ المسيحيةَ دينٌ أرسل الربُّ فيه ابنَه ليموتَ من أجلِ الناس، أمَّا الإسلام، فهو دينٌ

(١، ٢) من كتاب «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» (ص٢٧ - ٣٠) كتاب «المختار الإسلامي».

(٣) صحيفة «الحياة» لندن في ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٣م، وصحيفة «الأهرام» - القاهرة في ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

يطلبُ اللّهُ فيه من الشخصِ إرسالَ ابنِه ليموت من أجلِ هذا الإله»[١] .

* مور تايمر زوكارمان:

كتب «مور تايمر زوكارمان» في يونيو ١٩٩٦م يقول: «إن النبيَّ محمداً لم يكن أمينًا، وكان من مبادئه عدمُ احترامِ المعاهدات، وقد يقتدي «ياسر عرفات» بتصرُّفات محمدٍ، ولا يحترمُ اتفاقاتِه مع إسرائيل، فعرفات يتبعُ مبدأ النبيِّ محمدٍ بإبرامِ معاهداتٍ مع العدوِّ حينما يكونُ ضعيفًا، وانتهاكِها حينما يصير قويًّا»[٢] .

* ريتش لوري يدعو لضرب مكة بقنبلة نوويَّة:

نشرت مجلة «ناشيونال ريفيو» الأمريكية مقالاً بقلم ريتش لوري أحدِ كُتَّابِ المجلة، قال فيه: «إنَّ ضَرْبَ مكةَ بقنبلةٍ نووية سوف يكونُ رسالةً للمسلمين».

هكذا يريدُ هؤلاء البربريون ضربَ الكعبةِ ومكةَ أقدسِ مكانٍ للمسلمين.. وتناقلت هذه الكلماتِ الصحفُ ومواقعُ الإنترنت بمختلفِ اللغات.. وهذا يدلُّ على الحِقدِ الأسودِ الكريه الذي يُكِنُّهُ الأمريكيون للإسلام ولرسوله ﷺ.

* الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن:

بعد أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م في أمريكا، وقبل

---

(١) صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - في ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٢٠).

بَدءِ التحقيق في هذه الأحداث التي انتهىٰ التحقيقُ فيها دون توجيهِ أيِّ اتهامٍ قانوني لأي متهمٍ من المتهمين!! أعلن بوش الذي يقودُ اليمينَ الديني لأمريكا حربًا وَصَفَها چورچ بوش في ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م بأنها «حملة صليبية»، ثم جَرَت محاولاتٌ غربيةٌ ومتغرِّبةٌ للتخفيفِ من وَقْعِ هذه العبارة علىٰ العالَم الإسلاميِّ، بالقولِ بأنها «زلَّةُ لسانٍ»، وليست - واللَّهِ - بزلَّةِ لسان، بل هي حربٌ صليبية.

❑ يقول الأنبا «يوحنا قَلْته» نائب البطريرك الكاثوليكي في مصر: «إن بوش يستخدمُ المسيحَ دِرعًا والصليبيةَ ثوبًا للدفاع عن مصالحِ أمريكا المادية.. وإنه كان يقصِدُ تمامًا معنىٰ عبارة «الحملة الصليبية».. ولم تكن أبدًا زلَّةَ لسان»(١).

نعم.. هي حربٌ صليبية.. فقد أذاع الفاتيكان - وهو أكبرُ كنائسِ النصارىٰ - من خلالِ إذاعته الرسمية، التي تُذاع بتسعٍ وثلاثين لغةً، وعلىٰ لسانِ مدير هذه الإذاعةِ الرسميةِ الأبِ «باسكوالي بور جوميو» قال عن حملةِ أمريكا وحَربِها علىٰ العراق: «في الوقت الذي يدعو الفاتيكانُ إلىٰ التعقل، ويُشجِّعُ العملَ الديبلوماسيَّ، ويدافعُ عن الحقِّ الدولي، نرىٰ في الجانبِ الآخَرِ قوةً عُظمىٰ تقودُها إدارةٌ خَوَّلت إلىٰ نفسِها مهمةً إنقاذيةً [مقدَّسةً] واتخذت لهجةً ومواقفَ صليبية»(٢).

❑ وأعلن السيناتور «إدوارد كيندي» والسيناتور «بابريك ليهي»: أن

---

(١) «الغرب والإسلام.. أين الخطأ.. وأين الصواب».

(٢) صحيفة «الحياة» - لندن في ٢٩/ ٢/ ٢٠٠٣م.

الإدارة الأمريكية مدفوعةٌ إلى هذه الحرب «بحماسةٍ مسيحية»(١) .

□ وكتبت «النيوزويك» الأمريكية عن «بوش - الصغير» «حامل البشارة»، فقلت: «إنه يؤمن أنَّ حربَه على العراق ستكونُ حربًا عادلة وفقَ المفهومِ المسيحيِّ كما شَرَحها القديسُ «أغسطين» - في القرن الرابع - وفصَّلها كلٌّ من «توما الأكويني» [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] و«مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦] وآخرون، وأنه عندما استخدم مصطلح «الأشرار» في وصفِ خُصومه، قد «نَبَش هذه الكلمةَ مباشرةً من المزامير»، و«أنه يُفكِّرُ في سياسةٍ خارجيةٍ تستندُ إلى الإيمان. . ويُفكِّرُ في حربٍ باسمِ الحرية المدنيَّة - بما في ذلك الحرية الدينية - في القلبِ القديمِ للإسلام العربيِّ، ويحظى بدعمٍ قويٍّ من قاعدته في الجَناحِ السياسيِّ للمؤتمر المَعْمَداني الجنوبي، من أمثال «ريتشارد لاند» و«فرانكلين جراهام» - الأب الروحي لبوش - والذي سَبَّ رسولَ الإسلام، ويندِّدُ بالإسلام باعتبارِه إيمانًا عنيفًا وفاسدًا!.

ولا يخفى - مع المبشِّرين الإنجيليين - رغبتُهم تحويلَ المسلمين إلى المسيحية - لا سيَّما في بغداد -»(٢) .

هذا ما كتبته «النيوزويك» - الأمريكية - قبل شَنِّ الحربِ على العراق.

أما الـ «نيويورك تايمز»، فإنها كَتبت مقالَين - في ٥، ٦/ ٤/ سنة ٢٠٠٣م - أي في ذُورةِ الحرب على العراق - عن انخراطِ المبشِّرين الإنجيليين، تحت قيادةِ الآباءِ الروحيِّين «لبوش»، في الحملةِ الأمريكيةِ على العراق،

(١) المصدر السابق في ١٥/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٢) مجلة «النيوزويك» الأمريكية عدد ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.

بِصُحبةِ القواتِ الأمريكيـةِ الغازيـةِ. . الأمرُ الذي «صَبَغ الحربَ على العراق بصِبغةِ الحروب الصليبية، وأنَّ مِن بينِ تلك الجماعات التبشيرية المصاحبةِ للجيش الأمريكي مبشِّرين تابِعِين للكنيسةِ المعمدانية والكنيسةِ المنهجية، وكِلتا الكنيستين كانت ضِمنَ أهمِّ الجماعاتِ التي دَعَّمت الرئيسَ بوش. . وهناك ٨٠٠ مبشِّر تطوَّعوا لمصاحبةِ الجيش الأمريكي الزاحفِ على العراق، لتقديمِ الدعمِ الروحيِّ والماديِّ للشعب العراقي. . ومِن بين هولاءِ المبشِّرين «فرانكلين جراهام»، الذي دشن حفلَ تنصيبِ چورچ بوش رئيسًا. . ووالده «بيل جراهام»، الذي أثار عاصفةً داخلَ المجتمعات الإسلامية عندما وَصف النبيَّ محمداً بأنه «إرهابيٌّ ووثني». . ولقد أَعلن المبشِّرُ «فرانكلين جراهام» ـ في القاعدة الأمريكية في الكويت ـ: «لقد جئتُ إلى هنا تمهيداً لدخولِ العراق، فرغم أن نِسبةَ المسلمين في العراق تُشكِّلُ ٩٧٪ من إجمالي تِعدادِ السكان، إلا أننا يجبُ ألاَّ ننسى أن المسيحيةَ سَبقت الإسلامَ في دخولِ العراق. . إنني هنا لدعم مسيحيِّي العراق، لكننا في الوقت ذاتِه نُخطِّطُ لتقديمِ الدعمِ للمسلمين، ليس باسمنا، ولكن باسم الرب»[1] .

چورچ بوش ـ أو «أوربان العصر الحديث» ـ يُريدُها حربًا صليبيةً تُريقُ دماءَ المسلمين ـ أو الكفار عنده ـ مثلما فَعَل الباب «أوربان الثاني» [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] مُشعِلُ الحروبِ الصليبيَّةِ الذي قال في خطابه الذهبيِّ لـ «فرسان الإقطاعيين» يوجِّهُهم لغسل أيديهم بدماءِ المسلمين ـ الكافرين ـ وليحتلوا

(١) ترجمة مقالي «النيويورك تايمز» عن صحيفة «الأسبوع» ـ القاهرة في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣م.

أرضَهم التي تُدِرُّ لبنًا وعَسَلاً، فقال: «يا من كنتم لصوصًا، كونوا الآن جنودًا. لقد آنَ الزمانُ الذي فيه تُحوِّلون ضدَّ الإسلام تلك الأسلحةَ التي أنتم لحدِّ الآنَ تستخدمونها بعضُكم ضدَّ بعض.. فالحربُ المقدَّسةُ المعتمدةُ الآن.. هي في حقِّ اللَّه عينه.. وليست هي لاكتسابِ مدينةٍ واحدة.. بل هي أقاليمُ آسيا بجُملتها، مع غِناها وخزاينها العديمةِ الإحصاء.

فاتخِذوا محجةَ القَبرِ المقدس، وخَلِّصوا الأراضيَ المقدسةَ من أيادي المختلِسين، وأنتم املِكوها لذواتكم، فهذه الأرضُ ـ حَسْبَ ألفاظِ التوراة ـ تَفيضُ لبنًا وعسلاً.. ومدينةُ «أورشليم» هي قُطبُ الأرضِ المذكورة، والأمكنةِ المخصِبةِ المشابهةِ فِردوسًا سماويًّا.

اذهَبوا وحارِبوا البربر ـ [يقصد المسلمين] ـ لتخليصِ الأراضي المقدسةِ من استيلائهم.. امضُوا متسلِّحين بسيفِ مفاتيحي البطرسية ـ [مفاتيح الجنة التي صنعها لهم الباب] ـ واكتسِبوا بها لذواتكم خزاينَ المكافآتِ السماويةِ الأبدية، فإذا أنتم انتصرتم على أعدايكم، فالمُلكُ الشرقيُّ يكونُ لكم قَسْمًا وميراثًا.

وهذا هو الحينُ الذي فيه أنتم تَفُون عن كثرةِ الاغتصابات التي مارستموها عُدوانًا.. ومن حيث إنكم صَبغتم أيديكم بالدمِ ظُلمًا، فاغسِلوها بدمِ غيرِ المؤمنين..»!!(١).

هكذا دعا الباب الذهبي «الفرسان ـ اللصوص» ـ بعدَ أن أعطاهم

---

(١) «تاريخ حرب الصليب» لمكسيموس مونروند (١/ ١٣، ١٤) طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

مفاتيحَ الجنة - إلىٰ غَسلِ دماءِ أيديهم بدماءِ المسلمين، وذلك لامتلاكِ الأرض التي تُشبِهُ خصوبتُها فردوسَ السماء، والتي لا تُحصَىٰ خزائنُ ثرواتها، والتي تَفيضُ لبنًا وعسلاً . . فالمُلك الشرقيُّ سيكونُ لهم ميراثًا، إذا هم غسلوا أيديَهم بدماءِ المسلمين - غيرِ المؤمنين -!!.

فكيف غَسَلَ هؤلاء الفرسانُ «اللصوص» الذين حَشَدت البابويةُ أوربا من ورائِهم أيديَهم الملطَّخةَ بدماءِ بعضِهم البعض - كيف غَسَلوها بدماءِ المسلمين؟!.

❑ يَصِفُ الكتابُ بأسلوبه الركيك نقلاً عن شهودِ العيان - كيف تمَّ ذلك في صفحاتٍ داميةٍ نكتفي منها بسطورٍ تقول: «علىٰ أنه باطلاً - أي: عبثًا - كان الإسلامُ - أي: المسلمون - في أورشليم، في اليوم المذكور - يوم دخول الصليبيين للقُدس - يَجِدُّون مفتِّشين عن مَهربٍ يَحمُون به حياتَهم؛ لأن هذه المدينـةَ خَلَت من ملجـأٍ لهم، فعددٌ كليٌّ منهم قد هربـوا إلىٰ جامـعِ عُمـرَ - مسجد قبة الصخرة - ظانين أنهم هناك يَحمُون ذواتَهم من الموت، ولكنْ ظنُّهم خاب، إذ إنَّ الصليبيين - خيَّالةً ومُشاةً مختلِطين - قد دَخلوا الجامعَ المذكور، وأبادوا بحدِّ السيف كلَّ الموجودين هناك.

فالمؤرِّخون، بنوعٍ خاصٍّ، ذمُّوا قساوةَ هؤلاءِ الجنودِ البربريةِ عن هذا الفعل.

وحَسْبَ تقرير «رايموند ده أجيلاس»: قد طاف الجامعُ من الدماء حتىٰ إنه تحتَ القناطرِ التي عند بابه احتَقَن الدمُ وعلا إلىٰ حدِّ الركب، بل إلىٰ لُجُم الخيل.

◘ وقال «روبارتوس» الراهب: إن جامع عُمرَ قد استَوعب من الدمِ المحتَقنِ فيه كَفَّيْ بحرٍ متموِّج، وذلك مما فَتكت به سيوفُ الجيوشِ الصليبية أرقاب ـ رقاب ـ الإسلام ـ المسلمين ـ»[1] .

◘ ولم يكتفِ الصليبيون بذلك الذي صنعوه.. وإنما اجتمع «ديوان مشورتهم»، وقرَّر هذا «الديوانُ» إبادةَ جميعِ مَن بَقِي من المسلمين ـ وأيضًا من اليهود ـ في المدينة المقدَّسة.. أي إبادةَ جميعِ المخالفين!.. فأعمَلوا القتلَ والحَرْقَ والذبحَ في السكَّانِ العُزَّلِ أسبوعًا كاملاً.. حتىٰ لقد شَمِل القتلُ مَن حَصَل علىٰ الأمانِ مِن بعضِ الأمراء الصليبيين!.

◘ وعن هذه المجزرة، يتحدَّثُ صاحبُ كتاب «تاريخ حرب الصليب»، فيقول: «إن ديوانَ المشورةِ العسكرية التيم ـ اجتمع ـ وقَطَع حُكما مُرْهِبًا، وهو: أن يُمات كلُّ مسلمٍ باقٍ داخلَ المدينة المقدسة، وهذا الحكمُ المَهيلُ قد تباشَرَ بالعمل.. ودامت هذه الملحمةُ مدةَ سبَّت ـ أي: سبعة أيام ـ كلمة.

والمؤرِّخون يتَّفقون علىٰ أن الإسلام ـ أي: المسلمين ـ الذي ذُبحوا داخل أورشليم بلغوا سبعين ألفًا، ثم إن اليهودَ قد كانوا داخِلين في عددِ المحكوم؛ لأن ألفاظَ الحُكمِ كانت بالموت ضدَّ غيرِ المؤمنين، بدون تمييزِ المسلمِ من اليهودي، فهؤلاء العبرانيون قد هَربوا إلىٰ كنيسهم محاصَرين فيه، إلاَّ أن الصليبيين أضرَموا النارَ في جهاتِ الكنيس، فأبادوه وإياهم جُملةً بالحريق، ولم يَبْقَ من مَعبَدِهِم هذا إلاَّ بعضُ فضلاتِه الدالةِ علىٰ قديمته».

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٢، ١٧٣).

◘ وبعد أن كانت القُدس ـ في ظل السيادة الإسلامية ـ مُشاعةَ القُدْسيةِ لكلٍّ أصحابِ المقدسات؛ لأن الإسلامَ مؤتَمَنٌ علىٰ كلٍّ المقداسات، لا يُفرِّقُ أهلُه بين أحدٍ من الأنبياء والمرسلين.. تم احتكارُ القدسِ للصليبيين اللاتين ـ الكاثوليك ـ ونُهبت كلُّ كنوزها، بما في ذلك كنوزُ المساجد.. وبعبارةِ مؤلِّف كتاب «تاريخ حرب الصليب»: «.. ومَنظر أورشليم استحال بغتةً إلىٰ مَشهدٍ جديد؛ لأنها في أيامٍ قليلةٍ انقلبت مِن ديانةٍ إلىٰ أخرىٰ، ومن شرايعَ إلىٰ غيرها، ومن مراسيمَ وعوايدَ إلىٰ أخرىٰ، ومِن سُكَّانٍ إلىٰ غيرهم، فالغالبون أضحَوا أغنيا بالغنايم التي امتلكوها بين أيديهم.. فالقايدُ «تنكريد» قد امتَلك جميع الغِنىٰ الذي وَجد في جامعِ الإمام عُمر، وهذه قد كانت عظيمةَ المقدارِ والقيمة، حتىٰ إنه ـ حسب تقريرِ أحدِ المؤرِّخين ـ لم يَكْفِها ستُّ عرابانات كبيرةٍ لنقلها، وأنه قد استمر هو مدةَ يومين مباشراً إخراجَها من ذلك الجامع..».

أما الجنودُ والقادةُ الصليبيون، الذين ـ كما يقول «مكسيموس مونروند» ـ «قد كلَّت أيديهم من سفك الدماء»!![1]، فإنهم أَخذوا يَعُبُّون خُمورَ المَعَاصِرِ حتىٰ أتوا عليها، ثم ذهبوا يتضرَّعون إلىٰ ربِّهم وهم سُكارىٰ، وأيديهم مُخضَّبةٌ بدماء المسلمين.. ويا لها من «صلاة» تَصِفُها «دائرة المعارف البريطانية» ـ وهي تتحدثُ عن دخولِ القائدِ الصليبي «جودفري» (١٠٦١ ـ ١١٠٠م) القدس ـ فتقول: «كانت المذابحُ رهيبةً، جرَت دماءُ المغلوبين في شوارعِ المدينة حتىٰ ارتفع مستوىٰ الدمِ ووَصَل إلىٰ

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٤ ـ ١٧٦).

رُكَبِ مَنَ سار فيها، ولَمَّا حَلَّ المساء، اندفع الصليبيون يبكُون من فرطِ الضحك!! - بعد أن أتَوا على نبيذِ المَعاصر - إلى كنيسةِ القيامة، ووَضعوا أكُفَّهم الغارقةَ في الدماءِ على جُدرانها، ورددَّوا الصلوات»!!.

□ «چورج بوش» أو «ريتشارد قلب الأسد القرن العشرين» يفعلُ بالمسلمين في أفغانستان والعراقِ مِثلما فَعَل «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩ - ١١٩٩)، فقد قام بذبح ثلاثةِ آلافِ جنديٍّ من أسرى المسلمين بعد أن قَطَع لهم عَهْدَ الأمان، وبشهادةِ وعبارةِ المستشرقةِ الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكه»: «فعلى العكس من المسلمين - الذين شَمِلوا أسرى الصليبيين بمُرُوءتهم، وأسبغوا عليهم من الجُودِ والرحمةِ ما صار مضربًا للمَثَل في التخلُّقِ بروح الفروسية العالية - لم تعرفِ الفروسيةُ النصرانيةُ أيَّ التزامٍ خُلقيٍّ تُجاهَ كلمةِ الشرف أو الأسرى، فالمَلِكُ «ريتشارد قلب الأسد»، الذي أقسَمَ بشَرَفِه لثلاثةِ آلافِ أسيرٍ عربي أن حياتَهم آمِنة، إذ هو فجأةً متقلِّبُ المِزاج، فيأمرُ بذَبحهم جميعًا»[1].

□ «چورج بوش» هو «بونابرت القرن العشرين»: «وفي العصر الحديث، رأينا «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) يقترفُ ذاتَ الجريمةِ - جريمةِ الغَدرِ بعهدِ الأمان الذي قطعه لأسرى معركة «يافا» (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) -، فلقد ذَبَح آلافَ الجنود المسلمين الذين استسلموا، والذين أعطاهم عهدَ الأمان!! ولقد وَصف المؤرِّخُ الحُجَّة «عبدالرحمن الرافعي» هذا الغَدْرَ، والانتهاكَ لقداسةِ عهودِ الأمان، فقال - نقلاً عن المؤرخين الفرنسيين -: «لقد

(١) «اللَّه ليس كذلك» (ص٣٤) - للدكتورة سيجريد هونكه - طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٩٥م.

وصل نابليون بجيشه تُجاهَ يافا يوم ٣ من مارس ١٧٩٩م، وكان الجيشُ العثمانيُّ بقيادة «عبدِاللَّه باشا الجزار» (١١٣٢ ـ ١٢١٩هـ/ ١٧٢٠ ـ ١٨٠٤م) ممتنعًا بها، فحاصرها نابليون بجنوده، واستولىٰ عليها يوم ٧ من مارس، بعد معركةٍ شديدةٍ قُتل فيها من الجنود العثمانيين ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعمَلوا فيها السيفَ والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسيُّون «يافا»، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعرُّ منه الأبدان ـ باعترافِ المؤرِّخين الفرنسيين ـ واستمرَّ النهبُ والقتلُ يومين متواليين، واضطُرَّ الجنرال «روبان» ـ الذي عيَّنه نابليون قائدًا للمدينة ـ أن يَقتلَ بعضَ الجنودِ لإعادةِ النظام، فذهب جَهدُه عبثًا، ولم ينقطعِ النهبُ إلاَّ بعد أن كَلَّ الجنودُ من الاعتداءِ وسَفكِ الدماء!!.

ولم يكدْ ينقطعُ النهبُ لمدينة «يافا»، حتىٰ أعقبته مأساةٌ أخرىٰ أشدُّ هَولاً وفظاعة، ذلك أنه بعدَ انتهاءِ المعركةِ ودخولِ الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنودِ العثمانيين نحوُ ثلاثةِ آلاف مقاتِل، آثَروا التسليمَ وإلقاءَ السلاح في يدِ الفرنسيين بشروطٍ اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما «بورهارنيه، وكروازييه»، ومن هذه الشروط: أن تُضمنَ لهم أرواحُهم بعد التسليم، وتَعهَّد الياوران بذلك باسم القائد العام «نابليون»، وتلقاهم الفرنسيون كأسرىٰ حرب، ولكن نابليون ـ بعد أن فكر طويلاً في أسرهم، وتردَّد في شأنهم ـ، أَمَر بإعدامهم جميعًا رميًا بالرصاص، فسِيق أولئك الأسرىٰ إلىٰ شاطئِ البحر وأُعدِموا جميعًا رميًا بالرصاص»[1].

(١) «تاريخ الحركة القومية» (٢/ ٢٩، ٣٠) ـ طبعة القاهرة.

* **فضائحُ العدوِّ اللدود للإسلام ورسوله ﷺ: چورچ بوش:**

وفي القرن الحادي والعشرين.. وبعد احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣م ـ بواسطة تحالفٍ صليبيٍّ غربيٍّ يُضاهي الحملاتِ الصليبيةَ الأولى ـ وَجَدْنا رُعاةَ البقرِ يتعمَّدون انتهاكَ كلِّ حُرماتِ المسلمين، مركِّزين على حُرْمَتَيِ «العِرْض» و«الدين».

صَنعوا ذلك عندما انتَهكوا مقدَّساتِ الأعراض ـ للنساء والرجال ـ ومقدَّسات العقائدِ في سِجن «أبو غريب» ـ وغيره من السجون ـ على النحو الذي سَجَّلت نماذجَه الصورُ التي شاهدها الناسُ عبرَ الفضائيات والصحفِ والمجلات.

وصَنعوا ذلك في مدينةِ «الفالوجة» العراقية في أكتوبر/ نوفمبر ٢٠٠٤م، ففي مدينة تِعدادُها ٣٠٠،٠٠٠ ـ أي نحو ثُلث مليون ـ، ومساحتُها أربعةُ كيلو مترات في الطول والعرض:

ـ دَمَّر الأمريكيون ٤٠ مسجدًا ـ من جملةِ مساجدها السبعين.

ـ وأَجهزوا على الجَرحى في المساجد، ورأى الناسُ ذلك، عَبرَ الصور، في الفضائيات.

ـ ودنَّسوا ودمَّروا محتوياتِ المساجد ـ بما في ذلك المصاحفُ وكتبُ السنة النبوية المطهَّرة.

ـ كما استَخدموا الأسلحةَ المحرمةَ دوليًّا ـ مثل الفوسفور الأبيض، والقنابل العنقودية ـ ضدَّ المدنيين الأبرياء، بمن فيهم الأطفال والنساء.

وصنع الأمريكيون ذلك ـ أيضًا ـ في مُعتقل «جوانتاناموا» حيث دنَّسوا القرآنَ الكريمَ، ووضعوا صحائفَه في المراحيض؛ ليُهينوا الأسرى والمعتقَلين

الذين يُقدِّسون هذا القرآن الكريمَ!!.

وصَنعوا ذلك ببغداد - في يناير ٢٠٠٦م - عندما اقتَحم الجيشُ الأمريكيُّ مسجد «أم القرى» - مقرَّ «هيئة علماء المسلمين» بالعراق -، ودمَّروا ودنَّسوا المقدَّسات الإسلامية، بما فيها القرآنُ الكريم وكُتبُ السنة النبوية المطهرة، ثم رَسموا الصليبَ على جُدران هذا المسجد.

فهل ينسى المسلمون - يا بوش - تبوُّلَ جنودِك على مُصحفِهم الطاهر واغتصابَ الرجالِ والنساءِ وهَتكَ الأعراضِ وتدنيسَ المساجد؟!.

*** هل ينسى الناسُ - يا بوش - اغتصابَ الفتيات المسلمات؟**

هل ينسى لكم التاريخُ ما فَعله جنودكم في ٦/٢٠٠٦م في قرية «المحمودية» بالعراق واغتصابَ «عبير» ابنة الخمسة عشر ربيعًا.

يدخلُ الجنودُ ليقتادوا والدها وأمَّها وإخوتَها ويَقتلوهم بأربعين رصاصةً، ثم يغتصبُ عشرون جنديًّا أمريكيًّا «عبير»، ثم يقتلونها ويُشعِلون النار فيها!.

ونحن ننتظرُ فِعلَ اللَّهِ بهذا الدجالِ «بوش» جزاءَ ما فعل بالإسلامِ والمسلمين.

*** رئيس وزراء إيطاليا «سيلفيو بيرلسكوني»:**

أعلن رئيسُ وزراء إيطاليا «سيلفيو بيرلسكوني» في ٢٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م: «أن الحضارةَ الغربيةَ أرقى من الحضارةِ الإسلامية.. ولا بدَّ من انتصار الحضارةِ الغربيةِ على الإسلام، الذي يجبُ أن يُهزم؛ لأنه لا يَعرفُ الحريةَ ولا التعدُّديةَ ولا حقوقَ الإنسان.. وأن الغرب سيواصُل تعميمَ

حضارتهِ، وفَرْضَ نفسه على الشعوب. . وأنه قد نَجح - حتى الآن - في تعميم حضارته وفَرْضِ نفسِه على العالم الشيوعي وقِسمٍ من العالَم الإسلامي»[1] !!.

◻ وقال أيضًا: «إنَّ الحضارةَ الإسلاميةَ تتَّسمُ بالانحطاطِ والجهلِ، وإنها حضارةٌ متخلِّفة ولم تقدِّم للبشرية شيئًا، بينما الحضارةُ الغربيةُ هي الحضارةُ القائدةُ والرائدة منذُ الحضارة اليونانية والرومانية حتى الحضارة الغربية الحديثة»[2] .

*** وزير داخلية ألمانيا «أوتوشيلي»:**

وَصَفَ وزيرُ الداخلية في ألمانيا «أوتو شيلي» عقيدةَ الإسلامِ بأنها «هرطقةٌ وضلال»[3] .

*** وزير خارجية ألمانيا «يوشكا فيشر»:**

أمَّا وزيرُ خارجية ألمانيا «يوشكا فيشر»، فإنه يعلن - في محاضرةٍ حول «آفاقِ السياسةِ الدولية إثرَ اعتداءات ١١ سبتمبر» أمامَ طلبةِ جامعةِ «فراي ببرلين»، يعلنُ شكوكَه في «قدرةِ الإسلام على التطوُّر»! . . . ويتساءلُ: «هل يوجدُ طريقٌ إسلاميٌّ إلى الحَدَاثة؟ - بمعناها الغربي! - ثم يصفُ الأصوليةَ الإسلاميةَ الرافضةَ للحداثة والقيم الغربية - بأنها «التوتاليتارية الجديدة»[4] - أي الديكتاتورية والشمولية الجديدة!!.

---

(١) صحيفة «الحياة» - لندن - في ٣٠/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٢) «صناعة العداء للإسلام» (ص٤٩).

(٣) «صحيفة الأهرام» في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م.

(٤) صحيفة «الشرق الأوسط» في ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٢م.

* «فرانسو فوكوياما»:

«فرانسو فوكويامَا» مِنْ أساطين الفكر الاستراتيجيِّ الأمريكيِّ المشيرون علىٰ صانع القرار، والذين تُوضع نظريَّاتُهم في الممارسةِ والتطبيق، وقد كانت لديه الصراحةُ ليعلنَ أن الحربَ التي يَشهَدُها العالَمُ ليست حربًا علىٰ «جماعاتِ العنف العشوائي» الإسلامية.. ولا علىٰ ما يُسمَّىٰ «بالإرهاب»، وإنما هي «حربٌ داخلَ الإسلام»، لتغييرِ طبيعتِه وخصوصيتِه، و«حتىٰ يَقبَلَ الحَدَاثةَ ـ بمعناها الغربي»، أي القطيعةَ مع خصوصيته وماضيه، «فيُصبحُ عِلمانيًّا يَقبلُ المبدأَ المسيحي: دَعْ ما لقيصرَ لقيصر، وما للَّه للَّه»، فيقفُ عند ما للَّه في ملكوتِ السماء والدارِ الآخرة، وخَلاصِ الروح، ويَتركُ دنيا العالَم الإسلامي وثرواتِه للهيمنةِ الأمريكية والغربية..!.

❑ وبعبارات «فوكوياما»: «فإنَّ الحَداثةَ، التي تُمثِّلُها أمريكا ـ وغيرُها من الديموقراطيات المتطوِّرة ـ، ستبقىٰ القوةَ المسيطرةَ في السياسةِ الدولية، والمؤسساتُ التي تجسِّدُ مبادئَ الغربِ الأساسيةَ ستستمرُّ في الانتشار عَبرَ العالم.. وهذه القيمُ والمؤسساتُ تلقىٰ قبولاً لدىٰ الكثيرِ من شعوب العالم غيرِ الغربية ـ إن لم نَقُلْ جميعَها ـ، لكنَّ السؤالَ الذي نحتاجُ إلىٰ طرحه هو: «هل هناك ثقافاتٌ أو مناطقُ في العالم ستقاوِم، أو تُثبِتُ أنها منيعة علىٰ عمليةِ التحديث ـ بهذا المعنىٰ الأمريكي والغربي ـ؟!.

ثم يُجيب «فوكوياما» عن هذا التساؤل الذي طرحه، فيقول: «إنَّ الإسلام هو الحضارةُ الرئيسيةُ الوحيدةُ في العالَم التي يمكنُ الجدال بأن لديها بعضَ المشاكلِ الأساسيةِ مع الحداثة.. فالعالمُ الإسلام يختلفُ عن غيرِه من الحضاراتِ في وجهٍ واحدٍ مهم، فهو وَحده قد ولَّد تكرارًا خلالَ الأعوامِ

الأخيرة حركاتٍ أصوليةً مهمة، تَرفضُ لا السياسياتِ الغربيةَ فحسب، وإنما المبدأَ الأكثرَ أساسيةً للحداثة: التسامح الديني.. والعلمانية نفسها.. وإنه بينما تجدُ شعوبُ آسيا وأمريكا اللاتينية ودولُ المعسكر الاشتراكي وأفريقيا الاستهلاكيةَ الغربيةَ مُغرِيةً، وتودُّ تقليدَها ـ لو أنها فقط استطاعت ذلك ـ، فإن الأصوليين المسلمين يَرَون في هذه الاستهلاكية دليلاً على الانحلال الغربي».

◻ ويُعلن «فوكوياما» أن الحربَ هي حربٌ على الإسلام الرافضِ للحَدَاثةِ الغربيةِ والعِلمانيةِ الغربيةِ والاستهلاكيةِ الغربية، فيقول في «صراحة عارية» يُحمدُ عليها: «إن الصراعَ الحالي ليس ـ ببساطةٍ ـ معركةً ضدَّ الإرهاب، ولا ضدَّ الإسلام كدينٍ أو حضارةٍ، ولكنه صراعٌ ضدَّ العقيدة الإسلاميةِ الأصوليةِ التي تقفُ ضدَّ الحَداثةِ الغربية.. وإنَّ التحدي الذي يواجهُ الولاياتِ المتحدةَ اليومَ هو أكثرُ من مجرَّدِ معركةٍ مع مجموعةٍ صغيرة من الإرهابيين، فبحرُ الفاشية الإسلامية ـ الذي يَسبحُ فيه الإرهابيون ـ يُشكِّلُ تحديًّا أيديولوجيًّا هو في بعض جوانبه أكثرُ أساسيةً من الخطر الذي شكَّلته الشيوعية».

◻ ثم يتحدَّث «فوكوياما» عن «التطور الأهم» الذي يجبُ أن يَحدُثَ للإسلام ذاته، والذي يجبُ أن يتمَّ داخلَ الإسلامِ لتعديلِ الإسلامِ حتى يُصبح قابِلاً للحداثة الغربية والعلمانية الغربية فيقول: «إنَّ التطوُّرَ الأهمَّ ينبغي أن يأتي من داخلِ الإسلام نفسه، فعلى المجتمعِ الإسلامي أن يقرِّر فيما إذا كان يريدُ أن يَصِلَ إلى وضعٍ سِلْمِيٍّ مع الحَدَاثة، خاصةً فيما يتعلَّقُ

بالمبدأ الأساسيِّ حولَ الدولة العلمانية أم لا؟!»[1] .

□ قال الكاتب البريطاني «باتريك سيل» في مقالٍ بعنوان «التحالف الأمريكي الروسي ضدَّ الإسلام»، نشرته صحيفة «الحياة» اللندنية في ١٨ يناير ٢٠٠١م: «إنَّ الغربَ اعتاد الاختباءَ وراءَ عبارةِ «الأصولية الإسلامية»، بينما يقصد في الحقيقة «الإسلام» نفسه، ولذلك يتعمَّد الغربيون الخَلْطَ بين الإسلام والإرهاب؛ لأن مفهوم «الأصولية الإسلامية» عندهم هو الإسلام نفسه».

*** دعاةٌ على أبواب جهنم:**

ونَعَقَ علىٰ أثر «فوكوياما» وسار علىٰ نهجه حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ دعاةٌ علىٰ أبواب جهنم مِن بني جِلْدتِنا، يَمَّموا وجوهَهم شَطْرَ الغرب، وتبنَّوا الحَدَاثةَ الغربيةَ منهاجًا للحياة.

□ فقال «هاشم صالح» المتخصِّصُ في ترجمة وتسويق المشروع الحَدَاثي للدكتور محمد أركون.. فقال بعد أحداث ١١ سبتمبر «إننا يجبُ أن نلتحقَ بفولتير [١٧٣٤ ـ ١٧٧٨م] وتصوُّرِه الطبيعيِّ عن الدين والأخلاق، فالدينُ الحقيقيُّ هو الدينُ الطبيعيُّ.. وإنَّ العبرةَ هي بأعمالِ الإنسان وليس بمعتقداتِه، أوْ حتىٰ صَلواتِه وعباداتِه.. ولابُدَّ مِن تأويلٍ جديد لتراثنا يختلفُ عن تأويلِ الأصولية ـ بل ويَنقُضُه ـ.. تأويلٌ يكشِفُ عن تاريخيةِ النصوصِ التأسيسية، ويُحِلُّ القراءةَ التاريخيةَ محلَّ القراءة التبجيليَّة لهذا التراث»[2] .

---

(١) «النيوزويك» العدد السنوي ـ ديسمبر سنة ٢٠٠١م ـ فبراير سنة ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة «الشرق الأوسط» في ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.

◻ وقال الدكتور «علي حرب»، والذي قال عن حَدَاثة مشروعِ «أركون وهاشم صالح»: «إنها القولُ بمرجعيَّةِ العقلِ وحاكِميَّتِه.. وإحلالِ سيادة الإنسانِ وسيطرتِه على الطبيعة مكانَ إمبريالية الذاتِ الإلهية وهيمنتها على الكون»(١) !!!.

فالعدوُّ ـ عند المشروع الأمريكي ـ هو الإسلامُ المُقاوِمُ للعلمانيةِ الغربيةِ والحداثةِ الغربيةِ والاستهلاكيةِ الغربيةِ.. أي الإسلام المقاوِمُ للمَسْخ الغربيِّ والأمريكيِّ، والعدوُّ عند الحداثيين ـ الذين يَحمِلون الأسماءَ المسلمة ـ ليس الإمبرياليةَ الأمريكية وهيمنتها، وإنما إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون».. ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله(٢).

* «صموئيل هنتنجتون» و«صراع الحضارات»:

«صموئيل هنتنجتون» الأستاذ بجامعه «هارفارد»، ومِن المفكِّرين الكبار الذين لهم تأثيرٌ في صُنعِ القرارِ في البيتِ الأبيض، له نظريةٌ عن «صراعِ الحضارات» نشرها عام ١٩٩٣م في مجلة «فورن إفيرز»، ثم طوَّرها في كتابٍ كامل وقال فيها: «إنه بعدَ انتهاء الحرب الباردةِ، سوف تسيطرُ الصراعاتُ بين الحضارات».

◻ وقال: «إن الإسلامَ تحيطُ به حدودٌ دموية».

◻ ويقول كاتبُ المقال: «يبدو أن ما يَحدُثُ في «تِيمور الشرقية والشيشان وكوسوفا والعراق وكشمير» يؤكِّدُ هذه الملاحظةَ، وسواءٌ اعتَقد المرءُ ذلك أم لم يعتقد، فإن اللومَ يقعُ على الإسلام!».

---

(١) صحيفة «الحياة» في ١٨/ ١١/ ١٩٩٦م.

(٢) «الغرب والإسلام.. أين الخطأ.. وأين الصواب» (ص٨٩ـ ٩٠).

وفي عام ١٩٩٦ قدم «هنتنجتون» وِجهةَ نظرِه في كتابٍ بعنوان «صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي»، وصفه «هنري كيسنجر» بأنه يُقَدِّمُ إطاراً جريئًا لفَهمِ السياساتِ العالمية في القرن الحادي والعشرين.

□ وقال «كيسنجر»: «إن تحليلاتِ هنتنجتون تُثبتُ صحَّتها ودقَّتها إلىٰ درجةٍ تُنذِرُ بالخطر، وتتلخَّصُ نظريتُه في أن الحضاراتِ الرئيسيةَ المعاصِرةَ هي الحضاراتُ الصينيـة، واليابانيـة، والهندوسـية، والإسـلامية، والأرثوذكسية، والغربيـة «أوروبا وأمريكا» وحضـارةُ أمريكا اللاتينية، والحضـاراتُ الأربـع الكبرىٰ في العالم هي: الحضاراتُ الصينيـة، والهندوسية، والإسلامية، والحضارة الغربية، وكلٌّ مِن هذه الحضاراتِ تضمُّ حوالي مليار نَسَمة، وكلُّ حضارةٍ منها لها دينٌ مؤسِّسٌ لها تشكَّلت وتبلـورت حوله، وهذه الديانـاتُ هي: الإسـلام، والمسـيحية، والكونفوشية، والهندوسية، وتُعتبرُ كلٌّ من الصين والهند قلبًا أو مِحوراً لحضارةِ كلٍّ منهما، أما الغربُ فينظر إليه علىٰ أنه مُنقسمٌ إلىٰ مِحورَين رئيسيين هما: الولاياتُ المتحدة وأوروبا.. وبالنسبة للإسلام، فليست هناك دولةٌ تمثِّلُ قلبَ أو مِحورَ حضارته، وهذا ما يجعلُ من الصعوبةِ فَهمَ الإسلام وحضارته بالنسبة لمن هم خارجَ هذه الحضارة».

□ ويقول هنتنجتون أيضًا: «إن صراعَ الإسلامِ والغربِ يُثيرُ مشكلاتٍ ضخمةً للعالَم بطريقة أو بأخرىٰ».

□ ويقول المقال: «إن الغربَ يُطالِبُ بسيطرةٍ فريدةٍ علىٰ العالَم، والمبرِّرُ لذلك أنه يُمثِّلُ القوةَ العالميةَ القائمةَ علىٰ أساسَين هما: تفوق التكنولوچيا الأمريكية، وتفوق الأيديولوچية العالمية القائمة علىٰ الليبرالية

وحقوق الإنسان، وتنظر الحضاراتُ الأخرىٰ إلىٰ الغربِ علىٰ أنه يَمتلكُ قوةً عسكريةً واقتصاديةً خطيرة، ولكنه منهارٌ من الناحيةِ الاجتماعية، ويتمثَّلُ هذا الانهيارُ الاجتماعيُّ في التفكك الأسرىٰ، وعدمِ التمسُّك بالمعتقداتِ الدينيةِ، وانتشارِ الجريمة، والمخدِّرات، وارتفاعِ نسبةِ المُسنِّين، وانتشارِ البطالة.. أما الغربُ، فإنه ينظرُ إلىٰ نفسه علىٰ أنه نموذجٌ لحضارةِ القرنِ الحادي والعشرين، وتنظرُ إليه الحضاراتُ الأخرىٰ علىٰ أنه نموذجٌ سيئٌ يَحسُنُ تجنُّبه وليس محاكاته.

◻ ويقول هنتنجتون: «إن الغربَ يُسيطرُ علىٰ العالَم الآن سيطرةً كاملة، وسيظلُّ مسيطرًا ومتفوقًا في القوةِ خلالَ القرن الحادي والعشرين، إلاَّ أن التغييراتِ التدريجيةَ والحتميةَ الأساسيةَ تؤثِّرُ أيضًا علىٰ توازُنِ القوىٰ بين الحضارات، وستأخذُ قوةُ الغرب في الاضمحلال، فخلالَ خمسةٍ وسبعين عامًا من ١٩٢٠ حتىٰ ١٩٩٥م تراجعت السيطرةُ السياسيةُ للغربِ علىٰ المناطقِ العالمية بنسبة ٥٠٪، وتراجعت نسبةُ من يُسيطرُ عليهم الغربُ من سكانِ العالم ٨٠٪، وتراجعت سيطرةُ الغربِ علىٰ الصناعةِ العالميةِ بنسبة ٣٥٪، أما سيطرةُ الغربِ علىٰ القوةِ العسكرية، فقد تراجعت بنسبة ٦٠٪.

◻ وحين يتحدث «هنتنجتون» عن الإسلام يقول: «إن في العالم ٤٥ دولةً مستقلةً تنضوي تحتَ رايةِ الإسلام، وهو أقوىٰ الدياناتِ العالميةِ من حيثُ سيطرتُه الثقافية علىٰ المؤمنين به، كما أنه دينٌ له ميزةٌ اقتصاديةٌ كبرىٰ، هي أنه يسيطرُ علىٰ معظمِ احتياطي البترول العالمي، ولن يَنضَبَ هذا البترولُ إلاَّ بعد سنواتٍ طويلةٍ جدًّا، ولا يزالُ الإسلامُ يمرُّ بمرحلةِ النمو السكاني السريع، ومن المتوقَّع أن يشكِّلَ المسلمون ٣٠٪ من

سكن العالم في عام ٢٠٢٥م.

◻ أمَّا مستقبلُ العلاقةِ بين الحضارات الأربع: الحضارة الغربية، وحضارة الصين، وحضارة الهند، والحضارة الإسلامية: فإن «هنتنجتون» يَرىٰ أن الصراعَ بينها حتمي، ويرىٰ أن الإسلامَ يُمثِّلُ مشكلةً ليس لها حل، وهكذا فإن الخوفَ من الإسلام واعتبارَه هو «العدو» للحضارة الغربية وللحضارات الأخرىٰ أصبح قائمًا علىٰ أساسِ نظريةٍ متكاملةٍ، لها جذورٌ تاريخيةٌ قديمة، اكتَملت وتبلورت علىٰ يد «صمويل هنتنجتون» أستاذ الدراسات الدولية في جامعة «هارفارد».. النظرية إذن نظريةٌ أمريكية.. وهي في حقيقتها ليست إلاَّ تبريرًا فلسفيًّا للحرب ضد الإسلام.. وقد يُنكر بعض الأمريكيون أنهم يعتقدون في صحةِ هذه النظرية.. ولكن ما تفعلُه أمريكا ليس إلاَّ التطبيقَ العَمَليَّ لها[1].

◻ والدليل علىٰ نظرية «هنتنجتون» عن حتميةِ الصراع بين الإسلام والحضارةِ الغربية ما نراه من مناهجِ تدريسِ التاريخ للتلاميذ في أمريكا والدول الغربية وأسبانيا واليونان.. فالتاريخُ الذي يُدرَّسُ يقدِّمُ الرسول ﷺ علىٰ أنه شاعر يرىٰ رؤًىٰ خارقةً، ويُشارُ إليه بألفاظٍ توحي بالشكِّ في مصداقيته[2].

*** توماس فريدمان:**

◻ قال الصحفيُّ اليهوديُّ الأمريكي «توماس فريدمان» في مقالٍ له في

---

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٦٤ ـ ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٦٨).

«نيويورك تايمز»: «إنَّ هناك حربَ مبادئَ وقيمٍ بين الغرب والعالَم الإسلامي»[١].

☐ وتوماس فريدمان كاتب معروف بأنه قريبٌ من البيت الأبيض ووزارةِ الخارجيةِ والمخابراتِ الأمريكية، يقول في مقالٍ له في صحيفة «نيويورك تايمز» في ١٧ ديسمبر ٢٠٠١م بعنوان «لإنهاء التعصب مطلوب حركة تنوير إسلامي» يقول: «ما يُهمُّنا أن يبدأ المسلمون بأنفسهم بإصلاحِ الإسلام بطريقةٍ تجعلُه متوفقًا مع التعليم الحديث، ومع التسامح الديني، وقبول التعددية».. ويدسُّ بين السطور أن الإسلامَ دينُ تعصبٍ وديكتاتورية وعُنفٍ[٢].

* مارجريت تيتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة:

☐ كَتبت «مارجريت تيتشر» رئيسةُ الوزارء البريطانية السابقة مقالاً في «نيويورك تايمز» الأمريكية «والجارديان» البريطانية قالت فيه: «إن التيارَ الإسلامي هو البلشَفية الجديدة»[٣].

* بيريجرين ورستون: الإسلام عدوٌّ بدائي:

☐ في أوائل التسعينات قال «بيريجرين ورستون»: «إن الإسلامَ كان في يومٍ ما حضارةً عظيمةً تستحقُّ الحوارَ معها»، ولكنه غيَّر رأيه، وقال بعد ذلك: «إنَّ الإسلام تحوَّل إلى عدوٍّ بدائيٍّ لا يناسبُه إلاَّ أن يَتِمَّ إخضاعُه»[٤].

---

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٧٢).

(٣) المصدر السابق (ص٥٥).

(٤) المصدر السابق (ص٦٤).

* «فاي ويلدون»:

◘ في الوقت الذي أُثيرت فيه قضيةُ «سلمان رشدي» ادَّعىٰ «فاي ويلدون» في تعقيبٍ أصدره أنَّ القرآن «غذاءٌ لعدمِ التفكير، وهو ليس شيئًا جميلاً يُمكن للمجتمعِ الاعتمادُ عليه، وهو فقط سلاحٌ وقوَّةٌ للنوايا العدوانية العسكرية»[1].

* «الدكتور روبرت موري»: الإسلامُ ديانةُ إلهِ القمر:

وَصَل تشويهُ الإسلامِ إلىٰ حدٍّ أنَّ البعضَ يتحدَّثُ في أمريكا عن المسلمين علىٰ أنهم «يَعبدون القمر»، ويَذكرُ أمثلةً علىٰ ذلك ما ردَّدته «جانيت بارشالز» في الإذاعة يوم ١٥ مايو ١٩٩٦، وكرَّره الدكتور «روبرت موري» في محاضراتٍ ومطبوعاتٍ بعنوان «اللَّه - إله القمر» و«الإسلام ديانة أهل القمر»، و«الغزو الإسلامي: التصدِّي لأسرع الأديان انتشاراً في العالم»، ويقول فيها: «إن دينَ اللَّه - إلهِ القمرِ الصحراوي - يشقُّ طريقه إلىٰ سجون كارولينا الجنوبية، وإن إله المسلمين إله وثني»[2].

✍ تعالىٰ اللَّه عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيراً.

* مجلةِ «الإيكونومست» البريطانية:

وهذه يَعُدُّونها أكثر المجلاَّت احتراماً في العالم.. أعدَّت تقريراً خاصًّا بعنوان «الإسلام والغرب، الحرب القادمة كما يقولون»، في عددها الصادر في ٦ أغسطس سنة ١٩٩٤، وأفردت له عشرين صفحة[3].

(١) المصدر السابق (ص٦٩).
(٢) المصدر السابق (ص١١٢).
(٣) المصدر السابق (ص١٢٧).

وتصل «الإيكونومست» إلىٰ نتيجةٍ، هي أنه من الصعب حدوثُ تغيير في أوضاع المرأة المسلمة؛ لأن وضعَها المُتَدنِّي راسخٌ في الأعماقِ بسببِ القرآنِ والرسول محمد[1].

◻ ثم تنتقل «الإيكونومست» إلىٰ ما هو أهمُّ بالنسبة لها، فتقول: «إن القرآنَ مكتوبٌ بلغةٍ تناسبُ أسلوبَ القَرْنين السادس والسابع، وبلغةٍ أقربَ إلىٰ الشِّعر، ولذلك فإنها تحتملُ أكثرَ من تفسير، والآية ٣٤ من سورة «النساء» تُعدُّ أكبرَ هَنَاتِ القرآن ـ هكذا تقول الإيكونومست ـ، لأنها تَنُصُّ علىٰ أن الرجالَ قوامونَ علىٰ النساء، وحين تَعصي المرأةُ زوجَها تستحقُّ الضرب، ولكنَّ البعضَ يتلطَّفُ فيقول: إن الرجالَ قوامون علىٰ النساء بمعنىٰ أنهم مسؤولون عن حمايةِ المرأة، ربما لأن الرجلَ في القرنين السادس والسابع كان هو وحدَه الذي يكسِبُ المال، أما عن الضرب، فيقول بعضُ المفسرين المتلطِّفين: إن المقصودَ مجردُ لطمةٍ لطيفة، ولكنَّ هذه التفسيراتِ غيرُ مقنِعةٍ، وتظلُّ هذه الآية مثارًا للدهشة» (!).

هذا ما تقولُه «الإيكونومست»، ولم يُفكِّرْ أحدٌ في إرسالِ ردٍّ يَشرحُ فيه التفسيرَ الصحيحَ لهذه الآية، وسكت الأزهرُ وعلماءُ الدين عن القول بأن هذه الآية «من هنات القرآن»![2].

◻ وتقول: «إنَّ علماء الدين في أيديهم تفسيرُ القرآن، وهم الذين أخطؤوا في حقِّ المرأة في العصور الماضية، ومازالوا مستمرِّين في الخطأ،

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٣٤).
(٢) المصدر السابق (ص١٣٥).

ولابد أن يُغيِّروا ما في عقولهم، ويَسمَحوا للمرأة بالوصول إلىٰ أعلىٰ مراتبِ التعليم، وأعلىٰ المناصب، وتحقيقِ العدالة التي يأمرُ بها القرآن ـ فيما عدا آية أو اثنتين ـ».

◘ وكالعادة أرجعت «الإيكونومست» سرَّ تخلُّفِ المسلمين إلىٰ الإسلام ذاتِه، فقالت: «إن معارضةَ الديمقراطية تستندُ إلىٰ أن القرانَ فيه منهجٌ أكثرُ صلاحيةً للبشر، وأن الديمقراطية لها بديلٌ عند المسلمين هو «الشورىٰ»، فالحكومة تستشيرُ الناس».

◘ وتتساءل «الإيكونومست» بسخرية: «هل هناك ديمقراطية أكثر من ذلك؟».

◘ وتقول: «إن هناك أمرَينِ مهمَّين: الأمرُ الأول: أن الرجال الذين يستعينون بالشورىٰ هم علىٰ قائمةِ المبشَّرين برحمة اللَّه حَسْبَما جاء في (سورة الشورىٰ ـ آية ٣٨) ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وفي (سورة آل عمران ـ آية ١٥٩): ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾».

◘ وتتساءل «الإيكونومست»: «ما معنىٰ الشورىٰ؟» وتجيب: «إنها ما كان يمارسُه باروناتُ العصور الوسطىٰ، أو قادةُ الجيوش في العصرِ الحديث، فالحاكمُ يَسألُ الآخرين عما يَرَون، ثم يتَّخذُ هو القرار، فلا مكانَ للديمقراطية في الشورىٰ!».

◘ ولا تكتفي «الإيكونومست» في هذه الدراسة بتشويهِ مبدأ «الشورىٰ»،

ولكنها تواصلُ هجومَها على مبدأ «الإجماع» في الفقه، وتقول: «إنه قائمٌ على أن الأمة لا تُجمعُ على خطأ، فما اتفقت الجماعةُ على ما ينبغي عملُه، فهو ما يجبُ عمله، وقد يبدو ذلك ديمقراطيًّا، ولكنَّ المشكلةَ أن هذا الإجماعَ هو إجماعُ علماءِ الدين وهم الذين يُحدِّدون الرأيَ الصواب، وليس من حقِّ فردٍ من أفرادِ المجتمع أن ينطقَ بما يخالفُ ذلك، وإلاَّ يكونُ خارجًا على الإجماع، فالقرآنُ عند المسلمين هو «كلمة اللَّه»، وكلمةُ اللَّه تحتاجُ إلى تفسيرٍ، والتفسيرُ تحتكرُه مجموعةٌ تزعمُ قدرتَها على ذلك»[1].

وتصلُ «الإيكونومست» إلى ما تريدُ أن تصلَ إليه منذ البداية وهو «أن الإسلام لا يزالُ يعيشُ في عصر الأوليجاركية (أي حكم الأقلية)، وأنه لا يزالُ يؤمنُ باليقين الثابت»[2].

◻ وتقول: «باختصارٍ، على الإسلام أن يعملَ على إصلاحِ نفسِه لكي يتحرَّك نحو عالَم الديمقراطية»[3].

* **ميشيل هولبيك:**

«ميشيل هولبيك» كاتب فرنسي، كَتَب رواية «بلاتفورم»، وكلُّها إساءةٌ إلى الإسلام، وفي حديثٍ صحفي مع مجلة «ليز» الأدبية قال: «إن الإسلامَ أكثرُ الأديان غباءً، وإن قراءةَ القرآنِ تبعثُ على المَلل».. ولا أحدَ يعرفُ ما هي مناسبةُ مثل هذا الكلام إلاَّ أن يكون مساهَمةً في الحرب على الإسلام[4].

(١) المصدر السابق (ص١٣٦).
(٢) المصدر السابق (ص١٣٧ـ١٣٨).
(٣) المصدر السابق (ص١٤٠).
(٤) المصدر السابق (ص١٧٧، ٢٠٠ـ٢٠١).

❏ وعندما رَفعت أربعُ مؤسساتٍ إسلاميةٍ في فرنسا دعوىٰ أمامَ المحكمة، وانضمَّت إليها رابطةُ حقوقِ الإنسان الفرنسية، وأَعلنت أن تصريحاتِ «هولبيك» تُعبِّرُ عن «إسلاموفوبيا» - أي الخوف من الإسلام - وقف الكاتبُ الفرنسيُّ أمام المحكمة ليقول: «إنني لم أُظهِرْ أيَّ ازدراءٍ للمسلمين.. ولكنَّ ازدرائي الشديد للإسلام لم يتغيَّر، وإنني أشعرُ أنَّ القرآنَ أقلُّ منزلةً من الإنجيل من الناحية الأدبية، فالإنجيلُ له أكثر من كاتبٍ بعضُهم جيِّد وبعضُهم رديءٌ، أما القرآنُ فله كاتبٌ واحدٌ وأسلوبُه متوسط.

وقد فاز «هولبيك» بجائزة «إمباك»، وهي أكبرُ جائزةٍ أدبية في فرنسا.

❏ وكتب في روايته «بلاتفورم» علىٰ لسانِ بَطل الرواية: «إنني أشعرُ برِعشةِ سَعادةٍ في كلِّ مرةٍ أسمعُ فيها بمقتلِ إرهابيٍّ فلسطيني».

* المستشرق الصهيوني برنارد لويس:

❏ المستشرق الأمريكي الصهيوني «برنارد لويس» - هو من أعمدة المشيرين علىٰ صانعِ القرارِ الأمريكي -، يقول في كتابه الذي أصدره بعد «قارعة سبتمبر» بعنوان «ما هو الخطأ في العلاقة بين الإسلام والغرب؟»: «إن إرهابَ اليوم هو جزءٌ من كفاحٍ طويلٍ بين الإسلامِ والغرب.. فالنظامُ الأخلاقيُّ الذي يَستندُ إليه الإسلامُ مختلفٌ عمَّا هو في الحضارة اليهودية/ المسيحية - [الغربية] - وآياتُ القرآن تَصدُقُ علىٰ ممارسةِ العنفِ ضدَّ غيرِ المسلمين.. وهذا الحربُ هي حربٌ بين الأديان»!![1].

---

(١) صحيفة «الأهرام» في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م، نقلاً عن مقال «زخاري كاربيل» في «النيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م.

وكتاب برنارد لويس «جذور الهياج الإسلامي» وكتاب صمويل هنتنجتون «صراع الحضارات» لهما من التأثير الخاصِّ والكبيرِ في العالم الغربي وتكوينِ فكره نحوَ الإسلام.

لقد كان «برنارد لويس» هو الذي قَدَّم الصورةَ التي صَدَمت الغربَ عن الإسلام والمسلمين في كتابه «الأصولية الإسلامية» باعتبارِهم أصوليين مقاتِلين خَطِرين، وكان هذا الكتابُ في أصلِه محاضرةً ألقاها «برنارد لويس» لعام ١٩٩٠ باسم «محاضرة جيفرسون»، وهي أعلىٰ شرفٍ تُسبِغُه حكومة الولايات المتحدة علىٰ أي باحثٍ تقديراً لمكانتِه التي وَصل إليها في مجالِ الدراساتِ الإنسانية، ثم نُشرت بعد ذلك منقَّحةً تحتَ عنوان «جذور الهياج الإسلامي» ونُشرت كموضوعٍ رئيسيٍّ في مجلة «أتلانتك» الشهرية، وبسبب مكانةِ «برنارد لويس» الدولية كباحثٍ وخبيرٍ في شؤون الشرق الأوسط، فقد كان لهذا المقالِ ردُّ فعلٍ واسع، وكان له تأثيرٌ عالمي في الفهم الغربي للإسلام.

ومع عنوان المقال نَشرت مجلة «أتلانتك» صورةَ مسلمٍ معمَّمٍ بلحيةٍ كبيرة، وفي عينية المتوهجتيْن أعلامُ أمريكية، وداخلَ المجلة نَشرت رسمًا يُصوِّرُ حيَّةً ضخمةً وعليها نجومُ العَلَمِ الأمريكيِّ وهي تزحفُ علىٰ الصحراء، ورَسْمًا آخرَ لنفسِ الحية وهي كامنةٌ وراءَ مسلمٍ يؤدِّي الصلاة، والمسلمُ في هذه الرسوم يَظهرُ وكأنه يَعيشُ في العصورِ الوسطىٰ، وقد علَّق علىٰ المقال والرسوم «جون اسبوزيتو» فقال: «إن عنوان «جذور الهياج الإسلامي» في ذاته يَخلُقُ توجُّسًا، فهل نَرىٰ مقالاتٍ تتحدثُ عن الغضبِ المسيحي أو الغضبِ اليهودي؟.. ولماذا الإصرارُ علىٰ تسميةِ القدرات

النووية الباكستانية «القنبلة الإسلامية»، وليس «القنبلة الباكستانية» كما يقال: «القنبلة الهندية»، وليس «القنبلة الهندوسية»، ويقال: «القنبلة الإسرائيلية»، ولا يقال: «القنبلة اليهودية»، وكما يقال: «القنبلة الأمريكية»، ولا يقال: «القنبلة المسيحية»؟..».

◻ يقول «برنارد لويس»: «إن الصراعَ بين الإسلام والغربِ استمرَّ حتىٰ الآن علىٰ مدىٰ أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزمان، وقد جاء تكوينُه من سلسلةٍ طويلةٍ من الهَجمات والهجمـات المضـادة.. الجهـاد.. والحملات الصليبية.. والغزو.. واليوم فإنَّ معظمَ العالَمِ الإسلاميِّ تسيطرُ عليه مرةً أخرىٰ حالةُ استياءٍ عنيفةٍ ضدَّ الغرب، وفجأة صارت أمريكا العدوَّ الأكبر، وتجسيدًا للشر الذي يُهدِّدُ المسلمين ويهدِّدُ الإسلام.. لماذا؟».

ويعلق «جون اسبوزيتو» علىٰ ذلك بأنه بسبب تصوير الإسلامِ والمسلمين في صورةِ المحرِّضين طوالَ أربعةَ عَشَر قرنًا.. أي أن الإسلامَ عدواني.. والإسلامُ والمسلمون مسؤولون عن الهجمات، بينما الغربُ دفاعيٌّ يردُّ هجماتٍ مضادة.

◻ ويوردُ «اسبوزيتو» عبارةً لمعلِّقٍ إسرائيليٍّ يقول فيها: «لا يُهمُّ كيف كانت الشيوعية سيئةً، فإنها لم تكن أبدًا خُطوةً للعودة إلىٰ العصور الوسطىٰ، أما ما يَصعبُ علينا تصوُّرُه هو كيف ستتمكنُ ديمقراطياتُ القرنِ الحادي والعشرين من العيشِ في سلامٍ مع قوَىٰ عَقدت العزم علىٰ أن تُبرهِنَ أن الألفَ سَنَةِ الأخيرةِ لم تحدث وهو يقصد الإسلام والمسلمين»[1].

---

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٩٠ - ١٩١).

* **كلير هولينجسورث:**

▢ يقول «اسبوزيتو»: «إن الصحافةَ البريطانية «التايمز، والديلي تلجراف، وسبكتاتور» عَكست الخوفَ من الإسلام «إسلاموفوبيا»، وكتبت «كلير هولينجسورث»: «إن الأصوليةَ الإسلاميةَ أصبحت بسرعةِ التهديد الرئيسيِّ للسلام والأمن العالمي، كما تحوَّلت بالإرهاب إلىٰ سَببٍ من أسبابِ الاضطرابِ الوطنيِّ والمَحَلي، وهي مثلُ التهديدِ الذي شكَّلته النازيةُ والفاشيةُ في ثَلاثيناتِ القرن العشرين، ثم الشيوعية في الخمسينات»[١] .

* **مجلة «دير شبيجل» الألمانية:**

▢ مجلة «دير شبيجل الألمانية» التي كَتبت بعد تفكك يوغسلافيا والحرب علىٰ المسلمين في البوسنة: «سرعانَ ما سيكون في أوروبا دولةٌ دينية «ثيوقراطية» متعصِّبةٌ جائمةٌ علىٰ أعتابها».

▢ وكتبت أيضًا: «في الشرق الأوسط ـ علىٰ وجه الخصوص ـ، وهو المركز والمَهدُ للإسلام، يُمثِّلُ الملتحون المتطرِّفون دائمًا صورةَ مقاتلٍ تتحددُ ملامحُه بالجهادِ والتضحيةِ بالدمِ والتعصبِ والعنفِ وعدمِ التسامح وقهر المرأة»[٢] .

* **وفي فرنسا:**

وفي فرنسا، فإن النزعةَ تُجاهَ المسلمين تتحدَّدُ باعتبارِهم قومًا معادِين للتقدُّمِ من أهل العنف، ويمكن شرحُ ذلك من خلالِ أصولِ دينِهم، فإنه دينٌ

(١، ٢) المصدر السابق (ص١٩٢).

يدعو إلى الحربِ، متعطِّشٌ للغزو، ومليءٌ بالاحتقارِ لغيرِ المسلمين.

وعندما احتلَّت فرنسا الجزائر (١٣٤٦هـ-١٨٣٠م) لم تُنْسِها علمانيتُها المتوحشةُ الحقدَ النصرانيَّ الصليبيَّ على الإسلام والمسلمين، فاعتَبرت انتصارَها هذا انتصاراً للمسيحية على الإسلام، وسَجَّل رفاعة الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠هـ/ ١٨٠١-١٨٧٣م) هذه الحقيقة - وكان شاهد عيان عليها يومئذ بباريس - فقال: «إن المُطران الكبير (بباريس) لما سَمِع بأخذِ الجزائر، ودخل الملك «شارل العاشر» (١٨٢٤-١٨٣٠م) الكنيسةَ يشكرُ اللَّهَ على ذلك، جاء إليه المُطرانُ ليهنئَه على هذه النصرة، فقال: إنه يَحمدُ اللَّهَ على كَونِ المِلَّةِ المسيحيةِ انتَصرت نُصرةً عظيمةً على المِلَّةِ الإسلامية، ولا زالت كذلك»[1].

◻ وعندما احتَفل الفرنسيون - العلمانيون - بمرور مئةِ عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام؟! لقد خطب أحد كبار ساستهم فقال: «إننا لن ننتصرَ على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآنَ، ويتكلَّمون العربيةَ، فيجبُ أن نُزيلَ القرآنَ من وجودهم، وأن نقتلعَ العربيةَ من ألسنتهم».

◻ وخَطَب سياسيٌّ آخر، فقال: «لا تظنوا أن هذه المهرجاناتِ من أجلِ بُلوغنا مئةَ سَنةٍ في هذا الوطن، فلقد أقام الرومانُ قَبلنا فيه ثلاثةَ قرون، ومع

---

(١) «الأعمال الكاملة» لرفاعة الطهطاوي (٢/ ٢١٩) - دراسة وتحقيق د. محمد عمارة - طبعة بيروت ١٩٧٣م.

ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزىٰ هذه المهرجاناتِ هو تشييعُ جِنازةِ الإسلام بهذه الديار..».

☐ وخَطب أحد كرادلة الكنيسة الفرنسية، فقال: «إن عهدَ الهلالِ في الجزائر قد غَبَر، وإن عهدَ الصليب قد بدأ، وإنه سيستمرُّ إلىٰ الأبد.. وإنَّ علينا أن نجعلَ أرضَ الجزائر مَهْدًا لدولةٍ مسيحيةٍ مضاءةٍ أرجاؤها بنورِ مدنيةٍ منبعُ وحيها الإنجيل..»[1].

وفي استفتاءٍ تبيَّن أن ثلاثةً من بين كلِّ أربعةِ فرنسيين تَمَّ سؤالُهم يَرَون أن كلمةَ «متعصِّب» تنطبق تمامًا علىٰ الإسلام، وقضيةُ مَنعِ التلميذات من لُبس الحجاب تمثِّلُ الفجوةَ التي تتسعُ باستمرارٍ بين المجتمعِ الفرنسي والأقلية المسلمة، وبعد ثلاثةَ عَشَر قرنًا تقريبًا من تصدِّي «شارل مارتل» للغزو الإسلامي لفرنسا عند مدينة بواتييه، فإنَّ معركة «بواتييه» الجديدة تتضمنُ في طياتِها الشكَّ المتصاعِد والعداوةَ تُجاهَ الدينِ الإسلامي في أوروبا.

☐ ويقول «اسبوزيتو»: «إن مخاوفَ الغربيين يُعبِّرون عنها بقولهم: لقد كان المهاجرون الذين وفدوا إلينا من قَبلُ أوروبيين، أما هؤلاء فليسوا كذلك.. البنات يُبدين الإصرارَ علىٰ ارتداءِ الحجاب في مدارسنا، فهن لسنَ فِرنسياتٍ، ولا يُرِدْنَ أن يكن كذلك.. إن ماضي أوربا أبيض، ويهودي ـ مسيحي، أما المستقبلُ، فليس كذلك، وهناك شك في أن مؤسساتِنا وهياكلَنا القديمةَ سوف تصمدُ لهذه الضغوط».

وأقوالٌ أخرىٰ كثيرةٌ يتقبسُها «اسبوزيتو» مثل: «بينما استطاعت أوروبا

(١) «الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ» للدكتور محمد عمارة (ص٤٢).

أن تتغلبَ على الحربِ الباردة، فإنها تُخاطرُ الآن بخَلقِ نزاعاتٍ جديدةً باعتبارها القلعةَ البيضاءَ المسيحيةَ الغنيةَ التي تُصارعُ ضدَّ عالمٍ إسلاميٍّ شديدِ الفقر».

*** لوبن الصليبي الفرنسي المتطرف:**

وعندما بدأ إنشاءُ الجامع الكبير في باريس ظهرت مخاوفُ، ووَجَد مقاومةً شديدةً من السلطات الفرنسية، وقيل: إنه سيكونُ مكانًا لتفريخ المتطرفين، انسياقًا وراءَ الفكرةِ السائدةِ بأن المسلمين متطرِّفون، وأنَّ كلَّ مسجدٍ هو مكانٌ لتفريخ المتطرفين، وأعلن حزب «الجبهة الوطنية» اليمينية المتطرفة التي يقودها «لوبن» - وهو حزب يُعادي الإسلامَ والمسلمين والمهاجرين - وزعيمُه يُعلنُ بكلٍّ وضوح أنه عندما يَصِلُ إلى الحُكم فسوف يَطردُ كلَّ «الأجانب» من فرنسا لتبقى فرنسا للفرنسيين فقط. وفي حَملته الانتخابية حين كان «لوبن» مرشَّحًا للرئاسة ومنافسًا للرئيس «چاك شيراك» أعلن عِداءَه الصريحَ لكلِّ ما يَمُتُّ للإسلام بصِلَةٍ، وكاد يُفوزُ بالرئاسة، وحَصَل على أصواتٍ جَعَلَتْه يدخلُ انتخاباتِ الإعادة بينه وبين «شيراك»، مما يدلُّ على القوةِ التي وَصَل إليها التيارُ المحافِظُ المُعادي للأجانبِ وللإسلامِ والمسلمين حتى في فرنسا بلدِ الحرية والإخاء والمساواة»[1].

*** «الإسلاموفوبيا»:**

في تقرير لجنة «رينميبر» البريطانية بعنوان «الإسلامو فوبيا» قالت: «إن الخطابَ النابعَ من الخوفِ من الإسلام صاخبٌ أحيانًا، وغالبًا ما يكونُ

(١) «صناعة العداء للإسلام» (ص١٩٢، ١٩٣).

محمَّلاً بالرموز هو جزءٌ من نسيجِ الحياةِ اليوميةِ في بريطانيا، بنفس الروح التي كان عليها خطابُ معاداةِ الساميةِ، يؤخَذُ كأمرٍ مُسلَّمٍ به في فترةٍ سابقةٍ من القرن العشرين»[(١)] .

وها هو «توني بلير» رئيس وزراء إنجلترا يُعلن في ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـ أي بعد ستةِ أيام من «قارعة سبتمبر» ـ أن هذه الحربَ التي أعلنها الغربُ علىٰ الإسلام: «هي حربُ المدنية والحضارة [في الغرب] ضد البربرية [في الشرق]» .

☐ ومارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة تقول عن الذين: «يرفضون القيم الغربية بأنهم أعداءُ أمريكا وأعداؤنا، وتدعو الغرب إلىٰ معاملتهم كما عامل الشيوعية»!! .

*** چون اسبوزيتو المفكِّر والباحث الأمريكي:**

يَعُدُّونه أكثرَ الباحثين الأمريكيين إنصافًا للإسلام وفهمًا له، إلاَّ أنَّ صورةَ الإسلام ـ كما تنعكسُ في كتاباته ـ مليئةٌ بالتشويه، وهو يدَّعي أن الإسلامَ إذا وَصَل إلىٰ السلطة لا يعرفُ إلاَّ الحكمَ الدكتاتوريَّ، ولا يَسمحُ باختلافٍ أو معارضةٍ سياسية؛ لأن الحاكمَ يحكمُ بالشريعة، أي أنه يحكمُ بما أَنزل اللَّهُ، وأيةُ معارضةٍ ستكونُ معارضةً للَّه، ولن تكون للأقلياتِ حرية، ولن تجدَ المرأةُ إلاَّ المكانةَ المنحطَّةَ التي وَضَعَتْها فيها حكومةُ «طالبان» في أفغانستان .

---

(١) المصدر السابق (ص١٩٢)، وصحيفة «الشرق الأوسط» في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٣م، و«الغرب والإسلام» (ص٨٥).

☐ ويقول «اسبوزيتو» أكثر من ذلك: «إن المسلمين يستسهلون الحديثَ عن التسامح وحقوقِ الإنسان في الإسلام، ولا يمارسونها في الواقع، والمسلمون يقولون: إن هناك فرقًا بين تعاليمِ الإسلام وما يفعلُه بعضُ المسلمين، وهذا نوعٌ من التضليل؛ لأن ما يفعلُه هؤلاء، البعضُ يستندون فيه إلىٰ النصوصِ المقدَّسة، والمسلمون يقولون: إنهم يَعترفون بالأديانِ السابقة عليهم، وهذا غيرُ صحيحٍ، بدليل أنهم يَعتبرون دينَهم قد نَسخ الأديانَ الأخرىٰ، بينما يؤمنُ المسيحيون بأنهم أصحابُ الوحي الأخيرِ والكامل، وأن المسيحَ عندهم ابنُ الربِّ وليس نبيًّا، وأن لديهم تكليفًا عالميًّا بتحويلِ العالَم إلىٰ المسيحية، وبعضُ المسلمين مِثلُ بعض المسيحيين، واليهودُ غيرُ متسامحين قولاً وفعلاً، وبعضُ المسلمين والمسيحيين تَفرضُ عليهم مواقعُهم الدينيةُ نوعًا من الجُمود الديني، وشعوراً بأنهم وحدَهم علىٰ الحق، والآخرون علىٰ الباطل، وهم يؤكِّدون علىٰ صحَّةِ ديانتهم، يُرحِّبون بالحِوارِ مع المؤمنين الآخَرين عندما يُدرِكون حقائقَ العالَمِ المعاصرِ الذي يقومُ علىٰ التعددية والاعتمادِ المتبادل، وبدون إعادةِ تفسيرِ الشريعةِ الإسلامية التي تَعتبرُ الأقلياتِ غيرَ المسلمةِ من أهلِ الذمة».

ويؤكِّد «اسبوزيتو» مِثلَ جميعِ الباحثين في الغرب أن أيةَ دولةٍ إسلاميةٍ تقومُ علىٰ أيديولوجيةٍ دينيةٍ لن تكونَ دولةً ديمقراطية، وفي أحسنِ الفروضِ ستكونُ الديمقراطيةُ فيها محدودةً.

كلُّ هذا و«جون اسبوزيتو» يُعتبر دارسًا موضوعيًّا ومُنصِفًا للإسلام!!.

إذا كان هذا رأيَ أكثرِ الباحثين الأمريكيين فهمًا للإسلام وإنصافًا له، فماذا ننتظرُ ممن لم يَدرِسوه ولم يفهموه؟ وهل فكَّرت جهةٌ إسلاميةٌ في

دعوتِه وأمثالِه إلىٰ حوارٍ لتصحيحِ هذه المفاهيمِ الظالمةِ للإسلامِ والمسلمين؟ . . وهل فكَّرت جهةٌ في تكوينِ جماعاتٍ من المفكِّرين والمُثقَّفين الدارِسين للإسلام والمتابِعين للتيارات المعاديةِ له في الغرب والمدركين لطبيعةِ عصرِ العولمة الذي أصبح مستعداً لإعلان الحربِ علىٰ كلِّ مَن يختلفُ مع القيم والمفاهيم السياسية والاقتصادية التي جاءت مع العولمة؟! .

ماذا فعلنا . . وماذا يجبُ أن نفعل لإقناعِ العالَم بأن الإسلامَ دينُ الناسِ الطيِّبينِ، وليس دينَ الشياطينِ والأشرارِ المخرِّبين[1] .

* هيستيريا العَداء للإسلام ورسوله ﷺ في أمريكا :

والهجومُ علىٰ الإسلام ليس وليدَ تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، ولكنه قبلَ ذلك بعشراتِ السنين، وقد عبَّرت عن ذلك صحيفةُ «هيرالد تريبيون» الأمريكية في عدد ٤ يناير ١٩٩٥م في مقالٍ بعنوان: «إن اعتقاد واشنطن بكسب صداقة الإسلاميين وَهمٌ ساذج»، قالت فيه: «إن الإسلام مِثل جميعِ السلفيات الدينية الأخرىٰ، كلُّها تتسمُ بالدكتاتورية بطبيعتها، وقد يكونُ من السهلِ رَسمُ صورةٍ كاريكاتورية للبحث عن «معتدلين» إسلاميين، وإن تبديدَ المفهومِ عن الانتصارِ الإسلاميِّ المحتومِ يجبُ أن يُمثِّلَ الهدفَ الرئيسي لأيةِ استراتيجيةٍ أمريكية» .

◻ وقالت الصحيفة في المقال الذي كتبه «بيترو رودمان»: «إن عَداءَ المسلمين للغرب يرجعُ إلىٰ الانحطاطِ الثقافيِّ والفسادِ، وهما نِتاجُ العقيدةِ الإسلاميةِ ذاتِها، ويَرَون أن أمريكا القوةُ العظمىٰ الوحيدة، فهي تُجسِّدُ كلَّ

(١) المصدر السابق (ص١٩٦ ـ ١٩٧).

ما يكرهونه ويزدرُونه، والصحوةُ الإسلاميةُ هدفُها محاربةُ الحكوماتِ العربيةِ المعتدلةِ المواليةِ للغرب، وسَذاجةُ واشنطن أنها تصوَّرت أن في إمكانها كَسْبَ صداقةِ الإسلاميين لتغييرِ موقفهم من سياساتِ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ومن الممكن أن تكون عمليةُ السلام العربيةِ الإسرائيلية هي الضحيةَ، إذ يَعتبرُها الإسلاميون خيانةً».

☐ وقال كاتب المقال: «في النهاية لابد من التسليم بأن التيارَ الإسلاميَّ في أيِّ مكانٍ يُمثِّلُ ضرراً بالغًا للشعوبِ المتحضِّرةِ وللذين يَقِفون على خطوطِ المواجهةِ لمقاومةِ هذا التيار».

☐ وقد كتبت «تيريزا واتنابي» تقريراً لوكالة «لوس أنجلوس تايمز» الأمريكية نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٢ قالت فيه: «إن تعاملَ بعضِ الأمريكيين مع المسلمين يتَّسمُ بالقسوة».

وقد نُشر خلال عام ٢٠٠٢ وحده أكثرُ من عشرين كتابًا عن «الخطر الإسلامي» وأكثرُ الكتب بيعًا في أمريكا كتاب «الإرهابيون بين ظهرانينا» من تأليف «ستيفن أميرسون» وكتاب «الإسلام المقاتل يصل إلى أمريكا» تأليف «دانيال بابيس»، وقد أَصدر قادةُ طوائف إنجليكانية بياناتٍ تَزعمُ أن الإسلامَ دينٌ شرير، وتَدُلُّ الاستطلاعاتُ على أن الأمريكيين صاروا أقلَّ قبولاً للإسلام أو رضًا عنه، وفي استطلاعٍ أَجْرَتْه صحيفةُ «لوس أنجلوس تايمز» قال ٣٧٪ من الأمريكيين: «إن انطباعهم عن الإسلام سلبي»[١].

---

(١) المصدر السابق (ص٢١٠-٢١١).

* **القس سام دوجلاس:**

قَسٌّ المنطقة التي تُسمَّىٰ «حزام الإنجيل» في أمريكا، وتَشملُ أماكنَ مِثلَ «جرينفيل وتكساس»، حيث تتزايدُ كثافةُ المَعْمَدانيين، ويَظهرُ التأثيرُ القويُّ للكنيسة المعمدانية.

◻ يقول القسُّ «سام دوجلاس» عن الإسلام: «إنه دَرَس الإسلامَ عندما كان قسِّيسًا في الجامعة، والدينُ الإسلامي لا يَحترمُ قيمةَ الحياة الإنسانية، ويُمثِّلُ تهديدًا لكلِّ مَن يُمكنُ أن يُوصفَ بأنه «كافر» أي أنَّ كلَّ مَن ليس مسلمًا معرَّض للخطر علىٰ أيدي المسلمين».

◻ وقال في ختام كلمته: «إنه يُحبُّ المسلمين، ولكنه لا يُحبُّ ديانتَهم»[1].

* **المسلمون يَعبُدون اللَّهَ وڤينوس إلاهةَ الحُبِّ!!!:**

يضربُ المستشرق الألماني «جيرنوت روتر» في كتابه «الإسلام العدوُّ الوهمي الجديد للغرب» مثالَين علىٰ جَهلِ الغربيِّين في القرون الوسطىٰ بحقيقة الإسلام، فقال:

المثـــالُ الأول: إنَّ مؤلـف «ملحمة رولاند»[2] «Rolandslied» يجعلُ

---

(١) المصدر السابق (ص٢١١-٢١٢).

(٢) ملحمة رولاند Chanson de Roland يعود تاريخُ كتابتها إلىٰ فترة ما بين سنة ١١٠٠م وسنة ١١٢٥مْ. وتتكونُ من أكثرَ من أربعةِ آلاف بيتٍ من الشعر البطولي باللغة الفرنسية القديمة، تُصورُ هذه الملحمةُ فَناءَ مؤخرةِ الجيش الجرماني الغربي علىٰ يد المسلمين في ممر رونسفال، ثم انتقام شارلمان من المسلمين، وتدور أحداثُ هذه الملحمة حول المعركة البطولية التي سَقط فيها الشريف الألماني «رولاند»، أحد فرسان شارلمان، وفي سنة ١١٣٥ قام القسيس «كونراد» بنقل هذه الملحمةِ إلىٰ اللغة الألمانية الوسيطة، حيث أصبحت تعرف بـRolandslied.

العربَ يَعبدون محمداً ﷺ وأبوللو، وتيرفاجانت».

فالثالوث المسيحي كان حقيقةً بديهيةً في عقولِ الغربيِّين إلىٰ الحدِّ الذي جعلهم يتَّهمون المسلمين به أيضًا، كذلك فإنَّ عبادةَ محمدٍ ﷺ، كمؤسِّسِ دين، علىٰ التوازي مع عبادة المسيح، هي نقلٌ خاطئٌ تمامًا للتصورات الذاتية.

المثال الثاني: يتمثَّلُ في تُهمةٍ أخرىٰ محبَّبة، كانت تقول: إن المسلمين يعبدون ـ بجانب اللَّه ـ «ڤينوس Venus» ـ إلاهة الحب عند الرومان ـ، ومما استند إليه أصحابُ هذا الزعم قولُهم بأن المسلمين قد رفعوا من شأنِ يوم الجمعة، وجَعلوه أفضلَ أيامِ الأسبوع، وأن يوم الجمعة (dies veneis - vendredi,venerdi)[1] قد كان في القرون الوسطىٰ اللاتينية هو يومُ ڤينوس Venus ـ إلاهة الحب عند الرومان ـ، بينما كان يومُ الأحد (domenica dies, dimanche)[2] هو يومُ الإله»[3].

* دجَّالُ القرون الوسطى الألماني «ايمبريخو»:

☐ يقول المستشرق الألماني «جيرنوت روتر»: «بجانب عدوانيةِ الإسلام، تحتلُّ مكانةُ المرأة في المجتمعات الإسلامية مقامًا متميزًا في برنامج

---

(١) يوم الجمعة باللغة اللاتينية Veneris dies ـ وبالفرنسية vendredi ـ وبالإيطالية venerdi ـ يعني يوم إلاهة الحب فينوس.

(٢) يوم الأحد باللغة اللاتينية dominica dies ـ وبالفرنسية dimanche ـ وبالإيطالية - do men ice ـ يعني يوم الإله.

(٣) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٤٢ ـ ٤٣).

الغرب الخاص بصورةِ العدوِّ الوهمي، وهذه أيضًا فكرةٌ نمطيةٌ ثابتة «Topos» تعودُ جذورُها إلىٰ القرون الوسطىٰ، بَيْدَ أن بعضَ مظاهرِها قد تغيَّر كليةً في تلك الأثناء، فقد نَتَج عن التصوراتِ الإسلاميةِ الخاصةِ بالجنة ـ وما فيها من حُورٍ عين ذواتِ البكارة الأبدية، وكثرة زوجاتِ النبي، والحق الشرعي لكل مسلم في الزواج من أربع نساء ـ، إن القرون الوسطىٰ المسيحية صوَّرت الإسلامَ علىٰ أنه الوليدُ الشهواني للشيطان، ومحمد علىٰ أنه وحشٌ جنسيٌّ آثم.

وهكذا كَتب في نهاية القرن الحادي عشر رئيسُ كاتدرائية مدينة «ماينتس Mainz» في ألمانيا «ايمبريخو Embricho»، يقول: «إن المسلمين يحتفلون بجميع أشكالِ الزواج التي تُحرِّمها الشريعةُ الإلهية، ولأنهم جرَّدوكِ ـ أيتها الطبيعة ـ من حقوقك غصبًا، تسعىٰ المرأةُ إلىٰ ممارسةِ السِّحاق مع نظيرتها، ويمارسُ الرجلُ اللواط مع مثيله، بل ـ وخلافًا للتقاليد ـ يُجامعُ الشقيقُ شقيقتَه، ولا تُمانعُ الأختُ المتزوجةُ أن يباضعَها أخوها الشيطان، الأبناء يَهتِكون عِرْضَ أُمِّهم، والبنت تَغتصبُ أباها، وكلُّ ما هو محبَّبٌ علىٰ هذا المِنوال، كانت الشريعةُ الجديدة (الإسلام) تُحلِّله».

نظرًا لِمثلِ هذه الكتابات السطحية الوضيعة، لا يستطيعُ المَرءُ أن يتخلَّصَ من الإحساسِ بأن هؤلاءالكُتَّابَ قد أرادوا إشباعَ تخيُّلاتِهم الجِنسيةَ الشاذَةَ من ناحية، وسَعَوا من ناحيةٍ أخرىٰ إلىٰ صَرفِ الأنظار عن أوضاعٍ معينةٍ موجودةٍ بالفعل في الغرب المسيحي، بما في ذلك الأديرة المسيحية، أو أنهم أرادوا توجيهَ الموعظةِ إلىٰ الآثمين في المجتمعاتِ الغربية، وبالرغم من أن الإسلام لم يَعُد يَتصدَّرُ تصوُّراتِنا العَدائيةَ كمركزٍ للدعارة الجنسية

والفجور في المقام الأول، إلاَّ أن لَفظَ «حريم Harem» مازال يلعبُ دوراً محدوداً في هذا السياق، وكونُ نظامِ الزوجةِ الواحدةِ هو القاعدة، وتعدُّد الزوجات هو الاستثناء في العالَم الإسلامي، فهذه حقيقةٌ لم تتمكنْ من التقليل من هذه الأفكارِ الخاطئة، تماماً مثلما لم تُقلِّلِ الإباحيةُ الجنسيةُ الموجودةُ بالفعل في الغرب من تلك التصوراتِ المشوَّهةِ عن الإسلام، وبالرغم من ذلك فلم يَعُدْ موضوعُ «تعدد الزوجات» هو أهمُّ النقاطِ التي يُهاجمُها الغرب، إذ احتلَّ مكانَه الفكرةُ النمطيةُ الثابتة «Topos» الخاصةُ باضطهاد المرأةِ في المجتمعات الإسلامية.

إن الرواجَ المنقطعَ النظيرَ الذي حقَّقه كتاب «بيتي محمودي Betty Mahmoody» وفيلمها «ليس بدون ابنتي»[1] (Nicht ohne meine Tochter) - يُرينا على أيِّ تربةٍ مُخصِبةٍ بالأوهامِ وقع ذلك العملُ الدنيءُ المشحونُ بالأقوال العنصرية»[2].

* ثالوث الفساد وتشويه صورة الإسلام في ألمانيا:

(شول لاتور) و(جيرهارد كونسلمان)، و(بسام طيبي):

اتفق العلماءُ على أنَّ فِرسانَ تشويهِ صورة العرب وتلطيخِ سُمعةِ

(١) رواية «ليس بدون ابنتي» كتبتها المسلمة الأمريكية الجنسية «بيتي محمود» التي ارتدَّت عن الإسلام، وهذه الرواية لعبت دوراً كبيراً في تشوية مكانة المرأة في الإسلام، والإساءة إلى الإسلام بشكل عام، وقد بيع من الترجمة الألمانية لهذه الرواية ثلاثةُ ملايين نسخة، والرواية تحكي مأساة زواجٍ فاشلٍ بين مؤلفةِ الرواية ومسلمٍ إيراني، وعامةُ الغربيِّين يعمِّمون أحداثَ هذه الرواية.

(٢) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (٥١ ـ ٥٢).

الإسلام في ألمانيا هم ثالوث الفساد: الصحفي الألماني «بيترشول لاتور»، وزميله «جيرهارد كونسلمان»، وثالثهم هو المهاجر السوري «بسام طيبي» كبير خبراء شتم العرب ولعن الإسلام[1] .

□ وذهب الدجَّال الدكتور «بسَّام طيبي»، أستاذُ العلاقات الدولية بجامعة «جوتنجن» إلىٰ صياغةِ مصطلح «الإسلام الأوربي»، ويعني التزاوجَ بين الإسلام والقيمِ السياسيةِ الغربية مثل: التعددية والتسامح، وفصل الدين عن الدولة، والمجتمع المدني، والديمقراطية، وحقوق وحرية الفرد، ويردد «طيبي» أن أمام المسلمين خيارَينِ لا ثالثَ لهما، إما الإسلامُ الأوربي، وإما الانغلاقُ والانعزالُ عن المجتمع[2] .

* **جُوسلين سيزاري:**

□ قالت في مقالٍ لها: «إن الإسلام هو دين الشيطان».

* **القائد الأعلى السابق لقوات حلف الأطلنطي جون كلفان:**

□ قال القائدُ الأعلىٰ السابق لقوات حِلف الأطلنطي «جون كلفان» بصراحةٍ ووضوح، ودون التفاف وراءَ عباراتٍ وكلماتٍ مراوغة، وأعلن في محاضرةٍ ألقاها في عام «١٩٩١»: «لقد عَرف هذا القرنُ أطولَ مجابهةٍ بين الغرب والإسلام منذ أكثر من ألفِ سنة، امتَدَّت من الحروب الصليبية

---

(١) راجع الدراسة الممتازة التي قامت بها الباحثة دورتيه يولكه تحت عنوان «ثلاثة في قارب واحد: التطرف الإسلامي عند جيتر جول لاتور وجيرهارد كونسلمان وبسام طيبي».

(٢) «صناعة العداء» (ص٢١٢)، وهامش (ص٤٧) من «صورة الإسلام في التراث الغربي».

حتىٰ العصر الحديث. . وبعدَ أن انتَصر الغربُ في الحربِ الباردة، ها هو ذا الصراعُ يعودُ إلىٰ المحورِ الرئيسي، وهو المواجهةُ بين الغربِ والإسلام، والسؤالُ هو: هل سيستعيدُ التاريخُ العسكريُّ الغربيُّ مِحورَه الرئيسيَّ الصحيح، أي المجابهةَ مع الإسلام، بعدَ أن انشَغل عنه منذ هزيمةِ الجيشِ التركيِّ علىٰ أبوابِ «ڤيينا» عام ١٦٨٣؟ هل سيُسلِّطُ «سيفُ الإسلام» الحربَ ضد أوروبا مدجَّجًا هذه المرةَ بأسلحةٍ حديثة، قد تكونُ منها القنبلة النووية الإسلامية؟!»[١].

□ ويُضيفُ الباحث الألماني «هاينس ديترفنتر» إلىٰ أقوالِ قائدِ قواتِ حِلفِ الأطلنطي السابق أنه من الصعبِ التغاضي عن أقوالِ «كلفان» الذي يتهمُ أكثرَ مِن مليارِ مسلمٍ في العالم بأنهم أعداءُ محتَمَلين للغرب، وهذا الرأيُ يَلقىٰ انتشاراً في التفكير السياسي الغربي، فبعدَ عامين من إعلانِ قادةِ حِلفِ «الناتو» عن أن «العدو هو الإسلام» ظهرت نظريةُ «صموئيل هنتنجتون» عن صراعِ الحضارات، وقال فيها: «إن الصراعَ القائمَ في السياسةِ الدولية ـ بعدَ انتهاء الحربِ الباردة ـ هو صراعٌ بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرىٰ وأولها الإسلام».

ولا شك أن مواقفَ «هنتنجتون وكلفان» وغيرِهما لها انعكاساتٌ سلبيةٌ علىٰ علاقةِ الغربِ بالعالَم العربي والإسلامي، وتشجِّعُ التفكيرَ العدائيَّ ضدَّ الإسلام في الغرب، وتجعلُ العقلَ الغربيَّ يَرىٰ أن الإسلامَ هو الإرهابُ والأعمالُ المتطرفةُ للمجموعات الإسلامية[٢].

(١) «صناعة العداء» (ص٢١٦).
(٢) المصدر السابق (ص٢١٨ـ ٢١٩).

لقد كان الاستقبالُ الإيجابيُّ لنظرية «هنتنجتون» مدير المعهد الشهير للدراسات الاستراتيجية بجامعة «هارفاد». . لقد كان هذا الاستقبالُ الإعلاميُّ مخيفًا حقًّا، مما يُثبتُ أن حرب الحضاراتِ التي تنبَّأ بها كانت قد بدأت بالفعل في عقول الغربيين من قبلٍ أن يُعلِنَ «هنتنجتون» نظريتَه، كما يقول المستشرق الألماني «جيرنوت روتر» في دراسةٍ له عن «الإسلام والغرب الجاران المتخاصمان»[(١)] .

◻ ويقول المستشرق الألماني «جيرنوت روتر»: «إنه إذا كان الغربيون قد استَمتعوا في ذلك الوقت - أي في القرون الوُسطىٰ - بتصويرِ محمدٍ كوحشٍ شيطانيٍّ مخيف، وبالروايات التي تَصِفُ المسلمين وهو يُقطِّعون أطرافَ الصليبيين وهم أحياء، ويَنزِعون أحشاءَهم من أجسامهم، فقد احتلَّ مكانَها اليومَ كُتُبٌ مثل «سيف اللَّه» و«سيف الإسلام» و«السيف الأخضر». . إلخ. . ويأتي دائمًا الحديثُ عن «مشاعر الجماهير الإسلامية التي لا يمكنُ التنبؤُ بها». . علىٰ حدِّ تعبير الصحفي الألماني «شول لاتور. .».

* الكاتب الألماني كارل ماي:

كلَّما كثر الدجَّلُ والكَذِبُ علىٰ الإسلام والمسلمين، كلما ازداد إقبالُ الغربيين علىٰ المؤلَّف.

◻ قال المستشرق الألماني: «وأحسَنُ دليلٍ علىٰ ذلك هو نجاحُ أعمالِ الكاتب الشعبي «كارل ماي» Karl May (١٨٤٢ - ١٩١٢م)[(٢)] الذي طَبع

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢٩).

(٢) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٤٧).

صورةَ الشرقِ لدىٰ أجيالٍ بُرمَّتها من الناطقين بالألمانية، وفي صورةِ الشرق هذه إذا غَضَضْنا النظرَ عن بعضِ الشخصياتِ الغربية والساذجة ـ يَظهرُ المسلمون بالذات كأشخاصٍ محتالين، وحشيِّين، متجهِّمين، ينتصرُ عليهم «كارا بن نيمسي Kara Ben Nemsi» المجاهدُ في سبيل المسيح، ويَظهرُ عند «كارل ماي» إحساسُ الأوروبيين بالتفوق الذي كان في تزايدٍ مستمرٍّ منذ دخول نابليون مصر علىٰ أبعدِ تقدير. . وفضلاً عن ذلك يعتقدُ الأوروبيون في هذا السياق أنهم مُلزَمون بالقيام بمهمةٍ حضاريةٍ تُجاهَ الشرق»(١) .

*** النفي للإسلام على يد الدَّجالَيْنِ: خالد أكشة وطارق متري:**

كنائسُ الغرب التي خانت نصرانيَّتها مارست النفيَ للإسلام بالمجازرِ والمقابر الجماعية علىٰ أرضِ البلقان والشيشان، كما تمارسُه اليهوديةُ متحالفةً مع الصليبية الغربية علىٰ أرض فلسطين.

هذه الكنائسُ لا تستحي عندما تُعلِنُ هذا النفيَ للإسلام، حتىٰ في المؤتمرات التي «تحاور» فيها رموزَ الإسلام، في عُقرِ دار الإسلام!! . . ففي مؤتمر «الحوار الإسلامي ـ المسيحي»، والذي عُقِد بالقاهرة بدعوةٍ من «المنتدىٰ العالمي للحوار» بجُدَّة، ومؤتمر «العالم الإسلامي». . والذي انعقدت جلساتُه في فندق «شيراتون هليوبوليس» في ٢٨ ـ ٢٩ أكتوبر سنة ٢٠٠١م، رفض ممثِّلُ الفاتيكان، نائبُ الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان، القَسُّ «خالد أكشة»، وممثِّلُ «مجلس الكنائس العالمي» الدكتور «طارق متري». . رفضَا التوقيعَ علىٰ البيانِ الختاميِّ للمؤتمر؛ لأنه

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٥٨).

وَضَعَ الإسلامَ - مع اليهودية والنصرانية - تحت وصفِ «الأديان السماوية الربانيَّة»، وقالا: «إنَّ وَصْفَ الإسلام كدينٍ سماويٍّ وربانيٍّ، لا يزالُ محلَّ خلافٍ لم يُحْسَم بَعْدُ»!!.

❑ ولقد علَّق الدكتور «يوسف القرضاوي» - وكان مشاركًا مع شيخ الأزهر في هذا المؤتمر - على هذا الموقفِ، فقال: «إنني أستغربُ من توجُّسِ بعضِ رجالِ الدين المسيحيِّ من وصفِ الإسلام بالربَّانية والسماوية.. وإذا كان الفاتيكانُ والكنائسُ العالمية لا تعترفُ بالإسلام كدينٍ سماويٍّ، فلماذا نجتمعُ إذن؟! وإذا لم يُقِرَّ رجالُ الدينِ المسيحي والفاتيكان بأن الإسلامَ دينٌ ربَّاني، فلا داعيَ من اللقاء والحوار»[1].

❑ هكذا «رمتني بدائها وانسلَّت».. أفبَعْدَ تحريفِهم لدينِهم لا يعترفون بالدينِ الذي ارتضاه للبشرية.. وأين.. على أرض الإسلام؟!!!..

مَن يَهـن يَسْهُلِ الهوانُ عليـه ... ما لِجُـرْحٍ بميِّـتٍ إيـلامُ

❑ يقول المستشرق الفرنسي «جان بيرك» [١٩١٠ - ١٩٩٥م]: «إن الإسلامَ الذي هو آخرُ الدياناتِ السماويةِ الثلاث، والذي يَدينُ به أكثرُ من مليارِ نَسَمةٍ في العالم، والذي هو قريبٌ من الغرب جغرافيًّا، وتاريخيًّا، وحتى من ناحيةِ القيم والمفاهيم.. قد ظلَّ ويَظَلُّ حتى هذه الساعةِ، بالنسبة للغرب: ابنَ العمِّ المجهول، والأخَ المرفوض.. والمنكورَ الأبديَّ.. والمُبعَدَ الأبدي.. والمُتَّهَمَ الأبدي.. والمشتبَهَ فيه الأبدي»[2].

---

(١) صحيفة «الأسبوع» - القاهرة في ٥/ ١١/ ٢٠٠١م، وصحيفة «العالم الإسلامي» - مكة في ١٦/ ١١/ ٢٠٠١م، وصحيفة «عقيدتي» - القاهرة في ٦/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) من حديث جان بيرك في ٢٧/ ٦/ ١٩٩٥. انظر «العرب والإسلام في نظر المستشرق =

هم يريدون إطفاءَ النورِ الذي أتىٰ به محمدٌ ﷺ إلىٰ الناسِ كافةً. . يُريدون طيَّ صفحتِه من الوجود. . واللَّهُ متمٌّ نورِه ولو كَرِه الكافرون.

لقد سَعىٰ هذا الغربُ النصرانيُّ برعايةِ ودعمِ العلمانيةِ الغربيةِ للكنائسِ الغربية! سَعِىٰ إلىٰ تنصيرِ المسلمين في ديارهم.

☐ فجاء في «بروتوكولات قساوسة التنصير»، الذين اجتمعوا في مؤتمر «كولورادو» بأمريكا مايو سنة ١٩٧٨ : «إن الإسلامَ هو الدينُ الوحيدُ الذي تُناقضُ مصادرُه الأصليةُ أُسسَ النصرانيَّة. . والنظامُ الإسلاميُّ هو أكثرُ النظُمِ الدينيَّةِ المتناسِقة اجتماعيًّا وسياسيًّا. . ونحن بحاجةٍ إلىٰ مئاتِ المراكز لفَهم الإسلام، ولاختراقِه في صدقٍ ودهاء. . ولذلك لا يوجدُ لدينا أمرٌ أكثرُ أهميةً وأَوْلَويَّةً من موضوع تنصير المسلمين»[1] .

☐ بل ويُسفِرون في هذا المؤتمر عن وَجهِهم القبيح، فيقولون: «إنَّ بياناتِ مجلسِ الكنائس العالمي ليس بديلاً عن تحويل غير النصارىٰ إلىٰ النصرانيَّة، وهذه البياناتُ ـ «عن حرية الاقناع والاقتناع» ـ لا تَلزَمُ المجلس!!! . . فالحوارُ ـ عند مجلسِ الكنائس العالمي ـ ليس بديلاً عن تحويلِ غيرِ النصارىٰ إلىٰ النصرانية. . وهذه البياناتُ ـ عن حرية الاقناعِ والاقتناع ـ لا تعني تخلِّي المجلسِ عن مواقِفِه المناصِرة «للجهود القسرية والواعيةِ والمتعمَّدة والتكتيكية لجذب الناسِ من مجتمعٍ دينيٍّ ما إلىٰ آخر»!!![2] .

= الفرنسي جان بيرك»، صحيفة «الشرق الأوسط» ـ لندن في ١/ ١١/ ٢٠٠٠م.

(١) «التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي» (ص٤٥٢، ٢٢، ٢٣) ـ وهو وثائق مؤتمر «كلو رادو» الطبعة العربية ـ مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطة سنة ١٩٩١م.

(٢) المصدر السابق (ص٧٧٠).

◘ ويقولون: «إنه بينما يُوافقُ المُنَصِّرون على أن التحوُّلَ لدينٍ آخَرَ لا يجبُ ولا يُمكنُ أن يتمَّ بالقوَّة، فإنهم مازالوا يَشعرون أيضًا بأننا ينبغي «أن نجبرَهم على الدخولِ في النصرانية»[1].

* الرئيسُ الأمريكيُّ السابق ريتشارد نيكسون:

الرئيسُ السابق لأمريكا «ريتشارد نيكسون» مفكرٌ استراتيجيٌّ من غُلاة النصارى المتهوِّدين، دعا اتحاد الغرب «الأمريكي.. والأوروبي.. والروسي» لمواجهةِ البَعثِ الإسلاميِّ الذي يقودُه «الأصوليون الإسلاميون» الذين هم - كما يقول -: «مصمِّمون على استرجاعِ الحضارةِ الإسلاميةِ السابقة، عن طريقِ بَعثِ الماضي، ويَهدفون إلى تطبيقِ الشريعةِ الإسلامية، ويُنادُون بأن الإسلامَ دينٌ ودولة، وعلى الرَّغم من أنهم ينظُرون إلى الماضي فإنهم يتَّخذون منه هدايةً للمستقبل، فهم ليسوا محافِظين، ولكنهم ثُوَّار»![2].

يدعو «نيكسون» الغربَ إلى «تحديد الخيار الذي تختارُه الشعوب المسلمة»!! ليكونَ نموذجَ «تركيا العلمانية المنحازة نحو الغرب، والساعيةِ إلى ربط المسلمين بالغرب سياسيًّا واقتصاديًّا.. وذلك حفاظًا على مصالحِ الغربِ في الشرق.. لأن أكثَر ما يُهمُّنا في الشرق الأوسطِ هو «النِّفْط وإسرائيل».. وإنَّ التزامَنا نحوَ إسرائيل عميق جدًّا، فنحن لسنا مجرَّد

(١) المصدر السابق (ص٧٧٠).
(٢) «الفرصة السانحة» لنيكسون (ص١٤٠).

حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضِنا بأكثرَ مما يعنيه الوَرَق! نحن مرتبطون معهم ارتباطًا أخلاقيًّا . . ولن يستطيعَ أيُّ رئيسٍ أمريكيٍّ أو كونجرس أن يسمحَ بتدميرِ إسرائيل»!.

◻ فما يريدُه «نيكسون» هو «الإسلام الأمريكي أو الأوربي»، لا الإسلام الذي أنزله اللَّهُ على قلبِ سيِّد البشر ﷺ: «إن الإسلامَ الذي يريدُه الأمريكان حلفاؤهم في الشرق ليس هو الإسلامَ الذي يُقاومُ الاستعمار، وليس هو الإسلامَ الذي يُقاومُ الطغيان، ولكنه فقط الإسلامُ الذي يُقاومُ الشيوعية، إنهم لا يريدون للإسلام أن يَحكم، ولا يُطيقون من الإسلام أن يَحكم؛ لأن الإسلامَ حين يَحكم سيُنشِّئ الشعوبَ نشأةً أخرى، وسيُعلِّم الشعوبَ أن إعدادَ القوةِ فريضة، وأن طَرْدَ المستعمرِ فريضة، وأنَّ الشيوعية - كالاستعمار - وباءٌ، فكلاهما عدوٌّ، وكلاهما اعتداء . . الأمريكان وحلفاؤهم إذن يُريدون للشرق «إسلامًا أمريكانيًّا»، يجوزُ أن يُستَفتَىٰ في مَنع الحمل، ويجوز أن يُستفتىٰ في دخول المرأة البرلمان، ويجوزُ أن يُستفتىٰ في نواقضِ الوضوءِ، ولكنَّه لا يُستفتَىٰ أبدًا في أوضاعنا السياسيةِ والقومية وفيما يربطُنا بالاستعمارِ مِن صِلات، فالحُكم بالإسلام، والتشريعُ بالإسلام، والانتصارُ للإسلامَ لا يجوزُ أن يَمَسَّها قلم، ولا حديث، ولا استفتاء»[1] في الإسلام الأمريكاني!!!

---

(١) من كتاب «أمريكا من الداخل» لسيد قطب نقلاً عن مقال «سيد قطب والسلام الأمريكاني» للدكتور جابر قميحة - صحيفة «آفاق عربية» - القاهرة في ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠١م - انظر «مجلة الرسالة» سنة ١٩٥١ .

◘ ولقد أفصح «نيكسون» عن الموقف الأمريكي والغربيّ الذي اتَّخذ الإسلامَ والمسلمينَ عدُوًّا، عندما قال: «إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظُرون إلىٰ كلِّ المسلمين كأعداء.. ويتصوَّرُ كثيرٌ من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوبٌ غيرُ متحضِّرة، ودَمَوِيُّون، وغيرُ منطقِيِّين.. وليس هناك صورةٌ أسوأُ من هذه الصورة ـ حتىٰ بالنسبة للصين الشيوعية ـ في ذهن وضمير المواطنِ الأمريكي عن العالم الإسلامي.. ويُحذِّرُ بعضُ المُراقبين من أن الإسلامَ والغربَ متضادَّان.. وأن الإسلام سوف يُصبحُ قوةً جيبوليتيكية متطرِّفةً.. وأنه مع التزايُدِ السُّكاني والإمكانيَّاتِ الماديَّةِ المُتاحة، سوف يؤلِّفُ المسلمون مخاطرَ كبيرةً.. وأنهم يُوحِّدون صفوفَهم للقيام بثورةٍ ضدَّ الغرب.. وسوف يَضطرُّ الغربُ إلىٰ أن يتَّحدَ مع موسكو ليواجهَ الخَطَرَ العُدوانيَّ للعالَم الإسلامي»[1].

هذا قاله «نيكسون» إبَّان «شهر العسل» بين أمريكا والغرب وبين كلِّ الحركات والدول الإسلامية إبَّانَ الجهادِ ضدَّ الشيوعية في أفغانستان.. فكيف يكون القولُ بعد «قارعة سبتمبر ٢٠٠١م»؟!.

* چون كالڤن السكرتير العام السابق لحلف شمال الأطلسي:

◘ قال «چون كالڤن» السكرتير العام السابق لحِلفِ شمال الأطلسي ـ بعد هدم جدار برلين ـ ما ترجمته: «لقد كَسَبْنا الحربَ الباردة بين الشرق والغرب، ولكنَّ هناك خلافًا قديمًا سوف يتجدَّدُ (إنْ عاجلاً وإن عاجلاً) بيننا

(١) «الفرصة السانحة» لريتشارد نيكسون ترجمة أحمد صدقي مراد (ص٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩) ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

وبين الإسلام، ولا ندري مَن الذي سيكسبُ المعركة»[1] .

* **مايكل سالا :**

من أساتذةِ الجامعة الأمريكية في واشنطن، ذَكَر أن العلاقاتِ بين السياسةِ الخارجية الغربية والإسلامِ سوف تكونُ علاقاتٍ عِدائيَّةً استئصاليَّةً علىٰ غِرارِ الاستراتيجيَّةِ التي اتَّبعتها الرأسماليةُ مع الشيوعية حتىٰ أسقطت الاتحادَ السوڤيتيَّ السابق حيث إنه لا يَرىٰ أن هناك إسلامًا متطرِّفًا وآخَرَ معتدِلاً، فالفرقُ بينهما عنده في التكتيك ـ لا أكثر ـ، ومِن ثَمَّ فإنه يَرىٰ ـ ومعه مدرسةٌ كبيرةٌ من غلاة الغرب ـ ضرورةَ دَعمِ الحكومات التي تقومُ علىٰ قمعِ الحركات الإسلامية لِمَا لتلك الحركاتِ من خطرٍ علىٰ الحضارةِ الغربية ـ حَسْبَ زعمِهِ المريض ـ[2] .

* **حَمْلاتٌ مسعورةٌ على الإسلام ورسوله ﷺ في الغرب :**

يتزعَّمْ هذه الحملاتِ المسعورةَ نَفَرٌ من غلاةِ الصهاينة من أمثال برنارد لويس، وهنري كيسنجر، وبريجنسكي مستشار الأمن الأمريكي السابق، وجوزيف هوفمان، وجوديث ميللر، ودانيال بايبسي وغيرهم .

* **«الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة» أو «المسلمون خلف الحصار الغربي»، لجراهام فوللر، وإيان ليسر :**

هذا الكتابُ من أخطر الكتب التي صدرت، تحت عنوان «شعور بالحصار . . السياسة بين الإسلام والغرب علىٰ أرض الواقع»، والمقصودُ

(١) «الإسلام والغرب في كتابات الغربيين» (ص٢٣) للدكتور زغلول النجار ـ نهضة مصر .
(٢) المصدر السابق (ص٢٣).

بهذا العنوان: «المسلمون خَلفَ الحِصار الغربي» لمؤلِّفَيْه «جراهام فوللر» ـ النائب السابق لرئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي ـ، وزميله «إيان لِسر»، وكلاهما يَعملُ في مؤسسةٍ تابعةٍ لمؤسسة «أرويو»، والكتابُ ثمرةُ مشروعٍ استكشافيٍّ أشرفَ عليه المؤلِّفانِ ضمنَ برنامج «الاستراتيچية والعقيدة» الذي أعدَّته مؤسسة «راند»، وقد صدر الكتابُ أيضًا تحت رعاية «المركز الأعلىٰ لدراسات المشرق العربي»، وهو مركزٌ تابعٌ لمؤسسة «راند»، وتم نشرُ الكتاب في كلٍّ من بولدر ـ كولورادو ـ وسان فرانسيسكو ـ وكاليفورنيا ـ أكسفورد ـ وإنجلترا في سنة ١٩٩٥، وقام «مركز الأهرام للترجمة والنشر» بترجمة الكتاب إلىٰ العربية ونَشْرِه في القاهرة في سنة ١٩٩٧م، وقام بترجمته الأستاذ «شوقي جلال» تحت عنوان «الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة».

❑ ذكر الكاتبان تحت عنوان «الإسلام كبدعةٍ مسيحية» ما ترجمتُه:

«وهكذا فإنَّ نظرةَ الإسلام إلىٰ المسيحية هي أنه ـ بَعْدَ أن قدَّم يسوعُ المسيحُ إلىٰ العالَم بتعاليمَ جديدةٍ مهمةٍ أوحىٰ بها اللَّهُ إليه ـ انحرف المسيحيون عن رسالته، واتخذوا الرسولَ المرسَلَ إليهم إلهًا يعبدونه من دون اللَّه ذاتِه، وواقعُ الحالِ أنه باستثناءِ الزعم أنَّ يسوعَ المسيح ابنُ اللَّه، وباستثناءِ الرواية عن قيامه، نجدُ أجزاءَ كثيرةً من التاريخ المسيحيِّ واليهوديِّ هي في صُلبِ الإسلام تمامًا، ذلك أن المسلمين يَرَوْن كُلاً من موسىٰ وعيسىٰ نبيَّين من أنبياءِ اللَّه مِثلَ عددٍ كبير من أنبياءِ العهد القديم؛ ومعنىٰ ذلك أن هناك مساحةً واسعةً من الاتفاقِ مع وجودِ بعضِ الخلاف، وإن كان من الصعب فَهْمُ مُبرِّراتِ أن يؤدِّيَ ذلك الخلافُ إلىٰ صدامٍ حضاريٍّ علىٰ أساسٍ من العقيدةِ

الدينية وحدَها»[١] .

□ يقول الدكتور «زغلول النجار» ـ حفظه اللَّه ـ: «ونَسِيَ الكاتبانِ أن التشابُهَ في القَصَصِ الدينيِّ بين القرانِ والعهْدَيْن القديم والجديد يُرَدُّ إلىٰ أنَّ أصلَ كلِّ الكُتُبِ السماويةِ واحد، ومصدرَها واحد وهو اللَّهُ الواحدُ الأحدُ الفَرْدُ الصمد، الذي أَرسلَ الأنبياءَ والمرسلين وأنزل الدينَ علىٰ فترةٍ من الرسل. . وبدلاً من الإيمان بهده الحقيقة المنطقيَّة المُوَثَّقةِ توثيقًا دقيقًا، لجأ الغربُ إلىٰ إنكارِ بَعثةِ المصطفىٰ ﷺ، وإلىٰ نَشرِ الادعاءِ الباطل بأن هذا النبيَّ والرسولَ الخاتَمَ ﷺ قد نَقل أفكارَه الدينيةَ عن كُلٍّ من التوراة والإنجيل!»[٢] .

*** الدجَّال أنيس شورش. . مُسيلِمة الغرب، وكتابُه «الفرقان» أو «القرآن الأمريكي» أضحوكة القرن الحادي والعشرين:**

الدجَّالُ «أنيس سورس ـ أو شورشَ» هو أيرلندي، تخصَّص في الطبِّ النفسي، وحَصَل علىٰ الأستاذية من الجامعاتِ الأمريكية، وتخصَّص بعدَها في الدراساتِ الإنجيلية، وأُمُّه أردنية، وأبوه فلسطيني، وهو عربيٌّ يهوديٌّ، فكلمة «شورش» هي كلمةٌ عبرية تعني «الجواز»، وقد اعتَنق أجدادُه النصرانيةَ منذ خمسةِ قرونٍ ماضية.

هاجر «أنيس شورش» إلىٰ الأردن، وواصل دراستَه بجامعةِ «ميسيسبي Mississippi colleg»، وقبل حصولهِ علىٰ الدكتوراة دَرَس في جامعة Orleans Baptist new theological seminary، حَصَل علىٰ الدكتوراة

---

(١) «الإسلام والغرب في كتابات الغربيين» (ص٥٤ ـ ٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥٥).

مرَّتين من جامعة America Institute of Seminary Ministry Dayton Tennes-see ، وجامعةِ International Luther Rice، وكان يعملُ في الأرض المحتلَّةِ مع اليهود، ومِن ذلك عَمَلُه في كنيسة «أورشليم بابتس» في القدس المحتلَّة، كما كان يعملُ في Judea وفي Samaria من سنة ١٩٥٩ إلى ١٩٦٦م.

عَمِل كقسيسٍ لمدة (٤٠) سنةً ما بين إسرائيل وأمريكا، وعَمِل مُنَصِّرًا في بلدان إفريقيا: كينيا، كيبتاون، ودوربان، جوهانسبرغ.. وفي التسعينات وفي سنة ١٩٩٥م عمل في نيوزيلندا.. ثم انتقل إلى إنجلترا.. ثم إلى البرتغال.

❑ ناظره الشيخ «أحمد ديدات» ـ رحمه اللَّه ـ مرتين:

المرة الأولى: سنة (١٩٨٠) في لندن والموضوع: «هل عيسى إله؟».. حضر المناظرة (٥٠٠٠) شخص.

المرة الثانية: في برمنجهام، والموضوع: «القرآن والإنجيل: أيهما كلام اللَّه؟».. وحضرها (١٢٠٠٠) نفر(١).

❑ وفي مناظرته مع «ديدات» وقف «شورش»، وقال لديدات: «أنا أستطيعُ أن آتيَ بمثلِ القرآن»، فقال له «ديدات»: «لم يَستطعْ أجدادكُ أن يأتوا بسورةٍ مِن مِثله خلالَ أربعةَ عَشَرَ قرنًا، وأنت تستطيع؟!» قال: «نعم» قال: «وأنا أتحدَّاك».

❑ وانتهت الفترةُ المحددةُ لديدات في تمام الخامسة إلاَّ خمسِ دقائق

---

(١) «القرآن الأمريكي أضحوكة القرن الحادي والعشرون» (ص٥٥ ـ ٥٦) لمحمد السيد عبده ـ دار الرضوان و«أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» (ص٣٥) ـ كتاب المختار.

مساءً ليقفَ «شورش» بملابسه العربية ليُحيِّيَ الحاضرينَ باللغةِ العربية قائلاً: «أُحيِّيكم باسمِ يسوع المسيح، ابنِ بلدي الناصرة، مُخلِّصي. .».

ويبدأ «شورش» هجومَه على القرآن خلالَ تِسعينَ دقيقةً كاملة، يقرأُ من أوراقٍ مُعدَّةٍ سابقًا، وخالطًا بين ما يَنتهجُه المسلمون في بعضِ بلدان المسلمين وبين ما يُقرُّه الإسلام، منتقدًا لتعدُّدِ الزوجات، ومبالغةِ القرآن في بعض القصص، وزاعمًا بأن القرآنَ يَشملُ آياتٍ عديدةً مأخوذةً من مُعلَّقات «امرؤ القيس»! بالإضافة إلى وجودِ كلماتٍ مع سَبعِ لغاتٍ أجنبيةٍ في القرآن، وكذلك بعضُ الأخطاء النحوية!!.

والحقيقةُ أن «شورش» لم يأتِ بجديد، فكلُّ مزاعِمِه قد ردَّدها إخوانُه من عشرات - بل ومئات - السنين، ووَجدت من المسلمين الردَّ الكافي والشافي عليها، وهو - كما يزعُم - قد عكَف على دراسةِ القرآن سنين، وخرج بهذه الاستنتاجات، وقد أثار «شورش» جمهورَ الحاضرين بقراءاتِه الخاطئةِ لآياتِ القرآنِ على نحوٍ يُساعدُ اتجاهاتِه الضالَّةَ في تفسيرها.

وأنهى «شورش» حديثَه في السادسة وخمسٍ وعشرين دقيقة، ووقف «ديدات» - الرجل المُسِنُّ - كالطَّودِ الشامخ، بِعزَّةٍ من اللَّه العظيم - ثم بتأييدِ من المسلمين الحاضرين -، وقف دون أن يَبُلَّ ريقَه برشفةِ ماء، في الوقت الذي كان فيه الدكتور الشاب «أنيس شورش» يشربُ كأسًا من الماء، يَبُلُّ به «ريقه الناشف» كلَّ بِضعِ دقائق. . وقف «ديدات» لِيدحضَ ضلالاتِ «شورس» ويفضحَ أخطاءَه في تفسير الآيات حَسْبَ مِزاجِه، وبما لا يتمشَّى مع قواعدِ اللغة العربية التي يدَّعي معرفتها، وأكَّد «ديدات» على تحدِّيه

لشورش على أن يأتيَ بمثالٍ واحدٍ مما زَعَم أنه مأخوذٌ في القرآن من الأناجيل، فلم يردَّ.

وانتهت خمسَ عَشْرةَ دقيقةً ممتعةً أخرىٰ، ضَجَّت فيها القاعةُ الكبرىٰ بالتكبير والتهليل، وليبدأَ دَورُ الأسئلة، ولكنَّ شورش ـ بعد حديثٍ هامسٍ مع مديرِ اللقاء ـ طَلَب خَمْسَ عشرةَ دقيقٍ أخرىٰ للردِّ علىٰ ديدات، فسَمَح له ـ علىٰ أن يَمنح ديدات نفس الفرصة ـ.

وبدأت جولةٌ أخرىٰ، لم يأتِ فيها شورش بجديد سوىٰ أنه دعا المسلمينَ إلىٰ قراءةِ الإنجيل بتمعُّنٍ، دون تحكيمِ العواطف.

أما «ديدات»، فقد سَخِر من شورش الذي أضاع الوقتَ في مهاجماتٍ متواليةٍ وسريعةٍ تحتاجُ إلىٰ مناقشةٍ لكلِّ نقطةٍ فيها، بينما لم يردَّ شورش علىٰ قضيةٍ واحدةٍ من قضايا التناقضات التي أشار إليها «ديدات» في الأناجيل، وخلالَ هذه الجولة القصيرة ردَّ «ديدات» علىٰ بعضِ مزاعم شورش، فقال له: «لقد هاجمتَ تعدُّدَ الزوجات في الوقت الذي جاء فيه ذلك في القرآنِ مشروطًا بالعدل، وأنت أشرتَ إلىٰ صَدرِ الآيةِ فقط، ولم تُشِرْ إلىٰ باقيها.. كما أن تعدُّدَ الزوجاتِ جاء ليَحُلَّ مشاكلكم أنتم في أمريكا وأوروبا؛ وإلاَّ.. كيف تَجِدُ حلاً لِمَا يَقرُبُ من سبعةِ ملايينَ امرأةً زيادةً علىٰ عددِ الرجال في أمريكا؟ وكيف تَجِدُ حلاً لآلافِ «الموسات» في إنجلترا؟ أتحدَّاك أن تَجِدَ حلاً لهذه القضايا في بلادكم.. الإسلام جاء لكم بالحل، وهو أن يتزوَّج الرجلُ أكثَرَ من امرأةٍ، بشرطِ أن يُحقِّق العدلَ بين زوجاتِه».

أما عن زَعمِ «شورش» بأن الإسلام قد انتَشر بحدِّ السيف ـ في الوقت

الذي تقول فيه الآية: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ـ وهذه فِريةٌ قديمةٌ وَجَدَتْ لها الردَّ الكافي على يَدَيْ كثيرٍ من المسلمين ـ، فقال له «ديدات»: «هناك ما يَقرُبُ من ١٥ مليون مسيحي يَعيشون في وَسَطِ المسلمين بالعالَم العربي، لماذا لم يتمَّ إكراهُ هؤلاءِ بالسيف لاعتناقِ الإسلام؟! ولماذا لم يتمَّ إجبارُ أجدادِك في فلسطينَ على اعتناقِ الإسلام بالسيف؟ وعلى مدى ١٤٠٠عام مَنْ مِنَ المسلمين أجبَرَ مسيحيًّا على اعتناقِ الإسلام؟ إنَّ سيفَ الإسلام هو الحِكمةُ والموعظةُ الحسنة التي أَمَرنا اللَّهُ بها»(١).

* **أنيس شورش مؤلِّف «الفرقان» أو «القرآن الأمريكي»:**

◻ رَمَز «أنيس شورش» لنفسه باسم «الصَّفِيِّ والمَهْدِيِّ» وهو يَدَّعي أنَّ وحيًا نزل عليه لأجلِ إصدارِ الكتاب.

وقد صَرَّح باسمِهِ الحقيقيِّ لأوَّلِ مرةٍ في موقع «أمازون» على «الإنترنت» للترويج للكتاب، بعدَ أن كان يتخفَّى ويَرمِزُ لنفسِه باسم «الصَّفِيِّ والمهدي المنتظر».

وقد ألَّف كتابًا بعد المناظَرَتين مع «ديدات» بعنوان: A Christian Islam revealed Arabic`s View Of Islam.، وذَكَر أن هذا الكتابَ يُوضِّحُ للناس أن الإسلامَ يَقتُلُ شخصًا من كلِّ خمسةِ أشخاصٍ في العالَم، وذَكَر فيه مناظرتَه مع الشيخ «ديدات».

◻ اتَّهم الإسلامَ بأنه يتضمَّنُ عقائدَ خاطئةً، وفيه الكثيرُ من الأخطاء، وأنه دينُ الإرهاب، ويدعُو إلى القتالِ وسَفْكِ الدماء، وأن المصدَرَ الأولَ

(١) «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» (ص٣٧ـ٣٨).

لهذا هو القرآن؛ ولذا لا بدَّ للمسلمين أن يستبدِلوا بالقرآن قرآنَه الذي سمَّاه «الفرقان الحق»، وقال عن قرآنه هذا: «قرآني أَجْود، كتبتُه باللغةِ العربيةِ الجيِّدةِ، وتُرجم إلىٰ اللغة الإنجليزية الجيِّدة»[1].

❑ وشورش ـ أو سوروس ـ هذا له باعٌ طويل في مهاجمةِ الإسلام والمسلمين، فعلىٰ سبيل المثال: بعد يومين من أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١م) قام بإلقاءِ محاضرةٍ حاقدةٍ في جامعة «هيوستن» في الولايات المتحدة الأمريكية، دعا فيها إلىٰ إبادةِ المسلمين؛ لأن الإسلام ـ دينُ إرهابٍ وسَفكِ دماء ـ علىٰ حدِّ زعمه ـ، وأن القران هو المصدرُ الأولُ للإرهاب، وأنه يجبُ القضاءُ علىٰ هذا القرآنِ للقضاء علىٰ الإرهاب! واقترح علىٰ الحكومة الأمريكية طَرْدَ أيِّ مسلمٍ من أمريكا، وتجميعَ كلِّ المسلمين في منطقةِ «الشرق الأوسط»، ثم إبادتَهم بالقنابل النووية، وطَلَبَ الدعاءَ إلىٰ اللّهِ كلَّ ليلةِ سبت لإزالةِ الإسلام والقرآن!!.

❑ وكانت محاضرتُه في الجامعة في غايةِ العنصرية والحقد، واحتوت علىٰ العديدِ من البذاءات والشتائمِ ضدَّ الإسلام مما اضطَرَّ رئيسُ الجامعة إلىٰ الاعتذارِ عنها في اليوم التالي!!.

❑ قام «شورش» بشراءِ أشهَرِ قناةٍ تلفزيونية في إندونيسيا، وسَلَّم إدارتَها للنصارىٰ الإندونيسيين.

❑ حاولَ أن يكسِبَ الكاتبُ القزمُ تعاطُفَ القُرَّاء حينما يقولُ في مقدِّمة كتابه: «إنَّ والدَه وابنَ عمِّه قد قُتلا جرَّاءَ عمليةِ اجتياحٍ شنَّتها القواتُ

(١) انظر: مجلة Garta رقم ١١٢٥ مايو ٢٠٠٢م.

الإسرائيليةُ على بلدته لأَسَرِ المقاوِمِين، مما جَعَله يهربُ هو وأسرتُه إلى الأردن، وكان ذلك في (يناير عام ١٩٧٦م)»!!.

◻ ويُعرِّفُ «شورش» نفسَه من خلال كلمةٍ خاطَب بها المسلمين باللغة الإنجليزية مفسِّرًا ذلك في عُرفه أن كلمة «I Sincerely Love All Muslims»، أي إنني أُحِبُّ بكلِّ الصدقِ والإخلاصِ كلَّ المسلمين، وأن هذا هو السببُ الحقيقيُّ وراءَ إصدارِ هذا الكتاب الذي يَصِفُه بأنه التتمةُ الهامةُ لكتابه السابق: «كشف حقيقة الإسلام».

◻ كما نَشَر له موقع «Israel - think» الصُّهيونيُّ مقالاً تحتَ عنوان: «الإسلام يستهدفُ أمريكا في مخطَّطٍ يمتدُّ عشرين عامًا»، ويتحدَّثُ فيه عن حقيقةِ تأليفهِ لكتاب «الفرقان الحق»، وكيف أنه جاء ليتحدَّىٰ قرآنَ المسلمين في كلِّ شيء «جوهره، أسلوبه، لغته، ومحتوياته»، كما أنه يَرىٰ أن المسلمين أعدُّوا خُطَّةً بعيدةَ المدىٰ لغزوِ أمريكا مع حُلول عام (٢٠٢٠م)! في الوقت الذي يستغرقُ فيه الأمريكيون في النومِ مثلما فَعلوا عندما هاجمونا مع أحداثِ الحادث عشر من سبتمبر!.

ويُواصِلُ «شورش» التعريفَ بنفسه في هذا المقالِ علىٰ أنه عضوُ هيئةِ التدريس في جامعة «أوكسفورد»، وقام بزيارةِ أكثرَ من (٧٦) دولةً علىٰ مستوىٰ العالَم، وهو كاتبٌ متخصِّصٌ في كشفِ حقيقةِ الإسلام، وتعريتهِ أمامَ المجتمعِ العالمي، ومتحدِّثٌ لَبِقٌ في العديدِ من المحطَّات والقنواتِ التليفزيونية العالمية.

ويَصِفُ «شورش» كتابَه بأنه الكتابُ الذي يتحدَّىٰ القرآنَ في مَقتل، ويُفنِّدُ مزاعمَ المسلمين، وأنه كتابٌ خالدٌ يتحدَّىٰ أيَّ مؤلِّف، وذلك من

خلال الكتابةِ الشعريةِ والنثريةِ والمترجَمةِ للغتين العربية والإنجليزية جنبًا إلى جنب!.

◻ ويُضيفُ قائلاً: «إن المسلمين يزعُمون أن القرآن جاء متحدِّيًا للعالَم كلِّه منذ (١٤٠٠ سنة)، لذلك لم يَستطعْ أحدٌ تأليفَ كتابٍ مشابهٍ له يناسِبُ العصرَ ويَجمعُ ما بين التوراة والإنجيل ويُقدِّمُ تفسيراً معاصراً لكلِّ الأديان الثلاثة، إلاَّ أن الفرقانَ الحقَّ جاء لِيدحضَ هذه المقولة»!!!.

◻ ويُضيف: «لذلك جاء كتابُ «الفرقان الحق» ليكونَ نقطةَ الضعفِ الجديدة للعرب والمسلمين التي يُمكنُ اختراقُهم من خلالها بعد أن نَفَيْنا أسطورةَ قُرآنِهم وتحدِّيه للعالَم منذ (١٤٠٠ سنة)، وليكونَ هذا الكتابُ هو القرآنَ الحقيقيَّ الذي يَشرحُ معانيَ التوراةِ والإنجيلِ ورسالةَ المسيح في الأرض أيضًا».

◻ ويقول: «إن قرآنَ محمدٍ نبيِّ المسلمين استغرق (٢٣) سنةً من الوحي، أمَّا أنا، فلم استغرقْ أكثرَ من (٧) سنوات لإصدارِ القرآن الجديد، ومكتوبٌ باللغتين الإنجليزية والعربية، - وليس العربيةَ فقط -، حيث بدأت العمل به فعليًّا في (عام ١٩٩٩م)»!.

◻ وزَعَم «أن القرآنَ الكريمَ احتَوىٰ علىٰ أكثرَ من (١٠٠) خطأٍ لُغويٍّ في قواعد النحو، أما الفرقانُ الجديد، فليس به أخطاء، كما أن كتابي يحتوِي علىٰ الحقائقِ وليس علىٰ مجرَّدِ نِكاتٍ مثل القرآن»!!.

◻ وبعد أن عرَّفنا هذا الشورش بنفسه، هذا تعريف موجز بالكتاب:

الاسم: الفرقان الحق.

عدد الصفحات: (٣٦٦) صفحة مقاس ١٥X ٢٠ سم.

عدد السور: اشتمل هذا الفرقانُ الباطل على: المقدمة، والبسملة، والخاتمة، ثم (٧٧) ـ سبعًا وسبعين ـ سورة.

أسماء سور «الفرقان»:

كلُّ سورةٍ من سُورِ هذا العَفَنِ تتكوَّنُ من عددٍ من الآيات يتفاوتُ ما بين عددِ أصابعِ اليدِ الواحدةِ أو أصابعِ اليدين والقدمين، لا يَزيدُ عن ذلك، وقد اشتَملت هذه السورُ على موضوعاتٍ تكادُ تكونُ مكرَّرةً في كلِّ سورةٍ بصورةٍ مُملَّة، وهذا جدولٌ بأسماءِ وعددِ آياتِ وأهدافِ سورِ هذا «العفن الأمريكي»:

السورة	آياتها	الموضـــــوع
البسملة	٧	التثليث
الفاتحة	٧	تمجيد للفرقان
المحبة	١٠	الدعوة للاستسلام
النور	٧	تمجيد للفرقان والدعوة للإيمان به
السلام	١٥	انتشار الإسلام بحد السيف ـ التنصير
الإيمان	٨	اتهام المسلمين بتحريف الإنجيل
الحق	١٠	تمجيد الفرقان ـ إنكار الرسالة
التوحيد	١٤	الدعوة للتثليث
المسيح	٢٧	صحة الإنجيل، واتهام المسلمين بالنفاق
الصلب	١٧	إثبات صلب المسيح
الروح	٧	تشويه الاستشهاد والجنة

الفرقان الحق	٢٧	تمجيد الفرقان والإنجيل
الثالوث	٣١	التثليث ـ إنكار أسماء اللّه الحسنى
الموعظة	٧	ترك الجهاد ـ تشويه صورة الرسول
الحواريون	١٤	التنصير ـ تشويه صورة الرسول
الإعجاز	١٣	تشويه صورة الرسول
القدر	١١	تمجيد الفرقان ـ لا نبي بعد عيسى
المارقين	١٥	تشويه صورة المسلمين
الأضحى	١٠	التنصير ـ تشويه الأضاحي
الأساطير	٦	تشويه صورة الرسول والمسلمين
الجنة	١٥	تشويه الجنة
المحرضين	١٦	تشويه صورة الرسول
البهتان	١٢	الإيمان بالإنجيل ـ تشويه صورة الصحابة
اليسر	٧	تشويه الإسلام
الفقراء	٨	سب المسلمين
الوحي	١٨	سب المسلمين ـ تمجيد الفرقان
المؤمنين	٧	تمجيد النصرانية ـ تمجيد الفرقان
التوبة	٧	الإيمان بالإنجيل والفرقان
الصلاح	٨	نفي للولاء والبراء ـ ترك الجهاد
الطهر	١٣	التعدد ـ الطلاق
الغرانيق	١٥	شبهات حول المرأة
العطاء	١٤	القصاص والجهاد ـ الإسلام نُشر بالسيف
النساء	١٦	شبهات حول وضع المرأة في الإسلام
الزواج	٧	تجريم التعدد ـ الطلاق

الطلاق	١٢	الطلاق ـ تشويه صورة الرسول
الزنا	١٣	تعدد الزوجات
المائدة	٥	التنصير
المعجزات	٨	تأييد الفرقان بالمعجزات
المنافقين	١٧	تشويه صورة الإله عز وجل
القتل	١٥	الإسلام نُشر بالسيف
الجزية	١٤	تحريم القتال ـ الجزية
الإفك	١٨	التنصير ـ الإسلام نُشر بالسيف
الضالين	٩	التثليث ـ تشويه الجنة والشهداء
الإخاء	١٥	تشويه تعاليم الإسلام ـ الإيمان بالإنجيل
المهتدين	٨	تشويه الإسلام والمسلمين ـ القصاص
طوبى	١٤	التنصير
الأولياء	١٢	تشويه معنى الشهادة ـ تمجيد الفرقان
اقرأ	١٤	إنكار الأسماء الحسنى تشويه الإسلام
الكافرين	١٢	التنصير ـ تحقير المسلمين
الخاتم	١٤	تشويه المسلمين ـ تمجيد الفرقان
الإصرار	١١	تشويه الإسلام ـ الجنة
التنزيل	٨	تمجيد الفرقان والإنجيل
الصيام	٩	العبادات في الإسلام
الكنز	٦	الإيمان بالإنجيل
الأنبياء	١٨	سب الرسول ، لا نبي بعد عيسى
الماكرين	١٨	تحقير الرسول والمسلمين ـ القصاص
الأمّيّين	١٢	تحقير الرسول والمسلمين

المفترين	٧	تحقير الرسول والإسلام والمسلمين
الصلاة	١٠	تحقير الصلاة والمصلين
الملوك	٨	تشويه صورة الإله ـ الإسلام نُشر بالقوة
الطاغوت	١٢	تشويه الرسول والإسلام ـ القصاص
النسخ	١٤	النسخ في القرآن ـ القرآن غير معجز
الرعاة	٦	تشويه الإسلام والمسلمين
الشهادة	٧	تشويه صورة الرسول
الهدى	١١	تشويه صورة الرسول والمسلمين
الإنجيل	٦	تمجيد الإنجيل ـ تحقير المسلمين
المشركين	٣٠	وجوب عصيان الرسول
الحكم	١٤	تمجيد الإنجيل ـ القصاص
الوعيد	٧	تشويه صورة الرسول والمسلمين
الكبائر	١٥	تشويه الجنة
التحريف	٨	تمجيد الإنجيل والفرقان
العاملين	١٣	الدعوة للردة عن الإسلام
الآلاء	١٠	تحقير تعاليم الإسلام
المحاجة	٨	التنصير
الميزان	١٣	تشويه الإسلام ـ التعدد ـ الطلاق
القبس	٨	التنصير
الأسماء	٢٥	إنكار الأسماء الحسنى
الشهيد	٨	اتهام المسلمين بقتل مؤلف الفرقان

❑ لاحظ أن السور المظللة من أسماء سور القرآن الكريم.

اللغة: طُبع هذا «الهباب» المسمىٰ بـ «الفرقان» باللغة العربية واللغة الإنجليزية، ولعلَّك ـ أيها اللبيب ـ ستُدرِكُ من أولِ وَهلةٍ السرَّ في كَونِ الكتابِ باللغتين العربية والإنجليزية، فالعربيةُ لأن العربَ هم المقصودون من الكتاب؛ ولأن الإنجليزية هي من أهمِّ اللغات العالمية والأكثرُ شيوعًا في العالم، وهي لُغةُ المؤلِّفُ ـ قَبَّحه اللَّه ـ لذا كانت ضِمنَ اللغاتِ التي كُتب بها هذا الكتاب.

دار النشر: كان الجزء الأول من «الفرقان الحق» قد صدر في مطلع هذا العام عن دارين للنشر في أمريكا هما: «وميجا ٢٠٠١ OMEGA»، و «واين بريس PRESS WINE»، الأولىٰ معنىٰ اسمها «المقاومة» لسنة ٢٠٠١، والثانية معنىٰ اسمها «معصرة النبيذ» تمهيدًا لإصدار اثني عَشَر جزءً أخرىٰ كتتمَّةٍ له خلال السنواتِ الخمسِ القادمة.

ثمن الكتاب: ذكرت مجلة «الفرقان» التي تُصدِرُها أسبوعيًّا جميعةُ إحياء التراث الإسلامي بالكويت أن النسخة الواحدة تُباع بما يساوي ٣ دولارات، ويُباع الكتابُ حاليًا في المكتباتِ المختلفةِ في أمريكا وإسرائيل ولندن وبعضِ دول الاتحاد الأوربي، ويُباعُ الكِتابُ «المهزلة» عَبْرَ شبكة الإنترنت بمبلغ (١٩ , ٩٥) دولارًا للنسخة الواحدة، شاملةً تكاليفَ الإرسالِ لأيِّ مكان بالعالم!.

أماكن نشر الكتاب:

إن الأمنيةَ التي يَحلُمُ بها هؤلاء المُرْجِفون هي أن يَدخُلَ هذا الكتابُ بَيتَ كلِّ مسلم؛ بل قَلْبَه وعَقْلَه، ولكن لأنهم يَعلَمون عِلْمَ اليقين أن هذا

الكتابَ لا يَقْبَلُه أيُّ مسلمٍ في العالم، وحتىٰ لا يَصطدموا مع مشاعرِ المسلمين بدؤوا أولاً في عَرضِه في الأماكن الآتية:

- نُشر الكتاب في المكتبات المختلفة في أمريكا بصفتها راعيةَ الحَملةِ علىٰ الإسلام.

- ونُشر الكتاب أيضًا في لندن بصفتها راعيةَ الإرهاب والانحراف، فما موقفُها من سلمان رشدي - مسيلمة القرن العشرين - منكم ببعيد.

- كما تم توزيعُ ونَشرُ الكتابِ في بعضِ دول الاتحاد الأوربي.

- وقد أعطت أمريكا لربيبتها إسرائيل نُسخًا عديدةً من هذا الكتاب.

- وذكرت «مجلة الفرقان» أن هذا الكتاب يوزَّعُ في الكويت علىٰ «المتفوقين» من الطلبة في المدارس الأجنبية الخاصة.. التي أصبحت مرتعًا خِصبًا للمُنصِّرين؛ للتأثير علىٰ فَلَذاتِ أكبادنا، وبَثٌّ ثقافةِ الاستسلام في أذهان الأجيال القادمة من أبنائنا وبناتنا، حتىٰ يَردُّوهم عن دينهم الإسلاميِّ الحنيف، لا سيَّما أن الشبابَ يُمثِّلون طموحَ الأمةِ وقادةَ المستقبل، فها هي أصابعُ التغيير وجهودُ التنصير ومخاطرُ حِقبةِ السلام تتسلَّلُ إلىٰ عقولِ أبنائِنا، وتَعبَثُ بمعتقداتِهم وقِيَمِهم وأفكارِهم، حَربٌ باردةٌ خفيَّةٌ تدورُ علىٰ أبنائنا في ظِلِّ غفلتِنا وانشغالنا بأعباءِ الحياة، وتكالُبِ الأعداء علىٰ أمتنا الإسلامية!.

والسؤال: لماذا اختِيرَت الكويت مقرًّا لهذه العملية؟ وهل الشرفاءُ في الكويت سيسطرُ عليهم الصمتُ والجمودُ وكُتَّابُ الكفر يُوزِّعون أباطيلَهم بأراضيكم؟! إن الأمورَ أخطرُ مما تصوَّرون، فأُمةُ الإسلامِ لا يمكنُ أن تَحنِيَ

رأسَها لحربٍ إعلاميةٍ ولمزيدٍ من الدمار.

والغريبُ أنه تم إعطاءُ السلطةِ الفلسطينية ـ عن طريقِ إسرائيل ـ نُسخًا عديدةً منه تمهيدًا لتدريسه في المدارس الفلسطينية!!.

والسؤال: لماذا فلسطين بالذات؟ وتبدو الإجابةُ سهلةً وبسيطةً عند مُطالعةِ ما جاء في هذا الكتاب الأضحوكةِ، فالكتاب يَخدُمُ الأهدافَ الإسرائيلية، فهو يدعو للاستسلام، والرضا بالأمرِ الواقع، ومقابلةِ الاعتداءِ بالحبِّ والسلام، ويُحذِّرُ من القتالِ والاستشهاد!!.

ويُشيرُ أحدُ التقاريرِ إلىٰ أن الكِتابَ تمَّ توزيعُه علىٰ السفاراتِ العربيةِ والإسلامية في كلٍّ من باريس ولندن وواشنطن، والعديدِ من الهيئات والمنظَّمات الإسلامية والعربية في أوربا بتاريخ (١٧/ ٤/ ٢٠٠٤م).

كما تسلَّمت هيئةُ الإذاعةِ البريطانية (BBC) نُسخًا من الكتابِ بتاريخ (٢٠ إبريل ٢٠٠٤م).

كما أُرسلت نُسَخٌ منه بتاريخ (١٥ مايو ٢٠٠٤م) إلىٰ كلٍّ المجلاَّت والمطبوعات الدوريةِ التي تُطْبع في القدس مترجَمًا إلىٰ كلٍّ من العربية والإنجليزية والعبرية.

كما تسلَّمت بتاريخ ١٧ مايو أيضًا كلُّ المطبوعاتِ والمجلاَّتِ الصادرةِ باللغة العربية في لندن نُسَخًا من الكتاب.

كما يُباع الكتابُ الكارثةُ علىٰ شَبَكةِ المعلومات الدولية «الإنترنت» في العديدِ من المواقع، مِثل موقع «أمازون» الشهير وغيرِه من المواقع، والملاحَظُ أنهم في هذه الفترة لم يَعمَلوا علىٰ تعميمِ الكتاب في البلاد الإسلامية؛

لأنهم يُدرِكون جيِّدًا أن رَدَّ الفعلِ الرسميَّ وغيرَ الرسميِّ سوف يكون قاسيًا، فكانت هذه المرحلةُ مرحلةً تمهيدية، لجسِّ نبضِ الشارع الإسلامي، ولا يَعلمُ ما في غدٍ إلاَّ اللَّه.

* الجهود الأمريكية والصهيونية لنشر هذا الكتاب:

ذَكر «وليد رباح» رئيس تحرير «صوت العروبة» التي تَصُدر في أمريكا، حادثةً جرت له في مَطْلَع هذا العام، تتعلَّقُ بنشرِ ذلك «الفرقان الحق» قائلاً: «قبل أشهُرٍ.. اتَّصل بي أمريكيٌّ يتحدَّثُ اللغةَ بلهجةِ أهلِ «تكساس»، وقال: أنا القسيس «إلياهو»، وأريدُ أن أقابلَك على وجهِ السرعة! قلت له: قسيس؟! كيف تكونُ قسيسًا واسمك يا سيدي «إلياهو»؟ لو قلتَ لي «چورچ، ديفيد، سام» لصدَّقْتك! فقال لي بعدَ أن سمعتُ ضِحكته على الهاتف: إن معي هديةً ثمنيةً لك! فقلت له: على أيِّ حالٍ أنا على استعدادٍ للقائك، أين ومتي؟ قال: في جريدة «صوت العروبة»، قلت: هل تعرفُ المكان؟ قال: أحفظُه عن ظَهرِ قلب!! قلت له: تفضل، وذهبتُ فوراً إلى طاقم الجريدة في قاعة التحرير، وقلتُ لهم مضمونَ ما حدث، وطلبتُ إليهم أن يكونوا على أُهبةِ الاستعداد إن حَدَثَ مكروه، ويبدو أن الرجلَ كان يتحدثُ من هاتِفِه المحمول، فما هي إلاَّ دقائقُ ووجدتُه أمامي، رجلٌ طويلُ القامة أشقرُ الشعر، يَرتدي بدلةً منمَّقةً، ويحملُ بيده شنطةً من نوع «سمسونايت»، وقال لي بلغةٍ مكسَّرةٍ ممطوطة: شلام العليكم، فقلت له: وعليكم السلام، تفضل واجلس، فقال: لا أريدُ أن آخذَ من وقتِك الكثير، ثم فَتَح حقيبتَه، وأخرج منها شيئًا ملفوفًا بورقٍ فضيٍّ

لامع، وقال: تفضلْ هذه هديتي لك، قلت له مازحًا: أمتأكِّدٌ أنت أنها ليست قنبلة؟ فأنا أعرفُ عاداتِكم تمامًا، فضحكَ وقال: بل هي حياةٌ جديدةٌ أَعرِضُها عليك، وقام بفَضِّ الغلافِ الفضِّي، وقَدَّم لي كتابًا قرأتُ عنوانَه بالعربية «الفرقان الحق»، وتركته يتحدَّثُ علىٰ سَجِيَّتِه في الاقتصاد والسياسة والمال والأعمال والحياة التي سأعيشُها لمدةٍ تزيدُ علىٰ نصفِ ساعة دونَ أن أقاطعه، ثم قلتُ له: كم؟ فقال: ماذا تعني؟ قلت له ثانية: كم؟ فضحك وقال: أقصاه واحد، وقلتُ له: بل اثنين، فقال: ليكنْ، فقلت له: ماذا تعني بواحدٍ أو اثنين؟ قال: مليون أو اثنين مليون دولار، قلت: وما شروطُك؟ قال: أن يُنْشَرَ هذا الكتابُ علىٰ حلقاتٍ في «صوت العروبة» شَرْطَ أن تُضاعَفَ الطبعاتُ لمراتٍ عشرٍ علىٰ الأقل.

قلت له: نحن صحيفةٌ صغيرةٌ ومتواضعةٌ، فلماذا لا تَذهبُ إلىٰ الصحف المشهورة والعالمية؟ قال: نحن لا نريد حاليًا إلاَّ الجاليةَ العربيةَ والمسلمةَ في أمريكا، ونحن نعرفُ أن الجاليةَ العربيةَ والإسلاميةَ في أمريكا تقرأُ «صوت العروبة»، ثم تَمَلْمَلَ الرجلُ في جِلسته وقال: لقد أخذتُ من وقتِك الكثير، سوف أَتَّصلُ بك لاحقًا لتعلنَ لي موافقتَك وتُحدِّد ميعاداً للنشر.

ويُضيفُ رئيسُ تحرير «صوت العروبة» قائلاً: غادَرَ الرجل، وفَتحتُ الكتاب، فإذا به باللغتين العربية والإنجليزية معًا: وقرأتُ مقدِّمتَه التي تقول: «إلىٰ الأمة العربية خاصةً . . وإلىٰ العالم الإسلاميِّ عامةً، سلامٌ لكم ورحمةٌ من اللَّه القادرِ علىٰ كلِّ شيء . . يُوجَدُ في أعماقِ النفسِ البشرية أشواقٌ للإيمان الخالصِ والسلامِ الداخليِّ والحرية الروحيةِ والحياةِ الأبدية . .

وإننا نَثِقُ بالإِلهِ الواحِدِ الأوحدِ بأن القُرَّاءَ والمستمِعين سيَجِدون الطريقَ لتلك الأشواق من خلالِ «الفرقانِ الحق». . إنَّ خالقَ البشريةِ يُقدِّمُ هذه البركاتِ السماويةَ لكلِّ إنسانٍ بحاجةٍ إلىٰ النور بدون تمييزٍ لعُنصرِه أو لونِه أو جِنسِه أو لُغتِه أو أصلِه أو أُمَّته أو دِينِه. . فاللَّهُ يهتمُّ كثيراً بكلِّ نَفْسٍ علىٰ هذا الكوكب. . أُوحيَ إلىٰ الصفي. . تَرجم معانية المهدي!!».

ثم تصفَّح رئيسُ التحرير الصفحةَ الأولىٰ منه، فإذا بها البَسملة التي تقول: «باسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأوحد (٢) مُثلِّثِ التوحيد موحِّدِ التثليث ما تعدد (٣) فهو آبٌ لَم يلد (٤) كلمةٌ لم يولد (٥) رُوح لم يفرد (٦) خلاَّقٌ لم يخلق (٧) فسبحانَ مالكِ المُلك والقوةِ والمَجد (٨) مِن أزلِ الأزلِ إلىٰ أبدِ الأبد».

ثم عَرَّج علىٰ سورة الفاتحة التي تقول: «هو ذا الفرقانُ الحقُّ نوحِيه فبلِّغْه للضالِّين من عِبادنا وللناس كافةً ولا تَخْشَ القومَ المعتدين».

تقول بسملتهم: «بسم الأب الكلمة الروح الإله الواحد الأوحد، مُثلِّث التوحيد، موحِّد التثليث ما تعدد».

وهي خَلطٌ واضحٌ لمعنىٰ «الإله»، فهو الأبُ كما زعمت النصارىٰ، ومثلِّثُ التوحيد، وهو الإلهُ الوحد الأحدُ كما يعتقد المسلمون.

وفي سورة (الثالوث: ٦) زعموا كُفراً: «ونحن اللَّهُ الرحمنُ الرحيمُ ثالوثٌ فردٌ إلهٌ واحدٌ لا شريكَ لنا في العالمين».

فأيُّ طفلٍ يُصَدِّقُ وحدانيةَ اللَّه - عز وجل - بعد هذا السياقِ الثالوثيِّ الساذج؟! وأيُّ معادلةٍ تحتملُ الوحدانيةَ والثالوثيةَ، ثم الخاتمةَ بأنه لا شريك له؟!.

وهم كما يقول البوصيري:

جَعَلوا الثلاثــةَ واحدًا ولَو اهتـدوا ... لم يَجْعَلوا العَـدَدَ الكثيـرَ قليْلاً(١)

* إثباتُ صَلْبِ المسيح:

وفي سورة (الصلب: ١٠) قالوا: «إنما صَلَبوا عيسىٰ المسيحَ ابنَ مريم جسدًا بشرًا سويًا وقَتلوه يقينًا».

وهم بذلك يردُّون قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

عَجبًا للمَسيـحِ بينَ النصارَى ... وإلى أيِّ والـد نسَـبُوهُ؟!

أسْلمُوه إلى اليهـودِ وقالوا ... إنهم بعدَ ضَرْبــه صَلَبُوهُ

فـإذا كانَ ما يقُولـون حقًّا ... وصَحيحًا فأيْن كانَ أبُـوه؟!

حين خَلَّى ابْنَه رَهِينَ الأعَادي ... أتراهُم أرْضَوْه أمْ أغْضَبُوه؟

فلَئِـن كانَ راضيًـا بأذاهـم ... فاحْمَدوهُم لأنهم عَذَّبـوه

ولئن كانَ ساخطًا فاتـركُـوه ... واعبُـدوهُم بأنهم غَلبُوه(٢)

* تشويهُ صورة الإله:

ومن الأهداف الخبيثة لهذا الكتاب تشويهُ صورةِ الإله، وهذا التشويهُ يؤكِّدُ أن لليهود دَورًا كبيرًا في إعدادِ هذا الكتاب، ومِن صُورِ هذا التشويه:

---

(١) «منظومة البوصيري في الردّ علىٰ النصارىٰ» (ص٧).

(٢) «تفسير القاسمي» (٣/ ٤٠٨).

إنكارُ أسماء اللَّه الحسنى:

فقد أنكر هؤلاء الأقزامُ أسماءَ اللَّه الحسنىٰ وصفاتِه العُلىٰ إنكارًا سافرًا بقولهم كفرًا: «إنَّ أهلَ الضلال من عِبادنا أشركوا بنا شركًا عظيمًا فجعلونا تِسعةً وتسعين شريكًا بصفاتٍ متضاربةٍ وأسماءٍ للإنس والجانِّ يدعونني بها وما أنزَلْنا بها من سلطان، وافتَرَوا علينا كذبًا بأنَّا الجبَّارُ المنتقمُ المُهلِكُ المتكبِّرُ المُذِلُّ، وحاشا لنا أن نتَّصفَ بإفكِ المفترين ونُنزِّهنا عما يصفون» (الثالوث ٨: ١٠)!!.

وَصفُ إله المسلمين بصفات قبيحة:

ووصَفَ الكتابُ إلهَ المسلمين - حَسْبَ زعمِه - بالشيطان: «.. وقام منكم ناعٍ يَنْعِقُ بنقمةِ الباطل علىٰ الحقِّ، وحِقدِ الكفرِ علىٰ الإيمان، ونُصرةِ الشرِّ علىٰ الخير، فكان لوحي الشيطان سميعًا» (المسيح: ١٥).

وتكرر هذا الوْصفُ في أماكنَ كثيرة: «والذين آمنوا بالإنجيل الحقِّ وعملوا الصالحات، أولئك هم خيرُ البرية، والذين كفروا وآمنوا بالشيطان ورُسُله أولئك هم شرُّ البرية» (الإخاء: ٨)،

«يأيها الناس إنما تُتلىٰ عليكم آياتُ الشيطان مضلِّلات، لِيُخرجَكم من النور إلىٰ الظلمات، فلا تتبعوا وحيَ الشيطان، واتخذوه عدواً لدودًا» (الإخاء: ١٥).

تشويهُ صورة الرسول ﷺ:

وأما عن موقفِ القرآنِ الأمريكي من الرسول ﷺ، فحَدِّث ولا حَرَج، فلقد بَلَغت وقاحةُ مَن أعدُّوا هذا الكتابَ مبلغًا كبيرًا، حيث وَصفوا الرسولَ ﷺ بصفاتٍ هم أحقُّ بها وأهلُها، ومِن هذه الصفات:

الأفَّاك: يقول كتاب أمريكا: «وحَذَّرْنا عبادنَا المؤمنين من رسولٍ أفَّاكٍ تَبَيَّنوه من بيِّنات الكفر، وعَرَفوه من ثمارِ أفعاله، وكَشفوا إفكَه وسِحرَه المبين، فهو رسولُ شيطانٍ رجيم لقومٍ كافرين» (الأنبياء: ١٨).

إنكارُ رسالته: لا يُقِرُّ الكتابُ برسالةِ محمدٍ ﷺ، ويقول: «وما بَشَّرْنا بني إسرائيلَ برسولٍ يأتي من بعدِ كلمتِنا، وما عساه أن يقولَ بعد أن قُلنا كلمةَ الحقِّ، وأنزلنا سُنَّةَ الكمال، وبَشَّرْنا الناسَ كافةً بدِينِ الحق، ولن يجدوا له نسْخًا، ولا تبديلاً إلىٰ يوم يبعثون» (الأنبياء: ١٦).

وَصفُ الرسولِ ﷺ بالطاغوت: وقد خَصَّه بسورة (الطاغوت)، واتَّهمه فيها بإشعالِ الحروب، وإخراجِ الناس من النورِ إلىٰ الظلمات، والسَّلبِ، والزنىٰ، والكفر.. وفي سورة (الشهادة: ٤١): «وعَلَّم الأميين كافرٌ، فزادهم جهلاً وكفراً».

وصفُه بالغواية والضلال: ويقول في سورة (الإعجاز ٥: ٩): «وما نُرسلُ من رسولٍ إلاَّ لخيرِ عِبادنا يُريهم صراطنَا المستقيم، وأمَّا مَن أغواهم وأضلَّهم فهو رسولُ شيطانٍ رجيم، فصراطُه عِوَجُ، وإعجازُه عُجمة، ونُورُه ظُلْمة، فلا تتَّبِعوه، ولا تُنصِتوا له، واتخذوه مهجوراً، ولا يزالُ الذين كفروا في مِريةٍ من الفرقانِ الحقِّ حتىٰ تأتيَهم الساعةُ بغتةً أو يأتيَهم عذابٌ مقيم، ومِن الناس مَن يجادلُ فيه بغيرِ علمٍ ولا هُدًىٰ ولا كتابٍ منير».

وجوب عصيان الرسول ﷺ وخيانتُه: ويُوجبُ الكتابُ عصيانَ الرسول ﷺ كما، يَعُدُّ طاعةَ الرسول ﷺ والرجوعَ له في التنازع، والإيمانَ به، وعدمَ خيانته، وعدمَ عصيانه: من الشرك باللَّه! كما جاء في سورة (المشركين: ٥٠).

والفرقان الأمريكي يُنكرُ القرآنَ الكريمَ ورسالةَ الرسول ﷺ: «وما نزّلنا عليكم كتابًا، أو سورةً، أو آيةً، ولا أوحينا إليكم قولاً بلسانِ أحدٍ منكم، وما ألْهمناه، ولكن شُبِّه لكم فصَدَّقتموه، فَضَلَلْتُم سواءَ السبيل» (التنزيل: ٢ : ٢٤).

وزَعم بأن القرآنَ الكريمَ من الأساطير: «وقام منكم مَن انتَحَل أساطيرَ الأولين اكتَتَبَها وأُمليت عليه، بُكرةً وأصيلاً، وهي إفكٌ افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون» (الأساطير: ١، ٢).

ويصفُه بالكُفر والمرُوق: ففي سورة (الزنىٰ: ١١) في «ضلالهم المبين»، الكلمة التالية: «ووَصَّينا عبادَنا ألاَّ يَحلِفوا باسمنا أبدًا وجوابُهم نَعَمْ أَوْ لا، فقلتم بأن من كان حالفًا فلْيَحْلِفْ باسمِ الإله أو يَصمُت، وهذا قولُ الكَفَرة المارقين».

* تشويه صورة الإسلام والمسلمين:

ومِن أهدافِ فرقان أمريكا تشويهُ صورةِ الإسلام المسلمين، فوَصَفهم مؤلِّفُ هذا العَفَنِ بأقبحِ الصفات، ويَستخدمُ فرقانُهم أقسىٰ عباراتِ القَذْعِ والقَدْحِ والشَّتمِ ضدَّ المسلمين، ويَصِفُهم بأبشعِ الأوصاف، ويَقدَحُ في إلههم ودينِهم ونبيِّهم وقُرآنِهم بعباراتٍ فيها من العَداءِ واللددِ والحقدِ والخصومةِ ما يَفوقُ الوصف.

وكثيرٌ مما وَصَف به القرآنُ الكريمُ اليهودَ والنصارىٰ أسقطَه علىٰ المسلمين، وذلك بعد تحريفِ الآيات لتحقيقِ هذا الغرض، حتىٰ إن أسماءَ الموضوعات (السور) تنضحُ بهذا الحِقدِ والعَداء مثل: «الماكرين، والأميين،

والمفترين، والطاغوت، والكبائر، والمحرِّضين، والبهتان، والكافرين».

ويمكنُ القولُ: إن الكتابَ يدورُ كلُّه من أوّله لآخِرِه على المسلمين ونبيِّهم والكتابِ الذي أنزله اللّه عليه: لا يَشتُمُ غيرَهم، ولا يحاولُ أن يَختِلَ أحدًا عن دينِه سواهم، ولا يترك شيئًا أيَّ شيءٍ في دينهم دونَ أن يُسفِّهه ويُزْرِيَ به مناديًا إياهم في مُفتَتَحِ كلِّ سورةٍ تقريبًا من سور «ضلالهم المبين» بـ «يا أَهل الجهل»، أو «يا أهل الظلم من عبادنا»، أو «يا أيها الذين ضلُّوا من عبادنا»، أو «يا أيها الذين أشركوا من عبادنا الضالين»، أو «يا أيها الذين كفروا من عِبادنا الضالين»، أو «يا أيها المنافقون من عِبادنا الضالين»، أو «يا أيها المفترون من عبادنا الضالين»، أو «يا أهلَ التحريف من عبادنا الضالين»، ولكن لِمَ يا تُرىٰ؟ السببُ هو أن المسلمين يُوحِّدون اللّهَ ولا يَنسبون له ولَدًا سبحانه! ولأنهم يُصلُّون له وحدَه ولا يُشرِكون في عبادتِهم له أحدًا من خَلقِه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

◻ أو لَم تَجِدوا في طولِ الأرض وعَرضِها على رَحْبِها واتِّساعها مَن يَحتاجُ إلىٰ الهِدايةِ إلاَّ المسلمين؟ أوَ لَم يأتِكم نبأُ عُبَّادِ البقرِ أو عُبَّادِ النارِ أو عُبَّادِ الشيطانِ أو الشيوعيين مثلاً؟ أَوَقَدْ نَسِيتم ما كنتم تقولونه في اليهود الذين تتهمونهم بقتلِ ربِّكم؟! ألاَ يَحتاجُ أيٌّ من هؤلاء أن تُولُوه شيئًا مِن هذا الحَنان الزائفِ الذي تُغدِقُونه علينا بالإكراه والذي تُسمُّونه: «المحبة»؟.

ثم تقولون لنا بعد ذلك: إن دينَكم هو دينُ المحبة! أيَّةُ محبةٍ تلك التي تُسوِّلُ لكم التطاولَ علينا واتِّهامَنا مع ذلك كلِّه بأننا نحن المعتدون القاتِلون اللصوصُ السارقون، وفي الوقت الذي تَهجمون فيه علىٰ بلادِنا وتُدمِّرونها

تدميرًا، وتُقتِّلون رجالَنا ونساءَنا وأطفالَنا، وتَسرِقون بترولنا، وتحتلُّون بلادَنا، وتُعذِّبوننا وتُهينوننا وتنتهكون أعراضَ نسائِنا، وتَضربوننا بالقنابل والصواريخ والطائرات والدبابات والبوارج.. إلخ؟! إن جنودَكم ومجنَّداتِكم يَعتدون على إخواننا وأخواتِنا في السجون والمعتقلات في أرض الرافدَينِ بكسرِ عظامهم، وإبقائهم عَرايا في صَبَّارَّة الشتاء مع غَمْرِ الزَنَازين بالماءِ الوَسِخ حتى لا يستطيعَ المساكينُ النوم، وتسليطِ الكلابِ المتوحشةِ عليهم تَنهشُ خُصَاهم وغراميلَهم فينزِفون حتى الموت، فضلاً عن اغتصابِ النساء والفتياتِ العفيفاتِ اللاتي يُفَضِّلْنَ الموتَ بعد خروجِهنَّ من المعتقل على الحياة مع هذا العار، طالِبين منهم ومنهن أن يشتمُوا اللَّهَ ورسولَه[1]، قائلين: إنهم جاؤوا إليهم يَحمِلون رسالةَ المحبة، وهم لم يَحمِلوا إلاَّ رسالةَ اللواط والسِّحاق والتعذيب والتقتيل والتدمير البربريِّ الذي لا يتركُ شيئًا يمرُّ عليه إلاَّ جعله أنقاضًا وأحجارًا، لا يُعْفي من ذلك

(١) نشرت جريدة «الجمهورية» (الأحد ٦ من ذي الحجة هـ ـ ١٦ من يناير ٢٠٠٥) أن محكمةً عسكريةً أمريكية أدانت الجندي الأمريكي «تشارلز جرانر» الحارس السابق في سجن أبو غريب بتهم تعذيب وإساءة معاملة السجناء العراقيين في الفضيحة التي فجَّرت سُخطًا واشمئزازًا دوليًّا واسعًا ضد الولايات المتحدة، قالت هيئةُ المحلَّفين العسكرية المؤلَّفة من عشرةِ أعضاء إن «جرانر» ٣٦ عامًا مُدان في كل الاتهامات الموجهة إليه، وهي سوء معاملة معتقلين، والعجز عن حماية معتقلين من تعرضهم لتجاوزات وأعمال وحشية، وخدش حياء، وعرقلة عمل القضاء.
وذكر محامي الدفاع أن موكِّله وحُرَّاسًا آخرين كانوا يتبعون «تعلِيمات رئاسية مستمرة تطلب منهم تقليل مقاومة المعتقلين»، وقد وُصف العريف «جرانر وزميليه الآخرين» بأنهم كانوا كِباشَ فداءٍ قُدمت للمحاكمة لحماية ضباط كبار بالجيش الأمريكي.

مَدرسةً ولا مَصنعًا ولا مَتحفًا ولا بيتًا ولا مسجدًا؟ أيَّةُ محبةٍ جئتمونا بها أيها الوحوش؟ أيُّ جنونٍ ذلك الذي طَوَّع لكم أننا يمكنُ أن نتركَ توحيدَنا الطاهرَ العظيمَ، وندخلَ معكم في تثليثكم وتصليبكم؟ فلتحتفظوا بهذه المحبةِ لأنفسِكم بدلاً من اللُّهاثِ وراءَ إضلالِ مَن هداهم اللَّه وعافاهم من هذا الرِّجس، وذلك البلاءِ والعياذ باللَّه!.

ويُوغِلُ في ذمِّ المسلمين ووصفِهم بأقبحِ الأعمالِ، فيقول في سورة (الكبائر: ٣) «فسيماؤكم كفرٌ وشركٌ وزنًى وغزوٌ وسَلبٌ وسَبْيٌ وجَهلٌ وعصيان».

ويصف الفرقانُ الأمريكيُّ الشريعةَ الإسلاميةَ، بأنها شريعةُ الكفر والقتلِ والضلالِ (الهدى: ٤٨)، كما وَصف الدينَ الإسلاميَّ بأنه دينٌ لَقيط: «ولا تَغْلُوا في دينٍ لقيط، ولا تقولوا علينا غيرَ الحق المبين».

ويصفُ الفرقانُ المزعومُ شِرْعةَ المسلمين فيقول: «فشِرعةُ أهلِ الكفرِ شِرعةُ قومٍ حُفاةٍ، عُراةٍ، غُزاةٍ، زُناةٍ، أميِّين مُفتَرين، ومُعتَدين ضالِّين ظالمين» (سورة الجنة: ١٤).

ولقد خَصَّص أصحابُ هذا الإفك سورةً من سُورِه للنَّيلِ من أصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ هي «سورة الرعاة»، وفيها هِجاءٌ للصحابة والعربِ الأوائلِ الذين حَمَلوا الإسلامَ إلى العالَمين، والذين يُحاولُ أولئك اللصوصُ السُّطَاةُ أن ينالوا منهم بالقولِ بأنهم لم يكونوا متحضِّرين ولا أغنياءَ، بل كانوا مجردَ رعاةٍ، وكأنَّ التلاميذَ الذين كانوا يَلتفُّون حولَ المسيح عليه السلام كانوا من أصحابِ القصورِ ومِن خرِّيجي الجامعات، ولم يكونوا من صيَّادِي السمكِ والعُرْجِ والبُرْصِ والعُمْيِ والمخلَّعين والممسوسين والعشَّارين

والخُطاةِ ـ علىٰ حَسب ما جاء في الأناجيل نفسها ـ! .

إننا بطبيعةِ الحال لا نَبغي أن ننالَ من الفقراءِ والمساكين والمسحوقين، فنحن لسنا من أغنياءِ القومِ ولا من السادة، لكننا أردنا فقط أن نُنبِّهَ هؤلاء المأفونين إلىٰ مَدىٰ السُّخفِ والسفالةِ التي ينساقون إليها في العدوانِ علىٰ ديننا ورسولِنا وصحابتِه الكرام.

وبالمناسبة فلم يكنِ الصحابةُ جميعًا من الرعاة، بل كان فيهم التجارُ والزُّرَّاعُ والصُّنَّاعُ والعلماءُ والقادةُ العسكريون، وكان منهم الأفرادُ العاديون والرؤساء، وكان منهم العربُ وغيرُ العرب، كما كان فيهم كثيرٌ ممن كانوا هُودًا أو نصارىٰ ثم أسلموا.. وهكذا يستمرُّ هؤلاء الأفَّاكون المجرمون إلىٰ آخرِ السُّوَرِ الشيطانيةِ المفتراةِ كذبًا علىٰ اللَّه(١) .

* القرآن الأمريكي يلغي فريضة الجهاد:

من أهمِّ الأهدافِ الخبيثة لهذا الكتاب: العملُ علىٰ استعبادِ المسلمين، وذلك بإرغامِهم علىٰ تركِ الجهادِ في سبيل اللَّه، ودَفع الضرِّ عن أنفسِهم، وتركِهم للسلاح، فيحتلُّ هؤلاء الكفرةُ بلدانَنا ونكون خُدَّامًا مطيعين لهم فيها، وسببُ ذلك خوفُهم من الجهاد، ورغبتُهم في نشرِ ثقافةِ الاستسلام

(١) لقد أخبر اللَّه تعالىٰ في كتابه أن الكافرين قلوبهم تغلي حقدًا وبغضًا علىٰ أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

والخضوع والضعف والجُبن في ديار المسلمين وعقائدهم، فقد زعم هذا «الفرقان» أن اللَّهَ سبحانه لم يأمرْ بالجهادِ في سبيله، وحَرِص علىٰ نَفي هذه الشعيرةَ، وبدا هذا الحرصُ في أكثرَ مِن مكان؛ لهدمِ هذه الفريضة، ويَصِفُها أنها مِن تحريضِ الشيطان: «وزعمتم بأننا قلنا: قاتِلوا في سبيل اللَّه، وحرِّضوا المؤمنين علىٰ القتال، وما كان القتالُ سبيلَنا، وما كنَّا لنحرِّضَ المؤمنين علىٰ القتال، إنْ ذلك إلاَّ تحريضُ شيطانٍ رجيمٍ لقومٍ مُجرِمين» (الموعظة: ٢)، وبَلَغ به حدُّ إنكارِ الجهادِ بأن سمَّىٰ إحدىٰ سوره بسورة (المحرضين: ٥٧)!.

أما فيما يُسمَّىٰ: «سورة الطاغوت»، فإنه عند مهاجمته لشريعةِ الجهاد التي يتَّهمُها زُوراً بالعُدوانيةِ والظلمِ وتقتيلِ الأبرياء، يَنقلُ علىٰ نحوٍ محرَّفٍ ما جاء في سورة «التوبة» ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، إذ يقول: «وافترَوْا علىٰ لساننا الكَذِبَ: بأنَّا اشترَينا من المؤمنين أنفسَهم بأنَّ لهم الجنةَ يقاتِلون في سبيلنا وعداً علينا حقًّا في الإنجيل، ألاَ إن المُفترين كاذبون..» (الطاغوت: ٨).

✍ وواضحٌ أن الأفَّاكين قد أسقَطوا عِدَّة كلماتٍ من الآيةِ القرآنية الكريمةِ عمْداً، حتىٰ لا يُضطرُّوا إلىٰ الإقرارِ بأن في التوراةِ أمراً بالقتال دفاعاً عن النفس والعِرْض فقط كما في الإسلام، بل بالقتلِ بدافعِ الكراهية للأمم الأخرىٰ وإبادتِها لمجردِ الإبادة، وهو ما يَعضُدُ قولَ مَن قال: إنَّ هذا «الضلال المبين» هو ثمرةُ التعاون الأثيم بين الصهيونية والصليبية، فلذلك

يَعملون على إظهارِ اليهودِ في صورة المسالم البرئ.

وفي سورة (الموعظة)!! ما يؤكِّدُ توافُقَ هذه الحربِ على الإسلام والاستماتةَ في استسلامنا لهم، ونَشرِ ثقافةِ الذلِّ والخنوع لجبروتهم والتخاذلِ أمامَ سَطوتهم وإجرامهم: «زعمتم بأنا قلنا: قاتِلوا في سبيل اللَّه وحرِّضوا المؤمنين على القتال، وما كان القتالُ سبيلَنا، وما كنا لنحرِّضَ المؤمنين على القتال، إنْ ذلك إلاَّ تحريضُ شيطانٍ رجيمٍ لقومٍ مجرمين» (الموعظة: ٢).

فهل أصبح الجهادُ إجرامًا؟! وهل أصبح أمرُ اللَّه بتحريضِ المؤمنين قولَ شيطانٍ رجيم؟! تعالى اللَّه عمَّا يقولون عُلوًّا كبيراً.

وفي سورة «الصلاح» المكذوبة نَفيٌ لمعاداةِ الكافرين والبراءةِ من الضالين المُلحِدين بقولهم افتراءً على اللَّه: «يا أيها الذين ضلُّوا من عِبادنا هل ندلُّكم على تِجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم؟ تحابُّوا ولا تباغضوا، وأحِبُّوا ولا تكرهوا أعداءَكم، فالمحبةُ سُنَّتُنا وصراطُنا المستقيم، وسكوا سيوفكم سككًا ورماحكم مناجلَ ومِن جنى أيديكم تأكلون».

ويتوالى الجُرْمُ الأعظمُ والتعدِّي على اللَّه ـ عز وجل ـ بقولهم رفضًا للقرآن العظيم في السورة ذاتها: «ولا تطيعوا أمرَ الشيطانِ ولا تُصدِّقوه إنْ قال لكم: كُلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا واتقوا اللَّه إن اللَّه غفور رحيم».

ويتواصلُ الرفضُ لاستخدامِ القوة في قتالِ الكفار أعداءِ اللَّه بقولهم في السورة المزعومة نفسها: «وكم من فئةٍ قليلةٍ مؤمنةٍ غَلبت فئةً كثيرةً كافرةً بالمحبةِ والرحمةِ والسلام»!! وهم يَعنُون بهذا قول اللَّه تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ

قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

● والجهادُ كما أخبرَ المعصومُ ﷺ ذُروةَ سَنامِ الإسلام، فقال: «رأسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِروةُ سَنامِه الجِهادُ»(١).

ويُخطِئ مَن يظنُّ أن الجهادَ في الإسلام هو فقط حَملُ السلاح ضدَّ العدوِّ، وهذا ما يحاولُ أن يروِّجَ له أعداءُ الجهاد، فالجهادُ في الإسلام أشملُ وأعمُّ من هذا، فمن صور الجهاد في الإسلام:

- أن يَعملَ كلٌّ في موقعِه لزيادة الإنتاج، وتحقيقِ ما يُسمَّىٰ بالاكتفاء الذاتي، حتىٰ لا يكونَ المسلمون عالةً علىٰ غيرهم.

- الدعوةُ للدين، والردُّ علىٰ شبهاتِ المستشرقين والمُلحدِين.

- إعدادُ العُدَّةِ للدفاعِ عن الدينِ والوطن مِن مطامع المعتدِين، ومِن أعظم صُورِ الجهاد ما قام به عالِمُ الذرَّةِ الباكستاني الدكتور «عبدالقدير خان»، الذي ساعَد باكستان لعملِ توازنٍ عسكريٍّ مع الهند، ولولا هذا لَنَشِبت حَربٌ بين الدولتين لا يَعلمُ إلاَّ اللَّه كيف ستكون نتائجُها الوخيمةُ علىٰ العالَم أجمع.

* فالإعدادُ للقوة قَدْرَ الاستطاعة هو أمرٌ إلهيٌّ، العملُ به هو قِمَّةُ العبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

---

(١) حديث صحيح: رواه الترمذي في رقم (٢٥٤١)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٢٣١٤).

*** تشويه معنى الشهادة في سبيل اللَّه:**

ولم يَنْسَ صاحبُ الفرقان - في غِمارِ حَملته على الجهاد والمجاهدين - أن يُشوِّهَ صُورَ الشهيد، وذلك من خلالِ إظهارِ كلِّ مَن يُستشهد في سبيل اللَّه لا يقومُ بعملٍ وطنيٍّ أو دينيٍّ، وإنما «لرغبتهِ الجنسية»، ففي سورة (الروح: ٣: ١) ينكشفُ وبشكلٍ واضحٍ نياتُ هذا الكتابِ والأهدافُ التي ابتغاها مُعِدُّوه، ففيها يتطرَّقون إلى «الشهادة»، ويَعكِسُ مضمونُها هَدفَ المجموعة من ترويج هذا الكتابِ هذه الأيامَ في المناطقِ الفلسطينيةِ، حيث العملياتُ الاستشهاديةُ التي تُنفِّذُها التنظيمات الفلسطينية في إسرائيل.

تقول السورةُ المشوَّهة والتي لا عَلاقةَ لها بالقرآن: «يا أيها الذين ضلُّوا مِن عبادنا: إذا سُئل أحدُكم عن الروح قال: الروحُ مِن أمرِ ربي، فما أوتيتم من العلم كثيراً أو قليلاً، وما سألتُم أهلَ الذكرِ الذين بَشَّروا بالروح قبل جاهليةِ مِلَّتِكم بمئاتِ السنين، وإذا استُشهدتم في سبيلِ جَنَّةِ الزنى فقد نَعِمَ كَفَرَةُ الرومِ قبلَكم بجنةٍ تجري من تحتها الأنهارُ يَلبسون فيها ثياباً خُضراً وحُمراً متقابِلين ومتكئين على الأرائك يطوفُ عليهم وِلدانٌ ونساءٌ بخمورٍ ولحمِ طيرٍ وما يشتهون وهم الكافرون، وَبزَّت جنَّتُهم جنَّتَكم التي استُشهدتم في سبيلها فرِحين طمعًا بما وعدتم به من زنًى وفجور..».

ولم تَسلَمِ الجنةُ دارُ النعيم التي أعدَّها اللَّهُ تعالى لعباده الموحِّدين الصالحين من تحريفِ هؤلاء، فوَصفوا جنةَ المسلمين بأنها مواخرُ للزناة، ومغاورُ للقَتَلة، ومَخادعُ رِجسٍ للزانيات، ونُزُلُ دَعارةٍ للسُّكارى والمجرمين، كما في (سورة الكبائر: ٥٣).

ويَرىٰ المؤلِّفُ في هذا الكتابِ أنه لا زواجَ ولا طعامَ ولا شرابَ في الجنة، وإنما كالملائكةِ يُسبِّحون بحمدِ اللَّه، هذه هي جنةُ المؤمنين، أما الشياطينُ (ويعني بهم المسلمين) فهم في كهوفٍ تَعُجُّ بالقَتَلة والكَفَرة والزُّناة يتمرَّغون في حَمْأةِ الفجورِ، تَلفَحُهم زَفَراتُ الغرائز، وتَسُوطهم شهوةُ البهائم، فهم في الرِّجسِ والموبقاتِ غارِقون، وفي شُغلٍ فاكهون، متَّكؤون علىٰ سُررٍ مصفوفة، والمسافِحاتُ مسجوراتٌ في المواخِرِ يطوفُ عليهم ولدانُ اللواطِ بأكوابِ الرجسِ والخمرِ الحرام، يَلغُون فيها فلا هم يُطفؤون أُوارهم، ولا هم يرتوون» (الجنة: ١ : ٤).

وحُجةُ هؤلاء الأقزامِ في التنفير من جنةِ المسلمين أنها جنةٌ مادية! والسؤالُ: وماذا في الجنة المادية؟ ألاَ تُحبُّون الأكل؟ ألاَ تُحبُّون الشُّرب؟ ألاَ تُحبُّون الجِنس؟ ألاَ تحبُّون التمتعَ بالظِّلالِ والجمالِ والهدوء؟ ألاَ تُحبُّون أن تَستمعوا إلىٰ الأصوات العَذبةِ الجميلة؟ ألاَ تُحبُّون راحةَ البال وسكينةَ النفس بعد كلِّ هذا القلقِ الذي اصطليناه في الدنيا؟ إنَّ من يقول: «لا» لأيٍّ من هذه الأسئلة، لَهُوَ ثُعلُبَانٌ كذَّابٌ أَشرٌ عريقٌ في النفاقِ والدجل! فما الحالُ إذا عرفنا أن هذه المُتَعَ الفردوسيةَ ستكونُ مُتَعًا صافيةً مبرَّأةً من كلِّ ما كان يَتلبَّسُ بها علىٰ الأرض مِن نُقصانٍ ونَفادٍ ومَللٍ أو كِظَّةٍ وغَثيانٍ أو قلقٍ وآلامٍ وأوجاعٍ وإفرازاتٍ وعِلَلٍ وتعبٍ وكَدْحٍ وصِراعٍ وخوف، وكذلك مِن كلِّ ما كان يَعقُبها من إخراجٍ وتجشُّؤٍ وفتورٍ وإرهاقٍ ونومٍ ومرضٍ . . إلخ؟ .

لقد ذَكر القرآنُ المجيدُ أن أهلَ الجنة ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٨]، وأنهم سيبْقَوْن ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** ﴾ [الكهف: ١٠٨]، فما وجهُ التنطُّعِ والاشمئزازِ الكاذبِ إذن؟ .

لقد لاحظَتُ أن الذين يُزْرُون علىٰ جَنَّةِ القرآن هم من أشدِّ الناس طلبًا للدنيا وتطلُّعًا إليها وانخراطًا فيها وسُعارًا محمومًا خَلفَ لذائذِها، ومنهم هؤلاء المُبشِّرون الذين كانوا ولا يزالون يُمثِّلون طلائعَ الاستعمارِ والاحتلالِ الغربيِّ لبلادنا وبلادِ كلِّ الشعوبِ المستضعَفة، ذلك الاستعمارُ الذي يريدُ أن يستمتعَ بطيباتِ الحياة دونَنا، ويتركُ لنا الجوعَ والفقرَ والجهلَ والمرضَ والقذارةَ والذِّلَّةَ والتخلُّفَ والشقاءَ! أليس مُضحِكًا أن يأتيَ هؤلاء بالذات لِيُظْهِروا النفورَ من تلك اللذائذ؟ فمَن هم إذن يا تُرَىٰ الذين سُعروا بحبِّ الجنسِ علىٰ النحوِ الذي نَعرفُه في بلادِ الغرب واقعًا مَعيشًا، وأدبًا مكتوبًا، ولَوحاتٍ مصوَّرَةً، وأفلامًا عاريةً، ومسرحياتٍ عاهرة؟.

أفإن جاء الرسولُ الكريم ﷺ وقال لنا: إنكم ستستمتعون بهذه الطيباتِ في الجنة، لكنْ مصفَّاةً مما يَحُفُّها هنا علىٰ الأرض من أكدارٍ وشوائب، ومصحوبةً بالمحبة بين أهلِ الجنةِ، ومشاهدتِهم لوجهِ ربِّهم العظيم ذِي الجلال والإكرام، وتمتُّعِهم بالرضا الإلهي السامي عنهم، وانتشائِهم بالتسبيحات الملائكيةِ حولَهم، نَلْوِي عنه عِطْفنا، ونشمخُ بأنوفِنا، ونُبْدِي التأففَ والتنطُّس؟ إنَّ هذا ـ وَايْمِ الحق ـ لَنِفاقٌ أثيم!.

سنسمعُ هؤلاءِ المنافقين المنغمِسين في شهواتِ الجسدِ يتحدَّثون بتأفُّفٍ عن هذه اللذائذِ التي لا تَليقُ في نظرِهم ببني الإنسان، وهم الذين يمارِسون اللِّواطَ والسِّحاق مما يَنزِلُ بهذا الجسدِ وصاحبِه أسفلَ سافلين.

وها هو السيدُ المسيحُ عليه السلام نفسُه في الفقراتِ التي سَبقت جوابَه علىٰ سؤال اليهود، حين أراد أن يُوضِّحَ ملكوتَ السماوات، وهو ما يُقابلُ الجنةَ عندنا، ضَرَبَ لمستمعيه مثلاً مِن عُرْسٍ أقامه أحدُ الملوك لابنه أَوْلَمَ فيه وليمةً

قُدِّمَتْ فيها الذبائحُ والمسمَّنات، وحَضرها المدعوُّون وقد لَبِسوا الحُلَلَ التي تَليقُ بهذه المناسبةِ السعيدة، فعلامَ يدلُّ هذا؟ وهل يَختلفُ يا تُرىٰ عما نقولُه نحن عن الجنة؟ أَوَلَمْ يَقُلْ (مرقس: ١٤: ٢٥، ولوقا: ٢٢: ١٨): «إنه سيشربُ عصيرَ الكَرْمة في ملكوتِ اللَّه جديدًا»، أي علىٰ نحوٍ آخَرَ غيرِ ما كان عليه في الدنيا، وهو ما يقولُه الإسلام؟ أو لم يقلْ لتلاميذِه: إنهم سيأكلون ويشربون معه علىٰ مائدته في الملكوت (لوقا: ٢٢: ٢٩ ـ ٣٠)؟ فما الفرقُ بين الشرابِ والطعامِ وبين الجنس؟ أليست كلُّها مُتَعًا من مُتَعِ هذه الدنيا التي تتأفَّفون منها نُفاقًا ورياءً، وأنتم غارقون فيها إلىٰ أذقانكم؟.

ثم أين كان آدمُ وحَوَّاءُ في بَدءِ أمرهما؟ ألم يكونَا في الجنةِ؟ فماذا كانا يفعلانِ هناك؟ يقول «كتابكم المقدس»: «إن هذه الجنةَ كان فيها أشجارٌ حسنةُ المنظرِ طَيبةُ المأكل، وإن الرجلَ يَتركُ أباه وأمه ويَلزمُ امرأتَه فيصيرانِ جسدًا واحدًا، وإن آدمَ وزوجَه كانا عُرْيانَينِ لا يشعُرانِ بخجل، وإن اللَّه قد ضَمِنَ لهما الخلودَ فيها. . » إلخ (تكوين: ٢: ٨ـ٩، ٢٤).

فما معنىٰ كلِّ هذا؟ وماذا كان أبوانا الأوَّلان يعملانِ في الجنة؟ أكانا يكتفيانِ بتمضيةِ وقتهما في التأملات الروحانيةِ واضعَيْنِ أيديَهما علىٰ خُدودهما ليلاً ونهارًا؟ كذلك يتحدَّثُ «بولس» في رسالته الأولىٰ لأهل كورنتس (١٥ : ٣٥ فصاعدًا) عن «الأجساد الأخروية» التي لا تَعرفُ الفسادَ ولا التحلُّلَ، والتي يُسمِّيها أيضًا بـ «الأجساد السماوية» و«الأجساد الروحانية»، وفي السِّفْر المسمَّىٰ بـ «رؤيا القديس يوحنا» وَصْفٌ مفصَّلٌ لكثيرٍ من مُتَعِ الفردوسِ وعَذاباتِ الجحيم، وكلُّها ماديةٌ كالمُتع والعذاباتِ التي نَعرفُها في دنيانا هذه، مع التنبيهِ بين الحين والحين إلىٰ أن كلَّ شيءٍ من هذه

الأشياءِ سيكونُ جديدًا، ولا يجري عليه ما كان يَجري على نظيرِه في الأرض من فسادٍ ونقصان، وهو ما لا يختلفُ عما قلناه، فلِمَ التعنُّتُ إذن ومهاجمةُ الإسلام نفاقًا وحِقدًا؟!.

ولعلك ـ أخي الحبيب ـ تعرفُ سببَ تنفيرِهم من الجنة وسَلْبِها ما فيها من نعيم، إنهم يريدون تشويهَ صورتِها في أعيُنِ المسلمين؛ حتى لا يَعمَلوا لها ويُقبِلوا على ملذَّاتِ الدنيا دونَ النظرِ إلى جنةِ الآخرة وما فيها من نعيمٍ مقيمٍ أخبَرَ به الصادقُ الأمين، فقال فيما أخبر عن ربِّ العالمين: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1].

*** بثُّ الشبهات حول الإسلام:**

لقد أثار واضعوا هذا الكتاب الكثيرَ من الشبهاتِ الساقطةِ التي باستطاعة المسلمِ العادي ـ فضلاً عن العالِم ـ أن يقومَ بالردِّ عليها، وهم بذلك يَهدِفون إلى تشويهِ صورةِ الإسلام عند غيرِ المسلمين ممن لا يعرِفون عن الإسلامِ إلاَّ اسمَه.. ومن هذه الافتراءات:

١ ـ الزعمُ أن بالقرآن أخطاءَ لغويةً ونحويةً!!:

بمنتهى الصفاقةِ زَعم «شورش» أن القرآن الكريمَ احتوى على أكثرَ من (١٠٠) خطأٍ لغويٍّ في قواعد النحو، أما الفرقانُ الجديد فليس به أخطاء، وكنا نودُّ منه أن يذكرَ لنا هذه المواضعَ، والحقيقةُ أن كتابَ «الفرقان» المزعوم

---

(١) رواه البخاري في «بدء الخلق» برقم (٣٠٠٥)، ومسلم في «الجنة وصفة نعيمها» برقم (٥٠٥٠).

يَطفحُ بالأخطاء الساذجة التي لا يقعُ فيها طفلٌ في المرحلةِ الابتدائيةِ، ولكنْ يأبىٰ اللَّهُ إلاَّ أن يكشفَ سِتْرَ هذا الكذاب، وسوف أنقلُ بعضًا من أخطائهِ اللغويةِ الساذجةِ التي سقط فيها سقوطَ الجرادل:

* **بدأ الكلام بواو العطف:**

هل رأيتم أحدًا قطُّ يبدأ كلامًا جديدًا له بواو العطف؟ إن هذه الواو إنما تعنىٰ أن هناك كلامًا سابقًا، وأن الكلام الحاليَّ هو امتدادٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ له، وهو ما لا وجودَ له هنا؛ لأن هذه هي بدايةُ السورة، وهل قبل البدايةِ شيء؟ وعلىٰ رغم وضوحِ المسألة ـ بل نصاعتها ـ فإن هؤلاء اللصوصَ لا يُراعُون هذه البديهيةَ في عالَم النحوِ والكتابةِ والأساليب، فتجِدُهم يقولون مثلاً في مطلع «سورة الطهر»: «ودعانا الشيطانُ بأسماءٍ قُبْحَىٰ غيَّبها بأسماءٍ حُسنىٰ مكرًا منه..».

وكذلك في مطلع سورة «الرعاة» و«الإيمان» و«الحق» و«الطهر» و«الزنىٰ» و«المعجزات» و«الضالين» و«الصيام» و«الماكرين» و«الأمّيين» و«الصلاة» و«الملوك» و«الهدىٰ».

* **«رمتني بدائها وانسلَّت»:**

هذا «الشورش» الدجَّال الذي يَدَّعي وجودَ الأخطاءِ في القرآن، وأتىٰ بُفرقانهِ المليءِ بالأخطاءِ مِن رفعِ «خبر كان»، ونَصْبِ «الفاعل» كما في سورة «الصلاة: ٣» والجهلِ بالضمائر، وعدمِ التفريق بين «جَمعِ المؤنَّثِ السالم»، و«جمعِ التكسير»، ونصبِ «المضارع» بغير ناصبٍ، وهذا لا يفعلُه إلاَّ خَواجة أعجميٌّ لا يَعي شيئًا من العربية. فكيفَ يدَّعي هذا المأفونُ بأن

فرقانه مُنزَّلٌ من ربِّ العالمين؟ ! . .

فدعْ عنك الكتابةَ لست منها ولو سَوَّدتَ وجهَكَ بالمِدادِ

*** كيف يكون الفرقان بلغة العرب؟ ! :**

أمرٌ آخرُ من التناقض وقع فيهِ هؤلاءُ العُلُوجُ، فقد ردَّدوا ما جاءَ في كتابنا العزيز من أنه ما مِن نبيٍّ أُرْسِلَ إلاَّ بلسانِ قومه، فما معنىٰ نزول هذا «الضلال المبين» بالعربية؟ بل بالعربية المسجوعة؟ معناه أنه نَزل للعرب؛ لأنهم هم الذين يتكلَّمون العربية، أليس هذا هو ما تقتضيه العبارةُ التي قالها هؤلاء العُلوجُ، والتي سرقوها بنصِّها من القرآن المجيد ووضعوها في هذا الموضع الدَّنِس؟ بَيْدَ أنهم يقولون: إنَّ النبوةَ لا تكونُ إلاَّ في بني إسرائيل، فليس للعرب فيها ـ إذن ـ أيُّ نصيبٍ (حقداً منهم علىٰ إسماعيل وأُمِّه هاجر، التي يقولون إنها أَمَة، وابنُ الأمَة لا نصيبَ له عندهم في البركة النبوية).

وبطبيعةِ الحال فالعربُ لا يُمكنُ أن يكونوا قومَ نبيٍّ من بني إسرائيل، إذ إن بني إسرائيل هم ذريةُ يعقوب عليه السلام، أمَّا العرب، فهم ذريةُ إسماعيل عليه السلام كما هو معروف.

*** هل يأتي المَلاكُ الرحيم بمكرٍ للشياطين؟ ! :**

يقول بعد البسملة التثليثية في أول ما يسمَّىٰ بـ «سورة الحق» ـ والحقُّ منها ومن مُزيِّفيها براء ـ: «وأنزلنا الفرقانَ الحقَّ نوراً علىٰ نورٍ مُحقًّا للحق ومُبطِلاً للباطل وإن كَرِه المُبطِلون * ففضح مَكرَ الشيطانِ الرجيم ولو تَنَزَّلَ بوحيٍ مَلَكٍ رحيم».

باللَّه هل هذا كلامُ إلهٍ يدري ما يقول؟ ما معنىٰ أنه سيَفضحُ مكرَ

الشيطانِ الرجيم حتىٰ لو جاء به مَلاكٌ رحيم؟ تُرَىٰ كيف يُمكنُ أن يأتيَ بالوحي الشيطاني مَلاكٌ رحيم؟ هل الملائكةُ تتصرَّفُ من تلقاء نفسها؟ بل هل يمكن أن يقعَ منها أيُّ عِصيانٍ لأوامرِ اللَّه؟ ومِثلُ ذلك رَقاعةً وسُخْفًا قولُهم في الفقرة الثانية من «سورة الطهر»: «ولو كنتم أنبياءَ وأُوتيتُم الحكمةَ واطَّلعتم علىٰ الغيب وأَتيتم بالمعجزاتِ دون محبةٍ، فلا حولَ لكم ولا مِنَّةَ، وإنما أنتم مفترون».

كيف باللَّه يمكنُ أن يكون إنسانٌ ما نبيًّا مؤيَّدًا بالحكمة وعِلمِ الغيب والمعجزات جميعًا، ثم يرفضُ اللَّهُ تعالىٰ أن يعترفَ به نبيًّا؟ فمَن الذي أرسله إذن وجَعَله نبيًّا وأيَّده بكلٍّ هذه المواهبِ الإعجازية؟ إنَّ القومَ إنما يَصدُرون هنا عن الفِكرِ الوثني، إذ يتصوَّرون أن هناك إلهًا آخَرَ يُمكنُ أن يُرسِلَ نبيًّا من لدنه علىٰ غير هوَىٰ اللَّه فيرفضُ اللَّهُ مِن ثَمَّ أن يَعترفَ بنبوته.

*** كيف يكون المؤمن منافقًا ؟:**

يقول الفرقان الأمريكي في سورة (الكبائر/ ٩) و«مؤمنين منافقين» ولا أدرىٰ كيف يُوصَف المؤمن بأنه منافق؟!.

*** التأييد بالمعجزات:**

لقد زَعم هذا المخبولُ أنه قد أيَّد هذا «الضلال المبين» بالمعجزاتِ حسبما جاء في الفقرتين الرابعة والخامسة من «سورة المعجزات»، فأين تلك المعجزاتُ يا ترىٰ؟ أَفتُوني بعلمٍ أيها العقلاء! إن النبيَّ الكذابَ صاحبَ هذا الكتاب لم يجرؤْ علىٰ الظهورِ للناس في أولِ الأمر، فكيف يمكنُ أن يكونَ قد أتىٰ بمعجزاتٍ أراناها فصدَّقْنا به وبها، ونحن لم نتشرَّفْ أصلاً بطَلْعته الغبيَّة؟.

*** البشارة هل يمكن أن تكون للضالين؟ :**

وفي تلك السورة نفسها نقرأُ هذا الكلامَ العجيبَ الذي لا يُمكنُ أن يصدرَ عن أميٍّ، بَلْهَ ربٍّ العالمين الذي خَلق العقلَ والبيان، فلا يُعْقَل أن يَصِلَ لهذا الدَّرْك الأسفل من العِيِّ واللامنطق، إذ جاء في الفَقرة الثامنة منها وصفًا لـ «الضلال المبين» الذي يُسمُّونه كذبًا بـ «الفرقان الحق»: «صِنْوُ الإنجيل، ورَجْعُ الصَّدَىٰ، وبيانٌ للناس كافةً، وتذكرةٌ للكافرين، ونورٌ ورحمةٌ، وبَشيرٌ ونذير، وهدًىٰ للضالين لعلَّهم يتذكرون ويهتدون».

تُرىٰ كيف يكونُ بَشيرًا للضالين؟ إنَّ البشارةَ إنما تكون للمهتدين لا للضالين!!.

*** الزعمُ بأن الإسلامَ انتشر بحدِّ السيف :**

حاول المؤلِّفُ القزمُ إثباتَ أن الإسلامَ انتشر بحدِّ السيف، وردَّد هذه الفِرْيَةَ في أكثرَ من سورة من سُورِهم المزيفةِ مثل: «سورة القتل» و«سورة الماكرين» و«سورة الطاغوت»، و«سورة المحرِّضين» و«سورة الملوك» و«سورة الجزية» فقال: «وحَمَل الذين كفروا علىٰ عِبادنا بالسيف، فمنهم مَن استسلم للكفر خوفَ السيفِ والرَّدىٰ، فآمَنَ بالطاغوت مُكرَهًا، فسَلِم وضَلَّ سبيلاً، ومنهم مَن اشترىٰ دِينَ الحقِّ بالجزية عن يدٍ صاغرًا ذليلاً، ومنهم مَن تمسَّك بالدينِ الحقِّ فقتلوه في سبيلنا» (الجزية: ٥).

وجاء في (العطاء: ١٠): «ورُحتم تقتلون المؤمنين من عِبادنا، وتُكرِهون الناسَ بالسيف علىٰ الكفر، وهذه سُنَّةُ المجرمين، ألاَ تَعْسًا للمنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون».

وفي سورة (القتل: ٥): «وبأنهم هَدَموا الكنائس، وقَتلوا القائمين عليها.. واعتديتُم علىٰ بيوتٍ أَذِنَّا أن تُرفعَ ويُذكَرَ فيها اسمُنا، وهدمتُهم كنائسَ وبِيَعًا يُسبَّحُ لنا فيها بالغدوِّ والأصال، وسعيتم لخرابها، وقتلتم القانتين المؤمنين من عِبادنا، وتلكم أفعالُ المجرمين».

وإمعانًا في وصف المسلمين بالقَتَلة وسَفكِ الدماء خَصَّهم بسورةٍ سماها سورة (القتل: ٣١).

وهذا الاتهام، الإسلامُ منه بريءٌ براءةَ رَحِمِ الفيل من وَلِدِ الأتان.

* القرآن الأمريكي وقضايا المرأة:

تناول الفرقانُ المزعومُ المرأةَ في مواضعَ كثيرة، بل خَصَّها بأربعِ سُورٍ هي: (النساء: ٢٤)، و(الزواج: ٢٥)، و(الطلاق: ٢٦)، و(الزنىٰ: ٢٧)، وأثار فيها قضايا التعدد، والسَّبي، وقِوامةِ الرجل، والميراث، وشهادةِ المرأة، وملامستِها، وزَعموا أن الإسلامَ امتَهَن المرأةَ، كما تَزعمُ جمعياتُ حقوقِ الإنسان الغربيةِ الكافرةِ بأن الإسلامَ جَعَل المرأةَ سِلعةً تُباعُ وتُشترىٰ بقولهم علىٰ اللَّه كفرًا وزُورًا: «وهنَّ حَرثٌ لكم تأتون حرثكم أنىٰ شئتم، ذلك هو الظلمُ والفجورُ، فأين العدلُ والخُلقُ الكريم؟ وبدأنا خَلْقَكم بآدمَ واحدٍ وحواءَ واحدةٍ، فتُوبوا عن شِركِ الزنا ووحِّدوا أنفسكم بأزواجكم.. فللزوج الذكرِ الواحدِ زوجةٌ أُنثىٰ واحدة وما زاد عن ذلك فهو من الشيطان الرجيم.. فالمرأةُ بشِرعتكم نصفُ وارثٍ، فللذكرِ مِثلُ حظِّ الأُنثيين، وهي نصفُ شاهدٍ، فإن لم يكن رجلان فرجلٌ وامرأتان، فللرجالِ عليهن درجة، وهذا عدلُ الظالمين.. وإذا خَشيتم عليهن الفتنةَ

غيرةً احتبستموهن بقولكم: قَرْنَ في بيوتكن، ألاَ ساءَ حُكمُ الظالمين قرارًا. فأيُّ سلعةٍ تبتاعون، وأيُّ بهيمةٍ تقتنون وتسوسون؟».

وقالوا: «يا أيها الناس: لقد زنىٰ مَن كان أحد أربعة: مشركًا بزوجته أخرىٰ، أو مُطلِّقَها دون زناها، أو زوجَ مطلقة، أو ذا عينٍ زانية، وفعلٍ ذميم» (الزنىٰ: ١٢).

ويقول: «مَن طلَّق زوجتَه إلاَّ لزناها فقد زنىٰ، ومَن أشرك بزوجته أخرىٰ فقد زنىٰ، وما للزاني إلىٰ الجنة من طريق» (الطلاق: ١٠).

وجاء في سورة «النساء» الأمريكية: «يا أهلَ الظلم من عبادنا الضالِّين، لقد اتخذتم من المرأة سِلعةً تُباع وتُشترىٰ، وتُنبَذُ نَبْذَ النوىٰ، ومَهيضةَ الجَناح، هضيمةَ الجانب، وما كان ذلك من سُنَّةِ الْمُقسطين، تقتنون ما طاب لكم من النساء كالسوائم تأسِروهن حبيساتٍ وهنَّ حَرثٌ لكم تأتون حَرْثَكم أنَّىٰ شئتم، ذلك هو الظلمُ والفجور، فأين العدلُ، فللذكر مثلُ حظِّ الأُنثيَينِ، وهي نصف شاهد، فإن لم يكن رجلانِ فرجلٌ وامرأتان، فللرجلِ عليهنَّ درجةٌ، وهذا عدلُ الظالمين، وملامسةُ المرأة نَجَسٌ تأنفون منها قائلين: إذا جاءَ أحدُكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمَّموا صعيدًا طيبًا، واتخذتم من المرأةِ مَوْرِدَ غريزةٍ تطلبونها أنَّىٰ شئتم ولا تطلبكم، وتُطلِّقونها أنَّىٰ شئتم ولا تُطلِّقكم، وتهجرونها ولا تهجركم، وتضربونها ولا تضربُكم، وتُشركون بها مَثنىٰ وثُلاثَ ورُباعَ وما مَلَكَتْ أيمانُكم، ولا تُشرك بكم أحدًا» (النساء: ١ : ٨).

إلىٰ غير ذلك من السخف الذي لا ينطلي علىٰ عاقل.

□ ويُمكن جمعُ شبهاتِ أصحابِ هذا الكتاب بالنسبة للمرأة فيما يأتي:

- تعدد الزوجات. - الطلاق.

- مساواة المرأة بالرجل. - ميراث المرأة. - لمس المرأة.

* المرأة في الغرب:

ظهرت إحصائيةٌ بلندن عن وضعِ المرأةِ في الغرب في صحيفةٍ عربيةٍ تصدرُ في لندن، جاء في هذه الإحصائية (٢٩/ ٥/ ١٩٨٠) أن ٧٥٪ من الأزواجِ يخونون زوجاتِهم في أوروبا، وأن نسبةً أقلَّ من المتزوِّجات يَفْعَلْنَ الشيءَ ذاته[1]، وقد أفادت بعضُ الإحصائيات أنه:

- يُغتصب يوميًا في أمريكا (١٩٠٠) فتاة، ٢٠٪ منهن يُغْتَصَبْنَ من قِبَلِ آبائهن!!.

- (١,٥٥٣,٠٠٠) حالة إجهاض أُجريت على النساء الأمريكيات سنة ١٩٨٠م (٣٠٪) منها لفتياتٍ لم يتجاوَزْنَ العشرينَ من أعمارهن.

بينما تقول الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثةُ أضعاف ذلك!!.

- ٨٢ ألف جريمة اغتصاب، منها ٨٠٪ وقعت في محيط الأسرة والأصدقاء.

- يتم اغتصابُ امرأةٍ واحدة كل (٣) ثوان سنة ١٩٩٧م.

- مليون امرأة تقريبًا عَمِلن في البغاء بأمريكا خلال الفترة من (١٩٨٠م إلى ١٩٩٠م).

---

(١) «عمل المرأة في الميزان» لمحمد علي الباز (ص١٣١).

- (٢٥٠٠ مليون) دولار الدخل المالي الذي جنته مؤسساتُ الدعارة وأجهزتها الإعلامية سنة ١٩٩٥م.

- في بريطانيا (١٧٠) شابة تحمل سفاحًا كل أسبوع[1] .

* بث ثقافة الانحلال والإباحية:

ولأن الكتابَ الأمركي يُعَدُّ بحقٍّ مستنقعًا للقاذورات، فلا غرابةَ إذا كانوا يتعمَّدون فيه مساواةَ الطُّهْرَ بالخبث والنجاسات!! ومساواةَ النكاحِ بالزنا!! ففي سورة «الطهر» بقولهم على الله زوراً وكذبًا: «وما كان النجسُ والطمْثُ والمحيضُ والغائطُ والتيممُ والنكاحُ والهجرُ والضربُ والطلاقُ إلا كومةَ رِكسٍ لَفَظها الشيطان بلسانكم، وما كانت مِن وَحينا وما أنلنا بها من سلطان».

✍ وفي السورة المزعومة ذاتها منتهى التألِّي على الله - عز وجل - والكفرِ بما أنزل من آياتٍ بينات بقولهم افتراءً عليه: «وقُلتم إفكًا: لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً.. وأُمرتم باقترافه مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ أو ما مَلكت أيمانُكم، ولا جُناحَ عليكم إذا طلقتم النساءَ فإن طلقتموهنَّ فلا يَحْلِلن لكم من بعدُ حتى ينكحن أزواجًا غيركَم فهل بعد هذا من زنًى وفحشٍ وفجور».

تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.. إنهم يَصِفون تعدُّدَ الزوجاتِ بالزنى، والطلاق كذلك!!.

وفي سورة «الزنا» افتروا على الله القول: «يا أهل السِّفاح من عِبادنا

(١) انظر: http: www. Iahaonline. com: Family HerandHim: al - 04.c.

الضالين: لقد دفعتم بأنفسِكم إلىٰ الزنا بما طاب لكم من النساء مثنَىٰ وثُلاثَ ورُباعَ أو ما مَلكت أيمانُكم، فعارضتم سُنَّتنا في الإنجيل الحقِّ بأن مَن نظر لأنثىٰ بعينِ الشهوة فقد زنا بها في قلبه السقيم، ومَن أشرك بزوجةٍ أخرىٰ فقد زنا وأوقعها في الزنا والفجور».

وتمشّيًا مع هذه السياسةِ الإباحيةِ عاب صاحبُ الضلالِ المبينِ علىٰ الإسلام إقامةَ حدِّ الرجمِ علىٰ الزاني، فمما جاء في سورة (الزنا: ٨): «ورجمتُم الزناةَ كأنكم أبرياء، فمَن برَّأ نفسَه فلْيكنْ أولَ الراجمين».

✍ ولعلك تعرفُ ـ أخي الكريم ـ السبب، فأصحابُ هذا العفن يَغُوصون في إباحيةٍ عفنة.

* ذمُّ العباداتِ في الفرقان الأمريكي:

ولم يَنْسَ مُلفِّقو هذا الباطلِ المسمَّىٰ بالفرقان أن يُشوِّهوا العبادات، فتارةً يزعمون أنها لا تُقبل، وطَوراً يُنفِّرون من أداءِ الصلاةِ في جماعة، وهاكم ما قالوه.

١) الصلاة والدعاء:

أراد المؤلِّفُ أن يَحُطَّ من شأنِ الصلاة في المساجد والدعاء، فهو يَعُدُّ الصلاة في المساجدِ والأماكنِ العامةِ من الرياء، فقال في سورة (الصلاة: ٣: ٧): «إن الذين يُقيمون الصلاةَ في زوايا الشوارع والمساجدِ رياءً كي يَشْهَدَهم الناسُ، ذلك هم المنافقون. وهم في الحقيقة لا يُصلُّون، فمَن نَوىٰ أن يُصلِّيَ فليدخلْ دارَه، ولْيُغلقْ بابَه، ويُصلِّ خُفْيةً نجزيه علانيةً بعين العالمين * تُكرِّرون الكلامَ لَغْواً كعَبَدَة أوثانٍ تظنون أنكم بالتكرار تُستَجَابون * إننا

نَعلم سُؤْلكم قبلما تَسْألون * وتُرددون الدعاءَ طمعًا بدخولِ الجنة، فلن تُفْتَح أبوابُ الجنة للمنافقين، أما الذين يعملون بمشيئتنا فهم الذين يدخلون».

٢) الصيام:

ولَم تَنجُ فريضةُ الصيام هي الأخرىٰ من كيدهم لماذا؟ لا أحدَ يدري؟!

يقول فرقانهم المزعوم في سورة (الصيام: ٣: ٨): «يا أيها المنافقون من عبادنا: إن صيامكم غيرُ مقبول لدينا وغيرُ ممنون * فما كان الصومُ تضوُّرًا لأجَلٍ معلوم * تَتْخَمون صُوَّمًا أكثر منكم مفاطرَ وكالأنعام تَطْعَمون * تُرهقون أجسادكم ونفوسكم نَهمًا فكأنكم ما طَعمْتم من قبلُ ولن تكونوا من بعدُ طاعمين * وتأكلون السَّنَةَ في شهر جَشَعًا لِضعفكم وتضوُّركم فخيرٌ لكم ألاَّ تصوموا فإنه لا أجرَ للضعفاء والمتضوِّرين * وتكلِّحون وجوهكم وتُصعِّرون خدودَكم للناس لتَظْهَروا صائمين إنما يفعلُ ذلك القومُ المنافقون».

٣) ذبح الأضاحي:

من الشعائر التي يتقرَّبُ بها المسلمون إلىٰ ربهم ذبحُ الأضاحي، والمسلمُ حين يذبحُ أُضحيَتَه يَلهَجُ لسانُه وقلبُه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وأصحابُ هذا «العفَن» لا يُحبُّون هذه الشعيرة، وهذا البغضُ قديمٌ وليس جديدًا، يقول شاعرُهم الأخطلُ، الذي فقد حاسةَ الحياء والتذوق:

ولستُ بصائمٍ رمضـــانَ طَوعًا ولستُ بآكلٍ لَحْمَ الأضاحي[1]

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٢٦٣).

وانظر إلىٰ «الفرقان الباطل» وهو يقول: «يا أهلَ العُدوان من عِبادنا الضالين: تَسفِكون دماءَ البهائم أُضحياتٍ تبتغون مغفرةً ورحمةً من لدُنَّا عما اقترفَتْ أيديكم من قتلٍ وزنًىٰ وإثمٍ وعدوان * إنما أُضحيةُ الحقِّ قلبٌ طهيرٌ يتفجَّرُ رحمةً ومحبةً وسلامًا لعبادِنا ورِفقًا بالبهائم، فلن ينالَنا لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالُنا تقوىٰ المتقين» (الأضحىٰ: ٧).

ومن الواضح أن مَثَلهم حين يتظاهرون بالعَيب علىٰ دينِ ربِّ العالمين كَمَثَلِ المومسِ التي لا يُعجبُها عِفَّةُ الحرائرِ الشريفاتِ، فتَذهبُ تَعيبُهنَّ قائلةً في تَبَاهٍ وتشامخٍ كاذبٍ داعر: إنها عشيقةٌ لفلانٍ وفلانٍ من أكابرِ القوم وليست زوجةً لرجل لا هو صاحبُ شهرةٍ ولا ذو منصب كبير من السِّفْلة المجرمين! ماذا في إفرادِ اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالعبادةِ والصلاةِ والصيام؟ وماذا في الصلاة في المساجد بحيث يُزْرِي عليها الكَفَرَةُ المارقون؟.

وماذا في الأضاحي؟ إنكم تُظْهِرون الشفقةَ عليها، فهل نَفهمُ مِن هذا أنكم لا تذبحون الحيواناتِ ولا تأكلونها؟ وهل يَكرهُ اللَّهُ من عباده أن يُطْعِموا مِن أضاحيهم الفقراءَ والمساكين؟ فأين المحبةُ والرحمةُ التي تُصدِّعون رؤوسَنا بها ليلَ نهار؟ أم أن اللحمَ لا يَصلحُ إلاَّ إذا كان مِن جَسَدِ المسيحِ تأكلونه كما يَفعلُ الوثنيون؟ كيف يا إلهي يأكلُ الإنسانُ جَسَدَ ربِّه ويَشربُ دَمَه؟[1] والذي يجعلُكم تُبغضوننا وتحقِدون علينا إلىٰ يوم الدين! إننا حينَ نَذبحُ الأضاحي إنما نذبحُها ليَطْعَمَ معنا منها المحتاجون والجائعون لا ليتمتعَ برائحتها اللَّهُ ربُّ العالمين، وكأنه إلهٌ من آلهة الوثنيين حسبما

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٢٦٣).

صوَّرتموه في «الكتاب المقدس» لديكم، ولذلك تُتْرَك فلا يأكلُ منها أحد.

* وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] الذي سرقتموه كعادتكم ونقلتموه إلىٰ «ضلالكم المبين» دون فهمٍ، كالحمارِ الذي يَجلسُ إلىٰ مكتبٍ ويُمسِكُ كتابًا بحوافرِهِ يظنُّ أنه بذلك سيكونُ من الآدميين الذين يفهمون.

* إنكار النَّسْخ في القرآن:

أنكر صاحبُ هذا الضلال النسخَ في القرآن فقال: «وافتريتم علىٰ لسانِنا الكذبَ، وقلتم بأننا متىٰ نَنسخُ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها، فما أخطأنا ولكن كنا غافلين» (النسخ: ٨).

وقد عابوا علىٰ رسول اللَّه ﷺ بأنه أتىٰ بالنسخ، ويُكفِّرونه من أجلِ ذلك، وتناول ذلك في صورةٍ سماها (سورة النسخ: ٤٥).

إبطال القِصاص:

ويَعُد صاحب «الفرقان» القِصاصَ من أحكام الجاهلية، فقال في سورة (الحكم: ١٠): «أفحكم الجاهلية تبتغون، بأن النفسَ بالنفس، والعينَ بالعين، والسِّنَّ بالسِّنِّ، إنْ هو إلاَّ سُنَّةُ الأوَّلين، وقد خلَتْ شِرْعةُ الغابرين»[1].

ويقول في «سورة العطاء»: «يا أيها الذين ضلُّوا من عبادنا، لقد قيل لكم: النفسُ بالنفس والعينُ بالعين والسِّنُّ بالسن..».

(١) انظر «قراءة في الكتاب المزعوم ـ الفرقان الحق» للدكتور محمد سالم بن شديد العوفي الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

ويعودُ هذا الغافل في الفقرة السادسة فيقول بخصوص هذه الآية نفسها: «ورحتم تُضِلُّون المهتدين وتفترون علينا الكذبَ إنه لا يفلح المفترون».

فشورش هنا يَعيبُ علىٰ الإسلام أنْ سَنَّ تشريعَ القِصاص، ولا يَدري هذا الجاهلُ أن هذا تشريعٌ وَرَد في التوراة التي يُسمِّيها بالعهد القديم، وهذا هو النصُّ كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] أي كتبنا علىٰ بني إسرائيل، ولا أحدَ في اليهوديةِ أو النصرانيةِ إلاَّ ويؤمنُ بأن التوراةَ هي من عند اللَّه، والقرآنُ لم يَقُلْ شيئًا آخَرَ غيرَ هذا.

وجاء ذلك فيما يسمَّىٰ (سورة الحكم/ ١٠): «أَفَحُكْمَ الجاهلية تبتغون بأن النفسَ بالنفس والعينَ بالعين والسِّنَّ بالسن إنْ هو إلاَّ سُنَّةُ الأولين وقد خلَتْ شِرْعةُ الغابرين».

الحلفُ باللَّه محرمٌ في القرآن الأمريكي:

لقد وردت في الفقرة الحادية عشرة من (سورة الزنىٰ: ١١) في «ضلالهم المبين» الكلمة التالية: «ووَصَّينا عبادَنا ألاَّ يحلِفوا باسمنا أبدًا، وجوابُهم: نَعَمْ أَوْ: لا، فقلتم بأنَّ مَن كان حالفًا فلْيَحلِفْ باسمِ الإله أو يصمت، وهذا قولُ الكَفَرةِ المارقين».

تحطيم مبدأ الولاء والبراء:

وكي يُمرِّرَ استراتيجيةَ تحسينِ الصورةِ له في بِقاعِ المسلمين وخَلخلةِ

نَمُوذجهم العقدي فيما يتعلَّقُ بالولاءِ والبراء، فقد ضَمَّنوا هذا الكتابَ ما يتَّفقُ والسياقَ العقديَّ المرغوبَ فيه الخاليَ من أيِّ موقفٍ دينيٍّ صارمٍ تُجاهَ أعداءِ الإسلام، فيذكر في سورةٍ ما يقال عنها «الصلاح» المكذوبة من نفي المعاداة الكافرين، والبراءة من الضالين والملحدين بقولهم: «يا أيها الذين ضَلُّوا من عِبادنا هل ندُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم، تحابُّوا ولا تباغَضوا، وأحِبُّوا ولا تكرهوا أعداءكم، فالمحبةُ سنَّتُنا وصراطُنا المستقيم.. وسُكُّوا سيوفَكم سككًا ورماحَكم مناجلَ ومِن جنى أيديكم تأكلون».

ويستمرُّ الإجرامُ في منهجيته في الآياتِ المزعومة القائلة: «وكم من فئةٍ قليلةٍ مؤمنةٍ غَلبت فئةً كثيرةً كافرةً بالمحبةِ والرحمةِ والسلام»!!.

● وقد كان النبي ﷺ يُبايعُ أصحابَه على الولاءِ للمسلمين والبراء من الكافرين، فقد قال ﷺ: **«أبايُعكَ على أن تعبدَ اللَّهَ، وتُقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتُناصِحَ المسلمين، وتُفارِقَ المشركين»**(١).

◻ قال أبو الوفاء بن عقيل: «إذا أردت أن تعرفَ محلَّ الإسلام من أهلِ الزمان، فلا تنظرْ إلى زِحامهم في أبوابِ المساجد، ولا ضجيجِهم في الموقفِ بـ «لبَّيكَ»، وإنما انظرْ إلى مواطأتِهم أعداءَ الشريعة، عاش ابنُ الرَّاوندي والمَعَرِّي عليهما لعائن اللَّه يَنظِمون وينثرون كُفراً.. وعاشوا سِنين.. وعُظِّمت قبورُهم، واشتريتُ تصانيفهم، وهذا يدلُّ على برودة الدين في القلب»(٢).

---

(١) حديث صحيح: رواه النسائي في «البيعة» (٦ ـ ٤١)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٦٨).

* ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ :

* صدق اللَّه العظيم : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

صَدَقَ اللَّهُ وكَذَبَ «شورش»، كما كذب «رشاد خليفة» من قبله الذي ادَّعىٰ النبوةَ، وزَعَم في مطلع عام ١٩٨٠ أن جبريل عليه السلام قد أتاهُ بالوحي، ثم أخزاهُ اللَّهُ ووَجدت الشرطةُ جثَّته في فبراير عام ١٩٩٠ مضرجةً بالدماء في مطبخِ منزله، وتبيَّن بعدَ المعاينة أنه قُتل ذبحًا وطَعنًا بالسكاكين، وبعد عامين علىٰ مَقتلِه أُعْلِن عن إلقاءِ القبض علىٰ بعضِ أتباعِه بتهمةِ ارتكابهم لجريمةِ القتل، وكان مقتل «رشاد خليفة» موضوعَ غلافٍ لمجلة «المجلة السعودية» التي تصدُر في لندن (العدد رقم ٥٣٦ الصادر في ٢٢ مايو ١٩٩٠»[1].

* يبقىٰ القرآنُ ما بَقِيَ الحق، ويذهبُ الدجَّالون الكذَّابون إلىٰ مزابلِ التاريخ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

---

(١) «القرآن الأمريكي أضحوكة القرن الحادي والعشرين» (ص٥١).

* وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[البقرة: ٢٣ - ٢٤].

❑ يقول المستشرق الفرنسي «موريس بوكاي»: «صحَّةُ النصِّ القرآني المُنَزَّل علىٰ محمدٍ لا تَقبلُ الجَدَل، وتُعطي النصَّ مكانةً خاصةً بين كُتُبِ التنزيل، ولا يَشتَرِكُ مع نصِّ القرآن في هذه الصِّحَةِ لا العهدُ القديم ولا العهدُ الجديد، وسببُ ذلك أن القرآن قد دُوِّن في عصرِ النبي، ولم يتعرَّضِ النصُّ القرني لأيِّ تحريفٍ من يومِ أنْ أُنزِل علىٰ الرسول حتىٰ يومنا هذا»(١).

❑ ونختمُ بما قال «لاكوست» وزير المستعمرات الفرنسي: «وماذا أصنعُ إذا كان القرآنُ أقوىٰ من فرنسا»(٢).

✍ بل أقوىٰ من الدنيا والخلائق أجمعين.. يبقىٰ القرآن لأنه كلام اللَّه.

* القس «رونار سوجارد»:

تاريخ السويد في الإساءاتِ إلىٰ الإسلام ورسوله ﷺ أسود، فالقَسُّ «رونار سوجارد» انتقد في عِظةٍ ألقاها في «استوكهولم» في ٢٠ مارس

---

(١) «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» لموريس بوكاي (ص١٥١)، ترجمة حسن خالد المكتب الإسلامي، ونُحيل القارئ إلىٰ ما كتبه «موريس بوكاي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» - دار المعارف - لبنان ١٩٧٧.

(٢) «قادة الغرب يقولون»، جريدة «الأيام» عدد ٧٧٨٠، الصادر في ٦ كانون أول ١٩٦٢.

٢٠٠٥ زواجَ النبي ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها موجِّهًا عبارات مسيئةً في حقِّ رسولِ اللّه ﷺ(١) .

*** مجلة ناشيونال ريڤيو الأمريكية :**

رَوَّجت المجلة لكتابيْن في مارس الماضي (٢٠٠٥م) هما «حياة ودين محمد» و«سيف الرسول» وكلاهما يحتوي على إساءاتٍ واضحةٍ موجَّهةٍ ضدَّ رسول اللّه ﷺ ولم تعتذرِ المجلة، وإنما قَبلت ـ تحتَ وطأةِ الضغوط ـ أن تُوقِف الإعلان(٢) .

*** المذيع الأمريكي «جرام» :**

والمذيعُ الأمريكي «جرام» في إذاعةِ «دبليو. إم. إيه» الأمريكية في أغسطس ٢٠٠٥م يَصِفُ الإسلامَ بأنه منظمةٌ إرهابية، ويُردِّدُ عباراتٍ مثلَ «المشكلة ليست التطرفَ، بل المشكلةُ تكمُنُ في الإسلامِ نفسِه»، و«نحن في حربٍ مع منظمةٍ إرهابية تُدعىٰ الإسلام»(٣) .

أما آخر ما ابتُلي به الإسلامُ من عنصريةٍ وإهاناتٍ، فكان وَصفُ المذيع الأمريكي الذي كان يَصفُ الحجَّ من الطائرة الهليوكبتر لإذاعة (KFI) الأمريكية بأن الحجيجَ هم قطيعٌ من الماشية(٤) .

---

(١) مقال «التاريخ الأسود للهجوم علىٰ الإسلام» لنفيسة عبدالفتاح مجلة «الأسبوع» العدد ٤٦٤ (ص١٢) ـ ١٤ من المحرم ١٤٢٧هـ ـ ١٣ من فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) نفس المصدر.

(٣، ٤) نفس المصدر.

* **قناة إباحية فرنسية تُهين القرآن:**

فوجئ الناسُ بعد الرسومِ الكاريكاتيرية الدنماركية بالإعلام الفِرنسيِّ المرئيِّ يتبنَّىٰ حَملةً جديدةً وسافرةً تُسيءُ إلىٰ الإسلام وتَفوقُ في خطورتها أزمةَ الرسوم الكاريكاتيرية، حيث يَبُثُّ القمرُ الأوربي طوالَ الساعة إرسالَ قناةٍ إباحية تحمل «XXL» هذه القناة التي ترفع شعار الجنس والابتذال في كلِّ ما تَبُثُّه، لجأت إلىٰ فكرةٍ شيطانيةٍ حيث استبدَلت الموسيقىٰ التصويرية لمشاهدِ الجنسِ والغرام بآياتٍ من القرآن الكريم لمشاهير القرَّاء في الوطن العربيِّ والإسلامي[1].

* **اليهود المغضوب عليهم ورسم النبي ﷺ في صورة....:**

ما اقترفه اليهودُ في حقِّ نبيِّنا ﷺ، وحقِّ إسلامنا فوقَ الوصف، ومسلسلُ الإهاناتِ التي اقترفها المستوطنون الصهاينة ـ المدعومين من أمريكا والغرب ـ بحقِّ القرآنِ الكريم تمزيقًا وتدنيسًا، وبحقِّ المساجد الإسلامية بكتابةِ الشعاراتِ المُهينة للإسلامِ والمسلمين علىٰ جُدرانها وباغتصابِ الجزء الأكبر من «الحرم الإبراهيمي» ـ بمدينة الخليل ـ وحتىٰ برسمِ رسول اللَّه ﷺ في صورة خنزير!![2].

* **ملكة الدنمارك «مارجريت»:**

«إنَّ للدانمرك تاريخًا طويلاً من الإساءات للإسلام والمسلمين، أهمُّها أن ملكة الدنمارك «مارجريت» ألفَّت كتابًا عن الحضارة الأوروبية، وكان

---

(١) نفس المصدر.

(٢) جريدة «النبأ» ـ عدد ٨٦١ (ص١٤) ـ الأحد ٥/ ٣/ ٢٠٠٦.

طَرَفُ النَّقيض لتلك الحضارة العظيمة طبعًا هو الإسلام، فتهجَّمت على الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ»(١).

* **التطاولُ على رسول الله ﷺ بالرسوم الكاريكاتيرية في الدانمارك:**

تعود قصةُ الرسومِ الكاريكاتيرية إلى مؤلِّفِ كتب أطفالِ دانماركي يُدعى Kaara Bluitgen، أراد أن يُزيِّن كتابًا وضعه للأطفال عن خاتم الأنبياء ﷺ بصورٍ لشخصية بَطَلِ كتابه، ولكنَّ المؤلِّفَ لم يجد بين الرسَّامين مَن قَبِل الفكرة، فكان أن أُقيمت مسابقةٌ شارك فيها ١٢ رسَّامًا، وتَبنَّت صحيفةُ «جيلاندر بوستن» الدانماركية اليوميةُ نَشرَ رسوماتهم المسيئة إلى الرسول ﷺ في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م، حيث صوَّرته ﷺ في أشكالٍ مختلفة، من بينها رَسمٌ لوجهٍ غير مُحبَّبٍ للنبيِّ الكريم ﷺ، وعلى رأسه عمامةٌ مزخرفة بالشهادة، وتظهر قنبلةٌ يدويةٌ مغروسةٌ في ثنايا هذه العمامة، ولقد صنعوا ذلك في حَملةٍ صحيفةٍ منظَّمةٍ لمواجهة ما أسمَوه «الخوف من نقد الإسلام»، وانتَقلت الصور إلى شبكةِ «الإنترنت» فيما بعد.

وعندما استفزَّت هذه الرسومُ سُفراءَ ١١ دولة إسلامية ـ من بينها مصر وتركيا وباكستان وفلسطين والبوسنة وأندونيسيا ـ طالبوا في رسائلِ بعثوا بها إلى رئيسِ الوزراء الدانماركي «أندرس فوراسموسن» باعتذارٍ رسميٍّ من الصحيفة، وطلبوا مقابلةَ رئيسِ الوزراء، فرفض مقابلتَهم قائلاً: «إنَّ ما

---

(١) «الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ» (ص٤٦)، وانظر جريدة «العربي» العدد (١٠٠٠) مقال محمد حسين هيكل (ص٢٠) (١٢/٣/٢٠٠٦) «صراع الحضارات» حيث قال: «فإن ذات الطرف رسم خنزيراً وكتب عليه اسم الرسول الأعز الأكرم».

نشرتة الصحيفةُ لم يَخرجْ عن حدود القانون، وإن الحكومةَ الدانماركيةَ لا تتدخلُ فيما هو من حرية التعبير».

وليست هذه هي الواقعةَ الأولىٰ التي تَبُثُّ فيها وسيلةٌ إعلاميةٌ دانماركيةٌ إساءاتٍ إلىٰ الإسلام والمسلمين، فقد توالت هذه الإساءاتُ في الشهور الأخيرة، وأُدين «كاي فيلهيلمسين» المُعلِّق في الإذاعة الدانماركية بانتهاك قوانين مكافحةِ العنصريةِ بسبب إبدائه ملاحظاتٍ معاديةً للمسلمين، حيث طالَبَ بالقيامِ «بإبادةٍ جماعيةٍ للمسلمين في أوربا»، كما تُواجِهُ محطةُ إذاعة «هوجر» المحلية ذاتُ الميول اليمينية المتطرِّفة احتمالَ سَحبِ ترخيصها حولَ قضيةٍ تتعلَّقُ ببَثٍّ موادَّ عنصريةٍ ضدَّ المسلمين.

وأقدمت الصحيفةُ النرويجيةُ «مغازينات» بإعادةِ نشر هذه الرسوم مرةً ثانيةً صبيحةَ عيد الأضحىٰ لتكون الشريكةَ الثانية، وكانت السويد الثالث وأعادت نَشْرَ الرسومِ مرةً ثانيةً صحفٌ كثيرةٌ في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وأسبانيا واستراليا وسويسرا وأمريكا والنرويج والسويد وروسيا، فضلاً عن إسرائيل التي أعادت نشرَ الرسومِ المسيئة إلىٰ رسول اللَّه ﷺ(١).

بل أعادت نشرَ الرسوم صحيفةٌ في مملكة الأردن الهاشمية!!! إي واللَّه.

«وهدَّدت مُفَوَّضِيَّةُ الاتحادِ الأوربيِّ الدولَ الإسلاميةَ التي تُقاطعُ

(١) «الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ» (ص١٤ ـ ١٥)، ومجلة «منار الإسلام» العدد (٣٧٣) ـ مقال موسم التهجّم علىٰ الذات النبوية الشريفة (ص٦ ـ ٩) بقلم مدير التحرير. د. علي محمد العجلة.

البضائعَ الدانماركيةَ بتطبيقِ العقوبات عليها؛ لأنَّ مقاطعةَ الدانمارك هي مقاطعةٌ لكلِّ دولِ الاتحادِ الأوربي الخمس والعشرين!!!.

ووَصَل الأمرُ إلىٰ حدٍّ أنَّ أحَدَ الوزراء في إيطاليا دعا إلىٰ شنِّ حربٍ صليبيةٍ ضدَّ الإسلامِ والمسلمين، وإلىٰ طبعِ هذه الرسومِ المُسيئةِ إلىٰ رسول الإسلام، علىٰ القمصانِ ليرتديَها ويتزيَّن بها الأوربيون» !!! بل وقام هو بلُبْسِها.

◘ وفي حوار أجرته مجلة «البيان» في عددها «٢٢٢» مع الشيخ «رائد حليحل» رئيس اللجنة الأوروبية لنُصرة خير البريَّة»:

البيان: ما سببُ عدمِ اعتذارِ الصحف الدانماركيَّة للمسلمين من سُخريتها برسولِ اللَّه ﷺ؟ وهل تَراه كافيًا لو حَدَث تُجاهَ تصرُّفِهم الأرعن؟

ـ حتىٰ نعرفَ هل يمكنُ لهؤلاء أن يعتذروا؛ فإنه لابد مِن تسليطِ الضوء علىٰ أمرٍ مهمٍّ، ألاَ وهو أنَّ ممَّا يُميِّزُ الشعبَ الدانمركي أنه معتزٌّ بنفسِه كثيراً، لا يَقبلُ النقدَ لما يقوله، ويَصعُبُ عليه الاعتذار، وينظرُ لغيره ـ لا سيمَّا إذا كان مخالفًا له في ثقافته ـ نظرةَ ازدراء، وكأنهم يقولون: مَنْ هؤلاء حتىٰ يُعلِّمونا ما يجبُ علينا؟ ولكأني بهم يريدون ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، هذا من ناحية، ثم ناحيةٍ ثانية: إذا عَلِمنا لماذا فَعل هؤلاءِ هذه الفَعْلَةَ «ما دوافعهم وما النتائجِ التي يَصبُون إليها»، فإني أستبعدُ جدًّا أن يعتذِروا؛ لأنهم جعلوا القضيةَ قضيةَ قِيَمٍ ومبادئَ وطنيةٍ ناضلوا من أجلها، ومن ثمَّ ليسوا علىٰ استعدادٍ لاعتذارٍ يَعُدُّونه هزيمةً وتراجعًا؛ فالمسألةُ عندهم معركةُ وجود ـ والعياذ باللَّه ـ؛ علمًا أن مطلبَ الاعتذار يُعدُّ مناسبًا لحجم وفادحةِ تلك الجريمة، ولكن لخطورةِ الفِعلِ من جهة ولعِلْمِنا بطبعِ هؤلاء وثقافتِهم اكتفينا

بهذا الطلب على أنْ يَصْحَبَه شيءٌ من إصلاحِ تلك الصورة السيئة التي وَصلت للقارئ الدانمركي بأنْ يَسمَحوا لنا بإخراجِ بعضِ الصور المُشرِقةِ التي تُسلِّطُ الضوءَ على جوانب مَشرقةٍ من حياةِ النبي ﷺ، وأن يكون منهم ضمانةٌ بعدمِ تكرارِ مِثلِ هذا الفعل، ولكنْ للأسف الاعتذارُ عن ذلك يُعدُّ عندهم بمثابةِ الرِّدَّة عندنا. فاللَّهُ المستعان.

البيان: ما دَورُ الحُكَّام - العلماء - رجال الأعمال - الشعوب - الهيئات، تجاه تلك الحملةِ الشرسةِ على رسول اللَّه ﷺ؟ وهي ترى أنَّ موقفَ المسلمين كان مناسبًا؟.

- إن حقَّ الرسولِ الكريم ﷺ كبيرٌ جدًّا، ولئن كان يجبُ على المسلمِ الذبُّ عن أخيهِ المسلم ونُصرتُه، ولا يجوزُ له أن يُسلِمَه، ولا أن يَخذُلَه؛ فما بالُكم بحقِّ المصطفى ﷺ؟ وإننا نُهيبُ بعالَمنا الإسلاميِّ كلِّه أن يتحركَ حركةً تُناسبُ الحَدَثَ من جهةِ شناعةِ الفَعلةِ، ومِن جهةِ حُرمةِ النبيِّ الكريم ﷺ وضرورةِ نصرتِهِ، ولقد طالَبْنا من أولِ أيامِ تلك المِحنةِ أن يُناضِلَ كلٌّ بحَسَبه؛ فما يُطلبُ من الحُكَّامِ يَعجِزُ عنه العامة، وما يُطلَبُ من العلماءِ ويُتوقَّعُ منهم لا يُجيدُه دَهماءُ الناس، وما ننتظرُ من أهلِ الدثور لا يُحسِنُه مَن قُدِرَ عليه رِزقُه؛ وهكذا أقولُ للجميع: كلٌّ منكم أدرى بنفسه وقُدرته، فلا يتوانَ أحدٌ عن هذه النصرةِ الواجبة: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] واللَّهُ - عز وجل - لا يُكلِّفُ نفسًا إلاَّ وسعها، فاستعينوا باللَّهِ ولا تَعجِزوا، واعلَموا أنكم إنْ ساهمتم فأنتم في معركةٍ معلومةِ العواقب، فاتقوا اللَّهَ في رسوله علَّكم تنالون بذلك شفاعتَه يوم القيامة.

وإنني أقولها بصراحةٍ: على قَدْرِ ما كنتُ حزينًا أولَ أيامِ الأزمة؛ لأننا

سَعَينا جاهِدين أن نُوصِّلَ القضيةَ للعالَم ليتحرك، وقد تناولت بعضُ القنواتِ الفضائيةِ ذلك في مَطْلَعِ شهرِ رمضان، ومع ذلك لم نسمعْ ما يُثلِجُ صُدورَنا حتى إني كنتُ أقولُ لنفسي: أيُعقلُ هذا من أُمةِ محمدٍ ﷺ أن تَخذُلَه، وقد لُمْتُ وعاتبتُ البعضَ، ولكنَّ ما رأيتُه في هذه الأيام أعاد لي الأملَ في هذه الأمةِ وأنها ما زالت بخيرٍ والحمد للَّه، ولكني أُهيبُ بالجميع أن لا يكونَ ذلك رِدَّةَ فِعلٍ عاطفيةً مع أن العواطفَ مطلوبة، لكنْ نأملُ أن نضعَ خُطةً متكاملةً فيها الذبُّ عن النبي ﷺ قولاً وفعلاً، فنواجِهُ مَن يعتدي عليه، وعلينا أن نجتهدَ في تعريفِ العالَم بشخصيةِ النبيِّ الكريم ﷺ على شتَّى الصُّعُد، ولعلَّنا بذلك إنِ اجتَهدنا أن نُكفِّرَ عن تقصيرِنا، ونُساهمَ في رفعِ العقاب عنا لو سكتنا عن مُنكرٍ عظيم كهذا.

البيان: ما رأيُك بالمقاطعةِ الإسلاميَّة لمنتجاتِ الدانمارك: هل ستؤثِّرُ سلبيًا على المنتجات الدانماركيَّة؟ لأنَّ بعضَهم يقول: إنَّ المقاطعةَ فِكرةٌ غيرُ ذاتِ جدوى اقتصاديًّا؛ لأنَّ هذه المنتجاتِ الدانماركيَّةَ تندرجُ تحت قائمةِ الامتيازِ التجاري، فالمتضرِّرُ من المقاطعةِ هم الوكلاءُ التجاريون، الذين يَحمِلون امتيازَ بيعها في البلاد، فما رأيكم بهذا القول؟.

ـ موضوعُ المقطاعة من باب: «آخِرُ الدواءِ الكَيُّ»، واسمَحوا لي أن أقول: إن المقاطعة ستؤثر دون شكٍّ اقتصاديًا على الدانمرك، لكنَّ خسارةَ الدانمرك القيميةَ والمعنوية أكبرُ بكثيرٍ من خسارتِها المادية؛ لأن خسارةَ المال قد تُعوَّضُ مثلاً من الاتحادِ الأوروبي أو غيرِ ذلك، لكن الذي خَسِرته الدانمركُ اليومَ هو سُمعتُها التي ينبغي أن تكون جميلةً على مستوى العالم، وهي التي لديها مُقدَّراتٌ تُعينُها على أن تتبوَّأ منزلةً قويَّةً في عالَمنا اليوم.

ونحن حَذَّرنا الدانمرك أنَّ عواقبَ العنادِ على هذه الإساءةِ قد تكونُ أكبرَ من كلِّ التوقعات، وما حَصَل اليومَ خيرُ دليل على صِدقِ نُصحِنا للمجتمعِ الدانماركي، وحتى لا يتضررَ بسببِ فَعلةِ الجريدة وتغاضي الحكومة.

لذا فإن ضررَ هذه الحَملةِ لن يقتصرَ على وكلاءِ الشركات، بل على الشركات نفسِها - ولو لم يكن لها فِعلٌ في ذلك -، لكننا نعلمُ أنه ما مِن أسلوبٍ يُراد منه الضَّغطُ لانتزاعِ حقٍّ إلا وسيكونُ معه مِثلُ ذلك، ولكنه مفيدٌ عندما يتأثَّرُ المتضرِّرُ ماديًّا فيَضغطُ مع المسلمين المتضرِّرين معنويًّا لانتزاعِ الحقِّ بالقهرِ بعد أن سُلب ولم يرجع بالنقاش والحوار.

البيان: ما العواملُ الدافعةُ للنيْل من رسولِ اللَّه ﷺ؟ وهل ذلك يُمثِّل مخطَّطًا صليبيًّا للكيد للإسلام؟.

- أرى واللَّه أعلم - أنه في المخزون الفكريِّ لدى غالبيةِ الأوروبيين نوعٌ من توارثِ عَداءٍ تقليديٍّ للإسلامِ وللنبي ﷺ ولو اتَّصفوا بالعلمانية؛ لذا لا أستطيعُ أن أنفيَ وجودَ دوافعَ دينيةٍ غيرِ ظاهرة، إلا أن الدافعَ السياسيَّ أظهر؛ وذلك من تصريحاتٍ عِدةٍ تَدُلُّ على أن الغايةَ منها هو تحدِّي المسلمين لاستفزازِهم تمشِّيًا مع نَغَمةِ الجُرأة على الإسلام على وقع أنغام (الحرب على الإرهاب)، واختيار النبي ﷺ بالذات للطعنِ به، وذاك مقدِّمةٌ للطعن بدينهِ كلِّه، ولعلمِهم بمكانته وقُدسيته؛ فهو أفضلُ اختيارٍ لاستفزازِ المسلمين عبره.

البيان: هل ترى أنَّ هذه السخريةَ لجسِّ نبضِ المسلمين، تُجاهَ دفاعِهم عن رسول اللَّه ﷺ؟.

ـ إن التأمُّلَ في الواقعِ ليس داخلَ الدانمرك فحسب، بل على صعيدِ أوروبا قاطبةً، إن لم نَقُلْ العالَم؛ يدفعُ إلى الخشيةِ من أن تكونَ هذه الفَعلةَ عبارةٌ عن (بالون اختبار) لجسِّ نبضِ الساحة داخليًّا وخارجيًّا، ومِن ثَمَّ سيكونُ مستوى الردِّ مؤشرًا على حَجمٍ وقوة وتفاعلِ المسلمين ومدى بقاءِ الإسلام حيًّا في نفوسهم، ثم يَتبعُ ذلك تعميمٌ لهذه التجربة ونتائجها، وهذا ما نخشاه أن يُجعَلَ النبي ﷺ مَحلَّ تجربةٍ (والعياذ بالله)، ويَعقُبُ ذلك خطوطٌ متبنَّاة في الغرب حسبَ إيحاءاتِ مستوى ردَّةِ الفعل الإسلامي.

البيان: ألاَ يتعارضُ ذلك مع حرية التعبير؟ وهل تجرؤُ الصحفُ الدانماركيَّة بفتح المجال لنقدِ الصهاينةِ وبخاصَّةٍ مسألة (الهولوكوست) التي استُغلَّت أيما استغلال مما يفضحُ ديمقراطيَّتهم المزعومة؟.

ـ المشكلةُ أن التخفِّي وراءَ شعارِ حرية التعبير، يُعتبرُ حَيدةً عن الحقيقة، وذلك أننا نجدُ المعاييرَ مزدوجةً، وإننا لَنعجبُ لَمَّا تكونُ الحريةُ في أوسع مجالاتها عندما يتعلَّقُ الأمرُ بالإساءة للإسلام، أما في غيرِه فإنَّا نجدُ لها حُدودًا، فإن الكلامَ عن الساميةِ عمومًا فضلاً عن التشكيك في المحرقة أصلاً أو وصفها حجمًا وكمًّا، ومجردَ الحديثِ عن ذلك لا يُسمح به تحتَ ذريعةِ حريةِ الرأي والتعبير؛ فهذه الأمورُ رَيبٌ وشُكوك؛ علمًا أن الحريةَ بمعناها االمعروفِ أنها التي تنتهي عندما تبدأُ حريةُ الآخرين.

وقد يكون حَسَنًا هنا التنبيهُ في وقتٍ يُرادُ أن يصوَّر فيه المسلمون على أنهم الأعداءُ العِظامُ للحرية، فنقول: إن الحريةَ أمرٌ قد نادى به دينُنا حتى في أدقِّ الأمور، بل أجلِّها وهو التوحيد: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالخلاصة أن الحريةَ تَكفُلُ لك أن تَدينَ بما تشاء، لا أن تتهكمَ بمن تشاء.

ومن العَجَبِ أن يُطالَبَ المسلمون دائمًا باحترامِ الآخرين وقِيَمِهم ومقدَّساتهم مهما كانت باطلةً، ونَجِدُ في الوقت نفسه مَحِلَّ هَجمةٍ شرسةٍ علينا، فنطالَب إذًا بعملٍ متناقضٍ أن لا ننتقدَهم، وأن نقبلَ في اللحظة ذاتها إساءتهم فتأمل!.

البيان: ما دورُ عقلاءِ النصارىٰ أمام هذه الهجمة؟ ولماذا هذا السكوتُ الكنسي عن سبِّ رسول اللَّه ﷺ؟.

ـ إن دينَنا علَّمنا الإنصافَ ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨]، وقد سَمِعنا بعضَ الأصواتِ المستنكِرةِ هنا لهذا الفعل، لكنها كانت خافتةً، وهذا طبيعي، فلن تكونَ بحجمِ ردَّة فعلِ المسلم، وما كان منها وإن كان قليلاً هادئًا ليس فيه الحماسةُ الكافيةُ، إلاَّ أنه لم يَبرُز بالشكل الكافي حتىٰ لا يُعكِّرَ علىٰ الجوِّ العام السائدِ الذي يريدُ تفعيلَ هذه الأزمة ـ للأسف ـ.

البيان: ألاَ ترىٰ أنْ ذلك يُسبِّب مشكلةً وخطورةً علىٰ الدانمارك، بمعنىٰ أنه سيفتحُ عليها جبهاتٍ قد تؤذيها ممَّا يؤجِّج ويَزيدُ حالَ العداوةِ من المسلمين تجاه الغرب؟.

ـ لقد حَذَّرْنا مراراً الدانمارك من مَغبَّةِ تلك الفَعلة النكراء، ولكن للأسف بدل أن يَحمِلَ كلامَنا مَحْمَلَ المُشفِقِ الناصحِ الأمين، حُوِّر الكلامُ حتىٰ صُوِّر وكأنه تهديد، وقلنا مراراً: إن هذا سيَزيدُ الإحساسَ بالغَبْن ممَّا يُضاعِفُ من مشاعرِ الكراهيةِ من المسلمين للغرب والعكس أيضًا، ولكنَّ العنادَ لم يكن يومًا طريقًا صحيحًا للحوار والتفاهم، ويُكرِّسُ الهُوَّةَ الكبيرةَ

بين الثقافتين إن لم يكن مقدِّمة عمليَّةً لتأجيج حربِ حضارات.

البيان: ما رأيك ببعض المواقع على الإنترنت وتدَّعي الانتسابَ للإسلام، تضعُ استفتاءً عن سبِّ الرسول ﷺ، وهل هو مقبولٌ بدعوى حرية الرأي أم لا؟!.

ـ إن قضيةَ تعظيمِ الرسول الكريم ﷺ عمومًا لا سيَّما مقابل أيِّ إساءةٍ أو إرادةِ انتقاص، فإنه ينبغي أن لا تَحمِلَ في ثناياها أيَّ ضعف، بل ينبغي أن تكون كلُّ المؤشِّراتِ في سياقٍ واحدٍ وهو التعظيم، وإني أرى أنه من الخطأ أصلاً التقليلُ من شأنها لتُجعل محلَّ نقاش، بل ينبغي أن يكون مستقرًّا أنها لا دَخلَ لها إطلاقًا بمبدأِ حريةِ الرأي، بل كان ينبغي أن يكونَ التساؤلُ حاملاً في طيَّاتِه النكيرَ الكبيرَ، وليس هذا الأسلوبَ الذي يُوهِمُ أنه من الممكن أن تكونَ هذه القضيةُ قابلةً للنقاش.

البيان: كلمتُكم تُجاهَ رجالِ الأعمال الكبار الذين قاطعوا المنتجات الدانماركيَّة؟

ـ من الأمور القطعية التي لا مِريةَ فيها أن حُبَّ النبي ﷺ أعظمُ من حبِّ الولد والوالد والمالِ بل والنفس؛ وعليه فإنَّنا نَفديه بآبائنا وأمهاتِنا، وكلُّ شيءٍ يَرخصُ فِدىٰ رسول اللَّه ﷺ، وإنَّ كلَّ مَن ضَحَّىٰ بشيءٍ إكرامًا لرسول اللَّه فإني أقول له: عَوَّضك اللَّهُ خيراً، بل قد عوَّضك؛ لأن مجردَ حُبِّك للنبي ﷺ هو أخيرُ وأفضلُ من الدنيا وما فيها. وأقول للجميع: إن مَن تَرَكَ شيئًا للَّه عَوَّضه اللَّهُ خيرًا في الدنيا والآخرة، وإنه لَجميلٌ جدًّا أن نرىٰ أن الكلَّ يُعبِّرُ عن حُبِّه لرسولِ اللَّه ﷺ؛ كلٌّ بحَسَبه، وكلٌّ بطريقته،

وإنه ما دامت النوايا خالصةً فإنه لا يَضيعُ شيءٌ عند اللَّه، ويكفي مَن يَفدِي رسولَ اللَّه ﷺ أنْ يَطمَحَ إلىٰ نَيلِ شفاعته يوم القيامة وصُحبتهِ في جناتِ النعيم. . اللَّهم آمين.

البيان: سمِعنا أنَّ الدانماركيين بيَّتوا نيَّةَ إحراقِ المصاحفِ في أكبرِ ساحةٍ في «كوبنهاجن»، نرجو منك التوضيحَ لملابسات هذا الحدث؟ .

ـ الحمد والمِنَّةُ للَّه وحده أنه لم يَحصُلْ شيءٌ من ذلك أبدًا، والقضيةُ قد بدأت بالظهورِ بعد إحراقِ العَلَمِ الدانمركي أولَ مرةٍ في فلسطين، والعَلَمُ عندهم له قدسيةٌ مما مكَّننا أن نحتجَّ عليهم ألاَّ يُنكِروا علينا انزعاجَنا من إهانةِ مقدَّساتنا كما حَصَلَ لهم عند إحراقِ عَلَمهم.

المهمُّ أنه بُعَيْدَ ذلك انتشرت رسالةٌ قصيرةٌ عَبْرَ الجوال، وكان انتشارُها سريعًا جدًّا ـ كعادةِ الفتن ـ ولم يُعرف مصدرُها الأصلي، وطبعًا لم تتجرَّأْ أيُّ جهةٍ علىٰ تبنِّيها، وكان فيها دعوةُ الشباب الدانمركي للتجمُّعِ في الساحةِ العامةِ يوم السبت في ٤/ ٢/ ٢٠٠٦ وذلك لإحراق المصحفِ الشريف ـ عياذًا باللَّه ـ ولكن وبعدَ إبلاغنا الجهاتِ الأمنيةَ وتحذيرِنا لهم من كونِ هذا العملِ سيُحدثُ رِدَّةَ فِعلٍ أعظمَ مما أحدثته الرسوماتُ، فإنهم وَعدوا بملاحقةِ الأمرِ ومَنْعِ حدوثه، ونحن بدورِنا نَصَحْنا بعدمِ تناقُلِ تلك الرسالةِ حتىٰ لا تَشيع بل تُخبت، ونَعملُ علىٰ وأدها، وفي هذا اليوم الموعود احتشد عددٌ كبير من المسلمين ـ لا سيَّما الشباب ـ مع وجودِ مكثَّفٍ للشرطة، بل مع وجود بعضِ الدانمراكيين المتعاطِفين أو الخائفين من عواقبِ هذا الفعل، وقد حصَلت هناك مواجهاتٌ ولَغَطٌ أعقبه توقيفُ البعض، وتحوَّلت الحشودُ من ساحةٍ لأخرىٰ، ولكن باءت كلُّ المحاولاتِ بإحراقِ المصحف بالفشل

الذريع؛ فالحمدُ للَّه على ذلك؛ عِلمًا أن شعارَ المسلمين يومَها كان «لا يمكن أن يُحرَقَ المصحفُ وفِينا عِرقٌ يَنبض»، وطبعًا كلُّنا يعلمُ أن الحكومةَ ليس من مصلحتها الإِذنُ بمثلِ هذا الأمرِ حتىٰ لا تُدخِلَ نفسها في أزمةٍ أكبر.

البيان: هل صحيح أن الجريدة التي رسمت صوراً مسيئةً لرسول اللَّه ﷺ رَفضت قبل سنتين أن ترسمَ صوراً للمسيح عيسىٰ بن مريم؟ وإذا كان ذلك صحيحًا أفلا ترىٰ أنَّ في ذلك تناقضًا صارخًا في دعاوىٰ الحريَّة؟.

ـ نعم! لقد صرَّح غيرُ واحدٍ من المطلعين بل المتخصِّصين أن الجريدة في عام ٢٠٠٣ عُرضت عليها رسوماتٌ للمسيح عليه السلام تحكي قيامتَه ـ عندهم ـ، إلا أنهم بادَروا برفضها، وعَلَّلوا ذلك أنه سيُغضِبون القُرَّاء، ولن يَروقَ لهم مشاهدةُ تلك الرسومات، وقد تُثيرُ احتجاجاتٍ هم بغِنًى عنها، وقد أورَدَتْ هذا الخبرَ جريدةٌ محليةٌ دانمركية إلىٰ جانب المواقع العالمية.

وقد شاع خبرُ أن الصحيفةَ ستَنشرُ هذه الصورَ ورسوماتٍ عن اليهود يوم الأحد القادم، ولعل ذلك مَرَدُّهُ إلىٰ مقابلةٍ أجرتها (CNN) مع المحرِّرِ الثقافي الذي نَشَر الرسومات المسيئة لنبينا ﷺ، وقد رَفع أثناءَ المقابلةِ رَسْمَ قُنبلةٍ عليها نجمةُ الصهاينة؛ إلاَّ أنه بُعَيْدَ المقابلةِ وعلىٰ موقع جريدتِهم ظَهَر اعتذارٌ واضحٌ وصريحٌ علىٰ لسان هذا الشخص امتثالاً لأمرِ رئيس التحرير يقول: لا يمكن أن ننشر شيئًا عن المسيح أو الهولوكوست، والأعجبُ من ذلك كلِّه ـ وهو آخِرُ خبر ـ أن المخطئَ ـ رَغمَ اعتذاره ـ قد أُعطِيَ في إجازة مفتوحة، فتأمل مدىٰ حريةِ الرأي والتعبير، وكيف أنها تُطَبَّقُ في مجالٍ وتُمنع في آخَر، ألاَ ينبغي بعد ذلك كلِّه أخذ إجراءاتٍ صارمةٍ لمنع مثلِ هذه الترهات تحت هذه الشعارات الزائفة؟.

البيان: هل الشعب الدانماركي يَجهلُ حقيقةَ المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ وبماذا تُوصي المسلمين لتبيين حقيقة رسول اللَّه ﷺ للشعب الدانماركي؟.

ـ إنَّ ما جَرىٰ ويجري وما واكب ذلك من مواقفَ يدلُّ بوضوحٍ علىٰ جَهلِ القومِ بشخصيةِ نبيِّنا الكريم ﷺ، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد، بل الخلفيةُ الفكريةُ والثقافيةُ التي أَقصت الدينَ عن كلِّ مناحي الحياةِ وأضعَفت في النفوسِ معانيَ الاحترامِ والقَداسة، كلُّ ذلك لَعِب دَوراً كبيراً في الجُرأةِ علىٰ نَشرِ تلك الرسومات، يدلُّ عليه موافقةٌ أكثريةٌ (حسب إحصائهم) وعدمُ مبالاة الباقين؛ لأن القضيةَ لا تعنيهم، وكأن شيئًا لم يكن؛ لذا فإنه ـ ولا سيَّما بعد تكرارِ نشر تلك الرسومات في أغلب البلاد الأوروبية ـ فإنه لابد من السعي علىٰ جهتين:

الأولى: جهةٌ دعويةٌ تُعنَىٰ بتوصيل رسالةِ الإسلام وسماحتِه لهؤلاء عَبْرَ كلِّ الوسائل المتاحة، بل ابتكارِ كلِّ ما من شأنه أن يوصِّل هذا الصوتَ المبارك، وهنا أنصحُ بالتنسيقِ الكاملِ بين العلماء الربانيين وبين المثقَّفين المأمونين الذين يعون الغرب تمامًا، وكيف يمكن مخاطبتُه.

الثانية: الجهةُ القانونيَّة؛ وذلك بالعمل لاستصدارِ قانونٍ دانمركي، بل أوروبي إن لم أقل عالَميًّا، يُحرِّمُ نَشرَ مثل تلك الأمورِ، بل يُعاقِبُ ويُجرِّمُ مرتكبيها؛ لأنه إن غابت القداسةُ لم يَعُد ثَّمَ وازعٌ يردع، ولم يَبْقَ إلاَّ الجانبُ القانوني؛ لأنه يُحترَمُ في الغرب ويَردعُ كثيراً لخوفهم من عواقب المخالفة؛ فإنْ تَحقَّقَ فهو خيرٌ عظيم؛ لأنه يَجلبُ مصلحةً ويدفع مفسدة.

البيان: السؤال الأخير: سمعنا أنَّ رئيس تحرير إحدىٰ الجرائد المتورِّطة قدَّم اعتذارًا شفهيًّا للجالية المسلمة بالدانمارك، وأنَّ الدانمارك نفسَها قدَّمت اعتذارًا للمسلمين، برأيكم هل هذا صحيح؟ وهل آتىٰ هذا الاعتذارُ أُكُلَه، وخصوصًا أنَّ الاستهزاءَ عاد مرَّةً أخرىٰ في يوم ٢٢ و٢٣ من الشهر الجاري؟

ـ أخي الكريمَ، أحبُّ أن أَشهدَ شهادةً للتاريخ أُسأل عنها أمام اللَّه أنه حتىٰ هذه اللحظة ١١/١/١٤٢٧هـ لم يَصدُرْ أيُّ اعتذارٍ من جانبِ الدنماركيين علىٰ الصعيدين الرسمي أو الإعلامي من قِبَل الجريدة، عما نُشر من إساءةٍ لنبينا محمد ﷺ.

أما من جهةِ الجريدة، فإنها إبَّانَ ظهورِ الضجَّةِ العارمة، ولا سيَّما المقاطعة التي نُودي بها في بلادِ الحرمين، فإنَّ الجريدةَ وجَّهت خطابًا ـ باللغة العربية ـ علىٰ صفحتها في الإنترنت، عنونته بـ (إلىٰ مواطني المملكة العربية السعودية المحترمين)، وقد تضمن هذا المقالُ أغاليطَ كثيرةً، كنت قد رددتُ عليها بمقالٍ هو علىٰ صفحتنا www. islamudeni. net عنونته (ردود موثَّقة علىٰ مزاعمَ ملفَّقة)، وغايةُ ما في خطابهم الأسفُ لمشاعرِ الحزنِ التي لَحِقَتْ بالمسلمين جَرَّاءَ نشرِ تلك الرسومات، وليس فيه أيُّ اعتذارٍ عنها أو عن نشرها، وكان ذلك محاولةً ماكرةً من الجريدة بعد ضغوطٍ كثيرةٍ عليها من داخل الدانمارك (سياسيًّا واقتصاديًّا) بتحميلها مسؤوليةَ ما يجري علىٰ الدانمارك، فأرادت بذلك تخفيف الحَملة ظنًّا منها أنها بذلك ستُنهي المشكلة، ولا ينقضي عَجَبُنا هنا من هذا الإصرارِ علىٰ معاملةِ المسلمين وكأنهم غيرُ عقلاء لا يفهمون ما بين السطور!.

ولَمَّا لم تَجِدْ أن رسالتَها هذه قد أفادت، ومع تزايُدِ الضغوطاتِ

المتراميةِ الأطرافِ عَمَدت الجريدةُ إلى حيلةٍ عجيبة سَبَقت خروجَ رئيسِ تحريرها على التلفاز الدانماركي بلحظاتٍ وهو يتبجَّحُ قائلاً: «إنَّ الرسوماتِ لا تخالفُ القانونَ، وإنه لن يعتذر عن نشرها»، ولكن بعد لحظاتٍ تَفَاجأَ المراقبون بمقالهم باللغتين العربية والدانماركية وعلى موقعهم بعنوان صريح وواضح «صحيفة اليولاند بوستين تعتذر عن الإساءة للمسلمين»، وقُدِّم لمقالٍ أرسله رئيسُ التحرير لوكالة الأنباء الأردنية بجملةٍ ليست فيه أصلاً «تعتذر صحيفة اليولاند بوستين، وبما لا يَدَعُ مجالاً للشك على أنها أهانت العديدَ من المسلمين من خلال رسومات للنبي محمد».

ولكنَّ الرِّيبة من هذا الكلامِ كان سيدَ الموقف؛ لأنه في ثنايا المقال ليس هناك اعتذارٌ واضح، بل تلاعُبٌ مُرِّر معه التدليلُ على قانونيةِ نشرِ تلك الرسومات، ولكنِ انجلت الأمورُ بعدَ أربعين دقيقةً تمامًا عندما سَحبوا هذا المقالَ ووَضعوا الكلامَ الأصليَّ بعنوانٍ مُغايرٍ تمامًا «حضرات المواطنين العرب»، وليس فيه تلك الجُمَلُ المصرِّحةُ بالاعتذار، وقد حصل ذلك كلُّه يومَ الإثنين ليلاً في ٣٠/ ١/ ٢٠٠٦، وكأنها مخادعةٌ إعلاميةٌ من أجلِ تمريرِ الخبرِ ليهدأَ العالَمُ الإسلاميُّ، وللأسف تلقَّفت بعضُ القنوات هذا الاعتذارَ المزعوم، وقامت بدَورٍ مشبوهٍ في إقناعِ المشاهد أن الاعتذارَ قد حَصَل، وأن اللَّه قد كفى المؤمنين القتال.

ولَمَّا لم يُجْدِ ذلك نفعًا غيَّروا عنوان المقال فقط «حضرات المواطنين المسلمين»!.

وهكذا أصبح مقالُ رئيسِ التحرير وكأنه نصٌّ من كتابِهم المقدَّس، له عدةُ شروحات وتفسيرات! كيف وقد طالَعَنا رئيسُ التحرير مراراً عَبْرَ التلفاز

وعلىٰ صفحات جريدته بما يتعارضُ مع مزاعم الاعتذار؟! كان من آخرِها مقالٌ يوم ٩/ ١١/ ١٤٢٧هـ حاول فيه إقناعَ الرأي العام عن مدىٰ إيجابيته ومدىٰ استعدادهِ لحوارِ المسلمين كي تنتهيَ الأزمةَ، وقد ضَمَّن رسالته هذه ثلاثة شروط:

الأول: قد يَعتذرُ، ولكن عن الإساءة الناتجة عن نشرِ الرسومات، وليس عن الرسومات نفسِها ولا عن نشرها.

الثاني: مطالبتُه المسلمين بتوقيعٍ علىٰ إقرار (الديمقراطية الدانمركية) والتي أخبرنا مراراً أنها تُبيحُ له فَعْلَتَه هذه، وأن عَمَله علىٰ ضوئها قانونيٌّ تمامًا، وكأنه يُريدُ منَّا ما قاله اللَّه: ﴿ **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** ﴾ [النساء: ٢٧].

الثالث: وهو الأدهىٰ ـ وقد صَرَّح بعد سُويعةٍ من هذا المقال ـ: أنه لا يستطيعُ أن يَعِدَ المسلمين بعدمِ تكرارِ إهانتِهم مرةً أخرىٰ!!.

فتأمل ـ بارك اللَّه فيك ـ! أيُعقل بعدَ ذلك كلِّه أن يقال: إنهم قد اعتذروا؟؟!.

أمَّا مِن الجهة الرسميةِ، فهناك إصرارٌ علىٰ أنهم لا يُمكنُهم الاعتذارُ عن عملِ الصحيفة ولا حتىٰ التنديدِ بعملها، والذي التبس علىٰ الناسِ ما قاله رئيسُ الوزراء: إنه يُرحِّبُ باعتذارِ الجريدة (الذي بينَّا حاله سابقًا)، بينما في صبيحةِ تلك الليلة المخادعةِ عَنونت الصُّحُفُ نقلاً عن رئيس الوزراء: «لن نعتذر»، فهل يُعقل قبولُ اعتذارٍ خجولٍ وغيرِ واضحٍ ولا ثابتٍ ولو لساعات، بل حتىٰ لم يُنشر علىٰ صحيفتِهم اليومية، بل نشروه علىٰ موقِعهم

لغايةٍ غيرِ مخفية؟!(١) .

* الردُّ الباردُ الميّتُ الصدمة من شيخٍ كبير على هذا التطاول الدانماركي:

نَشرت جريدة «الأسبوع» القاهرية في عددها (٤٦١) في ٢٣ من ذي الحجة ١٤٢٦هـ ٢٣ من يناير ٢٠٠٦م مقالاً تحت عنوان «عفواً مولانا الإمام: رسول اللَّه ﷺ ليس مجردَ شخصٍ ميِّت» في الصفحة الثالثة عشرة، قالت فيه صاحبة المقال «زينب عبداللاه»: «قبل أن نَشْرَعَ في كتابةِ هذه السطور، نؤكِّدُ أن القلم توقَّف لساعاتٍ طويلةٍ دونَ أن نعرفَ من أين وبأيِّ كلماتٍ نبدأ؟! وماذا نقول أو نكتب.. مزيجٌ من مشاعرِ الصدمةِ والإحباطِ والحزنِ والحَيرةِ عَجَزت أمامَه كلُّ الكلمات عن التعبير.

هذه المشاعرُ شاركَنا فيها كلُّ مَن تَحدَّثْنا معه من علماءِ الأزهر بعد أن اطَّلَعْنا على الكلماتِ التي أدلى بها فضيلةُ الإمامِ الأكبرِ شيخُ الأزهر وإمامُ المسلمين أثناءَ مقابلته التي التقى فيها مع سفير الدانمارك بالقاهرة صباحَ الأربعاء بمشيخةِ الأزهر.. لم نُصدِّق أنفسَنا، ولم نصدِّق حتى الأوراقَ التي صَدرت عن مكتب شيخ الأزهر والإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام به، والتي تحوي هذه الكلمات التي صَدَمَتْنا أكثرَ من الإساءاتِ الدانماركية أو غيرِها من إساءاتٍ موجَّهةٍ للإسلام والمسلمين ونبيِّهم الكريم ﷺ، لأن هذه الكلماتِ صَدَرت عن فضيلةِ الإمام الأكبر، وعَجَزت عن الدفاعِ عن الرسول، واكتَفَت بوصفِهِ مَيْتًا انتهى أجَلُه، ولا يستطيعُ الدفاعَ عن نفسه، وأنه ليس من الحكمةِ أن يُسيءَ العقلاءُ لمن لا يستطيعون الدفاعَ عن

(١) مقالة حوار مع الشيخ رائد حليحل - مجلة «البيان» - العدد (٢٢٢) - (ص٢٦-٢٩).

أنفُسهم!!.

وقد لا يُصدِّقُ الكثيرُون أن تصدرَ هذه الكلماتُ عن شيخِ الأزهر وإمامِ المسلمين الذي وَجَب عليه الدفاعُ عن الإسلام والمسلمين بصفةٍ عامة، فما بالُنا بما يُوجَّه إلى رسولِنا الكريم ﷺ من إساءاتٍ، ولذلك نُفضِّل أن نستعرضَ هذه الكلماتِ كما وَرَدت بنصِّها في الأوراقِ الرسميةِ الصادرة عن مكتبِ شيخ الأزهر.

* **البيان الصدمة:**

فقد أكَّدَ شيخُ الأزهر - وفْقَ ما جاء بالبيان الصادر عَقِبَ لقائه بسفير الدانمارك - أنَّ مصر تربطُها علاقةٌ طيبةٌ بدولةِ الدانمارك، موضِّحًا أن الدراسةَ بالأزهر الشريف تقومُ على السماحةِ وعلى الإخاءِ الإنساني، وأن شريعةَ الإسلامِ تَعتبرُ الناسَ جميعًا إخوةً في الإنسانية!! ويُضيفُ البيانُ: «ثم تطرَّق فضيلتُه في حديثه إلى ما نُشر بإحدى الجرائدِ الدانماركية التي أساءت إلى نبيِّ الإسلام محمدٍ ﷺ، مُشيراً إلى أنَّ الإساءةَ إلى الأمواتِ بصفةٍ عامَّةٍ تتنافى مع المبادئ الإنسانيةِ الكريمةِ، سواءً أكانت هذه الإساءةُ إلى الأمواتِ من الأنبياء أو المُصْلِحين أو غيرهم الذين فارقوا الحياةَ الدنيا (!!) فالأممُ العاقلةُ الرشيدةُ تحترمُ الذين انتهت آجالُهم وماتوا، وهذا ما تقتضيه العقولُ الإنسانيةُ السليمةُ، وفي الوقتِ نفسه نحن نُقدِّسُ الحريةَ.. ولكنْ الحريَّةُ في حدودِ ما أباحته القوانينُ والشرائع.. كما نوجِّهُ رسالةً إلى العالَم أجمع بأن نتركَ الإساءةَ إلى الأمواتِ الذين لا يستطيعون الدفاعَ عن أنفسِهم، كما أن شريعةَ الإسلامِ تحترمُ جميعَ الأنبياءِ من سيِّدنا إبراهيم وحتى سيدنا محمد ﷺ» انتهى كلام فضيلة الإمام وردُّه على الإساءات التي تم توجيهُها للرسول

الكريم ﷺ في بيانه وكلماته للسفير الدانماركي.

فهل يُعقل أَنْ يَذكُرَ إمامُ المسلمين - أو حتىٰ أيُّ فردٍ مسلمٍ عاديٍّ - الرسولَ ﷺ بأنه ميِّتٌ لا يستطيعُ الدفاعَ عن نفسه؟! وإن كان الرسولُ ﷺ قد مات، فهل مات المسلمون جميعًا ولم يَعُد محمدٌ ﷺ يَجِدُ مَن يقولُ كلمةَ حقٍّ يتصدَّىٰ بها لمن يُسيءُ إليه؟!! كيف طاوعك لسانُك - فضيلةَ الإمام - كي تختزلَ كلَّ المعاني التي يُمثِّلُها رسولُ اللَّه المصطفىٰ خاتمُ الأنبياء ﷺ في قلوبِ ملايين المسلمين في كلِّ بِقاعِ الأرضِ لِتضعَه في صَفٍّ واحدٍ مع زُمرةِ الأموات - وفيهم المفسدون والمصلحون، وبينهم الشخصياتُ العامة والتاريخيــة التي يُبــاح نَـقدُها ونَقـدُ تصرُّفاتها حتىٰ بعدَ موتها بمئــات السنين -؟!!.

وهل يُعقل أن نختزلَ مكانةَ الأنبياءِ في نفوسِ أتباعِهم لهذه الصورة؟! وهل افتَقَدْنا القُدرةَ والجُرأةَ حتىٰ عن مجردِ ذِكرِ ما يُمثِّله الرسولُ ﷺ من مكانةٍ لدىٰ المسلمين ووصف ما تُسبِّبه الإساءةُ إليه من إيذاءٍ وجرحٍ لمشاعرهم؟!» هـ.

شيَّخ الشيخَ بياضُ الشَّعْرِ وهو للأطفالِ مثل السُّخرِ

هل يُعقل أن ندافعَ عن الرسولِ ﷺ ونتحدَّثَ عنه بمنطقِ «الضرب في الميِّت حرام»؟!.

◻ يقول الدكتور «محمد مختار المهدي» - أستاذ الدراسات الإسلامية، وإمام الجمعيات الشرعية بمصر -: «إن هذا الأسلوبَ في الحديثِ عن الرسول ﷺ غيرُ مُوفَّقٍ؛ لأنه يَضَعُ الرسول ﷺ موضعَ اتهامٍ، ويَعتمدُ علىٰ أنه لا يجبُ اتهامُ من لا يَستطيعُ الدفاعَ عن نفسه لأنه مات وانتهىٰ أجَلُه..

حاشا للَّه».

❑ وقال الدكتور «العجمي الدمنهوري» - رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين، ورئيس جبهة علماء الأزهر -: «كم كنتُ أودُّ أن تختلفَ لغةُ هذا البيانِ عن هذا الأسلوبِ الضعيف.

ويتساءل: ما فائدةُ هذه الأُمَّة إنْ لم تدافعْ عن نبيِّها ورسولها ﷺ؟! وكيف نتحدَّثُ عنه ونساويه بأي شخصٍ ميت؟!».

إنَّ النبي ﷺ لا يمكن وَضعُه في صفٍ واحدٍ مع أيٍّ من الأموات، وإنَّ قتصارَ الدفاعِ عن الرسول ﷺ لمجردِ أنه ميِّتٌ فقط يُمثِّل إهانةً لشخصه الكريم، كما أن الموتَ ليس معياراً للدفاعِ عن كلِّ مَن ماتوا فمنهم المفسدون ومُجرمو الحروب الذين يَخضعون للنقدِ والتقييم في كلِّ زمانٍ ومكان.. إنَّ القرآنَ الكريمَ نفسَه قد ذَكَر بعضَ الطُّغاةِ ممن انتهت آجالُهم وماتوا - مثلَ فرعونَ وهامانَ وقارونَ وقومِ عادٍ وثمود -، الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً..﴾، فهل يُعقل أن نضعَ رسولَ اللَّه ﷺ في صفٍّ واحدٍ مع هؤلاء لكونهم موتى؟!.

إنَّ محمداً ﷺ يَعيشُ بقِيَمِه وتعاليمِه وأحاديثِه وآدابِه في نفوسِ ما يَزيدُ على مليار مسلم.. وإن الإساءةَ إليه هي إساءةٌ لكلِّ المسلمين.

● ولقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصلُّون»**[1].

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى (٣٤٢٥) وتَمَّام في «الفوائد» (٥٨).. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٨٦): «رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى ثقات».. وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٩٠) و«الصحيحة» (٦٢١).. وصححه أيضاً الشيخ حسين الداراني محقق «مسند أبي يعلى».

* وكم ذا بمصر من المُبْكيات !!!:

لم يكد يمرُّ شهرٌ على هذا البيانِ الصدمة حتى فاجأتنا جريدةُ «النبأ» بعنوانٍ كبير بالصفحة الأولى في عددها (٨٦١) الصادر في ٥ مارس ٢٠٠٦م الموافق ٥ من صفر ١٤٢٧هـ «الشيخ عبدالصبور عضو مجمع البحوث الإسلامية: الشذوذُ حلال، وزنا المحارِمِ حريةٌ شخصية»!!.

◻ ثم في الصفحة الثالثة يُطالعُنا مقال «عبدالمؤمن قدر» وحواره مع الشيخ «الدكتور عبدالصبور الكاشف» أحد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية - وكان كبير أخصائي الترجمة بالمجمع، وحاليًا على درجةِ وكيل وزارة بالأزهر الشريف، حاصل على ليسانس لغات وترجمة من جامعة الأزهر، واستكمل دراسته في الأدب الإنجليزي من جامعة «كاليفورنيا»، وتَدرَّج في المناصب إلى أن أصبح حاليًا عضواً بمجمع البحوث الإسلامية -، وجاء في قوله: «إنَّ الإنسانَ جاء إلى الدنيا، ويَعيشُ فيها مجبوراً في صورةِ مختار، فإذا قَتل إنسانٌ إنسانًا آخرَ فلا يجبُ أن يعاقَب، لأنه مجبورٌ على ذلك».

◻ ويقول: «هناك مسلمون لا يُصلُّون ولا يصومون، ولكنْ أفعالُهم مقبولةٌ عند اللَّه، وهم أولياءُ، وعلى درجةٍ كبيرة من العبادة».

ويعتقدُ الدكتور «الكاشف» أن التشريعاتِ تختلفُ من العامة إلى الخاصة، وضَرَب المثالَ بنفسه أنه لا يُصلِّي، ومع ذلك على درجةٍ كبيرةٍ من الدين، وله صَلاتُه الخاصةُ التي تختلفُ عن العوامِّ (!!) وتزدادُ درجةُ الحديثِ مع الشيخ «عبدالصبور الكاشف» - عضو مجمع البحوثِ بالأزهر الشريف - سُخونةً، حين يُطلِقُ فضيلتهُ عدداً من الفتاوى الغريبة، لعلَّ

أبرزَها أنَّ السارقَ والزانيَ والشاذَّ جنسيًّا لم يرتكبوا شيئًا مُحَرَّمًا على اعتبارِ أنَّ السرقةَ والزنا والشذوذَ ليست حرامًا، وإنما هي أفعالٌ لا إراديَّة، وطالب الشيخُ الكاشفُ الحكومةَ أن تخُصِّصُ أماكنَ للزناة والشواذِّ يمارِسون فيها ما يشاؤون، ولا نحاسبُهم على ما يفعلون؛ لأن اللَّهَ يعلمُ كلَّ شيءٍ ويتركُهم.

❏ ثم فجَّر هذا المرتدُّ مفاجأةً أكبَرَ من سابقتها بإعلانِ استعدادِه لاستقبالِ أيِّ شابٍّ يُريدُ أن يزني بفتاةٍ في منزلِه، معتبراً ذلك ليس زنًا، لأنه لم يُجبِرْها على ذلك، بل وانسَحب ذلك العرضُ الغريبُ أيضًا على زنا المحارم، وأفتى بأنه لا يَمنعُ الزنا مع الأمِّ أو الأختِ أو الحماة!! وزاد على ذلك بأنَّ نِكاحَ المحارِمِ جائزٌ شرعًا طالَما أنه لا إجبارَ على أحدٍ، مشيراً إلى أن هناك كثيراً من أولياءِ اللَّه الصالحين شواذٌّ جنسيًّا!!.

❏ ثم زاد المرتدُّ كفراً فوقَ كُفره، فقال: «إنَّ فرعونَ موسى مات شهيداً ودخل الجنَّة؛ لأنه آمن قَبْلَ غَرَقه».

❏ أمَّا في واقعةِ قومِ لوطٍ، فما أصابهم لم يكن بسبب اللِّواطِ، وإنما لأنهم حاولوا ممارستَه مع الملائكة، وأن سيِّدنا لوطًا عليه السلام لم يرفضِ اللواطَ، بل رَفَض الطريقةَ فقط «حاشاه».

❏ ويرى عضو مجلس البحوث الإسلامية (المرتد): أن كلَّ أُمةٍ لا بد أن يكون فيها نبيٌّ، والمولى ـ عز وجل ـ يقول: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: ٢٤]، وبالتالي ـ حسب رؤية الشيخ الكاشف ـ فإن «بوش» نبيٌّ، وشارون نبي؛ لأنهما مُكلَّفان، ويَعملان بأمر اللَّه، وكذلك الحالُ بالنسبةِ لفيفي عبده لأنها مُكَلَّفة بشيء معيَّن مِن قِبَل اللَّه، مشيراً إلى أن

ـناك شفاعةً لأُناسٍ معيَّنين، ولا يجبُ علينا أن نُكفِّرَهم (!!).

◻ وحوْلَ واقعة «الإسراء والمعراج» يقول الشيخ «الكاشف»: «إن الرسولَ لم يَصْعَدْ إلىٰ السماء، وإنه لم يخرج من بيته يومها، وشاهَدَ كلَّ شيءٍ من مكانه، وكلُّ كلامه ﷺ مؤوّل، و«البُرَاقُ» نفسُه ليس حقيقةً، بل خيالاً»(١).

انتهىٰ كلام المرتد المأفون الكذّاب الأشِر، قاتله اللَّه وأخزاهُ في الدنيا قبل الآخرة.. لقد تفوَّه بالكفرِ الذي لم يَقُلْ به أحد، وتطاوَلَ وتجرَّأ، ونَسَبَ إلىٰ الأنبياء - زُوراً وبهتانًا - ما لا يقبلُه أيُّ مسلم.

* قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

*** الغرب الصليبي كان وما يزال عدوُّه الإسلامَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط:**

موقفُ الغرب دائمًا وأبدًا من الإسلام تُلخِّصه كلماتُ الزعيم السياسي البريطاني المعروف، حيث قال: «لن تستطيعَ أوروبا أن تسيطرَ علىٰ دولِ الشرق، بل لن تستطيعَ أن تعيشَ في مأمنٍ ما بَقِي هذا القرآنُ حَيًّا يُتلىٰ»(٢).

◻ أو كما قال «جاردنر»: «إن القوةَ التي تكمُنُ في الإسلامِ هي التي تُخيفُ الغربَ»(٣).

---

(١) جريدة «النبأ» - العدد (٨٦١) - ٥ مارس ٢٠٠٦ - الموافق ٥ من صفر ١٤٢٧هـ (ص٣).

(٢، ٣) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص١٩).



الـرَّدُّ على الكذابِ الأشِرْ
بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر
أو السيوفُ البواتر
في نحــر
بابا الفاتيكان الكافـر

* **عدوُّ الرسول ﷺ: البابا النازي.. «بُوم روما» بنديكت السادس عشر يَنفُثُ سُمَّه:**

البابا الألمانيُّ النازيُّ «بنديكت أو بنديكتوس السادس عشر» الجالسُ على كُرسيِّ البابويَّةِ في الفاتيكان، هذا القِزمُ القَمِيءُ والزعيمُ الرُّوحيُّ لأكثرَ مِن مليارٍ وثمانيةَ عَشَرَ مليون من الدَّجَاجلة «كاثوليك العالم»، يَنفُثُ سُمَّه علانيةً، وتبدو البغضاءُ بأبشعِ صُورِها مِن فِيهِ، وما يُخفي صَدرُه أكبرُ.

* **وهو أكبر عدوٍّ للمسلمين في عصرِنا الحالي:**

ففي أول قُدَّاسٍ أشرَفَ عليه ـ بعد انتخابه في أواخرِ إبريل من عام ٢٠٠٦م ـ، لم يَذكر المسلمينَ بكلمةٍ واحدة، في الوقت الذي دَخل في غَزَلٍ صريحٍ ـ وربما فاضح ـ، لمَا أسماهم «الإخوة الأعزَّاء» ويَقصِدُ بهم اليهودَ الذين اختَصَّهم في ذلك القُدَّاسِ بكلماتٍ كانت تَفيضُ مَوَدَّةً وإعزازًا!!.

◻ وبعد ذلك بأيامٍ في مدينة «كولونيا الألمانية» كان التقريعُ والذمُّ من نصيب المسلمين، عندما التقى البابا «بوم روما» بوفدٍ من مُمثِّلي الجاليةِ المسلمةِ في أسقُفيَّةِ المدينة، التي كانت تحتضنُ معسكرَ الأيامِ الدوليةِ للشباب أواخرَ أغسطس، لِيُعرِبَ لهم عن بالغِ انشغالِه بتفشِّي «الإرهاب»، بل إنه زادَ مِن دونِ أدنى مناسبةٍ مُقرِّعًا الوفدَ قائلاً: «يجبُ أن يَنزعَ المسلمون ما في قلوبهم من حِقدٍ، وأن يَعمَلوا على مواجهةِ كلِّ مظاهرِ التعصُّب، وما يمكنُ أن يصدرَ عنهم من عنف».

مِثلُ هذه النبرةِ التوبيخيَّةِ ـ التي كان لها بالطبع وقعٌ سيِّئٌ في نفوسِ المسلمين ـ جَعَلَتْهم يُفيقون من غَيبوبتهم، ويَعرفون قَذارةَ وحقارةَ أكبرِ

أعدائِهم وما يُخفي -بل ويُبدي- من عداوةٍ لهم.

◘ ثم تلا ذلك الموقفَ موقفٌ آخَرُ، وابتسامات ومجاملات رقيقة للكاتبة «أوريانالا فالاتشي»، وهي مسيحيةٌ إيطالية تُقيمُ منذ فترةٍ طويلةٍ في الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعرَفُ بمقالاتها الناريةِ التي تَنشرُها في العديدِ من الصحف الأمريكيةِ الشعبيَّة، التي تُؤلِّبُ فيها الأمريكيِّين على الإسلام والمسلمين، إذْ إن «فالاتشي» لا ترى فَرْقًا بين إسلامٍ متطرِّفٍ وآخَرَ معتدِلٍ، وكتاباتُها تدورُ دائمًا حول أن «الإسلام كلَّه متطرِّف، والتناقضَ بينه وبين المسيحية جوهريٌّ، ومِن ثَمَّ فلا شيءَ قابلٌ للنِّقاش».

قبل تولِّيه كرسيَّ البابوية، كان البابا «بنديكت السادس» كاردينالاً ألمانيا اسمُه «جوزيف راتسينجر»، وكان من أشدِّ المعارِضين لانضمامِ تركيا -البلد الإسلاميِّ-، إلى الاتحاد الأوربي.

ويَحملُ مَلَفُ البابا الإرهابَ بعينه، فقد وُلد «جوزيف راتسينجر» في قرية «تراونشتَين» التابعة لإقليم «بارفاريا» في ألمانيا، وعندما بَلَغ الرابعةَ عَشْرةَ من عُمره انضمَّ إلى جيشِ «شبيبة هتلر» وكان جيشًا غيرَ نظاميٍّ، مخصَّصًا للشباب أيامَ الحكمِ النازيِّ.

وقد سَعى الفاتيكانُ مِرارًا إلى محاولاتٍ لِمَحْوِ تلك المرحلةِ من حياةِ البابا الجديد، ربَّما كان من أشهرِها تلك المحاولةُ التي جَرَت على لسانِ مؤرِّخِ الفاتيكان الشهير «جون ألين» الذي كَتَب بعدَ أسابيعَ من ترسيم «بنديكتوس» أنه: «كان عُضواً بالفعلِ في جيش «شبيبة هتلر»، لكنه لم يكنْ متحمِّسًا للجيش، بل ورَفض أن يَحضُرَ اجتماعاتِه، وعَبَّر في مُقتَبَل عُمرِهِ

عن معاداتِه للنازية».

ولقد خَدَم هذا البابا في جيشِ النازيِّ لسنواتٍ، بدايةً من سنة ١٩٤٣م حين أُرسل في السادسةَ عَشْرَةَ من عُمره - ضِمنَ مجموعةٍ من الجنود - إلىٰ شمالِ مدينة «ميونخ» لحراسةِ مصنعٍ لمحرِّكاتِ الطائرات.

□ إنَّ اختيارَ اسم «بنديكت» له دلالةٌ خطيرة، فهذا الاسمُ لأحدِ أسماءِ الباباوات السابقين الذين شاركوا في الحملاتِ الصليبية ضدَّ الإسلام، وهو اسمٌ لبابا آخرَ كان يقول: «إنه سيِّدُ أوربا»، وأعلن في أكثرَ من لقاءٍ أنه لا تراجُعَ عن عملياتِ التبشيرِ والتنصيرِ، ويستخدمُ كلَّ الوسائلِ لتحقيقِ ذلك.

□ «وبنديكت» يريدُ استكمالَ مسيرةِ سَلَفِه «الباب يوحنا بولس الثاني» في محاربةِ الإسلام حَسْبَ تصريحاتِه الموثَّقة، واستكمالِ تنصيرِ العالَم الإسلامي، وإذا ما كانت عمليةُ اقتلاعِ الإسلام تمَّت قديمًا في صَمْتٍ وخَفَاءٍ، فمنذ عام ١٩٨٢م أصبحت تتمُّ في وَضَحِ النهار، وذلك بعدَ أن أعلنها البابا «يوحنا بولس الثاني» صراحةً مُطالبًا بضرورةِ إعادةِ تنصيرِ العالَم، حتىٰ لا يَبقىٰ علىٰ الصعيدِ العالميِّ سوىٰ كاثوليكيةِ رُوما.

□ قبل أيامٍ من تصريحاتِ «بنديكت» الأخيرة، كان «بوش» يَصِفُ الإسلاميين بأنهم «فاشيُّون»، وقال إبَّانَ الاعتداءاتِ الإسرائيليةِ علىٰ لُبنانَ بأنه يجبُ القضاءُ علىٰ الشُّموليةِ الإسلاميةِ، والانتهاءُ من أيِّ تعصُّبٍ دينيٍّ، وإقامةُ شَرقٍ أوسطَ جديد[1].

(١) انظر جريدة «العربي» العدد (١٠٢٦) (ص٣) الأحد ٢٤ من شعبان ١٤٢٧هـ =

* «بنديكت بوم الفاتيكان»، عدوُّ رسول الله ﷺ:

في كلماتٍ مسمومةٍ حاقدة، تحملُ كلَّ ضغينةٍ للإسلام، وتَعدَّت كلَّ الحدود في الكُفر وسُوءِ الأدبِ والوقاحةِ والبذاءةِ والحماقةِ، وَقَفَ البابا أمامَ حَشدٍ كبير من أَساتذةٍ جامعيِّين وطُلاَّبٍ في جامعة «ريجنزبورج» جنوبَ ألمانيا وَسَطَ جُموعٍ حاشدةٍ تزيدُ على مِئتي ألفِ شخصٍ يومَ الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢م لِيُطلقَ حُممًا وبراكينَ، وليتجنَّى بكلِّ وقاحةٍ وجُرأةٍ على سيِّد البشر ﷺ وعلى الإسلام، وكان عنوانها «الإيمانُ والعقلُ والجامعةُ.. ذكريات وانعكاسات».

◘ بدأ البابا المحاضرةَ باجترارٍ للذكرياتِ التي عايَشها أثناءَ مرحلةِ الدراسة والعَمَلِ بالجامعاتِ الألمانية - ومن بينها جامعة «ريجنز بورج» -، مشيرًا إلى أن هذه الجامعةَ كانت - وما زالت - فخورةً بكُلِّيَّتي اللاهوت التابعتين لها، لِمَا لهما من دَورٍ في تعميقِ مفهوم «الإيمان»، وكيفَ أن جميعَ مَن في الجامعة - مِن أساتذةٍ وطُلابٍ - كانوا يَلتَقُون للحوارِ على اختلافِ التوجُّهاتِ والآراءَ.

وقال: «هذا التماسُكُ الداخليُّ للإيمان داخلَ هذا الكَوْن لم يتأثَّرْ عندما قال أحدُ الزملاء بجامعتنا: «إنه مِن المُثيرِ للدهشة أنَّ هناك كُلِّيَتينِ تنشغلانِ بأمرٍ غيرِ موجودٍ في الواقع، ألاَ وهو الرب..»».

ثم انتقل للحديثِ عن العلاقةِ بين العقلِ والعنفِ في الديانةِ

= ٢٠٠٦/٩/١٧م وجريدة «الأسبوع» العدد (٤٩٥) الإثنين ٢٥ من شعبان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦/٩/١٨م (ص١، ٢، ٦، ٧).

الإسلامية، والخلافِ في هذا الصددِ بين الديانتين الإسلاميةِ والمسيحية، واستَشهد بهذه المناسبةِ بكتابٍ يُفترض أنه للإمبراطور البيزنطي «مانويل الثاني» (١٣٥٠ ـ ١٤٢٥)، وفي هذا الكتاب الذي يَحملُ عنوان «حوارات مع مسلم. . المناظرة السابعة»، وقدَّمه ونَشَره في الستينات عالمُ اللاهوت الألماني اللبنانيُّ الأصل «تيودور خوري» من جامعة «مونستر»، يَعرِضُ الإمبراطورُ الحوارَ الذي أجراه بين (١٣٩٤ و١٤٠٢) على الأرجح مع عَلاَّمةٍ فارسيٍّ مسلمٍ مفترَض.

□ وفي ما يلي ترجمةٌ عربيةٌ من «إسلام أون لاين نت» للنصِّ الكامل لحديثِ البابا خلالَ المحاضرة عن هذا المحور «العلاقة بين العقل والعنف في الإسلام والمسيحية»، نقلاً عن موقعِ الفاتيكان الإلكتروني باللغة الألمانية:

«تداعت هذه الذكرياتُ إلى ذِهني عندما قرأتُ منذ فترةٍ وجيزةٍ جُزءَ من حوارٍ نَشَره البروفيسير «تيودور خوري» من جامعة «مونستر»، جرى بين الإمبراطور البيزنطيِّ العالِمِ «مانويل الثاني» ومُثقَّفٍ فارسيٍّ حولَ المسيحية والإسلام وحقيقةِ كلٍّ منهما خلالَ إقامتِه بالمعسكر الشتوي بالقرب من «أنقرة» عام ١٣٩١.

ـ يبدو أنَّ هذا الإمبراطورَ قد سَجَّل هذا الحوارَ إبَّانَ حِصارِ القسطنطينية بين عامَي (١٣٩٤ و١٤٠٢)، يدلُّ على ذلك أن مناظرتَه كانت أكثرَ توسُّعًا من مناظرةِ مُحاوِرِه الفارسيِّ.

ـ الحوارُ تناوَلَ كلَّ ما يتعلَّقُ بشرحِ بُنيانِ العقيدةِ حسبَما وَرَد بالكتاب المقدس والقرآن، ورَكَّز الحوارُ ـ بصفةٍ خاصةٍ ـ على صورةِ «الرب» وصورة «الإنسان»، أو على العلاقةِ بين ما نُسمِّيه «الشرائع الثلاثة» أو «نظم الحياة

الثلاثة»، ألاَ وهي: العهد القديم، والعهد الجديد، والقرآن.

ـ في هذه المحاضرة لا أريدُ أن أُناقشَ هذه القضية، ولكنْ أريدُ التطرُّقَ لنقطةٍ واحدةٍ فقط ـ هامشيَّةٍ نسبيًّا، وشَغَلَتْني في كلِّ هذا الحوار، وتتعلقُ بموضوعِ «الإيمان والعقل» ـ، وهذه النقطة تُمثِّلُ نقطةَ الانطلاقِ لتأمُّلاتي حولَ هذا الموضوع.

ـ ففي جولةِ الحوارِ السابعة ـ كما أوردها البروفيسير «خوري» ـ تناول الإمبراطورُ موضوعَ «الجهاد» ـ أي الحرب المقدسة ـ. ومن المؤكد أن الإمبراطورَ كان على علمٍ بأن الآية (٢٥٦) من السورة الثانية بالقرآن «سورة البقرة» تقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. إنها من أوائل السور ـ كما يقول لنا العارفون ـ، وتعودُ للحِقبةِ التي لم يكن لمحمدٍ فيها سُلطةٌ ويَخضعُ لتهديدات. ولكنَّ الإمبراطورَ من المؤكَّدِ أيضًا أنه كان على دِرايةٍ بما وَرَد في مرحلةٍ لاحقة في القرآنِ حولَ الحربِ المقدسة.

ـ وبدون أن يتوقفَ عن التفاصيل ـ مثلِ الفَرقِ في معاملة «الإسلام» للمؤمنين وأهلِ الكتاب والكفار ـ، طرح الإمبراطور على نحوٍ مفاجئٍ على مُحاوِرِه السؤالَ المركزيَّ بالنسبة لنا عن العلاقةِ بين الدينِ والعنفِ بصورةٍ عامة، فقال: «أرني شيئًا جديدًا أتى به مُحمدٌ، فلن تَجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني، مِثلَ أمرِه بنشرِ الدينِ الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيف».

ـ الإمبراطورُ يُفسِّرُ بعد ذلك بالتفصيلِ لماذا يَعتبرُ نَشرَ الدينِ عن طريق العنف أمرًا منافيًا للعقل، فعنفٌ كهذا يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه وطبيعةِ الروح، فالربُّ لا يُحِبُّ الدمَ، والعملُ بشكلٍ غيرِ عقلانيٍّ مخالفٌ

لطبيعة اللَّه، والإيمانُ هو ثمرةُ الروح وليس الجسدَ؛ لذا مَن يُريدُ حَمْلَ أحدٍ علىٰ الإيمان، يجبُ أن يكونَ قادراً علىٰ التحدُّثِ بشكلٍ جيِّدٍ والتفكيرِ بشكلٍ سليم، وليس علىٰ العُنفِ والتهديد.. لإقناعِ رُوحٍ عاقلةٍ لا نحتاجُ إلىٰ ذِراعٍ أو سلاحٍ، ولا أيِّ وسيلةٍ يُمكنُ أن تُهدِّدَ أحداً بالقتل.

- الجملةُ الفاصلةُ في هذه المُحاججة ضدَّ نشرِ الدينِ بالعنفِ هي: العملُ بشكلٍ مُنافٍ للعقلِ مُنافٍ لطبيعة الرب.. وقد علَّق المُحرِّر «تيودور خوري» علىٰ هذه الجُملة بالقول: بالنسبةِ للإمبراطور - وهو بيزنطيٌّ تَعلَّم من الفلسفة الإغريقية -، هذه المقولة واضحة.. في المقابل - بالنسبةِ للعقيدة الإسلامية -، الربُّ ليست مشيئتُه مطلقةً وإرادتُه ليست مرتبطةً بأيٍّ من مقولاتِنا ولا حتىٰ بالعقل.

- ويَستشهد «تيودور خوري» في هذا الشأن بكتابٍ للعالِمِ الفرنسيِّ المتخصِّصِ في الدراساتِ الإسلامية «روجيه أرنالديز» - تُوفي في إبريل الماضي - الذي قال: إن «ابن حزم» - الفقيه الذي عاش في القرنين العاشر والحادي عشر - ذَهَب في تفسيره إلىٰ حدِّ القول: إن اللَّه ليس لزاماً عليه أن يتمسَّك حتىٰ بكلمته، ولا شيءَ يلزمُه علىٰ أن يُطلِعَنا علىٰ الحقيقة، ويمكنُ للإنسان - إذا رَغِبَ - أن يعبدَ الأوثان.

- مِن هذه النقطة يكونُ الطريقُ الفاصلُ بين فَهمِ طبيعةِ اللَّه، وبين التحقيقِ المتعمِّقِ للدين الذي يتحدَّانا اليومَ، فهل مِن الفِكرِ اليونانيِّ فقط أن نعتقدَ أنه أمرٌ منافٍ للعقلِ مخالفٌ طبيعةَ اللَّه؟ أم أن هذا أمرٌ مفهومٌ من تلقائِه وبصورةٍ دائمة؟ أعتقدُ أنه - من هذه الوجهة - هناك تناغمٌ عميقٌ

ملحوظٌ بين ما هو إغريقيٌّ وبين ما وَرَد في الكتابِ المقدَّس من تأسيسٍ للإيمان بالرب.

أولُ آيةٍ في «سِفر التكوين» ـ وهي أولُ آيةٍ في الكتاب المقدس ككلٍّ ـ استَخدمها «يوحنا» في بدايةِ إنجيله قائلاً: «في البدء كانت الكلمة»، هذه هي الكلمةُ التي كان الإمبراطور يحتاجُها: الرب يتحاورُ بالكلمة، والكلمةُ هي عقلٌ وكلمةٌ في نفس الوقت، العقلُ القابلُ للخلق ويُمكن تناقلُه، شريطةَ أن يَظَلَّ رشداً.

يوحنا أهدانا بذلك الكلمةَ الخاتمةَ لمفهومِ «الرب» في الكتاب المقدَّس، ففي البَدءِ كانت الكلمة ـ والكلمة هي الرب ـ، الالتقاءُ بين الرسالة التي نَقَلها الكتابُ المقدَّسُ وبين الفِكرِ الإغريقيِّ لم يكن وليدَ صدفةٍ، فرؤيا «بولس» المقدس الذي نَظر في وجهِ مقدونيًّا وسَمِعه يدعوه: «تعالَ وساعِدْنا»، هذه الرؤية يجبُ أن تفسَّرَ على أنها تكثيفٌ للتلاقي بين العقيدةِ التي يَشتملُ عليها الكتابُ المقدسُ وبين السؤالِ اليوناني.

ـ اليومَ نعرفُ أن الترجمةَ اليونانيةَ للعهدِ القديم بالإسكندرية (المعروفة باسم السبتواجنتا) ـ أي الترجمة السبعينية ـ، لم تكن مجردَ ترجمةٍ للنصِّ العِبريِّ فقط، بل إنها خُطوةٌ هامةٌ في تاريخ الوحي الإلهيِّ، التي أدَّت إلى انتشارِ المسيحية.

ـ كان هناك تلاقٍ بين الإيمانِ والعقل، بين التنويرِ الحقيقيِّ والدين، «مانويل الثاني» كان يُمكنُه القولُ من خلالِ الإحساس بطبيعةِ الإيمان المسيحي، وفي الوقت نفسِه بطبيعةِ الفِكرِ اليونانيِّ الذي اختَلط بالعقيدة

وامتَزَج بها: «مَن لا يتحاورُ بالكلمةِ فإنه يُعارِضُ طبيعةَ الرب».

ـ هنا يمكنُ ملاحظةُ أنه في نهاياتِ العصرِ الوسيطِ ظَهرت اتجاهاتٌ في التفسير الدينيِّ تَجاوزت التركيبةَ اليونانيةَ والمسيحية، فتميَّزت مواقفُ تقتربُ مما قاله ابنُ حزمٍ وتتأسسُ علىٰ صورةِ تعسُّفِ الربِّ الذي لا يَرتبطُ بحقيقةٍ أو بخيرٍ.

ـ الاستعلاءُ ـ الذي هو الطبيعةُ المخالفةُ للرب ـ تجاوزت المدىٰ، لدرجة أنَّ رُشدَنا وفَهمَنا للحقيقةِ والخيرِ لم يَعُدِ المرآةَ الحقيقيةَ للرب، وتَظلُّ إمكانياتُها غيرُ المحدودةِ مخفيةً وغيرَ متاحةٍ لنا إلىٰ الأبد، في مقابل ذلك تمسَّكَ الاعتقادُ الكَنَسي بحقيقةِ أنه يوجدُ بيننا وبين الربِّ وبين رُوحِ الخَلقِ الأبديةِ وبين عَقلنا تطابقٌ.

ـ وختامًا فرغمَ كلِّ السرورِ الذي نَرىٰ به الإمكانياتِ الجديدةَ التي أدخَلَها الإنسانُ، نرىٰ أيضًا التهديداتِ التي تتنامىٰ مِن هذه الإمكانيات، ويجبُ أن نسألَ أنفسَنا: كيف يمكنُ أن نسيطرَ عليها، ولن يمكنَنا ذلك إلاَّ إذا تلاقىٰ العقلُ والإيمانُ بصورةٍ جديدة، ومِن خلال ذلك فقط يمكنُنا أن نكونَ مؤهَّلين لحوارٍ حقيقيٍّ بين الحضاراتِ والأديانِ الذي نحن في أمسِّ الحاجة إليه.

العقلُ الذي يكونُ فيه الجانبُ الربانيُّ أصمَّ ـ والدينُ ينتمي إلىٰ الثقافاتِ الثانوية ـ هو عقلٌ غيرُ صالحٍ لحوارِ الحضارات، وقد قال «مانويل الثاني»: «إنه ليس من العقلِ ألاَّ يكونَ التحاورُ بالكلمة؛ لأن ذلك سيكونُ معارضًا لطبيعة الرب»، قال ذلك من خلال منظورهِ لصورةِ الربِّ المسيحية، لمحاورِه الفارسيِّ. بهذه الكلماتِ وبهذا البُعدِ من العقلِ ندعو لحوارِ الحضاراتِ مع شركائنا.

* **اتحاد العلماء يطالب باعتذار بابا الفاتيكان:**

أصدَرَ الاتحادُ العالميُّ لعلماءِ المسلمين بيانًا فنَّد فيه التصريحاتِ المسيئةَ التي أدلىٰ بها بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» حولَ الإسلام والرسولِ ﷺ.

وطالَبَ الشيخ يوسفُ القرضاوي - رئيسُ الاتحاد - بابا الفاتيكان (يومَ الخميس ١٤/ ٩/ ٢٠٠٦) بالاعتذارِ عن هذه التصريحات.

□ **وفيما يلي نصُّ البيان:**

فوجئتُ وفوجئ المسلمون في أقطارِ الأرض بتصريحاتِ البابا «بنديكتوس السادس عشر» خلالَ زيارتِه إلىٰ ألمانيا، حولَ الإسلام وعلاقتِه بالعقلِ من ناحية، وعلاقتِه بالعُنفِ من ناحية أخرىٰ.

وكنا ننتظرُ من أكبرِ رجلِ دينٍ في العالَم المسيحيِّ: أن يتأنَّىٰ ويتريَّثَ ويُراجعَ ويُشاورَ، إذا تحدَّثَ عن دينٍ عظيمٍ كالإسلام، استمرَّ أكثرَ من أربعةَ عَشَرَ قرنًا، ويتبعُه نحوُ مليارٍ ونصفٍ من البشر، ويَمتلكُ الوثيقةَ الإلهيةَ التي تتضمنُ كلماتِ اللَّه الأخيرةَ للبشرية «القرآن الكريم» الذي لم يَزَلْ يُقرأ كما كُتب في عهد الخليفة الثالثِ عثمانَ بنِ عفانٍ رضي الله عنه، ولم يَزَل يُتلىٰ كما كان يتلىٰ في عهدِ النبوة، ويَحفظُه عشراتُ الألوف في أنحاءِ العالم.

ولكنَّ البابا - الذي قالوا: إنه كان يَشغلُ مَقعدًا لتدريس اللاهوت وتاريخ العقيدة في جامعة «راتيسبون» منذ ١٩٦٩م - سارَعَ بنقدِ الإسلام - بل بمهاجمتِه - في عقيدته وشريعته، وبطريقةٍ لا يَليقُ أن تصدرَ من مِثله.

ففي وَسَطِ الجُموعِ الحاشِدةِ التي تَزيدُ علىٰ مِئتي ألفِ شخصٍ، تحدَّث

البابا عن الإسلام دونَ أن يرجعَ إلى كتابه المقدّس «القرآن» وبيانه من سُنَّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، واكتفى بذِكرِ حوارٍ دارَ في القرن الرابعَ عَشَر بين إمبراطورٍ بيزنطيٍّ ومسلمٍ فارسيٍّ مثقَّفٍ، وكان مما قاله الإمبراطورُ للرجل: «أرني ما الجديدُ الذي جاء به محمدٌ؟ لن تَجِدَ إلاَّ أشياءَ شريرةً وغيرَ إنسانيةٍ، مِثلَ أمرِه بنشرِ الدين ـ الذي كان يُبشِّرُ به ـ بحدِّ السيف!».

ولم يذكر البابا ما رَدَّ به الفارسيُّ المثقفُ على الإمبراطور.

ونسي البابا: أن محمداً جاء بالكثيرِ الكثيرِ الذي لم تأتِ به المسيحيةُ ولا اليهوديةُ قَبلَها، جاء بالمَزجِ بين الرُّوحيةِ والماديَّة، وبين الدنيا والآخرة، وبين نورِ العقل ونورِ الوحي، ووازَنَ بين الفردِ والمُجتمع، وبين الحقوقِ والواجبات، وقَرَّر بوضوحِ الإخاءَ بين الطبقاتِ داخلَ المجتمع، وبين المجتمعاتِ والشعوبِ بعضِها وبعض، وقال كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..﴾ [الحجرات: ١٣].

* وشَرَعَ مقابلةَ السيئة بمِثلها، ونَدَب إلى العفوِ، ودعا إلى السلام، ولكنْ أَمَر بالإعدادِ للحرب: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأنصف المرأةَ وكرَّمها إنسانًا وأنثى وابنةً وزوجةً وأُمًّا وعُضوةً في المجتمع.

* ونَسَخ كثيراً من الأحكام التي كانت أغلالاً في اليهودية، كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ..﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* وأمَّا ما قاله الإمبراطورُ البيزنطيُّ مِن أن محمدًا لم يَجِئْ إلاَّ بالأشياءِ الشريرة وغيرِ الإنسانية، مثلِ الأمرِ بنشرِ دينِه بحدِّ السيف! فهو قولٌ مبنيٌّ على الجهلِ المَحضِ، أو الكَذِبِ المحض، فلم يُوجدْ مَن حارَبَ الشرَّ، ودعا إلى الخير، وفَرَض كرامةَ الإنسان، واحتَرَم فِطرةَ الإنسان، مثلُ محمد ﷺ الذي أرسله اللَّه ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

* ودعوى أنه أَمَر بنشرِ دينِه بحدِّ السيف أكذوبةٌ كبرى، فهذا ما أَمَر به قرآنُه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

* والحقيقةُ أن الإسلامَ لم ينتصرْ بالسيف، بل انتَصَر على السيف الذي شُهِر في وجهه من أول يوم، وظلَّ ثلاثةَ عَشَرَ عامًا يتحمَّلُ الأذى والفتنةَ في سبيل اللَّه، حتى نَزَل قولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

* إنما فَرَض الإسلامُ الجهادَ دفاعًا عن النفس، ومقاومةً للفتنة(١)، والفتنةُ أشدُّ من القتل، وأكبرُ من القتل، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ

---

(١) كلاَّ.. ليس الجهاد في الإسلام قاصرًا على «جهاد الدفع»، بل فيه أيضًا «جهاد الطلب» لإعلاء كلمة اللَّه تبارك وتعالى.. وقَصْرُ الجهاد على «جهاد الدفع» ـ فقط ـ من الأخطاء الفادحة لأصحاب «المدرسة العقلية».

عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٩٠].

* والإسلامُ لا يَقبلُ إيمانَ مَن يدخلُ عن طريقِ الإكراه، كما قال تعالىٰ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ [البقرة: ٢٥٦].

❑ وأما قولُ البابا فيما جاء في الكتاب المقدس في «سِفر التثنية» من التوراة: «إن البلدَ التي يدخلُها موسىٰ ومَن معه، عليهم أن يقتلوا جميعَ ذكورها بحدِّ السيف، أمَّا بلادُ أرضِ الميعاد، فالمطلوبُ دينًا ألاَّ يستبْقوا فيها نَسَمةً حيَّةً!».

يعني: الإبادةَ والاستئصالَ الذي نَفَّذه الأوربيون النصارىٰ حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحمر، وحينما دخلوا استراليا مع أهلها الأصليين!.

كنَّا نربأُ بالبابا أن يستدلَّ بهذا الكلامِ المبتورِ في سياقِ حديثِه عن الإسلامِ ونبيِّ الإسلام.

❑ وما يمارسُه بعضُ المسلمين من العنف، فبعضُه مشروع ـ بإقرارِ الأديان والشرائع والقوانين والأخلاق ـ مِثلُ دفاعِ المقاومةِ الوطنيةِ ضدَّ الاحتلالِ في فلسطينَ أو في لُبنانَ أو في العراقِ أو في غيرِها، وتسميةُ هذا عُنفًا وإرهابًا: ظلمٌ بيِّن، وتحريفٌ للحقائق.

وبعضُ ذلك أنكرته جماهيرُ المسلمين في كلِّ مكان، مثل أحداث ١١ سبتمبر، ومُعظمُ العنفِ غيرِ المشروع سببُه الأكبرُ المظالمُ التي تقعُ علىٰ المسلمين في كلِّ مكان، ويَسكتُ عنها رجالُ الدين في الغرب، وربما باركَها بعضُهم!.

❑ ويُقرِّرُ البابا في لقائِه الجماهيري: «أن اللّه في العقيدةِ الإسلامية مُطلَقُ السموِّ، ومشيئتُه ليست مرتبطةً بأيِّ شيءٍ من مقولاتنا، ولا حتىٰ بالعقل!».

وأقام مقارنةً مع الفِكرِ المسيحيِّ المتشبعِ بالفلسفةِ الإغريقية، موضِّحًا أن «هذا الفكرَ يرفضُ عدمَ العملِ بما ينسجمُ مع العقل، وكلٍّ ما هو مخالفٌ للطبيعة الإلهية».

ولو كَلَّف الحبرُ الأعظمُ نفسه، أو كَلَّف أحدًا من أتباعِه بالرجوع - ولو قليلاً - إلىٰ مَصدرِ الإسـلام الأول «القرآن»، لَوجد فيـه من عشراتِ الآياتِ - بل مِئاتها - ما يُمجِّدُ العقلَ، ويأمرُ بالنظر، ويَحضُّ علىٰ التفكير، ويرفضُ الظنَّ في مجالِ العقائد، كما يرفضُ اتباعَ الأهواءِ وتقليدَ الآباء والكبراء، حتىٰ كتَب بعضُ كبارِ الكُتَّابِ بحق: «التفكير فريضة إسلامية».

* وحسبنا قول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

□ ولو أحببنا أن نقارنَ بين الديانتين - الإسلام والنصرانية -، لوجدنا النصرانيةَ هي التي لا تُعيرُ العقلَ التفاتًا في عقائدها، وتقولُ تعليماتها: «آمِنْ ثم اعلَمْ، اعتقِدْ وأنت أعمىٰ، أغمِضْ عينيك ثم اتبَعْني».

في حينِ أن العِلمَ في الإسلام يَسبقُ الإيمان، والإيمانُ ثمرةٌ له، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، وهكذا: ليعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم.

لقد ألَّف الشيخ محمدُ عبده كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ليردَّ به علىٰ أحدِ نصارىٰ الشرق الذي زَعَم أن النصرانيةَ تتسعُ للعلمِ والمَدَنيةِ بما لا يتَّسعُ له الإسلام، فكان ردُّ الشيخِ العلميُّ الموثَّقُ بالمنطقِ

والتاريخ وحقائقِ الدينِ والعلم: أن الأصول التي يقومُ عليها الإسلامُ هي التي تُثمِرُ الحضارةَ والمَدَنية، من الإيمان بالعقل، والجمعِ بين الدنيا والآخرة. . إلخ، بخلافِ المسيحية التي تقومُ في أساسها على الخوارق، ولا تؤمنُ برعايةِ السنن التي أكدها القرآنُ، والتي يقولُ أحدُ فلاسفتها الدينيين «أوغستين»: «أومنُ بهذا؛ لأنَّه مُحال، أو غير معقول»!.

ولو كان الإسلامُ يُنكِرُ العقلَ، أو يُهمِلُه، فكيف أقام المسلمون تلك الحضارةَ الشامخةَ التي جَمَعت بين العلمِ والإيمان، وبين الإبداعِ الماديِّ والسموِّ الرُّوحيِّ؟ والتي ظل العالَمُ يَستمدُّ منها أكثرَ من ثمانيةِ قرون، ومنها أوروبا التي اقتَبست منها المنهجَ التجريبيَّ الاستقرائيَّ، بَدَلَ المنهجِ القياسيِّ الأرِسطيِّ، كما شَهِد بذلك مؤرِّخو العلمِ من أمثالِ «غوستاف لوبون، وبيير بغولف، وجورج سارطون» وغيرهم.

□ وقول البابا: «إن مشيئةَ اللَّه في الإسلام مطلَقةٌ لا يَحُدُّها شيء»، صحيحٌ في الجُملة، ولكنْ أجمَعَ علماءُ الإسلام على أن مشيئةَ اللَّه تعالىٰ مرتبطةٌ بحكمتِه لا تنفصلُ عنها، فلا يشاءُ أمرًا مخالفًا للحكمة، فإنَّ من أسمائه الحسنىٰ التي تكرَّرت في القرآن: «الحكيم»، فهو حكيمٌ فيما خَلق، وحكيمٌ فيما شَرَع، لا يَخلُقُ شيئًا باطلاً، ولا يَشْرَع شيئًا اعتباطًا.

● واللَّه تعالىٰ لا يفعلُ إلاَّ ما فيه الخيرُ والصلاحُ لخَلقِه، كما قال نبيُّ الإسلام ﷺ في مناجاته لربه: **«الخيرُ بين يديك، والشرُّ ليس إليك»**(١).

ليست هذه هي المرةَ الأولىٰ التي يقفُ البابا الحالي من الإسلام

(١) رواه مسلم.

والمسلمين موقفًا سلبيًّا، يُظهِرُ فيه الإهمالَ أو التوجُّس، أو ما هو أكثر.

ففي أول قُدَّاسٍ أشرَفَ عليه بعد انتخابه في أواخرِ إبريل ٢٠٠٥م لم يَذكرِ المسلمين بكلمةٍ، على حينِ خَصَّ «الإخوةَ الأعزَّاءَ» - على حدِّ قوله - من الشعبِ اليهوديِّ بكلماتٍ تَفيضُ مودةً وإعزازًا!!.

وفي مدينة «كولونيا» الألمانية - آخرَ شهر أغسطس أثناءَ الأيام العالمية للشباب - التَقى بمُمثِّلين عن الجالية المسلمة في أسقفية المدينة، فأعرَبَ عن بالغِ انشغالِه بتفشِّي الإرهاب، وأكد في هذا اللقاءِ ضرورةَ «نَزعِ المسلمين ما في قلوبهم من حقدٍ، ومواجهةِ كلِّ مظاهِرِ التعصب، وما يمكن أن يَصدُرَ منهم من عنف»!.

وهذه النبرةُ التوبيخيةُ كان لها وَقعٌ سيِّءٌ في نفوسِ المسلمين، لِمَا فيها من رؤيةٍ ضيقةٍ ومن تصوُّرٍ تبسيطيٍّ لمنابعِ الإرهاب وأسبابه.

كما أن استقبالَه للكاتبة الإيطالية المقيمة في الولايات المتحدة «أوريانا فالاتشي» والتي تكتبُ كتبًا ومقالاتٍ ناريةً تؤلِّبُ على الإسلام والمسلمين، والتي لا تَرى فرقًا بين إسلامٍ متطرِّفٍ وإسلامٍ معتدل، فالإسلامُ كلُّه متطرفٌ، والتناقضُ بين المسيحية والإسلام «جوهري».

كانت هذه مواقفُ تُعَدُّ سلبيةً بالنسبة للمسلمين، أما اليوم، فقد أصبح الأمرُ يتعلَّقُ بالإسلام ذاتِه، ونحن - المسلمين - نعتبرُ النصارى أقربَ مودةً للمسلمين، والنبيُّ محمدٌ ﷺ يقول: «أنا أولى الناسِ بعيسى بنِ مريمَ»[1].

ولمريمَ عليها السلام سورةٌ في القرآن، ولأُسرةِ المسيح سورة في القرآن

(١) رواه أحمد والشيخان.

«سورة آل عمران»، وللمسيح وكتابه في القرآن مكانٌ معروف، ونحن لا نُريد أنْ نُصَعِّدَ الموقفَ، ولكن نريدُ تفسيراً لِمَا يَحدُث، وما المقصودُ من هذا كلِّه؟! كما نطلُبُ مِن حَبرِ المسيحية أن يعتذرَ لأُمةِ الإسلام عن الإساءةِ إلىٰ دينها.

❑ هل يريدُ الحَبرُ أن نُغلِـقَ أبـوابَ الحوار، ونستعدَّ للصراعِ في حربٍ ـ أو حروبٍ ـ صليبيةٍ جديدة؟!.

❑ وقد بدأها «بوش» وأعلنها صريحةً باسم «اليمين المسيحي»، ونحن ندعو إلىٰ السِّلْم؛ لأن دينَنا يأمرُنا بذلك، ولكننا إذا فُرضت علينا الحرب خُضناها كارهين، نتربَّصُ فيها إحدىٰ الحُسنَيَين، كما قال قرآننا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[لابقرة: ٢١٦].

● وكما قال نبيُّنا ﷺ: **«لا تتمنَّوا لقاءَ العدو، وسَلُوا اللَّهَ العافية، ولكن إذا لَقِيتُموه فاثبُتوا، واعلَموا أن الجنةَ تحتَ ظِلالِ السيوف»** متفق عليه.

فنحن ندعو إلىٰ التسامح لا إلىٰ التعصب، وإلىٰ الرِّفق لا إلىٰ العُنف، وإلىٰ الحوارِ لا إلىٰ الصدام، وإلىٰ السلامِ لا إلىٰ الحرب، ولكنَّا لا نقبلُ أن يهاجِمَ أحدٌ عقيدتَنا ولا شريعتَنا ولا قِيمَنَا، ولا أن يَمَسَّ نبيَّنا محمداً ﷺ بكلمةِ سَوء، وإلاَّ فقد أَذِن اللَّهُ لنا أن ندافعَ عن أنفسنا، فإن اللَّه لا يحبُّ الظالمين.

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين/ يوسف القرضاوي

٢١ شعبان ١٤٢٧هـ ـ ١٤/ ٩/ ٢٠٠٦م

* وقفاتٌ مع كلامِ القزم القميِء.. بابا الفاتيكان:

◻ هذا الكافر «يَهرِفُ بما لا يعرف»، وكلامُه: «إنَّ محمداً لم يَجيءْ إلاَّ بالأشياءِ الشريرةِ وغيرِ الإنسانيةِ مثل الأمر بنشر دينه بحدِّ السيف»، فهذا جهلٌ مَحضٌ وكَذِبٌ مَحْضٌ، ولم يُوجد مَن حارَبَ الشرَّ ودعا إلى الخيرِ مثل محمدٍ ﷺ الذي قال عنه ربُّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكيف يردِّدُ البابا مقولةَ إمبراطور بيزنطا: «أرِني ما الجديدُ الذي جاء به محمدٌ؟ لن تجد إلاَّ أشياءَ شرِّيرةً وغيرَ إنسانيةٍ.. مثل أمره بنشر الدين الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيفِ».

◻ إن قتلى كلِّ غزواتِ الرسولِ ﷺ من الجانبيْن - أي: من المسلمين وغيرِهم - كانت ٣٨٦! ويَعلمُ هذا البابا الكذَّابُ الأشِرُ الذي يَصدُقُ فيه قولُ القائل: «رَمَتْني بدائها وانسلَّتْ» أنَّ الحروبَ الدينيةَ بين البروتستانت والكاثوليك أبادت ٤٠٪ من شعوبِ وسطِ أوربا، بما يُماثِلُ ١٠ ملايين في ذلك الوقت!.

ويذكرُ التاريخُ أن الكنيسةَ الكاثوليكيةَ الرومانيةَ قد اضطَهَدت البروتستانت، حتى بَلَغ من أُحرِق في فرنسا في مدينةٍ واحدةٍ في يومٍ واحد ٢٣٠ ألفًا، وفي إيطاليا سنة ١٥٦٠م قُتِل ألوفُ الألوف، وقد أَصدر «لويس الخامس» سنة ١٥٢١م أمراً بطردِ البروتستانت مُستنداً إلى موافقةٍ من البابا.

وقَتل أحدُ الأمراء في عهدِ ابنِ الملك لويس ١٨٠٠٠ في أشهر قليلة.

أما عن اضطهادِ الكاثوليك للبروتستانت، فقد بلغ أَشُدَّه، فالولدُ لا يرثُ والِدَيْه، ولا يتعلَّمون، ولا يُعيَّنون في مناصبِ الدولة، ويَدفعون

الضرائبَ مضاعفةً، وتمَّ حَملُ كثيرٍ من رُهبانِهم وعلمائِهم بأمرِ الملكة «إليزابيث»، وتمَّ إغراقُهم في البحر.

◻ وطَردت فرنسا اليهودَ سَبعَ مراتٍ، وعددُ اليهود الذين أُخرِجوا من النِمسا وحدَها ٧١٠٠٠ أسرة، وقُتِل كثيرٌ منهم، ونُهبت أموالُهم، وفي إنجلترا أَصدر «إدوارد الأوَّل» أمراً بنهبِ أموالِهم، ثم طردِهم، فأجلى ١٥ ألفًا في غاية الفقر.

◻ وارتكب الكاثوليك المذابحَ ضدَّ المسلمين في أسبانيا عقِبَ تسليمهم مدينةَ «غرناطة» لفيرناندو، وتم تشكيلُ محاكِم تفتيشٍ لإبادةِ المسلمين على مَدَارِ قرونٍ طويلة، حتى إن المستشرقَ الفرنسيَّ «جاك ميرك» أشار إلى إبادةِ أكثرِ من ثلاثةِ ملايين مسلمٍ على يدِ المَلِكِ «فيليب الثاني» مَلِكِ أسبانيا، حتى إنهم كانوا يَحمِلون المسلمين بالسُّفُنِ ويُلقُونهم في البحر أحياءً.

وقد قدَّم الكاردينال «سبسيزوس» النموذجَ الأبشعَ للتعصُّبِ الدينيِّ بتفنُّنه في تعذيبِ وإبادةِ المسلمين آنذاك.

◻ يقول «لورنتي» واصفًا الاضطهادَ الصليبيَّ الداميَ لمحاكمَ التفتيش: «ألقت محكمةُ التفتيش أكثرَ من (٣١٠٠٠) نَفْس في النار، و٢٩٠٠٠٠ عقوبةٍ تلي الإعدام، ولا تَشملُ هذه الأرقامُ الذينَ أَوْدَتْ بحياتهم فُروعُ هذه المحكمة الأسبانية في «مكسيكو» و«ليما» بأمريكا الجنوبية، و«قرطاجة»، و«صقلية»، و«سردينيا»، و«أوران»، و«مالطا».

◻ وبابا الفاتيكان الكافرُ الخبيثُ يَعلمُ أكثَرَ من أتباعِه أنَّ كاثوليك أوربا ـ الهَمَجَ الرَّعاعَ قُساةَ القلوب ـ قَتلوا بمباركةِ بابا آخَرَ مِثلِه سبعين ألفًا من

المسلمين في ساحاتِ الأقصىٰ يومَ دخلوا ودنَّسوا ترابَه أيامَ الحَملةِ الصليبيةِ عليه يومَ الجمعة ١٦ يوليو ١٠٩٩م.

☐ يقولُ «غوستاف لوبون» في كتابه الشهير «حضارة العرب»: «كان أولُ ما بدأ به «ريكاردوس» الإنجليزي أنه قَتَل من معسكرِ المسلمين ثلاثةَ آلافِ أسيرٍ سَلَّموا أنفسَهم إليه، بَعدَ أن قَطَعَ علىٰ نفسِه العهدَ بحَقنِ دمائهم».

☐ وماذا فعل «ديتشارد قلب الأسد» الكاثوليكي بثلاثةِ آلافٍ من المسلمين في «عكَّا» بعدَ أن أجرَوا معه مُفاوضاتٍ بحَقنِ دمائِهم، فغَدَر بهم إبليسُ الغرب الكاثوليكيُّ، وذَبَحَهم عن بَكرةِ أبيهم.

☐ بل ماذا يقول «بابا الفاتيكان» الرحيم هو وطائفتُه الكاثوليك عن أكلِ كاثوليكِ الغرب - رجالِ الحملةِ الصليبية - لجثثِ موتىٰ المسلمين بعد شيِّها؟!.

☐ قول «رانسيمان» في كتابه عن الحروب الصليبية: «وكان الجيشُ في «مَعَرَّةِ النُّعمان» يُعاني الجوعَ بعد أن نَفِدَتِ المُؤَنُ التي استولىٰ عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيلٍ سوىٰ أن يأكلَ لحومَ البشر».

يَشوُونَ جُثَثَ قتلاهم من الرجال والصِّبيان المسلمين ويأكلونها!!.

☐ وكتب المؤرِّخُ «راؤل دي كايين» المرافقُ للفرنج قائلاً: «في مدينة «المَعَرَّة» كان رجالُنا يقومون بغَلْي شُبَّانِ الوثنيين - أي: المسلمين - في آزانات. ويُوثِقُون الأطفالَ علىٰ الأسياخِ ويأكلونهم مشويِّين».

☐ وانظر ما كتبه المؤرِّخُ الفرنسيُّ «ميشو» راجع المجلد الأول من كتابه

«تاريخ الحروب الصليبية» (ص٣٥٧، ٥٧٧)، و«ببلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات (٤٨، ٧٦، ١٨٣، ٢٤٨)، كلُّها تدورُ حولَ أكلِ لحومِ المسلمين الموتىٰ بعد شيِّها علىٰ يدِ جنودِ الفرنجةِ الصليبيين في مدينةِ «المعَرَّة» عام ١٠٩٨م[1].

ذئابُ البشرية وأبالسةُ ووحوشُ الكاثوليك يتكلَّمون عن الطُّهرِ وأيديهم مُلَطَّخةٌ بالدماء، ثم يأتون إلىٰ أطهرِ وأعفٍّ وأرحمِ مَن مَشَىٰ علىٰ الأرض رسولِ اللَّه ﷺ ويتكلَّمون ـ وبئس الكلامُ كلامُهم ـ أنه ما أتىٰ إلاَّ بكلِّ شرٍّ للبشريةِ!!!..

فرْعــون لوْ قيســت عليه فِعالُكم لغَــدَا مســيحًا للهدايــة يُنتَظَــرْ
أمَّا أبو جهــلٍ فيَخجلُ عندمـــا تُتلَى مخـازيكم على سَمْعِ البشـرْ

ايهِ يا بنديكت اللعين... سابٌّ للرسولِ ﷺ ولا سيفَ عُمرَ له!!..

وغداً إذا اعتدلت موازينُ الحياة تُقتَّلُون
إِن قيل للأشواك: بُعْدًا.. مَرْحبًا بالياسمينْ
إن صار همسُ الحقِّ أقوى من ضجيجِ المبطِلين
وأزاح نورُ اللَّه كلَّ غشاوةٍ فوقَ العيون
واستوطنت سُحُبَ الكآبةِ وجهَ بنديكت اللعينْ

***

وغداً إذا اعتدَلت موازينُ الحياة تُقتَّلُون
إنْ عادَ يُمسِكُ بالحياة خليفةُ المتوضِّئين

(١) انظر «حروب صليبية بكل المقاييس» (ص١٢) للدكتورة زينب عبدالعزيز.

وتَضَرَّمت للغَيظ نارٌ في قلوبِ الكافرِينْ
ثم اكْتَسَت بالذُّلِّ أوجُهُ مَن تنادوْا مُصبِحينْ
فحَصادُهم عَصفٌ.. هشيمٌ.. خيبةٌ.. كَدَرٌ وهُون

□ إيهٍ يا بنديكت الفاجر، ما تقول فيما جاء في كتابك المقدَّس في سِفر «الثَنية» من التوراة «الإصحاح العشرون»: «وإن لَمْ تُسالِمْك أيُّ قرية، بل حارَبَتْك فحاصِرْها، وإذا دَفَعها الربُّ إلهُك إلىٰ يَدِك فاضربْ جميعَ ذُكورهم بحدِّ السيف، وأما النساءُ والأطفالُ والبهائمُ، وكلُّ ما في المدينة كلُّ غنيمتها فتغتنمُها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك.. أما بلادُ أرضِ الميعاد، فالمطلوبُ دينًا ألاَّ تَستَبْقوا فيها نَسَمَةً حيَّةً!» يعني الإبادةَ والاستئصالَ الذي نَفَّذه الأوربيون النصارىٰ حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحُمْر، وحينما دَخلوا استراليا مع سُكَّانها الأصليين.

□ إن عندكم من الفضائح ما تَضِجُّ منه الأنوفُ يا بنديكت.

إن عدمَ استقبالِ رأسِ الكنيسة الأرثوذكسيةِ القبطية بمصر للبابا الكاثوليكي «يوحنا بولس» في مقرِّ الكاتدرائية وقوله: «إنه يُمثِّلُ إيمانًا مختلفًا لا يجوزُ السماحُ لصاحبه بدخولِ الكاتدرائية»! فقلوبكم شتَّىٰ، وكفرُكم أنواعٌ متعدِّدة.

□ يا لِفكرِكَ الأسودِ الفَجِّ يا «بنديكت»! يا لِوجهك القبيح وقولِك القبيح: «إنَّ اللَّهَ في العقيدة الإسلامية مُطلَقُ السُّمُوِّ، ومشيئتُه ليست مرتبطةً بأيٍّ من مقولاتِنا ولا حتىٰ بالعقل»!.

ثم يدَّعي أن الفِكرَ المسيحيَّ يرفضُ عدمَ العملِ بما ينسجمُ مع العقلِ وكلِّ ما هو مخالفٌ للطبيعة الإلهيَّة.

☐ ونقول لك: إنَّ المسيحيةَ هي التي لا تُعيرُ العقلَ التفاتًا في عقائدِها، وتقول تعليماتُها: «آمِنْ ثم اعْلَمْ.. اعتقِدْ وأنت أعمىٰ.. أغمِضْ عَينيك ثم اتبعني».

* وفي الإسلام العلم قبل القول والعمل: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] وهكذا: ليعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم.

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والشرعُ يُخبرُ بمُحارات العقول، لا بمحالاتِ العقول(١).

فلْتَخْسَإِ الحكماءُ عن ربٍّ ... له الأفـلاكُ تَسْـجُدْ

ومشيئةُ اللَّهِ مرتبطةٌ بحكمتِه، فهو العليمُ الحكيم، الخيرُ بين يديه، والشرُّ ليس إليه.

☐ يا بنديكتُ الذميم، تظنُّ أن تستَخِفَّ بعقولِ العالَم كلِّه الذي سَمع تصريحاتِك بجميعِ لغاتِه عَبْرَ وسائلِ الإعلامِ المختلفهِ حين تقول: إن الناسَ أخطؤوا في فَهمِ كلامك.. وأنت الذي اخترتَ ما تنقلُه من كلامِ الإمبراطور البيزنطيِّ.. وأنت الذي أخرجتَ هذا الكتابَ من قَبره في مكتبةِ الفاتيكان لتنقلَ منه أَسوأَ ما فيه؟!.

☐ بعضُ المدافعين عنكَ قالوا: إن الاقتباسَ الذي نَقَله من ذلك الكتاب

(١) أي: الشرعُ يأتي بأمورٍ تحتارُ فيها العقولُ من عظمتها وغرابتها.. لكنه لا يأتي بشيءٍ يقول العقل: «هذا مستحيلٌ حُدوثُه».

«وُظِّف خَطَأً»، ولا أفهم هل وظَّفه خطأً المسلمون الذين غَضِبوا لدينهم ونبيِّهم؟ أم وظَّفه خطأً الذي نَقَله وأذاعه وفاخَرَ بالمحاضرة به على الناس، وصَفَّق له مستمعوه من الكافرين أمثاله؟! وصدق القائل:

لكلِّ داء دواءٌ يُستطَبُّ به ... إلاَّ الحماقةَ أعْيَتْ مَن يُداويها

◻ أمَّا نعيُه على الجهادِ وأنه لا يناسِبُ الربَّ، فما قولُه في أسفارِ العهد القديم، حيث تقعُ أحاديثُ الحرب في ٣٦ آيةً من ثمانيةِ أسفار، هي «التكوين، العدد، القضاء، صموئيل الأول، الملوك الثاني، حِزْقيال، التثنية، يوشع»؟ وما قوله فيما نُسِب للمسيح عليه السلام وقولِه عن الحرب: «لا تظنُّوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض، ما جئتُ لأرسيَ سلامًا، بل سيفًا، فإني جئتُ لأجعل الإنسانَ على خلافٍ مع أبيه، والبنتَ مع أُمِّها، والكَنَّةَ مع حماتها، وهكذا يصيرُ أعداءُ الإنسانِ أهلَ بيته».

* رأي الفاتيكان في الإسلام:

مِن أهمِّ المقولات التي قِيلت بلا هوادةٍ في المؤتمر الفاتيكانيِّ الثاني: «لابدَّ من تنصير العالم»، والوثيقةُ الخاصةُ بالإسلامِ والمسلمين تمَّت صياغتُها بإدراجِ الإسلامِ ضمنَ الديانات الآسيويةِ الكُبرىٰ، التي وُجدت بعيدًا عن المسيحية واليهودية، لاستبعادِ الإسلامِ عن رسالةِ التوحيد! وهذا التوجُّهُ غيرُ الأمين - حتىٰ في صياغةِ النصِّ المليءِ بالمغالطات - يكشفُ عن تلك النوايا التي لم تَعُدْ خَفِيَّةً على أحدٍ، فالفاتيكان - رأسُ الكفر، وقلعةُ الأبالسة، وديارُ المجرمين - لا يعترفُ بالإسلام كديانةٍ سماويَّةٍ توحيديَّةٍ مُنَزَّلةٍ.

◻ وقد لَخَّصَ الأبُ «ميشيل لولنج» هذه الحقيقة قائلاً: «إن الكنيسة

تعتبرُ المسيحَ خاتمَ الرسالة؛ لذلك فهي لا تعترفُ بنبيِّ الإسلام الذي أدانه المسيحيون بطريقةٍ سلبيةٍ تهجُّميَّةٍ وعُدوانية».

☐ وكان الأبُ «كاسبار» قد أوضح الموقفَ نفسَه أيامَ انعقادِ المؤتمر قائلاً: «إنَّ هناك من بين رجالِ الدين الحاضِرين مَنْ يعتبرون أن الإسلامَ خطأٌ مُطلقٌ لا بدَّ من رَفضِه؛ لأنَّه يُمثِّلُ خطرًا بالنسبة للكنيسة، ولابدَّ من محاربته»(١) .

والحقُّ أبلجُ لو يبغــــون رؤيتَــــه ... هيهاتَ يُبصِر مَن في ناظِرَيْـه عمى
وصَرخَــةُ الحقِّ تأباها مســامِعُهم ... مَن يَسمَعِ الحَقَّ منهم يَشتكي الصَّمَمَا

فهم لا يعترفون بالإسلامِ كديانةٍ. . نعم هم لا يرتقون إلىٰ مُرتَقىٰ الإسلامِ الجميلِ الوضيءِ الذي أراده اللَّه دينًا للبشرية، وتَمنَّىٰ إبراهيمُ أن يُحشَرَ عليه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣].

* وقال تعالىٰ عن خليله إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣-١٣٤].

---

(١) «حرب صليبية بكل المقاييس» (ص٤٠).

* وقبلَ أن نُنهِيَ الكلامَ مع رأسِ الضلالة، نُهديه من ماضي صَلِيبيّي إيطاليا هذه الفقرات:

قبل الختام نذكر «لبنديكت» القائل: «إن محمدًا لم يأتِ إلاَّ بالأشياءِ الشرِّيرة وغير الإنسانية، ونَشَر الدين بِحَدِّ السيف». . نذكرُ له صفحةً اجتمع فيها الشرُّ كلُّه وامتهانُ الآدمية لصليبيِّي إيطاليا أثناء غَزِوهم واحتلالهم لليبيا.

☐ لقد تَحدَّث عن جرائمِ الإيطاليين المجاهدُ الأميرُ «شكيب أرسلان» الذي عاصَرَ الأحداثَ وشارَك فيها، وكانت له علاقةٌ حميمةٌ بقائدِ المجاهِدين الليبيين الشهيد «عمر المختار» ـ رحمه اللَّه ـ، الذي قَبض عليه الإيطاليون وحكموا عليه بالإعدام، وقبلَ أن يُنفَّذَ فيه الحكمُ راودوه أن يَخنَعَ ويَخضعَ في مقابِلِ العفوِ عنه، فأبىٰ وقال: «لئن كَسَر مدفعُكم سيفي، فلن يَكسِرَ باطلُكم حقِّي، وإن عفوتم عني فسأعودُ إلىٰ قتالِكم من جديد». . وفي كتاب «حاضر العالم الإسلامي» شواهدُ كثيرة[1].

* عَددُ الذين شَنَقهم الإيطاليون من طرابلس وبَرْقة:

لقد قُدِّر عددُ الذين شَنَقتهم القواتُ الإيطاليةُ الصليبيةُ من أهلِ «طرابلس وبَرْقة» بعشرين ألفَ نَسَمة، وكان من بين الذين عُلِّقوا علىٰ أعوادِ المشانق عددٌ كبيرٌ من النساءِ المسلمات اللواتي جُرِّدْنَ من ثيابِهنَّ، وأبقَوهُنَّ مُجرَّداتٍ عدةَ أيامٍ، وكانوا يَسلُكون ستِّينَ شخصًا ـ أو سبعين ـ في سِلسلةٍ واحدةٍ، ويَحبِسونهم علىٰ هذه الصورة حتىٰ يموتوا، وقُذف في البحر مرةً

(١) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان (٢/ ٦٥ ـ ٨٥).

عِدَّةُ جُثثٍ إلىٰ ساحلِ «السَّلُّوم» مربوطًا بعضُها ببعض.

* **طَردُ الليبيين من أرضِهم المُخصبة لإسكانِ الإيطاليين مكانهم(١) :**

لقد كانت أراضي الجبلِ الأخضرِ من «بَرْقة» أجودَ أراضي طرابلس، ففيها العيونُ والمياهُ الجارية، والغاباتُ الملتفَّة، والمروجُ المَريعة، فتوجَّهت أنظارُ الطلْيان إليها، وأرغموا أهلَها علىٰ هجرِها بطريقةٍ في غايةِ الوحشيةِ والقسوة.

لقد جَمع الطليانُ من سكانِ المنطقة ثمانين ألفَ نسمةٍ ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً ـ، وساقُوهم إلىٰ صحراء «سِرْت» في الأراضي الواقعةِ بين «بَرْقة وطرابلس» علىٰ مسافةِ عَشَرةِ أيام من أوصانهم الأصلية، وأنزلوهم في معاطِشَ ومجادِبَ لا يُمكنُ أن يعيشَ فيها بَشَرٌ ولا بقر، فمات قِسمٌ كبيرٌ منهم جوعًا وعطشًا، وماتت مواشيهم بأَسْرِها مِن فَقدِ الكلأِ والماء، فارتفع صُراخُ هؤلاء الأهالي، وراجعوا الحكومةَ الإيطاليةَ، وشكَوا إليها موتَ ذراريِّهم وموتَ مواشيهم، فما زادها ذلك إلاَّ قسوةً ومَضاءً علىٰ عزيمتها، وزادت الطينَ بِلَّةً، فأخذت منهم الرجالَ الذين بلغوا حتىٰ سنِّ الأربعين، وأدخلتهم في الجُندية، ثم عَمَدت إلىٰ الأحداثِ من فوقِ أربعِ سنواتٍ وحتىٰ سنِّ الثانيةَ عَشْرَةَ سنةً، فأخذتهم قَهرًا من أحضانِ أمهاتهم، ودفعتهم إلىٰ إيطاليا لأجلِ تربيتِهم وتَنشئتهم في النصرانية!.

علىٰ الرغم من الاحتجاجاتِ الكثيرةِ من أهالي البلاد المُهجَّرين، لم تَستجبِ الحكومةُ الإيطاليةُ لإرجاعِ الأهالي إلىٰ أراضيهم وديارهم، بل

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٦ ـ ٦٨).

انتَخبت من بقاياهم أربعةَ آلافٍ، وأرجعتهم إلى الجبلِ الأخضرِ يَحرُثون ويزرعون ـ كعامِلين وليسوا مالكين ـ عند المستعمِرين الإيطاليين.

* استباحَةُ القرى والمُدُنِ بوحشيةٍ منقطعةِ النظير(١) :

لقد قام الإيطاليون الصليبيون في سنة ١٩٣١م باحتلالِ واحةِ «الكَفْرة»، فاستباحوا قُراها ثلاثةَ أيام، فقتلوا مَن صادفوه من الأهالي، ثم انتشروا في القُرىٰ والبساتين، ونَهبوا كلَّ ما وَقع تحت أيديهم، ولم يَرحموا الشيوخَ ولا الأطفالَ ولا النساء، وصادفوا الشيخَ «مختار الفذامسي» ـ وهو شيخٌ فانٍ بالغٌ ثلاثًا وتسعين سنةً، ومن جِلَّة علماءِ السنوسية ـ، فحمَلوه مُقيَّدًا بالحِبال على جملٍ، ونَفَوه من «الكَفْرة»؛ فمات في الطريق، ثم اغْتَصبوا النساءَ في أعراضِهن، وقتلوا منهنَّ كثيرًا ممن دافَعن عن أعراضِهِنَّ، وكان نحوٌ من (٢٠٠) مئتي امرأةٍ من نساء الأشراف قد فَرَرْنَ إلى الصحراء قبلَ وصولِ الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوةً في إثْرِهِنَّ حتى قَبَضوا عليهن، وسَحَبوهن إلى «الكَفْرة» حيث خلا بهن ضباطُ جيشِ الطليان واغتَصبوهن، ولما احتَجَّ بعضُ الشيوخِ على هَتكِ أعراضِ السيدات، أَمَر القائدُ الصليبيُّ بقتلهم.

* الطليان يُدنِّسون المُصحفَ، ويَعمَلون على تنصيرِ المسلمين(٢) :

لقد استباح الإيطاليون الصليبيون الزاويةَ السنوسيةَ المسماة بـ «التاج»، وأراقوا فيها الخُمور، وداسُوا المصاحفَ الشريفةَ بأقدامهم، ولقد أَجلَوْا

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٧٠).

ثمانيةَ عَشَرَ ألفًا من عَرَبِ الجَبَلِ الأخضرِ عن أوطانهم، وأماتوهم جوعًا، وأخذوا أطفالَهم قهرًا إلى إيطاليا لتنصيرهم، وقد قاموا بفظائعَ تقشعرُّ لها الأبدان وتَشيبُ لهولها الوِلدان، إذ حملوا الشيخ «سعد» شيخَ قبيلةِ «الفوائد» وخمسةَ عَشَرَ شيخًا من رِفاقه بالطيارات وقذفوهم من الجوِّ على مشهدٍ من أهلهم، حتى إذا وَصل أحدُهم إلى الأرض وتَقطَّع إربًا صَفَّق الطليان طَرَبًا ونادوا العرب قائلين: «ليأتِ محمدٌ ـ هذا نبيُّكم البدويُّ الذي أمركم بالجهاد ـ ويُنقِذْكم من أيدينا»!!.

* **شهاداتُ المرافِقين للجيشِ الإيطالي على فظائعهم[1] :**

١ ـ شهادة «فرانز ماكولا» الإنجليزي:

«أَبيتُ البقاءَ مع جيشٍ لا همَّ له إلاَّ ارتكابُ جرائمِ القتل، وإنَّ ما رأيتُه من المذابح وتركِ النساءِ المريضاتِ العربياتِ وأولادِهن يُعالِجُون سكَراتِ الموت على قارعةِ الطريق: جعَلني أكتبُ للجنرال «كانيفا» كتابًا شديدَ اللهجة، قلتُ له: إني أرفضُ البقاءَ مع جيشٍ لا أَعُدُّه جيشًا، بل عصابةً من قُطَّاعِ الطُّرُقِ والقَتَلة».

٢ ـ شهادة الكاتب الألماني «فون غوتبرغ»:

«إنه لم يَفعل جيشٌ بِعَدُوِّه من أنواعِ الغَدرِ والخيانةِ ما فعله الطليانُ في «طرابلس»، فقد كان الجنرال «كانيفا» يستهينُ بكلِّ قانونٍ حربيٍّ، ويأمرُ بقتلِ جميعِ الأسرى ـ سواءٌ أقُبِض عليهم في الحرب أو في بيوتهم ـ، وفي «سيراكوز» الآن كثيرٌ من الأسرى الذين لم يؤسَرْ واحدٌ منهم في الحرب،

(١) نفس المصدر (٢/ ٧٢، ٨١).

وأكثرُهم من الجنودِ الذين تُركوا في مستشفى طرابلس، وقد قَبض الطليانُ على ألوفٍ من أهلِ طرابلس في بيوتهم، ونَفَوهم ـ بدونِ أدنى مُسوِّغٍ ـ إلى جُزرٍ إيطاليةٍ، حيث مات أكثرُهم من سُوءِ المعاملة.

٣ ـ شهادة النمساوي «هرمان رنول»:

«قد قَتل الطليانُ في غيرِ ميدان الحرب كلَّ عربيٍّ زاد عمرُه على ١٤ سنةً، ومنهم مَن اكتَفُوا بنَفيه، وأحرق الطليانُ في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١١ خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكثرَ سكانه بينهم الشيوخ والأطفال».

وقال أيضًا: «رجوتُ طبيبَينِ عسكريَّينِ من أطباءِ المستشفى أن يَنقِلوا بعضَ المرضى والمصابين المطروحِين على الأرض تحتَ حرارةِ الشمس، فلم يفعلاَ، فلجأتُ إلى راهبٍ من كبارِ جمعيةِ «الصليبِ الأحمر» هو الأب «يوسف بافيلاكو»، وعرضتُ عليه الأمر، وأخبرتُ شابًّا فرنسيًّا أيضًا، لكنَّ الأب «بافيلاكو» حَوَّل نَظَرَه عنِّي، ونَصَح الشابَّ بأنْ لا يُزعِجَ نفسَه بشأنِ عربيٍّ في سكرات الموت، وقال: «دَعْه يموت».

ورأيتُ على مسافةٍ قريبةٍ جنديًّا إيطاليًّا يرفسُ جُثَّةَ عربيٍّ برِجلِه.. وصباحَ اليوم التالي، وجدتُ الجرحى والمرضى الذين رَجوتُ الراهبَ من أجلِهم قد ماتوا، وقد رأى ذلك معي «فون غوتبرغ» الألماني، وبكى من تأثُّره».

٤ ـ شهادة المسيو «كوسيرا» مراسِل جريدة «أكسينسور» الباريسية:

«لا يَخطرُ ببالِ أحدٍ ما رأينا بأعيُنِنا من مشاهدِ القتلِ العام، وفي أكوامِ جُثثِ الشيوخِ والنساءِ والأطفال، يتصاعدُ منها الدخانُ تحت ملابِسهم

الصوفيةِ كالبُخور يُحرقُ أمامَ مَذبَحٍ من مذابحِ النصرِ الباهر، ومررتُ بمئةِ جثةٍ بجانبِ حائطٍ قُضي عليهم بأشكالٍ مختلفة، وما فررتُ من هذا المنظر حتىٰ تَمثَّلَتْ أمامَ عينيَّ عائلةٌ عربيةٌ قُتلت عن آخرِها وهي تستعدُّ للطعام، ورأيتُ طفلةً صغيرةً أَدخلت رأسَها في صندوقٍ حتىٰ لا ترىٰ ما يَحِلُّ بها وبأهلِها.. إن الإيطاليين فَقَدوا عقولَهم وإنسانيتَهم من كلِّ وجه».

٥ ـ قال المستر «إليس إشميد برتلت» مراسِل شركة «روتر» في رسالةٍ بَعث بها من «مالطة» يَصِفُ فيها ما شاهَده بعينه هو والمستر «كرانت» مراسل «الديلي ميرور» والمستر «٠انيس» مراسل «المورننغ بوست»، وقد سُجِّلت هذه الرسالةُ في دائرةٍ رسميةٍ إنكيلزيةٍ تحت توقيعهم:

«صادَفْنا بمجردِ خروجِنا من المدينه جماعةً ـ بين رجالٍ وأولادٍ لا يَقِلُّ عددُهم عن السبعين ـ قُتلوا بدون محاكمة، وكنَّا نُشاهدُ في طريقِنا بعدَ كلِّ بضعِ خُطواتٍ جُثثَ القتلىٰ في كلِّ مكان، قُتل بعضُهم برؤوسِ الحراب، والبعضُ ضربًا، وآخرون جُرحوا وماتوا علىٰ إثرِ جراحِهم.. وأبصَرْنا علىٰ مسافةٍ قريبةٍ خمسين رجلاً وولَدًا هَلَكوا بالرصاصِ والسيوف، وشاهدنا رؤوسًا مهشَّمةً.. ومن المشاهِدِ التي رأيناها:

أ ـ شيخٌ عربيٌّ عاجزٌ، بينما هو جالسٌ بقُربِ مدرسةِ الزراعة، إذ اتخذته طائفةٌ من الجُندِ الإيطاليِّ هدفًا لرصاصِ بنادقهم فمات.

ب ـ سَمِعنا فجأةً صوتَ عيارٍ ناريٍّ، فعَلِمنا أنه أُطلق علىٰ رجلٍ خرج من منزله، فسَقط والدمُ يتدفَّقُ منه، وخَرَجت زوجتُه وبيدها إناءٌ فيه ماء.. لعلها تريدُ أن تَسقيَه أو تَغسِلَ جِراحه.. فلما رأتنا نَكَصَتْ علىٰ أعقابها

خوفًا منا.

جـ- التقينا في أحدِ الشوارع بثُلَّةٍ من الجنود، أمسكوا ثلاثةً من العرب وصَفُّوهم عند حائط، وأخذوا يتلهَّون بإطلاق النار عليهم.

٦- قال المستر «بنيت يورلي» مراسل «الدِّيلي تليغراف»:

«قَتل الطليان في ٧ نوفمبر أربعةَ آلافِ شخصٍ- بينهم ٤٠٠ امرأةٍ-، ورأيتُ رجلاً مُقْعَدًا قَتَله الجنودُ قريبًا من قنصلية النسما».

٧- قال مراسل «فرانكفورتو نسايتونغ»:

«لقد رأيتُ بعينيَّ فظائعَ هائلةً لم تَسمعْ أُذُنُ إنسانٍ بمثلها، ولقد بَلَغ إلى الآن عددُ المذبوحين من الأهالي سبعةَ آلافٍ من رجالٍ ونساءٍ وأولاد، إذ أُبيح للجنود قتلُ كلِّ مَن يصادفونه».

هذا ولقد أُلِّفت كتبٌ في جرائمِ الإيطاليين الصليبيين في ليبيا، وأهمُّ هذه الكتب كتاب «الفظائعُ السُّود الحُمْر»، وكتاب «فظائع الطليان في طرابلس الغرب».

- ومما جاء في الكتاب الأخير أن الطليانَ يُهينون الدينَ الإسلاميَّ، ويتعرَّضون للمسلمين في مساجدهم، ويُدخِلون جنودَهم سُكارىٰ في الجوامعِ ليهزؤوا بعبادةِ المسلمين، ويُجبِرون المسلمَ- ولو كان في وَسَطِ الصلاة- أن يقومَ بأداءِ التحيةِ للضابط الإيطالي أو المأمورِ الإيطالي أيًّا كان.

- ولقد أَصدرت الحكومةُ الإيطاليةُ في لواءِ بنغازيَ أمرًا بسدِّ جميعِ الكتاتيبِ التي تُعلِّمُ الأطفالَ أمورَ دينهم وتُحفِّظُهم قرآنهم الكريم.

- وفاجأ «الفاشيستُ» رجلاً يدعىٰ الشيخ «يونس بن مصطفىٰ

البرعصي» وهو معتكِفٌ في غارٍ بزواية «الفايدية» بالجَبَل الأخضرِ، فسَدُّوه عليه، وأحرقوه مع عائلتِه المؤلَّفةِ من تِسعةِ أشخاص.

◘ جَمَع الجنرالُ «غارسياني» جميعَ مشايخِ السنوسية ومتولِّيَ أوقافِها وأئمةَ المساجد والمؤذِّنين والفقهاءَ والسَّدَنة، وسَجَنهم كلَّهم في مركزِ «بنينه» وهو بناءٌ قديمٌ لا سَقفَ له، ذاقوا فيه أمرَّ العذاب جُوعًا وعطشًا وعذابًا، ثم نُقلوا إلىٰ سجون إيطاليا، وبعد أن مَكَثوا فيها مدةً أُعيدوا إلىٰ «بنينه» حيث أُفنُوا بالجوع وغيره، ولا ذنبَ لهؤلاء سوىٰ أنهم يُعلِّمون أبناءَ المسلمين كتابَ اللَّه وسُنَّةَ رسولِه الكريم ﷺ(١).

* ووقفةٌ أخرى.. لبوم الفاتيكان وسليل النازية:

اقرأ ـ أيها النازيُّ الكذَّابُ الأشِرُ ـ ما قاله «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب» عن محاكِمِ التفتيش في أسبانيا وهمجيَّةِ الكاثوليك:

«وكان تعميدُ العربِ كُرْهًا فاتحةَ ذلك الدَّوْر، ثم صارت محاكمُ التفتيش تأمرُ بحَرقِ الكثيرين، ولم تَتِمَّ عمليةُ «التطهير بالنار» إلاَّ بالتدريج لتعذُرِ حَرقِ الملايين من العربِ دَفعةً واحدة، ونَصَح كاردينال «طليطلة» التَّقيُّ (!!!) بقَطعِ رؤوسِ جَميعِ مَن لم يتنصَّرْ من العرب رجالاً ونساءً وشيوخًا والدانًا.. وقَرَّرت أسبانيا تهجيرَ العرب عن أسبانيا، فقُتِل أكثرُ مُهاجري العرب في الطريق، فأبدَىٰ ذلك الراهبُ «بيلدا» ارتياحَه لقتلِ ثلاثةِ أرباعِ أولئك المهاجرين في أثناءِ هِجرتهم، وهو الذي قَتَل مئةَ ألفِ مهاجرٍ قافلةٍ

---

(١) «الصراع مع الصليبيين» (ص٢٦١ ـ ٢٦٦) للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس ـ دار البشير ـ طنطا.

واحدة كانت مؤلَّفةً من مئةٍ وأربعين ألفَ مهاجرٍ مسلم (١٤٠,٠٠٠)، حينما كانت مُتَّجِهةً إلىٰ أفريقيا، وخَسِرت أسبانيا بذلك مليونَ مسلمٍ من رعاياها في بضعةِ أشهر، ويُقدِّرُ كثيرٌ من العلماء ـ ومنهم «سيديو» ـ عددَ المسلمين الذي خَسِرتهم أسبانيا منذ أن فَتح «فردينانْدُ» «غرناطة» حتىٰ إجلائهم الأخيرِ بثلاثة ملايين، ولا نَعُدُّ ملحمةَ «سان بارتلمي» إزاء تلك المذابح سوىٰ حادثٍ تافهٍ لا يُؤبَهُ له، ولا يَسَعُنا سوىٰ الاعترافِ بأننا لم نَجِدْ بين وحوشِ الفاتِحِين مَن يُؤاخَذُ علىٰ اقترافِه مظالِمَ قَتلٍ كتلك التي اقتُرِفت ضدَّ المسلمين.

وممَّا يُرثَىٰ له أنْ حُرِمَت أسبانيا عمداً هؤلاء الملايينَ الثلاثةَ الذين كانت لهم إمامةُ السُّكَّانِ الثقافية والصناعية»[1] اهـ.

◻ يحاول الثعلبُ الماكرُ «بنديكت» التنصُّلَ من كلامِه، أو يُبدِي أنه يتراجعُ عمَّا قال ـ وهو كاذبٌ ـ، أو يقولُ: إن كلامَه فُهِم فهمًا خاطئًا، فهو العاقلُ الوحيدُ وكلُّ الناسِ ليس لها عقولٌ تفهمُ بها. فَلِم يتراجعُ «ظلُّ اللهِ في الأرض»، وصاحبُ «العِصمة المطلَقة»، وهذا لم يَحْدُثْ في تاريخ الكنيسة والفاتيكان؟!.

◻ قال «البابا شنودة» بابا الأرثوذكس إجابةً علىٰ سؤال: «هل البابا ـ أي: بنديكت ـ معصومٌ من الخطأ، وبالتالي لا يمكنُه الاعتذار؟»: «اعتقادُنا نحن أنه ليس معصومًا من الخطأ، أي أنه يُمكن أن يُخطئَ، ولكنَّ الكاثوليك يعتقدون خلافَ ذلك، فلقد قالوا: ليس هناك داعٍ للحديث عن حياتِه

(١) «حضارة العرب» (ص٢٧٠ ـ ٢٧٢) لجوستاف لوبون.

الخاصة، وهو معصومٌ من الخطأ في التعليمِ الكَنَسيِّ، أي: في كلِّ ما يُقال من فوقِ منبرِ الكاتدرائية؛ لأن هذا التعليمَ يكونُ قد وافَقَ عليه مَجمَعُ الهيئاتِ الكَنَسيَّةِ، ويُصبحُ البابا مُعَبِّرًا عن هذا التعليمِ، لكنَّ الكاثوليك عمومًا لا يستطيعون القولَ: إن البابا قد أخطأ».

ـ معنىٰ هذا أن القدِّيسيَّة التي يَتمتَّعُ بها «بابا الفاتيكان» تُعَدُّ عاصِمَةً له من الخطأ!!.

ـ «هذا عند الكاثوليك ولكن ليس لدىٰ الأرثوذكس».

ـ «ليس هناك غيرُ مفهومٍ واحدٍ ممَّا أورده، فالعبارةُ صريحةٌ، تتحدَّثُ عن أنَّ كلَّ ما جاء به محمدٌ ﷺ كان شرًّا وغيرَ إنساني!!».

ـ «طبعًا هذا غيرُ مقبولٍ أن يُردَّ علىٰ لسان البابا، وكان يتعيَّنُ عليه أن يَحسَبَ حسابًا لردود الفعلِ في العالَم الإسلامي».

☐ ما رؤيتُكم حولَ ما أورده «بنديكت» من أنَّ الإسلامَ تمَّ نَشرُه بالسيف ـ أي: بالعُنف والقوة ـ، وأن النبيَّ محمدًا ﷺ قد أَمَر بذلك؟.

ـ لا.. لم يأمُر بذلك، والدليلُ يُمكن أن نَجدَه في القرآن، علىٰ أنَّ الإسلام لم يَتِمَّ نَشرُه بالعنف..

يقول القرآن: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢]، فدائمًا نَشرُ الدينِ يكونُ عن طريقِ الإقناع؛ لأنَّه أمرٌ يتعلَّقُ بالفكرِ والقلب.. أمَّا هل يَسلُكُ المسلمون هكذا علىٰ طولِ

الخط؟ فهذه مسألةٌ أخرىٰ(١) »(٢) اهـ.

◘ يا بنديكت اللئيم . . إن حُكمَك في تطاوُلك علىٰ سيد البشر ﷺ القتلُ، ولا شيءَ غيرَه بإجماعِ العلماء .

* بابا روما : لا عَتْبَ عليك ، فأنت بكتابك اقتَدَيت :

◘ قال أبو إسلام أحمد عبدالله : «بابا روما ، أدعو اللَّهَ كثيراً - بدايةً - أن يَشفِيَك، وأن يَرُدَّ عليك وَعْيَك، وأن يُثَبِّتَ لك عَقْلَك، فإنَّ الذي في مكانتك محسوبةٌ عليه أنفاسه . . وإنْ أخطأ كلُّ الناس، ففضيحةٌ كبرىٰ أن تُخطِئَ أنت . . وإنْ زَلَّ كلُّ الناس، فزلَّتُك خطيئةٌ لا تُغتفر . . وإن جَهِل الناسُ بعضَ العلمِ والتاريخ ، فجَهلُك جهالةٌ تُوسِمُ تاريخَ البابَوية بالتخلُّفِ والانحطاط ، لذلك أتلمَّسُ لك العُذرَ، لكنَّني - عفواً - لا أُحسِنُ بك الظنَّ أبدًا ، فقد شاء اللَّهُ لك أن تأتيَ من بيئةٍ غيرِ سَوِيَّةٍ، ووظيفةٍ غيرِ كريمةٍ في عُرفِ الإنسانية، وهي رئاسةُ محاكِمِ التفتيشِ تحتَ اسمِ «تثبيت الإيمان»! لتحتلَّ مرةً واحدةً مكانةَ أكبرِ رجلِ دينٍ مسيحيٍّ في العالَم، ولعلّه قَدَرُ اللَّهِ فيك أن تتعثَّرَ القُرعةُ التي اختاروك بها، لِتُعيدَ لشعوبِ العالَم ذاكرتَها، بعد أن استُغفِلت لفترةٍ ليست بالقصيرة، ظانَّةً أن «الكاثوليكية الجديدة» تناسَت أحقادَها ودَمَوِيَّتها القديمة، وتلك مشيئةٌ عظيمةٌ من ربِّ العِزَّةِ سبحانه وتعالىٰ، أن يَفضَحَ بك تاريخَك خصوصًا، وتاريخَ الكاثوليكية عمومًا، إذ

---

(١) ماذا يريد بكلامه هذا؟! عامله اللَّه بما يستحق .

(٢) «جريدة الأسبوع» - العدد (٤٦٩) - ٢ من رمضان ١٤٢٧هـ - ٢٥/٩/٢٠٠٦م (ص٩) - حوار البابا شنودة الثالث لـ «الأسبوع» - أجرت الحوار : سناء السعيد .

إن ملايين - بل ومليارات - الإنسانية لا يَعرِفون الكثيرَ عن الماضي الأسودِ لكنيسةِ حَبْرِكم المُبجَّل، ولا عِلمَ لهم بالإجرامِ الذي تأسَّست على قواعدِه عقيدتُكم، ويَجهلون تمامًا بشاعةَ ماضيكم المليءِ بالخياناتِ والمؤامراتِ والقتلِ والحَرقِ والسَّحْلِ والسَّحقِ والهَتْكِ والفَتْكِ وكلٌّ ما تَقشعرُّ له الأبدان.

◻ عفواً نيافةَ الحَبرْ المُبجَّل، أرجوك ألاَّ تبتئسَ كثيراً مما أقول، وإن كان حقِّي الشرعيُّ الذي تَنصُّ عليه عقيدتُك أنْ أقولَ فيك وأن أَصِفَكَ بالسُّوء الذي وَصَفْتَ به خاتَمَ الأنبياءِ والمرسلين وأكرَمَ خَلْقِ اللَّه أجمعين، لكنني - عفواً - مضطرٌّ لأن أكونَ عفيفًا في قولي لك بحسبِ وصيةِ الرسولِ الذي أسأتَ أنت إليه، ألاَّ أكون سبَّابًا، ولا فحَّاشًا.

◻ عفواً نيافةَ الحَبْرِ المُبجَّلِ، إنني مضطرٌّ للتعاملِ معك وِفقَ منهجٍ عقليٍّ مُيَسَّر يتناسبُ مع السَّقطةِ البَشِعةِ التي أَوقعت نفسَك فيها، بسبب افتقادكَ أولاً للكياسة التي يجبُ أن يتحلَّى بها أصحابُ المراكزِ الوظيفيةِ المرموقة، وبسبب افتقارِك لأدبياتِ الخطابِ «الدبلوماسي» الذي يَجبُ أن تتدربَ عليه طويلاً، وإلاَّ فسوف يكونُ عمرُك قصيراً للغاية على عَرشِ مملكتكَ الفاتيكانية، ثم أخيراً بسبب جَهلِك الفاضحِ بتاريخِ الأمم، وكان جَهلُ حَبْرِكُمُ المُبجَّلِ مُركَّبًا؛ لأنَّ الأُمَّةَ التي أنت جَهِلْتَها أكبرُ من أن يَجهَلَ سيرتَها واحدٌ من صغارِ كَهَنَتِكم.

◻ ولأنَّ المَقامَ ليس عن تاريخِ أُمةِ الإسلام، وهو أيضًا ليس عن تاريخِ أُممٍ وطوائفِ عَبَدَةِ الصليب، إنما عن مفهومِ السُّوء حسبما تُقرِّرُه عقيدَتَي

المسيحية والإسلام، رُجوعًا إلىٰ وَصْفِكَ غيرِ المهذَّبِ وغيرِ الكريمِ وغيرِ اللائق بكم، علىٰ مستويين:

ـ **المستوى الشخصي**: بصفتك قد تجاوَزتَ الثمانين من عُمرك، ولديك من الرُّشدِ ما كان ينبغي أن تَعرِفَ به أقدارَ الناس، وما كان مهمًّا أن تسموَ بعقلِك في التميزِ بين رجالِ اللَّهِ الموحِّدين، وغيرِهم من رجالِ الشيطانِ المشركين.

ـ **أما على المستوى العَقَدي**: فإنني أَعذِرُك كثيراً فيما قلتَ من السُّوء في حقِّ خيرِ خلقِ اللَّه ﷺ، إذ قَدَّر اللَّهُ لي أن أطَّلعَ علىٰ نَبعِ المسيحيةِ الذي به تسترشدون في أقوالِكم وأفعالِكم ووصاياكم وأنشطَتِكم، وأعرفُ ـ كما تعرفُ أنتَ وكلُّ إنسان عاقل ـ أنَّ المعانيَ الأخلاقيةَ لا يختلفُ عليها اثنانِ من البشر ـ مثل الخطأِ والخطيئةِ والذَّنبِ والمعصيةِ والفُحشِ والزنا والدعارةِ والقتلِ والكذبِ والجهلِ وسوءِ الأخلاق وسوءِ الأدب ـ، فكلُّ تلك المعاني مشتركةٌ في دلالاتها بين جميعِ البشرِ ـ مهما اختلفت عقائدُهم أو ألوانُهم أو جِنسياتُهم ـ.

ومِن هنا أبدأُ التجوُّلَ بصُحبةِ حَبْرِكُمُ المُبجَّلِ في أصولِ نيافتكم العَقَدية، دونَ عصبيةٍ، أو غَضَبٍ، أو حَيدةٍ؛ لِنُحدِّدَ سويًا ويَشهدَ علينا الملايينُ الذين سيقرؤون هذه الرسالةَ المهذَّبةَ منِّي ـ أنا المسلم الذي أتبعُ أخلاقَ محمدٍ ﷺ ـ، إلىٰ شَخصِكم المُبجَّلِ الذي اتَّهم محمداً ﷺ بأنه «لَم يأتِ إلاَّ بكلِّ سيِّءٍ»، وتعرفُ أن القرآنَ هو أعلىٰ وأسمىٰ ما أتىٰ به ﷺ، فسَبَبْتَ قرآنَنا قصداً مع سَبَقِ الإصرار، أو عَفْواً وجهالةً وسُوءَ فَهمٍ،

وحسبُك ـ همًّا وغمًّا لتاريخِ كنيسةِ حَبْرِكم ـ أنك أشرتَ فيما أَسميته تدليسًا «بالاعتذارِ للمسلمين» أن ذلك النصَّ البذيءَ الذي نَطَقَتْ به نيافتُكم، قد نَقَلْتَه في كلمتك عن أجدادِك الأوائل في العصورِ الوسطىٰ، لِتُجدِّدَ معهم العهدَ والوعدَ، شهادةً علىٰ موقفِكم الحاقدِ المتعصِّبِ من خيرِ بشرٍ وُلِد علىٰ الأرض، أنك مِثلُهم، وأنهم كانوا مِن قَبلُ مِثلَك نيافةَ الحَبْرِ المبجَّل، أتعشَّمُ كثيرًا أن تتحمَّلني، وتَقبَلَ مني أن أُذَكِّرَك فقط علىٰ ملأٍ من البشرية؛ لأنَّ الملايينَ منهم يَجهلُ السرَّ الذي دَفَع نيافتَكم لهذا السُّوءِ من القول في حقِّ خيرِ نبيٍّ لخيرِ أُمةٍ أُخرجت للناس، وهو ذلك الكتابُ الموصوفُ خطأً بالقَدَاسة، وهو لا يتجاوزُ «الفولكلور الشعبيَّ» بحسب تعبيرِ الآباء الدومينيكان، فقد رَجعتُ إليه، ووجدتُ أن سِبابَك وشَتْمَك لنبيِّ الرحمة والسلام، هو اقتداءٌ بما وَرَد زُورًا وبهتانًا علىٰ لسان «يسوع» وهو يُوزِّعُ أذاه علىٰ مَن يعرفُ ومَن لا يَعرف، معاهدًا اللَّهَ الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ، أن ألتزمَ بنصوصِ كتابِك فيما أنقُل، دون نقصٍ، أو زيادةٍ، أو تعديل، لنعرفَ جميعًا ما السَّيِّئُ، ومَن المُسيء، ومَن المُساءُ إليه، مسترشِدًا في ذلك مع نيافتِكم بقول رسولِكم «بولس» في «سِفر الأمثال»: «جَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ يَكُونَ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ».

◻ أولاً: حقيقة كتاب نيافتكم المقدس:

جاء في الدراسةِ القيمةِ المسمَّاةِ «مدخل إلىٰ الكتاب المقدس»، والتي نَقَلَتْها الرهبانيةُ اليسوعيةُ من الترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس «إصدار الرهبانية اليسوعية»، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م: «إن أسفارَ

الكتابِ المقدَّس هي عَمَلُ مؤلِّفِينَ ومُحرِّرِينَ، ظَلَّ عددٌ كبيرٌ منهم جهولاً، لكنهم - على كلِّ حال - لم يكونوا مُنفرِدين؛ لأنَّ الشعبَ كان يُسانِدُهم».

❑ ويقولُ الآباءُ اليسوعيون في مقدِّمة الكتاب المقدس: «فما مِن عالمٍ كاثوليكيٍّ في عصرنا يعتقدُ أن موسى ذاتَه قد كَتَب كلَّ البانتاتيك «الأسفار الخمسة» منذ قِصَّةِ الخَلْقِ إلى قصةِ موته» (ص٤).

❑ وتقولُ دائرة المعارف الأمريكية [ENCYLOPAEDIA AMERICANA] طبعة ١٩٥٩ الجزء الثالث: «لَم يَصِلْنا أيُّ نسخةٍ بخطِّ المؤلِّفِ الأصليِّ لكُتُبِ العهدِ القديم، أمَّا النصوصُ التي بين أيدينا، فقد نَقَلَتْها إلينا أجيالٌ عديدةٌ منَ الكَتَبَةِ والنُّسَّاخ، ولدينا شواهدُ وفيرةٌ تُبيِّنُ أن الكَتَبَةَ قد غيَّروا - بقصدٍ أو دونِ قصدٍ منهم - في الوثائق والأسفار التي كان عَمَلُهم الرئيسيُّ هو كتابتُها ونقلُها، وقد حَدَث التغييرُ دون قصدٍ حين أخطؤوا في قراءةِ بعضِ الكلمات. . كذلك حين كانوا يَنْسَخون الكلمةَ أو السطرَ مرَّتين، وأحيانًا يَنْسَون كتابةَ كلماتٍ - بل فقرات بأكملها -، وأمَّا تغييرهم في النصِّ الأصلي عن قَصدٍ، فقد مارسوه مع فِقراتٍ كاملةٍ حين كانوا يتصوَّرون أنها كُتبت خطأً في الصورة التي بين أيديهم، كما كانوا يَحذِفون بعضَ الكلماتِ أو الفقرات، أو يُضيفون على النصِّ الأصليِّ فقراتٍ توضيحيةً».

❑ وتقول الترجمةُ الفرنسية المسكونية تحت عنوان «فساد النص»: «لا شكَّ أن هناك عدداً من النصوصِ المشوَّهة التي تفصلُ النصَّ المسوري الأول عن النصِّ الأصلي، فعلى سبيل المثال: تَقفزُ عَينُ الناسخُ من كلمةٍ إلى كلمةٍ

تُشبِهُها، وتَرُدُّ بعدَ بضعةِ أسطرٍ مُهمَلَةٍ كلَّ ما يَفصِلُ بينهما.. والجديرُ بالذِّكر أن بعضَ النُّسَّاخِ الأتقياءِ أقدموا بإدخالِ تصحيحاتٍ لاهوتيةٍ على تحسينِ بعضِ التعابيرِ التي كانت تبدو لهم معرَّضةً لتفسيرٍ عقائديٍّ خَطِرٍ» «كتب الشريعة الخمسة»: منشورات دار المشرق - بيروت.

وهكذا يتَّضِح للعالَمِ كلِّه أن الحَبْرَ الأعظمَ إنما يعتنقُ كتابًا هو يَعلمُ وتلامذتُه أنه ليس مقدَّسًا وليس وحيًا، وليس من كلامِ موسى عليه السلام، وليس من كلامِ عيسى عليه السلام، ورَغمَ ذلك يُدلِّسُ على الدنيا كلِّها أنَّ كتابه مُقدَّسٌ، ومَن يفعل ذلك لا بأسَ أن يُسيءَ إلى النبيِّ محمدٍ ﷺ، بل وإلى ربِّه جلَّ وعَلا.

◻ ثانيًا: أخلاقُ المسيحية بحسب نُصوصها المقدسة:

ثم أَسْبِرُ بصُحبتِك غَوْرَ ذلك الكتابِ الذي فَرَضْتَ نيافتُكم - والذين مِن قَبْلِكم - على ملايينِ البشر الإيمانَ به باعتبارِه «مقدَّسًا»، وأنت عليمٌ بأنه غيرُ مقدَّس - كما أشار علماءُ نيافتكم سابقًا -، وأبدأُ استشهاداتي إليك بما قاله «بولس»، عمادُ عقيدتكم، في رسالتِه الأولى إلى «كورنثوس» (٦: ١٠) «بأن الشتَّامون لا يَرِثون ملكوتَ اللَّه».. بينما أنت شَتمتَ محمداً ﷺ وكلَّ أتباعِه وقرآنَه الذي أُنزل عليه، فهل أنت ممن سيَرِثون الملكوتَ؟ أم أن مَثواك جهنمُ وبئس المصير [إذا مِتَّ على هذا الضلالِ الكبير]؟.

*** وأنتقلُ بنيافتكم إلى صُلبِ معتقَدِكم، وسَبَبِ شَتْمِكم، وأصلِ اقتدائِكم، لِنقفَ مباشرةً على مستوى أخلاقِ نيافتكم:**

◻ الرب يأمرُ بسرقةِ المصريين:

«قال الربُّ لموسى: تكلَّم في مسامعِ الشعبِ أن يَطلُبَ كلُّ رجلٍ من

صاحبه وكلُّ امرأةٍ من صاحبتها أمتعةَ فِضَّةٍ وأمتعةَ ذهبٍ، وأعطىٰ الربُّ نِعمةً للشعبِ في عيون المصريين»، و«فَعَل بنو إسرائيل - بحسب قول موسىٰ -، طَلَبوا من المصريين أمتعةً من فضةٍ وأمتعةً من ذهبٍ وثيابًا، وأعطىٰ الربُّ نعمةً للشعب في عيونِ المصريين حتىٰ أعاروهم، فسلبوا المصريين» «الخروج» (١٢ : ٣٥، ٣٦).

❑ الرب يأمرُ بشرب الخمر:

«لا تكنْ في ما بعدُ شَرَّابَ ماءٍ، بل استَعمِلْ خمرًا قليلاً من أجل مَعِدَتِك وأسقامِك الكثيرة» «تيموثاوس» (٥ : ٢٣).

❑ الرب يأمرُ بالزنا:

«أولُ ما كلَّم الربُّ هوشع قال الربُّ لهوشع: اذهبْ خُذْ لنفسِك امرأةَ زِنًىٰ، وأولادَ زِنًىٰ؛ لأنَّ الأرضَ قد زَنَت زنًا تاركةً الرب، فذهب وأَخَذ جومر بنت دبلايم، فحَبَلت وولدَت له ابنًا» «هوشع» (١ : ٢).

❑ الرب يأمر بالقُبلات بين الرجال والنساء:

«سلِّموا علىٰ تريفينا وتريفوسا وبرسيس المحبوبة وروفس وأمه أمي وهرماس بتروباس وهرميس، وعلىٰ الإخوةِ الذين معهم، سَلِّموا علىٰ فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس، سلِّموا بعضُكم علىٰ بعض بقبلةٍ مقدَّسةٍ». «كورنثوس» ٢(١٢ : ١٣).

❑ إله المحبة يشتم امرأةً كنعانيةً:

«عندما جاءت امرأةٌ كنعانيةٌ تسترحمُ يسوع بأن يَشفِيَ ابنتَها، ردَّ عليها قائلاً: لا يجوزُ أن يُؤخَذَ خُبزُ البنين ويُرمىٰ للكلاب» «متىٰ» (١٥ : ٢٦).

❑ وشَتَم الأنبياء عليهم السلام:

«يقول يسوع: أنا بابُ الخِراف، وجميعُ الذين جاؤوا قَبلي سارقون ولصوص». «يوحنا» (٧: ١٠).

❑ وشَتَم مُعلِّمي الشريعة:

«قائلاً لهم: يا أولاد الأفاعي» «متىٰ» (٣: ٧)، «أيها الجُهَّالُ العُميان» «متىٰ» (١٧: ٢٣).

❑ ووَصَف تلميذَه الأولَ «بطرس» الذي هو خيرُ رسل الفاتيكان:

بقوله: «يا شيطان» «متىٰ» (١٦: ٢٣).

❑ وشَتَم آخَرين منهم:

«بقوله: أيها الغبيَّانِ والبطيئا القلوب في الإيمان» «لوقا» (٢٤: ٢٥).

❑ بل شَتَم الذي استضافه ليتغدَّى عنده في بيته:

«سأله فريسيٌّ أن يتغدَّىٰ عنده، فدخل يسوع واتكأ، وأما الفريسي فلمَّا رأىٰ ذلك تعجَّب بأنه لَم يَغتسِلْ أولاً قَبلَ الغداء، فقال له الرب: أنتم الآن أيها الفريسيون تُنَقُّون خارجَ الكأس، وأما باطنُكم فمملوءٌ اختطافًا وخُبثًا يا أغبياء! ويل لكم أيها الفريسيون!... فأجاب واحدٌ من الناموسيين وقال له: يا مُعلِّم، حين تقول هذا تشتمُنا نحن أيضًا! فقال: وويلٌ لكم أنتم أيها الناموسيون!» «لوقا» (١١: ٣٩).

❑ وشَتَم هيرودس:

«قولوا لهذا الثعلب» «لوقا» (١٣: ٣٢).

❑ وأساء يسوعُ الخطابَ مع أُمِّه أمامَ الناس:

«عندما قال لها في فَرَح قانا: ما لي ولك يا امرأة؟!» «يوحنا» (٢: ٤).

❑ **وأساءَ استخدامَ الألفاظ في خطابه مع الناس:**

«لا تُعطوا القدسَ للكلاب، ولا تطرحُوا دُرَرَكم قُدَّام الخنازير» «متىٰ» (٦ : ٧).

❑ **وطلب إحضار معارضيه لذبحهم بالسيف أمامه:**

«أما أعدائي الذين لم يُريدوا أن أَملِكَ عليهم، فأْتُوا بهم إلىٰ هنا، واذبحوهم قدامي» «لوقا» (١٩ : ٢٧).

❑ **ويلعن شجرةَ التين:**

شجرةٌ لا ذنبَ لها سِوىٰ أنها لم تُثمِر؛ لأنَّه لم يكن وقتُ الثمر: «وَإِذ رأىٰ من بعيدٍ شجرةَ تينٍ مورقَةً، توجَّهَ إليها لعلَّهُ يجدُ فيها بعض الثَّمرِ. فلمَّا وصل إليها لم يجد فيها إلاَّ الورقَ؛ لأنَّه ليس أوانُ التِّينِ. فتكلَّم وقالَ لها: لا يأكلنَّ أحدٌ ثمرًا منك بَعْدُ إلىٰ الأبَدِ» «مرقس» (١١ : ١٢).

❑ **ممارسةُ العنف تحديًا للسلطات:**

«صَعِدَ يسوع إلىٰ أورُشَلِيمَ، فوجدَ في الهيْكَلِ باعةَ البقرِ والغنمِ والحمامِ، والصَّيارِفَةَ جَالسينَ إلىٰ موائدهم، فجدلَ سوطًا من حبالٍ، وطردهُم من الهيكلِ، مع الغنمِ والبقَرِ، وبعثرَ نُقودَ الصَّيارِفَةِ وقَلَبَ مناضِدَهُم» «يوحنا» (٢ : ١٤).

❑ **يقتل ألفيْ خنزير استجابةً للأرواح النجسة:**

«وكان هناك قَطيعٌ كبيرٌ من الخنازيرِ يَرْعَىٰ عند الجبلِ، فتوسَّلتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ إلىٰ يسوعَ قائلةً: أرسِلْنا إلىٰ الخنازيرِ لندخُلَ فيها! فأذنَ لها بذلك. فخرجتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ ودخلت في الخنازيرِ، فاندفعَ قطِيعُ

الخنازيرِ من على حافةِ الجبلِ إلى البُحيرةِ، فغَرِقَ فيها. وكان عدده نحو ألفينِ» «مرقس» (٥ : ١١).

◻ يَشترط لطاعته أن يَكرَهَ الإنسانُ نفسَه وأباه وأُمَّه وزوجتَه وأولادَه:

فيقول: «إن جاءَ إليَّ أحدٌ، ولم يبغض أباهُ وأمَّهُ وزوجتَهُ وأولادَهُ وإخوتَهُ وأخواتِه، بل نفسَهُ أيضًا، فلا يُمكنه أن يكون تلميذًا لي» «لوقا» (١٤ : ٢٦).

◻ يعلن أنه جاء ليُلقَي سيفًا لا سلامًا:

«لا تظنُّوا أنِّي جئتُ لألقي سلامًا على الأرضِ. ما جئتُ لألقي سلامًا، بل سيفًا. فإنِّي جئتُ لأجعل الإنسانَ على خلافٍ مع أبيه، والبنتَ مع أمِّهَا، والكَنَّةَ مع حماتها» «متى» (١٠ : ٣٤).

◻ جاء ليلقي ناراً على الأرض:

«جئتُ لألقي على الأرض ناراً، فلكم أودُّ أن تكون قد اشتعلت؟» «لوقا» (١٢ : ٤٩).

◻ يقتل الأطفال بذنب أمهاتهم:

يقول في إيزابيلا التي ادعت النبوة: «فإني سأُلقيها على فراشٍ، وأَبتلي الزانين معها بمحنةٍ شديدة، وأولادُها أقتلُهم بالموت، فستعرفُ جميعُ الكنائس أنِّي أنا هو الفاحصُ الكُلَى والقلوبَ، وأجازي كلَّ واحدٍ منكم بحسبِ أعماله» «سفر الرؤيا» (٢ : ٢١ ـ ٢٣).

وهكذا نيافةَ الحَبْرِ المبجَّل، نكونُ قد أَوقفنا العالَمَ كلَّه ـ الذي يَعلمُ والذي لا يَعلم ـ، أنك عندما آذيتَ المسلمين وقرآنَ المسلمين، ولَمَّا آذيتَ

نبيِّ المسلمين ﷺ، إنما كنت مقتديًا حَذْوَ النَّعْلِ بالنعل، بما جاء في كتابك علىٰ لسانِ ربِّك، لذا لَم أَحْزَنْ منك علىٰ الإطلاق، وأدركتُ أنك رجلاً يسوعيًّا بحق، كشفتَ لنا بجِلاءٍ أن محمداً ﷺ لم يكن هو المقصودَ بسُوءِ ما أتىٰ به، إنما السوءُ كان فيما أتيتَ أنت به وأتىٰ به كتابُك، ولولا تقديري لك، واحترامي لرغبتِك في استمرارِ جهالتك بالإسلام ونبيِّ الإسلام، لكنتُ عَرضتُ عليك شيئًا مما أتىٰ به محمدٌ ﷺ، لتعلمَ مساحةَ التباين بين ما كان عندك، وما هو عندنا، خاتمًا رسالتي إلىٰ حَبرِكمُ المبجَّلِ بقول «بولس» في سفر «الأمثال» (٤ : ٢٦): «لا تُجَاوِبِ الجاهل حسبَ حماقَتِهِ، لِئَلاَّ تَعدلَهُ أنت».

معاذَ اللَّه ـ سعادةَ الحَبْرِ المبجَّل ـ أن أَعْدِلَكَ فيكونَ مقامُك هو مقامي، أو مقامي ـ والعياذُ باللَّه ـ يكون مقامك».

أبو إسلام أحمد عبداللَّه

*** من رَحمةِ النصرانية: دعوةُ أحدِ أبنائها لضربِ مكةَ بالقنبلة النووية:**

◻ يقول المحرِّر الأمريكي «ريتش لوري»: «إنني أقترحُ أن تُضرَبَ مكةُ بقنبلةٍ نووية، ويكونُ ذلك بمثابةِ إشارةٍ إلىٰ المسلمين.. إنَّ «طِهرانَ وبغداد» هما الأقربُ لتلقِّي الضربةِ النووية الأولىٰ.. يجبُ علينا أن نُحذِّرَ دمشقَ والقاهرةَ والجزائرَ وطرابلسَ والرياضَ من خطرِ الإبادة النووية إذا ما أظهروا أيةَ علامةِ اعتراض»[1].

هؤلاء الصليبيون هم أعداءُ البشر، هم الذين ينشرون أفكارَهم بإبادةِ الآخرين.

---

(١) نُشر المقال في مجلة «ناشيونال ريفيو» علىٰ موقع المجلة الإلكتروني.

□ يقول «مايكل هولي إيغل» الأمريكي في حديثه عن قتل الهنود الحمر: «تاريخُنا مكتوبٌ بالحبر الأبيض، إنَّ أولَ ما يفعلُه المنتصرُ هو محوُ تاريخِ المهزومين، ويا اللَّه ما أغزَرَ دموعَهم فوقَ دماءِ ضحاياهم! وما أسهَلَ أن يَسرِقوا وُجودَهم من ضميرِ الأرض! هذه واحدةٌ من الإباداتِ الكثيرةِ التي واجهناها وسيواجهُها الفلسطينيون.. إن جلادَنا المقدَّس واحد»[1]!!.

□ في عام (١٧٣٠م) أصدر البرلمان الأمريكي لمن يسمُّون أنفسَهم «البروتستانت الأطهار» تشريعًا يُبيحُ عمليةَ الإبادةِ لمن تبقَّىٰ من الهنود الحمر، فأصدرت قرارًا بتقديمِ مكافأةٍ مقدارها (٤٠) جنيهًا مقابل كلِّ فروةٍ مسلوخةٍ من رأسِ هنديٍّ أحمر، و(٤٠) جنيهًا مقابلَ أسرِ كلٍّ واحدٍ منهم، فكان سَلخُ الرأسِ أوفرَ لهم.

وبعدَ خمسةَ عشَرَ عامًا ارتفعت المكافأة إلىٰ (١٠٠) جنيه، و(٥٠) جنيهًا مقابلَ فروةِ رأس امرأةٍ، أو فروةِ رأسِ طفلٍ.

وفي عام (١٧٦٣م) أمَرَ القائدُ الأمريكي «جفري أهرست» برَمْي بطانيَّاتٍ كانت تُستخدَمُ في مصحَّاتِ علاجِ الجُدري إلىٰ الهنود الحمر، بهدفِ نشرِ المرض بينهم، مما أدَّىٰ إلىٰ انتشارِ الوباءِ الذي نتج عنه موتُ الملايين من الهنود، ونتج عن ذلك شِبْهُ إفناءٍ للسكان الأصليين في القارة الأمريكية»[2].

---

(١) انظر «حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية» (ص٧) لمنير العكش - دار رياض الريس.

(٢) انظر كتاب «أمريكا والإبادات الجماعية»، فعامته عن تاريخ قتل الهنود الحمر.

◻ وقال الرئيس الأمريكي «وليام ماكيليني»: «نحن لم نذهبْ إلى الفلبِّين بهدفِ احتلالها، لكنَّ المسألةَ أن السيدَ المسيحَ زارني في المنام، وطلب مني أن نتصرَّفَ كأمريكيِّين، ونذهبَ إلى الفلبِّين لكي نجعلَ شعبَها يتمتعُ بالحضارة»(١) .

* ثورةُ المَنْطِقِ في وَجْهِ البَابَا(٢) :

أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والقَسُّ جان.. والمؤرِّخُ أخْرَقُ!!
والرَّبُ ثالوثٌ - تعالى جَـــدُّهُ - ... هو واحدٌ لكنَّهُ مُتَفَرِّقُ!!
أينَ العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ ... والأمُّ تَحْمِل بالإله وتَطْلقُ!!
فهو الجنينُ تَحَشْرَجَتْ أوْدَاجُه ... وهو الرضيعُ المُسْتَغيثُ المُوْثَقُ!!
وهو الغريبُ هنا يُطارِدُهُ الظَّما ... طَوْرًا فيُسْقَى، أو يَجُوعُ فيُرْزَقُ!!
وهو الطريدُ هنا.. المُعذَّب ها هنا ... وهناك في عَرْضِ الصليبِ مُعَلَّقُ!!
وهو الدَّفينُ هنا ثلاثًا فاعْجَبُوا ... من ذا الذي يُحيي بهن ويرزقُ؟!!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والذَّنْبُ إرثٌ والمُخَلِّصُ يُشْنَقُ!!
ورقابُهُمْ أُسِرَتْ بزلَّةِ آدمٍ.. ... ما لي بوِزْرِ الآخَرينَ أُطَوَّقُ؟!!
واللَّهُ أوسعُ رحمةً وعدالةً ... من أنْ يُجَرِّمَهُمْ ولَمَّا يُخلقُوا
وأرى المُخَلِّصَ لَمْ يُخلِّصْ نَفْسَه ... وهو الضَّعيفُ المُسْتَباحُ المُرْهَقُ!!
وصُكوكُ غُفْرانِ الذُّنوبِ تِجَارةٌ ... فالقَسُّ يَجْمَعُ والكنيسةُ تَعْتَقُ

(١) «أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والحرية والعدل» للدكتور فهد العرابي الحارثي.

(٢) لصالح بن علي العمري.

وتُقَدَّسُ الصُّلْبَانُ إجماعًا وقد ... صُلِبَ الإلهُ بها فأينَ المَنْطقُ؟!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والقَسُّ يكْذِبُ والحقائقُ تُزْهَقُ
فإذا اليهودُ القَاتلونَ بِعُرْفِهِمْ ... رَمزُ البَرَاءِ.. وقسُّهم يتملَّقُ
كم هيَّجَ الأحقادَ في حَمَلاتِه ... ولِكُلِّ جَيْشٍ للقسَاوسِ فَيْلَقُ!!
نيرانُ كُرهٍ في حُطامِ ملاحِمٍ.. ... والموتُ يُرْعِدُ، والعَدَاوةُ تُبْرِقُ
وَفَدوا إلى أَرْضِي بِكلِّ سَرِيَّةٍ ... فَبَكَتْ فلسطينُ وضجَّ المَشْرِقُ
ومَحَاكمُ التَّفْتيشِ يَشْهَدُ قَبْوُهَا ... بِجَحيمِها وسجونُها والخَنْدَقُ
و«أبو غريبٍ» فضائحٌ مشهودةٌ ... وسجونُ «كوبا» أنَّةٌ تتحرَّقُ
وَغَدَتْ رُبا الأفْغانِ قاعًا صفصفًا ... وهنا العراقُ ضغائنٌ تتدفَّقُ
عيسى رَسُولُ محبةٍ وتسامحٍ ... والقسُّ يَعْبَثُ في البلادِ ويَحْرِقُ!!
عيسى لأخْلاقِ الوفَاءِ مَنَارةٌ ... والقَسُّ يَغْدُرُ بالعبَادِ ويَسْرِق!!
عيسى يُقيمُ المَيْتَ من غَفَواتِهِ ... والقَسُّ يَغْتَالُ الحَيَاةَ ويُزْهِقُ!!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والفكْرُ يُغْمَطُ.. والحجَا مُسْتَغْلَقُ
حاربْتُمُ العِلْمَ الحديثَ بِغلْظةٍ ... ودماءُ غاليلو هُنالكَ تُهْرَقُ!!
وغللتُمُ العَقْلَ الصَّرِيحَ تَعَنُّتًا ... فإذا رؤى الإلحادِ ظلٌّ مُونِقُ
ولِكلِّ إنجيلٍ لديكم وُجْهةٌ ... والزَّيْفُ في أصْلِ الروايةِ يُوبِقُ
والسِّفْرُ عندكمُ عُرى وثنيَّةٍ ... عن بولس.. وهو الدَّعيُّ المُلْصَقُ
وكتابُنا متواترٌ.. ونبيُّنا ... خيرُ البريَّةِ.. والحديثُ مُوَثَّقُ
و«عَشاؤكم» فيهِ القساوسُ تحتسي ... أمَّ الخبائثِ والجموعُ تُصَفِّقُ

وبشرعِكم: «لا للتعددِ».. والزِّنَا ... متيسِّرٌ.. والزوجُ ليستْ تَطْلُقُ!!
الزاهدونَ عن الزواجِ وقَسُّهم ... يُثني على خُلُقِ الشذوذِ فيُغْدِقُ
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... وروايةُ التأريخِ لا تتملَّقُ
لَمَّا حكمْنا الأرضَ أشرقَ دينُنا ... نوراً.. ورواياتُ الأمـانِ تُحلِّقُ
وتألقتْ شمسُ الحضَارةِ في الدُّنا ... عدلاً وعلـمًا وائتلافًـا يعْبَقُ
تلْكَ القصورُ الشامخاتُ شواهدٌ ... للدهرِ بالحَـــقِّ المُغيَّبِ تنْطقُ
فاسألْ بلنْسـية وقرْطُبَة النَّدى ... وصروحُها بالمُعْجـــزاتِ تَفَتَّقُ
واسألْ سُهولَ القِبْطِ كيف تسربلتْ ... أمنًا، وآياتُ العهـــودِ تُوثَّقُ
حتى إذا دارَ الزمانُ لكُمْ غدتْ ... أرضي بأصنافِ العَـــداوةِ تفْهَقُ
فإذا بلادُ الشامِ نارٌ تصْــطَلي ... والقُدْسُ تُسْبى والخليلُ وجلَّقُ
وإذا بذورُ الكُرْهِ تربـــو نبتــةً ... للثــائرينَ وفَجْـــرُهُمْ يَتَفَــلَّقُ
فإذا فلولُك مُسْـــلِمٌ ومُسلِّمٌ ... والهالكونُ كأنَّهُمْ لَمْ يُخلقوا
أين العدالةُ والهُـــدى والمَنْطقُ؟! ... والعقلُ يحجـبُه الظلامُ المُطْبِقُ
مـا دينُكم يا أيُّها البابا سوى ... إرهابِ رُهْبَانٍ.. وحُمْقٌ يُغْرِقُ
فتكتْ بنا الفتيكانُ فَتْكًا حينما ... غابَ النُّهى دهراً وطاشَ المنطقُ
دعني أُخاطبُ كلَّ صاحبِ فطْنة ... واللَّهُ يَهْدي من يشاءُ ويُعْتقُ
يا ابن النصارى آنَ أنْ تصحو فقدْ ... جَارَتْ سياستُكم وضلَّ البِطْرِقُ

* * *

* دَرْءُ تعارُضِ العقل مع الوحي والنقل:

ما عَظَّم العقلَ دينٌ ما عظَّمه الإسلامُ، و«يكفيك من العقل أن يعرِّفك صدقَ الرسول ﷺ ومعاني كلامه، ثم يُخَلِّي بينك وبينه»، و«العقلُ سلطانٌ وَلَّىٰ الرسولَ، ثم عزَل نفسه»(١).

والعقلُ كالدابةِ توصِّلك إلىٰ بابِ المَلِك، ثم تدخلُ عليه بعدَ ذلك بالتسليم المطلق.

والعقولُ لا تَسْتَقِلُّ بمفردها بمعرفةِ حقائقِ الإيمانِ وتفصيلِه أو الشرائعِ دونَ الرسل.

* فعقلُ رسولِ اللَّه ﷺ أكملُ عقولِ أهلِ الأرضِ علىٰ الإطلاق، فلو وُزِن عقلُه بعقولهم لَرَجَحَها، وقد أخبر اللَّهُ أنه قَبْل الوحي لم يكن يَدري الإيمانَ كما لم يكن يَدري الكتاب، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٦-٧]، وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورىٰ [الشورىٰ: ٥٢].

* وإذا كان أعقلُ الخَلقِ علىٰ الإطلاق، إنما حَصَل له الهدىٰ بالوحي كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا

(١) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» لابن القيم - اختصار محمد بن الموصلي (١/ ٢٥٥) «أضواء السلف».

يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠].

* فكيف يَحصلُ لسفهاءِ العقول وأخفَّاءِ الأحلام الاهتداءُ إلى حقائقِ الإيمان بمجرَّدِ عقولهم دونَ نصوصِ الوحيِ حتى اهتَدَوا بتلك الهدايةِ إلى المعارضة بين العقلِ ونصوصِ الأنبياء؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٩-٩٠][(١)].

◻ إن للعقل دَوراً لا يتعدَّاه، فهو كالميزان الحسَّاسِ، فهو أصلحُ شيءٍ في موضعه، تَزِنُ به ما دَقَّ من الأوزان، فإن استعملته في خارجِ طَورِه وما أُعِدَّ له أفسَدْته، فلا يصلحُ أن تَزِنَ به جبالَ الدنيا.

◻ ولا تعارُضَ بين العقل السليم والوحي الكريم، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابٌ عظيمٌ مفخرةٌ للمسلمين هو «درء تعارض العقل والنقل»، فارجع إليه فإنه نفيسٌ نفيس يُكتب بماء الذهب.

◻ والذين يدَّعون معارضةَ العقلِ للنقلِ، وقدَّموا العقلَ على الوحي إنَّما يسيرون على طريقةِ الشيخ أبي مرَّة «إبليس»، فهو إمامُهم، وهذا ميراثٌ عنه..

فعلى عُقولِكُمُ العَفَاءُ لأنكم ... عادَيتمُ المعقولَ والمنقولاَ
وطلبتمُ أَمْرًا مُحالاً وهو إدْ ... راكُ الهدى لا تَتْبعون رسولاَ
وزعمتمُ أن العقولَ كفيلةٌ ... بالحقِّ أين العقلُ كان كفيلاَ؟!

---

(١) «مختصر الصواعق» (١/ ٢١٥-٢١٦).

وهو الذي يَقْضي فيَنقضُ حكمَه عقلٌ، ترونَ كليهما معقولاً!

وتراه يجزم بالقضـاء وبعـد ذا يَلْقَـى لديـه باطـلاً معلولاً

لا يَستَقلُّ العقلُ دونَ هداية بالوحي تأصيلاً ولا تفصيلاً

كالطَّرْف دون النورِ ليس بمُدْرِك حتى تراهُ بُكرةً وأصيلاً

وإذا الظَّلامُ تلاطمت أمْواجُهُ وطَمِعْتَ بالأبصارِ كنتَ مُحيلاً

وإذا النُّبوَّةُ لم يَنَلْكَ ضياؤُها فالعقلُ لا يَهْدِيكَ قطُّ سبيلاً

نور النُّبوَّة مثلُ نورِ الشمس للـ عينِ البصيرةِ فاتَّخذْهُ دليلاً

طرقُ الهُدَى مسدودةٌ إلاَّ علَى مَن أمَّ هذا الوحيَ والتنزيلاً

فإذا عَدَلْتَ عن الطريق تَعَمُّداً فاعلمْ بأنك ما أردتَ وصولاً

يا طالبًا دَرْكَ الهُدَى بالعقلِ دو نَ النقل لن تَلْقَى لذاك دليلاً

كم رَام قبلَك ذاكَ مِن مُتَلَدِّدٍ(١) حيرانَ عاشَ مَدَى الزَّمانِ جهولاً

ما زالتِ الشبهاتُ تغزو قلبَه حتى تَشَحَّطَ بينهنَّ قتيلاً

فتراه بالكُلِّي والجُزئيِّ والـ ـعَرَضيِّ طولَ زمانِـه مشغولاً(٢)

---

(١) تَلَدَّدَ فلان: إذا تَلَفَّتَ يمينًا وشمالاً وتحيَّر مُتَبَلِّدًا، مأخوذٌ من: لَديدَيِ الوادي أي جانِبَيْه.. انظر اللسان والتاج مادة (لدد).

(٢) هذه مصطلحات منطقية: «فالكلِّي»: هو اللفظُ المفردُ الذي يَصلحُ لأن يَشتركَ في معناه أفرادٌ كثيرةٌ لوجودِ صفةٍ أو مجموعةٍ من الصفاتِ في مِثلِ هذه الأفراد، مثل «شجرة» و«كتاب» و«إنسان» وهي أسماءُ الأجناسِ والأنواعِ والمعاني الكليَّة العامَّة.

وأما «الجزئي»: فهو ما يُطلَقُ على شيءٍ واحدٍ بعينه، أو هو اللفظُ المفرَدُ الذي لا يَصلحُ معناه لأن تشتركَ فيه أفرادٌ كثيرة، مثل «زيد» و«هذه الشجرة» و«هذا الفَرَس»، فإنَّ المتصوَّر من لفظ «زيد» شخص مِعيَّن لا يشاركُه غيرُه في كونه مفهومًا من لفظ زيد. =

فإذا أتــاهُ الوحيُ لم يــأذَنْ له ... ويقومُ بين يديْ عِــداهُ مثيلاَ
ويقولُ تلكَ أدِلَّــةٌ لفظِيَّــةٌ ... معزولةٌ عن أنْ تكونَ دليــلاَ
وإذا تَمُــرُّ عليه قال لها اذهبي ... نحو المُجَسِّم أوْ خُــذِي التأويلاَ
وإذا أَبَتْ إلا النزولَ عليــه كـ ... ـان لها القِرَى التحريف والتبديلاَ
فيحل بالأعــداء ما تلقَّــاهُ من ... كيدٍ يكونُ لحقِّــها تعطيلاَ
واضرب لهم مثلاً بُعميانٍ خَلَوْا ... في ظلمة لا يهتدُونَ سبيلاَ
فتصادموا بأكُـفِّهِــم وعِصِيِّهِمْ ... ضربًا يُديرُ رَحَى القتــالِ طويلاَ
حتى إذا مَلُّوا القتــالَ رأيتَهم ... مشــجوجًا أو مفجوجًا أو مقتولاَ
وتسامَعَ العميانُ حتى أقبلوا ... للصُّلْحِ فازدادَ الصيــاحُ عويلاَ

◻ ومِن رحمةِ اللَّه تعالى أنه لم يتَركْ عبادةً للعقل فقط، «فالمعقولاتُ ليس لها ضابطٌ، ولا هي محصورةٌ في نوعٍ معيَّن، فإنه ما مِن أُمةٍ من الأمم إلاَّ ولهم عَقليَّاتٌ يختصمون إليها ويختصُّون بها، فللفُرسِ عقليَّات، وللهند عقليَّات، وللمجوس عقليَّات، وللصابئةِ عقليَّات. . وكلُّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ ليسوا مُتَّفِقِين على العقليات، بل بينهم فيها من الاختلافِ ما هو معروف عند المُعْتنينَ به، ونحن نُعفيكم من هذه المعقولات واضطرابها، ونحاكِمُكم إلى المعقولات التي في هذه الأمة، فإنه ما من مُدَّةٍ من المُدَد إلاَّ وقد ابتُدعت فيها بِدَعٌ يزعُم أربابُها أن العقلَ دَلَّ عليها»[1] .

= و«العرضي»: قسمٌ لألفاظِ الكُلِّيات الخمس.
انظر: «معيار العلم» (ص٤٤ ـ ٤٥).

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٢٠).

□ وانظر إلى المعقولاتِ عند اليابانيِّين والهنودِ وهم الذين بَرَعوا في الصناعاتِ ولم يُوجد لهم نظيرٌ يُكافِئُهم أو ينافسُهم فيها. . كيف هَدَتهم عقولُهم إلى عبادة «بوذا»!! وكيف هَدَت عقولُ الهند الهنودَ إلى عبادةِ البقرة حتى يقول غاندي: «عندما أرى البقرةَ، لا أجدُني أرى حيوانًا، لأني أعبدُ البقرة، وسأُدافعُ عن عبادتها أمامَ العالَم أجمع».

□ ومضى عابدُ البقر يقول: «إنَّ ملايين الهنود يتَّجهون للبقرة بالعبادةِ والإجلالِ، وأنا أعُدُّ نفسي واحدًا من هؤلاء الملايين»[1].

مَن أنتَ يا رِسطُو ومَن ... أفلاطُ قَبْلَكَ يا مُبَلَّدْ؟!
ومَنِ ابنُ سينا حين قَرَّر مــ ... ـا هَدَيتَ له وأرشدْ؟!
هل أنتــم إلاَّ الفــراشُ ... وقد رأى نارًا توهَّجْ؟!
فدنـــا فأحـــرقَ نفسَــه ... ولو اهتدى رشدًا لأبعَدْ
فلتخسَأِ الحكمـــاءُ عــن ... ربٍّ له الأفلاكُ تَسجُدْ

□ وانظر كيف هَدَت عقولُ الجهميَّةِ والفلاسفةِ أن يَزعموا أن نصوصَ الأنبياءِ غيرُ مطابقةٍ للحقيقة، وإنما كَذَبها الأنبياءُ على العَوَام؛ لأنَّ مِن مَصلحةِ العوامِّ أن يُخاطَبُوا بما يوافِقُ عقولَهم، وقد وَضَع الفلاسفةُ قانونَهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره ابن سينا في رسالته «الأضحوية»[2].

□ يقول ابن تيمية: «وهؤلاء يقولون: الأنبياءُ قَصَدوا بهذه الألفاظ[3]

---

(١) «نظرات في النبوة» لصلاح الدين المنجد (٤/ ٣٢) ـ مكتبة القدس ـ بغداد.

(٢) مقدمة كتاب «درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية» للأستاذ محمد رشاد سالم (ص١١) ـ دار الكنوز الأدبية.

(٣) أي الجنة والنار والملائكة واليوم الآخر.

ظواهرها، وقَصَدوا أن يَفهمَ الجمهورُ منها الظواهرَ، وإنْ كانتِ الظواهرُ في نفسِ الأمر كَذِبًا وباطِلاً محْضًا ومخالَفةً للحق، فقَصَدوا إفهامَ الجمهورِ بالكَذِبِ والباطل للمصلحة».

□ «ثم مِن هؤلاء مَن يقول: إنَّ النبيَّ كان يَعلمُ الحقَّ، ولكنه أظْهَر خلافَه للمصلحة.

ومنهم من يقول: ما كان يعلمُ الحقَّ، كما يَعلمُه نُظَّارُ الفلاسفةِ وأمثالُهم، وهؤلاء يُفَضِّلون الفيلسوفَ الكاملَ على النبيِّ، ويفضِّلون الوليَّ الكاملَ الذي له هذا المَشهدُ على النبي، كما يُفضِّلُ ابنُ عربيٍّ الطائيُّ خاتَمَ الأولياء ـ في زعمه ـ على الأنبياء.

وكما يُفضِّل الفارابيُّ ومُبشِّرُ بنُ فاتِك وغيرُهما الفيلسوفَ على النبي»[1] ﷺ.

* الإسلامُ هادٍ للعقل.. وشَرَفُ العقلِ سجودُه للوحي:

«يحلو لكثيرٍ من الناسِ أن يتحدَّث عن موقفِ القرآنِ من العقل، ويَذكُرُ في بحثِه أو محاضرته أن القرآنَ هو كتابُ العقل، وأنه بأكملِه دعوةٌ صارخةٌ لتحريرِ العقل من عِقالِه، وأنه يدعونا ـ بعباراتٍ تختلفُ في أسلوبها وتتَّحدُ في معناها ـ إلى استعمالِ العقلِ ووَزْنِ كلِّ شيءٍ بميزانه، وأنه يتركُ لنا الحريةَ في أن نعتقدَ ما يُرشِدُ إليه عقلُنا، وأن نَتَّبعَ السبيلَ الذي يُنيرُه مَنطقُنا، أو يَهدينا إليه تفكيرُنا.

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (ص٩ ـ ١٠).

ويستدلُّون بالآيات الكريمة التالية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٧١].

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩ - ٢٢].

هذه الآياتُ الكريمة - بل والقرآنُ في جُمْلته -، والأحاديثُ الشريفةُ في جُملتها، وتاريخُ الإسلام، إنَّ كلَّ ذلك يدلُّ - حسبما يَرَوْن - علىٰ أن الإسلامَ دينُ العقل.

ويَرَون بذلك أنه يُحكِّمُ العقلَ في المسائلِ والمبادئِ والقواعد.

ويَنتهي ذلك - لا مناصَ - بأن يكونَ العقلُ هو القائدَ وليس الدينَ، وذلك قلبٌ للأوضاعِ، وانحرافٌ عن الصراط المستقيم!!.

* أما الصراطُ المستقيم فيما يتعلَّقُ بصِلَة الدينِ بالعقلِ فهو:

١ - أولاً: جاء الدينُ هاديًا للعقلِ في مسائلَ مُعَيَّنة، هي:

أوَّلاً: ما وراءَ الطبيعة: أي العقائدُ الخاصَّةُ باللَّه سبحانه، وبرسوله ﷺ، وباليومِ الآخرِ، وبالغَيب الإلهيِّ - علىٰ وجه العموم -.

وثانيًا: في مسائلِ الأخلاق: أي الخيرِ والفضيلة، وما ينبغي أن يكونَ عليه السلوكُ الإنسانيُّ ليكونَ الشخصُ صالحًا.

وثالثًا: في مسائلِ التشريعِ الذي يَنتظمُ به المجتمعُ، وتَسعَدُ به الإنسانيةُ.

وجاء الدينُ هاديًا للعقلِ في هذه المسائل بالذات؛ لأن العقلَ إذا بَحث فيها مستقلاً بنفسه، فإنه لا يَصِلُ فيها إلىٰ نتيجةٍ يتّفقُ عليها الجميع.

ومعنىٰ ذلك: أنه لو تُرك الناسُ وعقولَهم في هذه المسائل، فإنهم يختلفون ويتفرَّقون فِرَقًا عديدة، ويتنازعون، ولا ينتهي الأمرُ بهم إلىٰ الوِحدةِ والانسجام، ولا إلىٰ الهدوءِ والطمأنينة.

٢ ـ وجاء القرآنُ: يَفهمُه العقلُ في المُحكَمِ فيه، ولا يُناقِضُ العقلَ في المتشابه منه، ذلك أن القرآن: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

* وقد أراد الإسلامُ مِن المسلمِ أن يستمسكَ بالمُحكماتِ استمساكًا تامًّا، وأن يعتصمَ بها اعتصامًا كاملاً: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وأن يُسلِّمَ الأمرَ للّه في المتشابه، اللّهم إلاَّ إذا فَتح اللّهُ عليه بوساطةِ الإلهامِ الإلهيِّ عن شيءٍ من أسرارِ هذا المتشابِهِ الذي لا يُناقِضُ العقلَ، ولا يتعارضُ مع مبادئه.

٣ ـ وجاء القرآن حاسمًا لا يتردَّدُ ولا يُقِرُّ الترددَ، ولا يَتشكَّكُ ولا يُقِرُّ التشككَ، وكان الأمرُ كذلك لأنه جاء بالحق، الحقِّ الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلفِه، الحقِّ المعصوم، لقد جاء بالحقِّ العاقلِ المعقول، الحقِّ المُتَّزِنِ الموزون، لقد جاء بالحقِّ الذي كلُّ ما عداه باطلٌ، ولقد تَركَّز الحقُّ في

مسائلِ الدين بين دَفَّتَيْ هذا الكتابِ المُوحَىٰ، وفيما أخبر به الرسولُ صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه، شرحًا له وتفسيرًا وإبانةً، وعلىٰ مَن أسلم أن يَتَّبِعَ هذه المبادئَ أو هذا الحقَّ اتباعًا لا تردُّدَ فيه ولا انحرافَ عنه.

٤ ـ وجاء القرآنُ لا يَستشيرُ الإنسانَ في شيءٍ، وتعالىٰ اللَّه عن أن يستشيرَ المخلوقَ، وتعالىٰ الربُّ عن أن يستشيرَ المربوب، وتعالىٰ العليمُ الحكيمُ عن أن يحتكمَ إلىٰ البشر أو يُحكِّمهم فيما أنزله إليهم هدايةً وتربيةً.

◻ هذا هو موقفُ الدينِ من العقل، وهو موقفٌ يُقِرُّنا عليه كلُّ مَن له شعورٌ دينيٌّ سليم، وهو موقفٌ تُرشدُنا إليه الآياتُ السابقةُ نفسها، ونأخذُ منها ـ كمِثالٍ عام ـ قوله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

في هذه الآيةِ الكريمة: يأمرُ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ رسولَه ﷺ أن يُخبِرَ بأنَّ ما أتىٰ به إنما هو الحقُّ، وإذا كان هو الحقَّ، فإنَّ كلَّ ما عداه باطل، وما مِن رَيبٍ في أنَّ كلَّ شخصٍ يُعمِلُ فِكرَه، ويُجيلُ نَظَرَه ويتأمَّلُ في هذا الحق: فإنه لا مَحالةَ ـ إذا أخلَصَ ـ سينتهي بالاعترافِ والإقرارِ والإيمان.

أمَّا مَن أضربَ عن ذلك صَفْحًا، واتَّبع الآباءَ والأسلافَ ـ لمجردِ أنهم آباءٌ وأسلافٌ ـ، فإنَّ مَثَلَه كمَثَلِ البهيمة التي تَسيرُ وراءَ أصحابِها لمجردِ أنهم يقودونها، وتَتبعُهم لأنهم يَسيرون أمامها!.

ومَن شاء مِن الناس أن يؤمنَ بهذا الحقِّ الذي ليس بعدَه إلاَّ الباطل،

فلْيؤمنْ به ولْيَتْبَعِ الهُدىٰ الهادي، ومَن شاء أن يكفرَ بالحقِّ ويَتَّبعَ الباطلَ مُعرِضًا عن الحق، فله ذلك، ولكنْ لِيعلمْ أن اللَّهَ سبحانه أعدَّ لمن لم يَتَّبعِ الإيمانَ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

◘ والقرآنُ دينُ العقلِ بهذه المعاني فهو: هادٍ للعقل، ومرشدٌ له، وقائدٌ.

وهو مبادئُ يفهمُها العقلُ في سُهولةٍ ويُسْرٍ.

وهو لا يُناقضُ العقلَ.

وعلىٰ العقلِ أن يَلجأَ إليه في كلِّ ما أتىٰ به.

٥ ـ على أن القرآنَ في حقيقة الأمر نَزَل لِيقودَ الإنسانيةَ نحوَ الكمالِ الرُّوحيِّ، والإنسانُ إنسانٌ بالجانبِ الروحيِّ منه، وكلما سَما الإنسانُ روحيًّا، كان أعلىٰ في معنىٰ الإنسانية.

والمعنىٰ الروحي، ووسيلةُ المعنىٰ الروحي: لا سبيلَ إلىٰ تحديدِهما من الإنسانِ نفسه، وإنما تحديدُهما موكولٌ إلىٰ اللَّه سبحانه، ذلك أن السُّمُوَّ الروحيَّ قُربٌ من اللَّه تعالىٰ ـ وإذا لم يكن قُربًا من اللَّه فليس بسُموٍّ رُوحيٍّ ـ، والقُربُ من اللَّه ـ أو بتعبيرٍ أدقَّ: تقريبُ اللَّهِ للإنسان ـ إنما مرجعُه ـ هدفًا ووسيلةً ـ هو اللَّهُ نفسه.

وكلُّ مَن حاول أن يتَّخذَ طريقًا آخر، فإنما يَجري وراءَ سراب.

والغايةُ والوسـيلة: حَدَّدَهما اللَّهُ في كتابه الكريم، إنه حدَّدهما بالأسلوبِ الإلهيِّ نفسه، أي أن التعبيرَ عنهما ـ التعبيرَ نفسَه ـ إنما كان من اللَّه

سبحانه، ومِن فضلِ اللّهِ علىٰ المسلمين - وعلىٰ اللغةِ العربيةِ - أنْ كانت وسيلةُ فَهمِ الإسلام هي التعبيرُ الإلهي - بما فيه من دِقَّةٍ كاملة، وجَمالٍ مُعجزٍ، وكمالٍ غيرِ منقوص..

وما دام الأمرُ كذلك، فليس للعقلِ إلاَّ التسليمُ والخشوعُ والخضوعُ، أو بتعبيرٍ أدقَّ: السجود.

وهو ليس سُجودًا تعسُّفيًّا أو تحكُّميًّا، وإنما هو سجودٌ مصدرُه الإيمانُ اليقينيُّ بأن هذا من عندِ اللّه، وما دام من عندِ اللّه، فإنه لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلفِه؛ لأنَّه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، ولأنَّه أُحكمت آياته، ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُنْ حكيمٍ خبير.

من ذلك نتبيَّنُ أن الدينَ هادٍ للعقل، وأن العقلَ يجبُ أن يَخضعَ ويَسجُدَ للوحي الإلهيِّ.

* ونعودُ من جديدٍ إلىٰ المسألة التي بدأنا بها الحديث، نعودُ من جديدٍ إلىٰ مسألةِ «القرآن والعقل»، سيقولون: ولكنَّ القرآنَ يُطالِبُ دائمًا بالتفكُّرِ والتدبر:

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وينعي علىٰ المشركين التقليدَ، ويتهكَّمُ بهم في اتباعهم آباءَهم، فيتساءل:

﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟!.

وكثيراً ما نجدُ الآيات تُختم بـ ﴿أَفَلاَ تَعقِلُون﴾، ﴿أَفَلاَ تَتفكَّرُون﴾، ﴿أَفَلاَ تُبصِرُون﴾.

وكلُّ ذلك يدلُّ على أن القرآنَ يَدفعُ الناسَ إلى استعمالِ العقل.

والواقعُ أن القرآنَ لا يَستشيرُ الإنسانَ في أيَّةِ قضيةٍ من القضايا التي جاء بها الوحيُ، ولا يَحتكمُ الوحيُ إلى الإنسانِ - باعتبارِه حَكَمًا - في أيِّ مبدإٍ من مبادئه، ولا يَطلبُ منه مشورةً في أيَّةِ قاعدةٍ من القواعدِ التي شَرَعها، بل هذه الأوهامُ لا تدورُ بخَلَدِ المتديِّن قطُّ.

ذلك أن الوحيَ نَزَل على أنه رسالةُ السماءِ النهائيةُ إلى العالم، ونَزَل يُبلِّغُ أن هذه الرسالةَ صِدقٌ كلُّها، حقٌّ جميعُها، وليس فيها مبدأٌ مشكوكٌ فيه، ولا قضيةَ تحتملُ الصدقَ والكذب، وليس فيها جملةٌ زائدة، ولا كلمةٌ ليست في موضعها، ولا حرفٌ كان يَحسُنُ ألاَّ يوجد.. كلاَّ، إنها الحقُّ الخالص، مَن اتبعها فقد اهتَدىٰ، ومَن حادَ عنها فقد انحرف، ومَن ابتغىٰ الهُدىٰ في غيرها أضلَّه اللَّه، ومَن تركها مِن جبَّارٍ قَصَمه اللَّه؛ لأنَّها صراطُ اللَّهِ المستقيمُ، ونورُه اللألاَءُ.

وكلُّ ما ذَكره من التفكيرِ والنظرِ والتدبرِ، إنما أراد به «الاعتبار»، وأراد أن يقول: تفكَّروا لِترَوا أن ذلك هو الحقُّ، انظُروا لِتعلموا أن ذلك هو الخيرُ، أمَّا إذا رأيتم غيرَ ذلك، فإنما العَيبُ في بَصركم، أو في بَصيرتكم.. إذا رأيتم غيرَ ذلك، فإن الفسادَ في عقولِكم وفي تفكيرِكم، وإذا رأيتم غيرَ ذلك، فاعلَموا أن فِطرتَكم فَسَدت لانحرافِكم، وأن قلوبَكم رانَ عليها الإثمُ فضلَّت، وأن عقولَكم قد صَدِئت، فأصبحت لا تَرىٰ الحقَّ حقًّا ولا

الخيرَ خيراً، وأصبحت مِن الضلال بحيث ترىٰ الخيرَ شرًّا والشرَّ خيراً، وأصبح أصحابُها كالأنعامِ ـ بل هم أضلُّ سبيلاً ـ، كلُّ ذلك لانحرافِكم عن الصراطِ المستقيم.

إنَّ اللَّهَ ـ في عظمتِه وجلالِه سبحانه ـ لا يُلقي برسالتِه ليبحثَها الإنسانُ ويُبديَ فيها رأيَه نفيًا أو إثباتًا، سَلْبًا أو إيجابًا. . كلاَّ، بل كلُّ من توهَّم ذلك فإنه لا يَقْدِرُ اللَّهَ حقَّ قَدْرِه، وتعالىٰ اللَّهُ عن ذلك علوًّا كبيراً، وإنما ألقاها سبحانه لِتُتَّبع، ولِتُتَّبَعَ في خضوعٍ وسجود، ولِتُتَّبَعَ دونَ حَرَجٍ يَحيكُ في الصدر، أو شَكٍّ يجولُ في النفس: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وكلُّ مَن وَجَد في نفسه حَرَجًا من قضايا الدين، وكلُّ مَن لم يُسلِّمْ تسليمًا كاملاً مطلقًا تامًّا، كلُّ مَن كان كذلك، فإنه يَحسُنُ به أن يرجعَ إلىٰ إيمانِه لِيُصحِّحَه، ولْيَتُبْ إلىٰ اللَّه توبةً نصوحًا، وبابُ اللَّه مفتوحٌ للتائبين آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ـ وفي كلِّ لحظة ـ.

كان سَلَفُنا الصالحُ يَنزِعون هذه النَّزعة ـ نزعةَ الخضوعِ المُطلَقِ لِمَا جاء به الرسولُ ﷺ ـ، لقد كانوا يَسجُدون للنص، يَسجدون له بجوارحِهم وقلوبِهم، وأرواحِهم وعقولِهم، لقد كانوا يُخضِعون عقولَهم للنص، ويَجعلونه القائدَ الحكَمَ المُهيمنَ. . وكانوا يَعرفون أن إدخالَ شخصيتِهم في النصِّ إنما هو انحرافٌ يَعظُمُ أو يَقِلُّ بحسب مَدىٰ التدخُّلِ البشريِّ في النص، وكانوا يَعرفون أن الوحيَ إنما جاء هاديًا للعقل وقائدًا له في الأمور

التي لا يتأتَّىٰ للعقلِ أن يَلِجَ ميادينَها، أو يقتحمَ حِماها، أو يُدلِيَ فيها برأيٍ يتَّفقُ عليه الناس، وهذه الميادينُ هي الدين، والدينُ ليس رأيًا بشريًّا، إنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وكلُّ موقفٍ من الشخصيةِ البشريةِ تُجاهَ النصِّ سوىٰ موقفِ السجودِ له: إنما هو موقفٌ لتبديلِ الدينِ مِن أن يكون إلهيًا إلىٰ أن يكونَ بشريًّا، ولو كان يستقيمُ الأمرُ علىٰ ذلك، لَمَا كان هناك مِن حاجةٍ إلىٰ الدين.

◘ يَروي أبو داود والدَّارَقُطْنِيُّ عن سيِّدنا عليٍّ ﷺ قال: «لو كان الدينُ بالرأيِ، لكان أسفَلُ الخُفِّ أولىٰ بالمسحِ من أعـلاه، لقـد رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَمسحُ علىٰ ظاهِرِ خُفَّيهِ». . «أثرٌ صحيح».

إن الدينَ ليس رأيًا، وليس بالرأي، وانظر إلىٰ الحديث التالي، إنه مُعبِّرٌ أقوىٰ ما يكونُ التعبير، دقيقٌ في مغزاه دِقةً بالغةً:

● **عن البَرَاءِ بن عازب ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «إذا أتيتَ مَضْجَعَك، فتوضَّأْ وُضوءَكَ للصلاة، ثم اضطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمن، ثم قُلْ: «اللَّهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلجأَ ولا مَنْجَا منك إلاَّ إليك، آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ»، فإن مِتَّ في ليلتِك، فأنت على الفِطرة، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تتكلَّمُ به».**

◘ البراء ﷺ: «فرَدَدْتُها علىٰ النبيِّ ﷺ، فلمَّا بلغتُ: **«آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ»**، قلت: «ورسولك»، قال: **«لا.. ونبيِّك الذي أرسلتَ»**[1].

---

(١) رواه الستة.

زاد البخاري والترمذي: «فإن مِتَّ في ليلتكَ، مِتَّ على الفِطرة، وإنْ أصبحتَ أصبتَ خيرًا».

إن الصحابيَّ الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رسولك» بدلَ أن يقول: «نبيك»، وكلمةُ «رسول» تتضمَّنُ معنى النبوة، فهي إذن فيها المعنى وزيادة، ويحسب منطقِنا، وبحسب عَقلِنا تكونُ صالحةً.. ولكننا لا نَرىٰ بعقلِنا ومنطقنا إلاَّ الشكلَ والظاهرَ.. أمَّا بواطنُ الأمور، أمَّا أسرارُ الكلمات، أمَّا حِكمةُ الأوضاع المحدَّدة، أمَّا اكتِناهُ خفايا التقديراتِ الإلهية، إنَّ كلَّ ذلك - إذا لَم يَكشِفِ اللَّهُ عنه، أو عن بعضِه -، فإننا لا نَصِلُ إليه بمنطقِ البشر، ولقد أخطأ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه في استبدالِ كلمةِ «رسول» بكلمةِ «نبي»، وأخطأنا معه حينما قَدَّرنا بعقولنا أن هذا البَدَلَ يصحُّ.

* ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

* واكتِناهُ سرِّ هذا القَدَرِ اكتناهًا تامًّا لا يَصِلُ إليه الإنسانُ، بل لا تَصِلُ إليه الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

إنَّ العلمَ الصحيحَ الصادقَ في عالَمِ الهداية الإلهيةِ والتربيةِ الربانية، إنما هو مِن اللَّه سبحانه، وكلُّ ابتعادٍ عنه أو خروجٍ عليه أو تغييرٍ فيه، إنما هو ضلال.

وما من شكٍّ في أن الإنسانَ منذ أن وُجد على ظَهرِ الأرض: يُحاولُ أن يَنزِعَ نزعةً بشريةً بَحتةً، ويتصرَّفُ في الوحيِ الإلهيِّ نقصًا وزيادةً، وبَترًا

وإضافةً، وتغييراً وتبديلاً، ويُحاولُ أن يُقيمَ كلَّ ذلك على قواعدَ يزعمُها صحيحةً، فيقول مثلاً:

ـ إنَّ الحكمةَ في تحريمِ شُربِ الخمر، إنما هي المفاسدُ التي تنشأُ من الشخصِ الشارب، فإذا ما انتَفَتْ تلك المفاسدُ، فلا مانعَ من شُربِ الخمر.

ـ والتكاليفُ الدينية: إنما جاءت لإصلاحِ الضمير، فإذا كان الضميرُ صالحًا فلا لزومَ للتكاليف الدينية.

ـ وأعمالُ العبادةِ إنما هدفُها القُربُ من اللَّه، فإذا حَصَلَ القربُ، فلا حاجةَ إليها.. إلخ.

وهكذا يخرجُ الإنسانُ بأهوائه، ولا نقولُ: بعقله ـ لأنَّ كلَّ ذلك أهواءٌ يُصوِّرُها الشيطانُ مَنطقًا معقولاً ـ عن الدين، كما خرج إبليسُ قديمًا ـ بأهوائه التي تمثَّلت لذهنه منطقًا ـ عن الدين.

والإمامُ الغزَّاليُّ ﷺ يُمثِّلُ لذلك بمثالٍ مُعبِّرٍ، فيَذكرُ قصةَ رجلٍ بَنىٰ له أبوه قصراً علىٰ رأسِ جبلٍ، ووَضَع فيه شجرةً من حشيشٍ طيِّبِ الرائحة، وأكَّد الوصيةَ علىٰ ولدِه مرةً بعد أخرىٰ، ألاَّ يُخلِيَ هذا القصرَ عن هذا الحشيشِ طوالَ عمره، وقال: «إياكَ أن تسكنَ هذا القصرَ ساعةً من ليلٍ أو نهار إلاَّ وهذا الحشيشُ فيه»، فزَرع الولدُ حولَ القصرِ أنواعًا من الرياحين؛ وطَلَب من البَرِّ والبحرِ أوتادًا من العُودِ والعنبر والمِسك، وجَمَع في قَصرِه جميعَ ذلك من شجراتٍ كثيرةٍ من الرياحين الطيبةِ الرائحة، فانغمرت رائحةُ الحشيش لَمَّا فاحت هذه الروائح، فقال: «لا شكَّ أن والدي ما أوصاني بحفظِ هذا الحشيشِ إلاَّ لطِيبِ رائحتِه، والآن قد استغنينا بهذه الرياحينِ عن رائحته، فلا فائدةَ فيه الآن، إلاَّ أن يُضيِّقَ علىٰ المكان».. فرماه من القصر.

فلمَّا خلا القصرُ من الحشيش، ظَهر من بعضِ ثقوبِ القَصر حيَّةٌ هائلةٌ، وضربته ضربةً أشرف بها على الهلاك، فتَنبَّه ـ حيثُ لَم ينفعْه التنبُّهُ ـ أن الحشيشَ كان من خاصيته دَفعُ هذه الحيةِ المُهلكة، وكان لأبيه بالوصيةِ بالحشيش غرضان:

أحدهما: انتفاعُ الولدِ برائحته، وذلك قد أدركه الولدُ بعقله.

والثاني: اندفاعُ الحيَّاتِ المُهلكاتِ برائحته، وذلك مما قَصُرَتْ عن دَرَكِه بصيرةُ الولد، فاغتَرَّ الولدُ بما عنده من العلم، وظنَّ أنه لا سِرَّ وراءَ معلومِه ومعقولِه كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠].

* وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

والمغرورُ من اغتَرَّ بعقله، فظنَّ أن ما هو مُنتَفٍ عن علمِه فهو مُنتَفٍ في نفسِه.. اهـ.

وما من شكٍّ في أن آراءَ المِلَلِ وكلَّ ما فيها من الأوضاعِ ليس سبيلُها أن يُمتحَنَ بالآراءِ والرويَّةِ والعقولِ الإنسية؛ لأنَّها أرفعُ رُتبةً منها، إذ كانت مأخوذةً من وحيٍ إلهي؛ لأنَّ فيها أسرارًا إلهيةً تَضعُفُ عن إدراكِها العقولُ الإنسيةُ ولا تبلغُها.

وأيضًا: فإن الإنسانَ إنما سبيلُه أن تُفيدَه المِللُ بالوحي ما شأنُه ألاَّ يُدرِكَه بعقلِه وما يَخورُ عقلُه عنه، وإلاَّ فلا معنى للوحي، ولا فائدةَ إذا كان إنما يفيدُ الإنسانَ ما كان يعلمُه، وما يمكنُ إذا تأمَّله أن يُدركَه بعقله، ولو كان كذلك لَوُكِلَ الناسُ إلى عقولهم، ولَمَا كانت بهم حاجةٌ إلى نبوَّةٍ ولا إلى

وحيٍ، لكنْ لم يَفعل بهم ذلك، فلذلك يَنبغي أن يكونَ ما تُفيده المِللُ من العلوم: ما ليس في طاقةِ عقولِنا إدراكُه، ثم ليس هذا فقط، بل ما تَستنكرُه عقولُ بعضٍ منَّا، فإن ما تستنكرُه بعضُ العقولِ وتَستبشعُه بعضُ الأوهامِ قد لا يكونُ في واقعِ الأمرِ منكرًا ولا بشعًا.

فإن الإنسانَ ـ وإن بَلَغ نهايةَ الكمالِ في الإنسانية ـ، فإنَّ منزلتَه عند ذوي العقولِ الإلهية ـ العقولِ التي استنارت بالوحي وسَمَتْ بالمبادئِ الإلهية ـ منزلةُ الصبيِّ والحَدَثِ والغَمْرِ[1] عند الإنسانِ الكامل.

وكما أن كثيرًا من الصِّبيان والأغمار يستنكرون بعقولهم أشياءَ كثيرةً مما ليست في الحقيقةِ مُنكرةً ولا غيرَ ممكنة، ويقعُ لهؤلاء أنها غيرُ ممكنة؛ فكذلك مَنزلةُ مَن هو في نهايةِ كمالِ العقلِ الإنسيِّ عند العقولِ الإلهيةِ التي أفاض اللَّهُ عليها من نورِه وغَمَرها بإلهاماته، وكما أن الإنسانَ ـ مِن قَبلِ أن يتأدَّبِ ويَتحنَّكَ ـ يستنكرُ أشياءَ كثيرةً ويستبشعُها، ويُخيَّلُ إليه فيها أنها مُحالةٌ، فإذا تأدَّب بالعلوم واحتَنَك بالتجارِب زالت عنه تلك الظنونُ فيها، وانقَلَبت الأشياءُ التي كانت عنده مُحالةً، فصارت هي الواجبةَ، وصار عنده ما كان يتعجَّبُ منه قديمًا في حدِّ ما يتعجَّبُ من ضدِّه.

كذلك الإنسانُ الكاملُ الإنسانية، لا يُمتنع من أن يكونَ يَستنكرُ أشياءَ ويُخيَّلُ إليه أنها غيرُ ممكنة، مِن غيرِ أن تكونَ في الحقيقةِ كذلك.

◻ ويَشرحُ الشيخُ الجليل أبو سليمان المنطقي كلَّ ذلك، في دقةٍ دقيقة، وفي أسلوبٍ جميل فيقول: «إن الشريعةَ مأخوذةٌ عن اللَّه عز وجل بوَساطةِ

(١) الغَمْر: الجاهل.

السفيرِ بينه وبين الخَلقِ من طريقِ الوحي، وبابِ المناجاة، وشهادةِ الآيات، وظهورِ المعجزات، وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلىٰ البحثِ عنه والغَوصِ فيه، ولا بدَّ من التسليم المدعوِّ إليه والمُنَبَّهِ عليه، وهناك يَسقُط «لِمَ؟» ويَبطُلُ: «كيف؟» ويزول: «هلاَّ؟» وتذهبُ: «لو» و«لَيت» في الريح!.

ولو كان العقلُ يُكتفىٰ به، لم يكن للوحيِ فائدةٌ ولا غَناء.

علىٰ أن مَنازلَ الناسِ متفاوتةٌ في العقل، وأنصباءَهم مختلفةٌ فيه، فلو كنا نستغني عن الوحي بالعقل، كيف كنَّا نصنعُ؟ وليس العقلُ بأَسره لواحدٍ منا، فإنَّما هو لجميعِ الناس.. ولو استقلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقلِه في جميعِ حالاته، في دينِه ودنياه، لاستقلَّ أيضًا بقُوَّته في جميعِ حاجاته، في دينِه ودنياه، ولكان وحدَه يَفِي بجميعِ الصناعاتِ والمعارفِ، وكان لا يَحتاجُ إلىٰ أحدٍ من نوعِه وجِنسه، وهذا قولٌ مردود، ورأيٌ مخذول»[1].

☐ يقول الشيخ الجليل أبو سليمان المنطقي: «إن منازلَ الناس متفاوتةٌ في العقل، وأنصباءَهم مختلفةٌ فيه»، معنىٰ ذلك أن هذا الذي يَروقُ لشخصٍ عقليًّا، ربما لا يَروقُ لغيره عقليًّا، ويَجبُ من أجل ذلك ألاَّ يتدخَّلَ العقلُ في الدين، وإلاَّ لاختلف الناسُ باختلافِ عقولهم، وادَّعىٰ كلٌّ أنَّ ما هو عليه إنما هو الحقُّ، وما عليه غيرهُ هو الباطل، ونَتَج عن ذلك اتِّباعُ كلٍّ أهواءه.

* ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فتتفرَّقُ الأمة، وتخرجُ عن ما أحبَّه اللَّه وأمر به.

* ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) انظر كتاب «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقِفْطي.

وإذا تساءلت الآن: ما هو إذن موقفُ العقلِ من الدين، وموقفُ الدينِ من العقل؟.

فإننا نُجمِلُ الموضوعَ في النقاط الآتية:

نَزل الدينُ هاديًا للعقل في جميعِ الأمور التي لو تُرك العقلُ وشأنَه فيها ضَلَّ السبيل، وعَجَزَ عن الوصولِ إلىٰ الحقيقة.. وهذه الأمور هي:

(أ) العقائد.

(ب) المبادئ الأخلاقيةُ إجمالاً وتفصيلاً.

(ج) التشريعُ في قواعِدِه العامة، وفي بعضِ تفصيلاته، وقواعِده العامة التي تتضمنُ الجزئياتِ علىٰ مرِّ الزمن، وعلىٰ اختلافِ البيئات.

أما الطبيعةُ والكون ـ من سمائه وأرضه، ومن جِبالِه وبحاره، ومن كواكبه وأقمارِه وشموسه ـ، أما المادة والطاقة، أما أعماقُ البحار وآفاق السماء.. إنَّ كلَّ ذلك قد تركه الله سبحانه للإنسانِ يدرسُه في مَصنعِه ومَعمَلِه بآلاته وأدواته، وحَثَّه علىٰ أن يُجوِّلَ في ذلك ما استطاع إليه سبيلاً، حتىٰ يكتشفَ سُنَنَ اللّهِ الكونية، ونواميسَه الطبيعية، ويرىٰ صُنعَ اللّه الذي أتقَنَ كلَّ شيءٍ.

ولَم يَحجُرِ الدينُ علىٰ الإنسانِ في هذا المجال، اللَّهم إلا الواجبَ الذي ينبغي أن يكونَ شعارُه دائمًا، وهو أن يكون هدفُه من كلِّ ذلك الخير.

والإسلام دينُ العقل بكلِّ هذه المعاني التي ذكرناها»[1].

---

(١) انظر «الإسلام والعقل» للدكتور عبدالحليم محمود (ص١٥ ـ ٣٠) ـ دار المعارف.

* **السَّمْعُ الصحيح لا يَنفكُّ عن العقلِ الصريح.. والوحيُ هو الحُجَّةُ العُظمى:**

◻ قال الإمام ابن قيم الجوزية في «مختصر الصواعق المرسلة»: «إن الحُجَجَ السَّمْعيَّةَ مطابِقةٌ للمعقول، والسمعَ الصحيحَ لا ينفكُّ عن العقلِ الصريح، بل هما أَخَوانِ وَصَل اللَّه تعالىٰ بينهما، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

فذَكَر ما يُنال به العلوم، وهي السمعُ والبصرُ والفؤادُ الذي هو مَحِلُّ العقل.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

فأَخبروا أنهم خَرجوا عن مُوجِبِ السمع والعقل.

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فدعاهم إلىٰ استماعه بأسماعِهم وتدبُّرِه بعقولهم.

* ومثلُه قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فجَمَع سبحانه بينَ السمعِ والعقلِ، وأقام بهما حُجَّته علىٰ عبادِه، فلا

ينفكُّ أحدُهما عن صاحبِه أصلاً، فالكتابُ المُنزَّلُ والعقلُ المُدرِكُ حُجَّةُ اللَّهِ علىٰ خَلقِه، وكتابُه هو الحُجَّةُ العُظمىٰ، فهو الذي عَرَّفنَا ما لم يكن لعقولِنا سبيلٌ إلىٰ استقلالِها بإدراكِه أبدًا.

فليس لأحدٍ عنه مذهبٌ، ولا إلىٰ غَيره مَفزَعٌ في مجهولٍ يَعلمُه ومُشكِلٍ يَستبينُه، فمَن ذهب عنه فإليه يَرجع، ومَن دَفَع حُكمَه فبه يُحاجُّ خَصمَه، إذ كان بالحقيقةِ هو المرشِدُ إلىٰ الطرقِ العقليةِ والمعارفِ اليقنية، فمَن رَدَّ من مُدَّعي البحثِ والنظرِ حكومتَه، ودَفَع قضيتَه، فقد كابَرَ وعانَدَ، ولم يكن لأحدٍ سبيل إلىٰ إفهامِه.

وليس لأحدٍ أن يقول: إني غيرُ راضٍ بحُكمِه، بل بحُكمِ العقل، فإنه متىٰ رَدَّ حُكمَه، فقد رَدَّ حُكمَ العقلِ الصريحِ، وعاند الكتابَ والعقلَ.

والذين زعموا - مِن قاصِرِي العقلِ والسمعِ - أن العقلَ يجبُ تقديمُه علىٰ السمع عند معارضتِهما، إنما أُتُوا من جهلِهم بحُكمِ العقل ومقتضىٰ السمع، فظنوا ما ليس بمعقولٍ معقولاً، وهو في الحقيقةِ شبهاتٌ تُوهِمُ أنه عقلٌ صريح - وليست كذلك -، أو مِن جَهلِهم بالسمع:

إمَّا نسبتُهم إلىٰ الرسولِ ما لم يَقُلْه.

أو نِسبتُهم إليه ما لم يُرِدْه بقوله.

وإمَّا لعدمِ تفريقِهم بينَ ما لا يُدرَكُ بالعقول وبين ما تُدرَكُ استحالتُه بالعقول.

فهذه أربعةُ أمورٍ أَوجبت لهم ظنَّ التعارضِ بين السمعِ والعقل، واللَّهُ سبحانه حاجَّ عبادَه علىٰ ألسُنِ رُسُلِه فيما أراد تقريرَهم به وإلزامَهم إياه

بأقرب الطُّرقِ إلى العقلِ وأسهلِها تناولاً وأقلِّها تكلفًا وأعظمِها غناءً ونفعًا، فحُججُه سبحانه العقليةُ التي في كتابه جَمعت بين كونِها عقليةً سمعيةً ظاهرةً واضحةً قليلةَ المقدِّمات»(١) .

* ذِكرُ الحُجَجِ العقليَّةِ التي تضمَّنها القرآنُ الكريم والأمثلة عليها :

* المثال الأول : مِثلُ قوله تعالى فيما حاجَّ به عبادَه من إقامةِ التوحيد وبطلانِ الشِّركِ وقَطْعِ أسبابِه وحَسْمِ موادِّه كلِّها : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣] .

* المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٤٢] .

* المثال الثالث : قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

* المثال الرابع : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١] .

* المثال الخامس : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ

(١) «مختصر الصواعق» (١/ ١٧٦-١٧٩) .

عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، فطالَبَهم بالدليل العقلي والسمعي.

* المثال السادس: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

فاحتَجَّ علىٰ تفرُّدِهِ بالإلهية بتفرُّده بالخلق، وعلىٰ بطلانِ إلهيَّة ما سواه بعَجزِهم عن الخلق، وعلىٰ أنه واحدٌ بأنه قهَّار، والقهرُ التامُّ يستلزمُ الوِحدةَ، فإن الشَّرِكةَ تُنافي تمامَ القَهْرِ.

* المثال السابع: وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

* المثال الثامن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

* المثال التاسع: قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾

[الطور: ٣٣ - ٣٤]. ثم أسجَلَ عليهم إسجالاً عامًّا في كل زمانٍ ومكانٍ بعجزهم عن ذلك ولو تظاهرَ عليه الثَّقلانِ، فقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

* المثال العاشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ - ٧٠].

* المثال الحادي عشر: قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

* المثال الثاني عشر: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

* المثال الثالث عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩].

* المثال الرابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

* المثال الخامس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

* المثال السادس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

* المثال السابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٧ - ١٨].

* المثال الثامن عشر: قوله تعالىٰ عن خليله إبراهيم: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

* المثال التاسع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* المثال العشرون: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

[الملك: ١٣-١٤].

* المثال الحادي والعشرون: قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾

[الطور: ٣٥-٣٦].

* المثال الثاني والعشرون: قوله تعالىٰ: ﴿..قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١].

* وبعدُ: يا حَبْرَ النصارى وبابا الفاتيكان:

ما تقولُ في هذه الأمثلة.. أما زالتَ مصرًّا علىٰ قولك في أن الإسلام يُنافي العقلَ؟! أم أن هذه الأمثلةَ والحُججَ العقليةَ الناصعةَ تحتاجُ إلىٰ مجلَّداتٍ لشرحها وبيانِ عِظَمِ وجَمالِ ما فيها؟!.

* هل يصحُّ لذِي عقلٍ نسبتُكم القبائحَ إلى الأنبياءِ والمرسلين:

ووقفةٌ أخرىٰ ـ أيها القِزمُ الذميم ـ، هل يَصِحُّ في العقول ـ إن كانت لكم عقول ـ نسبتُكم القبائحَ إلىٰ الأنبياء والمرسلين وإيمانُكم بما في العهدِ الجديد والقديم من هذه الرذائلِ والقبائحِ التي تَشين؟! وأنتم تُصدِّقون التوراةَ المُغَيَّرةَ المحرَّفةَ الموجودةَ اليوم، بالإضافةِ إلىٰ ما في الإنجيل المُحرَّف.

□ فأنتم تؤمنون بهذه القبائحِ الموجودةِ في العهد القديم «التوراة»، ومنها:

- أن نبيَّ اللَّه «هارون» صَنَع عِجْلاً، وعَبَده مع بني إسرائيل.. [إصحاح (٣٢) عدد (١) من سفر الخروج].

- أن «إبراهيم» خليلَ الرحمن ﷺ قدَّم امرأتَه سارةَ إلىٰ فرعون حتىٰ ينالَ الخيرَ بسببها.. [إصحاح (١٢) عدد (١٤) من سفر التكوين].

- ومِن ذلك أنَّ «لوطا» عليه السلام شَرِبَ خمرًا حتىٰ سكِر، ثم قام علىٰ ابنتَيه فزنَىٰ بهما الواحدةِ بعدَ الأخرىٰ.. [سفر التكوين، إصحاح (١٩) عدد (٣٠)].

✍ ومعاذَ اللَّهِ أن يفعلَ نبيُّ اللَّه لوطٌ ﷺ ذلك.

- وأن «يعقوب» عليه الصلاة والسلام سَرَق مواشيَ من حميِّه، وخَرَج بأهله خِلْسةً دونَ أن يُعْلِمَه.. [سفر التكوين، إصحاح (٣١) عدد (١٧)].

- وأن «راوبين» زنىٰ بزوجةِ أبيه يعقوب، وأن يعقوبَ عليه السلام، عَلِم بهذا الفعلِ القبيحِ وسكَت.. [سفر التكوين، إصحاح (٣٥) عدد (٣٢)].

- وأن «داود» عليه السلام زنىٰ بزوجةِ رجلٍ من قُوَّادِ جيشه، ثم دَبَّر حيلةً لقتلِ الرجل، فقُتِل، وبعدئذٍ أَخذ داودُ الزوجة، وضَمَّها إلىٰ نسائه، فولدَت له سليمان.. [سفر صموئيل الثاني - إصحاح (١١) عدد (١)].

- وأن «سليمان» ارتدَّ في آخرِ عُمره، وعَبَد الأصنام، وبَنىٰ لها المعابدَ.. [سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) عدد (٥)][1].

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر سليمان الأشقر (ص١٠٥، ١٠٦، ١٠٧) - دار النفائس.

* وهذي مخازيكم في إنجيلكم المحرَّفِ التي لا يُقِرُّ بها من له أدنى مُسْكةٍ من عقل:

◘ وَرَد في إنجيل «متى» أن عيسى من نَسلِ سليمانَ بنِ داود، وأنَّ جَدَّهم «فارض» الذي هو من نَسلِ الزنى مِن يهوذا بن يعقوب.. [إصحاح متى الأول، عدد (١٠)].

◘ وفي إنجيل [يوحنا] إصحاح (٢) عدد (٤) أن يسوع أهان أُمَّه في وَسطِ جَمْعٍ من الناس.

◘ وأن يسوعَ شَهِد بأن جميعَ الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل هم سُرَّاقٌ ولصوص.. [إنجيل يوحنا، إصحاح (١٠) عدد (٨)][(1)].

* بابا الفاتيكان ـ واللهِ ـ ليس لك عقلٌ، وإلاَّ فأجبني أنت وقومُك:

أَعُبَّادَ المسيحِ لنا سؤالٌ ... نُريدُ جوابَه مِمَّن وَعَاهُ!
إذا ماتَ الإلهُ بِصُنع قومٍ ... أماتوه، فما هذا الإلهُ؟
وهل أرضاهُ ما نالوه منه؟ ... فبُشراهم إذا نالوا رضاهُ!
وإنْ سَخِط الذي فعلوهُ فيه ... فقُوَّتُهم إذًا أوهتْ قُواهُ!
وهَلْ بقي الوجودُ بلا إله ... سميعٍ يَستجيبُ لِمَنْ دعاهُ؟
وَهَلْ خلت الطِّبَاقُ السَّبْعُ لَمَّا ... ثوى تحت التراب، وقد علاهُ؟
وَهَلْ خَلَت العوالمُ مِن إلهٍ ... يُدبِّرُها وقد سُمِرت يداهُ؟
وكيف تَخلَّت الأملاكُ عنه ... بنَصرِهِمُ، وقد سَمِعوا بُكاهُ؟
وكيف أطاقت الخَشَباتُ حَمْلَ ... الإلهِ الحقِّ شُدَّ عَلَى قفاهُ؟

(١) نفس المصدر السابق.

وكيف دنا الحديدُ إليه حتَّى … يُخالطَه، ويَلحَقَه أذاه؟
وكيف تمكَّنتْ أَيْدي عِداهُ … وطالتْ حيث قد صفَعوا قفاهُ؟
وَهَلْ عاد المسيحُ إلى حياة … أم المُحيي له ربٌّ سِواهُ؟
ويا عجبًا لقبْرٍ ضمَّ ربًّا … وأعجبُ منه بطنٌ قد حواهُ!
أقامَ هناك تسعًا من شهور … لدى الظُّلمات من حَيْض غذاهُ!
وشَقَّ الفَرجَ مولودًا صغيراً … ضعيفًا، فاتحًا للثَّدْيِ فاهُ!
ويأكلُ ثم يشربُ، ثم يأتي … بلازمِ ذاك، هلْ هذا إلهُ؟
تعالى اللهُ عن إفْك النَّصارَى … سيُسأل كلُّهمْ عمَّا افتراهُ!
أعُبَّادَ الصَّليبِ لأيِّ مَعْنىً … يُعظَّمُ أوْ يُقبَّحُ مَن رماهُ؟
وَهَلْ تقضي العقولُ بغير كسر … وإحراق له، ولمَنْ بَغاهُ؟
إذا رَكِب الإلهُ عليه كُرْهًا … وقدْ شُدَّت لتسمير يداهُ!
فذاكَ المركَبُ الملعونُ حَقًّا … فدُسْهُ، لا تبُسْه إذْ تراهُ
يُهانُ عليه ربُّ الخَلْق طُرًّا … وتعبُدْه!! فإنك من عداهُ!
فإن عَظَّمْته من أجلِ أن قدْ … حوى ربَّ العباد، وقد علاهُ!
وقد فُقدَ الصليبُ فإن رأينا … له شكلاً تذكَّرْنا سناهُ!
فَهَلاَّ للقبور سجدت طرًّا … لِضَمِّ القبرِ ربَّك في حشاهُ؟
فيا عبد المسيح أفِقْ فهذا … بدايتُه، وهذا مُنْتهاهُ[1]

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٩٠ - ٢٩٢).

* ووقفة أخيرة لنردّ على بابا الفاتيكان باطله:

ردًّا على مزاعمك وكذبك وتطاولك على الإسلام، وادعائك أنه يُصادم العقل نقول:

١ ـ «إن هناك أموراً هي مصلحةٌ للإنسان، لا يستطيعُ الإنسانُ إدراكَها بمجرَّد عقلِه، لأنها غيرُ داخلةٍ في مجالِ العقل ودائرته، «فمن أين للعقل معرفةُ اللَّه تعالىٰ بأسمائه وصفاته..؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ شرعِهِ ودينه الذي شَرَعه لعباده؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ محبته، ورضاه وسخطه، وكراهيته؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ ثوابِه وعقابه، وما أَعَدَّ لأوليائه، وما أَعَدَّ لأعدائه، ومقاديرِ الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفةُ الغيب الذي لم يُظْهِرِ اللَّهُ عليه أحدًا من خلقه إلاَّ من ارتضاه من رُسُلِه.. إلىٰ غير ذلك مما جاءت به الرسل، وبلَّغته عن اللَّه، وليس في العقل طريقٌ إلىٰ معرفته؟!»[1].

٢ ـ «إن الذي يُدرك العقلُ حُسنَه أو قُبحَه يُدْرِكُه علىٰ سبيل الإجمال، ولا يستطيع أن يُدرك تفاصيلَ ما جاء به الشرع، وإن أُدرِكتِ التفاصيل فهو إدراكٌ لبعض الجُزئيَّات، وليس إدراكًا كُلِّيًا شاملاً: «فالعقل يُدرك حُسنَ العدل، وأمَّا كون هذا الفِعْل المُعيَّن عَدْلاً أَوْ ظلْمًا، فهذا مما يَعجِزُ العقلُ عن إدراكه في كلِّ فِعْلٍ وعقد»[2].

٣ ـ «أن العقول قد تحارُ في الفِعل الواحد، فقد يكونُ الفِعْل مشتملاً

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ١١٧).
(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ١١٧).

علىٰ مصلحةٍ ومفسدة، ولا تعلمُ العقولُ: مفسدتُه أرجحُ أو مصلحته؟ فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائعُ ببيان ذلك، وتأمرُ براجح المصلحة، وتَنهىٰ عن راجح المفسدة، وكذلك الفعلُ يكونُ مصلحةً لشخصٍ، مفسدةً لغيره، والعقلُ لا يدرك ذلك، وتأتي الشرائعُ ببيانه، فتأمرُ به مَن هو مصلحةٌ له، وتَنهىٰ عنه من حيثُ هو مفسدةٌ في حقِّه، وكذلك الفعلُ يكونُ مفسدةً في الظاهر، وفي ضمنه مصلحةٌ عظيمة لا يَهتدي إليها العقلُ، فتجيءُ الشرائعُ ببيانِ ما في ضِمنهِ من المصلحةِ والمفسدةِ الراجحة»[1] .

▫ وفي هذا يقولُ ابنُ تيمية: «الأنبياء جاؤوا بما تَعجِزُ العقولُ عن معرفته، ولم يجيؤوا بما تعلمُ العقولُ بُطلانَه، فهُم يُخبرون بمُحاراتِ العقول، لا بمحالات العقولِ»[2] .

٤ ـ ما يتوصَّلُ إليه العقلُ ـ وإنْ كان صحيحًا ـ، فإنه ليس إلا فَرْضيَّات، قد تَجرِفُها الآراءُ المتناقضةُ، والمذاهبُ المُلحِدة.

ولو استطاعت البقاءَ فإنها ـ في غَيبةِ الوحي ـ ستكون تخمينات شتَّىٰ، يلتبسُ فيها الحقُّ بالباطل[3] .

٥ ـ «البراهمةُ ـ وهم طائفةٌ من المجوس ـ زعموا أن إرسالَ الرُّسلِ عَبَثٌ، لا يليقُ بالحكيم؛ لإغناءِ العقل عن الرسل، لأن ما جاءت به الرسلُ، إن كان موافقًا للعقل حَسَنًا عنده، فهو يفعلُه ـ وإن لم يأتِ به ـ، وإن كان

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٧).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢/ ٣١٢).

(٣) «الرسل والرسالات» للأشقر (ص٣٨).

مخالفًا قبيحًا، فإن احتاج إليه فعله، وإلاَّ تَركه»(١) .

ويكفي للردِّ على البراهمةِ أن نُوجِّهَ الأنظارَ إلى ما قادتهم إليه عقولُهم التي زعموا أنهم يستغنون بها عن الوحي، ونذكرُ ما سَبق ذكرُه من قولِ زعيمٍ من زعمائهم في القرن العشرين ـ وهو المهاتما غاندي ـ يقول مُفاخراً: «عندما أرى البقرةَ لا أجدُني أرى حيوانًا؛ لأني أعبدُ البقرة، وسأُدافعُ عن عبادتها أمام العالم أجمع».

◻ ولقد قاده عقلُه إلى تفضيلِ أُمِّه البقرةِ على أُمِّه التي ولدته: «وأمي البقرة تفضلُ أُمِّي الحقيقيةَ مِن عِدَّةِ وُجوهٍ: فالأمُّ الحقيقةُ تُرضِعُنا مُدَّة عامٍ أوْ عامين، وتَتطلَّبُ منَّا خَدَماتٍ طولَ العُمرِ نظيرَ هذا، ولكنَّ أمنَّا البقرةَ تمنحُنا اللبنَ دائمًا، ولا تطلبُ منَّا شيئًا مقابلَ ذلك سوى الطعام العادي»(٢) .

◻ يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «وقد قَرأتُ منذ مُدَّةٍ في مجلة «العربي» التي تصدُر في الكويت عن معبدٍ فَخمٍ مَكْسُوٍّ بالرُّخامِ الأبيضِ تُرسَلُ إليه الهدايا والألطافُ من شتَّى أنحاءِ الهند، بَقِيَ أن تعلَمَ أن الآلهةَ التي تُقدَّم لها القرابينُ وتُرسَلُ لها النذورُ في ذلك المعبَدِ الفخم إنما هي الفئران!!! هذه بعضُ الترَّهاتُ التي هَدَتهم إليها عقولُهم التي زعموا أنَّ فيها غُنيةً عن الوحي الإلهيِّ»(٣) .

٦ ـ ألاَ يَعلمُ البابا أنَّ فِعلَ العقلِ (تعقلون ـ يعقلون) وَرَد ذِكرُه في

(١) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ٢٥٦).
(٢) «نظرات في النبوة» (٤/ ٣٢).
(٣) «الرسل والرسالات» (ص٣٩).

القرآن ٤٩ مرَّة، وفِعلُ «التفكُّر» وَرَد ذِكرُه في القرآن ١٧ مرَّة، ولفظُ «الألباب» - أي العقول - وَرَد ذِكرُه في القرآنِ ١٦ مرَّةً.

٧ - القرآنُ يُخاطِبُ العقولَ المتخصِّصة بحقائقَ عِلميةٍ لم تُعرف إلاَّ بعدَ نزولِ القرآن بأكثرَ مِن ألفِ عامٍ، جَعلت «موريس بوكاي» أستاذَ الجراحة الفرنسيَّ الشهيرَ يَخِرُّ ساجدًا أمامَ عَظَمةِ القرآن ويُشهِرُ إسلامه، ويؤلِّفُ كتابَه الشهير «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، وهو مترجَمٌ بعدَّة لغات، وجَعلت «كث ألمور الكندي» وهو من أشهرِ علماءِ الأَجِنَّةَ يَخِرُّ ساجدًا ويَدخلُ الإسلام، ويُقدِّمُ برنامجًا في التلفزيون الكندي عن عِلمِ الأَجِنة في القرآن والسُّنة يؤكِّدُ فيه أن ما جاء في القرآن مِن وصفٍ لمراحلِ الجنين تتطابقُ مع ما اكتُشف حديثًا من حقائقَ في علمِ الأجِنَّة، ودراسةُ دستورِ القرآن العالمي جعلت الدكتور «مراد هوفمان» المتحدِّث الإعلاميَّ لمُنظَّمة حِلفِ شمال الأطلنطي يقولُ أمامَ أعضاءِ المنظَّمةِ: «إن الإسلام طَوْقُ النجاةِ للحضارةِ العالميةِ المهدَّدة»، ويُشهِرُ إسلامَه بعد أن دَرَس الإسلام فوجد فيه دستورًا عالميًّا يُحقِّقُ العدلَ والتوازنَ بين الإنسانِ ونفسِه، وبين الإنسانِ وأخيه الإنسان، وبين الإنسانِ والكونِ مِن حولِه.. والكثير والكثير.

٨ - يزعمُ كثيرٌ من الناسِ أنَّ الوحيَ يُلْغي العقلَ ويَطمِسُ نُورَه، ويُورِثُه البلادةَ والخُمولَ، وهذا زَعمٌ كاذبٌ، ليس له من الصحَّة نصيبٌ، فالوحيُ الإلهيُّ وجَّه العقولَ إلىٰ النظرِ في الكَون والتدبُّرِ فيه، وحَثَّ الإنسان علىٰ استعمارِ هذه الأرضِ واستثمارِها، وفي مجالِ العلوم المنزَّلةِ من اللَّه وظيفةُ العقل أنَ ينظر فيها؛ ليستوثِقَ من صحة نسبتها إلىٰ اللَّه تعالىٰ، فإنْ تَبيَّن له

صِحَّةُ ذلك فعليه أن يَستوعبَ وحيُ اللَّهِ إليه، ويستخدمَ العقلَ الذي وَهَبه اللَّهُ إيَّاه في فهمِ وتدبُّرِ الوحي.

والوحيُ مع العقلِ كنُورِ الشمسِ أو الضوءِ مع العين، فإذا حُجِب الوحيُ عن العقلِ لم يَنتفعِ الإنسانُ بعقَلِه، كما أن المُبْصِرَ لا ينتفعُ بعَينه إذا عاش في ظُلمةٍ، فإذا أشرقَت الشمس، وانتَشر ضوؤُها انتَفع بناظِرَيْه، وكذلك أصحابُ العقول إذا أشرقَ الوحيُ على عُقولِهم وقلوبِهم أبصرت واهتَدت ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][(١)] أ. هـ.

٩ - يقول الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه «الإسلام والعقل» عن «خلفاء إبليس»: «وإنَّ مِن أحدثِ اختراعاتِ إبليسَ في هذا الزمنِ الحاضرِ إنما هو المذهبُ المسمَّى بالوجودية: وهو مذهبٌ يدعو كلَّ إنسانٍ لأن يُحقِّقَ وجودَه حسبما يَرىٰ وتبعًا لما يريد، غيرَ متقيِّدٍ بعُرفٍ، ولا عاداتٍ، ولا تقاليدَ، ولا دِينٍ، ولا أوضاعٍ أيًّا كانت، وهو إذن يَهدِمُ نفسَه بنفسِه، لأنه لا يقومُ على أُسسٍ ثابتةٍ، ولا ينتهي إلى مبادئَ حقيقيةٍ، وأحسنُ تشبيهٍ للوجوديِّ هو ما قاله أحدُ كِبارِ الكتاب الغربيين: «إن الوجوديَّ مَثَلُه كَمَثَلِ الكلب الذي يَجري دائرًا حولَ نفسِه ليُمسِكَ بذَنَبِه، فلا هو يُدرِكُ ذَنَبَه ولا هو يقفُ عن الجَريِ، وهي لُعبةٌ يلعبُها الكلاب، حينما يجدون الفراغَ فيَلهَون بما لا نتيجةَ له».

على أن هذا المذهبَ الوجوديَّ قديمٌ، إذ إنه المذهبُ السوفسطائيُّ

(١) «الرسل والرسالات» (ص٤٠ـ٤١).

اليوناني، وهو مذهبٌ يَظهرُ دائمًا في عصور الانحلال، وفي البيئاتِ المُنحلَّة، ولا وجودَ له في عصورِ الجِدِّ، ولا في البيئاتِ الجادة، ذلك أن المجتمعاتِ الناهضةَ الجادةَ، لا تُبيحُ لأفرادِها أن يَتشبَّهوا بالكلاب ـ حينما تلهُو الكلاب ـ في الجَري وراءَ أذنابِها ليُمسِكوا بها .

فالوجوديةُ إذن اختراعُ إبليس، لإخراجِ طائفةٍ من البشرِ عن نطاقِ السجود للَّه، إلىٰ نطاقِ السجود للأهواء .

☐ خلفاءُ إبليس ثانيًا هم : طائفةُ الفلاسفةِ العقليين الإلهيين .

ذلك أن الفلسفةَ العقليةَ ـ مهما حاولَ المتفلسفون تزييفَ أهدافِها وتزيينَ غاياتها ـ : ليست إلاَّ محاولةَ تحكيمِ العقل فيما أتىٰ به الوحيُ .

وهي ـ من غيرِ ما رَيبٍ ـ تريدُ أن تَخترعَ عقليًّا ما فَرَغ منه الوحيُ في قضاياه ومبادئه، إنها تريدُ ابتداعَ دينٍ عقليٍّ بجوارِ الدينِ الإلهي، وهذا الدينُ العقليُّ يختلفُ من فيسلوفٍ إلىٰ آخر، وهو مِن أجلِ ذلك : يختلفُ في هذه القضيةِ أو تلك مع الدين الإلهيِّ .

فإذا كانت البيئةُ متشبِّعةً بالدين الإلهيِّ، يَغمُرُ قلبَها الإيمانُ، وتَغمُرُ وِجدانَها الهداية، حاولَ المتفلسفون ـ في طريقةٍ إبليسية ـ أن يُوفِّقوا بين الدينِ والفلسفة .

ومعنىٰ هذا : أنهم يَجعلون موقفَ اختراعاتِهم العقليةِ بالنسبة للدين، موقفَ الندِّ للند، فيحاوِلون التوفيق، فيُخطِئُهم التوفيق فيما يأتون وما يَدعُون، ذلك أنهم ـ قلوبُهم وأفئدتُهم ـ هواءٌ .

وإذا كان الاتفاقُ بينهم لم يَتمَّ، فإن التوفيقَ بين أهوائِهم وظنونِهم،

وشكوكِهم وأوهامِهم، وبين الوحيِ والعِصمة، واليقينِ والهداية، إنما هو عملٌ لا يَسيرُ في رِكابه إلاَّ أتباعُ إبليس.

والفلاسفةُ إذن لم يَسجدوا للَّه.

◻ أما الطائفةُ الثالثة التي لم تَسجد للَّه إلاَّ شكلاً، فإنها طائفةُ المعتزلة من علماءِ الكلام، إنهم لم يَسجدوا للَّه سجودَ خضوعٍ وإذعان، ومذهبُهم قائمٌ علىٰ تحكيمِ العقلِ في الدين، ووَصَل بهم الأمرُ إلىٰ أنهم يُوجِبون علىٰ اللَّهِ بعضَ الأعمالِ، سبحانه وتعالىٰ، ويُحرِّمون عليه إتيانَ بعضِها سبحانه وتعالىٰ، فوضعوا أنفسَهم بعَمَلهم هذا موضعَ المشرِّعين للَّه سبحانه، يُلزمونه سَلْبًا، ويلزمونه إيجابًا، وزيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم، وصَدَق فيهم قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

ثم إنَّهم خاضوا فيما نَصَح الدينُ بعَدَمِ الخَوضِ فيه، كالذات الإلهية، والصفات، وكالقَدَر، وكان لابدَّ - وقد اتبعوا أهواءَهم - أن يختلفوا ويتفرَّقوا وتذهبَ بهم الأهواءُ كلَّ مذهب، فكانوا فِرَقًا وأحزابًا شتَّىٰ، لا تكادُ تدخلُ تحتَ حَصر.

وكلُّ مَن نَهَج النَّهجَ العقليَّ في الدين، في العصرِ الحاضر، إنما هو تابعٌ من أتباعِ المعتزلة، ولا مَناصَ من الإقرارِ بأن مدرسةَ الشيخ محمد عبده، إنما هي مدرسةٌ اعتزالية في مبادئِها وأصولها، وهي مدرسةٌ اعتزالية في غاياتِها وأهدافِها، ذلك أنها تضعُ قضايا الدين في ميزانِ عقلِها، فتَنفي

وتُثبت حسبما تقتضيه الأهواءُ والنزعات.

والمدرسةُ العقليةُ في الدين - أيًّا كانت، وفي أيِّ مكانٍ وُجدت، وفي أي زمانٍ نشأت - لم تَسجدْ للَّه سجودَ خضوعٍ وإذعان، وإنما سَجدت للعقل، وعَبَدت العقلَ، فتفرَّقت إلىٰ ما لا يكادُ يُحصىٰ من الفِرَق، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وسبيلُ المؤمنين إنما هو السجودُ للَّه وحده، وذلك أيضًا سبيلُ الراسخين في العلم، إذ الراسخون في العلم هم دائمًا مؤمنون ساجدون لأمرِ اللَّه، وإليهم تُشيرُ الآية الكريمة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ومن البديهيِّ أن المؤمنَ الحقيقيَّ هو وإبليسُ علىٰ طَرَفَي نقيضٍ، ويَرسُمُ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ صورةَ المؤمنِ، فيُبيِّنُ تعارضَها مع كلِّ الصورِ الإبليسيةِ علىٰ تفرُّقها واختلافِها، ويُبيِّنُ جزاءَ المؤمنين عنده فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧]»[1] اهـ.

---

(١) «الإسلام والعقل» (ص٣٨-٤٠).

١٠ـ رَحِمِ اللَّهُ الشافعيَّ القائل: «ما جَهِلَ الناسُ ولا اختلفوا إلاَّ لِتَرْكِهِم لسانَ العرب ومَيلِهِم إلىٰ لسان أرسطو».

اختلف فلاسفةُ اليونان «انكسيمندر» عن «طاليس»، واختَلَف «هرقليط» عنهما، ووَصَل الأمرُ إلىٰ أرسطو الذي اخترع المنطقَ ليعصمَ الذهنَ عن الانحراف والضلال، فلاحَظَ عليه تلاميذُه وأبناءُ مدرستِهِ ومناصِروه أخطاءً لا حَصرَ لها، إنهم مع ما لهم من باعٍ واسعٍ في عِلمِ الفلسفة، كانوا أعجزَ من أن يُمكنهم الدّفاعُ عن المعلِّم الأول.

وعَجَزت آلةُ عِصمةِ الذهن عن عِصمةِ ذهنِ مخترِعها، وعن عصمةِ ذهنِ أتباعه، ولكنَّ المعترِضين علىٰ أرسطو لم يُقِرَّ أحدٌ من كِبارِ الفلاسفة لهم بالصواب المُطلَق، وإنما كانت آراؤهم هي الأخرىٰ مَثارَ جَدَلٍ واعتراضٍ وتجريحٍ ونقضٍ، وجاء الكِنْدي، والفارابي، وابن سينا، كلما جاءت أُمَّةٌ لعنت أختها.

وكَشَفَ الزمنُ عن أن عالَمَ الغَيبِ إنما هو حِجْرٌ محجور بالنسبة للعقلِ البشري، فلن يتأتَّىٰ ـ بوضعِهِ البشريِّ ـ أن يَطَأَ حِماه، ولا أنْ يَلِجَ بابه، وتَقدَّس عالَمُ الغيبِ عن أن يُمسِكَ بمفتاحِهِ، أو يَكشِفَ عن مساتيره إلاَّ مَن أَذِنَ له اللَّهُ من نبيٍّ مُكرَّمٍ، أو من رسولٍ مأذون.

◻ وللَّه درُّ الشافعيِّ إذ يقول: «رأيي في علماءِ الكلام أن يُضرَبوا بالجريدِ والنِّعال، وأن يُطوَّفَ بهم في العشائرِ والأمصار، ويُقال: هذا جزاءُ مَن تَرَكَ الكتابَ والسُّنَّةَ وأقبلَ علىٰ عِلمِ الكلام».

وما أحلىٰ سجودَ العقلِ للَّه خالقه!.

أفهمتَ ـ وما إخالُك تَفهمُ ـ يا حَبْرَ النصارىٰ . . ويا رأس الفاتيكان . . يا عارَ البشرية . . ويا صورةَ الحِقدِ الصليبيِّ في أنتنِ شكلٍ . . وأوقحِ عبارةٍ . . وأرذلِ هيئةٍ . . وأقبحِ لسانٍ؟! . . إبليسيٌّ فاق إبليس . . تَعجَّبَ إبليسُ مِن كُفره ووقاحتِه وإجرامِه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

* **إنهم لا يعتذرون!:**

عندما أساء البابا «بنديكت السادس عشر» مؤخَّرًا للعالم الإسلاميِّ أجمعَ بإهانتِه لرسولِ اللَّه ﷺ طالَبه الجميعُ بالاعتذار، حتىٰ بعضُ وسائلِ الإعلامِ الغربية التي لم يُعرَف عنها التعاطفُ مع الإسلام طالَبته بالاعتذار.

❑ لقد كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» في افتتاحية عدد يوم السبت (١٦ من سبتمبر ٢٠٠٦م) مطالبةً البابا باعتذارٍ وَصَفَتْه بأنه يجبُ أن يكونَ «عميقًا ومقنعًا»، وعقَّبت قائلةً في نفسِ الافتتاحية: «إن العالَمَ يستمعُ باهتمامٍ لكلمات أيِّ بابا . . وإنه من الخطيرِ والمؤلمِ أن يَنشُرَ أحدٌ ما الألَمَ سواءٌ عامدًا أو غيرَ مكترثٍ . . إن البابا بحاجةٍ إلىٰ أن يُقدِّم اعتذارًا عميقًا ومقنعًا ليبيِّنَ أن الكلماتِ يُمكنُ أيضًا أن تَشفي الجراح» . . فهل اعتذر البابا؟ .

❑ نقلت قناة (BCC) عبرَ موقعِها الإلكترونيِّ البيانَ الذي أصدره البابا «بنديكت السادس عشر»، والذي يقولُ فيه ـ بالحرف الواحد ـ: «إن البابا المقدَّس «آسِفٌ جدًّا» أنَّ بعضَ فقراتِ خطابِه قد بدَت وكأنها تهاجمُ مشاعرَ المسلمين»، وأعقبَ قائلاً: «إنه يحترمُ الإسلام، ويأملُ أن يتفهَّم المسلمون المعنىٰ الحقيقيَّ لكلماته».

لم يَعتذرِ البابا، وإنما اتَّهَمَنا نحن بقِلَّةِ الفَهمِ، بل ويطالبُنا أن نَقبلَ ما قال، وذَكَر أنه يَحترمَ الإسلام، ولكنه في المقابل لم يذكرْ نبيَّ الإسلام، أو يَعتذرْ عما قاله في حقِّه ﷺ، بل تعمَّد تجاهُلَ إهانتِه للنبي بكلماتِه الجارحةِ علىٰ مَسمعٍ من العالم أجمعَ، فأين هو الاعتذار؟!.

إن البابا يقول إنه «آسف جدًّا» أن عباراته بَدَت وكأنها هجومية، ولكنه لم يَعتذرْ عن هذه العبارات، أو يَشرحْ لنا كيف يمكنُ ألاَّ تكون هجوميةً.. هو فقط «آسف جدًّا» لِمَا حَدَث.. فأين الاعتذار؟! ومَن قال: إننا - في هذا المقام - نهتمُّ لمشاعره، أو نُعيرُها أدنىٰ اهتمام؟ إن البابا يستخدم حِيَلَ الإعلام المعروفة في التهرُّبِ من مواجهةِ النفس، أو مواجهةِ مَن أساء إليهم بطُرقٍ إعلاميةٍ ملتويةٍ وعباراتٍ فَضفاضةٍ، ولا يَليقُ برجلِ دينٍ في مكانتِهِ وقَدْرِه لمن يَعتنقون دينَه أن يفعلَ ذلك، إنْ كان قد أخطأَ في وصفِ نبيِّ الأمة الإسلامية بأنه لا يأتِ إلاَّ بالشرِّ، فلماذا لم يَعتذرْ عن ذلك بوضوح؟ إنه يعالجُ الإهانةَ الأولىٰ التي جَرحت كرامةَ كلِّ مسلمٍ بإهانةٍ ثانيةٍ تَفترضُ في كلِّ المسلمين الغباءَ أيضًا!.

إنَّ هذا الأمرَ متكرِّرٌ في المواقفِ الغربيةِ تُجاهَ العالَم الإسلامي، فبعد أزمةِ الرسوم المسيئة عن نبيِّ الإسلام، ومطالَبةِ الجميعِ لرئيس الوزراء الدانمركي بالاعتذارِ باسم الحكومة الدانمركية علىٰ الإصرار علىٰ تصعيد الأزمة، حاوَرَ رئيسُ تحرير صحيفة «الأهرام ويكلي Al Ahram weekly» المصرية التي تَصدرُ باللغة الإنجليزية رئيسَ الوزراء الدانمركي، وحثَّه علىٰ الاعتذارِ لإنهاء الأزمة، فما كان من رئيسِ الوزراء إلا أن رد قائلاً: «يُسعدني

أن أقدم هذا التصريحَ بشكلٍ مكتوبٍ إلىٰ قُرائكم، ولكنك تدرك بلا شكٍّ أنه لا الحكومةُ ولا شعبُ الدانمرك يمكنُ اعتبارُهم مسؤولين عما تمَّ نشرُه»(١).

* وعاب عليه بنو جِلدته:

أنكرت أكثرُ الصحفِ الأوربيَّة كلامَ البابا، وانتقدوه وعابوا عليه:

❑ «ففي هولندا رأت صحيفة «دي فولكسكرانت» أن ما فَعله البابا ليس سوىٰ نوعٍ من الاستفزاز لمشاعرِ المسلمين، ولا يمكنه سوىٰ أن يَلومَ نفَسه وحدَها بشكلٍ أساسي».

❑ وكَتَبت صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية تقول: «إنَّ هذا البابا البالغَ من العمر ٧٨ عامًا يرتكبُ هفواتٍ متتاليةً منذ تعيينه، وستُشكِّلُ لدينا في نهايةِ المطاف قناعةٌ بأنها ليست عَرَضيَّةً، بل تكشفُ عن فِكرِه الدَّفين».

❑ بل إن رئيسَ وكالةِ الأنباءِ الكاثوليكية: «رنج إيفل» نفسَه قد انتقد البابا بحدَّةٍ معارِضًا تصريحاتِه، ومتنصِّلاً عنها قائلاً: «إن البابا أراد هنا ارتداءَ ثوبِ البروفيسور، واعتقد أنه يستطيعُ أن يتجرَّد من منصبِ البابا ولو لمدةِ نصفِ ساعة.. وهذا لم يكن سِوىٰ سذاجةٍ سياسية».

❑ بينما وَجَّهت صحيفة «لاريبوبليكا» التي تصدر في روما انتقاداتٍ حادةً للبابا الحالي بسببِ خطئِه في تصريحاتِه التي أَجْبَرَتْه علىٰ التراجع ليكونَ أولَ بابا في التاريخ يحاولُ التراجعَ بهذا الشكلِ عن شيءٍ قاله، مؤكِّدةً أنَّ ردَّ الفعلِ السريعَ والواضحَ للفاتيكان وتراجعَه لتفادِي تداعياتِ

---

(١) «لماذا يكرهونه ـ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ» للدكتور باسم خفاجي (ص٢٢ ـ ٢٤) كتاب البيان.

الأزمةِ سببُه أيضًا الانتقاداتُ الحادةُ التي تلقَّاها من الفاتيكان نفسه بعد أنِ انتَهت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ إلىٰ أن «بنديكت» قد اقتَرَف هنا خطأً واضحًا لا يُمكن إنكارُه».

◻ وقال المؤرِّخ الديني الفرنسي «أودون فاليت» لوكالة الأنباء الفرنسية بأن البابا الحالي أكثرُ قُربًا للولاياتِ المتحدة من البابا السابق الذي عارَضَ غزوَ العراق وأفغانستان، حيث إنه لم يَقُمْ منذ تولِّيه بأيِّ إدانةٍ للسياسةِ الخارجيةِ الأمريكية.

◻ وقال «فاليت»: «لا شك أنه يوجدُ بُعْدٌ سياسيٌّ في تصريحاتِ البابا، حتىٰ وإن تخفَّت وراءَ فكرٍ لاهوتيٍّ واضحٍ»[1].

*** إيه يا بنديكت بابا الفاتيكان:**

سيجيئُكَ صوتُ أبي بكرٍ
ويَصيحُ بخالد
قمْ واقطعْ رأسَ الشيطانْ
فمحمَّدُ باقٍ
ما بَقيت دنيا الرحمن
وسيعلو صوتُ اللَّهِ
ولو كرهوا
في كُلِّ زمانٍ
ومكانْ

(١) «جريدة الأسبوع» العدد (٤٩٧) (ص٧)- ٩ من رمضان ١٩٢٧هـ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

مقالاتٌ في الدِّفاعِ عن الإسلام والردِّ على بابا الفاتيكان

* «لا لاعتذارِ البابا»:

□ قال عُلوي بن عبدالقادر السَّقَّاف: «لم تكنْ مصادفةً أن يُعلنَ رئيسُ دولةِ الصليب أن الحربَ في العراق حربٌ صليبية، ثم يُهانُ المصحفُ في سُجونه في العراق وجوانتنامو، ثم يُساءُ إلىٰ الإسلام ونبيِّ الإسلام في رسومٍ كاريكاتيرية في أكثرَ من صحيفةٍ غربية، ثم يُتَّهمُ الإسلام بالفاشية، وأخيراً يُساءُ إلىٰ نبيِّ الإسلام ـ عليه أفضلُ الصلاة والسلام ـ علىٰ لسانِ أكبرِ زعيمٍ للنصارىٰ ـ بابا الفاتيكان ـ، لم يكن ذلك كلُّه مصادفةً ولا مستغرَبًا عنهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ولم يكن مُستغربًا أن يَغضبَ المسلمون لنبيِّهم ﷺ، بل هذا هو الواجبُ عليهم، لكنَّ المستغرَبَ هو هذه الضَّجةُ الإعلاميةُ التي انخَدع بها الكثيرون وصاروا يُطالبونه بالاعتذار، ممَّا كان سببًا في إعلاءِ شأنه، ولو أنهم تَركوه لحقارته لما عَبَأَ به أحد، فما كان منه إلاَّ أنِ اتَّهمهم مرةً بالغباء وأنهم لم يَفقَهوا قَولَه! ومرةً بأسفِهِ علىٰ الألم الذي سبَّبته تعليقاتُه، وها نحن ـ المسلمين ـ صباحَ مساءَ نذُمُّهم ونَذُمُّ دينَهم المحرَّفَ، ونَصِمُهم بالضلال يوميًّا في صلاتنا وخارجَها، ولم يُلقوا لنا بالاً، ولم يطلبوا منا أن نعتذر، ولو أن أكبرَ علماءِ المسلمين قال: «إنَّ النصارىٰ كفار، وإنَّ دينَهم محرَّف، وليس هو الدينَ الذي أتىٰ به عيسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ»، أتُراهم سيأبهون به ويطالبونه بالاعتذار؟! أجزمُ أن عقلاءَهم أعقل من عقلانيِّينا الذين طاروا في العجَّة ـ كما تقول العامة ـ، ولن يطالبوه بالاعتذار؛ لأنَّ ذلك يُعلِي من شأنه، ثمَّ ماذا لو قال لنا البابا: «أنا علىٰ استعداد أن أعتذر عن إساءتي لكم، لكن

بشرطِ أن تعتذروا أنتم أيضًا عن إساءتكم لنا بوَصمِنا بالكفر والضلال في كتابكم وعلىٰ ألسِنةِ علمائكم»؟! . . أكنَّا فاعلين؟! .

ومرةً أخرىٰ أقول: إنَّ غَضبَ المسلمين أمرٌ واجبٌ عليهم، وغيرُ مستغرَبٍ، لكنَّ المستغربَ أن يطالِبَ بذلك مَن يستنكرون اليومَ عليه، وغداً يجلسون معه علىٰ طاولةِ الحِوارِ لتقريبِ الأديان، هؤلاء هم الذين جَرَّؤوه! .

ـ جرَّأه الذين لا يُكفِّرونهم، ويزعمون أنهم أهلُ كتابٍ مؤمنون، واللَّهُ كَفَّرهم مِن فوق سبع سماوات: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ .

ـ جَرَّأه مَن عدَّ النصارىٰ إخوانًا لنا في الإنسانية، في حين يَتَّهِمُ باباهم نبيَّنا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ باللاإنسانية .

ـ جرَّأة مَن أبلىٰ بلاءً سيئًا في رَفعِ المقاطعةِ عن دولةِ الدانمرك التي سَبَقَتْه في الإساءة إلىٰ النبيِّ ﷺ، وليس ببعيدٍ أن يأتيَ مَن يَقبلُ اعتذارَه الأخيرَ كما قَبِل البعضُ اعتذارَ الصحيفةِ الآثمةِ صاحبةِ الكاريكاتير .

ـ جرَّأه الذين ما زالوا يَدْعُون إلىٰ التسامحِ والتعايُشِ والحِوارِ مع الآخَرِ، والآخرُ هذا يَشتُمُهم ويَشتُمُ نبيَّهم ﷺ .

هذا وغيرُه هو الذي جرَّأ هذا الكافرَ وأمثالَه علىٰ الإساءةِ للإسلام ونبيِّ الإسلام ﷺ .

وإنَّ مِن المزالِقِ الخطيرةِ التي وَقع فيها بعضُ الذين طالَبوا البابا بالاعتذار ونُشرت في وسائل الإعلام: قبولَ بَعضِهم اعتذارَه الممجوجَ، ونَسي هؤلاء ـ وربَّما جَهِلوا ـ أنه لو اعتذر بأصرحِ عبارةٍ ممكنٍ أن يعتذرَ منها مخطيءٌ، لما قُبل اعتذارُه؛ لأنَّ هذا حقٌّ للنبي ﷺ ـ ليس لأحدٍ غيره ـ،

أرأيتَ لو أنَّ رجلاً شتَم جارَك، ثم جاء ليعتذرَ إليك، هل من حقِّك أن تقبلَ عُذرَه؟ أم تقول له: هذا جاري دونَك، فاعتذِرْ منه؟ فحقُّ رسولِ اللَّه ﷺ أجلُّ وأعظم.

ومِن هذه المزالق دعوىٰ بعضِهم أن الجهادَ في الإسلام للدفاعِ عن النفس، لِيدفعَ تهمةَ انتشارِ الإسلام بالسيف، ونَسِي أن التاريخَ الإسلاميَّ مَلِيءٌ بالفتوحات الإسلامية.

فهؤلاء وأولئك هم الذين جرَّؤه، وسيُجَرِّؤن غيرَه علىٰ الإساءةِ للإسلام ونبيِّ الإسلام.

□ ولهؤلاء أقول: إنْ كان الدفاعُ عن النبي ﷺ يتطلَّبُ منكم كلَّ ذلك، فلا حاجة إليه، واللَّهُ حافظٌ دينَه وكافٍ نبيَّه ﷺ، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾». اهـ.

*** «لا تُطالِبوا البابا بالاعتذار»:**

□ قال د. محمد بن إبراهيم السعيدي، رئيس قسمِ الدرسات الإسلامية بكليَّة المعلِّمين بمكةَ: «ضَجَّ العالَمُ الإسلاميُّ - كما ينبغي له - جرَّاءَ افتراءاتِ البابا من حينِ تَلقَّتها عنه وسائلُ الإعلام، ووقَف المفكِّرون الإسلاميون - كما ينبغي لهم أن يَقفِوا - حيالَ مِثلِ هذه الافتراءات، وأدَّت الحكوماتُ الإسلاميةُ بعضَ ما ينبغي عليها في مِثلِ هذه المواقف.

إلاَّ أننا وجدنا أبرزَ ما طُولِبَ به رأسُ الكنيسة الكاثوليكية من أكثرِ القياداتِ الفكريةِ في العالَم الإسلامي وأكبرِها: أن يَعتذرَ عمَّا بَدَرَ منه، ولكنَّ أحداً لم يقل: كيف يريدُ من البابا أن يعتذر؟.

هل يكفي أن يأسفَ علىٰ إساءته لمشاعرِ المسلمين؟ .

إن كان كذلك، فلا يُسمَّىٰ هذا اعتذاراً، لا لغةً ولا اصطلاحًا، بدليل أن المسلمين لم يَقبَلوا مثلَ هذه الصيغةِ من دولةِ الدانمرك .

أم عليه أن يُقِرَّ بخطئه، ويُصرِّحَ بأنَّ ما قاله، أو نَقَله في حقِّ النبي ﷺ غيرُ صحيح؟ .

إنْ كان هذا هو المراد، فقد كلَّفناه ما لا يستطيعُ عوامُّ النصارىٰ أن يقوموا به، فكيف برئيسِ كُهَّانِ العالم؟ .

وكيف نُطالِبُه بهذا الاعتذار، ونحن نعلمُ أن دينَ النصارىٰ لا يتمُّ إلاَّ مع الإيمانِ بما هو أعظمُ مما قاله البابا، وهو أن محمداً ﷺ كاذبٌ، وحاشاه ذلك ـ فداه أبي وأمي ـ .

كما أن مطالَبته بالاعتذارِ تعني أننا علىٰ استعدادٍ أن نَعتذرَ إذا قلنا في دينِ النصارىٰ بمِثلِ ما قاله البابا في الإسلام! .

ولْنَتصورْ أن يطالِبَ النصارىٰ أئمةَ الحَرَمِ المكيِّ بالاعتذار إذا قرؤوا سورةَ الفاتحة في صلاتِهم التي تُنقَلُ عَبرَ وسائلِ الإعلام إلىٰ جميعِ أنحاء العالم .

لِنتصورْ أن يطالِبَنا النصارىٰ بحَذفِ الآياتِ المسيئةِ للديانةِ النصرانيةِ من القرآن الكريم الذي تُوزَّعُ طبعاتُه وترجماتُه من المملكةِ العربيةِ السعودية إلىٰ جميعِ أنحاء العالم، ومِن بينها بالطبع دولُ النصارىٰ، أو علىٰ الأقل أن نحذفَ تلك الآياتِ من الطبعاتِ التي تُوزَّعُ في أوروبا. . هل نتصور ذلك؟! .

* أليس في القرآن الكريم تَسفيهٌ وتكذيبٌ لِمَا عليه جميعُ النصارىٰ في العالَم من الإيمانِ بألوهيةِ عيسىٰ - عليه وعلىٰ نبينا أفضلُ الصلاة والسلام -؟ قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾

[مريم: ٨٨-٩٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديثِ التي تتحدثُ عن عقيدة النصارىٰ بوصفِها عقيدةً مفتراةً، ووَصْفِ أهلِها بالكفر، وتوعُّدِهم بالنار، فهل بوُسعِنا أن نستجيبَ لأيِّ مُطالَبةٍ لنا بالاعتذار حين نقولُ هذا القولَ الذي لا نرىٰ لِمَن يخالفُه حظًّا من الإسلام؟!.

إنني - وكلَّ مسلمٍ غَيُورٍ محبٍّ للّه ورسوله - نفرحُ بهذه الانتفاضةِ الإسلاميةِ التي تَجتاحُ العالَمَ الإسلاميَّ كلَّما أُسيءَ إلىٰ الإسلام ونبيِّه الكريم، وتتجاوبُ معها الحكوماتُ بشكلٍ إيجابيٍّ - وللّه الحمد والمِنَّة -،

ولكنني أدعو إلىٰ تجنُّبِ التورُّط بالمطالبة بالاعتذارِ لأمرين:

أحدهما: أن هذا لا يمكنُ أن يكونَ، وإذا أردتَ أن تُطاعَ فاطلُبْ ما يُستطاع، وإذا أردتَ أن يذهبَ جَهدُكَ عبثًا، فاطلب ما لا يُستطاع.

الأمر الآخر: أن المطالبةَ بالاعتذار حُفرةٌ خَطِرةٌ، نأملُ من مفكِّرينا تجنُّبها؛ لأنها تؤدِّي حتمًا إلىٰ تسويغِ مطالبتِهم إيانا بمثلِ ذلك إذا قلنا عن النصارىٰ: «إنهم مشركون، وإن ما يؤمنون به هو ديانةٌ محرفةٌ أنتجها لهم «بولس» الذي يتربَّعُ البابا علىٰ كرسيه، ونحن نعتقد أنه - أي: بولس - كذَّابٌ أَشِر!!».

والمعلومُ أن الدعوةَ إلىٰ الإسلام بين النصارىٰ لا يمكنُ أن تتمَّ إلاَّ بمناقشةِ تلك الأمورِ التي يُعِدُّها النصارىٰ من مسلَّماتهم، ونُعِدُّها نحن من مكذوباتهم.

هل يَسُرُّ أحدًا من هؤلاء الذين يُطالبون البابا بالاعتذار أن تقومَ حكوماتُ الدُّولِ النصرانية بمَنعِ المسلمين في مساجدهم من قِراءةِ الفاتحة وسورةِ الإخلاص، بحُجَّةِ أنها تسيءُ إلىٰ مشاعرِ المسيحيين؟!.

وأكثرُ ما ساءني وآلَمَني في هذه الحَملةِ ضد البابا: وقوعُ عددٍ من علماءِ المسلمين في مأزقٍ خطيرٍ، حين أصدروا بيانًا ذَكروا فيه أن الجهادَ في الإسلام إنما شُرِع للدفاع عن النفس!!.

وهذا إنْ دلَّ علىٰ شيءٍ فإنما يدلُّ علىٰ نجاحِ هذه الحَمْلة، ولكنْ لصالحِ البابا وأعداءِ الإسلام الذين اضْطَرُّوا علماءَ المسلمين إلىٰ الوقوفِ موقفًا انهراميًّا أدَّىٰ بهم إلىٰ الافتراءِ علىٰ الإسلامِ بأعظمَ مِن فِريةِ البابا عليه،

وذلك بإنكارِهم مشروعيةَ «جهادِ الطلب»، الأمرُ الذي يَلزمُ منه القولُ بأن جميعَ الفتوحاتِ الإسلاميةِ كانت حروبًا غيرَ شرعية، واستعماراً إمبراطوريًّا لا علاقةَ له بالإسلام؛ لأنَّه لم يكنْ بحالٍ من الأحوال ـ دفاعًا عن النفس، وهذا القولُ هو عينُ قولِ البابا، بل هو قولٌ أخطرُ مِن قول البابا بصفةِ أن قائلَه مجموعةٌ من علماء المسلمين.

وأخيراً أدعو مفكِّرينا إلىٰ أن يكونوا موجِّهين لِمثلِ هذه الانتفاضات الشَّعبية، ومؤثِّرين فيها، لا أن يكونوا ـ كما عليه كثيرٌ منهم الآن ـ متأثِّرين ومُنساقين، وينحصرُ دورُهم في الإعلانِ عن هذه المشاعرِ دون توجيهها»(١).

* «وإذا لم يَعتَذِرِ البابا.. فكان ماذا؟»:

□ قال د. لطف الله بن ملا عبدالعظيم خوجه: «سؤالٌ مشروع.. لَمَّا صَدَرَ عن البابا اتهامُ المسلمين والإسلام بأنه «شريرٌ، وغيرُ إنساني، وغيرُ عقلاني»، طالَبه جَمعٌ كبيرٌ من الشخصياتِ والمنظماتِ الإسلامية بالاعتذار العَلَنيِّ الصريح، وأَلَحُّوا في ذلك جدًّا، وأكَّدوا، وأصرُّوا، ولم يَقبَلوا تصريحَه الثانيَ ولا الثالثَ، الذي تضمَّن أسفًا علىٰ سُوءِ فَهمِ كلامه؛ إذ لم يكنْ سوىٰ أسفٍ وليس اعتذاراً.

وتفاعَلَ كثيرٌ من المسلمين غَيرةً علىٰ دينهم مع هذه المطالبة، وقد كانت حالةً تجسَّدت فيها المعاني الإيمانيةُ والغَيرةُ والاعتزازُ بالانتماء إلىٰ الإسلام.

---

(١) «الموقع الالكتروني: الإسلام اليوم».

غيرَ أنه وَسَطَ هذه المَوجةِ من الغضب لم يسألْ أحدٌ: ما المقصودُ والغايةُ من اعتذارِ البابا؟ .

وإذا لم يعتذر ـ كما هو الحال ـ فكان ماذا؟ .

هل سيتضررُ الإسلام والمسلمون من ذلك؟ .

وإذا اعتذر هل سيكون ذلك خيراً للإسلام والمسلمين؟ .

□ الأحداث: في محاضرةٍ له في جامعة «جنيسبرج» بولاية «بفاريا» الألمانية، في ١٢/ ١١/ ٢٠٠٦م، والتي كانت بعنوان: «العقل والإيمان»، أورد البابا حواراً جَرىٰ بين الإمبراطور «مانويل الثاني» (١٣٥٠ ـ ١٤٢٥) ومثقَّف فارسيٍّ قال فيه: «أرني شيئًا جديداً جاء به محمد، فلن تجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني، مِثلَ أمرِه بنَشرِ الدين ـ الذي كان يُبَشِّرُ به ـ بحدِّ السيف» .

□ وفي المحاضرة أكَّد البابا على:

ـ رسوخِ العنفِ في بِنيةِ الدينِ الإسلاميِّ، من خلال إفادته بأن آيةَ البقرة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إنما نَزلت في بدايةِ الدعوة، حين لم يكن لمحمدٍ ﷺ قوةٌ ولا مَنَعةٌ.

ـ أن الإسلامَ يخلُو من العقل، واستَدلَّ عليه بأن مشيئةَ الربِّ في العقيدة الإسلامية وإرادتَه ليست مرتبطةً بمقولاتنا، ولا حتىٰ بالعقل، وأنَّ ابنَ حزمٍ ذهب في تفسيره إلىٰ حدِّ القولِ بأن اللَّهَ ليس لزامًا عليه أن يتمسَّكَ حتىٰ بكلمته، ولا شيءَ يلزمُه أن يُطلعَنا علىٰ الحقيقة.

وحينما عَرَّج علىٰ المسيحية سَبَغها بكلِّ ما جَرَّد الإسلامَ منه: بالسماحة والعقلانية، واستَدلَّ عليه بأولِ نصٍّ في الكتاب المقدس، في

«سِفْر التكوين»: «في البَدءِ كانت الكلمة»، فالربُّ يتحاورُ بالكلمة، والكلمةُ هي عقلٌ وكلمةٌ في نفس الوقت.

في نهاية كلمتِه دعا إلىٰ المحاورةِ بين الحضاراتِ بالعقل والإيمان وبالكلمة؛ ليكونَ موافقًا لطبيعةِ الربِّ.

ويُلاحَظ في كلمته هذا: محاولةُ الاستئثارِ المسيحيِّ بالربِّ والعقلِ والتسامحِ معًا، وتجريدِ الإسلامِ منها، فالمسيحيةُ هي التي تعملُ وِفقَ إرادةِ وطبيعةِ الرب، ووفقَ العقل، والإسلامُ يعملُ مُعارِضًا لطبيعةِ وإرادةِ الربِّ والعقل؛ لكونِه يتَّخذُ العنفَ والسيفَ طريقًا للإقناع، ولأنه يُلَصِقُ بالربِّ الاستعلاءَ المطلَقَ، والمشيئةَ المطلَقةَ، التي لا تتغيَّرُ ولا تتبدلُ، ولا ترتبطُ بمقولاتِنا ولا العقل..؟!!.

❑ إثرَ هذه المحاضرةِ انطلقت ردودُ الفعل ـ المعتادة!! ـ من المسلمين، تمثَّلت في التعبيراتِ التالية:

ـ غضبٌ إسلاميٌّ عبَّرت عنه: دولٌ، ومنظَّمات، وشخصياتٌ، ومظاهَراتٌ جماهيرية.

ـ استنكارُ جهاتٍ إسلاميةٍ ونصرانيةٍ شرقيةٍ ـ خصوصًا ـ من هذا التصريح.

ـ مطالبةٌ بالاعتذارِ العَلَنيِّ الصريح، وطَلَبُ توضيحِ موقف البابا من الإسلام.

ـ أن التصريح كان في سِياقِ تبريرِ الحَمْلاتِ الصليبيةِ الأخيرةِ علىٰ بلادِ الإسلام.

ـ الردُّ على الادعاءِ البابَويِّ حولَ العنفِ واللاعقلانيةِ المنسوبةِ إلى الإسلام، وذلك من طريق:

١ ـ نفي «جهادِ الطلب» وقَصْرِه على «جهادِ الدفع»(١).

٢ ـ رَسم عقلانيةِ الإسلامِ من خلالِ موقفِ الأشعريةِ في رَفضِ إيمانِ المُقلِّد، وإيجابِ النظر، وموقفِ المعتزلةِ في إيجابِ الأصلح على اللَّه تعالى(٢).

٣ ـ بيانِ تسامحِ الإسلام مع الديانات بعدَ الفتحِ الإسلامي.

٤ ـ فضحِ السلوكِ المسيحيِّ في العالم؛ احتلالاً، ونهبًا، وتقتيلاً، واضطهادًا.

وقد كان الصوتُ الأعلى هو صوتُ المطالِب بالاعتذار، الحاثِّ على غَضْبَةٍ إسلاميةٍ كبرى، ومحاولةِ دفعِ التهمةِ عن الإسلامِ والمسلمين، والذين قاموا بالردِّ بالمِثل ـ أي ببيانِ فضائحِ الاعتقادِ والسلوكِ النصرانيِّ في العالم ـ كانوا قليلين، وليست لهم من الشهرةِ كالتي للذين اكتَفَوا بطَلَبِ الاعتذار، دونَ نقدٍ للمسيحية عقيدةً أو تاريخًا!!.

□ الاعتذار؟:

نعودُ إلى السؤال المشروع، فنقول: يُطلَبُ الاعتذارُ في العادةِ من المخطئِ بقصدِ الحدِّ من الآثارِ السلبيةِ التي تَنجُمُ عن الخطأ مِن ردِّ فِعلٍ غيرِ ملائم، يُضِرُّ بالجانبين: المخطئ، والمخطئ عليه.

(١، ٢) جاء هذا في ردّ الدكتور القرضاوي على البابا.. وهو سقيم لأنه رد على البابا بقول أهل البدع.

فالاعتذارُ يَنزِعُ فَتيلَ أزمةٍ تكادُ أن تقعَ بسببِ ذلك الخطأ.

والأزمةُ وردُّ الفعلِ يقعُ من شعورِ المخطئِ عليه بالإهانةِ التي لَحِقت به، فيسعىٰ في ردِّ الاعتبار وإزالةِ التشويه، وذلك بتقريرِ المخطئِ بخطئه، أو بطريقٍ آخَرَ هو الردُّ بالمِثل، فإنْ لم يَنْجَحْ لَجأَ إلىٰ التصادمِ وردِّ الاعتبار بالقوة، ومِن هنا تتدخَّلُ أطرافٌ أخرىٰ لِمَنعِ مثلِ هذا التصادم.

وفي حالةِ تصريحِ البابا، فإنه تسبَّبَ في الطعنِ في الإسلام والمسلمين، وتشويهِ الصورة، وفَتْحِ بابٍ ـ مفتوح أصلاً ـ للتصادمِ بين الإسلام والمسيحية، أو المسلمين والمسيحيين.

وهنا نفهمُ لِمَ تصدَّتْ كلُّ هذه القوىٰ الإسلامية للرد؟ إنهم يقصدون: رَدَّ الاعتبار، وإزالةَ التشويهِ الذي لَحِقَ بالإسلام والمسلمين، ومَنْعَ التصادمِ بين الحضارةِ الإسلاميةِ والمسيحية، ولأجلها طالبوا بالاعتذار، فكان الاعتذارُ وسيلتَهم الوحيدة ـ تقريبًا ـ في تحصيلِ هذه المقاصد.

لكنْ أَلَمْ يكن ثَمَّةَ وسيلةٌ أخرىٰ لتحصيل هذه المقاصد؟!.

وبصورةٍ أخرىٰ: هل كانت وسيلةُ الاعتذار هي الوسيلةُ المثلىٰ، التي لا تَحمِلُ معها أيَّةَ آثارٍ سلبية؟.

في هذا التساؤل إثارةٌ لمسألةِ سلبيةِ الاعتذار، أو لِنَقلِ المُحتوىٰ الآخَرِ للاعتذار غيرَ ما ذُكر، فإن للاعتذار وجهًا آخَرَ غيرَ تلك التي ذُكِرَتْ في المقاصد، أُغفِلت، فلم يذكرْها إلاَّ القليل، وهي:

ـ أن علىٰ الطرفَينِ ألاَّ يبادرَا بأيِّ فعلٍ فيه نقدٌ وطعنٌ تُجاهَ الآخر، وهكذا يستطيعُ كلُّ طَرَفٍ أن يُحاجَّ الآخَرَ، إن هو بادَرَ بنَقدٍ أو طعن، بأنه

خَرَج عن القاعدةِ والأصل، وعليه أن يَعتذر.

وفي حالةِ تصريح البابا، فإن مطالَبته بالاعتذارِ يحتوي ضِمنًا التعهُّدَ بعدمِ الطعنِ والنقدِ في المسيحية، فلا يَنتقدُ المسلمون النصرانية، ولا يتكلمون في بطلانها، وتحريفِ كتابها، ومصادمتِها للمعقول.

مع أن هذا النقدَ أمرٌ من صميمِ دينِ الإسلام، وصميمِ الواجباتِ على المسلمين، لبيانِ الحق، والدعوةِ إليه، ودَحضِ الباطلِ المُبين، وعليه دَرَجَ العلماءُ حينما ألَّفوا في بطلانِ النصرانية، كابنِ حزمٍ، وابنِ تيمية، وابنِ القيم، ومِن المعاصرين: رحمت اللَّه الهندي، وأبو زهرة.

فهذا هو الأساسُ الذي بُنيت عليه فِكرةُ الاعتذار، سكوتُ كلِّ طرفٍ عن الآخر، من مبدأِ التساوي، وبه يمكنُ للمسيحيين أن يكفُّوا، وأن يطالِبوا المسلمين بالمِثل، لكنْ إذا كان نهجُ الإسلام هو الردَّ ونقضَ النصرانية، واتهامَها بمخالفةِ المعقولِ والمنقول، فإن ذلك يُضعِفُ موقفَ المطالبين بالاعتذار، فهل كان هؤلاء مُدرِكين لمثلِ هذه النتيجة؟ أم أنهم مُستعدُّون للكفِّ عن نَقدِ النصرانية؟.

إن كانوا غيرَ مُدرِكين، فعليهم أن يُدركوا.

وإن كانوا مُدرِكين، وهم مستعدُّون للكفِّ وعدمِ الخوض في بطلانِ النصرانية، فتلك هي الداهية!!.

ويُسأل عن سببها: هل هو إيمانٌ بفِكرةِ «وحدةِ الأديان»، أم شعورٌ بالضعف؟.

أما وحدةُ الأديان، فنُبرِّؤُهم منها، ونُعيذهم، لكنا ذكَّرنا بها؛ لأن موقفَهم يَنسجمُ تمامًا مع فكرةِ «وحدة الأديان»، التي تقومُ على اعتبارِ صحَّةِ

جميعِ الأديان، وتساويها، ومِن ثَمَّ فلا وجهَ لِنَقدٍ أو طعنٍ يُوجَّه تُجاهَ إحداها.

لكنه شعورٌ بالضعف - يبدُو - يَحملُ على السكوتِ أمامَ عدوٍّ نصرانيٍّ كبير، يَحملُ معه كلَّ أدواتِ التدمير، ويَتحكَّمُ في مصيرِ ملايينِ المسلمين، محاولةً للإبقاءِ على المسلمين، نظرًا إلى عدمِ تكافؤِ القُوى، وهذا هدفٌ نبيلٌ لا شك، غيرَ أن المتابعةَ للأحداثِ تدلُّ على أن هذه الطريقةَ غيرُ نافعةٍ في تحصيلِ الهدف، بل ضارَّةٌ، فإنَّ على أهلِ الحقِّ بيانَ الحق، وإنْ عُذِروا حينًا، فلا يُعذَرون كلَّ حينٍ في السكوت على الباطل.

ومُداراةُ المسيحيين ومحاباتُهم - طلبًا للسلامة وكفِّ شرورهم -، بهذه الطريقة لم تنجح، بل زادت شرَّهم، فمنذ عقودٍ وبعضُ المسلمين في محاولةٍ لِـمَدِّ جُسورِ التواصُلِ والتقارُبِ والحوارِ والتعايُشِ.. إلخ.. ولو بالسكوت عن نقدِ المسيحية، ودعوةِ المسيحيين للإسلام، لكنْ لم يَظهرْ في الأُفقِ المسيحيِّ سوى العُدوانِ الصريحِ، فهم الذين احتلُّوا: أفغانستان، والعراق، والشيشان، ودمَّروا البوسنة، وكوسوفا، ولبنان، وهم الداعِمون لإسرائيل، وقد عَبَّروا عن صليبيتهم في كلمة الرئيس الأمريكي «چورچ بوش الابن» الأخيرة: «إنها حربٌ صليبية»، وموقفُهم من الرسومات المسيئةِ للنبيِّ واضح، فدولٌ أوربيةٌ كثيرةٌ حَذَتْ حَذوَ الدنمارك، آخِرُها النرويج قبلَ أيام، أعادت نَشرَ الصور، ثم هذا البابا يخرجُ بمِثلِ هذه التصريحات، مع أن «الفاتيكان» هي الراعيةُ للحوار بين الحضارات!.

فكلُّ ما بَذَله هؤلاء المسلمون من الحوار، والتقارب، والتعايش، والذي حَمَلَهم على السكوتِ عن نَقدِ النصرانية، لم يُفِدْ بشيءٍ، بل زاد مِن

هَجمتهم ضدَّ الإسلام، وصَدَق ربُّنا إذ يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فهذا موقفٌ خاطئٌ مِن هذه المنظَّماتِ والشخصياتِ المطالبة بالاعتذار، خطأً واقعًا ـ كما تقدم ـ، وخطأً شرعًا، فإنَّ الشرعَ يأمرُ بقَولةِ الحق، والصَّدعِ بها، لا عَقْدِ تحالفاتٍ لغضِّ النظرِ عن فسادِ المعتقَدات، والسكوتِ عن بيان الحق، مهما كانت الدعاوىٰ، مِن ضَعفٍ أو عَجْزٍ، فإنه إذا نظرنا في تاريخِ الدعوة، فإن الدينَ كان ضعيفًا، ثم ما زال يَقْوَىٰ بالدعوةِ والبلاغ؛ ببيانِ محاسنِ الإسلام، ومساوئِ ما سواه ـ ومن ذلك النصرانية ـ، وعلىٰ هذا دَرَجَ القرآن.

فإذا ما اتُّخذ مبدأُ السكوت بداعي الضعف، فمتىٰ يُهدَىٰ الناسُ إلىٰ الإسلام، ومتىٰ يَنتشر ويَقْوَىٰ، وقد عُلم أن قُوَّته إنما تتحصَّلُ بالدعوةِ والبلاغ، التي تَزيدُ من أتباعِه المتمسِّكين به؟!.

إن الموقفَ الصحيحَ في الردِّ علىٰ البابا ـ وكلِّ تصريحٍ من هذا النوع هو:

الردُّ بالمثلِ، وفي التاريخِ والدينِ النصرانيِّ من النقاطِ السوداءِ الكبيرةِ ما لا تُعجِزُ ناقدًا ـ حتىٰ لو كان عاميًّا ـ ببيانِ فسادِ المُعتقَد النصرانيِّ، ومعارضتِه للعقل وللرحمة، وتأييد ذلك بالتاريخ المسيحي.

«فالتثليثُ» و«الصَّلبُ»، و«الفِداءُ»، و«العَشاءُ الرباني»، عقائدُ مسيحيةٌ معارِضةٌ للعقل، كانت سببًا في رِدَّة طائفةٍ من النصارىٰ، ورفضها للمسيحية.

وتاريخُ الحروب الصليبية شاهدٌ علىٰ دَمَويةِ وعنفِ وإرهابِ

المسيحيين، منذ أيامِ الحاكم الروماني «قسطنطين»، و«نيرون»، واضطهاد الكاثوليك ـ حِزب البابا ـ للأرثوذكس في مصرَ وغيرها، والآريوسيين. . وما حَدَث في حقِّهم من مجازِرَ أمرٌ لا يخفى.

ـ كما أن محاكمَ التفتيش في أسبانيا ـ والتي قُتل فيها مئاتُ الآلافِ من المسلمين على الهُويَّةِ الإسلاميةِ، تَركت نَدبةً سوداءَ في تاريخِ أوربا المسيحية.

ـ ومِثلُها ما حَدَث من تطهيرٍ عِرقيٍّ في البوسنة، وتحديدًا في «سربرنتشا»، تحتَ سَمعٍ وبصرٍ ـ بل وعَون ـ «النيتو»، و«الأمم المتحدة»، و«دول أوربا»، و«أمريكا»، سُفك الدمُ الحرامُ لما يَزيدُ عن ثمانيةِ آلافِ مسلم، قُتلوا بدمٍ بارد، ودُفنوا في مقابرَ جماعية، هذا عَدَا إجرام أمريكا الصليبيةِ في أفغانستان، والعراق، حيث قُتل مئات الآلاف.

فبعدَ كلِّ هذا، ألاَّ يستحي البابا من اتهامِ المسلمين بالعنفِ واللاعقلانية؟!.

وألم يَجِدِ الذين غَضِبوا من تصريحِهِ حلاًّ لردِّ الاعتبار سوى المطالبةِ بالاعتذار؟!.

إن صفحةَ المسيحيين سوداءُ مُخزيةٌ مليئةٌ بالإجرام، كان يكفي هؤلاءِ المُخلِصين أن يُسلِّطوا الضوءَ على إحداها، بدلَ المطالبةِ بالاعتذار، الاعتذارُ يُعطيه قيمة، ويُرسِّخُ مفهومَ التساوي والسكوتِ عن بيانِ الحق فيهم، وهذه هي الداهية.

كان عليهم بعدَه التعريجُ على محاسنِ الإسلام، وصنائعِه المباركةِ في

العالم وتاريخه أجمعَ، حتىٰ شَهِد بعَدلِه وبِرِّهِ وإحسانِه وقِسطِه المنصفون من أتباعِ الديانات، من كاثوليك، وأرثوذكس.

إنها لفرصةٌ تاريخيةٌ لإحياءِ الدعوةِ إلىٰ الإسلام من جديد في العالَم كلِّه، وفضحِ الدينِ المسيحيِّ في عقيدته وتاريخِه كان من الواجب استغلالُها؛ بنشرِ المؤلَّفات الميسَّرة للذكر والفهم، بكافةِ اللغات، وبالبرامج والمحاضرات والندوات الفضائية المكثَّفة، علىٰ نِطاقٍ شاملٍ وواسع؛ لتكونَ تصريحاتُ البابا أداةَ وصولِها إلىٰ الأسماع في الأصقاع.

لكنْ وبدلاً من ذلك، اتَّجه الحلُّ إلىٰ المطالَبة بالاعتذار، واستَنفدَ هؤلاء المُخلِصون جَهدَهم ورأيَهم وكَلِمَتَهم فيه، مع تمنُّعٍ وتمتُّعٍ نصرانيٍّ بهذا الإلحاح، ثم لم يَخرجوا من البابا بشيءٍ يُذكر، ففي كلِّ مرةٍ يخرجُ فيها، يُربِّتُ علىٰ أكتافِ الغاضبين، يُهدِّئُ من رَوعهم، ويقولُ لهم كمُعلِّم: «هذه الحقيقة، فاسمعوها، ولو غضبتم.. فنحن نعمل علىٰ ترشيدكم وترقيتِكم إلىٰ ما هو أسمىٰ»!!.

هذا هو معنىٰ أَسَفِه من سُوءِ فَهمِ المسلمين كلامَه، وعدمِ اعتذاره.

لدينا خللٌ في التعاطِي مع المخالِفين، بين مَن لا يَرىٰ إلاَّ السيفَ معهم حلاًّ وحيدًا، وبين مَن لا يَرىٰ سوىٰ التقاربِ والكفِّ حتىٰ عن بيانِ الحق فيهم، تحت ذرائعَ شتىٰ.

لكن أين مَن يقولُ لهم: نحن لا نتعدَّىٰ عليكم، لكنَّ دينَكم باطل.. نحن لا نَظلِمُكم، لكنكم ضالُّون.. نحن نحبُّ لكم الخيرَ، فتعالَوا إلىٰ الإسلام.. أنتم في شقاءٍ، فتعالَوا إلىٰ الراحةِ والنعيم.. أنتم في ضِيقٍ

وظُلمة . . فتعالَوا إلىٰ السَّعَةِ والنور؟! وصدَق اللَّه تعالىٰ إذا يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]». اهـ.

* وقفاتٌ مع اقتباساتِ بنديكت:

□ قال مهران ماهر عثمان نوري: «الحمدُ للَّه رب العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ خيرِ المرسَلين وخاتمِ النبيين، وعلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ أجمعين، أمَّا بعد:

فإن أُمةَ الإسلام لم تَنْسَ الجريمةَ النكراءَ التي وَقعت فيها الدنمارك، حتىٰ فُوجئت بإساءةِ ألمانيةٍ جديدةٍ لنبيِّنا ﷺ ولدينِ الإسلام.

فقد قام أكبرُ رَمزٍ دينيٍّ كاثوليكيٍّ - وهو البابا الكاثوليكي «بنديكت السادس عشر» - بإلقاءِ محاضرةٍ يومَ الثلاثاء التاسعَ عَشَرَ من شعبان ١٤٢٧ بعنوان «العقل والإيمان». . حيث لا عَقلَ ولا إيمان!.

□ لا عَقلَ لما يلي:

١ـ يعتقدون أنَّ الإلهَ يمكنُه أن يُولَدَ كما يولَدُ البشرُ من فَرْجِ المرأة!.

٢ـ يقولون: «إن الأصغرَ يحوي الأكبر»، فعندهم أنَّ رَحِمَ مريمَ - وهي ناسوت - احتوىٰ علىٰ عيسىٰ عليه السلام - وهو لاهوت -.

٣ـ يعتقدون أنَّ أعداءَ عيسىٰ عليه السلام صَلَبوه وأبُوه لم يفعلْ شيئًا.

٤ـ عندهم أنَّ عيسىٰ صُلب حتىٰ يُخلِّصَ اللَّهُ الناسَ من الخطيئة.

باللَّهِ عليكم لو أنَّ لوالدٍ ولدَيْنِ أذنَبَ أحدُهما فعاقب الأبُ الآخرَ، ما تقولون في هذا الوالد!!.

٥ـ لو سلَّمنا بأنَّ عيسىٰ عليه السلام صُلب - ولا نُسلِّم - لكان الأجدرُ أنْ

يُمتَهَنَ الصليبُ - رمزُ صَلبِ إلههم - لا أنْ يُكرَمَ ويُوضَعَ على الصدور.

٦- يعقلون أنَّ إلهًا يُطارَدُ ويُصلَبُ ولا يَقدِرُ على دَفعِ السوء عن نفسه.

□ وأمَّا لا إيمان، لأنه كافرٌ بعيسى عليه السلام، فنحن نعتقدُ أنَّ مَن كَفَرَ برسولٍ واحدٍ، فقد كَفَر بكلِّ المرسلين.

جاء في هذه المحاضرة اقتباساتٌ اقتبسها من حوارٍ بين إمبراطورٍ بيزنطيٍّ وزعيمٍ فارسيٍّ في القرنِ الرابعَ عَشَرَ عندما حاصر المسلمون القسطنطينية، وأقِفُ مع اقتباسين:

الأول: قولُ البيزنطي للفارسي: «أرِني الجديدَ الذي جاء به محمد، سوف لن تَجِدَ إلاَّ الشرَّ واللا إنسانية».

الثاني: فكرةُ الجهاد تخالفُ إرادةَ اللَّه.

وكلُّ من اقتبس كلامًا وسلَّم به، فله حكمُ قائله.

ولي حيالَ هذا الكلام وقفاتٌ، وسؤالٌ، وتنبيهٌ.

أما الوقفات:

١- أما الجديدُ الذي أقرَّ البابا أنَّه لا يُوجدُ فيما جاء به محمدٌ ﷺ، فهذا يدلُّ على جهلٍ مُطبَقٍ بسيرةِ هذا النبيِّ العظيم، وأُذَكِّرُه بجديدٍ واحدٍ فقط.. لقد بُعث النبيُّ ﷺ في قومٍ كانت الحروبُ تَنشَبُ بينهم لأتفهِ الأسباب، كان القريبُ يقتلُ قريبَه على مَوردِ الشاة، فلما بُعث النبيُّ ﷺ - اسمع إلى الجديدِ يا أيها البابا - لَمَّا بُعث كان حالُهم كما قال أنس بنُ مَالِك«: قدم عبدالرحمن ابن عوفٍ، فآخَى النبيُّ ﷺ بينهُ وبين سعدِ بن الربيعِ الأنصاري، وعند الأنصاريِّ امرأتَان، فعَرَضَ عليه أن يُنَاصِفَهُ أهلَه ومالَه، فقال: بَارِكَ اللَّهُ

لك في أهلِكَ ومَالِكَ، دُلُّونِي علىٰ السُّوق».

إلىٰ هذا الحدِّ آتت الأُخُوَّةُ الإيمانيةُ التي غَرَس بِذرتَها نبيُّنا ﷺ في نفوسهم ثمارَها.

٢ـ وأما الشرُّ، فأي شرٍّ يُنسب إلىٰ النبيِّ ﷺ؟ أيُّ شرٍّ يُنسَبُ إلىٰ نبيٍّ ضَمِنَ اللَّهُ له إجابةَ دعوةٍ، وكان بالإمكان أن يَخُصَّ بها نفسه، أو يدعو بها للمؤمنين ويُشركَ نفسه معهم.. ولكنه رسولُ اللَّه، الرحمةُ المهداة.. عيسىٰ عليه السلام تَعجَّل دعوته، وجميعُ الأنبياء تعجَّلوها، إلاَّ رسولَنا ﷺ، تأمَّل ماذا قال.. قال: «**لكلِّ نَبيٍّ دَعْوَةٌ مُستَجَابَةٌ، فتَعَجَّلَ كلُّ نَبيٍّ دَعْوَتَهُ، وإني اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شفَاعَةً لأمَّتي يَوْمَ القيامَةِ، فهيَ نَائلةٌ ـ إنْ شاء اللَّهُ ـ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّه شيئًا**»(١).

وإذا رَحِمْتَ فأنتَ أمٌّ أو أبٌ ... هذانِ في الدنيا هُما الرُّحَماءُ

٣ـ وأمَّا قوله: «واللا إنسانية»، فأكتفي بإيرادِ حديثٍ واحدٍ لا علاقةَ له بالإنسانية! ولكنه يَدحضُ فِريةَ اللاإنسانية هذه!!: عَن نافعٍ عن عبداللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**عُذِّبَت امْرَأَةٌ في هرَّةٍ سَجَنَتهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فيهَا النَّارَ، لا هي أطعَمَتْها وسَقَتْهَا إذ حَبَسَتْها، ولا هِي تَرَكَتهَا تأكُلُ مِنْ خَشَاش الأَرضِ**».

هذا في هِرَّةٍ.. فما بالُك بمَن يدخلون في إطار «الإنسانية»!!.

لقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ مَن قَتل كافراً معاهَداً، فلا يمكنُ أن يَدخلَ الجنَّة، أمَا عَلِم المسكينُ المقتبِسُ بهذا الكلام.

(١) رواه البخاري ومسلم.

٤ـ وأمَّا اقتباسُه الثاني الذي أقره «فكرة الجهاد تخالِفُ إرادة اللَّه» . . فأقول: نعم يا «بيندكت»، ما فَعَله الصِّربُ في البوسنة يوافقُ إرداةَ اللَّه؟ اغتصابُ الروس لأخواتنا في الشيشان يوافقُ إرادةَ اللَّه؟ غزوُ أمريكا للعراق وجرائمُها في «أبي غريب» يوافق إرادة اللَّه؟ قتلُهم للمدنيِّين في أفغانستان يوافق إرادة اللَّه؟ أمَّا أن ندافعَ عن أنفسِنا، وندحرَ عدوَّنا فهذا أمرٌ يخالفُ إرادةَ اللَّه، ثم تُحدِّثُنا عن العقل يا . . يا بابا.

سؤال أطرحُه على «الحَبْر الأعظم»!! أوَ مَا قرأتَ ما قاله «رودي بارد»، الذي ينتمي إلى طائفتِك وبلدك، فهو ألمانيٌّ كاثوليكي، يقول: «كان من بين مُمثِّلي حركةِ التنوير مَن رأوا في النبيِّ العربي أدلَّةَ اللَّه، ومُشرِّعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمةِ الدين» [«الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية» (ص١٥)]. هذا قولُ عُقلائكم في بلادِكم من طائفتكم في عدوِّكم.

◻ وأختمُ بعزاءٍ فيه تسليةٌ لمحبِّي رسول اللَّه ﷺ: كلمةٌ مشرقةٌ تُكتبُ بماءِ العَين على جِدارِ القلبِ، سطَّرها التاريخ للإمام السَّعدي، قال ـ رحمه اللَّه ـ: «قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: بك وبما جئت به، وهذا وَعدٌ من اللَّهِ لرسوله أنْ لا يضرَّه المستهزئون، وأن يَكفيَه اللَّهُ إياهم بما شاء من أنواعِ العقوبة، وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهَرَ أحدٌ بالاستهزاءِ برسولِ اللَّه ﷺ وبما جاء به، إلاَّ أهلكه اللَّه وقَتَله شرَّ قِتلة»[1] .

* ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ .

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٣٥).

﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

◻ الحمدُ للَّه، والصلاة والسلامُ على رسول اللَّه محمد، وعلى آله وصحابته ومن والاه، أما بعد:

فإن كتابَ اللَّه ـ تعالى ـ فيه خَبَرُ ما قبلنا، ونَبَأُ ما بَعدَنا، هو الجِدُّ ليس بالهَزْل، مَن أنزله مِن نفسه هذه المَنزلةَ نَفَعه اللَّهُ بما فيه، وسَعِد به في الدنيا والآخرة، وعَرَف صديقَه من عدوِّه، وتمكَّن من إفسادِ مُخطَّطات» الأعداءِ بمجردِ متابعتِه، حتى ولو لم يَعلمْ بهذه المخطَّطات، وقد أظهر اللَّهُ ـ تعالى ـ في كتابِه كثيراً مما يريدُه بنا أعداؤُنا من أهلِ الكتاب، حتى لقد بَدَتِ البغضاءُ من أفواههم، لكنْ رغمَ كثرةِ هذه الظاهرة؛ فما تُخفي صدورهم أكبر.

* قال اللَّه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ثم يُعقِّبُ القرآنُ على تلك الحقيقةِ الثابتةِ في عَداوةِ أهلِ الكتاب للمسلمين: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فتبيَّن أن الذين يَتبيَّنُ لهم عداوةُ الكفارِ للمسلمين هم الذين يَعقِلون، وأنَّ مَن غابت عنهم هذه الحقيقةُ فهم من ناقِصِي العقل.

◻ يقول ابنُ كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي: قد لاح على صَفَحاتِ وجوههم، وفَلَتاتِ ألسنتِهم من العداوة، مع ما هم مُشتمِلون عليه في صدورِهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مِثلُه على لبيبٍ

عاقل؛ لهذا قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]»[1].

□ وقال القرطبي: «قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، إخبارٌ وإعلامٌ بأنهم يُبطِنون من البغضاءِ أكثرَ ممَّا يُظهِرون بأفواههم».

وقد ظَهرت في هذه الأيام مِن بعضِ المسلمين اتجاهاتٌ تحاولُ تبرئةَ الكفارِ أعداءِ اللَّه ورسولِه من كلِّ هذه الأمور التي أثبتها القرآنُ لهم، فزَعَموا أن هذه الأحكامَ كانت في أولِ الأمرِ حين كانت العلاقةُ بين الإسلامِ وبين مخالِفيه متوتِّرةً، ولكنْ بعدَ استقرارِ الأوضاع عادت العلاقاتُ بين المسلمين وبين مخالفيهم من أهلِ الكتاب إلىٰ مَجراها الطبيعيِّ من حيثُ التعاونِ من خلال التعدُّدية التي هم عليها، فكانت هذه الاختلافاتُ مَدعاةً للتعاون والتكامُل، وليس التناحرَ والتطاحن.

فها هم يَقفِزون علىٰ كلِّ النصوصِ الشرعيةِ وكلِّ حقائقِ التاريخ، في سبيلِ ترويجِ هذه الفِرية، لكنَّ اللَّهَ ـ تعالىٰ ـ يأبىٰ إلا أن يكشفَ خَطَلَهم وخَلَلَهم من خلالِ الوقائعِ التي لا يُماري في دلالتها إلاَّ الذين لا يَعقِلون.

* فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فاللَّه ـ تعالىٰ ـ يُري الناسَ مِن الدلالاتِ والعلاماتِ التي يتبيَّنُ بها أن ما أخبَرَ به ـ سبحانه ـ حقٌّ وصدقٌ لا يَتخلَّف؛ لأنَّه كلامُ مَنْ هو بكلِّ شيءٍ عليم.

(١) «تفسير ابن كثير».

◘ قال ابنُ كثير - رحمه اللَّه تعالىٰ -: «﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، أي: سنُظهِرُ لهم دلالاتِنا وحُجَجَنا على كونِ القرآن حقًّا منزَّلاً من عند اللَّه - عز وجل - على رسولِه ﷺ بدلائلَ خارجيةٍ ﴿فِي الآفَاقِ﴾ من الفتوحاتِ وظهورِ الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان»(١).

◘ وقد تواتر من العلاماتِ والدلالاتِ على مَدارِ التاريخ ما يُبيِّنُ أنَّ ما أخبَرَ اللَّهُ - تعالىٰ - به في هذه القضيةِ هو الحق؛ فهناك الحمْلاتُ الصليبيةُ التي استمرَّت قرنَين من الزمان، حاول فيها أهلُ الكتاب النَّيلَ من الإسلام؛ لكنها - بفضلِ اللَّه - اندَحَرت بعد طُولِ مواجهات، ثم جاءت فترةُ الاحتلالِ العسكريِّ تحت مسمَّىٰ «الاستعمار»، والتي ظَلَّت ما يَقرُبُ من قرنَينِ من الزمان، ولم تتوقفْ في تلك الفترة الحَمْلاتُ التنصريةُ على المسلمين، حتىٰ إن جَهْدَهم في تنصيرِ المسلمين وإخراجِهم من دينِهم أكبرُ من جَهدِهم في دعوةِ الوثنيِّين إلىٰ دينهم، ومع دخولِ التقنيات الحديثةِ في وسائلِ الاتصالِ لم تنقطعْ حَملاتُهم من خلالِ الطعنِ في الإسلام وفي رسولِ اللَّه ﷺ؛ فها هي القنواتُ التنصريةُ الموجَّهةُ إلى المُستمعِ المسلم، ثم ها هي عملياتُ الغزوِ والاحتلالِ لبلادِ المسلمين، التي لم يَخْجَلْ مَن يقومُ بها بتسميتها باسمِها الصريح وهو «الحرب الصليبية» - وإن كان هناك مِن بَني جِلْدَتِنا مَن يحاولُ أن يُخرجَ تلك الألفاظَ عن ظاهرها -، ثم ها هي الحملاتُ الإعلاميةُ للقَدحِ في رسولِ اللَّه ﷺ؛ وما خَبَرُ الصورِ القبيحةِ التي رسمتها الصحيفةُ الدانماركيةُ لرسولِ اللَّه ﷺ خيرِ الورىٰ، ثم تَبِعَتْها فيه كثيرٌ من صُحف

---

(١) المصدر السابق.

النصارىٰ في سباقٍ محموم، حتىٰ وَصَل الأمرُ أن يَخرُجَ زعيمُ النصارىٰ وكبيرُهم ورأسُ المشركين وعابدي الأوثانِ ليُعلِنَ ويُصرِّحَ بالقَدحِ في الإسلام وفي رسول اللَّه ﷺ.

والمسلمون في مشارقِ الأرض ومغاربِها يؤمنون برسولِ اللَّه ﷺ وأن ما جاء به هو الحقُّ، وأن هذه الأقوالَ الفاسدةَ التي يتقيَّؤُها كبيرُ النصارىٰ ـ ومَن هم علىٰ شاكلته ـ لن تؤثِّرَ في يقينهم وإيمانهم، وهم لا يحتاجون بعدُ حتىٰ إلىٰ جوابٍ عن تلك الشبهات.

والإسلام لم يَنتشرْ بين الناس بحدِّ السيف ـ كما يُروِّجُ لذلك مَن يُروِّجُ له ـ، وإنما انتَشر بين الناس لِمَا حواه من الحقِّ الذي لا تَملكُ معه النفوسُ السويةُ والقلوبُ السليمةُ إلاَّ التسليمَ والإذعانَ والقبولَ به عن رضًا واختيار، وإلاَّ فلْيقُلْ لنا هؤلاء: كيف آمَن أبو بكر رضي الله عنه وغيرُه من سادات المسلمين؟ بل لِيَقُلْ لنا هؤلاء: كيف آمنَ النجاشيُّ مَلِكُ الحبشةِ في زمنِ البعثة، قَبلَ أن يُفرَضَ الجهادُ وهو في بُقعةٍ بعيدةٍ من الأرض لا تنالُه فيها جيوشُ المسلمين ولا سيوفُهم؟ بل كيف آمَنَ عبدُاللَّه بنُ سلام الحَبرُ اليهوديُّ مع مَقْدَمِ رسولِ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينةِ بمجردِ رؤيتهِ ومعرفتهِ بالعلاماتِ التي دَلَّ عليها كتابُهم، وغيرُ هؤلاء من كبارِ القومِ الذين دَفَعهم ما في الإسلامِ من براهينَ قطعيَّةٍ علىٰ صِدقِ الرسول ﷺ وعلىٰ صوابِ ما جاء به إلىٰ الإيمانِ به والدعوةِ إليه، وليكونوا من جُنوده الأوفياء؟.

إن الإسلامَ لم تكن منه حربٌ واحدةٌ من أجل استعبادِ الناسِ وسَرِقَةِ خيراتهم واحتلالِ بلادهم، وإنما كان الجهادُ فيه من أجلِ إعلاءِ كلمةِ اللَّه

تعالىٰ ولإخراجِ الناسِ من ظُلمةِ الجهالةِ إلىٰ نورِ الحقِّ واليقين، وقد تَجشَّمَ المسلمون في سبيلِ هدايةِ الناسِ وإخراجِهم من الظلماتِ إلىٰ النورِ الكثيرَ من الصِّعاب؛ فما أحسَنَ أثَرَهم علىٰ الناس، وأقبَحَ أثرَ الناس عليهم!.

إن جيوشَ المسلمين ـ التي كانت تَخرجُ في سبيلِ اللَّه ـ كانت تخرجُ لإخراجِ العِبادِ من عِبادةِ العبادِ إلىٰ عِبادةِ ربِّ العباد، ومن جَورِ الأنظمةِ القائمةِ إلىٰ عَدلِ الإسلام؛ فلم تؤمنْ بلدةٌ أومَحِلَّةٌ وكانت من المسلمين إلاَّ كان لها ما للمسلمين، وعليها ما علىٰ المسلمين دون أدنىٰ فرقٍ، بل كان المسلمون يولُّون علىٰ أهلِ الأرض المفتوحة أمراءَهم الذين كانوا عليهم قبلَ دخولِ الإسلام، فلم يكن جهادُ المسلمين لاستعبادِ الناسِ، أو العلوِّ بالباطل عليهم، أو سرقةِ خيَراتِ بلادهم.

◻ أخرج البخاري في «صحيحه» أن مَيْمُونَ بن سِيَاه سأل أنس بن مالكٍ قال: «يا أبا حمزةَ، ما يُحرِّمُ دم العبدِ ومالَه؟ فقال: من شَهِد أن لا إله إلاَّ اللَّهُ، واستقبَلَ قِبلَتَنَا، وصلَّىٰ صلاتَنَا، وأكلَ ذَبِيحتَنَا فهو المسلمُ، له ما للمُسلمِ، وعليهِ ما علىٰ المُسلمِ».

لِيَقُلْ لنا كبيرُ النصارىٰ ـ ومَن سار علىٰ طريقه ـ: أيُّ معركةٍ قام بها أتباعُه من أجلِ إقامةِ حقٍّ أو دفعِ باطل؟ ولْيَقُلْ لنا: ما المُسوِّغُ الذي استباحت فيه النصرانيةُ قَتلَ مئاتِ الآلاف من اليابانيين بالأسلحةِ التي يَسْعَون لحرمانِ مُخالِفيهم منها؟ وما المُسوِّغُ الذي استباحت به النصرانيةُ قَتلَ الهنودِ الحُمْرِ أصحابِ البلادِ الأصليين والاستيلاءِ علىٰ بلادِهم وديارِهم وأراضيهم وسَلْخِهم كما تُسلَخُ الشاةُ وهم أحياءٌ؟ بل ما المُسوِّغُ الذي استَباحت به النصرانيةُ طَرْدَ شَعبِ فِلسطينَ من أرضِه وإعطاءَ دُورهم

وبلادِهم لليهود ومعاونتَهم بكلِّ سبيلٍ على التمكُّنِ من الأرضِ المسروقة، حتى يَندُرَ أن يمرَّ يومٌ لا يَقتلُ اليهودُ فيه فلسطينيًا أو جماعةً من الفلسطينين؟ بل ما المُسوِّغُ الذي استباحت به النصرانيةُ الهجومَ على البلاد الأفريقيةِ واختطافَ أهلِها منها وجَلْبَهم إلى بلادِ النصارى وبَيْعَهم في أسواق النِّخاسة كما تُباعُ الماشيةُ ليكونوا لهم عبيدًا؟ .

والإسلامُ كان وما زال دعوةً إلى الخيرِ والبُعدِ عن الشر .

□ يقول الرسول ﷺ ـ فيما يتكلَّمُ به عن اللَّه تعالى ـ: «والشرُّ ليس إليك»، فأقوالُ ربِّنا وأفعالُه وما شَرَعه للناس ليس فيه شرٌّ، بل فيه الخيرُ كلُّ الخير، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون .

لكن لِيَقُلْ لنا كبيرُ النصارى المُشرِكُ عابِدُ الأوثان: هل هناك شرٌّ أكثرُ مِن عقيدةٍ تزعمُ أن اللَّهَ ـ تعالى عما يقولون ـ قَتَل ابنَه لِيُخلِّصَ الناسَ من الخطيئة؟ فأيُّ رحمةٍ أو خيرٍ فيمن يَقتُلُ ابنَه لِيُخلِّصَ غيرَه من الخطايا والذنوب والآثام؟ وإذا كان إلهُهم عندهم على كلِّ شيءٍ قديرًا؛ فما الذي أحوَجَه إلى التضحيةِ بابنه لتكفير الخطايا؟ ألاَ يَستطيعُ ربُّهم وإلهُهم أن يُكفِّرَ خطاياهم بغيرِ هذا الطريقِ الدَّمَويِّ الذي يدلُّ على أن دينَ هؤلاء قائمٌ على سَفكِ الدماءِ بالذرائعِ الكاذبة، وهو ما يُثبِتُه الواقعُ في تعامُلِهم مع مخالفيهم حتى مِن بني مِلَّتِهم؟ .

لكننا نعودُ ونقول: ما الذي جرَّأ هذا المُشرِكَ الضالَّ عابدَ الأوثانِ على إظهارِ الطعنِ في دين الإسلام ورسولِ ربِّ العالمين؟ .

قد لا يكونُ مستغربًا أن يَكفُرَ أهلُ الكتابِ بالإسلام رَغمَ ما في كُتبهم من البِشارةِ برسولِ اللَّه ﷺ ، قد لا يكونُ مستغربًا أن لا يُحبَّ أهلُ الكتابِ

رسولَ اللَّه ﷺ . . قد لا يكون مستغربًا أنْ يكرَهَ أهلُ الكتابِ دينَ الإسلام، وأن يَحقِدوا علىٰ رسول اللَّه ﷺ الذي أبان شِركَهم وضلالَهم وانغماسَهم في ظُلماتِ الجهل، والذي أخرج بالحقِّ الأبلجِ ـ الذي جاء به مِن ربِّه ـ كثيراً من النصارىٰ من دياناتِهم الباطلةِ إلىٰ دينِ الحق، والذي أزال مُلْكَهم عن كثيرٍ من البِلدان والمَمَالِكِ التي تَسلَّطوا عليها ظُلمًا وقَهْرًا، والذي ما زال حتىٰ الآن ـ رغمَ ضَعفِ أتباعه ـ يُخرِجُ كثيراً من نوابغِ العلماءِ منهم ومِن غيرِهم بالحقِّ الذي احتَواه ـ يُخرِجُهم مِن كُفرِهم وضلالِهم إلىٰ توحيدِ اللَّهِ ـ عز وجل ـ ونَفيِ الشريكِ والصاحبةِ والولدِ، الذي تُثبتُه ديانةُ النصارىٰ.

لكن لماذا تجرَّأ كبيرُ المشركين في العالَم ورأسُ عابدي الأوثان علىٰ إظهارِ ما بداخلهم من الحقدِ والغَيظِ والكُرهِ للإسلام، وكانوا من قبلُ يُخفُون كثيراً منه؟.

إنَّ ما حَدَث لم يكن زَلَّةَ لِسانٍ أو سُوءَ فهم، وإنما هو عن عَمدٍ وإصرار، والذي نراه اليومَ ما هو إلاَّ جُزءٌ من حَربٍ يَشُنُّها النصارىٰ في العالَمِ علىٰ الإسلام، يُشاركُ فيها السياسيون والفنانون والإعلاميون والقساوسةُ والرهبان.

ولسنا في حاجةٍ إلىٰ التذكير بأن أهلَ العهدِ إذا كان لهم عهدٌ عند المسلمين فإن عَهدهم يُنتقضُ بإظهارِ الطعنِ في دين الإسلام، ولسنا في حاجةٍ إلىٰ الردِّ علىٰ سخافاتِ هذا الجاهلِ الكبير؛ فإنَّ كلماتِه أحقرُ من أن يتكلَّفَ المسلمُ الردَّ عليها، بل هو من أوائلِ مَن يَعلمُ كَذِبَها وبُطلانَها.

فهل أظهَرَ كبيرُ المشركين في العالَم هذا الطعن؛ لأنه رأىٰ أن حُكَّامَ المسلمين لا يَشْغَلُهم غيرُ الحِفاظِ علىٰ كراسيِّهم، وأنهم حريصون بكلِّ سبيلٍ

علىٰ التقرُّبِ من كبيرِ رُعاةِ البقر، وإظهارِ المودَّةِ له، وعدمِ إغضابه ـ ولو علىٰ حساب دينِهم وأوطانِهم وشعوبِهم ـ؟

هل أظهرَ ذلك لأنه رأىٰ مِن كثيرٍ مِن علماءِ الدين التهالُكَ علىٰ حُطامِ الدنيا ومتابعة ـ السياسيين في بلادِهم وتسويغَ كلِّ تصرُّفاتهم؟

وهل أظهَرَ ذلك؛ لأنه رأىٰ ضَعْفَ الشعوبِ وعَدَمَ قُدرتِها علىٰ الاستمرارِ في عملٍ يُهدِّدُ النصارىٰ أو يُضيِّقُ عليهم؟ فهذه المقاطعاتُ الشعبيةُ لا تَلبثُ أن يَخْمَدَ لَهيبُها بالالتفافِ عليها من قِبَلِ بعضِ الناسِ، حتىٰ تُصبحَ المقاطعاتُ غيرَ ذاتِ جدوىٰ.

وهل أظهر ذلك لأنهم عَلِموا أن القوةَ الماديةَ التي تَحسِمُ كثيراً من نتائجِ الحروب صاروا هم صُنَّاعَها والمالكين لتقنِيَتِها، وأن المسلمين ليس عندهم من وسائِلها إلا ما يشترونه من دُولِ الكفر، وأن الأسلحةَ التي تشتريها دولُ المسلمين ليست للدفاعِ عن العقيدة، وإنما للدفاع عن كراسيِّ الحكم المهزوزةِ في كثيرٍ من البلدان؟.

إذا كان السببُ هو أحدَ هذه الأسبابِ المتقدمةِ أو كلَّها مجتمعةً، أو غيرَ ذلك من الأسباب، فإننا ـ بمجموعِ الأمة ـ مدعوُّون بكلِّ قوةٍ إلىٰ الثبات علىٰ دينِنا والمحافظةِ عليه والردِّ علىٰ الطاعنين فيه، وتأديبِهمُ التأديبَ اللائقَ المُوجعَ الذي يَعلمون به أنَ الطعنَ في الإسلام ليس مجردَ نزهةٍ فكرية.

إنَّ طَلَبَ الاعتذارِ ممن يَسُبُّ دينَنا ورسولَنا ﷺ في ظِلِّ ضَعفِنا وتخاذُلِنا عن نُصرةِ دينِنا، لا يَعدُو أن يكونَ مُجردَ استعطافٍ لهم، وهل يكفي في هذا اعتذارٌ حتىٰ لو فعلوه؟ إنَّ مَن لا يَملِكُ القدرةَ علىٰ العقاب، فكيف يَعتذرُ له اللئامُ عن خطيئاتهم؟.

فهل يَعي المسلمون الدرسَ، ويَعرِفون حقيقةَ أعدائهم، أم لا يزالُ كثيرٌ منهم يَسبحُ في أوهامِ حواراتِ الأديانِ والتحالفِ من أجلِ مقاومةِ اللادينية؟ .

نريدُ اليومَ مشروعًا عَمَليًّا قابلاً للتنفيذِ والبقاءِ والتأثير، وليس مجردَ هبَّةٍ أو غَضْبَةٍ بحَسَبِ الظروفِ والأحوال، ولا مَندوحةَ عن الوصولِ إلىٰ ذلك المشروع، فهل نتداعىٰ جميعًا من أجلِ أن يرىٰ هذا المشروعُ النورَ، وأن ننصرَ دينَنَا وكتابَنا فنعملَ به ونحكِّمَ شريعتَنا في الدقيقِ والجليل، ونؤدِّبَ كلَّ مَن تُسوِّلُ له نفسُه الضالَّةُ المنحرفةُ عن سبيل الهدىٰ أن يقتربَ من حياض الإسلام؟ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠][(١)] .

* انتشارُ النصرانية بالسَّيف :

◘ قال الأستاذ الدكتور «جعفر شيخ إدريس» في مقاله بمجلة «البيان» عدد (٢٣٠): «نقل البابا عن الإمبراطور البيزنطيِّ كلمتَه الفاجرةَ التي قال فيها لمن زَعَم أنه مُحاوِرُه: «دُلَّني علىٰ شيءٍ جاء به محمدٌ كان جديدًا، ولن تجدَ إلا أشياءَ شريرةً وغيرَ إنسانية، مثلَ أمرِه بأن تُنشرَ العقيدةُ التي جاء بها بالسيف، إن اللَّهَ لا تَسُرُّه الدماءُ، ولا تَسُرُّه التصرفاتُ غيرُ العقلية» .

فقلتْ سبحان اللَّه! رَمَتْني بدائها وانسلَّت، وهل عَهِدَ الناسُ أهلَ دينٍ هم أبعدُ عن العقلانية وأكثرُ ولوغًا في الدماء وفي ظُلمِ العِباد من المنتسبين إلىٰ ما يُسمُّونه بالمسيحية؟! .

رَدَدْتُ علىٰ السخافات التي جاءت في محاضرة البابا كما ردَّ عليها

---

(١) مجلة البيان ـ العدد (٢٣٠ ص٦ ـ ٨).

كثيرون غيري من المسلمين وغيرِ المسلمين[1] ، وبينَّا أن الحروبَ التي خاضها المسلمون كانت حروبًا ضدَّ الظلم، الظلمِ بكلِّ أنواعه، ظُلمِ المعتدين علىٰ المسلمين، وظلمِ الصادِّين الناسَ عن الدين، وظُلمِ الناقِضين لعهودٍ أبرموها مع المسلمين، ولم تكن أبدًا لإدخالِ الإيمانِ كُرهًا في قلبِ أحدٍ من العالمين.

وبينَّا أنهم لم يحاولوا ذلك؛ لأنهم عَلِموا مِن دينهم أن الإيمانَ مسألةٌ قلبية، وأنه لا مخلوقَ له سلطانٌ علىٰ قلوب العباد.

لكننا في هذا المقال نودُّ أن نقولَ للبابا: إنه كان يَجدُرُ به أن يتكلمَ عن العنف الذي استَعمله قومُه الغربيون علىٰ مرِّ الزمانِ لإكراه الناس علىٰ قبولِ دينهم وثقافتهم، ولا نريدُ أن نفعلَ كما فَعَل هو حين استَشهد علىٰ افترائه بشهادةِ رجلٍ من بني دِينه عدوٍّ حاقدٍ مغلوب، لن نستشهدَ علىٰ زَعمنا بشهادةِ رجالٍ مسلمين، وإنما سنُشهِد عليه شهداءَ من غيرِ المسلمين، فنقول:

أولاً: هذه هي المؤرِّخة الشهيرة (Karen Armstrong كيرن آرمسترونج) تكتُبُ ردًّا علىٰ محاضرة البابا تبين فيها:

١ ـ إن زَعمَ رجالِ الفاتيكان بأن غَرضَ البابا هو «أن يُنمِّي اتجاهَ احترامٍ وحوارٍ نحوَ الأديان والثقافات الأخرىٰ، ومن البديهي نحوَ الإسلام» ليس أمرًا واضحًا في كلماتِه.. وتُشبِّهُه في هذا برجلِ دينٍ مِثلِه في القرنِ الثاني عَشَرَ وَجَّه رسالةً إلىٰ المسلمين بدأها بقوله: «إنني أريدُ أن أُواصلَكم بالكلماتِ لا بالسلاح، وبالعقلِ لا بالعنف، بالحبِّ لا بالبغض».

---

(١) تجدُ كثيرًا من هذه الردود في موقع «النُّصرة ـ Ncsrp.com».

لكنه جَعل عنوانَ رسالتِه «مُلخَّص لهرطقة العرب الشيطانية كلها»، وتحدَّث فيها عن «قسوة الإسلام الحيوانية»، وزَعم أن محمدًا وطَّد أمرَه بالسيف: «هل كان محمدٌ نبيًّا حقًّا»؟ تساءل ثم أجاب: «سأكونُ أسوأَ من حمارٍ إذا وافقتُ، أسوأَ من الأنعام إذا أقررتُ».

٢ ـ تُنكِر المؤرخةُ أن يكونَ الإسلامُ قد انتَشر بالسيف، وهي صاحبةُ كتابٍ بالإنجليزية عنوانه «موجز لتاريخ الإسلام» A Short History of Islam.

٣ ـ وتُذكِّر البابا «بأن بعضَ الصليبيين الأوائلِ بدؤوا رِحلتَهم إلى الأرضِ المقدَّسةِ بذَبحِ كلِّ الجماعاتِ اليهوديةِ الساكنةِ على ضِفافِ نهر «الراين»، وأنهم أنهَوا حَربَهم الصليبيةَ في عام ١٠٩٩ بعد أن ذَبحوا ثلاثين ألفَ مسلمٍ ويهوديٍّ في القدس».

ثانيًا: كَتب رئيسُ حركة الإسلام الإسرائيلية «يوري أفنيري» الذي وَصف نفسه بأنه يهوديٌّ مُلحِد ـ ردًّا علميًّا على البابا، ذكر فيه مِن بين ما ذكَر المسائلَ التالية:

١ ـ أن الحوارَ المزعومَ أمرٌ مشكوكٌ فيه، وأن الإمبراطورَ لم يَذكرْ لنا اسمَ الرجلِ الذي حاوره.

٢ ـ أن الإمبراطور «عمانيويل الثاني» الذي تولَّى الحُكمَ في عام ١٣٩١ كان على رأسِ إمبراطوريةٍ تُحتضرُ؛ إذ لم يَبْقَ لها من محافظاتِها إلاَّ القليل، وكان هذا القليلُ واقعًا تحتَ تهديد الأتراك.

٣ ـ في يوم ٢٩ من شهر مايو عام ١٤٥٣ وبعد عِدَّةِ سنينَ من موتِ هذا الإمبراطور سَقطت عاصمتُه «القسطنطينية» (إسطنبول) في يدِ الأتراك.

٤ ـ إبَّان حُكمِه تجوَّل هذا الإمبراطور في أوروبا محاولاً أن يُقنعَ الأوروبيين بمساعدته ضدَّ الأتراك، وأن يبدؤوا حربًا صليبيةً جديدةً، واعدًا إياهم بأنه سيُوحِّدُ الكنيسة، وأن هذه الرسالةَ كُتبت في هذا الوقتِ لأسباب سياسية.

٥ ـ محاضرةُ البابا «بنديكت السادس عشر» كانت أيضًا خدمةً للإمبراطور الجديد «جورج بوش» الذي يسعىٰ لتوحيد العالَم النصرانيِّ ضدَّ محورِ الشرِّ الذي هو في غالبه مسلم، وضدَّ مجيء الأتراكِ إلىٰ أوروبا.

٦ ـ إن قضيةَ معاملةِ المسلمين لأهلِ الأديان الأخرىٰ يجبُ أن يُحكمَ عليها بسؤالٍ بسيط: ماذا فَعلوا بهم عندما كانت لهم القدرةُ علىٰ إكراهِهم علىٰ الإسلام؟ إنهم لم يَفعلوا شيئًا من هذا، لقد حَكم المسلمون اليونانَ لعدَّةِ قرون؛ فهل صار اليونانيون مسلمين؟ لقد تبوَّأ اليونانُ النصارىٰ مناصبَ كبيرةً في الإدارةِ التركية، لقد عاش البلغاريون والصِّربُ والرومانيون والهنغاريون وغيرُهم من الأمم الأوربية تحتَ الحُكمِ التركيِّ في وقتٍ أو آخَرَ، لكنَّ أحدًا لم يُكرِهْهم علىٰ الدخولِ في الإسلام، فظلوا علىٰ دينِهم النصراني.

٧ ـ في عام ١٠٩٩ تَغلَّب الصليبيون علىٰ القدسِ، وذَبحوا سُكَّانها من المسلمين والنصارىٰ ـ في ذلك الوقت ـ، وبعد ٤٠٠ عام من الحكمِ الإسلاميِّ كان النصارىٰ ما زالوا أغلبيةً في القطر.

٨ ـ ليس هناك من دليلٍ ألبتةَ علىٰ فرضِ الإسلام علىٰ اليهود، وكما هو معروفٌ؛ فإن اليهودَ تمتَّعوا تحتَ الحُكمِ الإسلاميِّ في أسبانيا بازدهارٍ

ليس له مثيل إلاَّ في ما يُقارِبُ هذه الأيام، كانوا كُتَّابًا وشعراءَ ووزراءَ وعُلماءَ، لقد كان ذاك هو عهدَهم الذهبيَّ؛ فكيف يُمكنُ لهذا أن يَحدُثَ إذا كان النبيُّ ﷺ قد أَمَر بنشر الإسلام بالسيف؟!.

٩ ـ عندما استولىٰ الكاثوليكُ علىٰ أسبانيا مرةً أخرىٰ، فإنهم أنشؤوا عهدًا من الرُّعبِ الديني؛ إذ إنهم خيَّروا المسلمين واليهود بين أن يتنصَّروا وبين أن يُذبَحوا أو يغادروا البلاد.. أين ذهب اليهودُ الذين فَضَّلوا البقاءَ علىٰ دينهم؟ هاجروا إلىٰ العالَم الإسلامي، وانتشروا فيه من دولةِ «المغرب» في الغرب إلىٰ «العراق» في الشرق، إلىٰ «بلغاريا» (التي كانت تابعةً لتركيا) في الشمال، إلىٰ «السودان» في الجنوب.

١٠ ـ إن كلَّ يهوديٍّ مُخلِصٍ يَعرفُ تاريخَ قومِه لا يَملِكُ إلاَّ أن يشعرَ بالعِرفانِ العميقِ للإسلام الذي حَمَىٰ اليهودَ لمدةِ خمسين جيلاً، بينما كان العالَمُ المسيحيُّ يُعذِّبُهم ويُحاولُ إكراهَهم بالسيف علىٰ التخلِّي عن دينهم.

ثالثًا: إن استعمالَ النصارىٰ للعُنفِ في فرضِ ثقافتِهم علىٰ غيرهم لم يَنْتَهِ بنهايةِ القرونِ الوسطىٰ، وإنما هو أمرٌ مستمرٌّ إلىٰ يومنا هذا، استمع إلىٰ «هنتنجتون» وهو يقول في كتابه الشهير «صراع الحضارات» وفي صراحةٍ عجيبة: «لم يَتغلَّبِ الغربُ علىٰ العالَم بتفـوُّقٍ في أفكارِه، أو قِيَمِه، أو دينِه ـ الذي لم تَعتنقْه إلاَّ قلَّةٌ من أبناء الحضارات الأخرىٰ ـ، وإنما غَلَب بتفوُّقه في العُنفِ المنظَّم، إن الغربيين كثيرًا ما يَنْسَون هذه الحقيقة، لكنَّ غيرَ الغربيين لا يَنسونَها أبدًا».

رابعًا: إنَّ غَزْوَ الغربِ للعالم باستعمال ذلك العنف المنظَّم كان أمرًا

تواطَأَ عليه كلُّ الناس في الغرب إلاَّ ما نَدُر؛ فها هو الأستاذ «إدوارد سعيد» يُحدِّثُنا في كتابه «الاستعمار الثقافي» Cultural Imperialism أنه كان أمرًا تواطَأَ عليه السياسيون والمفكِّرون والفلاسفةُ والشعراءُ وكُتَّابُ القَصَصِ الشهيرةِ من أمثال «ديكنز» وغيرهم.

☐ أقول: ونحن كثيرًا ما نَنسىٰ أمرًا يؤيِّدُ كلام «إدوارد سعيد» هذا: إن الحركةَ الإمبريالية الاحتلاليةَ للعالم كانت بقراراتٍ ديمقراطيةٍ في كلِّ البلاد الأوروبية، وإن حركةَ استجلابِ الأفارقةِ من بلادِهم واسترقاقِهم كانت أيضًا بقراراتٍ ديمقراطية - بينما لم يكن تحريرُهم بقرارٍ ديمقراطيٍّ كما يحدِّثُنا «فريد زكريا» في كتابه عن مستقبل الحرية - مما يعني أن غالبيةَ ممثِّلي الأمةِ - بمَن فيهم المتدينون - كانوا مؤيِّدين لها.

خامسًا: وهذا «كيفن فيلبس» يُصدِرُ كتابًا جديدًا يُسميه «أمريكا الثيوقراطية» يَذكرُ فيه حقائقَ مذهلةً عن العلاقةِ القويةِ بين الدينِ وسياسةِ أمريكا الخارجيةِ، بل والتأثيرِ الكبيرِ للدين علىٰ سياسةِ أوروبا طوالَ القرون.

☐ من هذه الحقائق:

١ - أن الاستعمارَ الأوروبيَّ للعالَم - ولا سيَّما العالَمَ الإسلاميَّ - كانت له دوافعُ أو مُسوِّغاتٌ دينية، بل كانت هنالك روابطُ قويةٌ بين التوسُّعِ الإمبراطوريِّ وبين الدُّعاةِ الدينيين.. انظر إلىٰ المبشرين الذي صارت أسماؤهم رموزًا للاستعمار: «ديفيد لفنجستون» المستكشف، الجنرال «غردون» الذي ذُبح في الخرطوم، والجنرال «هنري هيفلوك» (ص٢٥٥).

٢ ـ ينقلُ الكاتبُ عن المؤرِّخ «آرثر ماروك» قوله: «إن كبارَ رجالِ الكنيسةِ أقدموا بحماسٍ علىٰ «الحرب المقدسة»، وقوله ـ نقلاً عن قسيس كاتدرائية «سنت جايلز» بأدنبرة ـ: «إن الكنيسةَ قد صارت إلىٰ حدٍّ مؤسفٍ أداةً في يدِ الدولة، وإنه في كثيرٍ من المنابرِ الكَنَسية كان الواعظُ قد تقمَّص مهمةَ الرقيبِ العسكري المكلَّف بالتجنيد، وإن العَلَمَ البريطانيَّ ارتفع علىٰ كلِّ أماكن العبادةِ في طولِ البلاد وعَرضَها» (ص٢٥٥).

٣ ـ أما الدوافعُ الدينيةُ لبوش وجماعتِه في سياستهم الخارجية ـ بل والداخلية ـ، فأمرٌ لا شك فيه ـ كما يُبيِّنُ الكاتب ـ، فهو يقول: إنه ثَبَت عن بوش قوله: «أعتقدُ أن اللّهَ يتكلمُ بوساطتي، ولولا ذلك لما استطعتُ أن أؤدِّي مهمتي».

وينقلُ عن «توم دي لاي» قوله: «إن اللّهَ يستعملُني دائمًا وفي كلِّ مكانٍ للدفاع عن نظرةِ الكتاب المقدسِ العالمية في كلِّ ما أفعلُ وحيثما كنت، إنه هو الذي يُدرِّبُني».

٤ ـ قُبيلَ الهجومِ الأمريكيِّ علىٰ العراق في عام ٢٠٠٣ كَتبت مجلة «نيوزويك» مقالاً عن رِحلة «بوش» من العَرْبدة إلىٰ التدين، ذَكَرَتْ فيه أن الرئيسَ ينغمسُ كلَّ صباحٍ في قراءةِ مواعظَ تبشيريةٍ للواعظ الأسكتلندي المتجول «أوزولد شيمبرز» الذي كان قد قَضىٰ أيامَه الأخيرة في وعظِ الجنودِ الأستراليين والنيوزيلنديين الذين كانوا قد حُشدوا في مصر في عام ١٩١٧ تمهيدًا لغزو فلسطين والاستيلاء علىٰ القدس في يوم عيد الميلاد.

٥ ـ بعد عامٍ من استيلاءِ الجيشِ الأمريكيِّ علىٰ بغداد كانت هناك ثلاثون منظمةً تبشيريةً، كما وَجدت جريدة «لوس أنجلوس تايمز» في

استطلاعٍ لها أَخبَرَها فيه المديرُ الإداري لرابطة المبشِّرين القومية: «أن العراقَ سيكونُ المركزَ الذي تنتشرُ منه رسالةُ المسيح عيسىٰ إلىٰ إيرانَ وليبيا وكلِّ مكانٍ في الشرق الأوسط».

◘ وقال مسؤولٌ في منظمةٍ أخرىٰ: «إن الأحوال في العراق: حربٌ من أجل الأرواح».

ولهذا فإنه في غُضونِ سنتين انطلقت سبعُ منظَّماتٍ تبشيريةٍ في بغداد وحدها.

◘ أقول: إن ما يحدثُ في العراق هو ديدنُ الحركةِ الإمبريالية منذ بداياتها، إن قوَّاتِها تكونُ دائمًا هي الحاميةَ للمنظماتِ التبشيريةِ، حَدَث هذا في السودان حينَ انتشرتِ المنظَّماتُ التبشيرية في الجنوبِ، وكان من نتائجِ ذلك ما كان، وهي تنتشرُ الآن في «دارفور».

◘ وأقول: إذا لم يكن كلُّ هذا نشرًا للمسيحية بالسيف؛ فلستُ أدري ما معنىٰ النشرِ بالسيف؟ لقد كنا نُقلِّلُ من أهميةِ الدافعِ الدينيِّ في السياسةِ الخارجيةِ الغربية، وأعتقدُ أن الأمرَ ـ كما يظهر ـ إنما هو مطامعُ اقتصاديةٌ ونزواتٌ سياسية، لكنَّ عزاءَنا أنه هكذا كان يَظنُّ كثيرٌ من علماءِ السياسة ومُنظِّروها من الغربيين أنفسِهم كما يقول صاحبُ هذا الكتاب، حتىٰ كان غُلُوُّ «بوش» هو الذي نَبَّههم إلىٰ أن الأمرَ ليس كما كانوا يظنون، وأنه إذا كان «بوش» قد غلا في الأمر، فإنه ليس أولَ مَن بدأه، وإنما هو شيءٌ دَرَجَتْ عليه السياسةُ الغربيةُ، ولا سيَّما فيما يتعلقُ بالعالم الإسلامي.

فماذا بعد أنِ انتبهنا وعَرَفنا الحقيقة؟»[1] اهـ.

(١) «مجلة البيان» عدد (٢٣٠) (ص٤٨ ـ ٥٠).

لهذا لم يَعتذرِ البابا.. ولهذا لم تَرتَدِعِ الدانمارك

□ تحت هذا العنوان كتب الدكتور عبدالعزيز حامد يقول: «تتوالىٰ طُعونُ الغربيين النصارىٰ عَبْرَ السنواتِ والشهور الأخيرة بشكلٍ لافت، إلىٰ كلِّ مقدساتِ وحرماتِ المسلمين، في حَملةٍ حضاريةٍ وثقافيةٍ صليبية، تتزامَنُ مع الحملةِ العسكرية والأمنية، فبَعدَ جريمةِ الرسوم المسيئةِ إلىٰ الرسول ﷺ في الدانمارك منذ عام، خَرج الفاتيكان بموقفٍ أشنَعَ، لم يُمثِّلْه مجردُ رسَّامٍ هابط، أو كاتبٍ باحثٍ عن الشهرة، أو صحيفةٍ تريدُ الرَّواج، وإنما صَدَر من أكبرِ رأسٍ دينيٍّ نصرانيٍّ في العالَم الكاثوليكيِّ، في تصريحاتٍ قبيحة، تَنُمُّ عن عداوةٍ صريحةٍ، تَحوَّل بها العَداءُ الخاصُّ إلىٰ استعداءٍ عام، في نوعٍ من توزيعِ الأدوار بين طوائفِ النصارىٰ الثلاث، فالبروتستانت الأمريكان ـ علىٰ ما يَظهَر ـ تفاهموا مع رأسِ الكنيسة الكاثوليكية في العالَم «البابا بنديكت السادس عشر» علىٰ أن يَنضمَّ إلىٰ الحملةِ العالميةِ ضدَّ الإسلام، ولكن في جانبها الفِكريِّ والثقافي، ولم يتأخَّرِ «البابا» في تقديمِ هذه الخدمةِ لأمريكا، اتساقًا مع الدَّورِ المشبوهِ للفاتيكان منذ أيامِ البابا السابق، في خدمةِ أهدافِ أمريكا، أثناءَ صراعِها مع الاتحاد السوفيتي السابقِ ودولِ أوروبا الشرقية، لكنَّ البابا أدَّىٰ الخدمةَ بخُبثٍ أشدَّ مما أُريدَ منه، وهو أنه باعتبارِه رأسًا للديانةِ الكاثوليكية، ومتواطِئًا مع التوجُّهات البروتستانتية، تحدَّث عن الرسول ﷺ بـ«قِلَّة أدب» أرثوذكسية؛ إذ إنَّ ما نَقَله من نصوصٍ حاقدةٍ، إنما نَسَبه إلىٰ إمبراطورٍ أرثوذكسي، لتجتمعَ أحقادُ الطوائفِ كلِّها في موقفٍ موحَّد.. فالمتحدِّثُ يُمثِّلُ

الكاثوليكية، وصاحبُ النص من كبارِ الأرثوذكسية، لحسابِ أصحابِ المشروعات البروتستانتية الإجرامية.

ولم يكَدِ العالَمُ الإسلاميُّ يسترخي بعد انتفاضَتِه وغَضْبَتِه الثانية، بصورةٍ شعبيةٍ عالميةٍ انتصاراً لنبيِّه ﷺ بعدَ تصريحاتِ بابا الفاتيكان، حتىٰ شَرع الطاعنون الحُقَراءُ من طَرَفِ الحكومةِ الدانماركية اليمينيةِ البروتستانتيةِ في معاودةِ الإساءةِ للرسول ﷺ مرةً أخرىٰ، وبطريقةٍ أخسَّ وأنجسَ مما أقدَموا عليه في العام الماضي؛ إذ رتَّبت إحدىٰ منظَّماتِ الشبيبةِ التابعةُ للحزب الحاكم في الدانمارك «مسابقةً» لأكثرِ الرسومِ سخريةً وهُزءً برسول الإسلام ﷺ!! والتفاصيلُ في الموقِفَينِ الحقيرَينِ الأخيرَينِ للبابا ولدولة الدانمارك أصبحت معروفةً للجميع.

لكنَّ خطورةَ الأمر، لم تَعُدْ مُقتصرةً علىٰ أفعالٍ عَدائيةٍ مقصودةٍ منهم، ثم ردودِ أفعالٍ تلقائيةٍ محدودةٍ في تداعياتها وآثارِها من طرفنا، وإنما تعودُ الخطورةُ إلىٰ تحوُّلِ التطاوُل إلىٰ ظاهرة تتَّسمُ بالعِناد والتنوع، وبالاطِّرادِ والتصعيدِ بشكلٍ متتابعٍ يُحاولُ أن يُحوِّل الظاهرةَ المنكرةَ إلىٰ شأنٍ عاديٍّ وسلوكٍ مقبولٍ باسمِ «الحرية».

والهدفُ في النهاية تَعجيزُنا عن الدفاعِ عن أعزِّ ما لدينا من رموزٍ وقيمٍ وعقائد.

* **اعتداءاتٌ بلا اعتذار... واحتجاجاتٌ بلا آثار:**

عندما أقدم الدانماركيون علىٰ جريمتِهم الأولىٰ في العام الفائت، وطُولبوا بالاعتذار؛ امتَنعوا جميعًا من الاعتذار، بدءً من المَلِكة ثم رئيس

الوزراء، ثم الصحيفةِ التي نَشرتَ الرسومَ المسيئة. . . ولم يكن في وُسعِ المسلمين في العالم إلاَّ أن يُظهِروا الاحتجاجَ عن طريقِ المُظاهَراتِ السِّلميةِ والمقاطعةِ الاقتصاديةِ للبضائع الدانماركية. . ولكن ماذا كانت النتيجة. . ؟!

لقد اختلفنا ـ نحن المسلمين ـ فيما لا ينبغي أن يُختلفَ فيه بعدَ زمنٍ قليلٍ من الحماس، وراح كلُّ صاحبِ اجتهادٍ يحاولُ فَرضَ اجتهادِه على الأمةِ الغاضبة، حتى فُرِّغ هذا الغضبُ من مضمونه وتَميَّعَتِ القضية، وفَتَرَ الحماسُ للمقاطعة، بل بدأ البعضُ بتصنيف الشركات الدانماركية إلى شركات «معادية»، وشركات «محايدة» وشركات أخرى أصبحت «صديقة» لأنها «اعتذرت» بالنيابة عن المَلِكةِ ورئيسِ الوزراءِ والحكومةِ اليمينيةِ والصحيفةِ الصهيونية!!.

ولما كانت الجماهيرُ قد عَرفت القليلَ من أسماءِ أشهرِ المنتجات الدانماركية التي تُشكِّلُ قيمةً في اقتصاد الدولةِ المعتديةِ على ديننا، فقد كان من الصعبِ أن تُكلَّفَ تلك الجماهيرُ بعمليةِ «تحري» الحلال من الحرام فيمن يُتعاملُ معه ومَن لا يُتعامل معه، وفقَ تقسيماتِ الشركات الدانماركية، وانتَهزت المحلاتُ المستفيدةُ من ترويج تلك البضاعةِ في بلاد المسلمين من ذلك الاختلاف، فالتفَّت على المقاطعة، والفضلُ يعودُ إلى الفتاوى والمواقف المتميِّعة!.

وقد أظهر هذا الارتباكُ ردودَ الفعلِ الإسلاميةِ على أنها مجردُ تشنُّجاتٍ وقتيَّةٍ وعواطفَ آنيَّةٍ، سَرعانَ ما تتلاشى سُحُبُها في سماءِ الرغباتِ والشهواتِ غير الحاجية أو الضرورية.

والسؤالُ هنا: كيف فرَّطنا في سلاحٍ ماض - هو المقاطعة - كان يمكنُ أن يُؤدَّب به الدانماركيون حتى لا يتجرؤوا على إعادةِ الكرَّة مرةً أخرى؟!.

الذي حَدَث أن الدانماركيين عادوا إلى الجريمة بشكلٍ أشنع ومن طريقٍ لا يَبعُدُ عن تواطؤِ الحكومةِ نفسِها التي تمادت في التحدي؛ لأن مَن أَمِنَ العقوبةَ أساء الأدب.

ومِن غير المتوقَّعِ أن تَعتذِرَ في المرة الثانية... بعد أن امتَنَعت في المرة الأولى ولم تَجِدْ ما يَردعُها، فلا سفارةٌ أغلقت، ولا علاقةٌ قُطعت، ولا مقطاعةٌ رسميةٌ اتُّخذت، ولا شعبيةٌ استمرت!.

أما بابا الفاتيكان، فقد أثار الاستهجانَ بعدمِ اعتذارِه أكثرَ مما أثاره بتصريحاته، وقد فُوجئ الكثيرون بإصرارِ البابا على عدمِ الاعتذار الصريح، والشيءُ الذي ربما لم يُدرِكْه الكثيرون من المسلمين، أن مَن أَجرَمَ في حقِّ النبي الخاتمِ المعصوم ﷺ، قد فعل ذلك وهو معتقِدٌ في نفسه ويعتقدُ فيه أتباعه أنه هو المعصوم!!

فبابا الفاتيكان في ديانةِ الكاثوليك «إنسانٌ لا يخطئ»!! هكذا يقولون وهكذا يعتقدون!!.

*** ما ذَنبُنا نحن..؟!**

لأن باباهم لا يخطئ؛ فليس من حقِّنا أن نَطلَبَ اعتذارَه وهو «المعصوم»؟ مع أن سابِقه المشؤوم؛ اعتَذَر لليهودِ عن اضطهاد الكنيسة لهم عَبْرَ التاريخ؛ فهل كان باباواتُ تلك الكنائس يومَها غيرَ معصومين؟! وهل كان هو قَبلَ اعتذارِه غيرَ معصوم؟! لقد اعتَذَر أيضًا على المَحْرَقَة اليهوديةِ

وأدانها، مع أن سابقَيه لم يفعلوا ذلك.. أما الخطأ في حقِّ المسلمين، فإنه ليس بخطأ.. لا في الحروب الصليبيةِ القديمةِ التي لم يَعتذر عنها البابا السابق.. ولا في الحرب الصليبيَّةِ الجديدةِ التي لم يُدِنْها البابا الحاليُّ.

ربما لم يُدرِكْ بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» اتساعَ الأصداءِ السلبية لتصريحاتِه القبيحةِ عن الإسلامِ ونبيِّ الإسلام ﷺ، ولكنه في الوقت نفسه، كان يُدرِكُ جيدًا أن هذه الأصداءَ من الاحتجاجاتِ والمظاهراتِ والتصريحاتِ، مهما تضاعَفَت؛ فإنها لن تُرغِمَه، ولا يَصلُحُ أن تُرغِمَه؛ على الاعترافِ بالخطأ، ومِن ثَمَّ الاعتذار عنه؛ لأن ذلك يعني ببساطةٍ أنه تنازَلَ بإرادته عن صِفةٍ يتفرَّدُ بها عن بقية البشرِ الساكنين على الأرض وهي صفةُ «العصمة من الخطأ»!!.

لقد صدر «قرار» مَجْمَعِ قساوسة الفاتيكان في عام ١٨٧٠ للميلاد بعِصمة البابا، فأضاف عقيدةً جديدةً إلى المَذهب، لم يكن يَعلمُ بها البابواتُ القُدامى منذ بدأت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ حتى ذلك العام!.

ومنذ صَدر ذلك القرار، والعالَمُ النصرانيُّ الكاثوليكيُّ يعيشُ تحتَ ولايةٍ دينية «معصومة» برغمِ كلِّ الجرائمِ والحروبِ وأنواعِ الإفسادِ التي باركها البابواتُ طيلةَ هذه السنين، وبرغم ما اشتُهر من أخطاءَ وخطايا لبعضِ البابوات، كان منها عَزْلُ بعضهم، وعدمُ الاعتراف ببعضهم، وتعدُّدُ المتولِّين للبابَويةِ في زمنٍ واحدٍ بسبب التنافسِ على المنصب.

لقد فَلْسَفَ المُحرِّفون لدينِ النصرانية هذه العِصمةَ لبابا الكاثوليك دون بقيةِ البابوات في الطوائفِ لأخرى، مُستنِدين إلى أن «الروح القدس» - أي

جبريل عليه السلام - يؤدِّي وظيفةَ الوحي الذي لم يَنقطع عن طريقِ الكنيسةِ ورِجالاتها، ممثَّلين في شخصِ البابا، وبما أن «الإيمان» في العقيدةِ النصرانية يقومُ على ثلاثةِ أُسس، هي: الإيمان بـ«الأب، والابن، والروح القدس»، فسيَظلُّ تطبيقُ الأساسِ الثالثِ مرتبطًا بعصمةِ البابا الذي له وضعيَّةٌ خاصة مع «الروح القدس» كم يزعمون، وأيضًا لأن ذلك البابا - من ناحيةٍ أخرى - هو النائبُ المفوَّضُ للقيامِ بوظيفة «بطرس الرسول» أحدِ تلاميذ المسيح عليه السلام، الذي يَدَّعون أن عيسى قال له: «فوقَ هذا الهيكل - يعني: الجسد - سوف أبني كنيستي»، يعني ستكونُ كنيسةُ المسيح في المكان الذي سيموتُ فيه، ولما كانت وفاةُ «بطرس» في روما، فقد أصبح لروما - أو جزءٍ منها وهو الفاتيكان - خصوصيةٌ كَنَسِية، وهي خصوصيةٌ تَرْقَى إلى أن يكونَ المسؤولُ الأولُ عن تلك الكنيسةِ مُفوَّضًا عن الإلهِ في الحلِّ والربطِ، مثلَما فَوَّض المسيحُ تلميذَه «بطرس» بذلك، عندما قال له - كما يُدَّعى -: «وأُعطيك مِفتاحَ ملكوتِ السماوات، فكلُّ ما تربِطُه على الأرض يكونُ مربوطًا في السماوات، وكلُّ ما تَحُلُّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات» [إنجيل متَّى ١٦ - ١٩].

إن بابا الفاتيكان الذي يَعتقدُ في نفسه، ويَعتقدُ فيه أتباعُه أنه واسطة «الروح القدس» وخليفةُ «الرسول بطرس» قد صَدَّق أن لديه تفويضًا من اللَّه، يَحُلُّ ما يَحُلُّ، ويَربِطُ ما يربِط كما يشتهي، فاتَّجه إلى دينِنا يَحُلُّ فيه ويربط، ويُرغي فيه ويُزبِد، ولهذا قرَّر - بناءً على قرارِ العصمة - أن العقيدةَ في الإسلام لا تتماشى مع المنطق أو العقل، وأن الإسلامَ الذي يَدينُ به

خُمسُ سكانِ العالم، إنما انتشر بالإكراه، وتحتَ التهديد بحدِّ السيف.

*** لا أملَ في الاعتذار.. لكن لابدَّ من إعذار:**

نعم! لا أملَ في اعتذار البابا هذه المرة، ولا في المراتِ التالية من التطاولِ علىٰ الإسلام؛ فقد نصَّ قرار «العصمة» علىٰ أن «الحَبْرَ الرومانيَّ رأسَ مَجْمَعِ الأساقفة، يَنْعَمُ بالعصمة بحُكمِ وظيفته عندما يُعلنُ التعليمَ المتعلِّقَ بالإيمان والأخلاق، بصفته أعلىٰ راعٍ ومعلِّمٍ للمؤمنين.. إن تعاليمَ الحَبرِ الأعظمِ الصادرةَ عنه شخصيًّا بصفتِه بابا، غيرُ قابلةٍ للتعديلِ أو المراجعة من أي سلطانٍ آخر، كَنَسيًّا كان أو بشريًّا»[1].

لا أملَ أيضًا في أن تعتذرَ الحكومةُ الدانماركية عن إساءاتها السابقةِ، أو إساءاتِها اللاحقة.. لأنها - باختصار - لم تَجِدْ مَن يُوقفُها عند حدِّها، لكن لابد لأمةِ المليار، أن تُقدِّمَ الإعذارَ إلىٰ اللَّه - تعالىٰ - بطريقةٍ أخرىٰ غيرِ رجاءِ الأشرارِ بالاعتذار، ولن نَعدِمَ حِيلةً، إنْ كنَّا مؤمنين حقًّا بنُصرةِ رسولِنا ﷺ نصرًا يَليق بأعظمِ إنسانٍ مَشىٰ علىٰ الأرض؛ فهل هان علينا رسولُ اللَّه ﷺ، حتىٰ نَعجزَ عن الانتصار له..؟!.

* ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]»[2] اهـ.

*** لغةُ الهزيمة:**

لغةُ الهزيمة لغةٌ وضيعةٌ، تسقطُ فيها كلُّ ألوان العزَّةِ والكرامة..!

---

(١) نقلاً عن كتاب «نور الأمم» (ص٢٢).

(٢) «مجلة البيان» - العدد (٢٣٠) - (ص٧٦ - ٧٧).

لغةُ الهزيمة لغةٌ تافهــة، مُقيَّدةٌ بإســارِ التَّبعيةِ، لا تُجيــدُ إلاَّ المحاكاةَ والتقليدَ الأعمىٰ.

إنها آيةٌ من آياتِ السقوطِ الفكريِّ والإنسانيِّ، تتقاصرُ بكلِّ مهانةٍ عند مخاطبةِ مَن يُسمُّونهم بالآخَر، وتتعالىٰ بكلِّ قسوةٍ علىٰ الأهل والأصحاب، فعُقدةُ تحقير الذات تحاصرُها من كلِّ زاوية.

خَبَرْنا هذه اللغــةَ رَدْحًا طويلاً من زمن العنتريَّات العُروبية الثورية، وها نحن نَجني ثمراتِها في الخِطابِ الليبرالي المتزيِّن بقُبَّعةِ الغرب.

خَبَرنا هذه اللغة؛ فهي ليست جديدةً علينا، لكنَّ المؤسفَ حقًّا أنَّ بعضَ معالِمِ ذلك الخطابِ المنهزِمِ بدأ يتسلَّلُ أحيانًا إلىٰ بعضِ رُوَّاد الخِطابِ الإسلاميِّ، ممَّن كان ينبغي أن تكونَ العزَّةُ شعارَهَ والأَنَفَةُ دثارَه؛ فصار بعضُ خطابِه واهِنَ القوىٰ، مخفوضَ الصوت، يَسري علىٰ استحياء!.

◻ وحسبُنا ها هنا أن نذكِّر ببعض الأمثلة:

فبعدَ الهبَّةِ الشعبيةِ لنُصرةِ النبيِّ الخاتم ﷺ، وبعدَ أزمةِ الرسومِ الدانمركيةِ، ظهرت عند بعضِ المفكِّرين والدعاةِ لغةٌ اعتذاريةٌ باردةٌ لا يَخفىٰ ضَعْفُها، بل لا يَخفىٰ انحرافُها: «فنحن نحبُّ السلام، ونحترمُ جميعَ الأديان وندعو إلىٰ التعايش، ولا نستعدي الآخرين، ولا ندفعُ العالم إلىٰ الصراعِ الحضاري؛ فلماذا تَستفزُّون شعوبَنا»؟!.

وعندما تجرَّأ بابا الفاتيكان وانتَقد الإسلام، وعرَّض بالنبيِّ ﷺ، بادَرَ بعضُهم للمطالبة بالهدوء وعدمِ التشنُّج، ودعا إلىٰ الحوار والاعترافِ بالآخر، وأنه لا سبيلَ لإطفاءِ التطرُّفِ من الطرفين إلا بالتقارُبِ بين

العقلاء، بل نَهى بعضُهم عن تكفيرِ النصارىٰ، وعَدَّ ذلك من الإجراء الذي لا ينبغي ذِكرُه في هذه المرحلة!.

وعندما زعم البابا أن الإسلامَ انتَشر بحدِّ السيف، بادَرَ بعضُهم إلىٰ نفي التُّهمة، وأنكَرَ «جهادَ الطلب»، وقَصَر الجهاد في الإسلام علىٰ «جهاد الدفع» فحسب.

وعندما دَخل بعضُ الإسلاميين حَلْبَةَ المُعتَرَكِ السياسي، شَنَّ العلمانيون هجومًا شرسًا علىٰ المشروع الإسلاميِّ وما أسمَوه بـ «الدولة الثيوقراطية»، فلم يَجِدْ بعضُ هؤلاء إلاَّ المناداةَ بالدولةِ المَدَنية، ونحوَ ذلك من الشعارات الانهزامية!.

إنَّ هذه الانهزاميةَ تُرسِّخُ نمطًا من أنماطِ التَّبَعةِ التي هَمُّها إرضاءُ الناس، ولا تلتفتُ كثيرًا إلىٰ رضا الخالقِ سبحانه وتعالىٰ.

صحيحٌ أن زمنَ الاستضعاف له فقهُهُ أولوياتُه، لكن لم يَقُلْ أحدٌ من أئمةِ العلمِ: إن تحريفَ الدينِ أو التنازلَ عن بعضِ أصولِه وأحكامِه مِن الفقهِ في شيءٍ؛ فمَن لم يستطعْ أن يقولَ الحق، فلا يجوزُ له أن يقولَ الباطل»[1].

أَفَتُنشَرُ هذه اللغةُ وتَصيحُ لها الأبواقُ، بينما مَكْرُ الليلِ والنهارِ قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ من كلِّ غربيٍّ صليبيٍّ: «بوش»، «كونداليزارايس» ـ ابنة القس ـ، «ديك تشيني»، «دونالد رامسفيلد»، والمخطِّطَيْنِ البارزَين أعدىٰ أعداء الإسلام «كارل روف» و«بول وولفويتز»؟!.

---

(١) «مجلة البيان» ـ لعدد (٢٣٠) (ص٥).

* البابا بنديكت السادس عشر:

□ قال الدكتور باسم خفاجي في كتابه «لماذا يكرهونه؟»: «تَزَعَّم البابا «بنديكت السادس عشر» مؤخَّرًا الهجومَ على الإسلام من جديد، وهو أعلى رمزٍ دينيٍّ في الغربِ المسيحي، اختار البابا أن تكونَ مقدِّمةُ محاضرتِه التي ألقاها في جَمْعٍ من العلماء الألمان في جامعة «ريجينسبرج» يوم ١٢ من سبتمبر ٢٠٠٦م عبارةً عن هجومٍ صريحٍ على نبيِّ الإسلام ـ نَقَلها عن غيره ـ قائلاً: «أَرِني ماذا قدَّم محمدٌ من جديد، سوف لن تجدَ إلاَّ أمورًا شيطانيةً وغيرَ إنسانية، مِثلَ أوامرِه التي دعا إليها بنشرِ الإيمان عن طريق السيف».

المدهشُ أن المحاضرةَ كانت عن العلاقةِ بين «الإيمان والمنطق» وأهميةِ الحوارِ بين الثقافاتِ والأديان، فهل كان اختيارُ الهجومِ على النبيِّ ﷺ مصادفةً، أم خطأً غيرَ مقصودٍ من الرمزِ الغربيِّ الأعلى للمسيحية المعاصرة؟!.

اختار البابا أن يُقدِّمَ لمحاضرتِه باقتباسٍ طويلٍ من أحدِ الكُتب التاريخية، عن أهميةِ استخدامِ المنطقِ في التعرُّفِ على وجودِ الإله، ولم يكنْ الاقتباسُ إلاَّ هجومًا غيرَ مبرَّرٍ على النبيِّ وعلى الإسلام، لقد قَدَّم البابا محاضرتَه قائلاً العباراتِ التالية نقلاً عن النصِّ الرسميِّ الصادر عن الفاتيكان للخطاب: «لقد تذكرتُ ذلك [التفكيرَ في العلاقةِ بين المنطقِ والإله] عندما كنتُ أقرأُ مؤلَّفَ البروفيسور «تيودور خوري» الذي يتحدَّثُ في جزءٍ منه عن الحوارِ الذي حَدَث ربما عام ١٣٩١م في الخنادقِ الشِّتويةِ بالقُربِ من «أنقرة»، بين الإمبراطورِ البيزنطيِّ المفكِّر «عمانويل الثاني باليولوجس» وبين أحدِ المثقَّفين الفُرس عن موضوعِ المسيحيةِ والإسلام،

وحقيقةِ كلٍّ منهما.

من المحتَمَلِ أن الإمبراطورَ نفسَه هو مَن رتَّب هذا الحوارَ خلالَ فترةِ حصارِ القسطنطينية بين عامَي ١٣٩٤م و١٤٠٢م، ولعلَّ ذلك ما يُفسِّرُ أن نقاطَ الإمبراطور كانتَ أكثرَ تفصيلاً من ردودِ المثقَّفِ الفارسي، لقد دار الحوارُ بتوسُّعٍ حولَ أُسسِ الإيمانِ في كلٍّ من الإنجيل والقرآن، وتَركَّز خاصةً حولَ صورةِ الإلهِ وصورةِ الإنسان، مع العَودةِ بشكلٍ متكررٍ إلىٰ العلاقةِ بين «كتب التشريعات الثلاثة»: العهد القديم، والعهد الجديد، والقرآن.

قال البابا: «إنني في هذه المحاضرة أودُّ أن أناقشَ نقطةً واحدة ـ قد تكونُ هامشيةً بالنسبة إلىٰ ذلك الحوارِ نفسه ـ ولكنني وجدتُها بالنسبة إلىٰ موضوعِ «الإيمان والمنطق» مثيرةً للاهتمام، ويمكنُ أن تُفيدَ كنقطةِ بدايةٍ لتأمُّلاتي حول هذا الموضوع.

ففي النقاشِ السابعِ والذي حَرَّره البروفيسور «خوري»، يُناقشُ الإمبراطورُ فِكرةَ «الجهاد» (الحرب المقدسة). لابد أن الإمبراطورَ كان يعرفُ سورة البقرة التي تنصُّ علىٰ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إنها واحدةٌ من سُور الفترة الأولىٰ [من الرسالة] عندما كان محمدٌ بلا قوَّةٍ وتحتَ التهديد، ولكنْ من الطبيعيِّ أن الإمبراطورَ أيضًا كان يعرفُ التعاليمَ التي تكوَّنت فيما بعدُ، والتي دُوِّنت في القرآنِ بخصوصِ الحربِ المقدسة.

وبدون الانزلاقِ إلىٰ التفصيلاتِ ـ مثلِ اختلافِ المعاملةِ الذي مُنح لـ«أهل الكتاب» عن «الكفار» ـ، فقد واجَهَ الإمبراطورُ مُحاوِرَه بأسلوبٍ مباشرٍ وجافٍّ ـ إلىٰ حدٍّ ما ـ حولَ السؤالِ المِحوريِّ عن العلاقةِ بين الدين

وبين العنفِ بوجهٍ عامٍّ من خلالِ هذه العبارات، وأنا أنقلُها هنا: «أرِني ماذا قدَّم محمدٌ من جديد، سوف لن تَجِدَ إلاَّ أموراً شيطانيةً وغيرَ إنسانية، مِثلَ أوامرِه التي دعا إليها بنَشرِ الإيمانِ عن طريقِ السيف». . واستمرَّ الإمبراطورُ يَشرحُ بالتفصيل كيف أن نَشْرَ الإيمانِ من خلالِ العنفِ أمرٌ غيرُ منطقيٍّ، إن العنفَ لا يَتناسبُ مع طبيعةِ الإله، وكذلك طبيعةِ الروح، ويقول [الإمبراطور]: «إن الإلهَ لا يَفرحُ بإراقةِ الدماء، والتصرفُ بشكلٍ غيرِ منطقيٍّ هو مخالفٌ لطبيعةِ الإله، إن الإيمانَ يُولَدُ من الرُّوح، وليس من الجسد، إنَّ مَن يدعو شخصًا ما إلىٰ الإيمانِ يَحتاجُ إلىٰ القُدرةِ علىٰ الحديثِ الجيِّدِ والتفكيرِ المنطقيِّ المقبولِ دون عنفٍ أو تهديدات. . لكي تُقنعَ نفسًا عاقلةً، لا يحتاجُ الشخصُ إلىٰ ذراعٍ قوية، أو سلاحٍ من أيِّ نوعٍ، أو أيِّ وسيلةٍ أخرىٰ لتهديدِ شخصٍ ما بالموت. . ».

إن الفكرةَ الغالبةَ في هذا الحوارِ ضدَّ التحوُّلِ [إلىٰ دينٍ ما] بالعُنف هي التالي: إن عدمَ التصرفِ طبقًا للمنطقِ أمرٌ مخالفٌ لطبيعةِ الإله، ويلاحِظُ محرِّرُ الكتاب «تيودور خوري»: بالنسبةِ للإمبراطورِ البيزنطيِّ الذي تَشكَّل فِكرُه من خلالِ الفلسفةِ اليونانيةِ، فإن هذه العبارةَ تُدلِّلُ علىٰ نفسِها، أما بالنسبةِ للتعاليمِ المُسلمةِ، فإن الإلهَ «لا محدود»، إن إرادتَه لا تَحُدُّها أيٌّ من تقسيماتنا، حتىٰ فيما يَتعلَّقُ بممارسةِ المنطق، ويَنقُل هنا «خوري» عن الكاتب الفرنسي المهتمِّ بالإسلام «أر. أرنالدز» إشارتَه إلىٰ أن ابنَ حزمٍ قد وَصَلَ إلىٰ درجةِ القول: إن الإلَهَ لا تَلزمُه حتىٰ وُعودُه هو، وليس هناك ما يُجبِرُه أن يُوضِّحَ لنا الحقيقة، وإذا شاء الإلهُ، فيمكنُ أن نُجبَرَ علىٰ ممارسة

عبادة الأصنام».

انتهىٰ هنا كلامُ البابا المتعلِّقُ بالإسلام ونبيِّ الإسلام والجهاد، وهي عباراتٌ أثارت حَفيظةَ المسلمين في كلِّ أنحاءِ العالم، ولكنه رَفَضَ أن يعتذرَ عنها بشكلٍ صريحٍ وواضح.

إن مواقفَ هذا البابا من الإسلام معروفةٌ مسبَقًا، ولكنَّ الأمةَ الإسلاميةَ آثرت في السابق أن تُعطِيَ لهذا البابا فرصةَ إعادةِ النظرِ في تلك المواقفِ بعدَ أن تولَّىٰ أعلىٰ المناصبِ الدينيةِ في العالَم الغربي.

◘ إن هذا البابا هو مَن عارَضَ ـ وبشدَّةٍ ـ دخولَ تركيا إلىٰ الاتحاد الأوربي، ولم يَتنازل عن هذا الموقفِ حتىٰ الآن، وكان تفسيرُه لتلك المعارضةِ أن تركيا «تنتمي إلىٰ دائرة ثقافية أخرىٰ»، وأن دخولَ تركيا إلىٰ الاتحادِ الأوروبي سيكون «خطأً جسيمًا يَسيرُ عكسَ أمواجِ التاريخ»، فهل كان يُشيرُ إلىٰ التاريخِ الذي وَقَف فيه العثمانيون علىٰ أبواب «فيينا»؟، أم تاريخِ الحروب الصليبية التي تَسبَّبت في قتلِ مئاتِ الآلافِ من المسلمين بدعوىٰ نَشرِ المسيحية؟.

إن هذا البابا يَبحثُ عن إحياءِ أوروبا المسيحية، ولا أتمنىٰ أن يكونَ بحثًا في طيَّاتها عن أوروبا الصليبيةِ مرةً أخرىٰ، إنه يُنقِّبُ دائمًا في التاريخ عن ذلك، ويَنوي بعد كلِّ ما قال أن يَزُورَ تركيا أيضًا في شهر نوفمبر القادم، **«وإذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ»**.

◘ إن هذا البابا قد كَتب في عام ١٩٩٦م أن «الإسلام لا يمكنُ أن يتعايشَ مع العالم المتمدِّن»، فهل هذا هو احترامُ الإسلام الذي يَقصِدُه هذا

البابا؟ إنه نفس البابا الذي هاجَمَ في العام الماضي قياداتِ المسلمين في ألمانيا بدعوىٰ أنهم قد فَشِلوا في «إبعاد أبنائهم عن ظلامِ البربرية الجديدة». . حقًّا إنه يحترمُ مشاعرنا! .

□ وفي اجتماعٍ سِرِّيٍّ عُقد في مدينة «كاستيل جوندولوفو» الإيطالية بحضور البابا في سبتمبر من عام ٢٠٠٥م، وحَضَره أحدُ الأساقفةِ من «فلوريدا» بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأسقف «جوزيف فيسيو»، نَقَل هذا الأسقفُ أن البابا تَحدَّث في الاجتماعِ المُغلَقِ عن الإسلام، وذَكر أن البابا أعرَبَ من رأيهِ أن الإسلامَ «بخلافِ كلِّ الأديان الأخرىٰ لا يمكنُ إصلاحُه، ولذلك فهو لن يتوافَقَ أبدًا مع الديمقراطية؛ لأن حدوثَ ذلك يقتضي إعادةَ تفسيرِ جَذريةً للإسلام، وهذا مستحيلٌ بسببِ طبيعةِ القرآنِ نفسِه وعلاقةِ المسلمين به».

وعندما ناقَشَه أحدُ الأساقفة أن ذلك ما يزالُ ممكنًا، اعتَرَض البابا بوضوحٍ كما ينقُل عنه الأسقف «جوزيف فيسيو» قائلاً: إن البابا عَلَّق علىٰ ذلك بهدوءٍ ووضوحٍ قائلاً: «هناك مشكلةٌ أساسيةٌ في هذا الرأي، أن الرؤيةَ التاريخيةَ الإسلاميةَ تؤمنُ أن اللَّهَ قد أَنزل كلماتِه علىٰ محمدٍ، وأنها كلماتٌ باقيةٌ إلىٰ نهايةِ الزمان، وهي ليست كلماتِ محمد. . وبالمقابل فإن هناك منطقًا داخليًّا للإنجيل المسيحي تَسمحُ له وتطالبُه أن يتغيَّرَ ويتأقلَمَ مع المواقف المتجددة».

□ وفي تعليقٍ آخَرَ علىٰ نفسِ الاجتماع، ذَكر الباحثُ في الإسلام «سمير خليل سمير»، الذي حَضَر أيضًا الاجتماعَ المُغلَقَ أن البابا يرىٰ إمكانيةَ تغيُّرِ الإسلامِ فقط إن أمكن «إعادة تفسيرِ القرآنِ بشكلٍ جذريٍّ

وكاملٍ، وإعادةِ النظرِ بالكاملِ في مبدإِ عصمةِ الوحي».

فهل الحوارُ مع الأديانِ الأخرىٰ يمكنُ أن يَتقدمَ من خلالِ تلك الرؤيةِ السَّوْدَاويَّةِ للإسلام؟! لماذا لا يكونُ البابا صريحًا وواضحًا في مواقفه بدلاً من محاولاتِ الاستخفافِ بالأمةِ بشكلٍ مَهينٍ بعباراتٍ مِن مثل «حزين جدًّا» التي لم تَعُدْ تنطلي على أحد؟!.

□ قام أحدُ الصحفيين بسؤالِ البابا بشكلٍ مباشرٍ ومُفاجئٍ: إنْ كان يعتبرُ «الإسلامَ دينَ سلام»؟ رَفَض البابا أن يَصِفَ الإسلامَ بدينِ السلام، وإنما قال بثقة: «إنني لا أرغبُ في استخدامِ الكلماتِ الكبيرةِ لوصفِ أمورٍ عامة.. إن الإسلامَ بالتأكيد يَحتوي علىٰ عناصرَ يُمكنُ أن تَميلَ إلىٰ السلام، ولكنه أيضًا يتكوَّنُ من عناصرَ أخرىٰ.. ولابد لنا أن نختارَ دائمًا أفضلَ العناصر».

إن البابا يريدُ لأمة الإسلام أن تكونَ انتقائيةً في تعامُلِها مع ما يأمرُ به هذا الدينُ، ولكنه في الوقتِ نفسه لا ينتقي من هذا الدينِ أفضلَ ما فيه لكي يتحدثَ عنه، ولكنه يَكتفي بالهجومِ غيرِ المبرَّرِ والدائمِ والمتكررِ علىٰ الإسلام وعلىٰ رموزِ الإسلام، وفي اليومِ السابق لهذا التصريحِ الصحفي، قام البابا أيضًا بتوجيهِ النصيحةِ التالية للمسلمين: «ارفضوا طريقَ العنفِ الذي تَسبَّب في معاناةٍ ضخمةٍ للسكان المدنيين، واعتنقوا بدلاً من ذلك سياسةَ السلام».

لم يُكلِّفِ البابا نفسَه عَناءَ توجيهِ نفسِ الرسالةِ إلىٰ قادةِ الغربِ الذين يَقتُلون باسم «الديمقراطية» عشراتِ أضعافِ مَن يُقتلُ ظلمًا وزورًا باسم الإسلام، ولم يُكلِّفِ البابا نفسَه أيضًا عَناءَ مخاطبةِ قادةِ الكيانِ الصُّهيونيِّ أن

يلجؤوا إلىٰ السلام بدلاً من القتلِ اليوميِّ والمتكررِ لأبناءِ الأمةِ الإسلامية في فلسطينَ ولبنان»(١) .

* اخسأ أبا الفاتيكان :

☐ قال محمد أبو الهيثم : «الحمد للَّه القائلِ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، والقائلِ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] .

ضاقت أفعىٰ الفاتيكان بما يحتويه صَدرُها مِن سُمٍّ، فلم تَستطعْ نَفْثَه إلاَّ في وجهِ محمدٍ ﷺ والإسلام، في وقتٍ أصبحَ الإسلامُ عُرضةً لكلِّ نافثِ سُمٍّ بسببِ ضَعفِ أبنائِه، وعَمَالةِ حُكامِهم، وشراءِ الكثيرِ من علمائِه دنياهم وبَيْعِهم دينَهم بأبخسِ الأثمان، إلاَّ مَن رَحِمَ ربي ـ وهم قليل ـ .

فيا أفعىٰ الفاتيكان، إياك أن تَنسىٰ أنه لولا محمدٌ ما استنارتِ الدنيا في وقتٍ كنتم فيه عُميانًا، وما خَرجتم من عَماكم وظلامِكم إلاَّ في ظلِّ محمد وعلىٰ فُتاتِ نُوره .

فلمَّا استقامت لكم دنياكم بفُتاتِ محمدٍ ﷺ، قَفَزتم علىٰ أُمَّته بالفتنِ والحروبِ وإثارةِ القلاقلِ وشراء الذِّمَمِ، حتىٰ طَعِمتم ما في أفواهِ أُمَّته، واغتَنيتمِ علىٰ جُثَثِ وأشلاءِ أبناءِها، وبَنيتم حضارتَكم علىٰ حسابِ تقهقرِها، فسُحقًا لحضارةٍ تُورِّثُ أبناءَها الوقاحة .

أبا الفاتيكان تقول : «إن عقيدتكم مَنطقيةٌ علىٰ عكس عقيدة الإسلام»!! فيا ابنَ الجاهلين، أينَ منطقُكم حين استبدَّت كنيستُكم بآرائها،

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٤٢ ـ ٤٧) .

واستبدَّ قساوستُكم بالحُكم، وقَتَلتم علماءَكم، وأنشأتم محاكمَ التفتيش التي لم تترِكْ عالِمًا خالَفَ الكنيسةَ ولا مُسلمًا إلاَّ سحقته؟! فحاربتم العلمَ والعلماءَ بسببِ استبدادِكم وجَهلِكم وتمسُّكِكم بتحريفِكم لكتابِكم وكَذِبِكم علىٰ نبيِّكم، اسأل «جاليليو» وإخوانَه عن تاريخِ كنيستِكم التي بُنيت علىٰ المنطق كما تدعي!.

يا أبا الجاهلين، أمحمدٌ هو الذي لم يأتِ إلاَّ بكلِّ سيِّئٍ؟ أم حروبُكم الصليبيةُ القديمةُ والحديثةُ؟!.

اسأل أهلَ بيتِ المقدسِ الذين قُتل منهم سبعون ألفًا حتىٰ غاصت الخَيلُ في دمائهم.

ويا أبا الجاهلين، اسألِ الهنودَ الحُمرَ عن إبادتِهم باسمِ الكنيسة والدين، وبِناءِ مَجْدِكم الحديثِ علىٰ دماءهم وأوطانهم.

يا أبا الكذابين، وشيخَ المتعصبين، وكبيرَ المارقين، هل سَئِمتُم من تحريفِكم المستمرِّ لكتابكم، وانتَهزتَ قوةَ مجنونِ أمريكا لتستعرضَ عضلاتِك علىٰ دينِ الحقِّ والنورِ المبين؟! أخرَسَ اللَّهُ لسانك.. أخرس اللَّه لسانك.

محمدٌ جاء بدينِ الحقِّ من ربِّه، وأَبْلَغَه للعالمين، حَمَل رسالةَ السماء، وأوصلَها لكلِّ بيتِ مَدَرٍ ووبَر، وتَحمَّلَ في سبيلِ ذلك المشاقَّ، وشَرَع ربُّه له الجهادَ من أجلِ إيصالِ كلمةِ السماءِ أمامَ كلِّ مارقٍ مِثلك معاندٍ جاحدٍ، وأوصاه ربُّه بدعوةِ مَن يحاربُ، فلو أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولو رَفض الدخولَ وقَبِلَ الجِزيةَ علىٰ أن يَسمحَ للمسلمين بنَشرِ دينهم وله منهم المَنَعَةُ والحمايةُ، فله ذلك، أما لو أصرَّ علىٰ الكفرِ، ومَنَع قومَه من سماعِ الحقِّ والدخولِ فيه، فما بيننا وبينَه إلاَّ السيف.. ليس حبًّا

في الدماء، وإنما لنشرِ كلمةِ السماء.

فأين حبُّ الدماءِ فيمن يَضعُ أمامَك كلَّ حلٍّ ممكنٍ لتسمحَ له لِيُبلِّغَ دعوةَ ربِّه، فما يقاتلُك حبًّا في دمك، وإنما حرصًا على إخراجِ قومِك من جهنمَ والسماحِ لأهلِ الحقِّ والنورِ بنشرِ كلمةِ السماء؟ أين هذا ممن قَتلوا ملايينَ الأطفالِ بالعراقِ جُوعًا، وقتلوا أهلَ أفغانستان كَمَدًا، وساعَدوا في قتلِ الفلسطينيين بأسلحتهم ومَدَدِهم لليهود.

أين أخلاقُ الفاتحِ الإسلاميِّ من أخلاقِ الهَمَجِيِّ النصرانيِّ الذي انتَهكَ؛ العِرْضَ، وسَفَكَ الدماء، وسَرَق الأموال، وجَنَّد العملاءَ، ونَشَر الفساد؟!.

أين أخلاقُكم من أخلاقِ محمدٍ ﷺ؟!.. أين أخلاقُكم وقد انتَشرت في شعوبكم الأمراضُ النفسيةُ، وعقوقُ الآباء وإهمالُهم، وزنا المحارمِ، واغتصابُ النساء والأطفالِ، والشذوذُ الجنسي، بسبب ضَعفِ العقائد، وخَفَاءِ دَورِ الدينِ في حياةِ شعوبكم؟!.

◘ أين أنت وأين ربُّك «بوش» الذي تَستمدُّ قوَّتَك من قُوَّته، وتنتهزُ حماقتَه حتى تَنْفُثَ سُمَّكَ إرضاءً له وإرضاءً لمن وراءَه من يهود؟!.

تُخطِّئُ كلَّ عقيدةٍ تُنزِّهُ ربَّ العالمين عن كلِّ نَقصٍ وتُثبِتُ له كلَّ كمال!!! قَبَّحك اللَّه وقَبَّح قولك، وجَعَلك عبرةً لكلِّ معتبر.

ويا كلَّ عالِمٍ من علماءِ المسلمين قَصَّر في دعوته، ما حَدَث ويَحدثُ إلا نتيجةً لتقصيرك.. ويا كلَّ حاكمٍ ساعَدَ في ضَعفِ أمته، اعلمْ أن لك كِفْلاً مّمَا يَحدُثُ للإسلامِ والمسلمين، وأنه ما رَفَع هذا رأسَه إلا عندما أَحْنَيْتَ رَقَبَتَك.

❑ ويا أُمةٌ: لكِ اللَّه.

❑ ويا إسلامُ: لك ربٌّ يحميك.

❑ وإنا للَّه وإنا إليه راجعون»[١] .

على أسْوَار روما[٢]

صهْ يا رقيعُ فما إخالكَ تشتفي ... إلاَّ بسيفٍ في فؤادك يختفي
صهْ يا عقورُ فما أراك مؤهَّلاً ... ليكونَ رأسُك مَوطئًا للأشرفِ
جاوزتَ حَدَّك بالجهالة فلْتَذُقْ ... حدَّ الحُسامِ اليعربيِّ المرهَفِ
فثقيفُ قبلَكَ بالأذى قد عَربدَتْ ... فلَتُفْتَحَنْ روما كمثلِ الطائفِ
لبِّثْ قليلاً سوف تُبصِرُ جَحفلاً ... بأسنَّة الأنصارِ أضحى يقتفي
لَبِّثْ قليلاً سوف تسمعُ نغمةً ... قدسيةً بأذانِ أحمدَ تحتفي
لَبِّثْ قليلاً يا جهولُ ولا تسَلْ ... فلَتعرِفنَّ اليومَ ما لم تَعرِفِ
أفلا بشيرٌ للعوالمِ أنهُ ... قد أشرقتْ روما بنور المصحفِ؟

* إلجامُ البابوات عن التجرُّؤِ على خاتمِ الأديان والرسالات:

❑ قال د. خلدون مكي الحسني: «إنَّ الحمدَ للَّه نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ ألاَّ إله إلاَّ اللَّه وحدَه لا شريكَ له، ولا زوجةَ له، ولا ولد، وليس كمِثْلِهِ شيءٌ، ولم يكن له كُفُوًا أحد؛ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللَّه ورسوله، هو قائدُنا ومعلِّمُنا وسيِّدُنا، خيرُ نبيٍّ

(١) المصدر: إذاعة طريق الإسلام.
(٢) لِحسَّان العُمر.

اجتباه ورحمةً للعالمين أرسله، بَعثه الله بالحق بدينِ الإسلام، دينِ العلمِ وإعمالِ الفكرِ، دينِ الهدايةِ والرأفة، وأيَّده بالقرآن، كتابِ اللَّه المُعجزِ، فتحدَّىٰ به الإنسَ والجنَّ، فأذعنوا له وآمنوا به، واستكبر الكافرون المعانِدون فقال اللَّهُ فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧].

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ونحن اليوم ـ وفي كلِّ يوم وعلىٰ مرِّ السنين ـ نرىٰ صِدقَ كلامِ اللَّه سبحانه الذي أَخبرنا به، وما تصريحاتُ رأسِ الفاتيكان إلاَّ من هذا القَبيل، فرغمَ البلاغِ والنذيرِ لم يؤمنْ، فختم اللَّهُ علىٰ قلبه وعلىٰ سمعه، وأعمىٰ

بصرَه وبصيرتَه، وقد بَدَت البغضاءُ من فمِه وما يُخفي في صَدرِه أكبر، وها هو يَصُدُّ عن سبيلِ اللَّه ويَكنِزُ الذهبَ ويتسربلُ به، ثمَّ أخيرًا يؤذي المسلمين المؤمنين بكلامه، فصدقَ اللَّه العظيم.

◻ وأمَّا رسولُ اللَّه ﷺ، فهيهاتَ هيهاتَ أن يَنالَه شيءٌ من كلامِ هذا السَّفيهِ الجاهل، بل إنَّ كلَّ كلامِه مردودٌ عليه، وما فِعْلُه هذا إلاَّ كما قال حكيمُ الإسلام:

أعرِضْ عن الجاهلِ السَّفيهِ ... فكلُّ ما قالَهُ فهو فيهِ

ما ضَرَّ نهرَ الفُراتِ يومًا ... أنْ خاضَ بعضُ الكلابِ فيه!

◻ ومهما حَلَم الحاقدون وحاولوا أن ينالَوا من رسول اللَّه ﷺ، من تشويهِ سيرتِه والكذبِ عليه والتشنيعِ بدينِه العظيم، فلن يفلحوا، ولن يُعكِّروا صَفْوَ الشريعةِ المحمَّديةِ، وستبقىٰ حُجَّةً عليهم إلىٰ يوم الدين، وستبقىٰ شوكةً في حلوقهم إلىٰ يوم يبعثون..

لو رَجَمَ النَّجمَ جميعُ الورَىٰ ... لم يَصلِ الرَّجمُ إلى النَّجمِ

◻ وقد علَّمَنا رسولُ اللَّه ﷺ الأدبَ والحكمةَ، وأَمَرنا بمجادلةِ أهلِ الكتاب بالتي هي أحسن، وامتثلَ المسلمون لذلك طيلةَ القرونِ الأربعةَ عشَرَ المنصرمة، ولكنَّ الحاقدين علىٰ الإسلام والذين مُلئت قلوبُهم غيظًا منه لم يُجْدِ معهم كلُّ ذلك، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾؛ وأنا اليومَ لن أردَّ علىٰ ذلك السفيهِ الحاقدِ، فهو أدنىٰ مِن أن يُردَّ عليه؛ لأنَّ الذي تَبلغُ به الوقاحةُ أن يَصِفَ الإسلامَ الذي أتىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ بأنه دينُ العنفِ والسيفِ واللاعقلانية، ويتجاهلُ تاريخَ دينِ كنيستِه المظلم، والمحاربَ للعلمِ، والقاتلَ للعلماء، والمنافرَ للعقل، والبعيدَ عن التوحيدِ، والمتأصِّلَ بالوثنيَّة،

ويتجاهلُ الانحطاطَ الأخلاقيَّ لرجالِ الكنيسة الذي لم يُعرفْ له مثيلٌ عبرَ التاريخ، ويتجاهلُ الوحشيةَ والدمويَّةَ المغروسةَ في نفوسِ رؤساءِ وأتباعِ هذه الكنيسةِ والتي ظَهرت جليَّةً في صراعِ البابوات على كرسيٍّ الفاتيكان، والوحشيةِ التي تعاملوا فيها بينهم، مِنْ فَقْءِ العيون، وقَطعِ الألسن، والقتلِ عطشًا، وفي صراعِ الفِرَقِ المسيحيَّةِ فيما بينها قديمًا وحديثًا، وما «إيرلندا» عنا ببعيد، وفي حُروبهم الصليبيَّةِ التي لم يَعرفِ التاريخُ مثيلاً لها في الوحشيةِ والهمجيةِ ولا حتى عند التتار، وكذلك محاكمُ التفتيش التي أرعَبَت وأذهلت قوَّادَ الجيوشِ المسيحيين الذين ـ كما صرَّحوا حينها ـ لم يكونوا يتخيَّلون وحشيةً كتلك التي رَأَوْها تجري على أيدي رؤساءِ الكنيسة تُجاهَ المسلمين واليهودِ في الأندلس!! كلُّ ذلك لا لنشرِ فضيلةٍ، ولا لإحقاقِ حقٍّ.. وإنما حُبًّا في سَفكِ الدماءِ وتلذُّذًا بإزهاقِ أرواحِ الملايين، وما حروبُهم في التاريخِ المعاصرِ ببعيدةٍ عن أذهاننا، فقد تطاحَنوا في أوربا في الحَربَينِ العالميتين الأولى والثانية، وأهلكوا الحَرْثَ والنسلَ، وأبادوا بعضَهم بالملايين ومَحَوْا مُدُنًا بكاملِها عن وجه الأرض كما فعل الحلفاءُ بمدينة «درسدن» الألمانية، بعدما دَمَّر الألمانيُّ «هتلر» صاحبُ الصليب المعقوف أوربًّا شرقًا وغربًا، ولم يَعرفِ العالَمُ حروبًا في همجيَّتِها كهاتين الحربين، ثمَّ يأتينا هذا «البندكت» القَسُّ الألماني ليقول: «إنَّ الإسلام نُشِرَ بالسيف»!! وتناسى أنَّ عددَ القتلى الذين وَقعوا في جميعِ غزواتِ رسول اللَّه ﷺ من كِلَيِ الطرفين «المسلمين والمشركين» كان ألفَ قتيلٍ تقريبًا!!!! هذا العددُ الذي تَحصِدُه حروبُ الصليبيين في ساعةٍ واحدة.

لأجلِ هذا كلِّه فإنَّ بابا الفاتيكان «بندكتوس» هذا لا يستحقُّ أن يُردَّ

عليه، ولكنني سأُذكِّرُ الناسَ بحقيقةِ هذا البابا وجميعِ البابواتِ مِن قَبلِه كما جاءت تراجمُهم في كُتبهم أنفسِهم، وكما صَرَّح به الكثيرُ من رجالِ دينهم وسَجَّله التاريخُ لهم، لكي يرىٰ الناسُ كم هو وقحٌ، وكم هم أتباعُه حاقدون، وكم كان حريًّا بهم أن يَخجَلوا من أنفسِهم ورجالِهم وباباواتهم ويَدسُّوا رؤوسهم في الترابِ، بدلاً من التطاول علىٰ الكبار، ولكن «إذا لم تَستَحِ فاصنَعْ ما شئت»، كما جاء علىٰ لسانِ الأنبياء.

□ وإليكم الآن مقتطفاتٍ عن تاريخِ البابوات في أوربة، ثمَّ ترجمةً موجزةً للعديد منهم:

جاء في كتاب «رحلتي من الكفر إلىٰ الإيمان» للكاتبة الأمريكية «مريم جميلة» - وهي سيدة أمريكية من أصلٍ يهوديٍّ اعتنقت الإسلام، وهي خبيرةٌ بالدين اليهودي والمسيحي - (ص١٦٧ ط: المختار الإسلامي): «وصلَ البابا «بولس الأول» إلىٰ المنصب عام (٧٥٧م)، وبعد وفاته أجْبَرَ دوق «نيبي» بعضَ الأساقفةِ علىٰ تكريسِ «قسطنطين» - وهو شقيقُه غيرُ الشرعيِّ - لمنصب البابَوية، ولكنِ اجتمع أساقفةٌ آخرون عام (٧٦٨م)، وانتخبوا «ستيفن الرابع» للمنصب، وعُوقِبَ «قسطنطين» بفَقْءِ عينيه، كما قُطعَ لسانُ أحدِ الأساقفة الذين انتخبوه، وتُرِكَ ليموتَ في جُبٍّ من العطش!!.

وفي عام (٧٩٥م) ألقىٰ ابنُ عمٍّ البابا «أدريان» القبضَ علىٰ البابا «ليو الثالث» الذي خَلَفَ «ستيفن الرابع»، وذهبَ به إلىٰ كنيسةٍ، حيثُ فَقأ عينَيه وقطعَ لسانه، وحلَّ مكانه في المنصب!.

وتمرُّ أكثرُ من مئةِ سنةٍ في مؤامراتٍ متبادَلةٍ بين الطامعينَ في البابوية، وكان كلُّ مَن يَصِلُ منهم إلىٰ مُبتغاه يُحاكِمُ خصومَه، ويَحكمُ عليهم

بالموت!!! وخلالَ أربعةِ أعوامٍ فقط من (٨٩٦ إلىٰ ٩٠٠م) وصَلَ إلىٰ المنصب أربعةُ بابوات وعُزِلوا!!.

ونصلُ إلىٰ عام (٩٠٤م) لِنجدَ صورةً أخرىٰ من الفساد، ففي ذلك العام وصل البابا «سرجيوس الثالث» إلىٰ منصبِ الحَبْرِ الأعظم بالقوَّة المسلَّحة! وقد كان للعاهرة «ثيودورا» سيِّئةِ الصِّيتِ وابنتيها ـ وهما أيضًا عاهرتان ـ تأثيرٌ كبير عليه، وكانت «ثيودورا» تعشقُ أيضًا أحدَ الأساقفةِ، وساعدته بنفوذها إلىٰ الوصولِ للبابوية عام (٩١٥م) باسم «يوحنا العاشر».

وتمكَّن هذا البابا من الثَّبات في منصبِه لمدةِ أربعةَ عَشَرَ عامًا بفضلِ مساندةِ «ثيودورا» له، لكنه فَقَدَ مكانه، وأُطيح به عندما تآمرت عليه ابنتها «ماروزيا» بعد أن حَنَقَت عليه لأنَها فاجأتهُ في القصر البابوي في وضع مخلٍّ مع ابنةِ أخيه!!!.

وفي عام (٩٣١م) أوصلَت «مروزيا» ابنَها غيرَ الشرعيِّ إلىٰ البابوية تحت اسم «يوحنَّا الحادي عشر»، لكنَّ أحدَ أبنائها الآخرين منَ الحرام شَعَرَ بالغَيرة، فألقىٰ القبضَ علىٰ أُمِّه وشقيقِه ووضَعَهما في السجن، وجلس علىٰ المَقعد البابوي، كذلك انتخب ابنَه غيرَ الشرعيِّ للبابوية عام (٩٥٦م) باسم «يوحنا الثاني عشر»، وكان عمرُه في ذلك الوقت ثلاثةَ عَشَرَ عامًا!!.

واشْتُهِرَت فضائحُ هذا البابا الأخير إلىٰ حدٍّ أنَّ الشعبَ الألمانيَّ دفعَ الإمبراطور «أوتوا» للتدخل، وعُقِدَ مَجْمَعٌ مقدَّس(!) لمحاكمة «يوحنا الثاني عشر»، وتبيَّن من الجلسات أنَّه كان يتلقىٰ رشاوىٰ لتكريسِ الأساقفة، وأنَّه نَصَّبَ أسقُفًا لا يتجاوز سِنُه العاشرة، بينما أقام احتفال «سيامة» لآخَرَ في حظيرة للخيول.

واتُّهِمَ البابا كذلك بالزنا مع محظيَّةٍ لأبيه! وبارتكابِ الفاحشةِ مرَّاتٍ لا تُعدُّ!!!.

وكان معروفًا بالانحراف في الشرابِ والمُقامرة والقَسَمِ بالآلهة الوثنيَّة!!! وعندما طُلِبَ منه المُثولُ أمامَ المَجمع، وأبلَغَهم أنه خارجٌ للصيد، وبعد عزلِهِ خَلَفَه البابا «ليو الثامن» عام (٩٦٣م) الذي حاكمَ خصومه ومثَّل بهم، إلاَّ أنَّ حياتَه انتهت على يدِ رجُلٍ كان قد غرَّرَ بزوجته!!». انتهى.

◻ ولكي يطمئنَّ القرَّاءُ لصِدقِ هذه المعلومات إليكم تراجمَ هؤلاء البابوات وغيرِهم من المصادر المسيحيَّة المطبوعة والمنشورة، وقد ترجمها أحدُ الكتَّاب قديمًا، وهذا جزءٌ منها:

◻ **فُحشُ البابوات وفسوقهم!!:**

كيف الخلاصُ من الخطيئـــةِ بعدما رَكِبَ الدَّعارةَ زُمرةُ الرُّهبـــانِ؟!

إنَّا نوردُ الآن باختصارٍ موجزَ تلك الجرائمِ والرَّذائلِ التي ارتكبها كثيرون من ساداتِ أحبارِ روميا العِظام، الخلفاءِ الشرعيِّينِ للقديس «بطرس الأول»، الذين شانوا الكرسيَّ الرسوليَّ بتولِّيهم عليه، وقبل أن نُنهيَ كلامَنا عن رؤساءِ الكنيسةِ المنظورِين، يتَّضحُ للقارئ أنَّ كلَّ نقيصةٍ ورذيلةٍ يمكنُ للعقل أن يتصوَّرها قد انتهكها الذين زَعموا أنهم نُوَّابُ المسيح، أو كما يعتقد النصارى نوابُ اللَّه على هذه الأرض!.

فالسرقةُ والاضطهادُ والقتلُ والفُحشُ والزنا بالأقاربِ المحارمِ وغيرهم وما يَخجَلُ منه القلمُ ويَحمَرُّ منه الجبين، كلُّ ذلك قد ارتكبه هؤلاء الحُكَّامُ المتعالُون بالنصرانية الذين جَلسوا على مركزِ العِصمة وادَّعَوُا الشرعيَّةَ، وما

تَسَلُّطُهم علىٰ عقولِ الشعوبِ النصرانيةِ إلاَّ مكرٌ منهم ومِن الباباوات القدماءِ لجَلبِ الدنيا إلىٰ هؤلاء الرؤساء! .

شَهِدوا على القِدِّيس حيث جَنَابُـه ... ركِبَ الزنـا أكْـرِمْ به قـدِّيسـا!

القديس «داماسوس الأول» (٣٦٦ ـ ٣٨٤م) . . إنَّ هذا أوَّلُ بابا لُقِّبَ «بالحَبْر الأعظم»، وحين انتخابه مانَعَ فيه «أرسينيوس» وحِزبُه، حيث قاموا علىٰ قَداسته شكايةً بأنَّه رجلٌ زانٍ[١] .

قال «ريدل»: «بعد مقاتلةٍ عنيفةٍ جَرَت ما بين حِزبَي المتخاصِمَين، أُبعِد «أرسينيوس» من المدينة، والحُكمُ نفسُه كان علىٰ وشك أن يَجريَ ضدَّ سبعةِ قُسوسٍ من حِزبه، لكن بمداخلةِ الشعبِ أُخِذ أولئك القسوسُ ووُضعوا في ملجإٍ أمينٍ بالكنيسة، لكنَّ الكنيسةَ نفسَها وحُرمتَها لم تكن قادرةً علىٰ حمايةِ أرواحِ الملتجِئِين إليها من هياجِ خُصومهم، فـ «داماسوس» كان مُسلَّحًا بالسيف والنار مع بعضِ أتباعه، وجميعُهم من الإكليروس، وعامَّةُ القوم ذهبوا توًّا إلىٰ المكان الذي التجأ إليه أعداؤهم، وتركوا أكثرَ من مئةٍ وستين منهم قتلىٰ علىٰ الأرض ضِمنَ حدودِ ذلك المكانِ المقدَّس»[٢] .

علىٰ أنَّ هذا الخِصامَ كان مذبحةً ـ وليس قتالاً بين حِزبَينِ ـ، حيث لم يُقتل أحدٌ من أتباع «داماسوس» في هذه الموقعة[٣] .

وافتضَّ سكستوس بِكْرًا غادةً ... فَلْيَسْلَمِ القديسُ سكستوسُ

(١) «محفل البابوات» تأليف يالي (ص٢٦).

(٢) «تاريخ البابويَّة» (١/ ١٤٣).

(٣) «تاريخ الباباوات» تأليف باور (ص٨٤).

◻ القديس «سكستوس الثالث» (٤٣٢ ـ ٤٤٠م). . إنَّ هذا البابا ـ حسب رواية «باروينوس وبلاتبن» ـ قد أُقيمت ضدَّ قداسته دعوىٰ، وذلك لأنَّ قداستَه اقْتَضَّ بكارةَ إحدىٰ العذارىٰ، وتألَّف مَجْمَعٌ للحُكم علىٰ قداسته، لكنَّ هذا المجمَع الذي كان تحتَ رئاسةِ الإمبراطور «فالانتين» تركَ البابا، وحَوَّل إليه كي يحكم بالقضيَّة! «حيث قاضي الكلِّ لا يدنيه أحد»[1].

عَلِموا بأنَّ اللَّهَ يُبغِضُ راهبًا فتــزوَّجَ القديسُ هرمزداسُ

◻ القديس «هرمزداس» (٥١٤ ـ ٥٢٣م). . كان رجلاً متزوِّجًا وله ولدٌ، تولَّىٰ بعد ذلك كرسيَّ البابويَّةِ، وكان قداسةُ هذا البابا طَمِعًا ووَقِحًا في طلباته لدىٰ الإمبراطور، وهو الذي هيَّجهُ لاضطهاد الهراتقة[2].

في المهدِ قد نطقَ المسيحُ لقومه وكذاك نجلُ البابا سرجيوس

◻ القديس «سرجيوس الأول» (٦٧٨ ـ ٧٠١م). . إنَّ هذا القديسَ قد اتُّهِمَ بارتكابِ الزنا، لكنْ بَرْهَنَ علىٰ براءته بعبارةٍ عجيبةٍ، حيث الطفلُ الذي قيل: إنَّه ابنُ البابا الزاني الفاسقِ في حين تعميدِه ـ وكان عمره حينئذٍ ثمانية أيَّام فقط ـ صرخ قائلاً: «إنَّ الحَبْرَ سرجيوس ليس والدي».

◻ وقال «برايس» المؤرِّخُ الفرنساويُّ عن البابوات: «إنَّ الذي يُدهِشُني في هذه القصَّة ليس كونُ الطفلِ الصغيرِ في المهد يتكلمُ، بل كونه أكَّد باعتقادٍ تامٍّ علىٰ أنَّ البابا ليس والدَه»[3].

---

(١) «تاريخ البابوات» مجلد ٢ وجه ٨٨ تأليف (باور).

(٢) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه ١٢٤ تأليف (فوت وهويلر).

(٣) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه ٤٩٦ تأليف برايس.

وكذلك أدريانوس هنَّأ قاتلاً   بخطيئـةٍ يا نِعمَ أدريانوس!!

□ «أدريانوس الثاني» (٨٦٧ ـ ٨٨٢م) كان كاهنًا متزوِّجًا، وهو الذي هنَّأ «بازيليوس» القاتلَ حين قَتَل الإمبراطورَ «مكائيل» واتَّحدَ معه[١] .

أيُّ بـابـا أتى المخـاضُ إليــه   في احتفـالٍ وولَّده غـلامًا؟!

□ «يوحنَّا الثامن» (٨٧٢ ـ ٨٨٢م). . إنَّ هذا البابا لم يكن رجلاً بل امرأةً. . وأيُّ نوع من النساء؟!. . من النساء الزانيات، وكان الشعبُ مغشوشًا بقداسته، ولم يشكَّ أحدٌ في ذكورته إلاَّ معارفُه الذين يَسُوسـون له ـ أو بالأحرىٰ لها ـ شهواتِها، وبينما كان هذا البابا ماشيًا في احتفالٍ في مقدِّمةِ الكاردينالات والمطارنة مُحاطًا بالزينة والأنوار علامةً علىٰ قوةِ وجلالةِ البابوية، أتىٰ لقداسته «البابا يوحنا الثامن» أو «حِنَّة!» المخاضُ، وذلك في أهمِّ شارعٍ[٢] من شوارع روما[٣] .

أمَّا تاريخُ حياته، فهو ابنةُ أحدِ المُرسَلين الإنكليز، مَسقط رأسها في مدينة «ماينز» أو «انكلهايم»، حيث يوجدُ اختلافٌ في الرواية، وهذه الابنةُ كانت لها علاقةٌ غيرُ شرعيَّةٍ بأحد رُهبان «فولدة»، لذلك لَبِسَتْ ثيابًا كالرجال، وهَرَبت مع عاشقِها إلىٰ «أثينا»، وهنالك مات حبيبُها بمدةٍ قصيرةٍ بعد وصولها.

وبعد موتِ العاشق رَجعت هذه الزانيةُ إلىٰ «روميًّا»، وهناك ـ بسببِ

(١) «جرائم النصرانية» مجلد ١١ وجه ١٢٧ .

(٢) وذلك ما بين الكولوسيوم وكنيسة القديس [كلامانتوس] بروما. انظر «دائرة معارف بيتون الإنكليزية تحت كلمة (حنة).

(٣) «تاريخ المملكة المغربية» مجلة ٣ وجه (٣٣٠ و٣٣١).

معارفها الممتازة ـ صارت «خوري فكردينال»، ثمَّ ارتقت فصارت «بابا»! وظلَّت إلىٰ أن عُرفت أنوثتُها، وذلك لمَّا وَلدت طفلاً أمامَ الجمهور وهي ماشيةٌ في مقدمةِ أحدِ المحافِلِ العظيمة(١) .

☐ ومنذ ذلك الوقت حتىٰ أيَّام «لاون العاشر» (١٥١٣ ـ ١٥٢٢م) في القرن السادس عَشَر ـ أي لمدَّةِ نحوِ ستةِ قرونٍ ونصفٍ كانوا يقيمون في روميًّا احتفالات، والتي لا يمكنُ وصفُها هنا، حيث تَحدُث عند انتخابِ كلِّ بابا، وذلك للكشف عليه كي يتأكَّدوا ما إذا كان ذكرًا أم أنثىٰ!(٢) .

إنْ قيـــلَ إنَّ إلهَهــم صَلَبـوه   سلْ أُمَّ أسطفانوس أين أبوه؟

☐ «أسطفانوس السابع» (٨٩٦ ـ ٨٩٧م). . إنَّ هذا البابا نفسه كانت أُمُّه زانيةً(٣) !!.

كيف الذي عَبَدَ الرَّذيلة يَعْبُدَن   مولاه مثلَ البابا سرجيوس!

☐ «سرجيوس الثالث» (٩٠٤ ـ ٩١١م). . قال «باريتوس» عن هذا البابا: إنَّه كان عبداً لكلِّ رذيلةٍ، وأعظمَ إنسانٍ شرير، وقداستُه عاش مع «ماروزية» الزانيةِ كسُرِّيَّةٍ عنده(٤) .

☐ أمُّ قداستِه زانية:

وقداســةُ البابا الذي مِنْ أُمِّـهِ   عُرِفَ الخَنَــا وعَلَّم الأقواما

---

(١) نظر «دائرة معارف شامبرس» تحت كلمة حنة.

(٢) «تاريخ المملكة المغربية» مجلد ٣ وجه ٣١١.

(٣) «تاريخ المملكة المغربيَّة» مجلد ٣ وجه ٣٣٠.

(٤) «تاريخ البابويَّة» مجلد ٢ وجه ٣٦ تاليف «ريدل».

▫ «يوحنا العاشر» (٩١٤ ـ ٩٢٨م)، هذا كانت أُمُّ قداستِه زانيةً[١]، وتوصَّلَ إلى تولِّي الكرسي الرسولي؛ لأنَّه كان حبيبَ «ثيودورة» أم «ماروزية» الزانية[٢].

▫ «يوحنا الحادي عشر» (٩٣١ ـ ٩٣٦م) كان ابنَ البابا «سرجيوس الثالث»، وأمُّ قداسته «ماروزية» الزانية، وقد فاق والدَه في الجرائم، وحين انتخابِه للبابوية ـ وكان في الثامنةَ عشرة من عمره ـ طرد أخاه «الباريك» من «روميًّا» وسجنَ أُمَّهما «ماروزية»[٣].

إنَّ الزانيةَ «ماروزية» كانت ابنةً رومانيةً من الأشراف بالولادة، لكنها ذاتُ سُمعةٍ رديئةٍ كأُمِّها الزانيةِ «ثيودورة» من قَبلِها، وُلدت في أواخر القرن التاسع.

وهذه الزانيةُ كانت صاحبةَ البابا «سرجيوس الثالث» وأُمًّا وجَدَّةً لثلاثةِ باباوات «قداسة يوحنا الحادي عشر، وقداسة يوحنا الثاني عشر، وقداسة لاونِ السابع»، وقد تزوَّجت ثلاثَ مرَّات، وإنْ صَدَّقنا ما رواه لنا «لويتبرند»، فهي كانت السببَ في خَلعِ وقَتلِ البابا «يوحنا العاشر»، وهي التي رَفعت ابنَها غيرَ الشرعيِّ «يوحنا الحادي عشر» من حبيبها البابا «سرجيوس الثالث» إلى مَقامِ البابوية.

فالقصرُ حَوَّلَهُ إلى ماخـورةٍ ... «حنًّا» ومات بضربةِ الشيطانِ

▫ «يوحنا الثاني عشر» (٩٥٦ ـ ٩٦٤م)، هو ابنُ «الباريك»، وهو أولُ

---

(١) «تاريخ المملكة المغربية» (٣/ ٣٣٠).

(٢) «جرائم النصرانية» (١/ ١٢٩).

(٣) «جرائم النصرانية» (١/ ١٢٦).

بابا غيَّرَ اسمَه، حيث كان اسمُه الأصلي «أوكتافيان»، وهو الذي انتَخب نفسَه للبابوية لَمَّا كان في السابعةَ عَشْرةَ من عمره.

❑ قال «ولْك»: «إنَّ تدنُّسَهُ وتَهتُّكَهُ فاقَ كلَّ حدٍّ».

وقد أُقيمت علىٰ قداستِه الحُجَّةُ عَلَنًا من أجلِ التسرِّي والزنا بالأقاربِ المحارمِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسة، وهذ البابا كان ذا شهرةٍ رديئةٍ من أجلِ شهواتِه، حتىٰ إنَّ النساءَ الزَّائرات لم يتجاسَرْن علىٰ المجيءِ إلىٰ روميًّا[1].

❑ قال «بوار»: «إنَّ هذا البابا قد حَوَّل القصرَ اللاتيريني - الذي كان مَسكنًا للقديسين - إلىٰ ماخورةٍ، وفيه كان يُضاجعُ سُرِّيَّةَ أبيه، وإنَّ النساء من أجلِه كنَّ يَخَفْنَ أن يأتِينَ من البلاد الأخرىٰ لِيَزُرنَ قبورَ الرسُلِ والقديسين في «روميًّا»، وإنَّ قداستَه ما كان يَدَعُ أيَّ امرأةٍ، بل كان يُجبِرُ الزوجاتِ والأراملَ والعذارىٰ أن يَخْضَعْنَ لمطالبه الرَّجسة، ثمَّ تمكَّن «أوتو» من خلعِ هذا البابا بالتماسٍ من مَجْمَعٍ مؤلَّفٍ من المطارنة والعامة، لارتكابه انتهاكَ حُرمةِ الأشياءِ المقدسةِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسةِ والتجديفِ والتشويهِ القاسي؛ لأنَّه قَطَع يدَ أحد الشمامسة اليمنىٰ وخَصَاه، وقَلَع عين «بانديكت»[2]، وقَطَع أنفَ حافظِ الأوراقِ القديمةِ وجَلَدَ نيافة مُطران «أسباير»، ولَعَن وحَرَم جميع أضداداه، ثم مات عَقِبَ هذا الحرامِ بضربةٍ أتته علىٰ رأسِه بينما كان مضطجعًا في الفراشِ مع إحدىٰ النساء المتزوِّجات[3].

(١) «البابوات» تأليف «ولك» (ص٨٧).

(٢) أسأل اللَّهَ أن يقطع لسان «بنديكت السادس عشر».

(٣) «تاريخ البابوات» تأليف باور (٢/ ٣٢٠).

❑ ولاحظ «جوتن» أنَّ «بارونيوس» قال روايًا عن «لويتبراندس»: إن الشيطانَ هو الذي ضَرب البابا «يوحنا» تلك الضربةَ على رأسه، لكن يظهرُ أنه من غيرِ المحتمل أن الشيطانَ يُسيءُ لأخيه بعملٍ يقضي عليه، بل من المرجَّح غالبًا أنَّ الذي ضربَه تلك لضربةَ هو زوجُ المرأةِ الزانيةِ التي كان في فراشها[1].

❑ «بونيفاشيوس السابع» (٩٨٤ ـ ٩٨٥م) والقديس «غريقوريوس السابع» (١٠٧٣ ـ ١٠٨٧م) كانا أولادَ زنًا[2]:

تزوَّجَ بابنتي أختِه «حوبا» قداستُه كما غفرَ الذُّنوبا

❑ «بونيفاشيوس الثامن» (١٢٩٤ ـ ١٣٠٣م).. إن هذا البابا لَقَّب نفسه بمَلِكِ الملوك، واحتَجَّ الشعبُ على بَيعِه وظائفَ الكنيسةِ وسَفكِ الدماءِ والنهبِ، ومِنْ سُكناه مع ابنتي أختِه كسُرِّيَّاتٍ له، وقد وَلَدَتا من قداسته[3].

أغوى ولاطَ وأمرُهُ مستنكَرُ إنَّ الكنيسةَ للخطايا تغفرُ!

❑ «يوحنا الثالث والعشرين» (١٤١٠ ـ ١٤١٧م).. إنَّ هذا البابا حُوكِمَ أمامَ جَمعٍ تألَّفَ لذلك الغرضِ، وتبرهَنَ ضدَّه بشهادةِ سبعةٍ وثلاثين شاهدًا ـ ومعظمُ أولئك الشهودِ من المَطارنة والقسوس ـ على أن قداسته مذنبٌ لارتكابه الفِسقَ والزنا بالأقاربِ المحارمِ، واللِّواطةِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسة، والسرقةِ والقتل، وقد شَهِدَ عليه جماعةٌ بأنه أغوى واغتَصب

(١) «ملحوظات على التاريخ الأكليركي» (٣/٣٠٩) تأليف جوزت.
(٢) «تاريخ المملكة المغربية» وجه (٣٣٠).
(٣) «تاريخ البابوات» وجه ١٤٥ تأليف (ولك).

ثلاثَمئةِ راهبة، وقال كاتمُ أسرارِه الخاص «نبام»: إنَّ هذا البابا كانت له نِسوةٌ في «بولونيا»، وأصحبت نحوُ مئتي بنتٍ ضحيَّةَ شَهواتِه ورفاهةِ قداسته[1].

□ الأحبارُ الرومانيَّة:

«سكستوس الرابع» (١٤٧١ ـ ١٤٨٤م).

□ قال «سنجر» في كتابه «تاريخ العهارة» وجه ١٥٩: إنه وقعَ تحت نَظَره كتابٌ عن حياةِ البابوت ـ والكتاب يُدعىٰ «الأحبار الرومانية» طبع مدينة نيويورك سنة ١٨٤٥م ـ، قال: إنه قرأ في ذلك الكتاب أنَّ تذكاراً أُهدي إلىٰ «سكستوس الرابع» بأحدِ أفرادِ عائلةِ الكردينال القديس «لوسيا»، حيث سَمَحَ له أن يرتكبَ جريمةَ اللِّواطة! وأنَّ البابا كتب علىٰ ذلك التصريحِ أو الإذنِ كلمة «فيات» ومعناها «أمر أو حُكم».

«إينوستسيوس الثامن» (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣م).. إنَّ قداسةَ هذا البابا كان من الأدنياء، ولم يكن له أدنىٰ سُلطةٍ علىٰ شهواته، وقد اشتهىٰ قداستُه أرملةً وابنتين، فجعَلَهن تحتَ تصرُّفِ شهواتِ قداسته.

□ قال «ولْك»: إن هذا البابا رجلٌ لا آدابَ عنده، ومُخادعٌ وطَمَّاع، وكَسَلَفِهِ لم يكن نُصْبَ عَينيه إلاَّ غرضٌ واحدٌ يَرمي إليه، وهو تنميةُ وإكثارُ عائلتِه الوقتيَّةِ الوراثيَّة[2].

□ وقال عنه «موشايم»: «إنَّ دناآتٍ كثيرةً وجرائمَ عظيمةً وارتكاباتٍ فظيعةً قد أُرِّخَت عنه، حتىٰ صار من اللازم المؤكَّد أنه كان رجلاً مُجرَّداً ـ ليس عن الدِّيانة فقط ـ بل من اللياقةِ والخَجَل[3]، وهذا البابا في أحدِ

(١) انظر كتاب «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٦) طبعة ٤٣ تأليف الأب «شينكوي».

(٢) «البابوت» تأليف «ولك» مجلد ٣ وجه (٣١).

(٣) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه (١٣٨).

الأعيادِ كان عند قداستِه نِسوةٌ زانيات يَرقُصْن، وهؤلاء الزانيات بإشارةٍ منه خَلَعْنَ ملابسهنَّ و. . . نحن نُسدل ستاراً على بقيَّة المنظر(١) .

□ زَنَى بابنتَه وأختِه!!:

وقد كان قداستُه يَزني بأختِه وابنتِه «مدموزيل لوكرتيا»، حيث أنجَبَ منها ولداً!(٢) ، أمَّا من جهةِ روايةِ موته، فنتبع «رِنك» في تاريخه عن البابوات حيث قال: «مِن الثابت والمحُقَّق أنَّه أراد أن يُسمِّمَ أحدَ الكردينالاتِ الأغنياءِ ليتخلَّص من شرِّه، فأوعزَ إلى الطَّاهي كي يضعَ السُّمَّ في إناءِ الكاردينال، ولكنَّ الكردينال عَرَفَ ذلك، فاحتال بواسطةِ الهدايا والوعودات والصلواتِ وكسبِ قلبِ رئيسِ طُهاة البابا، والإناءُ المسمومُ الذي كان منويًّا وَضعُه أمامَ الكردينال وُضعَ أمام البابا، ومات بالسُّمِّ الذي دسَّه لغيره!!(٣) .

«بولس الثالث» (١٥٣٤ ـ ١٥٥٠م).. هذا البابا أيضًا كان زانيًا، واعترف بولدٍ وبنتٍ وُلِدا له غيرِ شرعيَّين، ولقد اعترضَ الإمبراطورُ عليه لأنَّه رقَّى حفيدَيه إلى منصبِ الكردينالات، وهما حديثَا السنِّ، فأجاب البابا أنه يريدُ أن يَفعلَ كما فَعَلَ سَلَفُه مِن قَبلِه!!(٤) .

وَرِثوا من الأسلافِ كلَّ كريهَةٍ   وتســتَّروا خَوفًا من الأتبـاعِ

---

(١) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه (١٣٨).

(٢) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٦) تأليف الأب «شنكوي».

(٣) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه (٣٥) تأليف «رنك».

(٤) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه (١٦٣) تأليف «رنك».

□ قال الأبُ «شنكوي»: لا يظنَّ القارئُ ولا يُخدَعُ بتصوُّره أنَّ بابوات «روميا» في يومنا هذا أحسنُ أو أشرفُ من بابوات القرون الوسطىٰ! بل هم الآن علىٰ نَمَطِ أسلافِهم القدماءِ، لا فرقَ بينهم سوىٰ أنهم في هذه الأيَّام يَهتمُّون في إخفاءِ خَلاعتِهم خوفًا من هذا العالَم الذي أصبح متمدِّنًا، فهم يخافون علىٰ وظائفهم وتهييجِ الشعبِ ضدَّهم، فيُخفُون خلاعتَهم وتهتُّكَهم بظواهرِ التَّديُّن قَدْرَ ما أمكن.

□ راهباتٌ أم عاهرات؟!!:

اذهبِ الآن إلىٰ «روميًا»، وهناك الرُّومُ الكاثوليك يَدُلُّونك علىٰ البِنتين الجميلتينِ اللتينِ وُلِدَتا للبابا «بيوس التاسع» (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨م) من صاحبتَيه!!! وهناك يُخبِرونك عن أسماءِ خمسِ صاحباتٍ أُخَرَ له ـ ثلاثٌ منهنَّ راهباتٌ ـ، وهؤلاء كان يُصاحِبُهنَّ منذ كان خوريًّا ومُطرانًا!! والبعضُ منهنَّ ما زِلْنَ علىٰ قَيدِ الحياة يُرْزَقْنَ[1].

□ البابا «غريغوريس» من أكبرِ سكِّيري إيطاليا!!:

□ قال الأب «شنكوي» في كتابه «الخوري والمرأة والاعتراف»: «سَلْ أولئك الذين يَعرفون البابا «غريغوريس السادس عشر» (١٨٣٢ ـ ١٨٤٦م) سَلَفَ «بيوس التاسع»، وهم يَروُون لكَ تاريخَ صاحباتِه، وكانت إحداهنَّ زوجةَ حلاَّقِه! ويُخبرونك أيضًا بأنَّ قداستَه كان من أكبرِ سكِّيري إيطاليا![2]» انتهىٰ.

---

(١) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٧) تأليف شنكوي.

(٢) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٧) تأليف شنكوي.

وبعدَ هذا العرضِ الموجَزِ للتاريخ المُخزِي لبابوات الفاتيكان، ألاَ يَستحي «بندكتوس السادس عشر» من الظهور أمامَ العالم ليتَحدَّث باسمِ هذه البابَوية المُقرِفة، فضلاً عن النَّيلِ من شِرْعةِ الإسلام الطاهرة ومن رسولِها الزكيِّ عليه الصلاة والسلام؟؟! وألا يَستحي المُصفِّقون له والمدافعون عنه ودعاةُ التقاربِ معه من الظهورِ أمامَ الناس بعد اليوم؟!»[1] اهـ.

*** مهلاً يا بابا! إنّي أدعوك إلى الإسلام!:**

◻ قال الكاتب: د. عدنان علي رضا النحوي:

*** رسالة إلى بابا الفاتيكان: مهلاً يا بابا! إنِّي أدعوك إلى الإسلام!:**

تحدَّث بابا الفتيكان «بنديكت السادس عشر» في محاضرته في جامعة «ريجينسبورج» في «بافاريا» بألمانيا حولَ ما يَعتقدُه من خلافٍ بين الإسلام والنصرانيةِ في العلاقة بين «الإيمان والعقل».

لم تكنْ إساءتُه الأولىٰ للإسلام فيما ادَّعاه من نقاطٍ مِثلَ سُوءِ فهمِ الآية الكريمة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ومن مِثلِ «الحربِ المقدَّسة في القرآن»، ولا بقوله الذي خالَفَ فيه الإيمانَ والعقلَ معًا في وقتٍ واحد، حين قال: «أرِني شيئًا جديدًا أتىٰ به محمدٌ، فلن تجدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنسانيٌّ، مِثلَ أمرِه بنَشرِ الدين الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيف»، وهنا لم يكن خطؤه مخالفةَ الدين والعقلِ فحسب، ولكنْ وَقَع في خطإٍ كبيرٍ، ألاَ وهو

(١) «المقال» للدكتور خلدون مكي الحسني - دمشق ٢٣ شعبان ١٤٢٧هـ.

«الافتراءُ»، أو الكَشفُ عن جَهلِه الواسعِ بالإسلام!.

إن إساءتَه الأولىٰ كانت لنفسه وللنصرانيةِ التي أتىٰ بها عيسىٰ عليه السلام وللدِّينِ كلِّه والعقلِ كله، فهل يُعقَلُ أنَّ اللَّه الواحدَ الأحدَ، ربَّ السموات والأرضِ وربَّ العالمين، وجميعُ الخَلقِ عبادٌ له، هل يُعقَلُ أن اللَّهَ الواحدَ يَبعثُ لعبادِه بأديانٍ مختلفةٍ متصارِعة، ثمَّ يُحاسِبُهم يومَ القيامة؟! إذا كان الدينُ عند اللَّه هو الحق، بَعَث الرسلَ والأنبياءَ ليُذكِّروا عبادَه بالحقِّ الذي يجبُ أن يتَّبعوه في الحياةِ الدنيا، ليدخلَ المؤمنون الجنَّةَ برحمةٍ من اللَّه، ويدخلَ الكافرون النارَ عدلاً من اللَّه سبحانه وتعالىٰ، إذا كان الدينُ من عند اللَّه هو الحقُّ، فهل يُعقَلُ أن يَبعثَ رُسُلَه بأديانٍ متصارعةٍ؟! كلاَّ! ثُمَّ كلاَّ! فهذا لا يُعقَلُ، فالدينُ عند اللَّه واحدٌ، بَعَث جميعَ رسلِه بدينٍ واحدٍ هو دين الإسلام، دينًا واحدًا! فاستَمعْ إلىٰ ما يقوله الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وكذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وكذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

☐ هذه هي الحقيقة الأولىٰ التي يَفرِضُها العقلُ والدينُ في وقتٍ

واحد، ألاَ وهي: «أنَّ الدين كله من عند اللَّه وهو دين واحد»! فكيف غابَت هذه الحقيقةُ عن إيمانِ البابا وعقله؟!.

* ولذلك جاءت الآياتُ في القرآن الكريم واضحةً جليلةً تُبيِّنُ بشكلٍ حاسمٍ أنَّ جميعَ الرسُلِ والأنبياءِ جاؤوا بدينٍ واحدٍ من عند اللَّه هو الإسلام، فالإسلامُ دينُ نوحٍ وإبراهيمَ وموسىٰ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسىٰ وأيوبَ ويونسَ وهارونَ وسليمانَ وداودَ وغيرِهم عليهم السلام ممن ذكرهم القرآن الكريم أم لم يذكرهم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[النساء: ١٦٣ - ١٦٦].

ولقد جاءت الآياتُ البيناتُ تبيِّنُ أنَّ كلَّ نبيٍّ ورسولٍ كان مسلِمًا، وكذلك أن الذين آمنوا به واتبعوه كانوا مسلمين، وهذه هي الحقيقةُ الثانيةُ المرتبطةُ بالحقيقةِ الأولىٰ السابقِ ذكرُها: «أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، والذين اتبعوهم».

* ولذلك أصبح مِن أُسسِ الإيمانِ في الإسلام، في دينِ اللَّه، أن يؤمنَ المسلمُ بجميع الأنبياءِ والرسل، لا يُفرِّقَ بين أحدٍ منهم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

* وكذلك: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

* ونوحٌ عليه السلام يقول: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

* وإبراهيمُ عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* وموسىٰ عليه السلام كذلك: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

* وعيسىٰ عليه السلام ومَن آمن معه: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين.

* أما قولُ البابا عن التناقضِ بين ما تُشيرُ إليه الآيةُ الكريمة: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبينَ أمرِ رسولِ اللَّه ﷺ بنشرِ الدينِ بحدِّ السيف: كان أحرىٰ بالبابا أن يذكرَ

الآيةَ كاملةً حتىٰ ينجليَ المعنىٰ، فلا تعارُضَ بين قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وبين أمرِه سبحانه وتعالىٰ بالجهادِ في سبيل اللَّه، قضيَّتانِ متداخلتانِ تُكمِلانِ المعنىٰ والصورةَ لتكونَ جُزءًا من نهجٍ واحدٍ متماسك.

فـ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ تعني: أنَّ اللَّهَ لا يَقبلُ من أحدٍ إيمانًا لم يكن نابعًا من قلبِه متيقِّنًا منه، فعلىٰ الإنسانِ أن يَستمعَ للدعوةِ إلىٰ الإيمانِ الحق، إلىٰ الإسلام، ثمَّ عليه أن يُفكِّرَ، ثمَّ عليه أن يُقرِّرَ هو بنفسه - آمَنَ أم لم يؤمن -، ثم يتحمَّل هو مسؤوليةَ قراره، ولكنَّ المشكلةَ هنا أنه يجبُ أن تَبْلُغَه الدعوةُ واضحةً جليَّةً ليفكِّرَ، وأن يُفسَحَ المجالُ للإنسانِ ليستمعَ ثمَّ ليفكِّر، ثمَّ ليقرِّر، ثمَّ ليتحمَّلَ مسؤوليةَ قراره، ولكلِّ قرارٍ نتيجة: فلو قرَّر الكفرَ فمصيره إلىٰ النار، وإن قرَّر الإيمان فمصيرُه إلىٰ الجنَّة.

* وحينَ حَمَّلَ اللَّهُ الإنسانَ مسؤوليةَ الإيمانِ أو عَدَمِه، وفَّر له جميعَ الإمكاناتِ التي تُعينُه علىٰ اتخاذِ قرارِ الإيمانِ لينجوَ عند اللَّه، واستَمِعْ إلىٰ آياتِ اللَّهِ البيِّنات: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾

[الكهف: ٢٩ - ٣١].

ولذلك كان من أهمِّ القضايا التي يؤكِّدُها القرآنُ الكريمُ: أَمْرُ اللَّه

للإنسان أن يُفكِّرَ التفكيرَ الإيمانيَّ السليم، ويُلِحُّ القرآنُ الكريمُ بهذه القضيةِ إلحاحًا شديدًا، ويوفِّرُ اللَّهُ لعبادِه سبيلَ التفكيرِ الإيمانيِّ الذي يَهدي إلىٰ الإيمانِ والعملِ الصالح، وذلك بنِعَمٍ من اللَّه كثيرة:

١ ـ أنْ جَعَل الإيمانَ فِطرةَ الإنسان التي يُولَدُ عليها، وأبواه يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه، فتَفْسُدَ فطرتُه، ويتحملُ أولئك المسؤوليةَ عند اللَّه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

● وكذلك الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ قال: «ما مِن مولود إلاَّ يُولَدُ على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه، كما تُنتِجُ البهيمةُ بَهيمةً جمعاءَ، هل تُحسُّون فيها من جَدعاءَ؟»(١).

ولذلك جَعل اللَّهُ برحمتِه دينَه دينَ الفِطرةِ التي يُفْطَرُ الناسُ جميعًا عليها، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾.

٢ ـ أنْ جَعَل آياتِه بيناتٍ في السمواتِ والأرضِ، وفي الإنسانِ نفسِه آياتٌ بيناتٌ شاهداتٌ علىٰ أنَّ اللَّهَ حقٌّ واحدٌ لا إله إلاَّ هو: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

(١) أخرجه أحمد ومسلم.

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢٣].

٣ ـ أرسَلَ الأنبياءَ والرسلَ في كلِّ أُمَّةٍ، حتىٰ لا يكونَ للناسِ علىٰ اللَّه حُجَّةٌ بعد الرُّسُل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وخَتَم الأنبياءَ والمرسَلين بمحمدٍ ﷺ الرسولِ الذي بَشَّر به موسىٰ وعيسىٰ والأنبياءُ عليهم السلام.

٤ ـ أنْ أنعَمَ علىٰ الإنسانِ بالسَّمعِ والبصرِ والفؤادِ، وجَعل اللَّهُ كلَّ أولئك عنه مسؤولاً: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

لذلك أَصبحتِ القضيةُ الآنَ ـ إيمانًا وعقلاً ـ أن تُبلَّغَ الدعوةُ إلىٰ الناس كافَّةً، وأن لا يَقفَ أمامَها حاجزٌ يَصُدُّ عن سبيلِ اللَّه، ويمنعُ وصولَ الحقِّ إلىٰ الناس، فيبدأ المومنون بالتبليغِ والبيانِ والتعهُّدِ والموعظة الحسنة: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٥ ـ ١٢٨].

* ولم يَكُنِ الأمرُ بالدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ أمرًا مرهونًا

بزمنٍ، ولكنه أمرٌ ممتدٌّ امتدادَ الدعوةِ الإسلاميةِ ما دامت الطُّرُقُ مفتوحةً والأبوابُ مُشْرَعَةً ولا يُوجَدُ اعتداءٌ على الإسلامِ ولا ظُلمٌ ولا صَدٌّ عن سبيله، وهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

* نعم! ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾! فهم الظالمون المعتدون!.

* ولَمّا نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

* وقولُه سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

● فما كان الجهادُ في الإسلام إلاَّ «ردًّا لعدوانٍ عليه»(١)، أو «بلاغًا لرسالةِ اللَّه إلى الناس بعد أن صُدَّ عن سبيله»(٢)، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يقول: «خَلُّوا بيني وبين الناسِ حتى أُبلِّغَ رسالةَ ربِّي»!.

وكان أعداءُ الإسلامِ هم المُعتَدِين بصورةٍ مستمرَّةٍ، ولذلك جاء قولُه

---

(١) وهو جهاد الدَّفْع.

(٢) وهو جهاد الطَّلَب.

سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠].

وكذلك جَمَع الرومانُ حُشودَهم حولَ الجزيرةِ العربية قبلَ غزوة «مؤتة» التي أَمَر الرسولُ ﷺ الصحابةَ أن يتحرَّكوا إليها لمواجهتِهم.

وأعجَبُ من كلامِ البابا هذا بأنَّ محمداً ﷺ أَمَر بنشرِ دينِه بالسيف!! وتناسَىٰ الآياتِ الكريمةَ التي تدعو إلىٰ الدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة! والإسلامُ يريدُ أن تُبلِّغَ رسالتُه، فحين تكونُ الحِكمةُ والموعظةُ الحسنةُ هي السبيلَ الممكنَ، يُتَّبَعُ، وإنْ كان هنالك عدوانٌ وصدٌّ عن سبيل اللَّه، فقد شَرَع اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ الجهادَ في الإسلام حقًّا.

إنَّ الإسلامَ جاء لِيُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النور، ومِن الكفرِ إلىٰ الإيمان، ولِينقذَهم من عذابِ جهنَّمَ إلىٰ نعيمِ الجنَّة، وهذا هو أخطرُ ما في حياةِ الإنسان علىٰ الأرض في الحياة الدنيا.

أيُعقلُ بعد ذلك أن يُتْركَ الإنسانُ علىٰ هواه، إنِ اختارَ الشِّركَ، أو الكفرَ دونَ بَذلِ الجهود لإنقاذه؟ أرأيتَ لو أنك عايَنْتَ رجلاً يكادُ يَغْرَقُ في البحر، أتترُكُه دونَ أن تُنقذَه وأنت قادرٌ علىٰ ذلك؟ فكيف إذا كان الإنسانُ سيُلْقَىٰ في نارِ جهنم، أتترُكُه دونَ محاولةِ إنقاذه؟!.

ولو أنك كنتَ تسيرُ علىٰ طريقٍ تعرفُه، وأمامَك يَسيرُ رجلٌ لا يَعرفُ الطريق، وأمامَه هُوَّةٌ عميقةٌ فيها نارٌ تلظَّىٰ، فلو تركتَه يُتابعُ سَيْرَه سيَهوِي في لَهيبِ النار، أكنتَ تترُكُه يَهوِي، أم تُقبِلُ عليه ليرجعَ؟ فإذا اقتنع وعاد إلىٰ الصوابِ والحقِّ، فذلك هو المقصود.. وأما إذا أبي وأصرَّ علىٰ أن يَمضيَ

إلى هلاكِه، أكنت تتركُه أم تمنعُه ولو بالقوَّة؟! وإذا كان هذا الرجلُ ابنَك، أو أخاك، أو رجلاً آخر، أكنتَ تاركَه؟!.

وهكذا الإسلامُ، جاء لِيمنعَ الناسَ مِن أن يَهْوُوا في نارِ جهنم، لِينقذَهم من النارِ إلى الجَنَّةِ، فالأمرُ أخطرُ مِن أن يؤخَذَ بهذه البساطة، بساطةِ العلمانيةِ التي تتركُ أمرَ الدينِ للفردِ نفسِه، لا تَحرِصُ على آخرَته.

وهذا الذي ضَرَبَ البابا مثلاً به، الطالبُ في الجامعة الذي أعلَنَ كُفرَه صراحةً، وأنكر وجودَ الرب، فتُرِك هو وشأنَه، يقول البابا: «إن التماسُكَ الدخليَّ للإيمانِ داخلَ هذا الكونِ لم يتأثَّرْ بكُفرِ هذا الرجل»! هذا ظنٌّ ووهم! وإلاَّ ما قيمةُ الدينِ والرسالاتِ السماويةِ إذا كان شأنُها أن تَتركَ المُلحِدَ على إلحادِهِ لِيهويَ في جهنم إذا مات على الإلحاد؟! ما قيمةُ الدين إذن، والنتيجة واحدةٌ إذا كان هنالك دينٌ أم لم يكن هنالك دين؟! كيف لا يتأثَّرُ التماسُكُ الداخليُّ للإيمانِ في داخلِ الكون بوجودِ مُلحِدِين تتركُهم وإلحادَهم؟!.

إن الدينَ جاء لِينقذَ الناسَ من خطرٍ هو أعظمُ من أيِّ خطرٍ في الحياة الدنيا، لِينقذَهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ما دامت تُفيد، وبالقوةِ والشدةِ إذا لَزِم الأمر. وتَركُ الملحدِ لإلحادِهِ سيَنشرُ الفسادَ في الأرض، ويَمتدُّ الإلحادُ، وتَطغى الفِتنُ في الأرض كما هي تطغى اليومَ في ظِلِّ سيطرةِ النصرانية، ويُفْتَنُ الناسُ عن دينِهم وإيمانهم.

ولكننا نَعجَبُ من البابا كيف يَتَّهمُ الإسلامَ بأنه نُشِر بالسيف، ويتناسى العالَمَ النصرانيَّ منذُ قُرونٍ طويلةٍ وهو يَحمِلُ كلَّ أنواعِ السلاحِ والتدميرِ

غاراتٍ متواصلةً على العالَم الإسلامي، وما زالت ممتدةً ترتكبُ أسوأَ أنواعِ الجرائمِ في الأرض؟! هذه الجرائمُ باسم «الديمقراطية» يقودُها العالَمُ الغربيُّ باسمِ «النصرانية»، كذلك كما أعلنها «بوش» بأنها «حربٌ صليبية»، وكما أعلنها غَيرُه، وكما تنطق التصرُّفاتُ المتتاليةُ المختلفةُ من العالَم الغربي.

وموقفُ بابا الفاتيكان موقفُ العَداءِ من الإسلام والمسلمين ليس جديدًا، وإنما هي مواقفُ متكررةٌ في حقدٍ وعَداءٍ مكشوف، ولا نراه بذلك يُطبِّقُ ما يزعمونه بأنه دينُ عيسى عليه السلام.

ولا حاجةَ لأن أُذكِّرَ بابا الفاتيكان كيف تكوَّنت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ في قَلبِ الإمبراطوريةِ الرومانية، وبعد صِدامٍ وصِراعٍ مع الوثنيةِ لمدةٍ تَزيدُ عن (٣٠٠) سنة، أثَّرت الوثنيةُ اليونانيةُ الرومانية فيها، فمنها أَخذت طقوسَها التي لم يأتِ بها عيسى عليه السلام، ومنها أَتت فكرةُ «التثليث» التي رَفَضها طائفةُ «الآريوسيين» وتمسَّكوا بالتوحيدِ الخالِصِ للَّه، فقَضَوا عليهم قضاءً مُبرَمًا.

وإذا كان البابا حريصًا على «الإيمانِ والعقل»، ففي كلامِه فارَقَ الإيمان وفارَقَ العقل، وأَغْرَقَ في الافتراءِ والظلم.

نَقصِدُ من هذه الملاحظات أن نُعرِّف بابا الفاتيكان على بعضِ القضايا في الإسلام، القضايا التي هي واضحةٌ في كتاب اللَّه! ولكننا نَظلُّ نَعجَبُ أن يَصدُرَ عن رجلٍ في هذا المركزِ الحساسِ ما يكشفُ عن جهلٍ كبيرٍ بالإسلام، واضطرابٍ في الإيمان ودَورِ العقل.

فالإيمانُ يَفرضُ عليه وعلى غيرِه أن لا يتحدَّثَ عن أيِّ موضوعٍ إلاَّ بعد

دراستِه دراسةً أمينةً، ونُذكِّرُ بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[الإسراء: ٣٦].

والعقلُ يَفرِضُ كذلك أنْ لا يتحدَّثَ الإنسانُ عن موضوعٍ إلاَّ بعد دراستِه دراسةً جادةً، ليكونَ أمينًا فيما يَعرِضُه، فالإيمانُ والعقلُ يَفرضانِ الأمانةَ والصدقَ وعدمَ الافتراء.

هذه ملاحظاتٌ سريعةٌ نسوقُها، عسىٰ أن تَصِلَ إلىٰ أُذُنِ بابا الفاتيكان، وقلبِه، لِيستفيدَ منها في حياته وآخرته.

◻ وفي قوله: «أرني شيئًا جديدًا أتىٰ به محمد، فلن تَجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني..»!.

● فإنَّ محمَّدًا ﷺ يَردُّ علىٰ ذلك في حديثِه الشريفِ الذي يَرويه عنه أبو هريرة وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ ﷺ: **«مَثَلي في النبيِّين كمَثَلِ رجلٍ بني دارًا، فأحسنَها وأكْمَلَها وأَجْمَلَها، وتَرَكَ منها مَوضِعَ لَبِنَةٍ لم يَضَعْها، فجَعَلَ الناسُ يطوفون بالبُنيانِ ويَعْجَبون ويقولون: لو تَمَّ موضعُ هذه اللَّبِنَةِ!! فأنا في النبيين موضعُ تلك اللبِنة»**[1].

وهذا تأكيدٌ علىٰ أنَّ الدينَ واحدٌ عند اللَّه، وأنه دينٌ واحدٌ لجميعِ الرسلِ والأنبياء، وأنَّ محمداً ﷺ خاتَمُ الأنبياءِ والمرسلين.

ولكننا من ناحيةٍ أخرىٰ نَعتِبُ علىٰ أنفسِنا ـ نحن المسلمين ـ، الذين

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي.

انتشروا في الأرض ملايينَ من الدعاةِ، ثم نكتشفُ كلَّ يومٍ أنَّ رسالةَ الإسلامِ لم تُبلَّغ لا إلىٰ هذا ولا إلىٰ ذاك، وأولُ واجبنا قبلَ أن نهاجمَ البابا هو أن نوضِّحَ له الإسلامَ، ثمَّ ندعوه بشكلٍ واضحٍ صريحٍ إلىٰ الإسلام، إلىٰ دينِ عيسىٰ عليه السلام ودينِ جميعِ الأنبياء والمرسلين، إننا ندعوه ونُلِحُّ بالدعوةِ، عسىٰ أن يَهدِيَ اللَّهُ قلبَه فيؤمنَ فينجوَ من فتنةِ الدنيا وعذابِ الآخرة.

لقد سَبَق أن ذَهَب وفدٌ من المسلمين إلىٰ الفاتيكان لأجلِ الحوار! أيُّ حوارٍ كانوا يَقصِدون؟! فهم يَعرِفون موقفَ البابا من الإسلام، والبابا يعرفُ موقفَ المسلمين من الفاتيكان، وكلاهما يعرفُ أنه لا نُقطةَ لقاءٍ بين الفريقين إلاَّ أن يتنازلَ أحدُهما عن عقيدتِه، فهذا إذن ليس حواراً، وإنما كان يجبُ أن يدعوَ الوفدُ البابا دعوةً صريحةً إلىٰ الإسلام، وأن تكونَ دعوةً جليَّةً جريئةً لا مجاملاتِ فيها علىٰ حسابِ الحق، وهذا هو أمرُ اللَّه لنا، فلْنستمعْ إلىٰ ما يأمرُنا به اللَّه: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾

[آل عمران: ٦٠ ـ ٦١].

* ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [البقرة: ٦٢ ـ ٦٤].

□ شتَّانَ بين هذه الدعوةِ الواضحةِ إلى الحقِّ، وبين ما كان يَجرِي عليه الحوار! حتى لقد صَرَّح رئيسُ وفدِ الحوارِ إلى الفاتيكان أنَّ البابا قال لهم: «نحنُ لا نؤمن بأنَّ محمَّدًا رسولٌ من عند اللَّه»! ثمَّ يتساءل: «لِمَ الحوارُ إذن؟!».

نعم! لِمَ الحوارُ وهم لم يطلبوه ولكن أنتم طلبتموه وسعيتُم إليه! ذهبتم ولم تُبلِّغوهم دينَ اللَّه بوضوح، كانوا جريئينَ بضلالهم، ونحنُ ضعفاءُ بالحقِّ الذي نؤمنُ به، هم لا يُجامِلون، ولا يَرقُبُون في مؤمنٍ إلاً ولا ذِمَّةً، ونحن نتنازلُ كلَّ يومٍ عن شيءٍ من ديننا!!.

□ ومِن أعجبِ ما قاله البابا: «أرني شيئًا جديدًا أتى به محمد، فلن تجدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني»!.

فإن كان هناك شيءٌ يكشفُ الوجهَ، فلا شيءَ يَكشِفُه أكثرُ من هذا القول، وليس هذا بجهلٍ فحسب، ولكنه افتراءٌ على رسولِ اللَّه ﷺ، وأهمُّ ما جاء به محمدٌ ﷺ: مكارمُ الأخلاق، والحبُّ في اللَّه، والكلمةُ الطيبةُ، والإحسانُ، وصِلَةُ الرحم، وبرُّ الوالدين، والبرُّ كله.

عَلَّمنا محمدٌ ﷺ أَدَبَ الكلمةِ واللفظةِ، بحيث تكونُ صادقةً لا كَذِبَ فيها ولا افتراء.. معاني الإنسانيةِ الحَقَّةُ لا نَجِدُها في أيِّ رسالةٍ كما نَجِدُها في دينِ الإسلام، دينِ جميعِ الأنبياءِ والرسلِ الذين خُتِموا بمحمدٍ ﷺ.

ولو أردتُ أن أُعدِّدَ كلَّ ما جاء به محمدٌ ﷺ مِن عندِ ربِّه ـ من الخير ومعاني الإنسانية ـ لاحتجتُ إلى مؤلَّفات، ولكنْ يكفي أن أقولَ: إنه جاء بما أنت بحاجةٍ إليه!.

وحَسْبُك حديثُ رسول اللَّه ﷺ يَرويه عنه أبو هريرة ﷺ: «إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّم صالحَ الأخلاق»[1].

◻ أيها البابا، إني أدعوك إلى الإسلام دعوةً واضحةً صريحةً، فأسلِمْ، عسى أن تَسلَمَ بين يدي اللَّه، إنَّ الحقَّ جَلِيٌّ، واللَّهُ أرحمُ بعبادِه من أن يَتركَ الحقَّ مبهمًا غيرَ بيِّنٍ أو جَلِيٍّ.

فإذا قَضَيتَ وغادرتَ الدنيا، ورأيتَ أنك كنت كما أنت الآن على غيرِ الحق، وبدا لك أنَّ الحقَّ هو ما جاءت به الرسلُ والأنبياءُ والنبيُّ الخاتَمُ محمدٌ ﷺ، فماذا أنت فاعل؟! وماذا يفعلُ الذين اتَّبعوك؟!.

أُكرِّر بإلحاحٍ - أيها البابا - أنْ أَسْلِمْ، فعسى أن تُنقِذَ نفسَك وتُنقِذَ الملايين ممَّن يتبعونك.

أنا لا أنتظرُ اعتذارك! ولكنْ أنتظرُ توبتَك إلى اللَّهِ، لأنك ارتكبت معصيةً كبيرةً.

فالإساءةُ إلى أيِّ نبيٍّ أو رسولٍ إثمٌ ومعصيةٌ عند اللَّه، وبخاصةٍ إذا كانت إلى خاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]»[2] اهـ.

***

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن سعد، والحاكم، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٢) موقع الدكتور عدنان النحوي على «النت» - تاريخ النشر في الموقع: ١٠/١٠/٢٠٠٦م - ٦/٩/١٤٢٧هـ.

* **خطابٌ مفتوحٌ إلى البابا «بنديكتوس السادس عشر»:**

◻ كتبت الدكتورة زينب عبدالعزيز: «أبدأُ بهمسةِ عتابٍ كزميلةٍ في اللقبِ الجامعي - وهو المستوىٰ الذي يَدورُ في نطاقِه هذا الخطاب - وكإنسانةٍ مُسلمةٍ، نالها من الإهانةِ والمرارةِ والألمِ ما نال المسلمين في العالَمِ أجمعَ مما ورد في المحاضرة التي ألقيتموها، في جامعة «ريجنسبرج» بألمانيا، تحت عنوان: «العنف يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه ومع طبيعة الروح».

◻ فمَن يَحملُ علىٰ كاهِلِه أمانةَ ومسؤوليةَ كلِّ هذه الألقاب، عارٌ عليه أن يتدنَّىٰ إلىٰ مستوىٰ السبِّ العلنيِّ لدينٍ يتمسَّكُ به ويتَّبعُه أكثرُ من خُمسِ سكانِ العالم.. وعارٌ عليه أن يختارَ موقفَ التحدِّي الاستفزازيِّ للنَّيل من الإسلام والمسلمين.. وهو موقفٌ يندرجُ بلا شك ضمنَ مسلسلِ الإساءةِ والمحاصرةِ الذي بدأ منذ بدايةِ انتشارِ الإسلام ويتواصلُ حتىٰ يومِنا هذا، إنه موقفٌ وَضَعَكم علىٰ أرضِ احتقارِ الآخر، والكذبِ، والجهلِ، باختيارِكم، وكلُّها تشبيهاتٌ لا تليقُ بمَن في مِثلِ منصبِكم، فهو موقفٌ يكشِفُ عن مدىٰ جَهلِكم بدينِكم وبدينِ الآخرين من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرىٰ هو موقفٌ أشبهُ ما يكونُ بإطلاقِ العِنانِ لحملاتٍ صليبيةٍ جديدةٍ ما أغنانا جميعًا عنها!.

◻ وتؤكِّدُ جريدةُ «لاكروا» المسيحية الصادرة في ١٧/ ٩/ ٢٠٠٦، أن المحاضرةَ قد تمَّ الإعدادُ لها طويلاً، وقرأها العديدُ من المحيطين بكم، مثلَما يحدثُ مع كافةِ النصوص العامةِ علىٰ الأقل، كما تؤكدُ الجريدةُ أنه منذ يومِ الإثنين ١١/ ٩ وبينما لم يكن البابا قد نَطق محاضرتَه بعد، صَدرت الصحفُ الإيطاليةُ بعناوينَ حولَ «بنديكت السادس عشر والإسلام»! الأمر الذي يؤكدُ ربطَ هذه المحاضرةِ في هذا التوقيت بمسرحيةِ الحادي عشر من

سبتمبر! . . فما أصبح معروفًا يقينًا رغمَ التمويهِ الشديد، أن الأياديَ المدبِّرةَ أمريكيةٌ رفيعةُ المستوىٰ، وكان هدفُ المحاضرة واضحًا في ربطِه بين الإسلامِ والإرهابِ والشر. . أي أنه موقفٌ متعمَّد.

□ ولقد جاء ردُّكم وتعبيرُكم عن «الحزن» الذي انتابكم من ردود الأفعال التي أثارتها محاضرتُكم كعُذرٍ أقبحَ من ذنب، فالباحثُ الأكاديميُّ حينما يَستشهدُ في بحثه، يكونُ ذلك لأحدِ أمرين: إمَّا لتأييدِ موقفه، وإمَّا لِنَقدِ ذلك الاستشهاد، ولا يوجدُ هناك ما يسمَّىٰ باستشهادٍ لا يُعبِّرُ عن رأيِ كاتبِه بالمعنىٰ الذي حاولتم التبريرَ به: فالكاتبُ هو الذي يَستشهدُ.

وقولُكم: إن هذه العبارات لا تُعبِّرُ عن رأيكم الشخصي، في الوقت الذي يؤكدُ صُلبُ المحاضرةِ وسابقُ كتاباتكم ـ وخاصةً خطابُكم الرسوليُّ ـ، كلُّها كتاباتٌ تؤكدُ أنكم تعنونه، وذلك يَضعُكم في مصافِّ أولئك الباحثين الذين يضعون أفكارَهم علىٰ لسانِ غيرِهم حتىٰ لا تُحسَبَ عليهم خشيةَ عواقبها. . وهو موقفٌ علميٌّ يوصفُ بالجُبن، ولا يَليقُ بمَن في مكانتكم.

□ وحتىٰ التصريحُ الصادرُ عن المكتبِ الإعلاميِّ للفاتيكان يوم السبت ١٦/ ٩/ ٢٠٠٦ والذي استَشهد فيه المتحدثُ الرسميُّ بقرارِ وثيقةِ «في زماننا هذا» الصادرةِ عن مَجمعِ الفاتيكانِ الثاني سنة ١٩٦٥، فهو أيضًا بمثابةِ عُذرٍ أقبحَ من ذنب، ويكشفُ عن الموقفِ غيرِ الكريم والملتوي ـ لكي لا أقولَ ذو الوجهين ـ للفاتيكان، فمن يَطَّلعُ علىٰ مَحاضرِ صياغةِ هذا النص تحديدًا، يُصابُ بالغَثَيان مِن كثرةِ ما جاهَدَ كاتبوه لاستبعادِ أن العربَ من سُلالةِ إسماعيل الابنِ البِكر لسيدنا إبراهيم، ولا ينتمون إليه، وإنما يتخذونه مَثلاً! . واستبعاد حتىٰ أن اللّه قد خاطَبَ المسلمين عن طريقِ الوحي إلىٰ

سيدنا محمدٍ ﷺ، والمرجعُ صادرٌ عن الفاتيكان بعنوان «الكنيسة والديانات غير المسيحية»، وبه محاضر الجلسات المُخجِلة، الأمرُ الذي يوضِّحُ مدىٰ تمسُّكِكم باستمرارِ ذلك الموقفِ غيرِ الأمين تُجاهَ الإسلامِ والمسلمين، لعدمِ الاعترافِ به كديانةٍ توحيدية، وسواءٌ اعترفتم أو لم تعترفوا به، فالإسلامُ موجودٌ ومعترَفٌ به من الجميع علىٰ أنه الرسالةُ التوحيديةُ الثالثةُ المرسَلةُ للبشر، ورَفضُه أو إنكارُه لا يُدِينُ إلاَّ شخصَكم، ولا يَسَعُ المجالُ هنا لتناولِ مختلَفِ النقاطِ التي طَرحتموها في تلك المحاضرة، والتي تَزيدُ عن العشرين موضوعًا، وسأكتفي بالردِّ علىٰ ما يَخصُّ الإسلام، وهما نقطتان أساسيتان:

ما وصفتم به اللهَ عز وجل في «المذهب الإسلامي» من أن التصعيدَ المُطلَقَ للَّه عبارةٌ عن مفهومٍ لا يتفقُ ولا يتمشَّىٰ مع العقل والمنطق، ولا يُمكنُ فهمه، وأن إرادتَه لا ترتبطُ بأيٍّ واحدةٍ من فئاتكم المنطقية، ولا حتىٰ فئة المعقول؛ وأن سيدَنا محمداً عليه صلوات اللَّه، لم يأتِ إلاَّ بكلٍّ ما هو شرٌّ ولا إنساني، مثلِ أمرِه بنشرِ العقيدةِ التي يُبشِّرُ بها بالسيف!.

□ وأولُ ما يَجبُ توضيحُه هنا هو أن الإسلامَ ليس بمذهب، كما وصفتموه، وإنما دينٌ توحيديٌّ متكاملٌ، شاملُ الأركان، ثابتٌ وراسخ، وخاصةً شديدُ المنطقِ والوضوحِ، وهو ما يَجذبُ الناسَ إليه، ومجردُ إغفالِ مثلِ هذه الحقيقةِ يُوصِمُ موقفَكم، ويَكشفُ عن مَدىٰ عَدمِ الأمانةِ العلميةِ والموضوعيةِ التي تتمسَّكون بها!.

ولن أحدِّثَكم هنا عن الإسلام الذي يُمكنُكم دراستُه إن شئتم، لكنني سأسألُكم عن الكتاب المقدَّس بعَهديه، والذي تَرَون أنه بقِسمَيهِ يتفقُ مع العقلِ والمنطقِ دونًا عن القرآن، مُشيرِين في موضعٍ آخَرَ: «أن العنفَ

يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه وطبيعةِ الروح، وأن اللَّهَ لا يُحبُّ الدمَ، والتصرُّفُ بمنافاةِ العقل يُعدُّ ضدَّ طبيعة اللَّه».

□ وهنا لا يَسَعُني إلاَّ أن أسألَكم عن كلِّ ما هو واردٌ بالعهد القديم من أمرِ الإله «يهوه» لأتباعِه بإبادةِ كلِّ القُرىٰ وحَرْقِها وذَبحِ الرجالِ والنساءِ والأطفالِ بحدِّ السَّيفِ، وأَخذِ الذهبِ والفضة.. وفي مكانٍ آخَرَ يطلبُ تعذيبَهم وتقطيعَهم وحَرْقَهم في أفرانِ الطوب.. هل تتمشَّىٰ مثلُ هذه الآياتِ مع العقلِ والمنطقِ في نظركم؟ وخاصةً هل تَرَونها تخلُو من الشرِّ واللا إنسانية؟! أم هذا هو التسامحُ الذي تُقرُّونه؟!.

□ وما هو واردٌ في سِفْر «حزقيال» حين يأمرُه الربُّ أن يأكلَ خبزًا وعليه «خِراءُ الإنسان»، وحينما اشتكىٰ النبيُّ «حزقيال» أَمَره أن يُضيفَ عليه رَوَثَ البقر! هل يتمشَّىٰ هذا مع العقلِ والمنطقِ في نظركم؟! وأخجلُ حقًّا من ذِكرِ بعضِ الإباحياتِ الواردةِ بهذا النصِّ وغيره رَغمَ محاولةِ درئِها بتغييرِها، أو تعديلِها من طبعةٍ لأخرىٰ.. والنصوصُ والطبعات موجودة.

□ أما في المسيحية التي تترأَّسون أعلىٰ المناصب فيها، فأبدأُ بسؤالِكم عن تأليه السيدِ المسيح في «مجمعِ نيقية الأول» سنة ٣٢٥، رغمَ وجودِ العديدِ من الآياتِ التي يقولُ فيها السيدُ المسيح: إن «الرب إلهُنا واحد» (مرقس ٢٩ : ١٢)، «ليس أحدٌ صالحًا إلاَّ واحدٌ وهو اللَّه» (متَّىٰ: ١٩ - ١٦).. «إنِّي أصعدُ إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهِكم» (يوحنا: ١٧ - ٢٠).. «للربِّ إلهك تَسجُد، وإياه وحدَه تعبد» (متىٰ: ١٠ : ٤)، وما أكثرَ الآياتِ التي يُوضِّحُ فيها أنه إنسان: «أنا إنسانٌ قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من اللَّه» (يوحنا: ٤٠ : ٨)، كما أن هناك آياتٍ تقول: «هذا يسوع النبي الذي من

ناصرة الجليل» (١١ : ٢١)، و«قد قام فينا نبيٌّ عظيم» (لوقا: ١٦ : ٧).. ورَغْمَ كلِّ هذه التأكيدات التي لا تزالُ موجودةً ولم تُمْحَ بعد، قامت المؤسسةُ الكَنَسيَّةُ بإعلانِ أنَّ يسوع «إلهٌ حقيقيٌّ من إلهٍ حقيقي، مولودٌ وليس مخلوقًا، ومشاركٌ لآب في الجوهر».. وبعدَ ذلك جَعَلَتْه اللَّهَ شخصيًّا، فهل تتمشَّىٰ كلُّ هذه المُغالطاتِ مع العقلِ والمنطق-رغم أنها أدَّت إلىٰ تقسيم المسيحية وإلىٰ مذابح بين أتباعها-؟!.

◻ وفي «مَجمع القسطنطينية الأول» تمَّت إضافةُ أن «الروح القدس مشارِكٌ للآب في الجوهر»، ممَّا أدَّىٰ إلىٰ انفصالٍ آخَرَ للكنائس، وفي «مجمع أفسوس» سنة ٤٣١ أقرَّ المَجمعُ بدعة «أن مريم أم اللَّه»، ممَّا أدَّىٰ إلىٰ معارِكَ وانفصالاتٍ أخرىٰ.. وفي «مجمع خلقيدونيا» سنة ٤٥١ أقرَّ «الطبيعة الثنائية ليسوع».. وكلُّها عقائدُ وقراراتٌ لا يَذكرُ ولا يَعرفُ عنها يسوعُ أيَّ شيءٍ، فهل هذا يتمشَّىٰ مع العقل والمنطق؟!.

◻ والمعروفُ من إصداراتكم أنه لم يَتِمَّ تقبُّلُ عقيدةِ التثليثِ لقرونٍ طويلةٍ بين الكنائس، بحيث نُطالعُ في قرارِ مجمع «فلورنسا» المنعقدِ سنة ١٤٣٩، الذي راح يُحدِّدُ لليعاقبة معنىٰ الثالوث لفرضِه بلا رجعة، ويَنصُّ القرارُ علىٰ ما يلي: «إن العلاقةَ وحدَها هي التي تُفرِّقُ بين الأشخاص، لكنَّ الأشخاصَ الثلاثةَ يُكوِّنون إلهًا واحدًا، وليس ثلاثةَ آلهة؛ لأنَّهم من جوهرٍ واحد، وطبيعةٍ واحدة، وألوهيةٍ واحدة، وضخامةٍ واحدة، وخلودٍ واحد، وإن ثلاثتَهم واحدٌ حيث لا تُمثِّلُ العلاقةُ أيَّ تعارض».

وعلىٰ الذين لا يَرُوقهم هذا الوضوح تُجيب الكنيسة: «إنه سرٌّ»! فهل مِثلُ هذا المنطق هو الذي تَرَونه يتمشَّىٰ مع العقلِ السليم؟!.

□ تعتبرون سيادتُكم أن نصوصَ الكتاب المقدَّسِ بعَهده القديم، القائمِ علىٰ الترجمةِ السبعينية، وأناجيلِه الأربعةِ وباقي الكتبِ المُرفقة، هو الكتابُ الذي يُعتدُّ به، فهو يَحتوي علىٰ الإيمانِ الإنجيليِّ، وتستعينون بفِكرِه طوالَ محاضرتِكم بعد استبعادِ القرآن، والمعروفُ تاريخيًّا أن القديسَ «جيروم» هو الذي صاغه بأمرٍ من البابا «داماز»، بعد توليفِه من أكثرَ مِن خمسين إنجيلاً كانت منتشرةً ومستخدمةً حتىٰ القرنِ الرابع، وعند الفراغِ من مهمَّته كَتَب مقدمةً للعهدِ الجديدِ موجِّهًا إياها للبابا «داماز» يقول فيها: «إلىٰ قداسة البابا «داماز»، من «جيروم»: تَحُثُّني علىٰ أن أقومَ بتحويلِ عملٍ قديمٍ لأَخرُجَ منه بعملٍ جديد، وتريدُ منِّي أن أكونَ حَكَمًا علىٰ نُسَخِ كلِّ تلك النصوصِ الإنجليةِ المتناثرةِ في العالم، وأن أختارَ منها وأُقَرِّرَ ما هي تلك التي حادت، أو تلك التي هي أقربُ حقًّا من النصِّ اليوناني، إنها مهمةٌ ورعة، لكنها مغامرةٌ خطِرةٌ، إذ سيتعيَّنُ عليَّ تغييرُ أسلوبِ العالَم القديمِ وأن أعيدَه إلىٰ الطفولة، وأن أقومَ بالحُكمِ علىٰ الآخرين، يعني في نفسِ الوقت أنهم سيَحكمون فيه علىٰ عملي، فمَن مِن العلماءِ، أو حتىٰ من الجهلاء، حينما سيُمسكُ بكتابي بين يَديه ويَلحظُ التغييرَ الذي وَقَع فيه، بالنسبةِ للنصِّ الذي اعتادَ قراءَته، لن يَصيحَ بالشتائم ضدِّي ويَتَّهِمَني بأنني مُزوِّرٌ ومُدنِّسٌ للمقدسات؛ لأنني تجرَّأتُ وأضفتُ، وغيَّرتُ، وصحَّحتُ في هذه الكتب القديمة؟.

وحيالَ هذه الفضيحة، هناك شيئانِ يُخفِّفان من رَوعي، الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتَني بذلك؛ والأمرُ الثاني: أن ما هو ضلالٌ لا يمكنُ أن يكونَ حقًّا، وهو ما تُقرُّه أقذَعُ الألسنةِ شراسةً، وإذا كان علينا أن نُضفِيَ

بعضَ المِصداقيةِ علىٰ مخطوطاتِ الترجمةِ اللاتينية، لِيَقُلْ لنا أعداؤنا أيها أصوبُ؛ لأن هناك من الأناجيلِ بعددِ الاختلافِ بين نصوصِها، ولماذا لا يَرُوقُهم أن أقومَ بالتصويبِ اعتماداً علىٰ المصادرِ اليونانية لتصويبِ الأجزاءِ التي أساء فهمَها المترجِمون الجهلاء، أو بدَّلوها بسوءِ نيَّةٍ، أو حتىٰ قام بعضُ الأدعياء بتعديلها؟ .

وإذا كان علينا دَمجُ المخطوطات، فما يَمنعُ أن نَرجعَ ببساطةٍ إلىٰ الأصولِ اليونانية، ونَبعُدُ بذلك عن أخطاءِ الترجمات السيئة أو التعديلات غيرِ الموفَّقة من جانبِ الذين تصوَّروا أنهم علماء، أو الإضافاتِ التي أدخلها الكَتَبَةُ النعسانين؟ إنني لا أتحدَّثُ هنا عن العهدِ القديم والترجمةِ السبعينيةِ باللغةِ اليونانية التي لم تَصِلْنا إلاَّ بعدَ ثلاثِ ترجماتٍ متتاليةٍ من العِبرية إلىٰ اليونانية، ثم إلىٰ اللاتينية، ولا أودُّ أن أبحثَ هنا ما الذي سيقولُه «أكويلا» أو «سيماك»، أو لماذا آثَر «تيودوسيان» الوسَطَ بين المترجِمين القدامىٰ والحُدَّاث؟ لذلك سأعتمدُ علىٰ الترجمةِ التي يمكنُ أن يكونَ قد عَرَفَها الحواريون.

◻ وأتحدثُ الآن عن العهدِ الجديد، المكتوبِ بلا شكٍّ باللغةِ اليونانية ـ فيما عدا «إنجيل متَّىٰ» الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشرِه في منطقةِ اليهوديةَ ـ، إن هذا الإنجيلَ يختلفُ يقينًا عن الذي بَلُغَتنا نظرًا لتعدُّدِ المصادرِ التي استعانوا بها لتكوينه، وقد آثَرتُ أن أرجعَ إلىٰ نصٍّ أساسيٍّ، فلا أودُّ الاستعانةَ بترجماتِ المدعُوَّان «لوشيانوس» أو «هزيكيوس» التي يُدافعُ عنها البعضُ بضراوةٍ عن غيرِ وجهِ حقٍّ، واللذان لم يكن مِن حقِّهما مراجعةُ لا

العهدِ القديم بعد ترجمة السبعينية، ولا أن يقومَا بمراجعةِ النصوصِ الجديدة، فالنصوصُ الإنجيليةُ التي وَصَلَتْنا بلغاتِ شعوبٍ مختلفةٍ تُوضِّحُ مدىٰ الأخطاءِ والإضافاتِ التي بها، وإذا كنتُ قد قمتُ بذلك بالنسبةِ للنسخِ المكتوبة بلُغتِنا، فلابدَّ وأن أعترفَ بأنني لم أستفِدْ منها شيئًا» انتهىٰ.

◘ ذلك هو حالُ الكتاب الذي تعتبرونه مقدَّسًا! وأكتفي بهذا القَدْرِ من الاستشهاد؛ لأن باقيَ النصِّ متعلِّقٌ بترتيبِ الأناجيل وتبويبها، وكان ذلك في القرنِ الرابعِ الميلاديِّ، أي أنه حتىٰ ذلك التاريخِ لم تكنِ الأناجيلُ المعروفةُ حاليًا قد استتَبَّ أمرُها، واندلَعت الخلافاتُ بين الكنائسِ لمدةِ قرونٍ طويلةٍ، حتىٰ قامت المؤسسةُ الكَنَسيةُ الكبرىٰ بفَرضِ هذا الكتابِ المقدسِ علىٰ الأتباعِ علىٰ أنه نصٌّ منزَّلٌ و«أن مؤلفه هو اللَّه»، وذلك في «المَجمع التريدنتي» سنة ١٥٤٧، ثم قام «مجمع الفاتيكان الأول» المنعقد في عامي ١٨٦٩ و١٨٧٠ بإعلان أن الكتابَ المقدَّس بعهديه «كُتب بإلهامٍ من الروحِ القدس، وأن مؤلِّفه هو اللَّه، وأنها قد أُعطيت هكذا للكنيسة».. أما «مجمع الفاتيكان الثاني» المنعقدُ بعد ذلك بحوالَي تسعين عامًا، ظَهرت خلالَها من الدرساتِ والأبحاثِ التي أطاحت بمصداقيةِ الكتاب المقدس، ما جعَله يُعلِنُ عن إصحاحاتِ هذا الكتاب المقدس قائلاً: «إن هذه الكُتبَ وإنْ كانت تتضمنُ الناقصَ والباطلَ، فهي مع ذلك شهاداتٌ لعِلمِ تربيةٍ إلهيٍّ حقيقي»!.

تُرىٰ أيها البابا، هل هذا هو المنطقُ الذي تَرَونه حقًّا ومفهومًا؟!.

◘ ولا تفوتُنا هنا الإشارةُ إلىٰ «ندوة عيسىٰ» التي انعقدت في الولايات

المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٢ ، وإن أهمَّ ما خَرج به فريقُ العلماء المساهِمين فيها ـ وهم حوالي ٢٠٠ باحثًا لاهوتيًا وأكاديميًّا ـ أن ٨٢٪ من الأقوال المنسوبة إلىٰ يسوعَ لم يتفوَّه بها، وإنَّما صاغها كَتَبَةُ الأناجيل، وأن موتَ يسوع وبَعْثَه حَدَثَ في المكان وبالكيفية التي أرادها كَتَبَةُ الأناجيل. . (صفحة ٢٤ من مقدمة الكتاب الصادر عن الندوة). . وما يأسفُ له هؤلاء العلماءُ هو الجهلُ الشديد لدىٰ عامةِ المسيحيين بكتابهم المقدَّس ـ وخاصةً بالعهد الجديد ـ، وهو مستوىً يَرَون أنه يَصِلُ إلىٰ درجةِ الأُميَّة! واللَّهم لا تعليق علىٰ ما تعتبرونه مصدراً للعقل والمنطقِ والإلهام!!.

☐ تقولون في خُطبتكم الموثَّرة: إن سيدَنا محمداً ﷺ لم يأتِ إلاَّ بأشياءَ شريرةٍ ولا إنسانية، مِن قَبِيلِ أمرِه أن يَتمَّ نَشرُ ما يُبشِّر به بالسيف. . لعلَّكم لا تَجهلون أن البابا «أوربانَ الثاني» هو الذي أعلن قيامَ الحروبِ الصليبية باسم الرب في مجمع «كليرمونت»، قائلاً: «إن اللَّه يُريدُها»، وأنه أطلق علىٰ المساهِمين فيها لقب «جُنْدِ يسوع»، وأَمَرهم بوضعِ علامةِ الصليب علىٰ ثيابهم وعَتادِهم، ووَعَد بغفرانِ ذنوبِهم وإعفائِهم من الضرائب، وأغدَقَ عليهم العطايا. . ويَصِفُ المؤرِّخُ المرافقُ للحَملةِ ـ والمعروف باسم «لانونيم» ـ قائلاً: «تمَّ طَردُ المدافِعين عن المدينة «القدس» بقَتلِهم وبَتْرِهم بالسيوف أحياءً حتىٰ معبدِ سليمان، وقد وَقعت مَجزرةٌ لا مثيلَ لها، بحيث أنَّ جنودَنا كانوا يَغُوصون بأقدَامِهم في الدماء حتىٰ عراقيبهم»، ثم يُضيفُ بعد ذلك قائلاً: «لعلَّ ما أدَّى إلىٰ نجاحِ ذلك الهجومِ وغيرِه الانقسامُ الذي كان سائداً آنذاك بين المسلمين، وعندما سادت المجاعةُ أيامَ حصارِ «عكَّا» كان الصليبيون يَسْلُقون أطفالَ المسلمين ويأكلونهم. .

أذلك هو ما يندرجُ تحت مسمَّى «العقل والأعمال الإنسانية وعدمِ الانتشار بالسيف»؟!.

◻ كما تم إنشاءُ محاكمِ التفتيش لتواكِبَ أعمالَها ولتواصلَ ما أُطلق عليه «عصرُ الظلمات» الذي امتدَّ حوالَي ألفِ عام، بمنعِ الأتباعِ من قراءةِ إنجيلهم، ومَنعِ التعليم إلاَّ علىٰ رجالِ الدين.. والمعروفُ أن الحروبَ الصليبيةَ لم تُوجَّهْ ضدَّ المسلمين وحدَهم في الأراضي المقدسة، وإنما امتدَّت إلىٰ «إسبانيا» لِتعاونَ في اقتلاعِ الإسلام، كما امتدَّت إلىٰ أوروبا وجنوبِ شرق فرنسا لاقتلاعِ شعوبِ «الكاتار والبوجوميل والفودوا»، لأنهم حتىٰ ذلك الوقت كانوا رافِضين لبدعةِ تأليه السيد المسيح.. وما تَذكُرُه المراجعُ التاريخيةُ والعلميةُ عن عملياتِ التعذيب التي تَفنَّنت فيها محاكمُ التفتيش مِن حَرقِها الناسَ أحياءً، أو فَقْءِ عيونهم، أو انتزاعِ لسانهم وهم أحياءٌ، أو دَهْنِ أرجُلِهم بالزَّيتِ ووضعِها فوقَ النار - بعدَ ربطِهم حتىٰ لا يتحركوا من أماكنهم - لَيُصيبُ القارئَ بالغَثَيان.. وما كَتَبه القَسُّ «برتولوميه دي لاس كازاس» عن وحشيةِ أعمال المبشِّرين ورجالِ الكنيسة وجنودِها - عند غزوهم شعوبَ أمريكا الجنوبية - يفوقُ الخيالَ في بشاعته.. ولم يُسمَحْ بنشرِ مذكِّراته إلاَّ في أواخرِ القرن العشرين، ولا يَسعُ المجالُ هنا للتحدُّثِ عن الحروبِ الدينية بين المسيحيين كحَربِ الخمسين عامًا، والمئةِ عامٍ، والمجازِرِ المميَّزة كمجزرةِ البروتستانت المعروفة باسم «سانت بارتليمي».. ولا عن سَردِ كيفيةِ فَرضِ المسيحيةِ بالسيف علىٰ أوروبا وضواحيها، أو علىٰ باقي بعضِ شعوبِ العالم.

◻ وإذا ما تَمَّ حَصرُ أعدادِ كلِّ الذين تَمَّ قتلُهم بأمرٍ من الكنيسة الكاثوليكية الرومية الرسولية، لَوصل إلىٰ مئاتِ الملايين من الأبرياء، وهو ما تَذْخَرُ به المراجع.. فمِثلُ هذه الأعمالِ تندرجُ تحت أيِّ منطقٍ في نظر سيادتكم؟ أم لعلَّكم تباركونها لبراءتها وتسامُحِها المسيحي!.

سيادةَ الأستاذِ والباحثِ، إنَّ كلَّ ما تقدم - وأكثرَ منه بكثيرٍ - هو ثابتٌ عِلميًّا وتاريخيًّا ووثائقيًّا، بل أكثرُ منه جِدُّ كثير، ولا يَسَعُ المجالُ هنا لذِكره.. إنها مجردُ شَذَرات.

◻ تقولون في الفقرةِ من محاضرتكم: «إن اللّٰه لا يُحبُّ الدمَ»، ومع ذلك تصرُّون علىٰ استمرارِ العقيدةِ التي تَفرضُ علىٰ الأتباع شُربَ دمِه وأكلَ لَحمِه عند تناولِ «الإفخار ستيا»، ومَن لا يؤمنُ بذلك إيمانًا قاطعًا بأنه يشربُ دَمَه فعلاً ويأكلُ لحمه فعلاً يكون كافرًا وملعونًا.. ومن الواضح أن هناك العديدَ من الأتباع الذين يَنفِرون من مجردِ هذه الفكرة، وتفاوتت حِدَّةُ الصراعاتِ الرافضةِ «للإفخار ستيا» بالمعنىٰ الكَنَسي، وكان من أشهرِ هؤلاء «جان فيكليف» الذي أدانه مَجْمَع «كونستانس» ١٤١٨ لأنه نادىٰ بأنه الخُبزَ والنبيذَ لا يتبدَّلانِ في القربان ولا يتحوَّلان، وأن المسيحَ لا يتواجدُ فعلاً بلحمِه ودمِه في القربان، فأدان المَجمعُ كلَّ مؤلَّفاته، واتَّهمه بالهرطقة، وبعد وفاته أَمَر المَجمعُ بنَبشِ قَبرِه لإلقاءِ عِظامه بعيدًا عن المدافنِ الكنسيَّة (المجامع المسكونية ج٢ صفحة ٨٥٩)، ثم قام مجمعُ «لاتران» بإدخالِ هذا الطقس الدمويِّ ضمن عقيدة «الإيمان»!.

وكانت آخرُ محاولةٍ مبذولةٍ لدراسةِ كيفيةِ فَرضِ فكرةِ أكلِ لحمِ المسيح وشُربِ دمِه فعليًّا وحقيقيًّا، ذلك العامَ الذي كرَّسه البابا «يوحنا بولس

الثاني» في أكتوبر ٢٠٠٤، والذي انتهىٰ بانعقادِ «السينودس» الذي أُقيم من ٢ إلىٰ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٥، وحضره ٢٥٦ أسقفًا من ١١٨ بلدًا حول موضوع: «الإفخارَ ستيا في الحياة والرسالة الحالية للكنيسة»، وقد قمتَ بترأُّسه لوفاةِ البابا السابق، وتم اختيارُ هذا التاريخ ٢٣ أكتوبر لإنهاءِ أعمالِ المؤتمر، لِيتَّفقَ مع «اليوم العالمي للتبشير».. وهو ما يكشفُ عن أن عقيدةَ «الإفخار ستيا» تقفُ عقبةً في عملياتِ التبشيرِ التي تَخوضونها وتجاهِدون لِتدارُسِ كيفيةِ فرضها!.

ومن الواضحِ أن الإصرارَ علىٰ فرضِ هذه العقيدةِ بمثل هذا التشبُّث، هي عمليةُ تبريرٍ لاستمرارِ ضرورةِ وجودِ طبقةِ القساوسة التي هي وحدَها تمتلكُ سرَّ تحويلِ الخُبزِ والنبيذ «بقُدرتهم السحريَّة» إلىٰ لحمٍ ودمِ المسيحِ الذي يَتعيَّنُ علىٰ الأتباعِ أكلُه وشُربُه، وإلاَّ لا يَحصُلون علىٰ الخَلاَص!.. ولا نَملكُ إلاَّ أن نتعجَّبَ لِمَا تعتبرونه معقولاً ومنطقيًّا ويتفهَّمُه العقلُ والمنطق.. ولعلَّ ذلك هو ما دَفَع الكاتبَ الفرنسيَّ «إميل زولا» أن يقول في إحدىٰ رواياته: «إن الحضارةَ الإنسانيةَ لن تتقدمَ إلاَّ إذا سَقَط آخرُ حَجَرٍ من آخرِ كنيسةٍ علىٰ رأسِ آخرِ قسيس»!.

أنتقلُ بعد ذلك إلىٰ «مجمع الفاتيكان الثاني» وقرارتِه سنة ١٩٦٥ التي تُمثِّلُ خروجًا سافرًا علىٰ نصوصٍ وتعاليمِ العهدِ الجديد، التي تُمثِّلُ جزءً كبيرًا من المشكلاتِ التي تُواجِهُ العالَم حاليًا، فعلىٰ الرغم من اتهامِكم اليهودَ في قُدَّاسِ كلِّ يومٍ أحد بأنهم قَتَلةُ الرب، وعلىٰ الرغم مِن وجودِ أكثرَ مِن مئةِ آيةٍ صريحةِ الوضوحِ في اتهامِها بالعهدِ الجديـد، نصَّ ذلك المَجمـعُ

ـ مِن ضِمنِ ما نصَّ عليه في نصوصه المتعددة ـ على :

ـ تَبرأةِ اليهود من دمِ المسيح .

ـ اقتلاعِ اليسار في عقد الثمانينات (من القرن العشرين) .

ـ اقتلاعِ الإسلام في عَقدِ التسعينات ، حتى تبدأ الألفيةُ الثالثة وقد تَمَّ تنصيرُ العالم ، وإن كانت هذه التوصِيَةُ بدأت بعبارةٍ مضغمة هي «توصيل الإنجيل لكلِّ البشر» .

ـ إعادةِ تنصير العالم .

ـ توحيدِ كافةِ الكنائسِ تحتَ لواء كاثوليكيةِ روما .

ـ فرضِ المساهمةِ في عمليةِ التبشير على كافةِ المسيحيين الكَنَسيين منهم والمدنيين ، وهي أولُ سابقةٍ من نوعها ، وتُوصِمُ أمانةَ الأقليات المسيحية في كل مكان .

ـ استخدامِ الكنائسِ المحليةِ في عملياتِ التبشير ، الأمرُ الذي يَضعُ الأقلياتِ المسيحيةَ في البلدان التي يَعيشون فيها في موقفِ عدمِ الأمانةِ ، أو الخيانةِ الوطنيةِ لصالحِ التعصُّبِ الكنسي .

ـ فرضِ بدعةِ الحوار ، كوسيلةٍ لكسبِ الوقتِ حتى تتمَّ عمليةُ التنصير بلا مقاومةٍ تُذكر .

ـ إنشاءِ لجنة الحوار .

ـ إنشاءِ لجنة خاصة بتنصير العالم .

❑ ولن أطلبَ منكم تقييمَ قرارتِ هذا المَجْمَع من حيثُ العقلُ والمنطق ، أو من حيثُ الشرور واللاإنسانية التي تَمَخَّضُ عنها ، فهي ليست

بحاجةٍ إلىٰ تقييم، إنها تجأرُ بنفسها، لكنني سأُضيفُ أن البابا «يوحنا بولس الثاني» كان قد وَعَد بتبديلِ وتغييرِ سبعينَ آيةٍ من آياتِ الأناجيل لتتمشَّىٰ مع مسلسلِ التنازلات التي تُقدِّمونها للصهاينة، وللحقِّ لا أعرفُ إنْ كان قد تمكَّن من إتمامِ ذلك قبلَ وفاتِه؟ أم سيقعُ عليكم الوفاء بهذا الوعد؟.

□ ومن بين كلِّ القرارات السابقةِ لن أُعلِّقَ إلاَّ علىٰ نقطةِ بدعةِ «الحوار بين الأديان»، لأستشهدَ ببعضِ النماذجِ الكاشفةِ من الوثائق الفاتيكانية:

- أخطرُ ما يمكنُ أن يُوقِفَ الحوار: أن يكتشفَ مَن نُحاورُه نيَّتَنا في تنصيره.

- من أهمِّ عقباتِ الحوارِ ما قُمنا به في الماضي ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهذه المَرارات عادت للصحوة حاليًا، فقد أُضيفت الآن قضيةُ إسرائيل وموقفُ الغرب منها، ونحن كمسيحيين نعرفُ ما هي مسؤليتُنا حيال هذه القضية.

- ضرورةُ القيامِ بفَصلِ المسيحيةِ في حدِّ ذاتها عن العالَم الغربي، ومواقِفِه المُعاديةِ والاستعمارية، فالمسلم لم ينْسَ ذلك بعد.

- إن الحوارَ الصحيحَ يَرمي إلىٰ تجديدِ فردٍ بالارتدادِ الباطنيِّ والتوبة، اعتمادًا علىٰ الصبرِ والتأنِّي والتقدمِ خُطوةً خطوةً وفقًا لِمَا تَقتضيه أحوالُ الناس في عصرنا.

- يَتعيَّنُ علىٰ المسيحيين أن يُساعِدوا مؤمِنِي العقائدِ الأخرىٰ علىٰ التطهُّرِ من تُراثِهم الدينيِّ لِتَقبُّلِ عمليةِ الارتداد.

- إن أعضاء الديانات لأخرىٰ مأمورون بالدخولِ في الكنيسة من أجل

الخَلاص.

ـ الحوارُ يعني فَرْضَ الارتدادِ والدخولِ في سرِّ المسيح.

ـ إن الكرسيَّ الرسوليَّ يسعىٰ إلىٰ التدخلِ لدىٰ حُكَّامِ الشعوبِ والمسؤولين عن مختلفِ المحافِلِ الدولية، أو الانضمامِ إليهم بإجراءِ الحوارِ، أو حَضِّهم علىٰ الحوارِ لمصلحةِ المُصالحةِ وَسَطِ صراعاتٍ عديدة.

وأكتفي بهذا القَدْرِ القليلِ من غُثاءٍ كثير لأسألكم: هل مِثلُ هذ التعاملِ غيرِ الأمين واللا إنساني هو ما تعتبرونه مقبولاً من العقل والمنطق؟!.

وهنا تَجدُرُ الإشارةُ إلىٰ خطابكم الرسوليِّ الأول «اللَّه محبة»، ولا يَسَعُ المجالُ لتناوله بالتفصيل، فقد أَفردتُ له مقالاً آنذاك بعنوان «تنازلات علىٰ نَغَمة المحبة»! ومن أهمِّ ما يَجبُ الإشارةُ إليه اعتبارُكم أن اليهودَ والمسيحيين وحدَهم هم الذين يَعبدون اللَّهَ الحقيقيَّ، ثمَّ قيامُكم بالربط بين الإسلام والانتقامِ والكراهيةِ والعنفِ باسم اللَّه، وأنَّ الكنيسةَ الكاثوليكيةَ وحدَها هي التي عليها أن تَسُودَ العالَم، وكمٌّ من التنازلات الممجوجة التي قدمتموها للصهاينة، وهو ما يؤكِّدُ أن استشهادكم في المحاضرة لم يكن من قَبيلِ المصادفة، وإنما تقصِدونه لأنه يُمثِّلُ رأيكم الدائم.

ولا يَسَعُني عند نهايةِ خطابي المفتوح هذا إلاَّ أن أسألَكم: يُصِرُّ الفاتيكانُ علىٰ أن رسالتَه هي تنصيرُ العالم، وهو يَبذُلُ قُصارىٰ جَهده وبكافةِ الوسائلِ الصريحةِ والملتوية لِتحقيقِ ذلك، بل لا يَكُفُّ عن حثِّ الكنائسِ الأخرىٰ وتوحيدِها لاستخدامِها في عمليةِ التبشير والتنصير، ولقد تمَّ فرضُ هذا الموقفِ علىٰ الأتباعِ وعلىٰ الكنائس المحليَّةِ في كلِّ مكانٍ بزَعمِ

أنها الوسيلةُ الوحيدةُ للتصدِّي للمدِّ الإسلامي، كما تمَّ استصدارُ القوانينِ الأمريكيةِ الترويعية لتنفيذِ الهوية، فما عساكم فاعِلين بتلك الدُّوَيلةِ الدينيةِ العنصريةِ التي ساعد الفاتيكانُ علىٰ تثبيتها ظلمًا وعدوانًا وانتزاعِ الأرضِ من أصحابها لقومٍ لا حقَّ لهم فيها وفقًا للنصوص؟ بل ما عساه فاعلاً بهذه الدُّوَيلةِ العنصريةِ - التي يُعَدُّ إنشاؤها خروجًا سافرًا علىٰ دينِه وتعاليمه -، وهناك من الأبحاث اللاهوتية ما يؤكِّدُ أنه لا حقَّ لهم شرعًا في هذه الأرض، وذلك من قَبيل رسالةِ الأب «لاندوزي».. ولا نَسخرُ حين نتساءل بكلِّ مرارةٍ وألم:

تُرىٰ، هل سيقومُ سيادةُ البابا بتنصيرِ اليهود، أم أن الفاتيكانَ هو الذي سيتهوَّد؟! أليست دعوتُكم الظالمةُ هي تنصيرَ العالم؟!.

إن مَن يَحمِلُ علىٰ كاهِله مِثلَ هذا التاريخِ المُدرَّجِ بالدماء، ومِثلَ هذا التراثِ القائمِ علىٰ التزوير والتحريف، ويقومُ بمثل هذه السقطةِ الاستفزازيةِ وسبِّ الإسلام والمسلمين عن عَمدٍ، فلا يجبُ عليه الاعتذارُ الواضحُ فحسب، وإنما يجبُ عليه التنحِّي عن مِثلِ هذ المَنصب، وهو أقلُّ ما يجبُ عليه أن يفعلَه إن كانت هناك أمانةٌ علميةٌ أو دينية».

انتهىٰ مقال الدكتورة زينب عبدالعزيز أستاذة الحضارة الفرنسية.

* **كَشفُ البيان حولَ أزمةِ بابا الفاتيكان:**

❑ وفي موقعه علىٰ «الإنترنت» كتب الأستاذ «خالد سعود البليهد» قائلاً: «لقد ساءني - وساءَ كلَّ مسلمٍ - ما صَدَر من بابا الفاتيكان من إساءةٍ للإسلام ونبيِّ الرحمة، وقد قُوبل ذلك بردودٍ غاضبةٍ من المسلمين علىٰ

اختلافِ طبقاتهم، وهي تدلُّ على غيرتهم وحُبِّهم لدينهم وتعظيمِهم لنبيِّهم عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد اختَلف الخطابُ في الردِّ، وتنوَّع في الأسلوب حسبَ اختلافِ المدرسةِ الفكريةِ والمذاهبِ والتأصيلِ العلمي، وهذه تنبيهاتٌ حولَ هذه القضيةِ الخطيرةِ بيانًا للحقِّ، وكشفًا للمشتبه، ووضعًا للأمور في نصابها:

الأول: ليس بغريبٍ أن يصدرَ هذا التهجُّمُ والبغيُ من رئيسِ النصارى، والنصارى معروفٌ عنهم الكذبُ، والجحودُ، وإلباسُ الحقِّ بالباطل، وتزويرُ الحقائق، والإساءةُ لخصومهم.

* قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

* قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

* قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

والأصلُ في تصرُّفاتِ النصارى ومعاملتِهم للمسلمين الافتراءُ وكَتمُ الحقِّ والازدراءُ بهم والظلمُ وهَضمُ الحقوق، ومَن خالف ذلك منهم فنادرٌ

خارجٌ عن الأصل، ولهذا يُخطئُ كثيرًا مَن يُحسِنُ الظنَّ بهم ويُوادُّهم ويلتمسُ لهم المعاذيرَ ويُثني عليهم، وإنما تَحسُنُ أخلاقُهم إذا تحقَّقت مصالحُهم ومكاسبُهم المادية.

الثاني: القتالُ للأعداءِ وسيلةٌ مشروعةٌ في الإسلام، وهي من محاسنِ هذا الدينِ وكمالِه، ودليلٌ على عِزَّةِ الإسلامِ وأهله، وهو ثابتٌ بنوعيه «قتال الطلب» و«قتال الدفع»، وإنَّما شُرِع «قتال الطلب» لإعلاءِ كلمةِ اللَّه، وتحريرِ الخلقِ عن الظلم، وإزالةِ العوائقِ عن معرفةِ الحقِّ واتباعِه، ولم يُشرَعْ لاستعبادِ الناس وإكراهِهم على الدخولِ في الدين.

* قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: ٢٩].

ولا شكَّ أن الإسلامَ انتَشر في كثيرٍ من الأصقاعِ بالقتال والتاريخُ شاهدٌ بهذا، كما أنه انتَشر أيضًا في البلادِ الأخرىٰ بالدعوةِ إلى اللَّه، ولا يُنكِرُ هذا إلاَّ مُكابرٌ أو جاهل، ومما يؤسَفُ له أنَّ بَعضَ المنتسبين للعلمِ والدعوة يُنكِرون «قتالَ الطلب»، ويزعُمون أن القتالَ لم يُشرع إلاَّ للدفاعِ عن بلاد المسلمين، ويظنون أن إثباتَ ذلك يُسيءُ للإسلام، وهم بذلك متأثرون بأطروحاتِ المستشرقين وأتباعِهم من تلاميذ المدرسة العقلية.

الثالث: ما حَصَل من البابا دليلٌ صريحٌ على فَشلِ مشروعِ «الحوار بين الإسلام والنصرانية، والدعوة إلى تقارب الأديان»، ودعوىٰ «الحوار بين الأديان» عملٌ باطلٌ لا أصلَ له في الشرع، وهو ممتنعٌ شرعًا وواقعًا، وقام

منذ عِدَّةِ عقودٍ ولم يُثمِرْ شيئًا، وهو يتضمَّنُ إبطالَ أصلِ «الولاء والبراء»، ويقتضي المداهنةَ، ولم يَرِدْ به الشرعُ، ولم يَفعَلْه رسولُنا الكريم ولا خلفاؤه الراشدون ولا الأئمةُ المتبوعون، وليس بيننا وبين النصارىٰ أصولٌ أو نقاطُ التقاءٍ حتىٰ يُتفقَ عليها، وقد كان منهجُ النبي ﷺ في دعوتهم يتمثَّلُ في الأمور التالية:

(١) الكتابةِ لرؤساء النصارىٰ وعَرضِ الإسلام عليهم.

(٢) دعوةِ النصارىٰ لمناظرتِهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

(٣) طلبِ مباهلتهم.

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وبهذا نعرفُ خطأَ بعضِ المفكِّرين في رُدودهم من إثارةِ الحوارِ والتباكي عليه والسعيِ لتحقيقه.

الرابع: حَقَّق الإسلامُ العَدلَ في حَربه مع خُصومه، وذلك أنه حينما شَرع القتال وضَعَ له آدابًا وضوابطَ وإجراءاتٍ تُهذِّبه وتَرقَىٰ به عن الوحشية، تتمثل في الأمور الآتية:

(١) يُقسَّمُ الكفارُ إلىٰ قسمين:

١ ـ محاربين. ٢ ـ مسالِمين.

فالأول: يُشرع قتالهم.. والثاني: لا يُشرع قتالُهم، سواءٌ كانوا من أهلِ الذِّمةِ أو من أهلِ الصُّلح والهُدنة.

(٢) تخييرُ العدوِّ عند قتالِه إلى خِصالٍ ثلاثٍ: إما الإسلام، أو الجِزية، أو القتال.

(٣) عدمُ إكراهِ العدوِّ على الدخول في الإسلام.

(٤) احترامُ وتعظيمُ الصلحِ والذمةِ والهدنة، وعدمُ التعرضِ لدماءِ أهلِ الذِّمةِ وأموالِهم، وليس في شيءٍ من الأديان الأخرى ما في الإسلام من تعظيمِ أهلِ الذمةِ ووضعِ الحقوقِ لهم وعليهم.

(٥) النهيُ عن قتلِ غيرِ المقاتِلين والشيوخِ والنساءِ والأولادِ، والنهيُ عن تخريبِ الديارِ والأموال، والنهيُ عن التمثيلِ بالمقاتلين إلاَّ على سبيل المكافأة.

(٦) النهيُ عن استباحةِ البلادِ والعِبادِ حين الانتصار، بل يَلزَمُ الكفُّ مباشرةً إذا صالح العدوُّ أو دخل الإسلام.

(٧) الكفُّ عن الخَصمِ في ساحةِ المعركة إذا أظهَرَ الإسلامَ ونطقَ بالشهادتين، وعَدَمُ التعرضِ له مهما فَعَل من الجنايات، ويُعصَمُ دمُه ومالُه.

(٨) إذا حَصَل من العدوِّ خيانةٌ - أو هَمَّ بخيانةٍ -، وقُرِّر إجلاؤه، أُمهِلَ فترةً من الزمن لإجلائِه، ليجمَعَ مالَه ويُهيِّئَ أمرَه، ولم يُؤمَرْ بالجَلاء في الحال.

(٩) إذا حَصل نقصٌ للعهد من بعضِ النصارى ولم يتواطَأِ الجميعُ عليه، لم يُقاتَلوا ويؤاخَذوا جميعًا بجَريرة بعضهم، بل يعاقَبُ مَن حَصَلَ منه ذلك، كما أفتى بذلك العلماءُ في نصارى «طَرَسوس» ونصارى

«قبرص»، ونصارىٰ «جبل لبنان»، والشواهدُ كثيرة في التاريخ.

(١٠) الالتزامُ بالعهودِ والمواثيقِ في الحرب، والنهيُ عن الغَدر مهما كان العدو.

(١١) استقبالُ المستأمَن، وتعظيمُ حرمته مهما كان، وإكرامه وحمايتُه حتىٰ يرحل.

(١٢) مشروعيةُ الجِوار من كلِّ مسلمٍ ولو كان المُجيرُ امرأةً، وتعظيمُ حُرمةِ مَن أجاره المسلمُ، وعَدَمُ التعرُّضِ له.

وغيرذلك من الآدابِ العظيمةِ والأخلاقِ العالية التي دَلَّ الشرعُ عليها، وشَرْحُ ذلك يطول ليس هذا مَحلَّه.

وقد تخلَّق بهذا الولاةُ والقادةُ والعلماءُ، فضَربوا أروعَ الأمثلةِ في العَدلِ والإنصافِ مع خُصومهم، خصوصًا في الصدرِ الأول من الإسلام، فصار لهم عظيمُ الأثر في البلاد والعباد، وقد نَعِمَ بذلك النصارىٰ في كثير من البلدان، وكانوا يَخضعون لحُكمِ الإسلام زمانًا طويلاً آمِنين مطمئِّنين، يَبذلون الجزيةَ مقابلَ حِفظِ حقوقِهم وأموالهم، وقد آثَروا بقاءَ حُكمِ المسلمين في بلادهم لِعَدلِهم ومساواتهم بغيرِهم، بل دَلَّت الوقائعُ علىٰ أن بعضَ النصارىٰ كانوا يَستغيثون بالمسلمين ليُخلِّصوهم من ظُلمِ الطائفةِ الأخرىٰ من بني جِنسهم، وآخرون من النصارىٰ كانوا يَثِقون بالمسلمين في عُهودِهم وصُلحِهم وهُدنتِهم مِن تَركِ القِتال، ويتبادلون المَصالحَ معهم، والتاريخُ زاخرٌ بهذا كلِّه.. والنصارىٰ علىٰ خلافِ ذلك، عُرفوا في كثيرٍ من حروبهم ووقائعهم بالظلمِ والتعدِّي والوحشية، ولَمْ يَنْسَ التاريخ أبدًا جنايةَ محاكمِ

التفتيش في الأندلس وغيرها.

وإن المَرءَ لَيعجبُ أشدَّ العجبِ مِمَّا يدَّعيه بعضُ المسلمين في كَون البابا يجهلُ شرائعَ الإسلام ولا يَعرفُ حقيقةَ محمدٍ ﷺ، بل كلامُه وسياقُه صريحٌ في قَصدِ الإساءه للإسلام وأهله، ورجلٌ وَصَل لأعلىٰ المنازِلِ في رئاسةِ النصرانية، يَبعُدُ جداً كونُه لم يَطَّلعْ علىٰ كتاباتِ المسلمين وكتابِهم المقدَّس، لا سيَّما مع تواجُدِ المسلمين في أوروبا منذ قرون، والانتفاحِ الثقافي بين الشعوب، ولكن كما قال اللَّه فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

أسألُ اللَّهَ أن يُعيدَ للمسلمين عِزَّهم ومَجْدَهم، ويُكبِتَ عَدوَّهم، ويَنصُرَهم علىٰ مَن عاداهم، ويَجعلَ الذلَّ والصَّغارَ علىٰ من خالفهم» اهـ.

* **أسرارٌ وراءَ كلامِ البابا عن الإسلام ونبيِّه ﷺ:**

◻ وكَتبَ الأستاذ عبدُاللَّهِ بنُ عبدِالعزيز الزايديُّ علىٰ موقع «الإسلام اليوم»: «يَعجَبُ بعضُ المتابعين من الحَملةِ المتزايدةِ علىٰ الإسلام من بعضِ الزعماءِ الدينيين والسياسيين النصارىٰ في السنواتِ الأخيرة، وتساءل بعضُهم عن سرِّ التوقيت والتزامُن، فمِن كلام «بوش» عن المسلمين الفاشيِّين، إلىٰ كلامِ البابا «بندكت السادس» عن النبي ﷺ، وقبلَهما كلامُ رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارةِ الإسلامية، وبعدَه الرسومُ المسيئةُ، وغيرُ ذلك من حملاتِ التشويه.

وربما تساءل البعضُ عن الأسبابِ الكامنةِ في هذه الحملات المتوالية، وربَّما حَمَّل بعضُ الكُتَّابِ إخوانَه المسلمين وِزْرَ هذه الحَملات، نظرًا لِمَا حَدَث من بعضِهم من أعمالِ تفجيرٍ وقتل.

◻ وأقول: إنَّ ثَمَّةَ سرًّا مهمًّا ينبغي ألاَّ نَغفُلَ عنه في بيان السرِّ الحقيقيِّ وراءَ هذه الحَمْلاتِ، ألاَ وهو الانتشارُ الواسعُ لدينِ الإسلامِ في معاقِلِ النصرانية، الذي أقَضَّ مضاجعَ الرؤساءِ الدينيين والسياسيين، ممَّا حَدَا ببعضِهم للكلامِ الصريحِ عن ضرورةِ التصدِّي لانتشارِ دينِ الإسلامِ، وهذه بعضُ الإحصاءاتِ والأخبارِ التي تَشهدُ بها الانتشار:

أ ـ زيادةُ أعداد المساجدِ في دولِ الغرب:

ففي قلبِ أوروبا بدأت أعدادُ المساجدِ فيها تُنافسُ أعدادَ الكنائسِ في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوتُ الأذانِ الذي يُرفع كلَّ يومٍ في تلك البلاد خَمسَ مرات، خيرُ شاهدٍ على أن الأسلامَ يَكسِبُ كلَّ يومٍ أرضًا جديدةً وأتباعًا جُددًا.

فقد أصبح للأذانِ مَن يُلبِّيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتى نيويورك، وعند نيويورك ومساجدها نتوقف، ففي أوقاتِ الأذانِ الخمسِ يَنطلقُ الأذانُ في نيويورك وحدَها في مئةِ مسجد، وبَلَغ عددُ المساجدِ في الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ ما يَقرُبُ من (٢٠٠٠) مسجد والحمدُ للَّه، وترتفعُ في بريطانيا مئذنةُ نحو (١٠٠٠) مسجد، وتعلو سماءَ فرنسا وحدَها مئذنةُ (١٥٥٤) مسجدًا ولا تتَّسع للمصلين، وأمَّا ألمانيا، فتقدَّرُ المساجدُ وأماكنُ الصلاةِ فيها بـ (٢٢٠٠) مسجدٍ ومُصَلَّى، وأمَّا بلجيكا فيُوجدُ فيها

نحو (٣٠٠) مسجدٍ ومُصلًّى، ووصَلَ عددُ المساجدِ والمصلَّيات في هولندا إلىٰ ما يزيد عن (٤٠٠) مسجد، كما ترتفعُ في إيطاليا وحدَها مئذنةُ (١٣٠) مسجدًا، أبرزُها مسجدُ روما الكبير، وأما النمسا، فَيبلغُ عددُ المساجدِ فيها حوالي (٧٦) مسجدًا.

هذه فقط بعضُ الدول في أوروبا الغربية، عدَا عن أوروبا الشرقية، والإقبالُ علىٰ الإسلام يزدادُ يومًا بعدَ يوم، ومِن هذه المساجدِ يتحرَّكُ الإسلام، ويَنطلقُ في أوروبا، لذلك ليس غريبًا أن تُشدِّدَ أوربا وأمريكا في أَمرِ المساجد ومراقبةِ أهلِها، والتضييقِ في إعطاءِ الرُّخَصِ لبنائها، ومِن المفارقاتِ العجيبةِ أن كثيرًا من هذه المساجدِ كانت كنائسَ، فاشتراها المسلمون وحَوَّلوها إلىٰ مساجد!!.

ب ـ تحذير الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

فقد بدأت الصحفُ الغربيةُ تُطلِقُ صيحاتِ تحذيرٍ من انتشارٍ واسعٍ لدينِ الإسلامِ بين النصارىٰ، ومِن ذلك ما جاء في مَقالٍ نُشِر في مجلةِ «التايم» الأمريكية: «وستُشرقُ شمسُ الإسلام من جديد، ولكنها في هذه المرةِ تَعكِسُ كلَّ حقائقِ الجغرافيا، فهي لن تُشرِقَ من المَشرِقِ كالعادة، وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب».

أما جريدةُ «الصانداي تلغراف» البريطانية، فقالت في نهاية القرن الماضي: «إن انتشارَ الإسلامِ مع نهايةِ هذا القرنِ ـ يعني: الذي مَضَىٰ ـ ومَطلَعِ القرنِ الجديد ـ يعني: الذي نحنُ فيه ـ ليس له من سببٍ مباشرٍ إلاَّ أنَّ سُكَّانَ العالَم من غيرِ المسلمين بدؤوا يتطلَّعون إلىٰ الإسلامِ، وبدؤوا يَقرؤون

عن الإسلام، فعرفوا من خلالِ اطلاعِهم أن الإسلامَ هو الدينُ الوحيدُ الأسمىٰ الذي يُمكنُ أن يُتَّبع، وهو الدينُ الوحيدُ القادرُ علىٰ حلِّ كلِّ مشاكلِ البشرية».

مجلة «لودينا» الفرنسية قالت بعدَ دراسةٍ قام بها متخصِّصون: «إن مستقبلَ نظامِ العالَمِ سيكونُ دينيًّا، وسيَسودُ النظامُ الإسلاميُّ علىٰ الرغمِ مِن ضَعفِه الحالي؛ لأنه الدينُ الوحيدُ الذي يَمتلكُ قوةً شموليةً هائلة».

ج ـ انتشارُ بَيعِ نُسَخِ القرآنِ الكريم والكتبِ الإسلامية:

وبعدَ تفجيراتِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر، التي كان لها آثارٌ سيئةٌ واسعةٌ علىٰ النشاطات الإسلاميةِ في الغرب وعلىٰ دُولِ الإسلام، إلاَّ أنه مع ذلك ازدادَ في العالَم الغربيِّ الإقبالُ علىٰ التعرُّف علىٰ الإسلام بصورةٍ غيرِ متوقَّعة، وأصبحت نُسَخُ القرآنِ الكريمِ المترجمةُ من أكثرِ الكتبِ مَبيعًا في الأسواقِ الأمريكيةِ والأوروبيةِ حتىٰ نَفِدَت من المكتبات، لكثرةِ الإقبالِ علىٰ اقتنائها، وتسبَّب ذلك في دخولِ الكثيرِ منهم في الإسلام، وفي ألمانيا وَحدها بِيعَتْ خلالَ سنةٍ واحدة (٤٠) ألفَ نسخةٍ من كتابِ ترجمةِ معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، كما أعادت دار نشر «لاروس» الفرنسية الشهيرة طباعةَ ترجمة معاني القرآنِ الكريم بعدَ نفادها من الأسواق.

د ـ تزايدُ أعدادِ الداخلين في الإسلام:

ففي عام ٢٠٠١ نَشرت صحيفةُ «نيويورك تايمز» مقالاً ذكَرت فيه أن بعضَ الخُبراء الأمريكيين يُقدِّرون عددَ الأمريكيين الذين يَعتنقون الإسلام سنويًّا بـ (٢٥) ألفَ شخص، وأن عددَ الذين يَدخلون دينَ اللَّه يوميًّا

تضاعَفَ أربعَ مراتٍ بعدَ أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر حسبَ تقديراتِ أوساطٍ دينية، والمدهشُ أن أحدَ التقاريرِ الأمريكيةِ الذي نُشر قبلَ أربعِ سنواتٍ ذَكَر أن عددَ الداخلين في الإسلام بعدَ ضرباتِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر قد بَلَغ أكثرَ من ثلاثين ألفَ مسلمٍ ومسلمةٍ، وهذا ما أكَّده رئيسُ مجلس العلاقاتِ الإسلاميةِ الأمريكي؛ إذ قال: «إنَّ أكثرَ من (٢٤) ألف أمريكي قد اعتَنقوا الإسلامَ بعد أحداثِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر، وهو أعلىٰ مستوًىٰ تَحقق في الولاياتِ المتحدة منذ أن دَخَلها الإسلام».

أمَّا في فرنسا، فقد أوردت صحيفة «لاكسبرس» الفرنسية تقريراً عن انتشارِ الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: «علىٰ الرغم من كافةِ الإجراءاتِ التي اتخذتها الحكومةُ الفرنسيةُ مؤخَّرًا ضدَّ الحجاب الإسلاميِّ، وضدَّ كلِّ رمزٍ دينيٍّ في البلاد، أشارت الأرقامُ الرسميةُ الفرنسيةُ إلىٰ أن أعدادَ الفرنسيين الذين يدخلون في دينِ اللَّه بلغت عشراتِ الآلافِ مؤخَّرًا، وهو ما يُعادلُ إسلامَ عشرةِ أشخاصٍ يوميًّا من ذَوِي الأصولِ الفرنسية، هذا خلافَ عددِ المسلمين الفِعليِّ من المهاجِرين ومِن المسلمين القدامىٰ في البلاد».

وقد أشار التقريرُ إلىٰ أن أعدادَ المسلمين في ازديادٍ من كافةِ الطبقاتِ والمِهَنِ في المجتمعِ الفرنسي، وكذلك مِن مُختَلَفِ المذاهبِ الفكريةِ والأديان، مِن عِلمانيين إلىٰ بُوذيِّين إلىٰ كاثوليك وغيرِهم، كما أشار التقريرُ إلىٰ نشاطِ بعضِ الجالياتِ المسلمةِ وجماعاتٍ مثلِ جماعةِ التبليغ في الدعوة إلىٰ الإسلام في المجتمع الفرنسي.

كما وَرَد في التقرير إلىٰ أن عددَ المعتنِقين الجُدُدِ للإسلام من الفرنسيِّين

يَصِلُ إلىٰ (٦٠) ألفًا مؤخَّرًا، سواءٌ أولئك الذين أسلَموا بدافعِ حُبِّهم وإعجابِهم بهذا الدين، أو بدافعِ البحثِ عن الهُويَّةِ والبحثِ عن الذاتِ، الكثيرُ منهم من شبابِ المُدن، ويتراوَحون ما بينِ «الأصولية» والاعتدال، منهم مهندسـون.. جامعيـون.. رؤسـاء شركات.. مُدرِّبون.. مدرِّسون.. طلاَّب.. عاطِلون.. متحفِّظون أو متديِّنون بشكلٍ واضحٍ.. كلُّ هؤلاء الأشخاصِ يُشكِّلون لَبِنَةً جديدةً في المجتمعِ الإسلاميِّ الجديد، وهم بمثابةِ الأُسرةِ الكبيرةِ في مُختَلَفِ مجالاتِ الحياةِ بالمجتمعِ الفرنسي، ومِن هؤلاء علىٰ سبيلِ المثال: فنان الراب في مدينة مرسيليا المسمىٰ «إخناتون»، ولاعب الكرة «فرانك ريبري»، ومُصمِّم الرقصات «موريس بيجار» وأيضًا «كليمون» ـ أصغر أبناء رئيس وزراءِ الحزبِ الاشتراكيِّ السابق «موريس توريز» ـ. كلُّ هؤلاء أعلنوا إسلامَهم منذ فترةٍ ليست بالبعيدة.. ومعتنِقو الإسلام مِن الجيل الأولِ مِن بينهم فنانون وحامِلو شهاداتٍ رفيعة، ومُعظمُهم يُفضِّلون ممارسةَ الإسلامِ النقيِّ الصافي، كما أنزله اللَّه علىٰ نبيِّه محمد.. انتهىٰ ما ورد في التقرير.

ونظرًا لهذه الشواهدِ المؤكَّدة لإقبالِ الغربيين علىٰ الإسلام، فقد حَذَّر أسقفٌ إيطاليٌّ بارز من «أسلمة أوروبا»، وفي مدينةِ «بولونيا» الإيطالية حَذَّر أسقفٌ آخرُ من أن الإسلامَ سينتصرُ علىٰ أوروبا إذا لم تَغْدُ أوروبا مسيحيةً مجددًا.. يَحدثُ هذا الإقبالُ وهذا التخوُّفُ من الإسلام علىٰ الرغمِ من ملاحظةِ أسورٍ مهمة:

أولاً: أن الأوضاعَ الحاضرةَ ليست في مصلحةِ الإسلامِ والمسلمين؛

فالأحداثُ السيئةُ في بلاد الإسلام قد تُعطي البعضَ نظرةً سيئةً تُجاهَ هذا الدينِ بسببِ أوضاعِ أهله.

وثانيها: تلك الجهودُ الهائلةُ والإمكاناتُ الضخمةُ التي يَبذُلها النصارىٰ في سبيلِ نشرِ الديانة النصرانية، علىٰ كافةِ الأَصعِدة، حتىٰ بَلغت ميزانياتُ بعضِ مجالِسِ الكنائسِ العالميةِ أكثرَ من مليارِ دولارٍ للسَّنة الواحدة.

وثالثها: التضييقُ علىٰ النشاطاتِ الإسلاميةِ والمراكزِ والجمعياتِ الخيريةِ الإسلاميةِ في كثيرٍ من الدول.

ومع ذلك لا يزالُ هذا الدينُ الحقُّ - دينُ الإسلام - ينتشرُ ويَعتنقُه الكثيرون، ونظراً لأن النصارىٰ - خصوصًا رجالُ الدين - ينظرون للإسلام بصفتِه دينًا منافسًا، فقد رأوا فيه خطراً علىٰ أوروبا، ولذا حَرِصوا علىٰ إثارةِ الشبهاتِ حولَه لحمايةِ النصارىٰ من خَطَرِه كما يتصوَّرون.

وقد جاءت الأحداثُ الأخيرةُ ليتَّخذوا منها أدلةً يؤيِّدون بها مزاعمَهم الباطلةَ عن الإسلام، فزَعَمَ كثيرٌ من غُلاةِ النصارىٰ أنَّ حوادثَ الإرهابِ سَبَبُها دينُ الإسلام، ويمكنُ لكلِّ عاقلٍ أن يُجيبَ عن هذه الشبهةِ بحوادثِ التاريخِ القريب والواقعِ الذي نعيشه، فهل نقول: إن دينَ النصارىٰ هو سببُ الإرهابِ لأنهم خلالَ الحربَينِ العالميتين قَتَلوا الملايينَ من أبناءِ جِلدتهم النصارىٰ؟ فضلاً عمن قتلوهم من المسلمين أثناءَ حُروبهم الاستعمارية؟ هل ننسِبُ القتلَ والتدميرَ إلىٰ دينِهم؛ لأنَّ الأمريكانَ النصارىٰ قَتلوا مئاتِ الآلافِ بالقنبلة الذرية؟!.

هل نقول: إن دينَ النصارىٰ يدعُو للقتل واحتلالِ البلدانِ الأخرىٰ؛

لأنَّ الرجلَ المتدِّينَ المحافظَ ربيب القُسُس «بوش»، غَزَا العراقَ ودمَّرها وقتلَ آلافَ المدنيين العُزَّل، وأحدَثَ فيها فوضىٰ يَجني مرارتَها ملايينُ العراقيين؟ هل نقول: إن دينَ النصارىٰ دينُ القتلِ والإرهاب؛ لأن قُسَسَ ورهبان «الهوتو» في إفريقية ساهموا في المذابح التي حَدَثت للتوتسي، وقد طُلِب بعضُهم كمجرمي حربٍ للأمم المتحدة؟ هل ما حَدَث في البوسنة والهرسك من مذابحَ واغتصابٍ للمسلمين علىٰ أيدي الصرب يُحسَبُ علىٰ دينِ النصارىٰ وعلىٰ المسيح عليه السلام لأنَّه جاء في الإنجيل «ما جئتُ لأُلقِيَ سلامًا علىٰ الأرض»؟ هل مذابحُ المسلمين في ليبريا وسيراليون التي قام بها النصارىٰ ننسبها للمسيح ودينه؟.

إن علىٰ البابا «بندكت» أن يُصلِحَ حالَ كنائسِه التي زَكَمَت فضائحُ شذوذ رجالِ الدين فيها الأنوفَ قبل أن يتحدَّثَ عن الإسلامِ ونبيِّه بتلك اللهجة المَتحامِلة، فمن كانَ بيتُه من زجاجٍ فلا يرمي الناس بحَجَر» اهـ.

* * *

يا أيُّها البابا..

أَقْصِرْ، فأنتَ أمامَ وهْمٍ حاشدِ ... يا مَن عَبَدْتَ ثلاثةً في واحدِ
أَقْصِرْ، فموجُ الوَهْم حولكَ لم يزَلْ ... يقتاتُ حبَّـــةَ كلِّ قلبٍ حاقدِ
أَقْصِر فدونَ رسولِنا وكتابنا ... خَرْطُ القتَادِ وعَزْمُ كلِّ مجاهدِ
يا أيها البابا: رويدَك إنَّنا ... لنرى التآمُرَ في الدُّخان الصَّاعدِ
في دينِنا نَبْعُ السَّلامِ ونهْرُه ... نورٌ يَفيضُ به تبتُّلُ راشدِ

فلَنَحْنُ أوسطُ أمَّةٍ وقفتْ علَى ... منهاجِ خالقِها وقوفَ الصَّامدِ
إنا لنؤمنُ بالمَسيحِ ورفعِهِ ... ونزولِهِ فينا نزولَ الرائدِ
فَعَلامَ تَصْدُمُنا بِشَرِّ بِضاعةٍ ... معروضةٍ في سوق وَهْمٍ كاسدِ؟
أَنْسَاكَ تثليثُ العقيدةِ خالقًا ... فردًا يتوقُ إليــه قلبُ العابــدِ
أَبْدَيْت بغضاءَ الفؤادِ وربَّمَا ... أخفيت منها ألف عقدة عاقدِ
أتراكَ تُدْرِكُ سوءَ ما أَحْدَثْتَهُ ... مما اقترفت مِن الحديث البارِدِ؟
عجبًا لعقلكَ كيف خانَك وعْيُهُ ... حتى أسأت إلى النبيِّ القائدِ؟
هذا محمد، أيها البابا، أما ... يكفي من الإنجيلِ أقربُ شاهدِ؟
بقدومِهِ هتفَ المسيحُ مُبَشِّرًا ... بشرى بموعــودٍ لأعظــمِ واعــدِ
قامتْ عليكَ الحُجَّةُ الكبرى فلا ... تُشْعِلِ بها نيرانَ جَمْرٍ خامدِ
إنْ كانَ هذا قوْلَ مرشدِ قومِهِ ... فينا، فكيف بجاهلٍ ومعاندِ؟
ما قيمةُ التَّاجِ المرصَّعِ حينما ... يُطوَى على وَهمٍ ورأيٍ فاسدِ
يا أيها البابا.. لدينا حُجَّةٌ ... كالشمس أكبرُ من جحود الجاحدِ
مليارُنا حَيُّ الضميرِ وإنْ تكنْ ... عصفتْ به منكم رياحُ مكايدِ
قعدَتْ بأمَّتِنا الخطوبُ ولنْ ترَوْا ... منها إذا انتفضَتْ تخاذُلَ قاعدِ[1]

* * *

(١) للدكتور عبدالرحمن صالح العشماوي - مجلة الأسرة العربية - العدد ٢٩٤٢ - (ص١٠) ٩ من رمضان ١٤٢٧هـ - ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

اخْسَأْ يا عَدُوَّ الله

إخسأ بابا الفاتيكان اخْسَأْ يَا ذا الدُّونُ الْجَاني
قُبِّحْتَ وَضيعًا مُنْحَطًّا يَا حَاملَ دَعْوَى البُهْتَان
أَتُهاجِمُ مَنْ قدْ أَرْسَلَهُ بالرَّحْمَة رَبُّ الأَكْوَان
مَنْ أجْلَى ظلمةَ دُنْيانَا ببَهِيٍّ ضيَاء الْقُرآن
بجِهَـــاد كمْ نَجَّى أُمَـمًا منْ ظُلْمِ بُغَاة الرُّومَان
منْ ظُلْمِ الْفُرْسِ وَغيرهمُ منْ شَرِّ فلول الطُّغْيَان
مَنْ قَامَ الْعَدْلُ به وَرَسَا مَنْ أَوْقَفَ سَيْلَ الْعُدْوَان
مَنْ ثَبَّتَ فِي الدنيا حُكْمًا سَعْدًا للْقَاصِي وَالدَّاني
مَنْ عَاشَ الْخَلْقُ بِدَعْوَته في ظلِّ أَمَان الإِيمَان
اخْسأْ بَابَا الفاتيكان اخْسَأْ يا عَبْدَ الصلْبَان
قُبِّحْتَ وَضيعًا مُنْحطًّا يَا شَيْخَ الصُّمِّ الْعُمْيَان
وَبِما كَسَبَتْ يَدُكَ الشَّوْهَا ءُ جَرَعْتَ كُؤُوسَ الْخذْلان
أَتُهَاجِمُ شَمْسَ الْعِرْفَان أَتُهَاجِمُ أَكْرَمَ إِنْسَان؟!
فَلأَنْتَ عَدُوُّ الرَّحمنِ وَلأَنْتَ وَلِيُّ الشَّيْطَان
مَنْ طَمَّعَ فِينا أَعْدَانَا منْ خَصْمٍ أَوْ منْ خَوَّان؟
منْ بَابَا أَوْ منْ مُطْرَان وَسُـــخَامِ أذًى أَوْ قَطْـران
أَفَيفعلُ ذَلكَ بَابَاهم من دُون الدُّون الخَوَّان
عُلَمَاء السُـوء أبالسَـــةٌ هم حقًّا ذيَّـاك الجاني
لولا عمـــلاءٌ أنــذالٌ لم يفعلْ ذلك نصراني

يا بَابَا رُوما لاَ تَعْجَـلْ لَنْ تَرْبَحَ غَيْرَ الْخُسْـرَانِ
فَسَـتَفْتَحُ رُومَـا أُمَّتُنَا إنَّا مِنْ ذَا فِي إيقَـانِ
فَبذَلكَ أَخْبَرَنَا الْهَادِي مِنْ وَحْيِ اللَّهِ الْمَنَّـانِ
بالْقُسْطَنْطينيَّـة نَـبَّـأ وَتَحَقَّـقَ وَعْدُ الْعَدْنَـاني
وَبرُومَـا بَشَّـرَنَا الْهَـادِي مِنْ بَعْدُ هِيَ الْفَتْـحُ الثَّاني
فَسَـتَعْلُوا رُومَـا يَا بَابَا يَـوْمًا رَايَـاتُ الإيمَـانِ
وَيُـدَوِّي فِيها مُرْتَفِـعًا تكْبيرُ الْمَـوْلَـى الرَّحْـمنِ
وَسَتُحْكَمُ حَتْمًا يَا بَابَا بالعَدْلِ بشَرعِ الْقُرْآنِ
وبِنَهْجِ محمد الْهَادِي مَخْتَـار إلـه الأكْـوَانِ
وسـيَخسـأُ كَـذَّابٌ أَشِـرٌ وَسَيَخْسَأُ عَبْـدُ الصُّلْبَانِ
وتُطَهَّرُ أَرْضُ اللَّه مـ ـنَ الطَّاغُوت وَرِجسْ الأَوْثَانِ
مَوْلاَنَا قَـرِّبْ نَجْـدتَنَـا وَلْتَكْشِفْ لَيْـلَ الأَحْزَانِ
انْصُرْنَا مَوْلَى الْخَلْقِ عَلَى أعْدَائـكَ أَهْـلِ الكُفْـرَانِ
يَا رَبِّ وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَا رِ صَفِيِّكَ أَهْـلِ الإِحْسَانِ
خَيْرِ الأَبْرارِ وَسَيِّدِ مَنْ فِي الأَرْضِ مَشَى مِنْ إِنْسَانِ

* * *

* **فَتكُ باباواتنا . . وفَتكُ «بابا الفاتيكان»:**

❑ يقول دكتور استفهام: «حين يتهجَّمُ رأسُ الكنيسةِ العالميةِ علىٰ الإسلام والمسلمين والنبيِّ ﷺ، فهذا شأنٌ أراه طبيعيًّا؛ لأنَّه يقفُ مع الإسلامِ في حالةِ خِصام، وهو تَلُوحُ بين عَينيه الحروبُ الصليبيةُ التي قادتها الكنائسُ العالمية، وكان طابعُها دينيًّا مَحْضًا، وإشرافٌ قليلٌ علىٰ ما فَعلوا في العالم الإسلاميِّ يُقنِعُهم هم قبلَ أنْ يقتنعَ غيرُهم بمن هو «الإرهابي» الذي غاصت قوائمُ خيولِه في دماء الأبرياءِ من المؤمنين في القُدس والشام ومصر وما حولها.

❑ إنَّ من البلايا الكبيرةِ أن يتحدَّثَ نصرانيٌّ عن «العقل والمنطق»، فأيُّ عقلٍ وأيُّ مَنطقٍ في الدين النصرانيِّ المحرَّف ، فكيف يكونُ الثلاثةُ واحداً والواحدُ ثلاثةً إلاَّ في عقولِ المخرِّفين الذين لم يَستنيروا بنورِ الوحيِ والعقل؟! وأيُّ منطقٍ يُسعِفُ مَن يرىٰ أن إلهَه قَتل ابنَه حتىٰ يُخلِّصَ الآثِمين من آثامِهم، فهو كالذي غَضِب علىٰ زوجتِه فقَطَع ذَكَرَه؟!.

❑ لا أستغربُ أن يَصْدُرَ من بابا الفاتيكان ما هو أشرُّ من هذا وأشنع، فقد بَدَت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر، ولكني أعجبُ حين يكونُ هَديُ «القرآن» ومنهجُ محمدٍ ﷺ ما هو إلاَّ تعاليمَ شريرةً قليلةً، فأصبح الإسلامُ الشاملُ لتفاصيلِ الحياةِ دقيقِها وجليلِها تعاليمَ شريرة، بينما صارت النصرانيةُ المحرَّفةُ هي الدينُ الذي لا يُخالِفُ العقلَ والمنطقَ. . مع أن الدينَ النصرانيَّ «الرُّوحاني» هو الذي أَسَّس العلمانية التي تَجعلُ الدينَ منزويًا في الكنائس، لا يَعرفون منه إلاَّ قَرْعَ الأجراس، وتعميدَ الصِّبية، وأكلَ الخبزِ وشُربَ الخمر، فوجدت «العلمانيةُ» التي أشْقَتِ الناسَ المجتمعَ

النصرانيَّ خاويًا من كلِّ تشريعٍ مدنيٍّ، لأن دينَهم ليس دينًا شموليًّا يأتي علىٰ تفاصيلِ الحياة.. بل هو دينٌ هُلاميٌّ لا يرىٰ الرُّوحَ ولا النفسَ، ولا يَحُلُّ مشكلاتِ الواقع، بل هو إلىٰ الخرافةِ أقربُ منه إلىٰ العقلِ والمنطق!.

◻ لا أستغربُ هذا أبدًا من رجلٍ يَسُبُّ اللَّهَ حين يعتقدُ بأنه ثالثُ ثلاثة، أو أن له ولدًا، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

فمن يقولُ هذا يقولُ ما هو أقلُّ منه مِن سبِّ الإسلامِ وتعاليمِه، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجبِ من «بباواتنا» الذين بَصَموا علىٰ كلام البابا، وأيَّدوه، وجَعَلوا كلامَه فُرصةً لتبيينِ حقيقةِ الموقفِ من الإسلام، وهم قد رَضَعوا مناهجَه في تعليمهم، وخالَطوا أهلَه، ولكنهم يقومون بالإنابة لهدمِ قِيَمِ الإسلامِ وشرائعِه حين يتَّهمونه بأنه «انتشر بالسيف»، ولا يَقصِدون انتشارَ الإسلام بالسيف بمعنىٰ «الجهاد» الذي يُزيلُ الطواغيتَ التي تَحولُ دون المسلمين ودونَ أن يُسمعوا الناسَ هدايةَ اللَّه، ولكنهم يَقصِدون بانتشارِ الإسلام «بالسيف» أنَّ إكراهَ الناسِ علىٰ دينٍ لا يوافقُ العقلَ، والتاريخُ يشهدُ علىٰ طُولِه وكثرةِ معاركِ المسلمين أنهم لم يُكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في الإسلام، بل الإسلامُ ينسابُ إلىٰ نفوسِهم كالماءِ الرقراقِ العَذب، فيَجدون فيه لذةً لا يَجِدونها في أيِّ دينٍ غيرِه، بل أَمِنَ «النصارىٰ» في بلادِ المسلمين وتعايَشوا مع أهلِ الإسلامِ ما لم يأمنوا في بلادِهم الأصليةِ بلادِ بني الأصفرِ! فأيُّ سيف يتحدثون عنه؟!.

إن بليَّتنا الكبرىٰ في مِثلِ «عبده خال» ومَن حذا حَذْوَه من الكُتَّاب الذين لم يُدركوا أنهم يُصادِمون صَخرةَ الإسلام، الذي أعيا المَناطقةَ والفلاسفة، ووَجدوا فيه توافقًا بين العقلِ والنقل، وتمازُجًا بين الرُّوحِ والمادةِ في تعاليمه، وشموليةً من غيرِ تناقض، فلم يَجِدوا إلاَّ المُخاتلةَ بالألفاظ، والتعميمَ في الأحكام، بمثلِ قولهم: «إن الإسلامَ انتشر بالسيف، وإنه لا يَقبلُ تطبيقَ العقل في النص، ولا أدري أين هو تراثُ المسلمين الذين جَعلوا للعقلِ مكانتَه الحقيقيةَ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريط، وأين هي قراءةُ منهجِ المحدِّثين في نَقدِ مُتونِ السُّنة، وأين هي القواعدُ العقليةُ التي قَعَّدها علماءُ المسلمين علىٰ مَدارِ التاريخ، وأين هي حركةُ الفقه الكبيرة والاجتهادِ في أبوابِ العلمِ والمعاملات، في تراثٍ لم تَعرفِ البشريةُ مِثلَه؟ وأين هو عن مدوَّناتِ الفقهِ التي لم تتركْ شاردةً ولا واردةً إلاَّ وذَكرت لها حُكمًا، وأين هو عن «منهج القرآن» الذي دَلَّل علىٰ قضايا الاعتقاد والغَيبِ والنبوة والألوهية بأدلةٍ عقلية، وأثنىٰ علىٰ أهلِ العقولِ، وأشادَ بهم في مواضعَ كثيرةٍ.. وكثيرةٍ جدًّا!.

إنَّ خِذلانَ الإسلامِ يأتي من دعاةٍ علىٰ أبوابِ جهنم، هم أشدُّ فَتكًا به من «بابا الفاتيكان» الذي أخرج خَبيئةَ نفسِه، ثم جَعَلها أسئلةً مشروعةً تحتاجُ لإجابات.. فإنْ كان بابا الفاتيكان قد عاش في كنيستِه وصَومعتِه بين كتبٍ لا تساوي خُروجِ الحمير، فكيف بمَن تربَّىٰ حولَ البيتِ العتيق، ورَضَع مِن منهجِ الإسلام، ثم ينقلبُ عليه ويَلمِزُه ـ ولا إخالُه ـ إلا خاليًا من كلِّ شيمةٍ وعِلمٍ وعقل.. واللّٰه المستعان!.

*** يا بنديكت الذميم، سيَفتحُ المسلمون روما.. هذا وَعْدُ نبيّنا ﷺ:**

☐ نقول لبنديكت الذميم: «كَشَفَ الإعلاميُّ السعوديُّ عصام مدير - صهر الداعية الراحل أحمد ديدات - أن تصريحاتِ البابا جاءت على خَلْفيَّةِ إسلامِ عددٍ كبيرٍ من القساوسة داخلَ الفاتيكان، وصَلَ إلى حوالي ٣٠ قِسِّيسًا، وأنه تَجرِي لهم حاليًا محكاماتٌ واسعةٌ لمعاقبتِهم وطَردِهم من الكنيسة، ونَقَل الخبرَ موقعُ «إخوان أون لاين» ونقلته عنه جريدة «الأسرة العربية» عدد (٢٩٣٦) صفحة (١).

*** وهديةٌ أخرى نُهديها لك أيها اللئيم:**

● عن أبي قَبيلٍ قال: كنَّا عند عبدِاللَّه بن عمرِو بنِ العاص، وسُئِل: أيُّ المَدينتَينِ تُفتح أوَّلاً «القسطنطينية» أوْ «رُومِيَة»؟ فدعا عبدُاللَّهِ بصندوقٍ له حِلَقٌ، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبداللَّه: بينما نحن حَولَ رسولِ اللَّه ﷺ نكتبُ، إذْ سُئل رسولُ اللَّه ﷺ: أيُّ المَدينتَينِ تُفتح أوَّلاً: أقسطنطينيةُ أو رُومِيَة؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مدينةُ هِرقلَ تُفتحُ أوَّلاً**».. يعني: قسطنطينية[1].

و«رومِيَة» هي روما كما في «معجم البلدان»، وهيَ عاصمةُ إيطاليا حيث دولة الفاتيكان.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والدارمي (١/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٧/ ١٥٣/ ٢)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»، والحاكم (٣/ ٤٢٢، ٤/ ٥٠٨)، وعبدالغني المقدسي في «كتاب العلم» (٢/ ٣٠/ ١)، وقال: حديث حسن الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة».

بابا الفاتيكان:

أنا أدري

بأنَّكَ ترهَبُ العلياءَ في ديني

وتَرْهَبُني لأني أبعثُ الآمالَ في قلبِ المساكينِ

وتَرْهَبُني لأني الرُّوحُ تسْرِي في الملايين

أنا المسلمُ إني أَسمعُ الدنيا تُناديني

وعندي البَلسَمُ الشافي لأمراضِ الملايينِ

ستعلو رايتي في هذه الدنيا وتُعليني

وتُورِقُ في صحارِي الرملِ

غابَاتٌ من الزيتونِ والتينِ

* * *

*** استباحةُ الإسلامِ على يَدِ القِزمِ الكريه.. المجرمِ الصليبيِّ الفرنسيِّ «روبير ريديكير» وصحيفة «لوفيجارو» الفرنسيَّة:**

بعد أيامٍ قليلةٍ من الجريمة التي ارتكبها بابا الفاتيكان في حقِّ الإسلام والمسلمين، خرج علينا فيلسوفٌ فرنسيٌّ يُدعَىٰ «روبير ريديكير» بمقالٍ رديءٍ في صحيفةِ «لوفيجارو» الفرنسية، يتهجَّمُ فيه علىٰ الإسلامِ والمسلمين، ويُوجِّهُ فيه السِّبابَ إلىٰ الرسولِ ﷺ .. وتحت عنوان «في مواجهةِ التهويل الإسلامي ماذا يفعلُ العالمُ؟» راح الكاتبُ الفرنسيُّ الشهيرُ يَنْضَحُ حِقْدًا، ويَبُثُّ سمومًا لا تَقِلُّ أَبدًا عن تلك التي أطلقها سَليلُ النازيةِ والحاقدُ علىٰ

الإسلام بابا الفاتيكان.

إنها تصبُّ في ذاتِ المستنقع الذي يَغترفُ منه بعضُ هؤلاء مِدادَ أقلامهِم وكلماتهم.

◻ ففي الأسبوع الماضي انطَلقت الصحيفةُ الفرنسيَّةُ، وعلى صَدْر صفحاتِها هذا المقالُ الذي ربَّما لم يَسْتَرْعِ انتباهَ الكثيرين، رغمَ أن «لوفيجارو» صحيفةٌ فرنسيةٌ شهيرةٌ وذائعةُ الصِّيت، ولكن يبدو أن استمرارَ الحملاتِ الصليبيةِ الجديدةِ على الإسلام والمسلمين جَعَل من هذه الإهاناتِ والمؤامراتِ وكأنَّها أمرٌ طبيعيٌّ!!.

◻ لقد شَنَّ الكاتبُ الفرنسيُّ الوقحُ «ريديكير» هجومًا شديدًا في مقالهِ الأخيرِ، حيث قال فيه: «إنَّ العنفَ والكراهيةَ تعيشُ في الكتاب الذي يُثَقِّفُ المسلمين» - أي القرآن الكريم -.

◻ وقال بكلِّ بجاحةٍ وحِقدٍ: «إن القرآنَ هو كتابُ العنفِ المُطلَق».

◻ وقال هذا الحاقدُ السَّفيهُ مبرِّرًا للوقاحةِ التي أطلقها بابا الفاتيكان: «إن ردودَ الفعلِ الإسلاميةَ على خطابِ البابا التحليليِّ، تأتي في إطارِ سعْي هذا الإسلامِ إلى خنْقِ أغلى ما يمتلكُه الغربُ - وما لا يوجدُ في أيِّ بلدٍ مسلمٍ -، وهو حريةُ التفكيرِ والتعبير».

◻ وشَبَّه الكاتبُ الفرنسيُّ الإسلامَ بالشيوعية، وقال: «اليومَ - مِثلَ الشيوعيةِ بالأمس - يَستغلُّ الإسلامُ كَرَمَ الغرب، وانفتاحَه وتسامُحَه وقِيَمَه الديمقراطية، وهو يسْعَى إلى فرضِ النظامِ القرآنيِّ على العالَمِ الغربيِّ نفسِه».

□ وشَنَّ الفيلسوفُ الفرنسي الكريهُ القزمُ القَمِيءُ الشائهُ الخَلْقِ مَيِّتُ القلبِ هجومًا شرسًا على رسولِ اللّه محمدٍ ﷺ، وراح يَنفُثُ عن حِقدِه وسُمومِه بكلماتٍ تتَّهمُ رسولَنا الكريمَ ﷺ بأنه «سيِّد الكراهية»، وأنه «قائدٌ لا يَرحم»، وأنه «سارقٌ» ، وأنه «جزَّار اليهود»، وأنه «ذو مُيولٍ جنسيَّةٍ تُخوِّله الزواجَ بالعشرات».

□ وراح هذا السَّفيهُ يهاجمُ مناسكَ الحجِّ عند المسلمين بقوله: «إذا كان رَجمُ الشيطانِ في مكةَ هو فِعْلٌ مُقدَّسٌ، فبإمكانِك عندئذٍ أن تَفهمَ العنفَ في هذا الدين»[1] .

هذا المقالُ الوقحُ الذي تَصدَّر الصحيفةَ الفرنسيةَ لم يُثِرْ أدنى اهتمامٍ عند المسلمين. .

ولو ناراً نَفَخْتَ بها أضاءت ولكن أنتَ تنفُخُ في رمادِ

□ وكتبت جريدة «الأسبوع» في عددها (٤٩٧) ما قاله «روبير ريديكير» في مقالِه عن رسول اللّه ﷺ: «إنَّ محمدًا يُصوِّرُ نفسَه في القرآن على أنه مقاتلٌ لا يَرحم، قام بالنَّهْب، وهو قاهرٌ لليهود، ومتعدِّدُ الزوجات. . وإنَّ القرآن الذي يتعلَّمُه كلُّ مسلمٍ يتضمَّنُ الكراهيةَ والعُنفَ».

ورَغمَ اعترافِ الصحيفة بعدها بيومٍ بالاعتذارِ عن ذلك على لسانِ نائبِ رئيسِ تحريرها «بيار روسلان» باعتبار أنَّ نشرَ هذا المقالِ كان أمرًا خاطئًا، ومؤكِّدًا أنه لا يُمثِّلُ رأيَ الصحيفةِ، إلاَّ أنه يَدُلُّ على مَوجةِ الكراهيةِ

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٦) ـ مقال «بالعقل»: الحرب مستمرة ـ استباحة الإسلام لمصطفى بكري ـ ٢ من رمضان سنة ٤٢٧ هـ ـ ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٦م.

العاتيةِ والحقدِ الأسودِ على رسولِنا ﷺ من الغربِ الصليبيِّ»[1] .

*** مسرحيةٌ وقحةٌ تتهكَّمُ على الإسلام.. والمسرحيُّ البَذِيءُ «هانس نوينفيلس» وصليبيُّو ألمانيا:**

❑ بعد مقال «روبير ريديكيه» بأسبوعٍ واحدٍ ـ أي: خلال أسبوعين فقط من كلمة البابا ـ اندلَعت أزمةٌ جديدةٌ وخطيرةٌ في ألمانيا، حيث عَقدت مؤسسةٌ للعروضِ الأوبرالية في «برلين» مؤتمرًا صحيفًا يومَ الثلاثاء ٢٦ سبتمبر، أَعلنت فيه «كريستن هارمز» مديرةُ «مؤسسة الأوبرا الألمانية» في برلين عن إلغاءِ عرضِ أوبرا «يدومينيو» لموتسارت التي كانت ستَعرِض أربعةَ عروض في شهر نوفمبر، وذلك خَشيةَ أن يَعتبرَها المسلمون استفزازيةً، وذلك بعد أن أشارت الشرطةُ إلى أن عَرْضَها سيؤدِّي إلى مَخاطرَ غيرِ محسوبةٍ على الجمهورِ والعاملِين في الأوبرا، وذلك لِتَضَمُّنِ المسرحيةِ مَشاهدًا لِقَطْعِ رأسَيِ الرسولِ ﷺ وسيِّدنا عيسى عليه السلام، وقالت الشركةُ في بيانٍ وَزَّعته: إنها فعلت ذلك لمعرفتها بما يُمكنُ أن تُحدِثَه من جدَلٍ بعد أزمةِ الرسومِ الكاريكاتيرية، وخَتمت «هارمز» بأنها تلقَّت تحذيراتٍ أمنيَّةً من عَرْضِهـا، ولذلك فـإنَّ قرارَ الإلغـاءِ يأتي في صالحِ الفنَّانين ومُرتادِي الأوبرا!!.

وهذه الأوبرا التي أَدخل عليها المسرحيُّ «هانس نوينفيلس» تعديلاتٍ، والمكوَّنةُ من ثلاثةِ فصولٍ، كان قد أَلَّفها «موتسارت» عام ١٧٨١م، وسَبق

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٧) ـ مقال «حملة شرسة منظمة ضد الإسلام» لوليد الشيخ (ص٧) ـ ٩ رمضان سنة ١٤٢٧هـ ـ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

أن عُرِضَت في ألمانيا في ديسمبر ٢٠٠٣، وأثارت حينَها رُدودَ فعلٍ قويةً لدىٰ الجمهور، وكانَ يُفتَرض أن يُعادَ عَرضُها في ٥و ٨و ١٥و ١٨ نوفمبر.

وهو عَرضٌ يقومُ علىٰ الفِكرِ الإلحاديِّ الذي يَعتمدُ هنا علىٰ عبارة «نيتشه»[١] الفَلسفيةِ الشهيرة «إنَّ اللَّهَ قد مات» لتي أراد أن يَجعلَها عنوانًا لفسلفته التي لا تعترفُ إلاَّ بالحسيَّاتِ وفَقَط بالبشر، وبأنهم هم وحدَهم الموجودون في العالَم، وهنا تَسيرُ التفاصيلُ علىٰ جَلْبِ مَلِك «كريت» «أدومينيو» رموزَ جميعِ الأديان ـ ومنهم الرسولُ ﷺ وسيدُنا عيسىٰ عليه السلام ـ، بل وكذلك «بوذا» و«بوزيدون» ـ إله البحر عند الإغريق ـ، ثم قَطْعَ رقابِهم، ووَضْعَ كلِّ واحدةٍ منها علىٰ كُرسيٍّ من الكراسيِّ لِيُثْبِتَ أنه انتَصَر علىٰ جميع الأنبياء والمُصلِحين، بل حتىٰ علىٰ فكرةِ الإله ذاتها!.

لذا فكان طبيعيًّا أن يؤدِّي عَرضُ هذه الأوبرا إلىٰ غَضَبٍ عارمٍ في العالَم الإسلاميِّ بأسره، حيث إنها تُصوِّر عمليةَ قطعِ رقبةِ الرسول ﷺ ـ وكذلك سيدنا عيسىٰ ـ بصورةٍ لا يُمكن لأحدٍ تحمُّلُها، بل وهناك مشاهدُ لبطلِ العَرضِ يُمسِكُ بالرقبةِ والدماءُ تنسالُ منها.

وبعد إلغاءِ العرضِ، ثارت ضجَّةٌ من السياسيِّين الألمان ـ وبالذات من قِبَلِ الاتحادِ المسيحي ـ، فقد انتَقَدت المستشارةُ الألمانية «أنجيلا ميركل» زعيمةُ الاتحاد المسيحيِّ ذلك قائلةً: «علينا أن نتنبَّهَ وألاَّ نتراجعَ أمامَ التخويفِ الذي يَقفُ وراءَه إسلاميُّون راديكاليون مستعدُّون لارتكابِ أعمالِ عُنفٍ».

بينما وَصَلَ الأمرُ بالمتحدِّثِ للشؤون الثقافيةِ للكتلةِ البرلمانية للاتحاد

(١) لَعنَه اللَّه.

المسيحيِّ «فولفجانج بورنزن» للقولِ بأن ذلك الإلغاءَ يُمثِّلُ «ركوعًا للإرهابيين» وتشجيعًا للراديكاليين، وسيزيدُ من ممارسةِ الضغوطِ والتهديداتِ على «ثقافتنا وديننا المسيحيِّ»، بينما رآه «بيتر رامساور» زعيمُ المجموعة البلدية للحزب المسيحيِّ الاجتماعيِّ بأنه ليس سوى «جُبْنٍ خالص»، وفي الوقت ذاتِه قام عُمدةُ «برلين» من الحزب الاشتراكيِّ الديمقراطيِّ «كلاوس فوفرايت» - والمعروف بأنه شاذٌّ جنسيًّا وأثارت علاقتُه بصديقه ضجَّةً في الساحة الألمانية - بمهاجمةِ مديرةِ الأوبرا لقرارِها إلغاءَ العَرضِ.. قائلاً: «يجب أن نحيا بجرأةٍ بقِيَمِنا حولَ الانفتاح والتسامح والحريَّة»، بينما وصف وزيرُ الداخلية «فولفجانج شويبله» - أيضًا من الاتحاد المسيحيِّ - إلغاءَ العَرضِ بأنه «غير مقبول»[1].

*** من يَحجُبُ الشمسَ؟..**

◻ كَتَب الأستاذ «عزت السعدني» في «تحقيق السبت» بجريدة «الأهرام» بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠٠٦م (ص٣) تحت عنوان «مَن يحجبُ الشمسَ؟» فقال: «هل هناك إهانةٌ للأديان أكثرُ وأبشعُ من عَرضِ رؤوسِ الأنبياءِ مذبوحةً تقطُرُ دمًا على خشبةِ المسرح؟.

◻ لا تندهشوا.. ولا تتعجَّبوا.. ولا تَضرِبوا كفًّا بكفٍّ.. لقد أصبحت إهانةُ الإسلام وسَبُّ دينِنا وتشويهُ صورةِ سيِّدنا محمدٍ ﷺ عند الغربِ فضيلةً من الفضائل.. وتعبيرًا عن حريةِ الفكر والرأيِ والإبداع!

(١) مقال: «تحالف بين الصقور في الفاتيكان والبيت الأبيض - حملة شرسة منظمة ضد الإسلام» لوليد الشيخ - جريدة الأسبوع العدد (٤٩٧) (ص٧).

احبِسوا أنفاسَكم، وافتحوا عيونَكم عن آخرِها، وارهَفوا سمعَكم. . نحن الآن في دار أوبرا برلين في ألمانيا. . أضواءُ الصالةِ تُطْفَأُ، وأنوارُ المسرحِ تُضاء. . المشهدُ أمامَنا مُرعِبٌ مثيرٌ ويَقطُرُ دمًا. . بَطَلُ المسرحية «إيدومينو» ملك كريت يَظهرُ على المسرحِ وملابسُه البيضاءُ ملطَّخةٌ بالدماء، وهو يَحملُ حقيبةً كبيرةً مليئةً برؤوسٍ بشريةٍ مقطوعةٍ. . يُخرِجُ البطلُ الرؤوسَ البشريةَ واحدًا بعد الآخر وهي تقطُرُ دمًا، ويَضَعُ كلَّ واحدٍ على كرسيٍّ أسودَ قصير. . الرأسُ الأول للإله «بوذا»، والثاني للمسيح عيسى بنِ مريم عليه السلام، والثالثُ لنبيِّ اللَّه محمدِ بن عبداللَّه، والرابعُ «لبوسيدون» إلهِ البحرِ عند الإغريق. . الرؤوسُ الأربعةُ تقطُرُ دمًا يَسيلُ على الكراسيِّ وخشبةِ المسرح!

المشهدُ الأخيرُ في المسرحية: «الرؤوسُ الكريمةُ المقطوعةُ» لم يكن أبدًا في صُلبِ المسرحية التي كتبها «موتسارت» أشهرُ موسيقارٍ في تاريخ ألمانيا في عام ١٧٩١. . ولم يَخطُرْ على بالِ المؤلف قبلَ مئتين وخمسةٍ من الأعوام. . ولكنه مَشهدٌ أضافته العبقريةُ الألمانيةُ في الإبداعِ الفنيِّ وحريةِ الرأي والفكر. . لكي يكونَ مشهدُ النهايةِ رسالةً صريحةً وملعونةً ووقحةً - كما تقولُ الزميلة «الفجر» - إلى الدنيا كلها. . رسالةٌ تقول: «إن الآلهةَ - كلَّ الآلهة - قد ماتت، وإن على الإنسان أن يتولَّى قَدَرَه ومصيرَه بنفسه».

والفكرةُ العبقريةُ الألمانيةُ الشيطانيةُ ليست غريبةً على الفكرِ والفنِّ والأدبِ والإبداعِ الأوروبي - والألمانيِّ بالذات -، أليست ألمانيا بلدَ الفيلسوف «نيتشه» الذي أعلن من قبلُ أن اللَّه قد مات؟.

❑ هل تريدون أن أُلقِيَ مزيدًا من أعوادِ الكبريت على فَحيحِ غضبِكم

وحَنَقِكم واستنكاركم؟.

قبل أن نُشعِلَ أعوادَ الثقاب ـ ولسنا في حاجةٍ إلىٰ إشعالها ـ، فالمصيبةُ قد وقعت، والإهانةُ قد وصلت.. هل تريدون أن تَعرفوا قصةَ المسرحية التي تَحملُ اسم «إيدومينيو» ولا علاقة لها بالإسلام، أو المسيحية من قريبٍ أو بعيد.

و«إيدومينيو» هذا بطلُ المسرحية كان مَلِكًا علىٰ جزيرة «كريت» في البحر الأبيض.. وقد ذهب في رحلةٍ بحريةٍ لتحاصرَه العواصفُ والرياحُ والأمواج.. ولَمَّا أوشكت مركبُه علىٰ الغَرَق.. دعا «بوسيدون» ـ إلهَ البحار عند الإغريق ـ لكي ينقذَه.. ونَذَر له إذا أنقذه أن يُقدِّم له قربانًا يذبحُه علىٰ مِحرابِ الأكروبول.. وهو أولُ مَن تقعُ عليه عيناه بعد نجاته.

وينجو «إيدومينيو» من الغَرَق، ويَصِلُ إلىٰ البَرِّ.. ولكنَّ المفاجأةَ القاتلة: «أن أولَ مَن وقعت عليه عيناه بعد نجاته.. هو ابنهُ الوحيد»!.

هكذا كتب «موتسارت» مسرحيتَه قبلَ أكثر من مِئتي عام.. لماذا إذن هذا المشهدُ المؤلمُ والذي أشعل قلوبَ المسلمين والمسيحيين حنقًا وغضبًا؟! رأسُ النبيِّ محمدٍ ورأسُ عيسىٰ بنِ مريم تقطُرانِ علىٰ المسرح في مشهدِ النهاية؟.

آخِرُ خبر.. أن المسرحية لم تُعرض.. لا الآن ولا في نوفمبر المقبل وهو موعدُ عرضِها الرسمي في أوبرا برلين الشهيرة.

ولكنَّ المشهدَ الأخير صوَّروه وقدَّموه للميديا الألمانية، والغريب بعد ساعاتٍ من جريرة البابا بنديكت السادس بابا روما بتصريحاته التي أهانت

الإسلامَ وسَبَّت نبيَّه الكريم!.

كانت المسرحيةُ إهانةً سخيفةً وبلا مبرر، شأنُها شأنُ محاضرةِ بابا الفاتيكان الذي أقحَمَ فيها كلامًا مسيئًا للإسلام، برغم أنه كان يتحدثُ عن العقلِ في المسيحية، فوصف الإسلامَ بأنه بلا عقل!.

ثم ما الداعي هنا لوضع رؤوسِ الأنبياء تنزفُ دمًا في مسرحيةٍ تتحدثُ عن إلهٍ إغريقي هو مجردُ أسطورةٍ يونانية قديمة؟.

على أيِّ حالٍ، فإن هذا الإبداعَ الشيطانيَّ الألمانيَّ قد فَتح على مُبدِعيه أبوابَ جهنم.. بدايةً من تهديدِ وزيرِ الداخليةِ الألمانية «أبهر هارت».. لكريستين هارمس مديرةِ أوبرا برلين بمنع عرضِ المسرحية نهائيًّا قائلاً لها: «إن رأسَ النبيِّ محمدٍ المقطوعَ سوف يأتي بالغضب الإسلاميِّ إلى قلب الدار»!.

الصحفُ الألمانية لم تَرْضَ بوقفِ عرضِ المسرحية، وقالت: «لا صوتَ يعلو على صوتِ حرية الرأي والتعبير»، وهو منطِقُ الصحفِ الدنماركية نفسها أيامَ أزمةِ الرسوم المسيئة للرسول.. وإنَّ مَنْعَ عَرضِ المسرحيةِ خيانةٌ لمبادئِ حريةِ الرأي والتعبيرِ في ألمانيا!.

*** إهانة كل ٣٥ دقيقة:**

مرةً أخرى.. لا تندهشوا.. ولا تتعجَّبوا.. ولا تستغرِبوا.. لقد أصبحت إهانةُ الإسلام وسبُّ ديننا وتشويهُ صورةِ نبيِّنا عند الغرب فضيلةً من الفضائل.. وعادةً يوميةً تخرجُ على الملأ.. وعلى صفحاتِ الصحف.. وعلى شاشاتِ المحطَّات الأجنبيةِ دون خَجَلٍ، ودون مواربةٍ

آخرُها على لسانِ أكبرِ رأسٍ في الكنيسةِ الكاثوليكية الذي أهان الإسلامَ، وَصَنَعَ من رسالةِ محمدٍ شرًّا مستطيراً. . مَثَلُه مَثَلُ مَن يجلسُ الآن على كرسيٍّ أعظمِ دولةٍ في الوجودِ قوةً ومالاً وأعزَّ نفراً. . فهو - لا فُضَّ فوه - أولُ مَن نَطَق بعبارة: «لقد عادت الحربُ الصليبيةُ من جديد». . بعد أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر، وقالوا يومَها: «إنها زلةُ لسانٍ». . وما هي بزلة لسان. . بل عقيدة ويقين.

ومِن ساعتها أصبحت إهانةُ الإسلامِ وتشويهُ صورةِ الرسول عادةً يومية. . حتى إن العالَمَ الغربيَّ أصبح يُطلِقُ إهانةً ضدَّ الإسلام كل ٣٥ دقيقة!.

ليست هذه الحقيقةُ المُفزعةُ من عندنا. . ولكنها إحصائيةٌ رسميةٌ صَدرت من «الميدل إيست ووتش» التي قالت صراحة: «إن هناك إهانةً تخرجُ ضدَّ الإسلام كلَّ ٣٥ دقيقة. . في صورةِ جُملةٍ في مقالٍ، أو سَطرٍ، أو حتى برنامجٍ إذاعيٍّ، أو كلمةِ احتجاجٍ في الشارع. . أو حتى نكتةٍ في برنامجٍ ترفيهيٍّ، أو عُرزةٍ من غُرَز ملهًى ليلي. . كما لو كان المسلمون هم تسليةَ العالَم الغربيِّ الوحيدةَ الآن في وقت فراغه»!.

وهكذا تَحوَّل المسلمون في بِقاعِ الأرض إلى أُضحوكةٍ ومادةٍ كاريكاتورية هَزْليةٍ كرتونيةٍ للتسلية والترفيه والتندر والسخرية والضحك.

ونحن هنا لا نلومُ الغرب. . ولكننا نلومُ أنفسَنا لأننا بتهاوننا وتخاذُلنا وصمتنا الرهيب كأننا نطلبُ منهم ونرجوهم أن يُحوِّلونا إلى فيلمٍ ضاحك. . مسرحيةٍ ساخرة. . نكتةٍ أضحوكة. . مادةٍ للتسلية

وقتلِ الوقت! .

وإذا كانت إهانةُ بابا الفاتيكان الذي لم يَعتذرْ حتىٰ هذه الساعة. . كلُّ ما قاله: إنه يأسفُ لأننا فهمنا كلامَه خطأً. . الخطأُ خطؤنا نحن. . وعلينا نحن أن نَعتذرَ له عن سوءِ فَهمِنا لكلامه الذي شوَّه فيه صورةَ إسلامنا، ووَصَفه بأنه دينٌ بلا عقل وبلا منطق. . ووَصف رسولَنا الكريم بأنه رسولٌ أتىٰ بالشرِّ كله! .

فماذا نريدُ أكثرَ مِن إهانةٍ جديدةٍ لديننا ونبينا كلَّ ٣٥ دقيقة لكي نتحركَ ونُوقفَ هذه الحملةَ المنظمةَ المدبَّرةَ والمقررةَ والمخططةَ سَلَفًا ولاحقًا ضدَّ الإسلام ونبيِّه الكريم؟ .

لقد أعلن العالَمُ الإسلاميُّ كلُّه عن غضبه وثورته. . ولكنَّ هل الغضبَ وحدُه يكفي؟ .

لقد رَفض الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر أسفَ بابا الفاتيكان. . وطلب منه أن يعتذرَ رسميًّا ودينيًّا وبابويًّا! .

ورَفض البابا شنودة الثالث بابا الكرازة المرقسية ما قاله بابا الفاتيكان وما كان عليه أن يتورَّط في مِثل هذه الأقوال.

وقال: إن كلام بابا الفاتيكان لا يمثِّلُ كنيسةَ روما ولا الكاثوليك! .

وطالب الشيخُ القرضاوي رئيسَ الاتحاد الدولي لعلماءِ المسلمين بأن يعتذرَ البابا قولاً وكتابةً وبعباراتٍ صريحةٍ وقويةٍ.

لابد أن يعرفَ الغربُ أن الدينَ الإسلاميَّ منطقةٌ محظورةٌ محرَّمةٌ. . ممنوعٌ الاقترابُ منها، أو الدخولُ إليها. . إلاَّ بالحقِّ والصدق. . لا بالتسليةِ

والسخريةِ والتهكُّم كل ٣٥ دقيقة .

وما زال مسلسلُ التهكمِ والسبِّ والسِّباب معروضًا ومفروضًا علينا في أيام الشهر الكريم .

ها هي جريدةُ «الفيجارو الفرنسية» تقول : إن الدينَ الإسلاميَّ يدعو إلىٰ العنف والتطرف .

وها هو كاتبٌ جزائري متفرنسٌ يكتب مقالاً يهاجمُ فيه الإسلامَ والرسولَ، ويَصِفُ الإسلامَ بأنه دينُ العنف . . ويصفُ النبيَّ الكريم ـ ويا لِهولِ ما قاله ـ بأنه قاطعُ طريقَ ! .

وهكذا كلَّ ٣٥ دقيقة إهانةٌ، أو سبٌّ، أو تهكُّمٌ علىٰ الإسلامِ والمسلمين والرسول الكريم ﷺ ! .

يَعني كلَّ ٢٤ ساعة العالمُ الإسلامي في انتظار ٤٥ لطمةً وسَبَّةً وتَهكُّمًا وقلَّةَ حياءٍ وحقدًا وكراهيةً في منظومةِ إهانات لن تتوقف ولن تهدأ . . إذا لم نتحرك عقلاً وتعقلاً وفكرًا ومنطقًا . . لا غضبًا وتهورًا ! .

* **حُمَّى «الإسلاموفوبيا» ! :**

□ ما الذي جرىٰ؟

وما الذي يجري؟

ما الذي يَجري للغرب حتىٰ جُنَّ جُنونُه وأُصيب بهستيريا مهاجمةِ كلِّ ما هو مسلم وكل ما هو عربي؟ .

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يصبَح كلُّ مسلمٍ متطرِّفًا . . وكلُّ عربيٍّ إرهابيًّا؟ .

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يتَّهموا كتابَ اللَّه بالعُنف والتطرُّفِ وهو منه

بَرَاءٌ.. فالإسلامُ هو دينُ المحبةِ والسلامِ بين كلِّ البشر؟.

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يَطلُعَ علينا الرئيس «بوش» في إحدىٰ «تجلِّياته الأُسبوعية» بتعبيرٍ جديد هو «الإسلامُ الفاشي».. يعني رَبْطًا بين الإسلامِ والفاشيةِ التي خَرجت من عَباءة «موسيليني» حليف «هتلر» في الحرب العالمية الأخيرة؟.

ما الذي جرىٰ لنا حتىٰ نسكتَ علىٰ كلِّ هذا الضَّيمِ وهذا الهَوان.. في ديننا ونبينا؟.

ولكن هذه الهجمةُ الشرسةُ علىٰ الإسلام والمسلمين يصِفُها الزميلُ العزيز والكاتب الصحفي د. «سعيد اللاوندي» في مكانها الصحيح بقوله: لا تندهشْ، ولا تتعجبْ مما يجري من حولنا.. انفلاتُ لسانِ بابا الفاتيكان أو تهكُّمُ مسرحيةٍ ألمانية تقطع رؤوسَ الأنبياء علىٰ المسرح.. بحُجَّةِ حرية الرأي والتعبير!.

شتائمُ وقِحةٌ من صحفٍ فرنسيةٍ وإيطاليةٍ وألمانيةٍ ونمساوية ودنماركية.. أو بذاءاتُ كاتبٍ متأورب اسمه «سلمان رشدي».. إنها يا عزيزي ظاهرةُ «الإسلاموفوبيا» التي تجتاحُ الغرب الآن!» اهـ.

* بل هي - واللَّهِ - كما يقول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

*** اليوم عادت كلابُ الدانمرك نابحةً:**

و«مع ذكرىٰ الرسومِ الدانماركية الوقِحَة، يقومُ التليفزيون الدانماركيُّ بنَشرِ صورٍ للنبيِّ محمدٍ ﷺ للمرةِ الثالثةِ في مسابقةٍ دنماركيةٍ لمَن يُقدِّمُ أبشعَ

صورةٍ للرسول الكريم ﷺ، حيث صَوَّروا النبيَّ الكريمَ في شكلِ جَمَلٍ يَشربُ البِيرة، وكذلك في شكلٍ مجاهدٍ سكرانٍ يُحاولُ تفجيرَ «كوبنهاجن»، في نَفسِ الوقتِ الذي يَنفي مسؤولُ نَشرِ الرسومِ الكاريكاتورية التي أساءت للرسول ﷺ عَدَمَ نَدَمِه قائلاً: «لستُ نادِمًا على أيِّ شيءٍ، ولو اقتَضى الأمرُ المُعَاودَةَ لعاودت».

☐ ومِن جهةٍ أخرى ذَكرت وكالةُ الأنباء الفرنسيَّة أنَّ المجتمعَ الدانماركيَّ أضحى أشدَّ نقدًا للإسلامِ، وأنَّ واحدًا من أربعةِ دانماركيين أضحى أكثرَ سلبيَّةً تُجاهَ الإسلام، وأنَّ قُرابةَ (٤٦,٦٪) من الدانماركيين يُقِرُّون صاحبَ الرسومِ على موقفِه انسجامًا مع مبدأِ حريَّةِ التعبير[1] .

* «**إذا لم تستحِ، فافْعَلْ ما شئت**» **يا** «**خوسيه ماريا أزنار**»:

ثُمَّ ها هو رئيسُ الوزراء الأسباني السابق «خوسيه ماريا أزنار» يطالبُ المسلمين اليومَ بالاعتذار الرسميِّ عن فترةِ حُكمِهم لأسبانيا، ويقول: «إنهم أرادوا كَسْرَ الصليبَ والقضاءَ على المسيحية»[2] .

وأعرَبَ القِزمُ الصليبيُّ عن رَفضِه التامِّ لفكرةِ تحالُفِ الحضاراتِ بين الغربِ والعالَمِ الإسلاميِّ واصفًا إيَّاها بأنها «فكرةٌ غبيَّةٌ».

وهكذا تجتمعُ في آنٍ واحدٍ تصريحاتُ «بوش» عن «الفاشية الإسلامية»، وبابا روما عن شَرِّ الإسلام، وأسقُفِ أستراليا حين هاجَمَ الإسلامَ ثم «أزنار» أسبانيا.

---

(١) «مجلة التوحيد» العدد (٤١٨) (ص٩ ـ ١٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٠).

*** رئيسُ الحزب المسيحيّ الألماني «إدموند شتويبر» الكارهُ للإسلام:**

إنه أمرٌ دُبِّر في وَضَحِ النهار، ولا نقولُ بليلٍ.. قبل زيارةِ البابا لألمانيا كانت هناك تصريحاتٌ غريبةٌ معاديةٌ للإسلام قد صَدَرت عن رئيسِ الحزبِ المسيحيِّ الاجتماعيِّ الألمانيِّ ورئيسِ وزراءِ ولاية «بافاريا» «إدموند شتويبر» والمعروفُ بانتقاداتِه الحادَّةِ للإسلامِ والمسلمين.. قُبيلَ زيارةِ البابا الأخيرة لولاية «بافاريا» حيث صَرَّح «شتويبر» لصحيفةٍ شعبيةٍ تُدعىٰ «بيلد» تابعةٍ لدار نشر «أكسل شبرنجر» وهي معروفةٌ بدَعمها المطلَق لإسرائيل.. وبمناسبةِ زيارةِ البابا لِمَسْقَطِ رأسِه في ولاية «بافاريا» قائلاً: «إنَّ المسيحيةَ تختلفُ عن الإسلام برَفضِها التعصُّبَ وعدمَ التسامح، وقبولِها الحريَّاتِ الدينية، واعترافِها بالمساواةِ الكاملة بين الرجلِ والمرأةِ، وعدمِ سماحِها بالزواجِ عن طريقِ الإكراه».

وأضاف قائلاً: «علىٰ العكسِ من الإسلام تَعتبر المسيحيةُ الإنسانَ كائنًا فريدًا، له قيمةٌ كبيرة، ويَتمتعُ بالحقِّ في الحرية والمساواة».

الأمرُ الذي لم يَعُدْ مفهومًا سوىٰ بتصريحاتِ البابا التي جاءت بعد تصريحاتِ «بوش» وكأن هناك اتفاقًا سريًّا ما لِشَنِّ حملةٍ سياسيةٍ دينيةٍ عالميةٍ ضدَّ الإسلام(١).

*** الكاتب الألماني الصليبي «إيجون فليج»:**

وعلىٰ نفسِ النهجِ يتكررُ الأمرُ «في مقالةٍ نشرتها صحيفة «فرانكفورتر ألجمانيه» يوم ١٦ سبتمبر للكاتب «إيجون فليج» تحت عنوان: «الإسلام

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٧) (ص٧) مقال «حملة شرسة منظمة ضد الإسلام».

يُريد غزو العالم» هاجَمَ فيها الإسلامَ بحِدَّةٍ ووَصَمَه فيها بالعنف، وبأنه دينٌ قتاليٌّ، وأنه يَرىٰ الأندلسَ ومنطقةَ البَلْقان وجنوبَ إيطاليا والجُزُرَ اليونانيةَ كلَّها باعتبارها مستعمراتٍ إسلاميةً سابقةً، وأنها يجبُ أن تعودُ إلىٰ حِصنِ الإسلام، وأنَّ هَدَفَ المسلمين غَزوُ العالَم بأسره، وتدميرُ دارِ الحرب، والتعويلُ علىٰ ذلك بالحربِ والعنفِ، بل وَصَلَ به الأمرُ إلىٰ الدفاعِ بقوةٍ عن الحروب الصليبيَّةِ، مؤكِّدًا أن البابا «أوربان الثاني» كان حِينَها علىٰ حَقٍّ، وأن هذه الحروبَ تمَّت إمَّا لمساعدةِ المسيحيين المُضْطَهَدين، وإما التحرير الأماكن المقدَّسةِ في فلسطين، أو لحمايةِ المسيحيين من الأطماعِ الإسلاميةِ، بل إنه تَكلَّم - حتىٰ وعلىٰ عكسِ ما هو ثابتٌ تاريخيًّا - عمَّا أسماه تميُّزًا واضطهادًا من المسلمين تُجاهَ المسيحيين واليهود.

ثم وَصَل الأمر بـ «فليج» إلىٰ انتقادِ الإسلامِ بكلِّ قوَّةٍ ودعمِ مَن أسماهم «بالمثقَّفين الإسلاميين» مِن أتْباع الغرب، ليختمَ مقاله قائلاً: «إن من يَستمرُّ في بَثِّ الأساطيرِ عن التسامحِ الإسلاميِّ، يَحُولُ دونَ قيامِ المثقَّفينِ الإسلاميين بأيِّ إصلاحٍ للإسلام»[1].

وبعدَها بثلاثةِ أيامٍ فقط - يوم ١٩ سبتمبر - كان مقالُ «روبير ريديكيه» في صحيفةِ «لوفيجارو الفرنسية».

* ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾:

إنَّ مَن يُهاجمون النبيَّ ﷺ لا يَجهَلون مَن هو، بل يَعرفونه حقَّ

---

(١) «جريدة الأسبوع» (٤٩٧) - نفس المقال السابق.

المعرفة، ألم يُخبِرنا الحقُّ سبحانه وتعالىٰ أنهم يَعرفونه كما يعرفون أولادهم؟! ألاَ نقرأُ في القرآن: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟!.

وهي تدلُّ بوضوحٍ علىٰ أن علماءَ وقادةَ أهلِ الكتاب يَعرفون محمداً ﷺ، وهي معرفةٌ حقيقيةٌ ومستمرةٌ كما تدلُّ الآيةُ الكريمة.

* أخبرنا سبحانه وتعالىٰ كذلك أن هذه المعرفةَ جاءت مِن كُتبهم، وليس فقط مِن اطّلاعِهم علىٰ أحداثِ العالَم، أو اهتمامهم بالإسلام، فقد قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولا شك أنهم يَعرفون النبيَّ وهم يُهاجمونه.

* قال تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

كيف يُمكن تفسيرُ أن تُزَيَّن بعضُ كنائس أوروبا بلَوحاتٍ ورسوماتٍ لنبيِّنا محمدٍ وهو ـ كما يدَّعون ـ يُعذَّبُ في نارِ جهنم، وأن تَبقىٰ هذه اللوحاتُ في أماكنها في أكثَرَ من كنيسةٍ خاضعةٍ لسلطةِ الفاتيكان، ولم تَلْمَسْها يدٌ، ولم يُحاوِلْ تغييرَ ذلك أحدٌ من دُعاةِ التسامحِ والحوارِ طوالَ عشراتِ السنين، وحتىٰ الآن؟.

كيف يُفسَّر أن يوضَعَ في كنيسةٍ أوروبيةٍ في عاصمةِ الاتحادِ الأوروبي تمثالٌ مُهينٌ لنبي الأمة وهو مَطروحٌ أرضًا تدوسُه أقدامُ ملائكةٍ تُعلِنُ انتصارَ المسيحيةِ على الإسلام؟ وكيف إذا كان هذا التمثالُ ليس في الكنيسةِ فقط، بل هو في مِحرابهـا؟ أي أنه يَراه ويشـاهدُه كلُّ مَن يَـزورُ الكنيسـةَ للعبادة أو السياحةِ أو غيرهما، ألاَّ يدلُّ هذا على الإجرامِ الذي وصفته الآيةُ في الحديث عَمَّن يُعادونَ نبيَّ الأمة؟ .

إن نوعَ الاتهاماتِ والإهاناتِ المتكرِّرةِ والتي تُلصَقُ بنبيِّ اللَّه ﷺ من قِبَل الحمقى من الغربِ، لا تدلُّ إلاَّ على صفةٍ واحدة في هؤلاء . . وهي الصفةُ التي وصفهم بها ربُّ العزةِ والجلال؛ إنها صفةُ «الإجرام»، ومن المهمِّ أن نسمِّيَ الأشياءَ بمسمياتها الصحيحةِ والحقيقيةِ لِننجحَ في الحوارِ والتعايُشِ مع الآخرين[1] .

«إن الصورةَ المشوَّهةَ عن الإسلام في الغرب لم تكن بسببِ جهلِ أوروبا به، ولكنها في الواقع نتيجةُ معرفةٍ حقيقيَّةٍ بالإسلام غُلِّفت بالحقدِ والخوفِ من تنامِي تأثيرِ هذا الدينِ على أوروبا نفسِها وعلى العالم أجمع» .

*** الصورةُ النَّمَطيةُ عن الإسلام:**

«ساهَمَ المفكِّرون الأوروبيون الدينيون ـ وغيرُهم أيضًا ـ في تحويلِ الإسلام إلى دينٍ كريهٍ بَغيضٍ لدى العامةِ، لكي تحتفظَ أوروبا بابتعادها عن الوقوعِ تحتَ سيطرةِ القوةِ الأخلاقيةِ والفكريةِ الآسِرةِ للدين الإسلامي، كان

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٢٢).

لابد لذلك مِن تكوينِ صورةٍ نمطيةٍ ذهنيةٍ بشعةٍ عن الإسلامِ من ناحيةٍ، وعن نبيِّ الإسلام من ناحيةٍ أخرىٰ لتحقيق ذلك.

☐ يجبُ الفصلُ هنا بين رؤيتين ـ كما يرىٰ المفكِّرُ هشام جعيط ـ:

الأولى: هي رؤيةُ العالَم الشعبي.

والثانية: هي رؤيةُ العالَم المدرسي.

الأولىٰ تغذَّت من الحروب الصليبية، والثانيةُ من المواجهةِ الإسلاميةِ المسيحيةِ في أسبانيا، واحدةٌ انتشرت علىٰ المستوىٰ الخيالي، والأخرىٰ علىٰ المستوىٰ العقلاني، في الأدب الشعبيِّ كان المسلمون وَثنيِّين، ومحمدٌ ساحراً وشخصًا فاسداً وزعيمَ شعبٍ فاسد، «وأغنية رولاند» Roland التي تُمثِّلُ ـ مِن وِجهةِ النظرِ الفرنسية ـ ملحمةَ الصراعِ مع المسلمين، بدَورها تُقدِّمُ العَرَبَ علىٰ أنهم وثنيون، وهي تَخلطُ الملحميَّ بالخيالي.

بالمقابل في الرؤيةِ المتبحِّرةِ هناك معرفةٌ سابقة، ولكنَّ الغَطرسةَ والنوايا السيئةَ لم تُفِد في أن يكونَ التعبيرُ عن هذه المعرفةِ مُنصِفًا أو دقيقًا.

لقد استمرَّ بناءُ هذه الصورةِ النمطيةِ الكريهةِ عن الإسلام طُوالَ الألفِ عامِ الماضيةِ بشكلٍ دؤوب ومستمرٍّ لم يَنقطعْ إلاَّ في فتراتٍ محدودةٍ للغاية، ولم تُخالِفْه أو تَعترضْ عليه إلاَّ دوائرُ ثقافيةٌ وفكريةٌ صغيرةٌ وغيرُ مؤثِّرةٍ في الموقفِ الفكريِّ الأوروبي.

لذلك يمكنُ القول: إنَّ التصوراتِ الغربيةَ المعاصرةَ حولَ دين المسلمين، لم تتكونْ وترتسمْ في صفحةٍ بيضاءَ خاليةٍ، وإنما انعكست في مرآةٍ قديمةٍ مشوَّهة؛ إذ إن سكانَ أوروبا المعاصرة وَرِثوا عن أسلافِهم مِن

القرون الوسطىٰ مجموعةً عريضةً وراسخةً من الأفكارِ حولَ الإسلام، التي كانت تتغيَّرُ تدريجيًّا مظاهرُها الخارجيةُ فقط، تَبَعًا لتغيُّرِ الظروف في أوروبا ذاتها، وتبعًا لطبيعةِ علاقاتها ومواقفِها المستجَدَّةِ نسبيًّا مع البلدان الإسلامية وثقافاتِها الحديثة.

◻ أما مَن ساهَم بالتحديدِ في تشكيلِ هذه الصورة، فيتحدثُ عنه د. «أليسكي جورافيسكي» في بحثه القيِّمِ عن الإسلامِ والمسيحيةِ قائلاً: «إن أدبَ أوروبا القرونِ الوسطىٰ حولَ الإسلام، وضَعَ في غالبيته العظمىٰ مِن طَرَفِ رجالِ الدينِ المسيحيين، الذين استَندوا إلىٰ مصادرَ شديدةِ التمايزِ والتباين، كالحكاياتِ الشعبية، وقَصَصِ الأبطالِ والحُجَّاجِ القديسين، والمؤلَّفات الجَدَلية ـ اللاهوتية ـ الدفاعية للمسيحيين الشرقيين، وشهاداتِ بعضِ المسلمين، وترجماتِ مفكِّريهم وعلمائهم، كانت المعلومةُ المقدمةُ تنتزَعُ في مُعظَمِ الحالات من سياقِها الأصلي، ثم تُقدَّمُ إلىٰ القارئ الأوروبي، وبهذا الشكلِ شُوِّهَت الوقائعُ بصورةٍ متعمَّدةٍ ـ واعيةٍ أحيانًا، أو بشكلٍ غيرِ واعٍ في أحيانٍ أخرىٰ في إطارِ البحثِ الحماسيِّ عن حَلٍّ سريعٍ «لمشكلة الإسلام» التي سَيطرت في القرونِ الوسطىٰ علىٰ الموضوعاتِ الدينيةِ ـ الأيديولوجية»[1].

◻ بشكلٍ عام، تكونت في وعيِ الأوروبيين «في القرون الوسطىٰ» ملامحُ اللوحةِ التاليةِ عن الإسلام: «إنه عقيدةٌ ابتَدَعها محمدٌ، وهي تتَّسمُ

(١) الإسلام والمسيحية» د. أليسكي جورافيسكي، كتاب رقم ٢١٥ من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م، (ص٥٩).

بالكَذِبِ والتشويهِ المتعمَّدِ للحقائق، إنها دِينُ الجَبْرِ والانحلالِ الأخلاقي والتساهلِ مع الملذَّاتِ والشهواتِ الحسية، إنها ديانةُ العنف والقسوة»، وانسجامًا مع هذا الموقفِ المعادي، فقد رُسم الإسلامُ علىٰ هيئةِ نموذجٍ قبيحٍ سيِّئ، يتعارضُ ويتناقضُ كليةً مع النموذجِ المثاليِّ للمسيحيةِ بوصفِها ديانةَ الحقيقة، التي تتميزُ بالأخلاقِ الصارمةِ ورُوحِ السلام، وبأنها عقيدةٌ تنتشرُ بالإقناعِ وليس بقوةِ السلاح[1].

◘ لقد حاول هؤلاء أن يَصُدُّوا عمومَ الناسِ عن أيِّ معنًىٰ طيبٍ للإسلام أو عن نبيِّ الإسلام، أحيانًا كانت تلك المحاولاتُ تبدو بعيدةً كلَّ البُعدِ عن الأصولِ العلميةِ، أو الأخلاقيةِ كذلك، انظرْ إلىٰ ما ادَّعاه المستشرقُ الأمريكيُّ «ماكدونالد» تحت مادة «اللَّه» في «دائرةِ المعارف الإسلامية» منكرًا حتىٰ احتماليةِ أن يكونَ من صفاتِ اللَّه في الإسلامِ صفةُ «السلام» قائلاً: «ومن أسمائه أيضًا السلام.. وهذه الصفةُ لم تَرد إلاَّ في الآية ٢٣ من سورة الحشر، ومعناها شديدُ الغموض، ونكادُ نقطعُ بأنها لا تَعني «السِّلْم»، ويرىٰ المفسِّرون أن معناها «السلامة» أي البراءةَ من النقائصِ والعيوب، وهو تفسيرٌ محتمِل، وقد تكونُ هذه الصفةُ كلمةً بَقِيَتْ في ذاكرةِ محمد من العباراتِ التي تُتلىٰ في صلوات النصارىٰ»[2].

---

(١) مونتغميري واط، «تأثير الإسلام علىٰ أوروبا في القرون الوسطىٰ»، موسكو ١٩٧٦م، (ص٩٩-١٠١).

(٢) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلىٰ أصول في الديانات السابقة»، فؤاد كاظم المقدادي، من كتاب «الإسلام وشبهات المستشرقين»، مطبوعات البلاغ، ١٩٩٦م، (ص١١٦).

فصفةُ «السلام» شديدة الغموض (!) ولا يمكنُ أن تَعني «السِّلم»، ولا نَدري مصدرَ هذا القطعِ والتأكيد؟.

أخيرًا فليس من الممكنِ أن يهتديَ نبيُّ الرحمةِ محمدٌ ﷺ إلىٰ هذا المعنىٰ إلاَّ إذا وَصَله من النصارىٰ ـ كما يقول ـ.

إن التصوُّر النمطيَّ المشوَّة عن الإسلام، لم يَتشكَّلْ بسببِ ضَعفِ معرفةِ الأوروبيين بهذا الدين وحَسب، حيث يُشيرُ الدارسون «لتصوُّراتِ القرونِ القرونِ الوسطىٰ عن الإسلام» إلىٰ ثلاثةِ مكوِّناتٍ «عناصر بنيوية»، أَسهمت في تشكيلِ هذه القوالبِ النمطية، دون أن تتعارضَ فيما بينها، بل إنها تعايَشَت وتداخَلَت من التأثر والتأثير، وهو المكونات: الميثولوجية، اللاهوتية، والعقلانية[1].

إن الصورةُ المشوَّهةُ عن الإسلام في الغرب لم تكن بسببِ جَهلِ أوروبا به، ولكنها في الواقعِ نتيجةُ معرفةٍ حقيقيةٍ بالإسلامِ غُلِّفتِ بالحقدِ والخوفِ من تنامي تأثيرِهذا الدينِ علىٰ أوروبا نفسِها وعلىٰ العالمِ أجمع.

* **الصورةُ النمطية عن نبي الإسلام:**

أما الصورةُ النمطيةُ عن نبيِّ الإسلام، فقد تَكوَّنت طُوالَ أكثرَ من ألفِ عام، وتَشَكَّلَ معظمُها من خرافاتٍ وأكاذيبَ لا تَمُتُّ للحقيقةِ بصِلَةٍ، ولكنها تراكمت تاريخيًّا لتُكوِّنَ صورةً قاتمةً وظالمةً عن خَيرِ خلق اللَّه ﷺ.

(١) «تطور تصورات الفكر الاجتماعي لأوروبا الغربية في القرون الوسطىٰ حول الإسلام» (القرن الحادي عشر ـ القرن الرابع عشر للميلاد)، م. أ. باتونسكي، مجلة شعوب آسيا وإفريقيا، العدد ٤، لعام ١٩٧١م، (ص٧٠١) بالروسية.

☐ ومِن أسوإِ مَن كتَبَ عن النبيِّ ﷺ مِن مشاهير الفِكرِ الأوروبي «دانتي»، ولِمَن لا يَعرفُ مَن هو «دانتي» فهو «دانتي» أليجييري» (١٣٢١ - ١٢٦٥) أعظمُ شعراءِ إيطاليا قاطبةً من وجهةِ نظرِ الغرب، ومِن مشاهيرِ الأدبِ العالمي، خَلَّدَ اسمَه بملحمتِه الشعرية «الكوميديا الإلهية»، التي وَصف فيها طَبقاتِ الجَحيمِ والمُطهِّرَ والفردوسَ في رحلةٍ خياليةٍ ذهنية قام بها بقيادةِ «فيرجيليوس» وحبيبته «بياتريس»، تُرجمت الكوميديا إلىٰ كثيرٍ من لُغاتِ العالَم مراتٍ عديدةً في كلِّ لغة، مثلاً إلىٰ الإنجليزية أكثرَ من ٧٥ ترجمةً جزئيةً وكاملةً، وإلىٰ الفرنسيةِ أكثرَ من ٢٢ ترجمة، والعددُ نفسه إلىٰ الألمانية، وتُرجمت ٤ مرات إلىٰ اللاتينية، وإلىٰ أكثرَ مِن لهجةٍ من لهجاتِ إيطاليا المحلية، وفي القرن التاسعَ عَشَرَ وحدَه بَلَغ متوسِّطُ طَبَعاتِ مؤلَّفات «دانتي» كاملةً وجزئيةً والمقالاتُ والبحوثُ في الدوريات المختلفةُ أكثرَ من ٢٠٠ في العام في إيطاليا والأراضي الناطقةِ بالإيطالية[١].

☐ أما ما كتبه عن خَيرِ خلقِ اللَّه، فهو مِن أسوإِ ما كُتب عن النبي ﷺ، فقد وَضع نبيَّ اللَّه ﷺ، ومعه عليُّ بنُ أبي طالبٍ ؓ، في الخندق التاسع من الحَلقةِ الثامنة في «الكوميديا الإلهية» كما أسماها، وهذا الجزءُ من الجحيم، كما يدَّعي «دانتي» قد تمَّ تخصيصُه لِمُثيري الصداماتِ والانشقاقاتِ الدينيةِ والسياسيةِ و«مَن يَزرعون الفتنَ فيَحصدون الأوزار».

(١) «الكوميديا الإلهية» لدانتي، ترجمة ومقدمة حسن عثمان (ص٧٣ - ٧٧) - دار المعارف بمصر.

◘ يصفُ الدكتور «إدوارد سعيد» في كتابه عن الاستشراق ما كتبه «دانتي» ـ ونعتذر أننا نوردُه هنا بنصِّه قائلاً: «يرسمُ «دانتي» صورةً لـ «موميتو» أي «محمد» تُجسِّدُ تركيبًا سُلاليًّا متصلِّبًا من الشرور، مع مَن يُسمِّيهم «ناشري الفضيحة والفتنة»، وعقابَ محمدٍ ـ وهو أيضًا مصيرُه الأبدي ـ عقابًا مثيرًا للاشمئزازِ من نَمَطٍ فريد، فهو يبدأُ بقَطعِه إلىٰ نِصفَين من ذَقنِه إلىٰ دُبُرِه، مِثلَ برميلٍ تمزَّق أضلاعُه ـ كما يقول دانتي ـ ولا يوفِّرُ شعرُ «دانتي» علىٰ القارئ عند هذه النقطة أيًّا من تفاصيلِ يومِ الحشرِ التي تؤدِّي إليها عقوبةٌ فظيعةٌ كهذه، فأمعاءُ محمدٍ وبِرازُه يوصَفان بدقةٍ لا تنتهي.

◘ يَشرحُ محمدٌ مسبِّباتِ عقابِه لـ «دانتي»، مشيراً كذلك إلىٰ عليٍّ الذي يُقدِّمُه في صَفِّ الآثمين الذين يَشُقُّهم الشيطانُ الحارسُ إلىٰ نِصفين، كما يَطلبُ محمدٌ من «دانتي» أن يُحذِّرَ رجلاً اسمُه «دوليشينو»، وهو رجلُ دينٍ من الشيس مُرتدٌّ دعا أصحابه إلىٰ المشاركةِ الجماعية في النساءِ والممتلكات، واتُّهم بأنه كانت له خليلةٌ، مما ينتظرُه من عذاب».

لابدَّ أن القارئَ قد أدرك الآن ـ كما يقول إدوارد سعيد ـ أن «دانتي» رأىٰ تطابقًا بين الشهوانيةِ المُقرِفةِ لدىٰ محمدٍ ودوليشينو، وبين ادعائهما مكانةً دينيةً بارزةً كذلك، وبناءً علىٰ ما تقدَّم تُشكِّلُ تمييزاتُ «دانتي» وإدراكُه للإسلام مَثَلاً علىٰ الحتميةِ الخططيةِ بل الكونية (كوزمولوجية) تقريبًا، التي يُصبحُ بها الإسلامُ وممثِّلوه المَعنيون مخلوقاتٍ أنتجَهَا الفَهمُ الغربيُّ الجغرافيُّ والتاريخيُّ، وفوقَ كلِّ شيء الأخلاقي، وهي رؤيا لا تَقتصرُ بأيِّ حالٍ علىٰ الباحث المحترف، بل إنها مِلكٌ مشتركٌ لكلِّ مَن فكَّر

بالشرق في الغرب».

انتَشرت منذ ذلك الوقتِ القَصصُ الأسطوريةُ المختلقةُ التي تتعمَّدُ إهانةَ النبي، أو التشكيكِ في نبوتِه أو دعوتِه، أو استحقاقه للاحترامِ والتقدير، وقد نُشرت علىٰ نطاقٍ واسعٍ في أوروبا الحكايةُ الأسطوريةُ القائلةُ: إن محمداً قد دَرَّب الحمامةَ لتنقُرَ حُبوبَ القمح من أُذنه، وبذلك أَقنع العَرَبَ، أن تلك الحمامةَ هي رسولُ الروحِ القدس، الذي كان يُبلِّغُه الوحيَ الإلهيَّ، وعُمِّمت هذه الحكاية المُختَلَقَةُ إلىٰ درجةِ أن الشاعرَ الإنجليزي «جون ليدهيت» - وهو من شُعراءِ القرنِ الخامسَ عَشَرَ - عندما وَضع سيرةً لحياةِ محمد، سمَّىٰ لون تلك الحمامة «حليبًا - أبيض»[1].

كما رَدَّد هذه القصةَ المُضحكةَ مؤرِّخون أوروبيون.. بل إننا نقرأُ عن شكسبير ذاته في «هندي الرابع، الفصل الأول، المشهد الثاني» كيف أن المَلِكَ «كارل الثاني» يَتوجَّهُ إلىٰ «جان دارك» صارخًا: «ألم تُلهِمِ الحمامةُ محمداً؟.. أما أنت فإن النَّسرَ ربما ألهمك!».

كما كانت الصورُ النمطيةُ تؤكِّدُ أن الإسلامَ دينٌ يدعو إلىٰ الشهوانية، وأن نبيَّه يجتذبُ الناسَ إلىٰ دعوته من خلالِ ذلك، وجرىٰ التركيزُ علىٰ وصفِ أن الإسلام هو دينُ البسطاء ومتوسِّطي الذكاء، وهو وصفٌ لا يزالُ يتكررُ في أدبياتِ الغربِ المعاصرة، فمثلاً يؤكد «توما الأكويني» المزاعمَ القائلةَ: إن محمداً أغوىٰ كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته، مِن خلال تشجيعِه إياهم علىٰ الحصولِ علىٰ الملذَّاتِ والشهواتِ الحِسِّية، وعن طريقِ

(١) «الإسلام والمسيحية» - دكتور أليسكي (ص٧٥).

الوعودِ التي قَطَعها لهم ضِمنَ هذا التوجُّهِ الغرائزي، يتابعُ «الأكويني» السَّيرَ في هذا المَنْحَىٰ المتحيِّز، مؤكِّدًا أن محمدًا أَسَّس قواعدَه وأحكامَه التشريعية، التي تتناسبُ مع قدراتِ وإمكاناتِ العقلِ والمتوسِطِ وحسب[1].

فهكذا كان يُقدَّم الإسلامُ لأبناء أوروبا في القرونِ الوسطىٰ، وتَشكَّلت مِن جَرَّاءِ ذلك الصورُ النمطيةُ التي لا تَزالُ عالقةً في الفكر الأوروبي.

إن الصورةَ النمطيةَ عن نبيِّ الإسلام في الغربِ هي صورةٌ بشعةٌ وليست إيجابيةً؛ رَغمَ ما يُنشَرُ في العالَم الغربي مؤخَّرًا من أقوالِ بعضِ المُنصفين التي تُصوِّرُ وكأنها تُمثِّلُ إجماعًا غربيًّا حول الموقف من الرسول، هناك اختلافٌ حقيقيٌّ في الرؤيةِ حولَ الرسولِ صلوات اللَّه وسلامه عليه بين العالَم الإسلامي وبين شعوب الغرب.

إن الرسومَ المسيئةَ عن نبيِّ الإسلام التي نُشرت في الدانمرك في بداية عام ٢٠٠٦م، وقُوبلت بالغضبِ الشديد في العالَم الإسلامي، أظهَرت هذا الاختلافَ الشديد في الرؤية.

إن الشعوبَ الغربيةَ لم تتفهَّمْ سببَ انفعالِ المسلمين لهذه الدرجة؛ ليس لانعدامِ حساسيةِ تلك الشعوبِ تُجاه العالَمِ الإسلاميِّ ومشاعرِ الغضب التي اشتَعلت فيه، وإنما بسبب عدمِ حساسيتهم للهجومِ علىٰ النبيِّ ﷺ، والذي تقبَّلته عقولُهم ونفوسُهم دون أيِّ حساسيةٍ عاطفيةٍ بسببِ تراكمِ الصورِ السلبيةِ عن النبيِّ في نفوسهم.

(١) «الاستشراق» لإدوارد سعيد ترجمة كمال أوديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت (ص٩٦ـ٩٨).

إنها حقيقةٌ مؤلمة، ولكن لم يتمَّ إطلاحُ وتغييرُ الواقعِ الحالي إلاَّ عندما نُدركُ هذه الحقيقة، ونحاولُ أن نعالجَها بدلاً من إلقاءِ اللَّـومِ على الآخرين.

* مَن يُهاجمُ نبيَّ الأمة:

هناك أربعُ فئاتٍ رئيسةٍ في العالَم الغربيِّ تُهاجمُ نبيَّ الإسلامِ بشكلٍ متواصلٍ ومُنظَّمٍ طُوالَ الأعوامِ الأخيرة، إنهم رموزُ عددٍ من الكنائس الأوروبية والأمريكية الكبرىٰ، والقادةُ السياسيون في الكثير من دولِ أوروبا الغربية وأمريكيا الشمالية، والعديدُ من وسائل الإعلام الغربية (صحافة ـ تلفاز ـ سينما ـ كتب ـ إعلام إلكتروني ـ إلخ)، وأخيراً الرموزُ الفكرية للتيارات العلمانية.

إذا نظرنا إلىٰ هذه الفئات، نجدُ أنها تُمثِّلُ بمجموعِها نسبةً غالبةً من الحِراكِ الفكريِّ والسياسيِّ في العالم الغربي، أي أننا يمكنُنا القولُ بالإجمال: إن تيارَ الهجومِ علىٰ نبيِّ الإسلام هو التيارُ الغالبُ في الحياةِ الفكريةِ الغربيةِ في عالَم اليوم، لا يعني هذا عدمَ وجودِ مُنصِفين أو حتىٰ متعاطِفين مع رسالةِ خيرِ خلق اللَّه، ولكنهم في النهايةِ لا يُشكِّلون كمًّا عدديًّا ملحوظًا، أو قوةً فكريةً مؤثِّرةً، أو كِيانًا ضاغطًا يَسمحُ بترشيدِ الرؤيةِ الغربيةِ في التعاملِ مع الإسلام، والعلاقةِ مع نبيِّ اللَّه ﷺ.

وسنتناولُ بشيءٍ من التفصيل في الفقراتِ القادمةِ موقفَ كلِّ فئةٍ من هذه الفئاتِ من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وأسبابَ ذلك الموقف، وأهمَّ مظاهِرِه التاريخيةِ والمعاصرة.

* مَظاهِرُ العَداءِ الديني:

إنَّ مِن العَجيب في الكنائس الأوروبية والأمريكية أن تَجِدَ هذا الهَوَسَ والوَلَعَ التاريخيَّ والمتجدِّدَ بالهجومِ على نبيِّ الإسلام إلى درجةِ أن تَجِدَ في العديدِ من الكنائسِ الأوروبيةِ المعروفةِ رسوماتٍ ولوحاتٍ على أَسقُفِ هذه الكنائس، وتماثيلَ في أَفْنِيَتِها تَهزأُ من رسولِ اللَّه ﷺ، أو تُصوِّره وكأنه يُعذَّبُ في نار جهنم، أو ما شابَهَ ذلك!! وفي بحثٍ إعلاميٍّ حولَ هذه الموضوع، وَجَدنا العديدَ من تلك النماذجِ المُقزِّزةِ والمُلفتةِ للنظر أيضًا.

إن التساؤلَ الذي يَطرحُ نفسه هنا هو: لماذا يهتمُّ دينٌ ما بالهجومِ الشرسِ على نبيِّ دينٍ آخَرَ إلى درجةِ أن يُصوِّرَه وهو يُعذَّبُ في جهنم - كما يدَّعون - في لوحاتٍ فنيةٍ تُزيِّنُ بها أسقُفُ الكنائس والأديرة؟! إن هذه الظاهرةَ تَنفردُ بها المسيحيةُ الأوروبيةُ والأمريكيةُ عن غيرِها من ديانات العالم - كما نظن -، فلم يُعرفْ في الإسلامِ مثلاً أدنى اهتمامٍ أو وَلَعٍ بالهجوم على رموزِ أيةِ أديانٍ أخرى إلى الدرجةِ التي تَجعلُنا نهتمُّ بتصويرِ ذلك من خلال الفنون، وأن نحتفيَ به في المساجدِ أو أماكنِ العبادة، ولا يَنتشرُ ذلك أيضًا في الديانات الشرقيةِ بالعموم، وحتى بين الدياناتِ غيرِ السماويةِ التي يَعتنقُها الكثيرون في آسيا وشِبْهِ القارة الهندية.

لا شك أن هناك عَداءً متوارثًا بين الكثير من الأديان، وهناك تنافُسٌ أيضًا على التأثير الفكريِّ والدينيِّ والثقافيِّ العالمي، ولكنَّ أوروبا تُمثِّلُ ظاهرةً فريدةً وجديرةً بالفهم والتأمل في علاقتِها بالإسلام، وبشكلٍ أكثَرَ تحديدًا نبيِّ الإسلام صلوات اللَّه وسلامه عليه.

□ ومن الأمثلةِ المُخزية فِي هذا الشأن، لوحةٌ توجدُ بكنيسةِ «سن بيترونيو» بمدينةِ «بولونيا» في وسط إيطاليا San Petronio basilica in Bologna، وهي عبارةٌ عن رَسمٍ لشخصٍ عارٍ مُمدَّدٍ أرضًا وهو يُعذَّبُ في جهنمَ بشكلٍ بَشع، وقد كُتب على جانبها بحروفٍ واضحةٍ اسمُ النبيِّ صلوات اللَّه وسلامهُ عليه، الرسمُ يرجعُ إلى عام ١٤١٥م، وقام به رسَّامُ معروف في ذلك الوقت، وهو «جيوفاني دو مودينا».

□ وتوقيرًا لرسولِ اللَّه فقد آثَرْنا عَدَمَ وَضْعِ نُسخةٍ مصوَّرةٍ من هذه اللوحةِ ضِمنَ هذا الكتاب ـ رغم أننا حَصَلنا عليها للتأكيد من دقةِ الوصفِ ولتوثيقِ المعلوماتِ الواردةِ في هذا الكتاب ـ، حيث إن تلك الصورَ المُشينةَ والمُخزيةَ لشخصِ خيرِ خلقِ اللَّه ﷺ منشورةٌ في أكثرَ منِ رابطٍ إليكتروني، ونُوصي بعدمِ الاطلاعِ عليها توقيرًا لرسول اللَّه ﷺ كما قلنا.

□ الغريبُ بالنسبة لهذه اللوحةِ هو رَفضُ الكنيسةِ الكاثوليكية المتكرِّرُ لطَمْسِها، أو حَجْبِها، أو حتى تَغطيتِها حِرصًا على مشاعرِ العالَمِ الإسلامي، رَغمَ النداءاتِ المتكرِّرةِ من مسلمي أوروبا للفاتيكان بذلك، كما أن الشرطةَ الإيطالية قد أَعلنت في العام الماضي أنها أحبطت محاولةً من مُسلَّحين إسلاميين ـ كما ذكرت الشرطة ـ حاولوا التخطيطَ لاقتحامِ الكنيسةِ للتعبيرِ عن امتعاضِهم من بقاءِ هذه اللوحةِ معروضةً بسبب ما تُمثِّله من إهانةٍ لا تَقبلُ التفسير، خاصةً لمن يدَّعون الرغبةَ في التسامحِ والحوارِ واحترامِ مشاعرِ الآخرين!

□ إننا بالتأكيد لا نُقرُّ استخدامَ العُنفِ لحلِّ مثلِ هذه القضايا، ولذلك نرىٰ أن علىٰ الفاتيكان وعلىٰ قادةِ كنائسِ أوروبا وأمريكا تحديدًا أن يكونوا

أكثرَ حساسيةً ولياقةً في التعامل مع هذه التراكمات التاريخية غيرِ المُشرِّفة، والتي تَعكسُ نظرةَ الكنيسة في فترةٍ ما للعالَم الإسلاميِّ ورموزِه الدينية، إن الإصرارَ على الإبقاءِ على هذه الرسوماتِ والتماثيل الموجودةِ في العديدِ من الكنائسِ الأوروبيةِ يُمثِّلُ وصمةَ عارٍ على جبينِ مَن يُنادُون باحترامِ الأديان السماوية.

❑ من الأمثلة الأخرىٰ في هذا الشأن تمثالٌ يوجدُ في محرابِ أحدِ الكنائس المهمة، وهي كنيسة «سيدتنا العزيزة» Church of Our Dear Lady في مدينة «ديندرموند» في بلجيكا.. التمثالُ منحوتٌ من الخشب في القرن السابع عشر بواسطةِ النحَّات الأوروبي «ماثيويس فان بيفرن»، ويَظهرُ في أسفله صورةُ رسول اللَّه ملقًى على الأرض على وجهِه وهو يحتضنُ القرآن، وتدوسُه أقدامُ ملائكةٍ يُعبِّرون عن هزيمةِ وانكسارِ النبيِّ، وعن انتصارِ المسيحية على الإسلام.

إن تاريخَ العَداءِ ضدَّ نبيِّ الإسلامِ قديمٌ قِدَمَ الاهتمامِ المسيحيِّ الأوروبي بالإسلام، ففي الخُطبةِ الشهيرةِ في مَجمع «كليرمون» في فرنسا، طالب البابا «أوروباتس الثاني» في عام ١٠٩٥م الملوكَ والحُكَّامَ الأوروبيين باستعادةِ «أراضينا» المقدسةِ من «قبيلة الفرس ـ الأتراك»، التي تَخدمُ القوى الشيطانيةَ ـ على حد قوله ـ، وقد وَعَدهم البابا بأن يَحصُلوا من هذه الحملاتِ الصليبيةِ المقدسةِ ليس على الخيراتِ المادية فقط مِن الأرض التي تَفيضُ لبنًا وعسلاً ـ كما جاء في التوارة ـ، وإنما أن يُصبحوا على طريقِ الجسد المقدس، أي على طريقِ الحُجَّاج السائرين إلى القدس، وبذلك يُخدُمون الربَّ في الصراع معِ «الكفار»، الذين يمنعون المسيحيين من القيام

بالحجِّ إلىٰ الأراضي المقدسة(١).

* **رموز العَداء الديني للنبي ﷺ :**

نورد فيما يلي بَعضَ الشخصياتِ الأمريكيةِ والأوروبيةِ المعاصِرةِ التي عُرفت خلال الأعوام الماضية بعَدائها للنبي ﷺ، ومجاهرتِها بذلك إعلاميًّا وفكريًّا.

* **جيري فالويل:**

وهو قسيسٌ إنجيليٌّ معروف، ويُقيمُ في مدينة «لينشبرج» في منطقة «فيرجينيا» بالولايات المتحدة الأمريكية، وله برنامجٌ أسبوعيٌّ إذاعيٌّ وتلفزيونيٌّ يَصِلُ إلىٰ أكثَرَ من ١٠ مليون منزلٍ أسبوعيًّا، ويَملِكُ كذلك جامعةً خاصةً أصوليةً تُسمَّىٰ «جامعة الحرية»، ويهاجمُ النبيَّ ﷺ من خلالِ وسائلِ الإعلام الأمريكية الكبرىٰ، إضافةً إلىٰ موقعه الخاصِ علىٰ الإنترنت www. falwell. com والذي يَضَعُ في صفحتِه الأولىٰ تأريخًا زائفًا عن النبيِّ ﷺ. كما أنه يُروِّجُ من خلال موقعه كتاب «فلنتقدم إلىٰ معركةَ هرمجدون March to Armageddon» وهي معركةُ نهايةِ التاريخ كما في معتقدات الإنجيليين.

ومِن ضمنِ مواقِفه المُعلَنَةِ في الهجومِ علىٰ النبيِّ ما قاله علىٰ شَبَكاتِ التلفازِ الأمريكية وهو ما نصه: «أنا أعتقدُ أن محمداً كان إرهابيًّا، لقد قرأتُ ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه كان رجلَ عُنفٍ، ورجلَ حُروب».

* **بات روبرتسون:**

قسيسٌ إنجيليٌّ معروفٌ باهتماماتِه السياسيةِ وتأييدِه المطلَق لإسرائيل،

---

(١) «الإسلام والمسيحية» (ص٣٤).

ويمتلكُ عددًا من المؤسَّساتِ الإعلاميةِ ـ من بينها نادي الـ ٧٠٠ ـ، وهو برنامجٌ تلفزيونيٌّ يَصِلُ إلىٰ عشراتِ الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافةً إلىٰ محطةٍ فضائية تَصِلُ إلىٰ ٩٠ دولةً في العالم بأكثرَ من ٥٠ لغةً مختلفةً، وهي محطةُ «البث النصراني Christian Broadcasting»، ومنها إذاعةُ الشرق الأوسط المتخصِّصة في التنصير في منطقة العالم العربي.

كما سَعىٰ «بات روبرتسون» إلىٰ الترشيحِ لمنصبِ الرئيس الأمريكي في عام ١٩٨٨م، ويقفُ خَلْفَ إنشاءِ أقوىٰ تحالُفٍ سياسيٍّ دينيٍّ في الحزبِ الجمهوري، وهو «التحالف النصراني، وموقعُه الإليكتروني هو www.patrobertson. com، ويَملِكُ أيضًا جامعةً أصوليةً، وهي جامعة «ريجنت».

في هجومهِ علىٰ النبيِّ ﷺ قال التالي: «كلُّ ما عليك هو فقط أن تقرأَ ما كَتَبه محمدٌ في القرآن، إنه كان يدعو قومَه إلىٰ قَتلِ المشركين. . إنه رجلٌ متعصِّبٌ إلىٰ أقصىٰ درجة. . إنه كان لصًّا وقاطعَ طريق». . «إن ما يدعو إليه هذا الرجلُ [محمدٌ] في رأيي الشخصيِّ ليس إلاَّ خديعةً وحِيلةً ضخمة. . إن ٨٠٪ من القرآن نُقل من النصوص النصرانية واليهودية، ولقد ذُكر موسىٰ أكثر من ٥٠٠ مرةً في القرآن، أن أقول: إن هذا القرآنَ ما هو إلاَّ سرقةٌ من المعتقَدات اليهودية. . ثم استدار محمدٌ بعد ذلك ليقتلَ اليهود والنصارىٰ في المدينة، أنا أقصد أن هذا الرجلَ [محمدًا] كان قاتلاً [سافكًا للدماء]».

* فرانكين جراهام:

هو ابنُ القسيس الأمريكي المعروف «بيلي جراهام» ويَعيشُ في أحدِ القرىٰ حولَ مدينة «شارلوت» في ولاية «نورث كارولينا»، وقد عَمِل والدُه

قسيسًا خاصًّا للرؤساء الأمريكيين منذ عهدِ «ريتشارد نيكسون»، وحتىٰ الرئيسِ الأمريكي السابقِ «بيل كلينتون».

يتولَّىٰ ابنُه «فرانكلين جراهام» الآن نفسَ المهمة بعد تقاعدِ الأب، وقام بالمراسِمِ الدينيةِ لتنصيبِ الرئيسِ الأمريكي الحالي «جورج بوش»، إضافةً إلىٰ تولِّيه كافةَ مسؤولياتِ الكنيسةِ التي أنشأها أبوه، والتي تُعدُّ من أكبرِ الكنائس الأمريكية عددًا وتأثيرًا، وقامت خلالَ السنوات الماضية بأكثرَ من ٤٥٠ حَملةَ تنصيرٍ في مختلفِ بقاعِ العالم.

يقوم «فرانكلين جراهام» حاليًا بنفسِ الدَّور من خلال هذه الكنيسة التي تَصِلُ بحملاتها إلىٰ الملايين في كلِّ عام، وموقعُه علىٰ الإنترنت هو www. samaritan. org ، وهو الموقعُ الخاصُّ بالمؤسسةِ الإغاثيةِ له، إضافةً إلىٰ موقعِ أبيه المعروف www. billygraham.org، والموقعُ يَشملُ معلوماتٍ بستِّ لغات، وموقعٌ خاصٌّ للشباب، إضافةً إلىٰ مجلةٍ أسبوعية.

أما «فرانكلين جراهام»، فإنه هو الذي أدلَىٰ الأدعيةَ الافتتاحيةَ في حَفِل تنصيب الرئيس الأمريكي الحالي، وقد أدلىٰ بتصريحاتٍ إعلاميةٍ ذَكَر فيها أن الإرهابَ جزءٌ من «التيار العام» للإسلام، وأن القرآنَ «يحضُّ علىٰ العنف».

□ وقد صَدَر كتابٌ جديد لفرانكلين جراهام يسمىٰ «الاسم The Name»، يحتوي علىٰ نصوصٍ مسيئةٍ بوضوحٍ للديانة الإسلامية، ومنها ما يلي: «الإسلام.. أُسِّس بواسطةِ مجردِ فردٍ بشريٍّ مقاتلٍ يُسمَّىٰ محمدًا، وفي تعاليمه ترىٰ تكتيك «نشر الإسلام من خلال التوسع العسكري»، ومن خلالِ العنفِ إذا كان ضروريًا، من الواضحِ أن هَدَفَ الإسلام النهائيَّ هو

السيطرةُ على العالم».

◻ في الصفحة رقم ٧٢ يذكرُ الكتابُ: «يحتوي القرآنُ على قَصصٍ أُخذت وحُرِّفت عن العهدَين القديم والجديد.. لم يكن للقرآنِ التأثيرُ الواسعُ على الثقافتين الغربيةِ والمتحضرةِ الذي كان للإنجيل، الاختلافُ رقم واحد بين الإسلامِ والمسيحية أن إلهَ الإسلام ليس إلهَ الديانة المسيحية».

*** جيري فاينز:**

وهو راعي كنيسةٍ في «جاكسون فيل فلوريدا»، يصلُ عددُ أتباعها إلى ٢٥ ألف شخص، وهو من أبرزِ المتحدِّثين الأمريكيين في المؤتمر السنويِّ للكنائس المَعْمَدانيةِ الجنوبية، وهو أكبرُ مؤتمرٍ دينيٍّ يُعقد في كلِّ عام.

قام الرئيسُ الحالي والرئيس السابق بمَدحِ هذا القسيسِ، واعتبارِه من المتحدِّثين بصِدقٍ عن دينهم، وموقعُه على الشبكة هو www. fbcjax. com.

أصدر هذا الرجلُ تصريحاتٍ مليئةً بالكراهيةِ والعَداءِ للإسلام خلالَ الاجتماعِ السنويِّ للكنيسةِ المَعْمَدانيةِ الجنوبية، والذي عُقد عام ٢٠٠١م في مدينة «سانت لويس» بولايةِ «ميسوري» الأمريكية.

وخلالَ الاجتماع افترىٰ «جيري فاينز» - الرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية - على الرسولِ محمدٍ ﷺ، واتَّهمه بأنه «شاذٌّ يَميلُ للأطفال ويتملَّكُه الشيطان، وتزوَّج من ١٢ زوجةً آخرُهن طفلةٌ عمرُها تسعُ سنوات».

لقد رَفَض قادةُ الكنيسةِ المَعمَدانيةِ الجنوبيةِ إدانةَ تصريحاتِ «فاينز»، وأعلنوا تأييدَهم لفاينز وتصريحاتِه، وقد قام الرئيسُ الأمريكي بمخاطبةِ الحاضرين بالمؤتمر من خلالِ الأقمار الصناعية، ولم يَصْدُرْ منه شخصيًّا أيُّ

تعليقٍ على هذه الإهاناتِ للنبيِّ ﷺ من خلالِ منصَّةِ هذا المؤتمرِ السنويِّ الذي يُعدُّ أكبرَ المؤتمراتِ الدينيةِ الأمريكية»[1] اهـ.

* بذاءات صليبية:

«تَنتشرُ في الغربِ التصريحاتُ المسيئةُ للإسلام والمسلمين على لسانِ السياسيين وصُنَّاعِ القرار، فمثلاً، شَنَّ «شارلي هاغن» (رئيس الحزب التقدمي النرويجي) هجومًا على المسلمين، وشَبَّههم بالنازيين، واتَّهم أعضاءً من الحزبِ القوميِّ البريطاني في التلفزيون الفاتحين المسلمين الأوائلَ بأنهم قومٌ من «المجانين والمعتوهين»، بل إن عضوَ الكونغرس الأمريكي «جون هوكس» شبَّه عِماماتِ علماءِ المسلمين بحَفَّاضاتِ الأطفال، أما النائبُ العامُّ السابقُ للولاياتِ المتحدة «جون أشكروفت»، فقد قال طبقًا للتقارير الإعلاميةِ عقب أحداث سبتمبر: إن «الإسلامَ هو الدينُ الذي فيه يَطلُبُ منك اللَّهُ إرسالَ ابنٍ للموتِ من أجله، أما المسيحيةُ، فهي الدينُ الذي فيه يُرسِلُ اللَّهُ ابنَه فيه للموتِ من أجلك».

القائمةُ في ذلك تَطُول، وليس الهدفُ هنا جَمعَ هذه الأقاويل، أو رَصْدَها، وإنما التأكيدُ أن نماذجَها كثيرةٌ، وتَعكِسُ نوعًا من التوافق بين مختلفِ فئاتِ المجتمعِ الغربيِّ مؤخرًا على الاستهزاء بالإسلام.

◻ وعلى سبيلِ المثال أيضًا احتجَّت جمعياتٌ إسلاميةٌ في إيطاليا على نَشرِ مجلة «ستودي كاثوليكي» القريبة من منظمةِ «أوبوس داي» المحافظة الكاثوليكية رسمًا يُصوِّرُ الرسولَ محمدًا ﷺ «في الجحيم»، وكانت وكالةُ

---

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٣٠ - ٤٢).

«إنسا» الإيطالية أولَ وسيلةٍ إعلاميةٍ تحدَّثت عن هذا الرسمِ، فأفادت أن مجلةَ «ستودي كاثوليكي» نَشرت في عددها لشهرِ مارس ٢٠٠٦م رسمًا يصوِّرُ الشاعرَ الإيطالي «دانتي اليغييري» والشاعر الروماني «فرجيليوس» عند أطرافِ دائرةٍ من النار ومِن حولهما شياطين، بحَسَب وصف الوكالة، يسأل «فرجيليوس» «دانتي»: «هذا الرجلُ المشطورُ إلىٰ اثنين، أليس هو محمدًا؟» ويجيبُ «دانتي» ـ بحسب «إنسا» ـ: «أجل شُطر اثنين؛ لأنَّه زَرع الشِّقاقَ في المجتمع».

وقال مديرُ المجلة «سيزاري كافاليري» العضو في منظمة «أوبوس داي» للوكالة: «إن الرسمَ الساخرَ غيرَ اللائق سياسيًّا يُجدي نفعًا من وقتٍ لآخر، وهذا ليس سوىٰ تصويرٍ لمقطعٍ من «الكوميديا الإلهية» للشاعر دانتي».

وعَقِبَ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، كانت هناك مناقشةٌ جادةٌ في «الزاوية» ـ وهي دائرة في النسخة الإلكترونية من مجلة National Review، إحدىٰ مجلاتِ الرأي الأمريكية الرئيسة ـ حولَ جدوىٰ إسقاطِ القنابلِ النووية علىٰ مدنٍ إسلاميةٍ وعربيةٍ معينة، والمدنُ الرئيسة التي تم اقتراحُها للتدمير النووي هي «طهران، وبغداد، ودمشق»، كما تم أيضًا ذِكْرُ «رام اللَّه، وغزة» كهدفين محتملين في حالِ امتلكتْ الولاياتُ المتحدةُ قنابلَ «نظيفة» بشكلٍ لا يُحدِثُ دمارًا في المنطقة المجاورة، وجَرَت مناقشة بين محرِّري National Review حول ما إذا كان يجبُ تدميرُ مكةَ نفسها![1] .

---

(١) مقال «البابا والتاريخ والعوالم الجديدة والإسلام» للدكتور رضوان السيد ـ موقع «إسلام أون لاين» ١٧ من سبتمبر سنة ٢٠٠٦م.

وهنا مرةً أخرىٰ يتَّضحُ أن الهجومَ علىٰ الإسلام ليس فقط عملاً يقوم به بعضُ المتدينين غَيرةً علىٰ دينهم، أو بعضُ الساسةِ وصُنَّاعِ القرارِ من أجلِ مصالحهم، ولكنه أصبح سَمْتًا عامًا مقبولاً في المجتمعِ الغربي، وهذا مع تُعبِّرُ عنه الكثيرُ من التصريحاتِ الإعلاميةِ التي لو ذُكرت في حقِّ دينٍ آخَرَ لقَامت الدنيا ولم تَقعدُ!(١) .

* وكِلابُ العلمانيِّين الغربيِّين:

لقد اختارت العلمانيةُ الأوروبيةُ أن تَجعلَ الاستهزاءَ من الإسلامِ ومن نبيِّه ﷺ أحدَ أهمِّ وسائلِ تعبيرِ هذا التيارِ عن نزعتِه المعاديةِ للدين والتدين، لذلك قام هؤلاء المفكِّرون الذين يُشار إليهم بـ «رموزِ التنوير» باتهام الإسلام بالرجعيةِ والتخلفِ ومعاداتِه للتقدُّمِ في المجالات الفكرية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت هذا الفكرةُ منذ نهاياتِ القرنِ الثامنَ عَشَرَ الميلادي تُمثِّلُ الفكرةَ السائدةَ والقالَبَ النمطيَّ عن الإسلام بين أنصارِ الفكر العلماني.

* «ليفي ستراوس» العلماني القبيح:

فهذا مثلاً المفكِّرُ المعروفُ «ليفي ستراوس» يناقشُ الإسلامَ بُروحٍ تحملُ عَداءً ظاهرًا، وتفتقدُ أيضًا لأبسطِ قواعدِ الإنصافِ البحثي والعلمي، إنه «يبدأ تأمُّلاً طويلاً لروح الإسلام ناقصًا في معلوماتِه معاديًا ومتحيزًا بشكلٍ واضح، لكنَّ هذا التأمُّلَ يَبقىٰ حَدْسيًّا وعميقًا بشكلٍ مذهل، لقد قام الإسلامُ علىٰ النفي؛ نفيِ المرأةِ خارجَ جماعةِ الرجال، ونفيِ غير المؤمنِ

(١) المصدر السابق.

خارجَ جماعةِ المؤمنين، ولذا فإن التسامُحَ المعروفَ عند المسلمين إنما هو (انتصارٌ مستمرٌّ علىٰ ذاتهم)، هو في نهايةِ المطاف تسامُحٌ كاذب، الإسلامُ مُحيِّرٌ لذاتيةِ الفردِ المسلمِ مع أنه يُطِّورُ القُدرةَ علىٰ العمل، إن الأُخوةَ الإسلاميةَ لَبِنَةَ الجماعة، هي فقط قاعدةٌ ثقافيةٌ ودينيةٌ، أساسُها منافق؛ لأنها تُديمُ الامساواةَ الصارخة، الإسلامُ منعوتٌ أيضًا كدينٍ عسكري، كدينٍ (مسامح)، مِن هنا أتىٰ الانحرافُ الجنسيُّ الذي يُميِّزه، والحديثُ عن فضائلِ الرجولةِ المرتبطةِ بالنفسِ العربيةِ، هذه الفضائلُ مِن فخرٍ وبطولةٍ وغَيرةٍ، ما هي غالبًا إلاَّ أشكالٌ من التعويضِ لشعورٍ بالنقصِ أمامَ الآخَرِ الذي هو النقيصةُ الكبرىٰ، ورُعبُ الشخصيةِ الإسلامية.

ويقولُ عن الإسلام: إنه دينٌ كبيرٌ يقومُ علىٰ العَجزِ عن نَسجِ علاقاتٍ في الخارجِ أكثَرَ مما يقومُ علىٰ بديهيةٍ وحيٍ، وقُبالةَ العطفِ العالمي للبوذية، والرغبةِ المسيحية في الحوار، يتبنىٰ اللاتسامحُ الإسلاميُّ شكلاً لا واعيًا عند المسلمين؛ لأنهم ـ وإن لم يَسْعَوا دائمًا وبطريقة فجَّةٍ إلىٰ جَذبِ الآخَرِ لتبنِّي حقيقتِهم ـ، فإنهم مع ذلك ـ وهذا أخطر ـ عاجزون عن تحمُّلِ وجودِ الآخَر كآخر، إن وسيلتَهم الوحيدةَ للبقاء في مأمنٍ من الشك والاحتقارِ هي في عمليةِ إلغاءِ الآخَرِ كشاهدٍ علىٰ إيمانٍ آخَرَ وسلوكٍ آخر».

□ جاء تحت مادة «جبريل» في «موسوعةِ المعارف الإسلامية»، ـ وهي النِّتاجُ الفكريُّ لفريقِ الليبراليين من المستشرقين الذين أرادوا أن يُعيدوا كتابةَ تاريخِ الإسلامِ من خلال هذه الموسوعةِ بشكلٍ يمتلئُ بالاتهاماتِ الباطلةِ والظالمةِ عن الدينِ الإسلامي وعن نبيِّ الرحمة صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ،

يقول المستشرق «كارادي فو» في هذه الموسوعة: «وقد اصطنع النبيُّ القصةَ التي تقولُ بأَنَّ الرسولَ السماويَّ يتحدَّثُ إلىٰ الأنبياءِ، واعتَقد أنه تلقَّىٰ رسالتَه ووحيَه منه. . والظاهرُ أن النبيَّ عَرَفَ جبريلَ من خَبَرِ البشارةِ الواردِ في الإنجيل، ولكنه لم يكنْ في مَقدورِه أن يَعرفَ الإنجيلَ من غيرِ وساطة، ولعلَّه سَمعَ ذلك الخَبَرَ مِن أفواه بعضِ الفلاسفة أو الباحثين في الأديانِ، أو من أحدِ الحنيفية وقد وَصَلهم الخير مُشوَّهًا»[1] اهـ»[2] .

*** لماذا كلُّ هذا البُغضِ والحِقدِ الأسودِ والكراهيةِ لسيد البشر؟ ولدينه الإسلام؟ :**

عجبًا أنْ يَكرَهَ من طُمسَتْ بصيرتُهم النورَ الهاديَ إلىٰ اللَّه، وأن يُبغِضَ أناسٌ ينتسبون إلىٰ البشر الرحمةَ في أرقِّ معانيها، وأن يَحقِدَ الناسُ علىٰ مَنْ امتلأ قلبه بمحبةِ المخلوقين العابدين لربهم!! لا تَعْجَبْ فإنهم أعداءُ الحياة. .

لماذا كلُّ هذا البغضِ لرسولِ اللَّه ﷺ؟!.

والإجابةُ علىٰ هذا السؤال موجودةٌ في كتاب اللَّه عز وجل لِمَن ألقىٰ السمع وهو شهيد:

*** قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾** [البقرة: ١٢٠].

*** ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾** [النساء: ٨٩].

---

(١) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلىٰ أصول في الديانات السابقة» لفؤاد كاظم المقدادي، من كتاب «الإسلام وشبهات المستشرقين» (ص١١٦).
(٢) «لماذا يكرهونه» (ص٥٣ ـ ٥٥).

* أتى بالتوحيد . . وكلٌّ منهم اتخذ إلهه هواه :

إن المشكلة الرئيسةَ في علاقةِ الغربِ فكريًّا بالعالم الإسلامي، وعَداءِ الغربِ للنبي ﷺ، هو مركزيةُ توحيدِ اللَّه تعالىٰ وعبادتِه لدىٰ المسلمين، والتي تتجسَّدُ في دعوةِ محمدٍ ﷺ، وفي دينِ الإسلام، وفي واقعِ الأُمَّةِ الإسلامية، بصرفِ النظر عن درجةِ تديُّنِ والتزامِ أفرادِ هذه الأمة، ينطلقُ لغربُ فكريًّا - وبكلِّ فئاتِ مجتمعاتِه وكلِّ مفكريه - من فكرةِ مركزيةِ الإنسانِ في الكون، وأن الفردَ هو مركزُ الاهتمام الرئيس، وأنَّ تطلُّعاتِ الفردِ وحقوقَه وحرياتِه تُقدَّمُ علىٰ أيِّ أمرٍ آخر، وحتىٰ أمورِ العبادة وعلاقةِ الفرد بالإله.

إن الغربَ يَرىٰ أن محمدًا ﷺ قد قَدَّم مفهومًا يمكنُ أن يَهدِمَ الفِكرَ الغربيَّ من أساسه. . وهو مركزيةُ محبةِ وعبادةِ اللَّه تعالىٰ في حياةِ البشريةِ، مقابلَ نظرياتِ الغرب التي تقومُ علىٰ مركزيةِ الإنسان، اختار الغربُ لذلك أن يَجعلَ عَداءَ الإسلام ضِمنَ منظومةِ قِيَمِه الرئيسةِ؛ لأنه يتمكنُ بهذه الطريقةِ من إبقاءِ الفردِ مركزًا للكون في مواجهةِ دعوةِ محمدٍ ﷺ التي حافظت علىٰ مكانةِ الخالقِ جَلَّ وعلاَ ومركزيتِها في حياة البشر.

وحولَ ذلك تحدَّثت المؤلِّفةُ البريطانيةُ «كارين أرمسترونج» - صاحبة كتاب «محمد» - قائلةً: «علينا أن نتذكرَ أن الاتجاهَ العَدائيَّ ضدَّ الإسلام في الغرب هو جزءٌ من منظومةِ القِيَم الغربيةِ، التي بدأت في التشكُّل مع عصرِ النهضةِ والحملاتِ الصليبية، وهي بدايةُ استعادةِ الغربِ لذاتِه الخاصةِ مرةً أخرىٰ، فالقرنُ الحادي عَشَرَ كان بدايةً لأوروبا الجديدةِ، وكانت

الحملاتُ الصليبيةُ بمثابةِ أولِ ردٍّ فعلٍ جماعيٍّ تقومُ به أوروبا الجديدة».

* بين محمد والمسيح عليهما السلام:

تَمَحْوَرَ الفِكرُ الغربيُّ حولَ شخصيةِ المسيحِ عليه السلام، وتحوَّلت شخصيةُ المسيحِ بعد تحريفِ الدينِ المسيحيِّ إلى تجسيدٍ للفكرِ الغربي حولَ مركزيةِ الفردِ في الكون، فقد تحوَّل الإِلٰه في نظرِ المتدينين إلى شخص.. إلهٌ في صورةِ فرد.. دَفَعَ دَمَه ثمنًا مُقدَّمًا لجميع خطاياهم القادمة، وعندما سَيطر الفكرُ النَّفْعيُّ على الشخصيةِ الغربية، أصبح التعلُّقُ بشخصِ المسيحِ يُمثِّلُ قمةَ النَّفعيةِ لِمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفعِ فاتورةِ خطاياهم حتى قَبْلَ أن يَقعوا فيها، وأبقى لهم الحياةَ لكي يُمارِسوا فيها ما شاؤوا من أفعالٍ طالَما أنَّ محبةَ المسيح ـ كفردٍ وكإِلهٍ ـ تُسيطرُ على مشاعِرِهم، أما مَن تركوا الدينَ المسيحيَّ بأكمله، وأصبحوا لا دينيِّين أو مُلحدين، فقد كان المسيحُ ـ بعد تحريفِ الدين ـ أيضًا مركزيًّا في مواقِفهم الفكرية.. فهو فردٌ، وبالتالي لا يمكنُ أن يَختلفَ من غيرِه من البشر، وبالتالي فليس هناك إلهٌ ـ بزعمهم ـ، كما أن المسيحَ بصورتِه التي قامت الكنيسةُ الغربيةُ بتصويرِها رحيمٌ منعزلٌ عن حياة الناس.. يَقبلُ بكلِّ معاييرِ الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلاَّ إلى الحريةِ والمساواة.. وهي أهمُّ قِيَمِ العلمانيةِ، ولا تُصادِمُ مَن تَركوا الدين، وبالتالي فلا حاجةَ إلى مصادمةِ المسيح.

أما العلاقةُ مع محمدٍ، فهي علاقةٌ تصادميةٌ مع كلٍّ مِن التيارِ الدينيِّ والعلمانيِّ في الغَرب على المستوى الفكري، فمحمدٌ ﷺ حَرِصَ على أن يكون فردًا.. إنسانًا بكلِّ معاني الإنسانية، ورَفَضَ أن يكونَ إلهًا في صورةِ

إنسان، وبالتالي فهو يناقضُ فَهْمَ المتدينين من الغربِ للإله الذي عَرفوه، وبالتالي تكوَّنت الكراهيةُ والضيقُ مِن كلِّ ما يُمثِّله محمدٌ ﷺ . . فهو ليس علىٰ شاكلةِ المسيح . . في نظرهم، هو يناقضُ أيضًا مشاعرَ ورَغَباتِ غيرِ المتدينين؛ لأنه يَطلُبُ من البشر - كما أَمَره خالقُه - بالكثير من العباداتِ والأعمالِ والالتزامات، ويُقدِّمُ حريةَ المجتمعِ علىٰ حريةِ الفرد، ويُضحِّي بالمساواةِ من أجلِ العدالة ومنِ أجلِ صلاحِ المجتمع، كلٌّ ذلك ساهَمَ في تكوينِ صورةٍ سلبيةٍ وقاسيةٍ عن نبي الإسلام.

كما عُقدت المقارنةُ بين التوسُّعِ الإسلاميِّ، ودخولِ المسلمينِ في معاركَ من أجلِ نَشرِ الدين، أو الدفاعِ عن المسلمين، مع الروحِ غيرِ القتاليةِ التي تُصوِّرُها المسيحيةُ الرومانيةُ المُحرَّفةُ عن حياةِ المسيحِ عليه السلام، فكما يَذكُرُ أحدُ الباحثين، فإنَّ «تصنيفَ الإسلام كدينِ حربٍ يَستندُ أساسًا إلىٰ صورةِ المِثالِ المسيحي، لقد ابتَعد المسيحُ في تبشيره عن وسائلِ النجاحِ السياسية، حتىٰ إن مَجْدَه يقومُ علىٰ خسارته، إن الكنيسةَ لم تُقِم إمبراطوريةً، لقد مَسَحت الإمبراطوريةَ القائمةَ وتَسلَّلت إليها كما الدودةُ إلىٰ الثمرة، دون شكٍّ، إن التراثَ الدينيَّ اليهوديَّ، بعدَ «الأسر»، جَعل من التطلُّعِ إلىٰ المسيحِ مُنقذًا هو بمثابةِ تعويضٍ عن الخسارةِ في العالم»[1].

أما الإسلامُ، فلم يَتَبَنَّ هذه الروحَ التي تَميلُ إلىٰ الخسارة في الدنيا من أجلِ تحقيقِ المجدِ في الآخرة، وهنا أيضًا استُخدمت هذه المقارنةُ غيرُ الصحيحة للطعنِ في الإسلام، ووُصف نبي الإسلام أنه جاء بالسيف

(١) «أوربا والإسلام صدام الثقافة والحضارة» لهشام جعيط (ص٤٥) دار الطليعة بيروت.

والعنفِ والعُدوان.

☐ يروي الكاتبُ العربي «هشام جعيط» في تحليله للشخصيةِ الأوروبيةِ كيف أنها نَظرت للعالَمِ الإسلاميِّ ولدعوةِ النبيِّ ﷺ فيقول: «يَسيرُ تاريخُ الإسلام لا وِفقَ ديناميكيته الخاصة، بل كانعكاسٍ شاحبٍ ومعكوسٍ لتاريخ الغرب، لِنأخذْ مثلاً على ذلك: شخصيةُ محمد، نلاحظُ أن ضِمنَ كلِّ تحليلٍ لهذه الشخصيةِ تنسابُ عمليةُ مقارنةٍ مع المسيح، إذا كان محمدٌ غيرَ صادقٍ، فذلك لأن المسيحَ كان صادقًا؛ وإذا كان متعددَ الزوجات وشهوانيًّا، فلأن المسيحَ كان عفيفًا؛ وإذا كان محمدٌ محارِبًا وسياسيًّا، فذلك استناداً إلى يسوعَ مسالمٍ، مغلوبٍ ومُعذَّب»[1].

* تَجذُّرُ فكرةِ النُبوَّةِ الكاذبة:

قامت الكنيسةُ الغربيةُ تحديداً منذ بدايةِ الإسلامِ بالطعن في صِدقِ نبوةِ رسولِ اللّه ﷺ، ولا يزالُ هذا الموقفُ هو السَّمتُ المشترَكُ لمعظمِ المفكِّرين المتديِّنين الغربيين، رغمَ أن بعضَهم قد تنازلَ ووَصَف النبيَّ ببعض الصفاتِ الإيجابيةِ كقائدٍ سياسي، أو مُصلحٍ إنساني، أو إنسانٍ طموح، ولكن ليس كنبيٍّ يوحَىٰ إليه، أخطأ كثيرٌ منا في فَهمِ دلالة العبارات، والتي تَطيرُ بها وكالاتُ الأنباء العربيةُ والإسلامية، وكأنها تُمثِّلُ تحوُّلاً فكريًّا في نظرة الغرب للنبي، فكم تَغنَّينا بعبارةِ أن «العظماء مئةٌ وأعظمهم محمد»، وغيرِها من العبارات التي يكثُر تقديمُها في هذا السياق.

رأىٰ المسيحيون في شخصِ محمد ـ كما يَروي أحدُ المفكِّرين الغربيين ـ

(١) المصدر السابق (ص٤٠).

رجلاً مرتداً أو نبياً مزيفاً، لا يَملِكُ سوىٰ الادعاءاتِ والأضاليل، وفي تفسيراتِهم الأقلِّ تحفظًا صُوِّرَ محمدٌ كساحرٍ، مُعَادٍ للمسيح أو حتىٰ أنه الشيطان ذاته، وصُوِّر الإسلامُ علىٰ أنه لونٌ جديدٌ من الهرطقة (اليهودية، أو المسيحية)، أو علىٰ أنه ضرْبٌ جديد من الوثنية[1].

☐ كما يقول المستشرقُ «فنسنك»: «إنَّ محمداً كان قد اعتَمد علىٰ اليهود في مكَّة، فما لَبِثوا أن اتَّخذوا حيالَه خُطَّةَ عداء، فلم يكن له بُدٌّ من أن يلتمسَ غيرَهم ناصراً، هناك هداه ذكاءٌ مُسدَّدٌ إلىٰ شأنٍ جديدٍ لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يَخلُصَ من يهوديَّةِ عصرِه لِيَصِلَ حَبْلَه بيهوديَّة إبراهيم».

☐ أما «مارتن لوثر» ـ مؤسس المذهب البروتستانتي ـ، فكان له رأيٌ شبيهٌ بذلك في الإسلام وفي نبيه ﷺ، ولكنه كان يَستغلُّ هذا الرأيَ في الطعنِ في الكنيسة الكاثوليكية أيضًا، يُعبِّرُ عن ذلك المفكِّرُ الغربي «إن. دانيال» قائلاً: «إن لوثر ذاتَه كان وحداً من أوائل الذين صاغوا نموذجًا جديداً كليًّا للموقف من الإسلام، مستخدِمًا إياه ـ كمنوذجٍ سلبي ـ في جِداله العنيفِ مع الكاثوليكية، حيث يقول: البابا والإسلام يُشكِّلان ـ من حيث الجوهر ـ العدوَّينِ اللدودَينِ للمسيح وللكنيسةِ المقدَّسة، ولكن إذا كان الإسلامُ يمثِّلُ جَسَدَ المسيح الدجال، فإن البابا هو رأسه».

هكذا كان «لوثر» يرىٰ الإسلام، ويصفُ النبيَّ بأنه المسيحُ الدجال، لقد كانت فترةُ ظهور البروتستانتية هي أيضًا فترةَ ازدهارٍ لمن اهتمُّوا بالهجوم

(١) «الإسلام والمسيحية» د. اليسكي (ص٦٠).

علىٰ الإسلام وعلىٰ نبيِّ الإسلام، وأصبح الإسلام هو السُّبَّةَ أو الإهانةَ التي يُمكنُ أن يوصَفَ بها كلُّ مخالف، وانتَشر في ذلك الوقتِ تبادُلُ هذ الاتهامِ بين كلٍّ من أنصار الكاثوليكيةِ وأنصارِ البروتستانتية.

وقد ساهَمت الرؤيةُ الفكريةُ الغربيةُ بأن نُبوَّة محمدٍ ﷺ كاذبةٌ في عَقدِ مقارناتٍ ظالمةٍ مع المسيحية الرهبانيةِ، بغَرَضِ تشويهِ صورةِ الإسلام وصورةِ نبيِّه، وهنا تتدخلُ رؤيةٌ للنفسِ المسلمةِ نابعةٌ من شروطِ تطوُّرِ فكرةِ النبوة الكاذبة، هذه الرؤيةُ مَفادُها أن سلوكَ نبيِّ الإسلام هو نَقيضُ سلوكِ القدِّيس القائمِ علىٰ قَمعِ الغرائز، وأن الإسلامَ شهوانيٌّ وماديٌّ في رُوحِه وفي مَفهومِه للجنة، وأن شرائعَه ومؤسَّساتِه لم تَفعلْ سوىٰ تطويرِ هذه الجرثومةِ القاتلةِ التي تَعيبُه من أساسه، فإذا كان مفهومُ الجَنَّةِ يُبيِّنُ أننا أمامَ دينٍ خالٍ من الروحية، محصورٍ في صورةِ اللذات المستقبلية، وتفوحُ منه رائحةُ الوثنية، فإنَّ حياة النبي بدَورها تُبرهِنُ علىٰ ضعفِ قيمتِها الأخلاقية[1].

تَسبَّبَ الموقفُ الدينيُّ والفكريُّ الغربيُّ الذي يَدَّعي كَذِبَ نبوةِ محمدٍ ﷺ في تكوُّنِ فكرةٍ مسيحيةٍ استقرَّت في أذهانِ الكثيرِ من المفكِّرين الدينيين في الغرب، هذه الفكرةُ تتصوَّرُ أن هذه النبوةَ الكاذبةَ في ظنِّهم قد أوقَفت تطوُّرَ الإنسانيةِ باتجاه المسيحية، يقول أحدُهم: «لقد أمكن لمحمدٍ أن يُكوِّن إمبراطوريةً سياسيةً ودينيةً علىٰ حساب موسىٰ والمسيح»[2].

بالطبع هناك أسبابٌ حقيقةٌ للتخوُّفِ من أن يُعيقَ الإسلامُ طريقَ انتشارِ

---

(١) «أوربا والإسلام» لهشام جعيط (ص١٣).

(٢) المصدر السابق (ص٧٩).

المسيحية، ويَشرحُ هذه الفكرةَ المفكِّرُ الغربيُّ «مونتغمري واط» قائلاً: إن «الإسلامَ من وِجهةِ نظرِ المسيحية الغربية يَتَّسمُ بخَلفيةٍ إشكاليةٍ لاهوتيةٍ عميقة، لقد ظَهر في أوائلِ القرنِ السابعِ للميلاد في مُحيطٍ تميَّز بتأثُّرِه الروحيِّ بالتقاليد اليهودية ـ المسيحية، مؤكِّدًا من ناحية ـ وعَبْرَ التوحيدية الإبراهيمية ـ صِلَتَه المبدئيةَ بتلك التقاليدِ الشرقيةِ اليهودية ـ المسيحية، ولكنه وَضَع نفسَه من ناحيةٍ أخرىٰ في خندقٍ مضادٍّ متعارِضٍ تمامًا مع التقاليدِ الدينية المذكورة.

فمن خلال تعميمٍ مُطلَقٍ غيرِ محدودٍ للتوحيد، ألغىٰ الإسلامُ في حقيقةِ الأمر أيَّ إمكانٍ لتجسيدِ الطبيعةِ الإلهيةِ مع نفيٍ تامٍّ لفكرةِ «الثالوث المسيحية».

وبذلك التوجُّهِ العقائدي حَطَّم الإسلامُ النظامَ البنيويَّ ـ اللاهوتي الذي كان مُهيمنًا في التصورات المسيحية ـ لا سيَّما في العصر الوسيط ـ حولَ التكوينِ الإلهيِّ للتاريخ، وحولَ التقديس، وتجسيدِ الإلـه ذاته، هكذا كان ظهورُ الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعًا من التحدي الديني ـ التاريخي»[(١)].

كما يرىٰ بعضُ المفكِّرين الغربيين أن محمدًا ورسالتَه قد تسبَّبا في منعِ انتشارِ المسيحية في الشرقِ الأقصىٰ أو تفاعُلِها مع البوذية، وهي فكرةٌ يعتنقُها بعضُ المفكِّرين المتأثِّرين بالفِكرِ «النِّسَوي» الذي يَرىٰ العالَمَ كان أقربَ إلىٰ رُوحِ الأنثىٰ، إلىٰ أن جاءَ الإسلام فجعله عالمًا ذكوريًّا، ولذلك

(١) «تأثير الإسلام علىٰ أوربا في القرون الوسطىٰ» (ص٨ ـ ١٠) لمونتغمري واط.

يقولُ أحدُهم، وهو المفكر «ليفي ستراوس»: «إن وجودَ الإسلامِ قد لَعِب دوراً مزعجًا، لقد قَطَّع إلى نصفين عالَمًا كان يستعدُّ للاتحاد، وتدخَّل بين الهللينيةِ والشرق، بين المسيحية والبوذية، لقد قام الإسلامُ بعمليةِ أسلمةِ للغرب، ومَنَع المسيحيةَ من أن تتعمق، وأن تُكوِّن ذاتها أكثَرَ فأكثر بعمليةِ تلاقُحٍ مع البوذية، لقد أصبح الغربُ مسلمًا، أي قويًّا ومحاربًا ورجوليًّا وعالِمًا ومنظِّمًا، وفقد حَظَّه في (البقاء امرأة)».

يبقى الإسلامُ في نظرِ الغالبيةِ العظمى من مفكِّري الغربِ دينًا يُعيقُ تقدُّمَ الغربِ مهما بَلغت نجاحاته، ليس مهمًا أن يكونَ الإسلامُ أفضلَ أو أسوأَ من الدينِ المسيحيِّ الذي تَركه معظمُ الشعبِ الأوروبي عمليًّا، ولكنه لا يزالُ يُحرِّكُ معتقداتِه الفكريةَ في التعامل مع الآخرين بقوة، المهمُّ أن الدينَ الإسلاميَّ وسُنةَ نبيِّ الإسلام ﷺ يُمثِّلان عائقًا حقيقيًّا أمامَ تطُّورِ المسيحيةِ بالنسبةِ للمتدينين والغربِ عمومًا بالنسبة إلى غير المتدينين، الإسلامُ - في نظرهم - هو حَجَرُ عَثْرَةٍ يَعترضُ مسيرةَ الحضارةِ الغربيةِ برُمَّتها.

*** العنصرية الغربية والاستعلاءُ الكاذبُ للجنسِ الأبيض:**

تُغَلِّفُ العنصريةُ الغربيةُ تاريخيًّا بالكثير من الأغلفة الفكرية الخادعة، وقد اتَّخذ الفكرُ الغربيُّ موقفًا معاديًا من رسولِ اللَّه؛ لأنه يُمثِّلُ رَمْزَ المساواةِ الحقيقية بين البشر، وقَدَّم النموذَجَ العمليَّ للتعايُشِ بين البشرِ دونَ أفضليةِ لجنسٍ على جنسٍ إلاَّ بالقربِ والبُعدِ من الإيمان والقُربِ من اللَّه، أما الفوارقُ العِرْقيةُ فقد تَقلَّصت إلى حدٍّ بعيدٍ في النموذج الحضاريِّ الإسلاميِّ الذي استَمدَّ تعاليمَه - كما يَعرفُ الغربُ - من رسالةِ الإسلام وسُنَّةِ النبيِّ

الكريم ﷺ، لم يُرْضِ ذلك المفكرين الغربيين بالتأكيد؛ لأنهم قَدَّموا لشعوبهم وللعالَم نموذجًا آخَرَ يقومُ على فكرةِ التمايز العِرْقيِّ والعنصري.

يرى الباحث «أليسكي جورافيسكي» أن الكثيرَ من الأيديولوجيين الأوروبيين ركَّزوا على مسألةِ التعارضِ المطلَقِ بين الشرقِ والغرب، فالشعورُ بالعظمةِ والتفوقِ الحضاريِّ قاد الشعوبَ الأوروبيةَ إلى فكرةٍ نمطيةٍ جامدة - كما يقول الباحث -، شكَّلت التُّربةَ المناسبةَ لظهورِ نظرياتٍ تُركِّزُ على التعارضِ التاريخيِّ بين أوروبا وآسيا، وكأنه صراعٌ أزليٌّ لا حلَّ له، وضِمنَ هذا المَنْحَى الأُحاديِّ صُوِّر التاريخُ العالميُّ كصراعٍ بين الغرب الديناميكي، كتب ساندرسون: «إنَّ الجنسَ الآرِيَّ العظيمَ وحدَه فقط القادرُ على قيادةِ البشرية نحوَ طريقِ الحريةِ الدينية والسياسيةِ والحريةِ الفكرية».

* **العجز عن إيقاف نموِّ الإسلام:**

جاء محمدٌ ﷺ برسالةٍ سماوية تختلفُ عن المسيحية التي حُرِّفت بعد المسيح عليه السلام، أكَّد محمدٌ أن هذا الدينَ سيبقى ما بَقِيَ الليلُ والنهار، وثَبَتَ صِدقُ ما قال، وأزعَجَ ذلك الغربَ العنصريَّ إزعاجًا شديدًا.

إنَّ من المشكلاتِ الحقيقيةِ التي تُعاني منها الكنيسةُ الأوروبيةُ منذ ظهورِ الإسلام هو عدمُ قُدرةِ هذه الكنيسةِ على إيقافِ نموِّ الإسلام، فالإسلامُ ينمو في كلِّ الظروف، ومع كلِّ الضغوط، وتحتَ كلِّ الظروف الاجتماعية المختلفة، وفي كلِّ العصور، وهو بالتأكيد ينمو على حسابِ أنصارِ تلك الكنيسةِ التي تهتمُّ اهتمامًا كبيرًا بالتنصير، ويستهدفُ نفسَ المجتمعاتِ التي تحاولُ الكنيسةُ السيطرةَ عليها، وتحويلَها إلى دينها.

لم يَقتصِرِ الأمرُ على رجالِ الدينِ فقط، بل إن المستشرقين أيضًا شَعَرُوا بالخوفِ من تنامِي الإسلام، لذلك «يفتقدُ المرءُ الموضوعيةَ في كتاباتِ مُعظمِ المستشرقين عن الدين الإسلامي، في حين أنهم عندما يكتبون عن دياناتٍ وَضْعيةٍ مثل البوذية والهندوكية وغيرهما، يكونون موضوعيين في عَرضِهم لهذه الأديان، فالإسلامُ فقط من بين كلِّ الديانات التي ظَهرت في الشرق والغرب هو الذي يُهَاجَم، والمسلمون فقط مِن بين الشرقيين جميعًا هم الذين يُوصَمون بشتَّى الأوصافِ الدنيئة، ويتساءلُ المرء: لماذا؟.

□ ولعلَّ تفسير ذلك يعودُ إلى أن الإسلامَ كان يُمثِّلُ بالنسبة لأوروبا صدمةً مستمرةً، فقد كان الخوفُ من الإسلام هو القاعدة، وحتى نهايةِ القرنِ السابعَ عشَرَ كان «الخطر العثماني» رابضًا عند حدود أوروبا، ويُمثِّلُ - في اعتقادهم - تهديدًا مستمرًا بالنسبةِ للمَدَنِيَّةِ النصرانية كلِّها، ومن هنا يُمكنُ فَهمُ ما يَزعمُه المستشرق «موير» من أن «سيفَ محمد والقرآن هما أكثرُ الأعداءِ الذين عَرَفهم العالَمُ حتى الآن عنادًا ضدَّ الحضارةِ والحريةِ الحقيقية»، وما يدَّعيه «فون جرونيباوم» من أن الإسلامَ ظاهرةٌ فريدةٌ لا مثيلَ لها في أي دينٍ آخَرَ، أو حضارةٍ أخرى، فهو دينٌ غيرُ إنسانيٍّ، وغيرُ قادرٍ على التطوُّرِ والمعرفةِ الموضوعية، وهو دينٌ غيرُ خَلاَّقٍ وغيرُ علمي»[1].

□ إن الخوفَ من قوةِ الإسلامِ المُحرِّكة الذي يأخذُ في اللحظاتِ الحماسية شَكْلَ الدفاعِ والصراع والمشاجرة، وهو أحدُ أكثرِ الأشكال

---

(١) «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»، د. محمد حمدي زقزوق، كتاب «الأمة»-قطر، نقلاً عن الموقع الإلكتروني للشبكة الإسلامية: www. islamweb. net.

الانفعالية في التاريخ، قد أَبرَزَ مفهومَ الإسلام السياسي كتهديدٍ متواتر، ومفهومَ الدين السياسي كبِنيةٍ تاريخيةٍ في أصول الإسلام، يقول «جولدزيهر»: «إن الإسلامَ قد جَعل الدينَ دنيويًّا، لقد أراد أن يَبنيَ حُكمًا لهذا العالَم بوسائلِ هذا العالم»[1].

إننا أمامَ منافسةٍ شرسةٍ بدأت منذ أكثَرَ من ألفِ عام، وساحَتَها كانت في مُعظَمِ الأحيان هي كلُّ أنحاءِ المعمورة، ومع ظُهور العولمة، وتزايُدِ حركات الهجرة، ونَقصِ العَمالةِ اليدوية المدرَّبة في أوروبا، وتناقُصِ عددِ السكان في كثيرٍ من دولِ شمال وغرب أوروبا، فقد تسبَّب كلُّ ذلك في عَودةِ الوجودِ الإسلاميِّ للظهور بقوةٍ داخل أوروبا، وفي كلِّ عواصمها وحواضِرِها بشكلٍ أصبَحَ يستفزُّ كلَّ مَن يسعىٰ إلىٰ الانتصارِ للكنيسة، أو للغربِ علىٰ حساب الإسلام.

لقد رأت الكنيسةُ الأوروبيةُ تاريخيًّا - وحتىٰ الآن علىٰ أغلب الظن - أن هناكَ خُطورةً من انتشارِ الإسلامِ في كلِّ أنحاءِ المعمورة، وأن هذه الخُطورةَ تُمثِّلُ كارثةً علىٰ المسيحية، لذلك فإن المواقفَ الفكريةَ المسيحيةَ تَنحىٰ دائمًا إلىٰ الهجومِ علىٰ الإسلام وعلىٰ نبيِّ الإسلامِ ﷺ.

*** إهدارُ قيمةِ كلِّ مقدَّس عند العلمانيِّين الغربيين:**

تطوَّرَ مشروعُ العلمانيةِ من «فَصلِ الدين عن الدولة» إلىٰ «إقصاء الدين عن الحياة» . . إلىٰ «الهجوم علىٰ الدين للقضاء علىٰ ثبات القِيم»، واستَتبَعَ

(١) «أوروبا والإسلام . . صدام الثقافة والحداثة» هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠١م (ص٨٥).

ذلك رغبةُ القائمين على هذا المشروع العلماني في القضاءِ على كلِّ القِيَمِ الثابتةِ في المجتمعات، وتحويلِ فكرةِ القِيَمِ إلى موضوعٍ نسبيٍّ متغيِّرٍ تبعًا للزمان والمكان وأمزجةِ الشعوب.

يقتضي تحقيقُ هذه الفكرةِ القضاءَ على وَلَعِ الشعوبِ وتقديرِها للمقدَّس، بصرفِ النظر عن قيمةِ ذلك المقدَّس في حياتها، أو مدى اعتزازِها به، من أجل ذلك ظَهرت حملةٌ منظمةٌ في الغربِ طوالَ الأعوامِ الماضيةِ للنَّيل من كلِّ الأنبياءِ والصالحين، وليس نبيَّ الإسلام وحده.

فقد ظَهر في الإعلامِ الغربي مؤخَّرًا العديدُ من الأفلام التي تهاجمُ المسيحَ عليه السلام، وكذلك نبيَّ اللَّه موسى، وكلُّ ذلك يَندرجُ - في ظننا - ضمنَ مشروعٍ علمانيٍّ يهدفُ إلى تشويهِ صُورِ كلِّ رموزِ القِيَمِ الأخلاقيةِ غيرِ المتغيِّرة في العالم، ولعلَّ ذلك يُفسِّرُ أيضًا سببَ تكرارِ الهجومِ على نبيِّ الإسلام من أنصارِ التياراتِ المتحرِّرةِ والليبراليةِ في الغرب.

*** فَشَلُ تحجيمِ التأثير السياسي والدولي للإسلام:**

إن التياراتِ العلمانيةَ واللادينيةَ التي تَحكُمُ الكثيرَ من دول أوروبا - ولها تأثيرٌ قويٌّ على السياسة الأمريكية أيضًا - لا تكترثُ كثيرًا لمسألة انتشارِ الإسلامِ عدديًّا أو جغرافيًّا أو عقديًّا في مواجهةِ المسيحيةِ، أو أيِّ ديانةٍ أخرى، كثيرٌ من هؤلاء القادةِ السياسيين والإعلاميين والفكريين ممن ينتمون إلى التيار اللاديني أو العلماني لا يهتمُّون لموضوعِ الدين من ناحيةِ علاقةِ الإنسانِ بخالقه، أو بمَعبَدِه أو كنيستِه أو مسجده، ما يَشغلُهم بالتأكيد هو آثارُ التدينِ على مسيرةِ العالَم الاقتصاديةِ والليبراليةِ والحضاريةِ بمفهومهم هم

لهذه الحضارة السائدة.

وفي هذا السياقِ يَبرُزُ الإسلامُ كمصدرِ إزعاجٍ رئيس؛ لأنَّه قوةٌ محرِّكةٌ ومؤثِّرةٌ، وتدفعُ بمُعتنقيهِ إلىٰ رَفضِ الهيمنةِ ومقاومةِ مشروعاتِ الاستعمارِ الفكريِّ والاقتصاديِّ بنفس حِدَّةٍ وصَلابةٍ ومقاومةِ الاستعمارِ المسلَّح، وهنا يَكمُنُ تفسيرُ اتحادِ التياراتِ الليبرالية العلمانيةِ الغربيةِ مع التياراتِ الدينيةِ المتطرِّفةِ في بعضِ الكنائسِ الأوروبية، من أجل تقليصِ تأثيرِ الإسلامِ علىٰ العالَم المعاصر، إنه تحالُفٌ لم يَحدُثْ في التاريخ مِن قبلُ بهذه الدرجة من الشموليةِ والتعقيدِ والانتشارِ الجغرافي أيضًا.

وهذا الاتحادُ الفكريُّ بَدأ منذ القديمِ عن طريقِ المفكرين المسيحيين، يذكرُ أحدُ المفكِّرين الروسُ عن ذلك: «إننا لَواجدون عند كبارِ المفكرين المسيحيين - بدءً من أوغسطين وانتهاءً بتوما الأكويني - فكرةً عامةً ملازمةً تقول: إن تطورَ الإنسانية يجبُ أن يُفضيَ حتمًا إلىٰ ملكوتِ المسيح، وهو تطورٌ يجبُ أن يَستوعبَ في داخله العالَمَ كلَّه، وفي الوقتِ ذاته، «فإن مَلِكنا علىٰ حقٍّ، أما غيرُ المسيحيين، فهم ليسوا علىٰ حقٍّ» (أغنية رولان)[1].

* **فُقدانُ الغَربِ للحبِّ والعاطفةِ، فقلوبُ أهله أقسى من الحجارة:**

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تَعلَّمت من دينِها أنَّ أوثَقَ وأعلىٰ درجاتِ الإيمانِ أنْ تُحبَّ في اللَّه، وأن تُبغِضَ أيضًا في اللَّه، وأسمىٰ درجاتِ المحبةِ في اللَّه أن

(١) «الإسلام والمسيحية» (ص١٩).

تُحبَّ خيرَ خَلقِ اللّه ﷺ ، نعم نحنُ نؤمنُ برسالةِ النبي ﷺ ، ونراه قائدًا وهاديًا ورسولاً . . ولكننا أيضًا ـ وفوقَ كلِّ ذلك ـ نُحبُّه حبًّا كبيرًا ومختلفًا عن كلِّ معاني الحبِّ التي تربطُ الغربيين بحكَّامهم، أو حتىٰ أنبيائهم .

بل إن العجيبَ في الأمر ـ والذي يؤكِّدُ مرضَ الغرب ـ أننا ـ نحن المسلمين ـ نحبُّ أنبياءَهم أكثَرَ من حُبِّهم هم لهم، فليس من الممكن أن تَسمعَ مسلمًا يَهزأُ بالمسيح عليه السلام ، ولا يُمكنُ أن تَجِدَ أيَّ فردٍ من أفرادِ هذه الأُمة العربيةِ والإسلاميةِ يَسخَرُ من نبيِّ اللّه موسىٰ عليه السلام ، إنهم أنبياءُ نؤمنُ بهم ونُوقِّرُهم، والأهمُّ في كلِّ ذلك ـ في هذا السياق ـ أننا حقًّا نحبُّهم، لَيتَهم في الغربِ يَعرفون ماذا يعني هذا الحبُّ؟! وكم هو جميلٌ أن تكونَ مُحبًّا . . وأن تحيا بالعاطفة، و ليس بالمصلحةِ أو المنفعة .

لكنَّ الحُبَّ يُفرِزُ أيضًا عاطفةً مضادةً وهي الكُرْه، وهنا يمكنُ أن نَجِدَ تفسيرًا لحماسِ مفكِّري الغرب في الهجومِ علىٰ ظاهرةِ حُبِّنا الشديدِ لنبيِّ الإسلام ﷺ ، فالحبُّ عاطفةٌ جياشة، وكأيِّ عاطفةٍ، فإنها تَحمِلُ دائمًا ضِمنَ عناصرِها نَقيضَها ـ وهو الكُرْه ـ، إن مَن يعرفُ كيف يُحب . . يتيقَّنُ أيضًا كيف يكره .

إننا أُمةٌ نحاولُ دائمًا أن نَربِطَ العاطفةَ بمعاييرِ الدينِ والأخلاق، ونحاولُ كذلك أن نتحكَّمَ في الكراهيةِ لكي تنضبطَ ضِمنَ أُطُرِ الدينِ والقانونِ والأعراف، ولكننا لا نحاولُ أبدًا أن نتخلَّص منهما، بل إن الدينَ الإسلاميَّ الذي يَحُثُّ علىٰ الانضباطِ والتقيُّدِ في الحب . . هو نفسُ الدين الذي يَرىٰ أن الكُرهَ عاطفةٌ بشريةٌ لا يمكنُ القضاءُ عليها، ولكن يجبُ أن

تُقَنَّنَ وتُضبطَ ضِمنَ قِيَمِ وقواعدِ المجتمعاتِ الإسلامية.

أما الغربُ، فهو يريدُ أن يتخلَّص الناسُ - وخصوصًا هذه الأمة - من تلك العواطفِ الجيَّاشة.. حبًّا كانت أم كراهيةً.. فكلاً منهما يساعدُ على تقويةِ النقيض.. فمَن يُحِبُّ بشدةٍ - حتى وإنِ انضبط بمعاييرِ الشرع - يمكنُ أن يَكرَهَ أيضًا بشدَّةٍ ضمنَ نفسِ المعايير والضوابط، هناك في الغرب مَن يريدُ تركيعَ البشريةِ حتى لا يَكرهَ أفعالَه أحدٌ، حتى وإنْ قَتل وعذَّب واستَهزأ وهَيْمَنَ وسيطر.. لابد إذن أن يُقيَّدَ ويُحجَّمَ الحُبُّ.. وأن تُقتلَ مشاعر البغض.

ليس هناك من تدريبٍ أفضلُ على قتلِ العاطفةِ لهذهِ الأمة مِن أن يُستهزأَ بخيرِ خَلقِ اللَّه ﷺ، وأن تُمنعَ الأُمةُ من التعبيرِ عن غضبِها من الاستهزاءِ أو حبِّها للنبي ﷺ، الغربُ يريدُ أن يُطوِّعَنا أن نَقبلَ أن يُهانَ أغلى مَن نُحبُّ، وأنْ نَمتنعَ عن إظهارِ العاطفة.. وبالتالي سنمتنعُ إيضًا تلقائيًّا - في ظنهم - عن بُغضِ أفعالهم.

لن تَنجحَ محاولةُ تدريبِ الأمةِ - أفرادًا وجماعاتٍ - على أن نَنسى العاطفة.. ولن يُفلحَ مَن يُحاولُ أن يَكبِتَ طاقاتِ المحبين، قد يكونُ المطلوبُ - للبعض في الغرب - أن تَفقدَ الأُمةُ ثِقتَها في نفسِها.. وفي قيمةِ العاطفة.. وبالتالي تَلْفِظُ الحبَّ والكُرْهَ معًا.. وتتحولُ إلى كائنٍ مُطيعٍ ينضمُّ إلى القافلةِ المتحركةِ نحوَ نهايةِ التاريخ عندما ينتصرُ الغرب، ولكنني أشك في إمكانيةِ حدوثِ ذلك، إننا أمامَ معركةِ المستقبلِ بين العواطفِ والمصالح.. بين الإنسانِ والآلة.. بين سيادةِ القلبِ أم هَيمنةِ العقل.. مِن

أجل ذلك لابدَّ نَقبَلَ خَوضَ المعركة . . وسلاحُنا في ذلك هو العاطفة، وهو تَحدٍّ عقليٌّ وقلبيٌّ مع الغرب، ولكننا سننتصرُ بهما معًا .

*** محمدٌ ﷺ تجسيدٌ للكمال الإنساني، فاضحٌ لِبَهيميَّةِ الغَرْبِ وانحطاطه :**

يَرىٰ البعضُ في الغربِ في شخصيةِ النبي ﷺ نموذجًا متكاملاً لنوعٍ من الكمالِ الإنسانيِّ الذي لا يُمكنُ للغرب بأفكارِه ونظرياتِه وممارساتِه أن يَصِلَ لها، وعند هذا الفريقِ من الغربيين، يُصبحُ القضاءُ علىٰ هذا النموذجِ همًّا حقيقيًّا بذاته .

فكأنَّ حياةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ تُمثِّلُ ذلك الضميرَ الذي يُوخِزُ الغربَ في جَنَباته، وكأنه مِرآةٌ داكنةٌ توضِّحُ لهم بالدليلِ الواقعيِّ مَدىٰ التردِّي الذي وَصَل إليه حالُ الشخصيةِ الغربية نتيجةً لابتعادِها عن النموذجِ المحمديِّ .

● عن تَميمٍ الداريِّ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ الليلُ والنهار، ولا يَتركُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاَّ أَدْخَلَه هذا الدينَ بعِزِّ عزيزٍ، أوْ بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ به الإسلامَ، وذُلاًّ يُذِلُّ به الكُفرَ»[1] .

***

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٣١، ١٦٣٢)، والحاكم (٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». . وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١).

فهرس الموضوعات

فهرس المجلد الثالث